المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين

الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها

رسالة مقدمة لقسم الدراسات العليا الشرعية لنيل درجة الدكتوراه
قسم "العقيدة"

إعداد الطالب
عمرو وفيق الداعوق

إشراف
الأستاذ الدكتور: محمود أحمد خفاجي

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله خير نبي اصطفاه ولهداية العالمين أرسله، فجاء بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا. فكان بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا، فهدى بنوره خلقا كثيرا. وفتح بدعوته أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا.

أما بعد، فقد خلق الله عباده كلهم حنفاء منيبين لقبول هدايته، مذعنين لأمره وارشاده، وذلك حينما أخذ عليهم العهد في عالم الذر (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (1).

إلا أن الشياطين إجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحل الله لهم وأمرتهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا. (2)

ولهذا كانت بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام إيقاظا لأصل الفطرة وازالة ما علق بها من غشاوة، وارشاداً للخلق الى الخالق.

وجاءت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات للعودة بالناس الى الايمان الصحيح ونبذ الشرك والالحاد بعد تمكن الجاهلية من عقول البشرية واستفحال أمرها. وهكذا تكون رسالة المسلم منوطة بهذا التكليف الربا ني يحملها بأمانة واخلاص نقية جلية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

والناظر في أهم الأسباب الموجبة لانصراف الناس عن أصل الفطرة السليمة يجد في قمتها فئة غير قليلة من شياطين الإنس قد استمرأت جريمة الاجتيال وابتدعت حرفة الضلال والاضلال، فعملت جاهدة عبر تاريخها على الوقوف في وجه الحق وعدم وصوله الى الناس بشتى الوسائل، حفاظا على مصالحها ومناصبها وابقاء على امتيازاتها ومكاسبها.

---

1 - الاعراف : 172

2 - أصل الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي 17/197 ط 1349هـ

ومن يرد حصر هذه الفئة وقوفا على أهدافها وأعمالها وعقائدها . يجد طائفة متسترة بالدين . اما لنيل عرض دنيوى أو للحصول على منصب ديني يمكنها من بسط نفوذها وجبروتها على الناس . وأكل اموالهم بالباطل وابتزازهم بالاثم والعدوان .

لقد عرف التاريخ السحيق فئة من الكهنة والاحبار والرهبان وقد سجل عليهم فضائح مهلكة وجرائم مخزية .

ويأتي القرآن الكريم ليلفت الانظار الى ظاهرة هذا الابتزاز الأثيم . فيقول الحق جل شأنه . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . .) (1) .

وارتكاب هذه الجريمة الشنيعة نابع بلا شك من الاسس العقدية المنحرفة التي سوغت لهم التعدى على حرمات الله ، وأتاحت لهم الفرصة لنيل مآربهم وتحقيق أهدافهم . وفي غياب الوازع الديني والأخلاقي يصبح تنفيذ الجرائم أمرا سائغا وعملا شائعا . ومع الايام تصبح هذه الظاهرة المخزية جزءا من مظاهر المجتمع بل سمة أساسية له وقانونا يتوارثه الخلف عن السلف .

والاشارة القرانية الصادقة راها الناس سابقا . ويرونها اليوم حقيقة ماثلة امام العيون . وتتأكد هذه الحقيقة من خلال تجارب كثير من علماء أهل الكتاب ورجالاتهم . كالراهب النصراني " أنسلمو ترميدا " (٨٣٢هـ) الذى أسلم وهاجر من اسبانيا الى تونس وعرف فيما بعد باسم عبد الله الترجمان (2) . وقد فضح القسس والرهبان بكتابه النفيس " تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب " وبين عقائدهم واساليبهم مع الناس . وكذلك العالم النصراني الذى أسلم " نصر بن يحيى المتطبب المهتدى " (3) اضافة الى العديد ممن أشرقت لهم شمس الهداية قديما وحديثا فعرفوا الحق واتبعوه ونبذوا الباطل واجتنبوه .

هذه الاعتبارات وغيرها دفعتني الى ضرورة البحث في أصل وأصول الرهبنة للوقوف على الاثار العقدية السلبية التي خلفتها . وما نجم عنها من مثالب خاصة وان الله تبارك وتعالى قد كشف هذه الحقيقة حينما أشار بانها طريقة مبتدعة . يقول الحق تبارك وتعالى (. . . . وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا . .) (4) بل ان تلبيس هؤلاء على الناس جعلهم يتخذون :

---

1 - التوبة : ٣٤

2 - انظر ترجمته ص ٣١٧ من هذا البحث .

3 - له كتاب اسمه " النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية " بين فيه عور ما يؤمن به النصارى . وقد اهتدى الى الاسلام بحمد الله تعالى . وحقق كتابه مؤخرا في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

4 - الحديد : ٢٧

(أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ...) (١)

ولا جدال أن هذه الظاهرة قد لعبت دورا خطيرا في حياة الناس ، ومما لا شك فيه كذلك أن كثيرا من الأحبار والرهبان قد أساءوا استغلال الانسان في ماله وعقيدته ، كما أن الكثير منهم لم يستطع الوفاء بما التزم به ، كما أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز .

ولكن العجيب الغريب حقا أن نجد في هذا العصر - عصر العلم والحضارة - من يدعو اليها نظرا لان العلم قد خيب آمال الانسان وأضحى مهددا لوجوده .
ومن هنا : رأيت الفرصة مواتية لابراز دور الرهبنة عبر التاريخ وتجلية موقف الاسلام منها ومن صورها المختلفة . آملا أن يكون في هذا تبصرة لهؤلاء وأولئك بالتميز والنفع الاسلامي الذى يمكنهم من الانتفاع بالاتباع .

ان دراسة موضوع الرهبنة عبر التاريخ وموقف الاسلام منها يكشف صفحة وضاءة من صفحات الاسلام ، وما أكثرها . وذلك ليقر الجميع في هذا العصر بالحقيقة الكبرى القاضية بأنه لا نجاة ولا راحة ولا سعادة الا باتباع الاسلام . الذى يهدى الناس الى العقيدة الصحيحة

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ) (٢)

لقد جاء هذا الدين لايقاظ البشرية من وهدة الغفلة واخراج الناس من الظلمات الى النور . فأماط اللثام عن تقليد الآباء والاجداد ، ودعا الى نبذ عبادة العباد ، والتمسك بعبادة رب العباد .

فأضاءت شمسه درب السالكين ، ومحا ضوؤه ليل البائسين واهتدت بهديه خلائق كثيرة ، وتعلقت بأهدابه أمم عديدة . ولهذا لم يعد مجال لانكار هذه الحقيقة ، وما على المعاندين سوى التسليم بها ، فالله تعالى يقول (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ) (٣) .

---

١ - التوبة : ٣١
٢ - ال عمران : ١٩
٣ - ال عمران : ٨٥

إن هذه الدراسة ستكشف أبعاد ظاهرة خطيرة هددت كيان الأمم القديمة لما أحدثته من بدع عقدية وأنظمة سلوكية لا تمت الى الدين الحق بصلة ، وكانت من أهم أسباب زوال الحضارات القديمة ، كما هددت الأمم الغربية التي عاشت في العصور الوسطى وقادتها الى الحروب والدمار خاصة ما حصل في أوروبا أثناء حكم البابوية .

كما أنها هددت شعوب الهند سابقا وأبقتها الى اليوم رازحة تحت شدة الفقر والدعة نتيجة للسلبية الغالبة على المجتمع والطبقية المهيمنة على الناس .

وتهدد الرهبنة في العصر الحديث أمما كثيرة ، فمنظماتها لبست ثوبا جديدا وأخذت تنتشر في العالم الغربي نتيجة الخواء الروحي الذى يعاني منه الغرب بصورة خاصة ، فالرهبنة البوذية والهندوسية واتباع كرشنا[1] وغيرهم تأخذ قسطا وافرا من اهتمام الضائعين في لجج الحياة المادية .

كما تهدد الرهبانية العالم الاسلامي عبر وسائلها الحديثة المتمثلة بالتبشير الذى يتحرك ضمن خطط موضوعة لأهداف مرسومة من قبل سلطة الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وغيرهما .

وتتجلى الصورة الخطيرة في استغلال المؤسسات التبشيرية لحالات الفقر والجوع في العالم الثالث خاصة الهند والباكستان والبنغال والقحط الذى أصاب افريقيا تنفيذا لخطط التنصير .

كذلك يأخذ التغلغل النصراني دوره في دول الخليج العربي ومصر وبلاد الشام وغيرها من أقطار العالم الاسلامي .

ولا يخفى على أحد أن الإستعمار الغربي بات يستغل هذه المؤسسات في تنفيذ خططه الرامية الى اخضاع الدول لسيطرته الاقتصادية والعسكرية والثقافية .

وحيث إن الرهبنة هي العمود الفقرى لحملات التبشير والمنفذ الحقيقي لهذه الخطط لذا يجب القاء الضوء عليها وكشف مبادئها وآرائها .

ولما كانت الرهبنة تمثل في رأى البعض سلكا أخلاقيا ، لذا فقد أردت بيان قصر هذا الفهم ، واثبات أن هذا المسلك وان نم عن مبدأ أخلاقي في الظاهر إلا أنه يحمل في طياته كثيراً من العقائد ذات الصلة المباشرة بالحياة التي يعيشها الرهبان وان كثيرا من العقائد المغالية كالحلول والاتحاد ووحدة الوجود قد تحولت الى أسس عقدية للديانات المختلفة سواء الوضعية منها أو تلك التي ينتحلها أهل الكتاب .

وسوف تتضح هذه الحقائق من خلال استعراض أبواب وفصول البحث ان شاء الله تعالى ، كما تتجلى أيضا أضرار الابتداع في الدين ومدى الأثر العلمي الذى أحدثه هؤلاء المبتدعون .

وللوقوف على أسباب وجود هذه الظاهرة الخطرة في الشرائع السابقة للاسلام ، كان لا بد من دراسة العوامل الموضوعية الموجبة لظهور طبقات رجال الدين ، كالكهنة وغيرهم عبر العصور المختلفة ، وكيفية تكوين هذه الفئة ومدى ما أحدثت تطورها من مفاهيم وآراء . وهذا يقود بدوره الى دراسة المجتمعات الاولى التي ظهرت فيها نواة الرهبنة ، كالديانة المصرية القديمة ، وديانة الدرافيد بين سكان الهند الاصليين ، ومن ثم تتبع هذه الفئة عبر التاريخ ، وكيفية انتقالها الى الامم الاخرى .

ووفق ذلك كان من المحتم دراسة العوامل الذاتية المؤدية الى معرفة النتاج الفكرى والعقدى لدى تلك الفئات وما تمخض عنها من مبادئ دينية اتخذت فيما بعد أصولا وأسسا لتلك المجتمعات .

كما ان دراسة الاثار السلوكية الناجمة عن العقائد المبتدعة ضرورية لاستكمال جوانب البحث ، وهي تأخذ حيزا كبيرا من نشاط الرهبان ، وتعكس بالتالي أثر العقيدة في هذا الجانب .

ودراسة هذه الظاهرة وفق الكيفية التي توخيت نهجها في هذا الموضوع ستتيح الفرصة للوقوف على النتائج التي تمكن البحث من بلوغ هدفه .

وعلى العموم فان هذا البحث يعتبر من الوجهة العلمية ، قديم قدم الحضارات البدائية الاولى ، حديث حداثة الاديرة والكنائس التي لاتزال تشاد الى يومنا. والرهبان الذين لا يزالون يمارسون حياتهم وفق منهجهم الذى وضعوه بأيديهم .

فهو والحالة هذه جدير بان يلقى عناية ودراسة مستفيضة لتعلقه بأخطر ظاهرة عقدية وسلوكية وجدت في التاريخ ولا تزال الى يومنا هذا تنخر في جسم البشرية وتفت من عضد الشعوب وتماسكها .

ولقد واجهتني مصاعب ومشاكل جمة في اعـــداء الرســـالة .

. وقد تمثلت بمرحلتين هامتين .

الأولى : وهي ضرورة القيام برحلة ميدانية للوقوف على المعارف والمعالـــم المتعلقة بالرهبنة .

اما الثانية فقد تمثلت بندرة المراجع والمصادر المختصة بهذا الشأن .

ومن اجل الفرض الاول فقد قمت برحلة علمية الى ربوع الهند مهد الرهبنـــة في الديانات الوضعية ، حيث استطعت الحصول على بعض المصادر الضرورية بمساعدة الأخوة القائمين على الدعوة الاسلامية هناك كمركز الجماعة الاسلامية في دلهي والجامعة السلفيـــة في بنارس . وقد لقيت فيهما كل ترحيب ومساعدة فاقت تصوري . ومن خلال تلك الرحلـــة استطعت الوقوف على كثير من المعلومات الخاصة بالديانات الثلاث : الهندوسية والجينيـــة والبوذية . و حاورت عددا من اساتذة الجامعة الهندوسية في بناريس واوضحت لهـــم عور العقائد والعبادات التي يعكفون عليها . كما ألقيت محاضرة في نفس الجامعة أبرزت فيها فضـل الاسلام على بقية الأديان واثره فيها وقد حضرها عدد من أساتذة الجامعتيـــن السلفية والهندوسية وبعض من الرهبان البوذيين .

ومن خلال الجولات الميدانية العديدة لاحظت مدى انطباق الحياة الدينيـــة على ما جاء في مؤلفات الباحثين في مجال مقارنة الاديان . وأشد ما يدهش المرء هنـــاك بقاء العبادات القذرة كما هي لا تغييـــر فيها ولا تبديل فتماثيل (الليـنغا) التي تعبـــر عن عبادة الاعضاء التناسلية لكلا الجنسين لا زالت الى اليوم تعرض في الاسواق بصورة علنية دون خجل أو حياء . كما أن عملية إحراق الموتى على ضفاف نهر الغانج والقاء البقايا فيـــه صورة من تلك الصور التي رأيتها هناك . وأن ممارسة اليوغا على تلك الضفاف لا تزال الـــى اليوم يمارسها الرهبان الهندوس . كما أن الطقوس والشعائر التي يقوم بها الرهبان البوذيون لا زالت الى يومنا تقام وقد رأيت جانبا منها في "سارنات" إحدى ضواحي بناريس وخروج بعـــض الرهبان عرايا دون لباس يوارى السوءة مظهر من المظاهر الموجودة لدى الرهبان الجينييـــن الآخذين في الزوال . بسبب شدة الممارسات التعبدية .

أمـــــا الثانيـــة : فان المراجع والمصادر المختصة كما اسلفت قليلة ونـادرة فالحديث عن الرهبنة في العالم متناثر ومجتزأ بين طيات بعض الكتب . إلا أنه يندر وجـــود مؤلفات عربية مستقلة تتحدث عنها كظاهرة دينية لها عقائدها ومبادئها وأهدافها . اللهـــم الا بعض المؤلفات التي تحدثت عن الرهبانية المسيحية كحالة منفردة عن البقية . ويـــزداد الأمر صعوبة بوجود بعض المخطوطات العربية . التي تتحدث عن الرهبان منها ما يـرجـــع الى كتب تعود الى التراث الاسلامي[1] وهي قليلة ولا يعـــرف مكان وجودها ومنها ما يـرجـــع

---

١ - من هذه الـــمؤلفات:

- كتاب الرهبان - لابراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي (٢٦٠هـ ٨٧٤م) محدث حافظ زاهد ، بغدادى سكن سر من راى وحدث بها . من تصانيفه : الزهد ، المحبة الخوف والورع ، الرهبان ... ترجمته في : سير اعلام النبلاء ٨/ ٢٩١ مخطوط و: الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد ٦/ ١٢٠) معجم المؤلفين ١/ ٥١-٥٢ - عمر رضا كحالـــة

الى بعض الرهبان المسيحيين.(١)

ولهذا فقد عقدت العزم على التضي والسعي قدمًا من أجل الحصول على قدر كاف من المصادر التي تمكنني من اتمام البحث على الوجه اللائق . وبنتيجة التقصي تمكنت بفضل الله تعالى وكرمه من العثور على بعض المصادر الهامة والضرورية في هذا الشأن .

= ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن الحسين البرجلاني (٢٣٨ هـ - ٨٥٢م) كان متصوفا ومحدثا سمع منه ابراهيم بن عبد الله ابن الجنيد وابن ابي الدنيا وتوفي سنة ٢٣٨ له كتاب الكرم والجود وسخاء النفوس . . ترجم له : ابن النديم في الفهرست / ١٨٥ وتاريخ بغداد ٢ / ٢٢ - ٢٢٣ . وميزان الاعتدال ٣ / ٤٦) تاريخ التراث العربي مجلد ١ - الجزء ٤ - فؤاد سزكين ت : د . محمود فهمي حجازي ص ١١١ - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض وانظر كذلك كتاب : الحافظ الخطيب البغدادي واثره في علوم الحديث د . محمود الطحان ، ص ٢٨٢ ، تحت كشف باسماء الكتب التي ورد بها الخطيب البغدادي دمشق من روايته واسماء بعض مصنفيها . دار القرآن الكريم بيروت ط ١ - ١٤٠١

- ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن زيد الاسلمي : يرويه عن ابي القاسم الذكواني عن ابي محمد بن عثمان عن ابي علي الشعراني عنه) التحبير في المعجم الكبير للامام سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي . ت : منير ناجي سالم ٢ / ٨٢ مطبعة الارشاد بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥

ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن زيد أورده ابن حجر في : المعجم المفهرس (مخطوط) ص ٦٨ نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية . ميكروفيلم موجود في مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم ٧٥٤ .

- ومنها : كتاب أخبار الرهبان ومواعظهم لأبي القاسم تمام بن محمد الرازي (٣٣٠ - ٤١٤ هـ - ٩٤١ - ١٠٢٣ م) وهو من محدثي دمشق . ومن آثاره : فوايد في الحديث وأخبار الرهبان) ترجمته في : هدية العارفين للبغدادي ٥ / ٢٤٥ ، ط ١٩٥١ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٩٣ . وقد ذكر ابن حجر هذا الكتاب في : المعجم المفهرس (مخطوط) ص ٦٨ . وانظر كذلك : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ص ١٠٨ . مطبعة الترقي دمشق - ١٣٤٩ هـ . عني بنشره القدسي . . كما ذكره كوركيس عواد في مقدمته لكتاب الديارات للشابوشتي ص ٤٦ . منشورات مكتبة المثنى ومطبعة المعارف بغداد ١٣٨٦ هـ كما ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٧١ ط مكتبة الكليات الازهرية . القاهرة .

١ - من هذه الكتب : كتاب الامراض العارضة للرهبان لابي الحسن المختار بن الحسن ابن عبدون (ت ١٠٦٣ م) ذكره لويس شيخو في المخطوطات العربية لكتبة النصرانية المنشورة في مجلة المشرق ٢٠ / ٦٢ تصدر في لبنان . أعيد نشرها في المانيا ، ١٩٨٠ كما أورده كوركيس عواد تحت اسم كناش الاديرة والرهبان) مقدمة كتاب الديارات ص ٤٦ - ٤٧ . كما ذكره عبد السلام هارون في : نوادر المخطوطات . المجموعة الرابعة ص ٣٤٥ - ٣٤٦ ط ١ ١٩٧٣ م

- ومنها - بستان الرهبان لصفرنيوس بطريرك اورشليم المكنى بفم المسيح (ت : ٦٣٨م) وصحح لويس شيخو اسم الكتاب باسم بستان الرهبان أو فردوس الرهبان ، وقال : ان هذا الكتاب ليوحنا موسخوس) المشرق ٢١ / ٣٧٢ ، كما ذكره عواد في مقدمة الديارات ص ٤٨ وقد وجدت نسخة مطبوعة تحت اسم بستان الرهبان لاباء الكنيسة القبطية طبع بمصر ط ٢ بني سويف البهنسا

- ومنها - كتاب السيرة الرهبانية للخوري بطرس ايكونوموس التولوي (ت ١٧٤٥م) المشرق ٢٠ / ٤٨ ومقدمة الديارات ص ٤٨

ومنها - تعليم الرهبان لمؤلف مجهول توجد منه نسخة في خزانة الاب بولس سباط) مقدمة الديارات ص ٤٧

- ومنها الرهبان وديا راتهم لمؤلف مجهول) مقدمة الديارات ص ٤٧ ، ومنها كذلك رسالة في ترتيب الرهبان ليوحنا الراهب المتنسك الروماني ت (٤٣٣م)) المشرق ٢١ / ٧٥٢

اضافة الى ذلك هناك كتب مطبوعة بالعربية ، اذكر هنا أهم ما اعتمدت عليه منها خلال هذا البحث وهي :

كتاب " نسكيات " لاسحق السرياني وهو قديم طبع حديثاً في لبنان وكذلك كتاب بستان الرهبان لاباء الكنيسة القبطية طبع في مصر .

اما الكتب الحديثة فهي كثيرة وقد اعتمدت على بعضها . منها :

- كتاب العيشة الهنية في الحياة النسكية ، للاب افرام الديراني احد مدبرى الرهبانية الحلبية المارونية اللبنانية . سنة ١٨٩٩ م
- والحياة الرهبانية ، لرهبنة مار جاورجيوس دير الحرف ، طبع في لبنان ١٩٨٤
- وخلاصة التصوف المسيحي . لادولف تانكرة طبع في لبنان ١٩٥٧م .
- و التنظيم الرهباني في الكنيسة المارونية ، للاب يوسف محفوظ طبع في لبنان عام ١٩٧٠م .
- و العبادة المسيحية ، للارشمندريت الياس ، طبع في لبنان سنة ١٩٨١م

ومجموعها يتحدث عن القوانين الديرية وطرق العبادة وفلسفتها والطقوس والشعائر وغيرها .

اما بقية الكتب التي تتحدث عن الاديان الوضعية وعقائدها فليست هناك مؤلفات مستفيضة في هذا الشأن لذا فقد اعتمدت على الكتب التي تتحدث عن العقائد والديانات خاصة ما يتعلق بالهندية والبوذية والجينية ككتاب " شيرى ايشو بانيشاد . أ . س بكطي فيدانتا . مطبوع سنة ١٩٧٤ وكتاب منوسمرتي كتاب الهندوس المقدس طبع في بيروت . ولا يفوتني في هذه العجالة ذكر كتاب العالم والمؤرخ المسلم أبي الريحان البيروني " تحقيق ما للهند " فقد كان فريدا في بابه وقد اعتمدت عليه في الجوانب المتعلقة بالعقائد الهندية وطقوسها . . الخ .

واني اعترف ان هذا الموضوع المتشعب لا يمكن أن يوفى حقه بمؤلف واحد لكثرة أبحاثه ومباحثه المتنوعة والمتعلقة بالعقائد والطقوس والشعائر والقوانين الديرية والعادات والتقاليد والاخلاق والمعاملات وما الى ذلك وهذا ما يترتب عليه دراسة جميع الكتب التي تتناول هذه المواضيع لدى جميع النحل التي تعتنق أصول الرهبنة في العالم مما يصعب والحالة هذه حصره في كتاب واحد .

لهذا فقد اخترت الجانب العقدى من هذا الموضوع لالتصاقه بالنص التخصصي الذى توخيته وقد حاولت قدر المستطاع تلمس الجوانب المتعلقة به ودراسة آثاره وربطها بالقوانين المرعية . وذلك بعد استعراض عوامل النشأة معتمدا على المنهج الموضوعي التحليلي النقدى والتاريخي . . . وقد قسمت الموضوع الى : مقدمة ، وتمهيد وسبعة ابواب :

اما المقدمة : فقد تحدثت فيها عن اهمية الموضوع ، وهدفه ، واسباب اختياري له .

وقد اشتمل التمهيد على : تحليل للرهبنة لغة واصطلاحا ، واهمية الجانب العقدى في التعريف الاصطلاحي ، وتطرقت الى عوامل الخوف والرهبة في الحياة البشرية مارا بأهم النظريات الباحثة في نشأة الدين واثره . وبينت رأى الاسلام في هذه القضية .

كما اشتمل الباب الاول على : الرهبنة المصرية القديمة وقد قسمته الى ثلاثة فصول : تحدثت في الفصل الاول : عن العقائد المصرية البدائية وتطورها وكيف انتقلت من عبادة الظواهر الطبيعية الى عبادة الحيوانات وصولا الى تأليه البشر ، والاسباب الكامنة وراء ذلك . وتطرقت الى عقيدتي اليوم الاخر وتناسخ الارواح عندهم .

اما الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن بوادر نشأة الكهان والرهبان وبينت اهمية الكهنة في ذلك المجتمع وبواعث نشأتهم والصور الاولى للتمثل وبدايات الرهبنة والمظاهر التعبدية فيها .

اما الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن مبادئ الرهبان وعلومهم وطبقاتهم وتطرقت الى اوصافهم كما اوردها بعض العلماء وتحدثت كذلك عن حصر العلوم وفنون المعرفة بهذه الفئة واستغلالها في تنفيذ المآرب .

وانتقلت للحديث عن طبقات الكهنة ومهامهم والامتيازات والمخصصات التابعة لهم وقارنت بين الاهداف والنتائج الناجمة عن اعمال الرهبان ، وبينت ان هذه الرهبنة كانت مقدمة لمن جاء بعدها .

اما الباب الثاني : فقد تحدثت فيه عن الرهبنة الهندوسية وقسمته الى تمهيد وخمسة فصول .

اما الفصل الاول فقد تحدثت فيه عن العقائد الهندوسية المتصلة بالرهبنة فتكلمت عن تعدد الالهة والتثليث والكارما وتناسخ الارواح والاتحاد والحلول ووحدة الوجود وقمت بنقدها وتفنيد حججها .

اما الفصل الثاني : فتحدثت فيه عن الفرق الدينية والمصادر الهندوسية فتعرضت للفرق التي نشأت والكتب التي يقدسونها وقوانين مانو ذات الاهمية في هذا الشأن .

اما الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن نظام الطبقات الذى لا يزال قائما الى يومنا هذا وكيفية نشأته وتقسيماته والفوارق الطبقية فيه وقمت بتفنيده وبيان مثالبه وآثاره السيئة وبينت كذلك أثر استغلال الهندوس له في تبرير وجودهم وهيمنة البراهمة كطبقة طاغية على بقية الطبقات الاخرى .

اما الفصل الرابع : فقد تحدثت فيه عن نظام الرهبنة الهندوسي وما يتخلله من مبادئ وصور وتطرقت الى المراحل التي يمر فيها الفرد اثناء حياته وكيفية تنقله من مبتدئ الى رب أسرة ثم الى متدرج في الرهبنة وكيف يصل بعدها الى ساكن الغابة وهي أعلى مرتبة من سابقاتها .

ثم بينت في الفصل الخامس : النتائج التي آلت اليها الرهبنة الهندوسية .

اما الباب الثالث : فقد تحدثت فيه عن الرهبنة الجينية ، وقد مهدت له بذكر اسباب النشأة ومؤسس الحركة الذى استطاع ان يشق الطريق ضد الهندوسية ويتمرد عليها ويؤسس ديانة جديدة .

اما الفصل الاول : فقد تكلمت فيه عن أهم العقائد الجينية وما يتصل منها بالرهبنة فتحدثت عن انكار مهافيرا للالوهية وان حركته كانت ردة فعل تجاه الهندوسية الطاغية كما تحدثت عن مبدأ الكارما وتناسخ الارواح والفرق بينها وبين الهندوسية في هذا الشأن والنظرية النسبية وفرضية المادة الذرية ومبدأ الخلاص وقمت بتفنيد تلك العقائد وبينت عورها .

اما الفصل الثاني : فتعرضت فيه للعبادات الموصلة للخلاص وبينت فيه أهمية اليوغا في الرهبنة وقانون" أهمسا" والبعد عن النساء وتطور وتبدل الأنظمة في الرهبنة .

اما الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن الفرق الجينية وتطورات الرهبنة والانقسام الحاصل من جراء الهجرة التي طرأت على هذه النحلة .

اما الفصل الرابع : ففيه الحديث عن النتيجة التي آلت اليها الرهبنة الجينية وما وصلت اليه من حالة أدت الى تخلي الجينيين عن مبادئهم والتزام مبادئ قائمة على ابتزاز الناس وأكل أموالهم بالباطل .

اما الباب الرابع : فقد تحدثت فيه عن الرهبنة البوذية وقسمته الى تمهيد وثلاثة فصول : اما التمهيد فقد تحدثت فيه عن المصادر البوذية التي تحدثت عن حياة بوذا وتناولت مبادئه والاراء المختلفة التي دارت حول شخصيته .

اما الفصل الاول : فقد تحدثت فيه عن العقائد البوذية وبينت الاسباب الكامنة وراء انكار الالوهية كما تناولت موضوع الكارما وتناسخ الارواح والنيرفانا ومبدأ التغير الدائم وصلته بالفكر اليوناني القديم وكذلك تحدثت عن اليوغا وأهميتها عندهم وقمت بتفنيد ونقد تلك العقائد .

اما الفصل الثاني : فتحدثت فيه عن التطور في البوذية ونشأة الفرق ، والجانب العملي والفكرى وترتيب رجال الكهنوت وكيفية دخول النساء في السلك الرهباني والمجامع البوذية .

الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن النتائج ونقد أُسس الرهبنة البوذية وبينت المساوئ التي تنطوي عليها .

الباب الخامس : فيه الحديث عن الرهبنة اليونانية القديمة وقسمته الى تمهيد واربعة فصول .

الفصل الاول : تناولت الديانة والعقائد ودور الكهان وبدايات الزهد والرهبنة وبينت مدى انتشارها ،

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العبادات وصورها ومدارس الزهد فيها والممارسات التعبدية والطقوس والشعائر واثر الرهبنة في المدارس الزهدية والفلسفية

وفي الفصل الثالث : تحدثت عن أهم المدارس الزهدية كنحلة ارفيوس وفيثاغورس وابزيس وتراس وبينت صلة الرهبنة بها .

الفصل الرابع : بينت فيه اثر الرهبنة في الفلسفة اليونانية ، وكيفية انتقال الفلسفة الى المسيحيين واعجابهم بها واعتمادهم عليها .

اما البـاب السادس : فالحديث فيه عن الرهبنة اليهودية وقسمته الى تمهيد وتسعة فصول :

تحدثت في التمهيد عن بدايات الكشف عن فرقة القمرانيين أو " الاسينيين " ، وتعرضت للخلاف حول تسميتهم وكذلك الاماكن والاثار والمخطوطات المكتشفة الخاصة بهم ، والمحاولات التي قامت للتعرف على تاريخهم وهويتهم .

اما الفصل الاول : ففيه الحديث عن الحالتين السياسية والدينية في عهدى اليونان والرومان . واثرهما على وضع اليهود .

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العقائد اليهودية ونقدها وتعرضت فيه لموقف اليهود من الالوهية والانبياء والرسل وعقيدة اليوم الاخر .

الفصل الثالث : فيه الحديث عن اسفار اليهود المقدسة عندهم ونقدها وتعرضت لتقسيم التوراة وتاريخ التأليف والتدوين واللغة .

الفصل الرابع : تكلمت عن رجال الدين اليهود من كهنة وكتبة وبينت دورهم في المجتمع اليهودى وأثره

اما الفصل الخامس : ففيه الحديث عن الفرق اليهودية وقد احصيت فيه خمس فرق قديمة كانت موجودة اثناء نشأة القمرانيين .

الفصل السادس : تناولت فيه عقائد القمرانيين واختلاف العلماء حول هذا الموضوع وبينت فيه ان هذا الموضوع لا يزال بكرا ويحتاج الى مزيد من الوقت للوقوف عليه واعطاء الحكم النهائي فيه .

اما الفصل السابع : فتناولت فيه عاداتهم وبعض طقوسهم .

الفصل الثامن : ففيه الحديث عن الانظمة والعادات والمبادئ .

الفصل التاسع : نقدت فيه المبادى والانظمة وبينت الترابط بين رهبنة القمرانيين والجماعات اليونانية وانها تعتبر صلة وصل بين الاديان الوضعية واهل الكتاب .

أما الباب السابع : ففيه الحديث عن الرهبانية المسيحية خاتمة السلسلة - وفيه تمهيد وتسعة فصول .

الفصل الاول : فيه الحديث عن العقائد المسيحية ونقدها وتحدثت عن أسس هذه العقائد ومدلولات التثليث عند النصارى وملابسات حول الابوة والبنوة كما بينت خطأ هذه المفاهيم .

الفصل الثاني فيه الحديث عن العوامل الموءثرة في انحراف العقائد النصرانية فمنها العوامل الداخلية التي ادت الى اختلاف النصارى حول المسيح عليه السلام ورسالته وكذلك العوامل الخارجية واثر الفلسفات والاديان الوضعية في النصرانية كما تحدثت عن الجهة المستفيدة من هذا الانحراف وبينت دور الرهبان في ذلك .

الفصل الثالث : فيه الحديث عن الاسس العقدية المتصلة بالرهبانية كالصلب والفداء والحلول والاتحاد ، وكيف اتخذت هذه العقائد كستند لتبرير حياتهم وقوانينهم الخاصة . ونقدت هذه الاسس .

الفصل الرابع : فيه أثر الانحراف العقدى على نظرة الرهبانية الى النفس البشرية ، وموقفها من الزواج والمرأة واثر بولس في هذا الشأن . وقمت بنقد هذه النظرة وبينت موقف الاسلام من هذه القضايا .

الفصل الخامس : فيه أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية وبيان كيفية النشأة الاولى ومفهوم اتباع المسيح الاول للشهادة . وكيفية الانحراف عن هذا المفهوم فيما بعد .

الفصل السادس : فيه الحديث عن بعض الانظمة والقوانين الديرية وامثلة منها ، وتعرضت للتنظيمات الاولى واسباب سرعة انتشار الرهبنة وازدياد عدد الرهبان ، وبينت اثر القوانين الديرية في الصور المغالية للرهبانية وكذلك الحديث عن الاثار السيئة المترتبة على الغلو في الرهبانية كما ناقشت مبدأ النذور الثلاثة وهي القاسم المشترك بين انظمة الرهبنة في العالم وقمت بنقدها وبينت الاثار السيئة المترتبة عليها .

اما الفصل السابع : ففيه الحديث عن أثر استغلال الكنيسة للرهبانية ، وكيف نشأت فكرة الكنهسة وتطورها وامداد الكنيسة بالرهبان واهمية الاسقف عندهم وكيف تطور مفهومه الى مسمى البابا وبينت كذلك اهم الشخصيات البابوية التي اعتلت هذا الكرسي وبينت الطغيان الروحي والديني والمادى والاجتماعي واثر الصراع بين العقل والرهبانية ومدى الطغيان السياسي والاثار الاقتصادية المترتبة عليه .

الفصل الثامن : فيه الحديث عن موقف الكنيسة المعادى للاسلام وبينت اثاره السيئة ، فتحدثت عن الحروب الصليبية وكونها دعوة محمومة من قبل اكابر الرهبان وكذلك الحقد الى التبشير كأكبر اداة للنيل من عقائد المسلمين وما يترتب عليه من آثار .

الباب الثامن : تحدثت فيه عن اثر الرهبنة في البدع الضاله والفرق المغاليــة المنتسبة للاسلام ، وبينت فيه خطورة هذا التأثير والمشاكل الناجمة عنه .

الباب التاسع : تحدثت فيه عن موقف الاسلام من الرهبنة
وقد قسمته الى فصليـــن :

الفصل الاول : تحدثت فيه عن موقف الاسلام من الرهبنة في الاديان الوضعية . وأظهرت فيه المساوئ الحاصلة من جراء انتشار هذه الظاهرة في المجتمع الغربي حديثا . وواجب الدعاة والعلماء المسلمين تجاه هذه القضية .

الفصل الثاني : بينت فيه موقف الاسلام من الرهبانية النصرانية وحكمــه عليها ، وتعرضت للايات الواردة في هذا الشأن والاحاديث النبوية الدالة على معارضة الاسلام لهـــا . وكذلك اراء العلماء في هذا الشأن . كما بينت معنى البدعة ... وان الرهبانيـــة بدعة حقيقية في الدين لم تكن موجودة أصلا في شريعة عيسى عليه السلام .

كما ألمحت الى أهمية مفهوم الاسلام للحياة والمجتمع . وأوضحت المعنى الكبيــر الذى يحمله الجهاد الاسلامي وهو البديل عن المفهوم السلبي الذى تحمله الرهبانيـــة واوردت الاحاديث الشريفة الدالة على ذلك .

اما الخاتمة : فقد تعرضت فيها لأهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هـــذا الموضوع .

واللـــه أسأل ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم . ذبا عن دينه ووفـــاء بحقه . وأن ينفع به ويسـدد على طريق الحق خطانا ، والله مولانا نعم المولى ونعـــم النصير .

هذا ولا يفوتني ان أذكر بالشكر والعرفان تلك الجهود الحسيثة التي بذلهـــا فضيلة الدكتور محمود أحمد خفاجي تجاه هذا البحث . فقد جاءت تلك اللمسات العلمية واللفتات الهامة نتيجة اشرافه وتوجيهه الدؤوب . كما لم يبخل علي بالعلم والوقـــت وقد أفدت من ذلك كثيرا وبما أمد البحث من مسائل علمية سديدة كان لها الاثـــر البالغ في أكتمال عقد هذا الموضوع على النحو الذى توخيته .

فجزاه الله تعالى عني وعن طلبه العلم خير الجزاء ونفع به الامة وأجزل له المثوبـــة والعطاء في الدنيا والاخرة ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

كما اقدم شكـــرى وتقديـــرى للقائمين على جامعة ام القرى والى كل من اسهـــم في مساعدتي لانجاز هذا البحث .

وبعد ..فانـــي أتبـــرأ من حولي وقوتي الى حول الله تعالى وقوته . فمـــا أصبت فيه فمن الله تعالى وتوفيقـــه . وما أخطأت فيه فمني ومن الشيطان . وهـــذا البحث جهد بشرى فمن وجد فيه خللا فليصلحـــه وله مني جزل الشكر .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والله ولي التوفيق .

التمهيد :

أ - الرهبنة : لغة ، واصطلاحا

ب - عوامل الخوف والرهبة في حياة البشر

أ - الرهبنـــة في اللغـــة :

ترتبـط الرهبنة لغة بالمعاني التالية :
الخـــوف ، الاضطراب ، الانقطاع ، التبتل ، والزهـــد .
واصل المادة ، الراء والهاء والباء ، فيقال : (رهب) بكسر الهـــاء

من باب علم، وهو اما فعل لازم فيأتي المضارع منه (يرهب) رهبة ورهبا . قال الله[1]

تعالى : (لَأَنْتُمْ أَشَـــدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ . .)[2] .

ويأتي متعديا : (استرهبه) أى أخافه وأرهبه قال تعالى :

(وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)[3] واسم الفاعل من رهب : (الراهـــب)

اى الخائف ، كما يطلق على المترهب في الاماكن الخاصة ، المتخـذ طريقـــة

الرهبـــان ، وعند النصارى من تبتل لله واعتزل الناس الى بعض الاديرة طلبـــا

للعبادة، والمؤنث منه (راهبة) .[4]

ويجمع راهب على رهبان . قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ . .)[5]

وقال امرؤ القيس :

أتت حجـج بعدى عليها فاصبحت كخط زبور في مصاحف رهبـــان[6]

---

١ - تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدى ، ١/ ٢٨٠-٢٨١ دار مكتبة الحياة - بيروت ، ط ١٣٠٦ هـ

٢ - سورة الحشر : ١٣

٣ - سورة الاعراف : ١١٦

٤ - محيط المحيط - بطرس البستاني ص ٣٥٤ ، مكتبة لبنان بيروت ط١٩٧٧

٥ - سورة التوبة : ٣٤

٦ - ديوان امرئ القيس - محمـــد ابو الفضل ابراهيم ص٨٩ ، دار المعـــارف بمصر ط٣ القاهرة ١٩٦٩ .

وتجمع راهبة على راهبات . ويجوز ان يطلق الرهبان على المفرد ايضا قال الشاعر:

لو كلمت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يسعى فنزل(١)

وتأتي الصفة المشبهة منه على وزن فعلان(٢) : رهبان ، بفتح الراء ، اى : المبالغ في الخوف(٣) ، كعطشان والمؤنث منه رهبانة ، وجمعها : راهبات. ويجمع رهبان على رهابين ورهابنة .(٤)

والفرق بين الراهب والرهبان كالفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة .

والرهبنة(٥) : اسم من معنى الراهب : اى اتخاذ طريقة الرهبان وهي من (فعلنة ، أو فعللة) على تقدير أصالة النون وزيادتها(٦) ، وقد تطلق على الرهبان انفسهم مجازا .(٧)

والرهبنة عامة تشمل الاديان الوضعية (من هندوسية وبوذية وغيرها) وكذلك اهل الكتاب ممن ترهبوا يندرجون تحت هذا الباب .

والرهبانية(٨) : هي طريقة الرهبان من المسيحيين ، وهي منسوبة الى الرهبنة بزيادة الالف ، وأصلها من الرهبة ثم صارت اسما لما فضل عن المقدار وافرط فيه .(٩)

قال الله تعالى : (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)(١٠)

---

١ - : لسان العرب ، جمال الدين محمد بن منظور ١/٤٣٦-٤٣٨ ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ .

٢ - شرح الكافية الشافية : محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ٤/٢٢٢٦ ت : د . عبد المنعم هريدى ، دار المأمون للتراث .

٣ - محيط المحيط : بطرس البستاني ص ٣٥٤ ، وانظر : نقعة الصديان فيما جاء على الفعلان لابي الفضل الصاغاني ص ٢٢ .

٤ - المفردات في غريب القرآن : ابو القاسم " الراغب الاصفهاني " ص ٢٠٤

٥ - دائرة معارف البستاني - بطرس البستاني ٨/٦٨٧

٦ - لسان العرب ١/٤٣٦-٤٣٨

٧ - محيط المحيط ص ٣٥٤

٨ - النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير الجزرى ٢/٢٨٠-٢٨١

٩ - لسان العرب : ١/٤٣٦-٤٣٨ وانظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد علي دار العلم للملايين ٦/٦٤٣ ط٢ ، ١٩٨٠ .

١٠ - الحديد : ٢٧

وفي مسند الامام أحمد بروايته عن عروة (يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا) (١)

ويلاحظ ان النص القرآني يذم اولئك الذين ألزموا انفسهم بما لا تقوى على الوفاء به ، فوقعوا فعلا في هذا المحظور وهو عدم رعاية ما التزموا به حق الرعاية فكأنهم كالمستهزئين ، .

وبما ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فقد جاء اللفظ القرآني بكلمة (رهبانية) ليدل على التكلف والتعنت والمشاق في العبادة التي سار عليها الرهبان المسيحيون .

وعليه تكون الرهبنة عامة والرهبانية خاصة .

فكل رهبانية رهبنة وليس كل رهبنة رهبانية فبينهما عموم وخصوص مطلق اذ تجتمع الرهبنة في رهبنة الاديان الوضعية ورهبنة اهل الكتاب وتنفرد الرهبانية باهل الكتاب فقط ، والله تعالى اعلم .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان بعض العلماء يستعمل كلا اللفظين بمعنى واحد ، وذلك للتداخل الحاصل بين الرهبنة في الاديان الوضعية وبين الرهبانية عند النصارى ، وهذا من باب التجوز .

وفي منهج هذا البحث فضلت اطلاق الرهبنة على ما يختص منها بالاديان الوضعية وقصرت لفظ الرهبانية على ما اختصت به النصرانية ، وهو اللفظ الوارد في القرآن الكريم . كما اخترت لفظ (الرهبنة) في العنوان ليشمل كل من التزم بهذا المسلك .

---

١ - مسند الامام احمد باب النكاح ٢٢٦/٦ ، المكتب الاسلامي .

وقد تعقب الهيثمي اسانيد الامام احمد في قصة عثمان بن مظعون رضي الله عنه فقال : (واسانيد احمد رجالها ثقات الا ان طريق ان اخشاكم) اسندها احمد ووصلها البزار برجال ثقات) انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ ابي بكر الهيثمي بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ٣٠١/٤ ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط ٣ ، ١٤٠٢-١٩٨٢

- الرهبنـــة ، والرهبانيـــة " في الاصطلاح " :

* * : = := := := * * * * * := * * * * * * := * * * * :

لا يوجد تعريف اصطلاحي واحد لكلا اللفظين بشكل عام ، بل هنـــاك تعريفات عدة تتنوع حسب المصادر المختلفة التي تناولت هذه الظاهرة بالبحـــث والدراسة .

وغالب هذه التعريفات مأخوذ عن المعنى اللغوى ، يضاف اليه بعـــض القيود المستنبطة من المعنى العملي للفظ .

فالرهبنة عند المسيحـــيين كما استعملها وشرحها بطرس البستاني . هي: الاعتزال عن الدنيا وأمورها المادية لاشغال النفس بالعبادة وبالاشياء الدينية(١).

وهي في عرف علماء الغرب يجب ان تقتصر على (الذين قطعوا انفسهم عن العالم كلية من أجل نمط ديني من الحياة ، من عزلة أو معتزل خاص بذلك(٢) .

وهي في عرف بعض العلماء : حياة جماعية أساسها النذور الثلاثة : نذر الطاعة لرئيس الدير ، ونذر الفقر ، ونذر البتولة ، . ولا تقتصر على الرجـال بل تشمل النساء ايضا ، عرفت في البوذية واللامائية قبل المسيحية وكان الرومـان يرغمون العذارى على عدم الزواج لكي يكرسن حياتهن لخدمة النار المقدسة)(٣).

وهناك تعريفات اخرى ، الا ان التعريف الأخير هو أقرب التعريفات الى الواقع ، لانه حدد المسائل المشتركة بين الرهبنة والرهبانية ، وهي النذور الثلاثة في حين قصرت التعريفات السابقة عن وضع هذا الحد .

ومع ذلك فان هذا التعريف قد أغفل ذكر الأمم التي عرفت الرهبنة قبـل البوذية ، وهي : الفراعنة في مصر ، والدرافيد بين سكان الهند الاصليين والهند كانت مسرحا للرهبنة الهندوسية .

كما ان هذا التعريف ينقصه حد آخر يفرضه واقع هذه الظاهرة وهـــو الجانب العقدى لهذه البدعة ، وهو الاساس الذى بنيت هذا البحث عليه ، وسوف أوضح أهمية هذا الجانب قبل استخلاص التعريف المناسب .

---

١ - دائرة معارف البستاني ٨/٦٨٨

٢ - دائرة معارف الدين والاخلاق : مادة موناستيزم

_ENCYCLOPAEDIA OF RELIGION AND ETHICS. EDIT. BY JAMES HASTINGS. P. 781 V:8, 1974, NEWYORK, (MONASTICISM).

٣ - الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٨٢ ، محمد شفيق غربال ط ١٩٦٥

وانظر في هذا المعنى ايضا دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى مادة (الرهبانية) .

اهمية الجانب العقدي في التعريف الاصطلاحي :

لعل ما يلفت النظر في حياة الراهب ، ذلك الجو القاتم الذي يلف كيان السالك في هذا الطريق ، وذلك نتيجة لما تضفيه عقيدته عليه ، تلك العقيدة التي أوحى بها صناع الكهانة والرهبنة عبر التاريخ ، فالعقيدة هي الأساس الذي يبني الراهب عليه تحركه وسلوكه ، ولولا هذا الجانب بالذات لما وجدت صور الغلو التي مارسها الرهبان في ظل حياتهم الخاصة .

وقد شهدت العصور الأولى جاهلية بشرية ، أفضت إلى إعتبار الظواهر والقوى الطبيعية التي بثها الله تبارك وتعالى في الكون هي المتصرفة في شؤونه وتدبير أمره ، ولهذا فقد تقدم الانسان نحو هذه القوى بالقرابين والأضاحي والنذور تقربا اليها وحذرا من بأسها وخطرها عليه .(١)

ولهذا كانت رسالة الرسل عليهم السلام رسالة تبشير وانذار ، قال تعالى : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .(٢)

فكان الانذار لتصحيح ذلك الانحراف الذي هدد جميع الأمم السالفة والسابقة للاسلام ، (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)(٣)

والانحراف ناجم عن ذلك الاختلاف بسبب الحسد والحرص على الدنيا والذي أفضى الى البغي والعدوان .(٤) وعقب كل رسالة كان هذا الانحراف ظاهرة بارزة في تلك الشعوب وكان من وراء ذلك عامل مهم في تسيير هذه الدفة فقد ظهرت طبقات رجال الدين المتمثلة أولا بالكهان ، والمنتهية أخيرا بالرهبان وما سمي بالاكليروس فيما بعد ، وكانت هذه الفئات تضع ما شاءت من عقائد شركية وتشريعات وضعية تمخض عنها مبادئ وأنظمة مغلفة بشعائر وشعارات وطقوس ، منها ما اختص بالأديان الوضعية ، كالفرعونية والهندوسية والبوذية وغيرها ، ومنها من اختص بأهل الكتاب كاليهودية والمسيحية ، اللتين حرفتا عن أصلهما الصحيح .

ومن خلال تلك التعاليم بدأت الصور البدائية للترهب تظهر على بعض الافراد المتعبدين هربا من هذه الحياة حذراً من الوقوع في المكروه أو من ارتكاب محظور ، وقد أحالت حياة الكآبة هذه نفسية هؤلاء الى كابوس مرعب وتركتهم في حيرة واضطراب ، وهكذا اصطنع الانسان لنفسه شبحاً مخيفاً أشاع في نفسه يقظة وحذرًا من أي تصرف مشين لا يليق بحق معبوده ، أياً كان ذلك المعبود .

---

١ - راجع " تاريخ الاديان وفلسفتها ، طه الهاشمي ص ١٠-١٢ ، ط ١٩٦٣ ،

٢ - البقرة : ٢١٣

٣ - فاطر : ٢٤

٤ - راجع : فتح القدير للشوكاني ١ /٢١٢ ، ط١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م مصر

وغدا الفرد منهم ينظر الى المحسوسات نظرة ازدراء واحتقار ، فأصبح ينفر من أدنى شيء يمت الى هذه الحياة بصلة .

وعليه فإن هذا الموقف المصطنع والموغل في السلبية أدى بدوره الى انعكاس خطير في السلوك العام نتيجة الضغوط المستمرة من قبل القائمين على هذه الطقوس . مما استتبع التقلل من أعباء الحياة عن طريق الامتناع عن المتع بشتى أنواعها .

فالطعام والشراب والملذات ـ في عرف الراهب ـ تثقل الجسم وتدعوه الى الركود والكسل ، وتغريه بالانغماس في الشهوات (١) . مما يستتبع تقوية الغريزة الجنسية والتعلق بالنساء كما يفضي الى السعي وراء المادة واكتناز الاموال والتنافس في الحياة ، وهو ما يؤدي الى فساد البشرية ، وهلاكها . ولدرء هذه المخاطر ، لابد من الابتعاد عن جميع هذه المظاهر ، والانعزال في أماكن نائية (٢) بعيدا عن صخب الحياة وضجيجها والاكتفاء بالنذر القليل من المأكل والمشرب (٣) . مع التحرر من ثقيل الثياب وثمينها الى خفيفها وبسيطها والاصرار على الرثاثة لاظهار التقشف والانكسار أمام المعبود والانقطاع اليه وترك الدنيا ومن عليها .

ومن خلال هذا كله يلاحظ سريان الطابع الديني بكل مظاهره العقدية والفكرية ، ولو لم تكن كذلك لما ترتب على الجانب السلوكي أي مظهر من مظاهر الغلو والانحراف .

ومما لا شك فيه أن صرامة المنهج العقدي الذي يغلف الرهبنة له من القسوة ما يحيل السلوك الى التطرف والغلو .

فمن استقراء أنماط وصورة الرهبنة المختلفة يتاح لنا التعرف على هذه الحقيقة وقد لا يبدو غريبا حرمان النفس من بعض المتع ، والتقلل منها ولكن الغرابة تكمن في الغلو الذي يمارسه الرهبان لاداء طقوسهم ، وقد تصل درجة الغلو الى الحد الذي يخرج عن المألوف ، فالنوم في المستنقعات لتعذيب النفس وقهر الجسد ، والتعبد على رجل واحدة وحمل قنطار من الحديد وأكل العشب والكلاء وعدم غسل الرجلين طيلة العمر وربط الجسد بسلسلة في غار كل ذلك من شأنه إعطاء صورة واقعية للحياة الصارمة التي يعيشها الرهبان في ظل مذاهبهم وعقائدهم المخترعة .

ومن ذلك يمكن الخروج بالتعريف الاصطلاحي للرهبنة :

فهي نزعة عقدية ودينية تحدد فكر وسلوك الراهب ، وتفرض عليه الاشتغال بخدمة معبوده وتبنى على النذور الثلاثة : الفقر ، البتولة ، وطاعة رئيس الدير ، تشمل الرجال والنساء وقد عرفت منذ القدم في مصر الفرعونية ، والهند عند الهندوس والبوذيين وانتقلت الى اليهودية والمسيحية عبر اليونانية وقد رفضها الاسلام .

---

١ ـ راجع : بستان الرهبان لآباء الكنيسة ص١٩١ ، ط٢

٢ ـ راجع كتاب : " نسكيات " لاسحاق السرياني ص ٣٣ و ٤١ ط ١٩٨٣ لبنان

٣ ـ المرجع السابق ص ١٢٠

ب - عوامل الخوف والرهبة في الحياة البشرية :

مهما يكن من أمر فان صعوبة البحث في تحديد العصور الاولى لنشأة الرهبنة تجعل الباحث مرغما على التطرق لموضوع الدين وأثره في حياة البشر . لان عامل الخوف نابع إما من الاخافة الناجمة عن أثر الدين في النفس البشرية ، أو الاخافة الناجمة عن القوى الطبيعية في الكون .

ومما لا شك فيه أن هناك فرقا شاسعا بين الاخافتين (. . . فالاخافة الناجمة من القوى الطبيعية تصدر دون تمييز ودون سابق انذار ، وهي بذاتها مجلبة للرعب الغشوم ، اما الاخافة المعبر عنها في الاديان السماوية ، فهي بمثابة تحذير وتنبيه من أجل المصلحة الغائية للانسان ،

وبالاضافة الى ذلك فان الاخافة الصادرة من الاديان السماوية هادفة تبتغي تصحيح السلوك أو تجنب الوقوع في الاخطاء وليست كذلك الاخافة الصادرة من القوى الطبيعية) .(١)

وقد غابت هذه الحقيقة عن كثير من الباحثين خاصة الغربيين الذين تخبطوا في تفسير نشأة الخوف والرهبة في نفوس البشر . في حين أن الاسلام قد اعطى الانسان الاجابة الحقيقية عن كثير من التساؤلات التي طرحها البشر في هذا الصدد .

وفي مجال علم مقارنة الاديان ظهرت كثير من الابحاث المستفيضة لاجلاء بعض الجوانب الغامضة التي اكتنفت الحياة التعبدية البدائية لدى البشر . الا ان بعضها قد انحرف عن المسار الصحيح لعدم قياسها على الاسس العلمية الدقيقة ، وذلك نتيجة للاهداف المسبقة التي توختها هذه الدراسات والمفضية الى التشكيك بالدين الصحيح ، وضرب مفهوم الالوهية في تفكير الناس ، واثبات المبادئ الالحادية .

وباستقراء النظريات التي توصل اليها الباحثون في مضمار نشأة الدين وأثره في حياة البشر ، نجد أنها تنقسم الى قسمين :

---

١ - الاسلام بين الاديان ، د . محمد كمال جعفر ، ص ٣١-٣٢ ، مكتبة دار العلوم مصر . وكذلك راجع له : الانسان بين الاديان ، ص ٦٨-٦٩

اولا : النظريـــات المؤلهـــة (١)   ثانيا : النظريات التطورية (٢)

وقد قام النزاع بين أصحاب النظريتين ، وقدم كل منهما دعواه مؤيدة بالبراهين والحجج التي يملكها .

وليس من مهام البحث هنا الخوض في أدلة الفرقاء المتنازعين ، الا ان الواجب في هذا التمهيد ايجاز الفكرة الاسلامية حول هذه القضية ،لانها تشكل مفتاح الحـــل لكل المشاكل التي اعترضت وتعترض تفسير " نشأة الدين " واثره في الحياة .

كما أن في تسليط الضوء على هذا الجانب ، سبيلا للولوج الى لب الموضـــوع والدخول اليه .

---

١ - النظريـات المؤلهـــة :
وهي تذهب الى (أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر ، ... وأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث ، فتكون الوثنيات ان هـــي الا اعراض طارئة أو امراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة .
وهذه نظرية " فطرية التوحيد وأصالته " التي انتصر لها جمهور من علمــــاء الاجناس ، وعلماء الانسان ، وعلماء النفس ، ومن أشهر مشاهيرهم " لانـج " . .الـــذى أثبت وجود عقيدة " الاله الاعلى " عند القبائل الهمجية في أوستراليا ، وافريقيـــــا وأمريكا . ومنهم " شريدر " . . الذى أثبتها عند الأجناس الآرية ، وبروكلمان .... الذى وجدها عند الساميين قبل الاسلام ، ولـــروا . . وكاترفاج . . عند أقزام أواسط افريقيا الشرقية . وشميـــدت عند الاقزام . وعند سكان أوستراليا الجنوبية الشرقية . وقد انتهى بحث شميدت الى أن فكرة " الاله الاعظم " توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الاجناس الانسانية) .. : " الدين " د . محمد عبد الله دراز ص ١١٢-١١٣ ، طبعة السعادة ، مصر ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م. وكذلك " تاريخ الاديان وفلسفتها " . طه الهاشمي ، ص ٣٩ ، وما بعدها ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣م . وكذلك " نشأة الدين ، للنشار ص ٣١-٣٢ ط ١٣٦٨-١٩٤٩م و : الاسلام بين الاديان د . محمد كمال جعفر ص ٤١-٥٨ وله ايضا الانسان بين الاديان ص ٧٩ ، ط١ ، قطر
٢ - النظريات التطورية : (وهي تذهب الى ان الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن الانسان اخذ يترقى في دينه على مدى الاجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته حتى زعم بعضهم ان عقيدة " الالـــه الاحد " عقيدة جد حديثة وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي .
وهـــذه النظرية نادى بها أنصار مذهب " التطور التقدمي أو التصاعدى " الذى ساد أوروبا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم وحاول تطبيقه على تاريخ الاديان عدد من العلماء منهم : سبنسر . . وتيلور . . وفريزر . . ودوركايم . . . وغيرهم) : " الدين " ص ١١٢ وكذلك : تاريخ الاديان وفلسفتها ص ٥٦ وما بعدهـــا ونشأة الدين ص ٣١-٣٢ وكذلك : علم الاجتماع الديني . د . زيدان عبد الباقـــي ص ١٤٧ وما بعدها ، مكتبة غريب ، القاهرة . وكذلك : الانسان بين الاديان ص ٨٦

فوجهة النظر الاسلامية تؤكد على ان الدين الحق المنزل من عند الله هو الصدر الاول لخوف ورهبة البشر ، بل وسعادتهم وخلاصهم في الدارين .

ذلك لان الله تبارك وتعالى قد خلق الخلق جميعا - وهو اعلم باحوالهم لغاية عظمى ، ورسالة مثلى ، وانه جعل للانسان السمع والبصر والفؤاد ، واستخلفه في الارض ليكون مسؤولا امامه يوم القيامة عن كل ما قدمت يداه .

(يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) (١)

وعلى خلاف المذاهب والاراء الفكرية الداعية الى التشكك والالحاد فان النصوص القرآنية تدل على جملة حقائق منها :

اولا : ان الله تبارك وتعالى قد علم الانسان ولم يتركه جاهلا :

(الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ) (٢)

فالبيان هو مفتاح العلم ، لانه يعني اللغة بالفاظها ومعانيها .

ثانيا : ان الناس جميعا - منذ خلقهم الله وهم في عالم الذر - مفطورون على التسليم بربوبيته سبحانه :

(وإذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِين) . (٣)

ثالثا : ان لدى الانسان الاول من المبادئ الضرورية للعلم والمعرفة ما يمكنه من السير في هذه الحياة وفق تقدير الله تبارك وتعالى :

(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . .) (٤)

رابعا : ان قدرا كبيرا من المعرفة والتمييز بين الخير والشر قد اكتنف تلك الحياة الاولى بما يستتبع معه عناصر الخوف والرهبة :

(واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِين) (٥).

---

١ - النبأ : ٤٠ ٢ - الرحمن : ١ - ٤ ٣ - الاعراف : ١٧٢

٤ - البقرة : ٣١ - ٣٢ ٥ - المائدة : ٢٧ - ٢٨

هذه الحقائق القرآنية الناصعة توضح لنا خصائص النشأة البشرية الاولى ، وان الالهام والوحي هما من عند الله تعالى ، وان العلم والمعرفة كانتا منذ البداية مواكبتين لتلك الحياة التي عاشها الانسان على وجه البسيطة .

كما توضح هذه الحقائق ايضا ان الفطرة الاولى التي فطر الله الناس عليها انما هي فطرة الايمان به والخوف منه والتسليم له .

هذا التسليم المقرون بالاعتراف الذى أقره الانسان وهو في عالم الذر يبقى مع الانسان الى آخر حياته مهما كان اعتقاده ومهما اختلفت مشاربه ، حتى اولئك الذين التزموا مبدأ الالحاد تراهم في ساعات المحنة والشدة مضطرين الى اللجوء لما جحدوا به من قبل مستغيثين ومستنجدين به ، وهذه طبيعة البشر .

يقول الحق تعالى (وإذا مَسَّ الإنسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِدًا أَوْ قائِمًا فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ)[1] وقال تعالى (وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيّاهُ فَلَمّا نَجّاكُمْ إِلى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكانَ الإِنْسانُ كَفُورًا)[2] وهذا دليل على عجز[3] الانسان وقدرة الخالق تعالى .

- فالخوف اذاً يولد مع البشر ، وليس على وجه الارض كائن بشرى لا يخاف وليس عليها من ينكر ذلك . وتلك مشيئة الله في الخلق .

وقد رأينا ان الرسل الكرام جاؤا بدين الله مبشرين ومنذرين كي لا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة مع ما يحمل هذا الانذار من تخويف مصحوب بالتهديد والوعيد .

وهكذا نرى ايضا ان الهدف من ارسال الرسل تجديد الايمان كلما فترت همة الناس واعترتهم أمواج الجهل وتفشت فيهم روح الوثنية والالحاد .

وفي هذه الفترات المظلمة من التاريخ البشرى ، البعيدة عن منهج الله تبارك وتعالى ينبغي أن نقف قليلا علنا نجد ضالتنا المتمثلة بسبر غور بعض العقائد المنحرفة والمبادىء الضالة عن الجادة ، لنرى الاسس العقدية لظاهرة الرهبنة .

وفي ظل الجاهلية الاولى شهد العالم نشوء الاساطير والخرافات ، وقامت فئة من البشر لتقيم حاجزا في وجه الايمان ، وادعت أنها هي الواسطة بين الخلق والخالق ، فمنها نشأت الانحرافات العقدية ، وتكونت في ظلها ما يسمى بالكهانة والرهبنة وما دعي باسم رجال الدين أو الاكليروس . وحيكت حولهم هالات براقة طمسا لحقيقتهم الخادعة . . ومن أجل ذلك كان لابد من كشف هذه الاقنعة راجين المولى عز وجل التوفيق .

---

١ - يونس : ١٢ ٢ - الاسراء : ٦٧

٣ - انظر : " وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه " ، د . محمد الزحيلي ص ٣٨-٣٩ دار القلم ، ط ١ ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م . حول عجز الانسان والغريزة الدينية فيه



البـــــاب الاول :

= := ÷ ÷ := := ÷ := ÷ :

الرهبنـــــــــة المصريـــــــــة القديمـــة

الفصل الاول :

" العقـــائد وتطورهـــا "

لا بد قبل الخوض في المسار الذى خطته الرهبنة المصرية القديمة، من الاقرار بأن الرهبنة عموما قد مرت باطوار متعددة وصلت بعدها الى المفهوم والمصطلح المتعارف عليه حاليا ، ولم تأخذ بادئ الامر شكلا معقدا كالذى نراه اليوم ، بل مرت بمرحلة الكهانة[١] وضروب التنجيم والسحر والشعوذة والعرافة وذلك في كثير من الامم الاولى التي انحرفت مبادؤها العقدية عن الحق . .

وقد اخذت الكهانة حيزا كبيرا من التاريخ البشرى القديم للمهام التي كانت مناطة بالكاهن . ونستطيع القول : ان الكهانة كانت بداية طبيعية للرهبنة البدائية . ذلك لان المعارف والعلوم بشتى انواعها كانت تنسب الى الكهنة سدنة المعابد والقائمين على الشؤون الدينية في الامم التي ارتضت لنفسها انتحال العبادات الوثنية . وقد وجد من بين هؤلاء الكهنة من ينعزل وينفرد بعيدا عن الاجواء الدنيوية ويترهب ، وعليه فان الصلة كانت متداخلة بين الكهانة والرهبنة .

ونظرًا لهذا الترابط فانه يحسن التعرف على الكهانة المصرية من خلال الوقوف على معتقداتها الفكرية التي نسجت في العقول قرونا من الزمن .

اولا : عبادة الظواهر الطبيعية :

فقد إتجه المصريون القدماء الى تقديس وعبادة جميع الظواهر الطبيعية[٢] وتدرجوا في هذه العبادات ابتداء من عبادة الجماد مرورا بعبادة النبات والحيوانات وصولا الى عبادة وتأليه البشر[٣] . .

- فعبادة الجمادات شملت : الكواكب والنجوم والاجرام السماوية كالشمس وكان يطلق عليها عدة اسماء منها : رع ، وآمون ، وآتون ، وغيرها على انها إله أو رمز له تعبد وتقدم اليها القرابين والنذور .

وكانت نظرتهم الى الشمس نظرة تقدير على اعتبار انها المصدر الرئيسي

---

١ - الكهانة : بالفتح وتكهن تكهنا : قضى له بالغيب فهو كاهن . ج : كهنة وكهان ، وحرفته الكهانة بالكسر (القاموس المحيط ٤/٢٦٦ .
والكاهن هو الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار (لسان العرب لابن منظور ١٣/٣٦٢ - مادة كهن .
ولم تخل امة من الامم في القديم من الكهان . . . وقد ابطل الاسلام هذه البدع وانكرها وحاربها ،(الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٤٩١) .

٢ - راجع ديانة قدماء المصريين ، استيندرف ، ت: سليم حسن ص ٢٩

٣ - راجع : الانسان في ظل الاديان ، د . عمارة نجيب ص ١٤١ مكتبة المعارف الرياض. ١٤٠٠

للحياة والنماء ، اضافة الى قيامها بوظائف اخرى كطرد العواصف وابعاد السيول والامطار وتحطيم السحب التي تلحق الضرر بهم .(١)

- وفي تطور آخر نجد أن قصص الخلق قد استلهمت من النيل (أوزيريس) وأن هذه القصص كانت تشير دائما الى أصل العقيدة عندهم .

لقد كان النيل يمثل في نظرهم الإله الذى يهب الخصب والنماء ويعمل على إزدهار الارض الزراعية فيزيد في محاصيلها وغلالها وقد قيل لاوزريس :

" انت النيل ، الاله والبشر يحيون من جريانك " .(٢)

ومن هنا يتضح (أن الشمس والنيل كانا ظاهرتين أثرتا اعمق تأثير في سكان وادى النيل وان الالهين اللذين يمكن تبينهما في هاتين الظاهرتين سيطرا على التطور الديني والعقلي منذ اقدم العصور)(٣)

ثانيا : " عبادة الحيوانات "

اما عبادة الحيوانات : (فقد قدس المصريون آنذاك الحيوانات المختلفة واقاموا لها التماثيل واتخذوا منها الرايات والشعارات وادخلوا تماثيلها في معابدهم فالعجل آبيس ، والبقرة حتحور ، هما من أقدس المعبودات لديهم . كما ان هناك حيوانات اخرى كثيرة عبدت الى جانبهما .

وقد تركوا بعض هذه الدواب تجوس خلال الهياكل ولها من الحرية ما للبقرة المقدسة في الهند حتى هذه الايام).(٤)

لقد كانت تمثل هذه الحيوانات بالنسبة لهم رمزاً للقدرة الجنسية الخالقة ولم يكن العجل آبيس رمزا لاوزير بل كان تجسيدا للاله . وكثيرا ما كان أوزير يرسم واعضاؤه التناسلية كبيرة بارزة دلالة على قوته العظمى .(٥)

ويشير البعض الى انهم كانوا يعبدون هذه الحيوانات لانها ترمز الى القوة التي هيأت لهم النصر على الاعداء فقد كانوا يرفعون الرايات وفي أعلاها تماثيل صغيرة ترمز الى القوى والبطش .(٦)

١- انظر : تطور الفكر والدين في مصر القديمة . جمس هنرى برستيد ص ٤٠

٢ - تاريخ الحضارات العام ، : اندريه ايمار - جانين اوبوايه ١ / ٩٢ ط١ ، ١٩٦٤

٣ - تطور الفكر والدين ، هنرى برستيد ص ٤١-٥١

٤ - قصة الحضارة ، ويل ديورانت ٢ / ١ : ١٥٧ - ١٥٩ ، ت: محمد بدران ط٣ ، ١٩٦١
وقد عارض برستيد هذا الرأى وأن هذه الدواب ليست من عباداتهم الاصلية .
راجع : انتصار الحضارة ص ٩٢-٩٣

٥ - قصة الحضارة ٢ / ١ : ٥٥ - ١٥٦

٦ - الديانات القديمة لابي زهرة ص ١٤ ، دار الفكر العربي .

اما عبادة النبـــات ، فقد اتخذ المصريون انواعا كثيرة منها وكانوا يظنون ان كل ما كان متجها نحو الشمس "امون" فهو مقدس ويستمد قدسيته من المعبود الاعلى نفسه ، الى جانب ما كانوا يرون في النبات من اثار تتمثل في الابقاء على الحياة وسببا في غذاء البشر ونموهم . ومن ثم تطور هذا المفهوم ليشمل عبادة النباتات ذات الاشكال الهندسية والالوان الزاهية النضرة ، كزهرة "اللوتس". ولقد نبع هذا التفكير نتيجة اشتغال المصريين بالهندسة المعمارية .

ثالثا : - تأليه البشر :

ومن ضمن هذه التطورات كانت هناك مرحلة تأليه البشر ، واتخاذهم اربابا من دون الله تعالى ، وهذه الفترة هي اكثر اهمية واطولها عبر تلك العصور .

وقد حار بعض العلماء في الاسباب الدافعة الى تاليه المصريين للبشـــر. (١)

الا ان البعض ارجع فكره التاليه الى النتائج التي آلت اليها عملية تنظيم الرى والاشراف على توزيع المياه للزراعة بعد ازدياد عدد سكان وادى النيل والتي قام بها بعض المشرفين والمهندسين .

وقد اكتسب هؤلاء اهمية خاصة نظرا للدور الذى قاموا به. ومع مرور الزمـــن وجد المصريون ان السيطرة على المياه اصبحت تحت ايدى هؤلاء المشرفين ، ومع ازدياد امتيازاتهم واهميتهم بالنسبة للزراعة فقد نظر اليهم نظرة محترمة مالبثــت ان تحولت الى نوع من التقديس المصحوب بآيات الشكر والتبجيل ، ليتحول فيما بعد الى اطلاق صفات الالوهية عليهم . (٢)

ويمكن اضافة امر آخر الى هذا كله ، : فالحروب التي خاضتها الاســـر الفرعونية الاولى والانتصارات التي حققتها القت بظلالها علــى الناس وجعلت مـــن هؤلاء الحكام ابطالا في نظر هذا الشعب الذى خلع عليهم من الالقاب والاسمــــاء ما يفيد التأليه .

فقد كانت القوة والبطش رمزين لهؤلاء الفراعنة ، كما كـــان الطغيان مسيطرا على عقولهم . قال تعالى مخاطبا موســى عليه السلام :

(اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَـــى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَـــالَ

---

١ - معالم تـــاريخ الانسانية : هـ.ج . ولز . ت: عبد العزيز توفيق جاويد ١/٢١٥ ط٣ ، ١٩٦٧ لجنة التأليف والترجمة

٢ - تاريخ العالم أ. هامرتن ١/٣٦٩ ط٢

أنا ربكم الأعلى) .(١)

وتجدر الاشارة هنا الى ان المصريين القدماء قد مرت بهم عقيدة التوحيد الخالص ردحا من الزمن وان كانت عقيدة تعدد الالهة هي التي استمرت وطغت .

وقد ذكر القرآن الكريم ما يفيد ذلك وقد مرت الاية السابقة لتدل على هذا الامر . كما ان يوسف عليه السلام قد تولى مهام خزانة الدولة في مصر وكان امينا عليها . (٢) كما ان موسى عليه السلام تربى في مصر وخاض صراعا عنيفا مع فرعون.(٣)

وهناك نصوص تثبت تحكم تأليه الفراعنة في نفوس المصريين من ذلك ما ورد في احدى النصوص الاثرية :

(لقد تمدح رجال البلاط ومجلس الثلاثين معا بطيبة جلالته ، وسجدوا مرات عدة امام هذا الاله الطيب مصلين له . . . ومتعبدين امام وجهه ، وقد مجدوا ارواحه حتى عنان السماء) .(٤)

وقد راجت عدة اساطير حول تأليه الفراعنة كاسطورة الطفل حوروس بن اوزيريس والذى مثل بالجعران ، واسطورة تقول ان عند حدوث الكسوف . . تظهر الهالة الشمسية (و) يكون لها شبه قوى بجناحي الجعل (الجعران) المنتشرين . وكان حوروس " شمس الصلاح والبر وفي جناحيه البرء " واخيرا " صعد الى الرب واصبح والاب واحدا ".(٥) وهو ما يذكرنا الى حد كبير باساطير النصارى حول عيسى عليه السلام . هذا الى جانب العديد من الاساطير الاخرى التي حيكت حول الالهة الثلاثة ايزيس ، واوزوريس ، وحوروس(٦) وهناك تثليث آخر مؤلف من : توت ، ايزيس واوزوريس .(٧)

---

١ - النازعات : ١٦ - ٢٥

٢ - راجع قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف . من الاية ٥٤ وما بعدها .

٣ - هناك العديد من السور القرآنية التي تحدثت عن موسى عليه السلام و ما دار مع فرعون راجع : طه والشعراء : ٥٣ والنمل : ١٢ والقصص وغيرها .

٤ - راجع : مصر القديمة ، سليم حسن ص٦ / ٤٧٩

٥ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٦٩

٦ - راجع بتوسع حول هذه الاساطير في : تاريخ البشرية ، ارنولد توينبي ، ت : د . نقولا زيادة ، ٢ / ٨٠ - ٨١ ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨١

٧ - راجع : آلهة في الاسواق ، د . رؤوف شلبي ص ٢٥٨ دار القلم ط ٢ ١٤٠٣ ١٩٨٣ الكويت .

رابعـــا :

- عقيدة اليوم الاخر :

حظيت هذه العقيدة باهتمام قدماء المصريين ، فقد كانت من أهم عقائدهم ، . وقد شغلت بدورها أيضا علماء الفلسفة والتاريخ ومقارنة الاديان في العصر الحديث ، وذلك لما اولاه المصريون من اهتمام بالحياة بعد الموت .

لقد إعتنى المصريون بدفن موتاهم لاعتقادهم أن الروح سوف تعود للجسم فيما بعد وتقدم للمحاسبة فوضعوا للموتى تماثيل تصور شخصياتهم واقاموا لها اماكن لوضع الطعام والشراب . وقد ارجع بعض العلماء هذه العقيدة الى اسباب منها ما اشتهر عن تربة مصر ومناخها وهي :(انها تحفظ الجسم الانساني بعد الموت من البلى الى درجة لا تتوفر في اى بقعة اخرى من بقاع العالم)(١)

الا ان هذا الراى لا يمكن التسليم به ، ذلك لان عقيدة اليوم الاخر لا يمكن لها ان تقوم في اى امة من الامم ما لم تأت عن طريق اصل صحيح مستند الى وحي من رب العالمين ولا بد ان هذا الاصل قد حرف فيما بعد على يد كهنة الفراعنة ليصبح على النمط الذى اعتقده المصريون . وعليه فهي بقية من دعوة الانبياء الذين شرفوا مصر في فترات تاريخها الطويل . (٢)

والقرآن الكريم يوضح لنا في سورة غافر ما جاء على لسان مؤمن آل فرعون ما يفيد ذلك :

(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ . . .)

الى قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (٣)

---

١ - : فجر الضمير . جيمس هنرى برستيد . ت : سليم حسن ص ٦٣ دار مصر للطباعة .

٢ - راجع : اليهود في الاسواق ، د . روف شلبي ص ٢٧٧ ،

٣ - غافر : ٢٧ و ٣٠-٣٣

خامســـــا :

- تناســـخ الارواح :

يحاول بعض العلماء اثبات ايمان المصريين القدماء بعقيدة تناسخ الارواح ، مســتندين الى نص يرجع الى عام ٣٠٠٠ ق.م . والذى يقول " قبل الولادة هذا الطفل وليس الموت نهايته ، الحياة تجيء وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها مـن جديد ." (١)

ويستند نفس المصدر الى ورقة بردى تدعى "اانانا" (ANANA)
والتي ترجع الى عام ١٣٢٠ ق .م والتي تقول:

(الانسان يعود ثانية الى الحياة عدة مرات ، لكنه لا يذكر حيواته السابقة ولا يمكنه ان يحدد زمان هذه الحادثة او مكانها لكنه يعلم فحسب انها حادثـــة مـــألوفة عنده ، وفي النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة) . (٢)

وليس من المستبعد ان تكون الامم التي دانت بهذه العقيدة قد اخذتها عن هذا الاصل الفرعوني ، . كما يذهب البعض الى احتمال انتقال هذه العقيدة الى اليونان . (٣)

- بوادر نشأة الكهانة وصورها البدائية :

ان تطور الفكر الديني المصرى وما رافقه من ممارسات وطقوس تعبدية لم يكن ليرى النور او ينمو لو لم تسكن وراءه قوة تحركه وتغذى مبادئه وتقوى اسسه .

وقد لعبت طبقة الكهنة هذا الدور بكل اتقان واستطاعت هذه القوى ان تسيطر سيطرة تامة على جل الحياة الدينية ، ولم يكتف الكهنة بهذا الـــدور بل تعدى نشاطهم الى الحياة الدنيوية ، حتى غدا المصريون يعتقدون ان كـــلا الناحيتين (هما نتيجة وحي مقدس وتؤديان لخدمة الالهة فهما في الواقـــــع متممتان احدهما الاخـــرى) . (٤)

---

١ - . : العودة للتجسد . د . رؤوف عبيد ص ١ دار الفكر العربي القاهرة
٢ - المصدر السابق
٣ - راجع بتوسع ديانة قدماء المصريين . استيندورف الالماني .ت. سليم حسن ص ٩٥ .
٤ - طيبة في عهد امنحوتب الثالث ، اليزابيث رايفشتال ص ٢٤٢ / ٢٤٣ ت: ابراهيم رزق ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٦٧ .

وفي راى بعض العلماء فان النظرة التحريمية الى بعض الموجودات سواء كانت جامدة او حية اسهمت في تكوين الكهانة والسحر كذلك .

(اذ كان الناس) ينشئون تقاليد مشتركة من المحظورات تشمل الاشياء المحرمة والاشياء النجسة وتظهر الى جانب فكرة النجاسة فكرة التطهر وازالة اللعنات وتتم عملية التطهر بارشاد الحكماء من المسنين او العجائز المحنكات وفي مثل هذا التطهر تكونت بذور الكهانة والسحر في أقدم عهودها . . . ولإزالة الشرور وتثبيت الانسان وتنظيم شأنه كان لا بد له من أن يفعل أشياء ذات قوة وبأس ، وهل في الوجود شيئ أقوى من القتل ومن اراقة الدماء ؟ من هنا جاء الارتباط الوثيق بين نظام الكهانة وتقديم الضحايا والقرابين)[1].

وهذه العقيدة لعبت دورا هاما في الديانة المصرية سواء بتقديم شيئ ذى قيمة أو بتقديم النفس البشرية ذاتها ،فالقوى الطبيعية التي كانت تبعث الرعب والهلع في نفوس المصريين جعلتهم يلتمسون استطالتها بالتضرع اليها وتقديم القرابين لها اتقاء لشرها [2] ثم ما لبث هذا الامر ان تحول الى الزام للنفس بالعكوف على هذا المعبود واعتزال الناس للقيام بالفرائض التي املاها المتعبد على نفسه .

---

١ - : معالم تاريخ الانسانية . ولز . ١ /١١٦-١١٩

٢ - كما اشرنا في السابق ،فان الفترة السالفة مثلت مرحلة من مراحل انحراف العقيدة وميلها عن جادة الحق .

فبعد ان كانت القرابين تقدم لله تعالى علامة على الشكر والعرفان لما انعم البارى على الانسان وتفضل به عليه ،اتخذت هذه الشعيرة مسارا آخر على يد الكهنة للتجارة والكسب الحرام ، فاتجه تقديم القرابين الى القوى الطبيعية والبشرية ، و هكذا يمم القوم أبصارهم نحو السبب وصرفوا أبصارهم عن المسبب

وقد اخبرنا الحق تبارك وتعالى عن القرابين التي تقدم عنوانا على الشكر والانعام في قصة ابني آدم عليه السلام وذلك في سورة المائدة : ٢٧-٢٨ .

ولعل من الاسباب المباشرة لتقديم النفس البشرية قربانا للالهـــــــة هو مبالغة البسطاء في العبادة والتبتل .

كما لايجوز اغفال الخوف على المصالح الخاصة والعامة التي كانت السيول تهددها ، اما بايقاف الحياة الزراعية ، أو تبديد المحاصيل ، نتيجة لفيضان النيل . فكانت القرابين البشرية تلقى في هذا النهر اتقاء وخوفا منه (١)

- الفصل الثاني : بوادر نشأة الكهان والرهبـــان ..

اولا : بواعث النشأة :

-:-+:=:=:

ان هذه الاحداث وما رافقها من حماس ديني لدى البعض أدى الى اعتبار فداء النفس وتقديمها قربانا للاله هـو افضل طريقة لارضاء المعبود ، ولهذا اتـــم تدريب النفس على الطاعة وتكريسها للعبادة عن طريق المواصلة والانقطاع والتبتل .

ومن البواعث الاخرى التي أوحت الى هؤلاء اتخاذ جانب العزلة والتعبد هو الشعور بوجوب التعويض عن الاحساس بالذنب او الهروب من المسؤلية او نتيجة السآمة الناجمة عن رتابة الحياة نفسها .

---

١ - يذهب أ . هامرتن الى منحى آخر في تفسير نشأة التضحية البشرية قديما ، إذ يرى ان السبب يعود إلى إعتقاد الناس بأن الملك نفسه يعد واهب (الحياة ، ولمــا رضي الناس ان يؤمنوا بأن رخاءهم موقوف على سلطان الملك وقوته اضحى مركز الحاكم مما يحرك في النفوس عوامل الحسد والبغضاء ، وذلك انه حينما تبدو على صحتـــه أو قوته علامات الضعف والوهن يصبح وجوده خطرا على الدولة ، فلا بد إذن مـــن قتله ليجلس مكانه شخص أصغر منه سنا وأكثر فتوة ، واقدر على بعث الحياة في الناس ولعل هذا هو السبب الذى دعا الناس الى ابتكار التضحية البشرية ، ولما اصبح للملك من القوة ما يمكنه من ان ينجي نفسه من القتل جاء كهنته بضحية بدلا عنــــه واختلقوا لذلك عذرا هو أن (الأم الكبرى) قد وضعت الدم الإلهي ليكون اكسيـــر الحياة الذى يجدد شباب الملك الهرم ومعـــنى هذا ان دستور الدولة الاولـــى ومنشأ التضحية البشرية والحرب البدائية .... كان الباعث عليـه تقييد النـــــاس للتضحية بهم .) : تاريخ العالم ، السيرجون أ.هامرتن ١ : ٣٦٩

ثانيـــــا :

الصـــور الاولى للتبتل :

:/:/:/:/:/:/:/:/

ادى الحماس الديني الى انبثاق حركة نشطة ازداد معها التقرب نحو العزلة والانقطاع ، وما لبث أن أصبح - مع مرور الوقت - ظاهرة متفشية في المجتمع المصرى .

وقد وجد افراد عديدون قد وحدتهم المعبودات لسلوك طريق العبادة بأنماط عدة ، وطقوس متنوعة . غلب عليها التبتل والانقطاع .

و شهدت اماكن المتعبدين اعدادا كبيرة من المنقطعين مع تماثيـــــل آلهتهم ، وقد أضحت هذه الاماكن هياكل للعبادة .

وعليه فاننا سنرى فيما بعد تطورا هائلا تمثل في بروز هيئة منظمة ذات رتب ووظائف هرمية لطبقة الكهان . وهكذا انتقلت العبادة الفردية الى عبادة جماعية ونشطت نشاطا كبيرا أسهم الى حد بعيد في تدعيم سلطة رجال الكهنوت ومكنها من إعتلاء أكبر المراكز الادارية في الدولة .

وقد وجدت هذه الطبقة حظوة عالية في نفوس الفراعنة أنفسهم ، حتـــــى ان الفرعون نفسه كان يعتبر كاهن الكهنة الاكبر [1]

- ثالثـــا :

بدايات الرهبنـــة المصرية :

:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:

التطور الديني الذى شهدته مصر على يد كهنتها والذى تمثل بالممارسات والطقوس المختلفة ، مالبث ان تحول من حالته البسيطة الى شيء من التعقيـــد ليفرض نفسه في النهاية على جل الحياة اليومية للمتعبدين .

وقد اختلفت اراء العلماء حول الصور النسكية وحياة الرهبنة المصرية فـــي هذا الوقت .

فهناك من يرى أن طبقة من الكهنة المصريين التزمت جانب العفة والتبتـــل فاجتنبت النساء ، وقد جمعت هذه الطبقة عبادة دعيت باسم السيرابيس [2] ، كمـــا اطلق البعض عليها " السيرابيوم " . وقـــد قام برعاية هذه العبادة ايزيس التـــي (اجتذبت اليها كثيرا من العباد المتبتلين الذين نذروا ارواحهم ، وكانت تماثيلها

---

١ - راجع في هذا الصدد :شجرة الحضارة ، رالف رالـــتون .ت: د . احمد فخرى مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١

٢ - راجع في هذا الصدد : ديانة قدماء المصريين.استيـــدرف الالماني .ت: سليم حسن ص ٥٧ مطبعة المعارف بمصر،ط١ ، ١٩٢٣ .

تقوم في المعبد وهي متوجهة بوصفهاملكة السموات وهي تحمل طفلها حورس بين ذراعيها والشموع تخفق وتذوب أمامها، وتماثيل أجزاء الجسم الشمعية تتدلى حول المقصورة وكان على الكاهن المستجد تتميم مرحلة اعداد وتلمذة طويلة ذات تفاصيل محكمة ويقسم الايمان على العزوبة ، وعندها يلقى مبادئ الاسرار ويثبت وكانت تحلق رأسه ويلبس ثوبا من الكتان) .(١)

- ولا نستطيع هنا القول بان درجة شيوع الرهبنة كانت شاملة لكل قطاعات الكهنة ، إذ أن ديورانت يورد ما يفيد بأن (منصب الكاهن كان ينتقل في الواقع - ان لم يكن بحكم القانون - من الاب الى الابن).(٢)

- وهذا ما يؤكد وجود طبقات عدة بين الكهنة تتنوع وظائفها بحسب ميولها ، واتجاهاتها .

رابعا :
- المظاهر التعبدية للرهبنة المصرية :

-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:

ان الترهب الفردى الذى مارسه اوائل الكهنة ارتدى طابعا جديا بادىء الامر ، فجميع العبادات والممارسات النسكية اقيمت على مبادىء مستوحاة من النظام الديني الوثني الذى عرف آنذاك .

وقد شهد هذا التعبد صورا من الوان التقشف والتبتل للمعبودات المقامة والموضوعة رسميا وتبعا لكل أقليم . ومع تطور هذا النظام وتكوين طبقات الكهنة أصبحت الممارسات التعبدية تقام جماعيا وقد تستمر طيلة ساعات اليوم.(٣) . وما لبثت أن تحولت الى طقوس تقام لنيل اغراض بعيدة عن روح العبادة المتعارف عليها سابقا ، فمنها ما هو لكسب مادى أو حبا في المناصب أو السلطة أو الشهرة .

وظلت هذه الطبقة تمارس ألوانا من التلاعب إلا أنها تمسكت بالطقوس الدينية أحقابا كثيرة حفاظا على المكاسب التي جمعتها والامتيازات التي حصلت عليها .

وتجدر الاشارة الى أن الجو الفكرى الهادىء أسهم في اشاعة الحماس الديني لدى الكهنة بادىء الامر، فقد ساعدهم على اداء الممارسات التعبدية الخاصة .

---

١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ١ : ٦٤-٦٩

٢ - قصة الحضارة ، ٢/١ : ١٦١ وانظر طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٤٧

٣ - طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٤١

كما أسهم في تفرغهم للتأليف والكتابة المصبوغة بالتراتيل والاناشيد الدينية . وأضاف هذا الجو نوعاً من الورع عند بعض الكهنة المتبتلين حتى قيل فيهم (كان البعض منهم يمارس الإتحاد الروحي مع الاله عندما يسمح لهم " بمشاهدة الاله في المحراب " . (١)

لقد مكن هذا الجو كذلك من بزوغ كثير من العقائد المتعلقة بالآلهة ، ومكن الكهنة بالتالي من إضفاء هالة كبيرة من القداسة عليهم ، نظرا للغموض الذى أشاعوه بين الناس وإيهام الشعب بوجود الأسرار المتعلقة بالالهة .

فمن الممارسات التعبدية التي أُحيطت بالأسرار ما كان مختصا بعبادة الآلهة تلك المراسم التي كان يقوم بها أحد كبار الكهنة المعين رسميا من قبل الفرعون شخصيا لثقة هذا الاخير به(٢) (ودلت هذه العبادة على الاعتقاد الثابت بان الاله يشعر بما يشعر به اى انسان)(٣). فالمعبد هو مسكنه الذى تدخل اليه الحياة والحركة ولا يتاح إلا لرفعهم مقاما ولوج الحجرة الخاصة حيث يقيم الاله تحت اعراض تمثاله وهو كالانسان بحاجة الى الكثير من العناية والملاطفة والترفه والبذخ والمأكل والمشرب والراحة والنوم واللهو والأعياد ايضا . وكل هذا كان مضمونا باسم الملك الذى يجزل الهبات السخية والذى يتولى الخدمة الكهنوتية بنفسه اذا سمحت له ظروفه بذلك بحكم كونه قانونا الكاهن الكاهن . وكانت تقام كل صباح وفي كل المعابد مراسم متماثلة : حركات طقسية وسجدات وصلوات وأناشيد واحراق بخور . كان الكاهن يفتح الحجرة الالهية " ويوقظ " الاله ويقدم له قبل أى شيء آخر " عين حورس " التي فقدها في صراعه ضد شيت ثم عثر عليها وقدمها لابيه أوزريس . ويقدم له بعد ذلك تمثالا صغيرا " لماعات " ابنة " رع " ثم يغسله ويلبسه ثيابه ويزينه ويمسحه بالطيوب ويخضبه ويقدم له اخيرا ما لذ وطاب من انواع الطعام والشراب على سماط او حصير امام التمثال وفي ساعات معينة من النهار تفتح الحجرة مجددا لكي تقدم له وجبة اخرى وعند حلول المساء يرتدى ثياب الراحة ويستسلم للنوم بعد ان يقفل المكان المقدس) . ٤

---

١ - طيبة في عهد امنحوتب ٢٤٢

٢ - المرجع السابق .

٣ - تاريخ العالم لهامرتن ١ / ٣٦٩ حول نشأة هذه الفكرة .

٤ - تاريخ الحضارات العام ١٠٦/١

(كانت هذه الطقوس تقدم لتماثيل من ذهب ، وكان الاعتقاد السائد ان بدونها تحل الكوارث بالشعب كباره وصغاره.(١)

الفصل الثالث : الرهبان : مبادئهم ، علومهم ، طبقاتهم

اولا : سمـات واوصاف الرهبان :

ذاعت في الاوساط المصرية القديمة صفات الرهبان ، فقد وصفهم هيرودت وصفا دقيقا حيث قال : (وهم أكثر الناس احتياطا بعبادة الالهة ولا يتحللون قط من المراسم الاتية :

يلبسون ثيابا من نسيج الكتان نظيفة حديثة الغسل على الدوام ، ويختتنون حرصا منهم على النظافة لانهم يعتقدون أن النظافة أفضل من الجمال ويحلقون شعر أجسامهم باجمعه مرة كل ثلاثة ايام حتى لا يجد القمل أو غيره من الاقذار مكانا في أجسامهم وهم يغتسلون بالماء البارد مرتين في النهار ومرتين في الليل)[٢] .

ويرافق هذه الاوصاف نظام من التدريب والتأهيل قوامه الآتي :

١ - نذر الروح للمعبود

٢ - القسم على العزوبة

فاذا ما فعل المبتدئ ذلك أعطيت له الاسرار ليصار الى تثبيته كاهنا.(٣)

وكان تكريس الكهنة يتم عبر درجات متعددة .(٤)

هذه الانظمة التي إبتدعها الكهنة والرهبان المصريون لم تعمر طويلا ولم تحافظ على مبادئها التي وضعت أطرها ورسمت حدودها . وذلك لما اعترى الكهنة أنفسهم من سوء في الخلق وانحطاط في القيم .

إذ باتت الرذائل ترتكب في وسط المعابد والهياكل دون وازع او رادع.

ولعل الحالات النفسية التي كان يعيشها الكهان والرهبان نتيجة الحياة القاسية التي ارتضوها هي السبب في هذا التفلت والانحلال .

ولا يخفى علينا ما للطاقة الجنسية من أثر على سلوك الفرد ، فانحراف هذه الطاقة عن مسارها الصحيح يهدد كيان صاحبها ويهلكه إن لم توجد ضوابط وروابط تنظمها وتهذب من جموحها .

---

١ - : طيبة في عهد امنحوتب ٢٤٤-٢٤٥ ، وللتوسع راجع : مصر القديمة سليم حسن ٦ : ٤٦٨-٤٦٩

٢ - قصة الحضارة ٢ / ١ : ١٦٢ وطيبة في عهد امنحوتب ص ٢٥١

٣ - معالم تاريخ الانسانية ١ / ٤٦٤-٤٦٩

٤ - راجع هذه الدرجات في : طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٥١-٢٥٢

والكبت الذى أنهك قوى الرهبان ما لبث أن حول الهدوء الى فوضى والرزانة الى تهور . (فقد كان في الهيكل .. بالكرنك طائفة كبيرة من النساء يتخذن سرارى لآمون في الظاهر وليستمتع بهن الكهنة في الحقيقة .) (١)

هذه الحركة الخفية التي مارسها الكهان سرا عن أعين الناس كانت مظهرا للعهر والخنا فيما بينهم . وما لبث هذا الانحدار أن تحول الى ظاهرة عفنة أسهمت الى حد كبير في فساد المجتمع وانهياره .

اذ سرعان ما تفشت بقية الامراض الخلقية الأخرى بين افراد هذه الطبقة وأصبح جمع الثروات واكتناز الأموال هو الشغل الشاغل للكهنة .

والنتيجة الحتمية التي آلت اليها هذه الظاهرة هي (نسيان) الناس على مر الزمن ما بين الدين والاخلاق من صلات ، فلم تكن الحياة الصالحة هي السبيل الى السعادة الأبدية بل كانت السبيل اليها هي السحر والطقوس واكرام الكهنة . (٢)

---

١ - قصة الحضارة ٢ / ١ : ١٦٨

٢ - المرجع السابق ٢ / ١ : ١٦٤

ثانيـــا :

- المعـــارف والعلــوم :

-:-:-:-:-:-:-:-:-:

لم تكن الحياة الدينية التي مارسها الكهان والرهبان لتصرفهم عـــن الاهتمامات الاخرى المتعلقة بالمجتمع المصرى . وكما اشرنا من قبل فان طبقـــة الكهان كانت مسيطرة على (١) زمام الحياة الدينية والدنيوية والسبب الرئيس في ذلك يرجع الى كونهم هم الطبقة المثقفة بين عامة الشعب وقد أمدوه بمختلف العلـــوم والفنون المشهورة آنذاك . (٢)

لقد إختص الكهنة بتدريس أبناء الأسر الغنية فضلا عن الأسر المالكة ، كما قاموا بتخريج كتبة الدولة ، إلا أن هذا النشاط الثقافي لم يكن خاليا من الأساطير (٣) والخرافات الكثيرة التي ملأت أدمغة القوم .

لقد اعتقدوا أن (العلوم قد اخترعها - من ١٨٠٠٠ سنة - قبل الميـلاد " تحـــوت " إله الحكمة المصرى في خلال حكمه على الارض والبالغ ثلاثة الآف مـــن الاعوام وأن أقدم الكتب في كل علم من العلوم كانت بين العشرين ألف مجلد (هي) التي وضعها هذا الإله العَـالِم) (٤)

وقد أطلق على المكان المخصص للتعليم " بيت الحياة " يتلقى فيه مختلف العلوم الدينية والدنيوية كالتاريخ والطب والرياضيات وكما فعل الرهبان الذيـــن عاشوا في أديرة العصور الوسطى كذلك كانوا أحيانا يكتبون الحكايات والأغانـــي الغرامية تنويعا وتلوينا لحياتهم اليومية الرتيبة). (٥)

ومن أشهر العلوم التي اشتهـرت عنـهم :

- علم الفلك - علم الطب ٣ - السحر والتنجيم - الرياضيات

- الهندسة . وغيرها من العلوم الأخرى وقد توسع العلماء في ذكـــر تفاصيل هذه العلوم وكيفية التوصل اليها . (٦)

---

١ - راجع في هذا الصدد : ديانة قدماء المصريين ص ٢٨
٢ - معالم تاريخ الانسانية ١/٢٠٨-٢٠٩
٣ - ديانة قدماء المصريين ص ٣٦ - ٣٧
٤ - قصة الحضارة ٢/١ : ١١٨-١١٩
٥ - طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٤٨-٢٤٩
٦ - راجع في هذا الصدد : قصة الحضارة ٢/١ : ١١٨ و تاريخ الحضارات العام ١/١٣٠ ، وطيبة في عهد امنحوتب /٢٥٢ ومصر القديمة ٦/٤٥٧

ثالثـــــا :

طبقـــــات الكهنـــة ومهنهـــم :

-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:

نظرا للمعارف والعلوم التي ألمَّ بها الكهنة ،فقـــد أتاحت لهـــم هذه الخبرات تكوين سلطة واسعة من النفوذ والسيطـــرة . وقد استعملوا وسائـــل أخرى لتثبيت قواهم، وغالبا ما كانت هذه الوسائل تنم عن خبث ودهاء ، مستغلين في ذلك سذاجة الشعب وبساطته (ولـــقد إستمر موقف عامة الناس الذين يفلحـــون الارض ويرعون الانعام حيال المعبد موقف السذج الذيـــن يسارعون الى تصديـــق كل ما يقال لهم عنه ، فهنالك يعيش الاله الذى لا يراه الناس الا نادرا والــــذى يرفعه خيالهم الى أعلى عليين والذى كان رضاه مبعث النجاح ، وغضبه أصل الشقاء وكان من الميسور إسترضاؤه بالهدايا الصغار والاستعانة بخدمه في مختلف الاغراض وهو مبعث العجب والدهشة وله من عظم السلطان والمعرفة مالا يصح معه للانســان أن يقلل من إحترامه له ولو في دخيلة نفسه).(١)

علما بأن رئيس الكهنة هو الذى يتولى عرش الملك.(٢)

إن هذه القوى إستطاعت القيام بدورها خلال معظم الإسر الفرعونيـــة التي قاربت الثلاثين . ، وقد لاحظنا أهمية الكهنة بالنسبة للعرش الفرعوني ، وحتى بالنسبة للمجتمع المصرى ، الذى لم يستطع ان يؤدى شعائره بدون كهنة .

ولذلك كان لابد من التعرف على طبقات الكهنة المؤثرة ، ومدى نفوذها. ويمكن حصرها بالاتي :

اولا : طبقة كبار الكهنة :

وكانت تختار من قبل الملك شخصيا،ولا بد لها من الحصول على ثقته التامة كما أطلق إسم الانبياء على كبار كهان هذه الطبقة ،وكانت تتألف من أربعة يرئسهـا أكبرهم وقد نيطت به المهام التالية :

١ - المحافظة على النظام الديني وأمور العبادة ٢ - تدبير الشؤون الادارية للمعبد
٣ - مسؤولية أملاك المعبد ٤ - الإشراف على المعابد وكهنتها .

أما الثلاثة الباقون فإنـــهم معنيون بمساعد الرئيس في المهام الروحية ، والإدارية يعاونهم عدد كبير من المدنيين الذين عملوا كمراقبين ...).(٣)

---

١ - معالم تاريخ الانسانية ١ / ٢٠٢-٢٠٦
٢ - ديانة قدماء المصريين ٨٢
٣ - طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٤٩ -٢٥٠

ولم تقتصر أعمال هذه الطبقة على الشعائر الدينية فقط بل إننا نجد الفرعون نفسه يعين منها وزراءه الخبيرين في تدبير شؤون الحكم .

كما كانت هذه الطبقة تقوم بإرشاد وتوجيه الملك نفسه ،فقد كان الكهنة (يُلقّنون الملك القرارات التي تحتم عليه إتخاذها إلا أنه كان دائما حريصًا على التظاهر بأن ما يصدر ليس الا الالهامات والتجليات التي يوحي بها إليه أبوه الالهي وأنه يأتي ما يأتي وفقا لمشيئته)(١)

ثانيا : طبقة " الكهنة الطاهرين "

:-:-:-:-:-:-:-:-:-:

كانت مهام هذه الطبقة تنحصر بمساعدة الكهنة الاعلى رتبة ودورها يعتبر كدور الشماسة في الكنائس المسيحية . ومن مهامهم تقديم البخور للصورة الالهية (التمثال) وتطييبها ،والاهتمام بادوات العبادة ومواكبة المحمل الذى يحتوى الاله في حرمه او محله .

وقد اطلق عليهم لقب " وب " اى الطاهرين (او المطهرين) الذين لم يكن مسموحا لهم " فتح ابواب السماء " .(٢)

ثالثا : طبقة صغار الكهنة ،

-:-:-:-:-:-:-:-:-:

(كانت هذه الطبقة ملحقة بالطبقة السابقة وكانوا يمارسون أعمالا خاصة كالكهنة القارئين والقائمين على حراسة أو تلاوة المخطوطات المقدسة ، والنحويين الهيروظيفيين الذين كانو متفوقين في الاجراءات الشعائرية ، والموقتين الذين كانوا يحددون ساعات إقامة طقوس العبادة اليومية وتواريخ الأعياد ،بحسب النظر الى السماء)(٣).

---

١ - تاريخ الحضارات العام ١ / ٤٩ . وتجدر الاشارة الى ان الانحراف غالبا ما كان في هذه الطبقة التي استطاعت السيطرة على الموارد المالية لصالحها.اضافة الى شيوع انحراف الاخلاق.الى جانب اللعب بالوظائف الكهنوتية واستئثارها في البيع والشراء) : مصر القديمة ص٦ / ٥٧ ٤ وطيبة في عهد امنحوتب ص٢٤٧

٢ - طيبة في عهد امنحوتب ص٢٥٠

٣ - المصدر السابق .

رابعـــا : طبقة كهنة "عبادة الاموات" :

-:-:-:-:-:-:-:-:

كان كهانها (يشتركون في اقامة الشعائر المتوجبة للملوك الراحليـــن، كما كانوا يرأسون ـ لقاء أجر ـ مراسم الدفن واقامة الإحتفالات الدورية التي تجدد الحياة للموتى الأقل شأناً في مدينة الاموات) (١) .

من مجموع هذه الطبقات تكونـــت جموع الكهنة الذكور ، وعنهـــا إستمد الشعب المصرى الأسس العقدية الوثنية ، . والى جانب هذه الطبقـــات من الرجال ، وجدت طبقة اخرى للاناث .

خامســا : طبقــــة الكاهنـــات ،

:-:-:-:-:-:-:-:-:-:

خصصت هذه الطبـــقة (من الاناث لخدمة آمون ، وكن ينقسمـــن الى شعب وفرق ، ويخضعن لقوانين صارمة ، ولم يكن لهن حق المشاركة في الاسرار بل كن يخدمن الإله فقط كموسيقيات ، ومغنيات ، وكانت جماعة منهن تترأسهـــا زوجة الاله وهي الملكة أو ولية العهد)(٢)

---

١ ـ طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٥٠ -٢٥١

٢ ـ المصدر السابق : ص ٢٥٣

رابعـــا :

- الامتيازات والمخصصـات الكهونتية :

:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:

نمـت قوة الكهان والرهبان المصريين نموًا كبيراً ، وتعاظم نفوذها ، حتى اصبحت عبئا ثقيلا على كاهل الشعب .

ورغم إذعان الشعب وخضوعه لتعاليم الكهنة إلا أن هذه الحالة لم تكـن لترضي قطاعات كبيرة من الناس .

ففي عام ١٣٨٠ ق.م مات امنحوتب الثالث وخلفه امنحوتب الرابع المعـروف باخناتون . وقد ثار هذا الأخير على طبقة الكهنة (فلم يرضـه هذا العهر المقدس وكانت رائحة دم الكبش الذى يقدم قربانا لآمون كريهة نتنه في خياشيمه كما كان إتجار الكهنة في السحر والرقى واستخدامهم نبوءات آمون للضغط على الافكار باسم الديـن ولنشر الفساد السياسي مما تعافه نفسه ،فثار على ذلك كله ثورة عنيفة وقال في هذا : (إن أقوال الكهنة لأشد إثما من كل ما سمعته حتى السنة الرابعـة[1] أي من حكمه " .

وما لبث هذا الاشمئزاز أن تحول الى حملة عنيفة جردت الكـهنة من جميع الامتيازات والعائدات الخاصة بهم والتي قدرت على النحو الاتي :

(لقد كانت أسلاب كل حرب والجزء الاكبر من خراج البلاد المفتوحة تتدفـق مباشرة في خزائن الهياكل والكهنة وبلغت هذه الثروة غايتها في عهد رمسيـس الثالث ، فكان للمعابد من العبيد ١٠٧٠٠٠ - وهم جزء من ثلاثين جزءا مـن سكان مصر . لها من أرض مصر ٧٥٠٠٠٠ فدان أى سبع أرض مصر الصالحـة للزراعة ،وكانت تملك ٥٠٠٠٠٠ رأسا من الماشية وتستحوذ على ايراد ١٦٩ مدينة من مدن مصر والشام ، وكانت هذه الثروة الضخمة كلها معفاة من الضرائب ، وأغدق رمسيس الثالث من الهدايا على كهنة آمون ما لم يسبق له في كثرته مثيل ، وكـان من هذه الهدايا ٣٢٠٠٠ كلغ من الذهب ومليون كلغ من الفضة . وكان يهبهـم كل سنة ١٨٥٠٠٠ كيسا من الحبوب . ولما حان الوقت لاداء أجور العمال الذين تستخدمهم الدولة في مرافقها وجدت الخزانة مقفرة وجاع الشعب واشتد جوعـه يوما بعد يوم ...)[2]

---

١ - قصة الحضارة : ٢/١/ : ١٦٨

٢ - المرجع السابق ٢/١ : ١٨٢

- مقارنة بين الاهداف والنتائج الناجمة عن اعمال الرهبان :

لطبقة الكهان والرهبان في مصر اهداف ،ككل فكر يرمي الى تحقيق النتائج التي يصبو اليها .

فالخطة التي رسمها اوائل الكهنة لم تكن على درجة من التعقيد ،كما ظهرت فيما بعد ،بل غلب عليها نوع من البساطة والسذاجة .فقد انحصرت اهداف الكهنة في بدايتها في اتقاء شر من يضر بحياتهم حسب ظنهم ، وذلك عن طريق تقديم القرابين له واستمالته بالتضرع والخشوع .كما تبع ذلك ظهور الرهبنة والتبتل ولأن منهج الكهانة العقدى منهج ارضي وضعي في الدرجة الاولى ، فقد تطور ليصبح في النهاية عدة اهداف بعيدة كل البعد عما كان في السابق .
فقد اصبح الكاهن مع مرور الوقت يهدف من حياته النسكية وطقوسه المخترعة الى الامور التالية :

١- حب الشهرة ، والتفاخر بالالقاب المصحوبة بالتبجيل مثل لقب : الكاهن الاكبر للالهة ، والكاهن الاول ، واعظم الرائين[١] ، والنبي الاول[٢] .
٢ - الارتقاء في المناصب الكبيرة في الدولة ،[٣] : كالوزارة ، وغيرها .
٣ -اكتناز الاموال ، وتخزينها ، والوصول اليها باى طريق .
٤ -الاستمتاع بالشهوات ، وارتكاب المحرمات ، وممارسة الزنا في الهياكل والمعابد .

و هكذا نرى ان ظاهرة الرهبنة بدأت بادعاء الحرمان والترفع عن الشهوات وانتهت بالانغماس في حمأتها .
وبما ان النتائج تميل تبعا للاهداف الموضوعة ،فان اعتماد الكهنة في منهج حياتهم الفكرية والدينية على أسس عقدية واهية مستندة الى اساطير وبدع وخرافات من شأنه ان يجرهم الى مآزق لا حصر لها ، وقد رأينا مدى الطغيان الذى مارسه الكهنة والرهبان في حق الناس ، ومدى التسلط الذى تبنوه خدمة لاغراضهم الدنيئة . وهكذا كل منهج ارضي لا يستند الى رسالة سماوية منزلة من عند الله تبارك وتعالى ، مع ان رسل الله عز وجل قد جاءت الى هؤلاء ،ولكن الطغيان أعمى قلوبهم وابصارهم فضلوا واضلوا .

---

١ - هناك العديد من الالقاب الاخرى راجع بتوسع : مصر القديمة ٦ / ٤٧٢
٢ - طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٤٩
٣ - مصر القديمة ٦ / ٤٥٨

وتبعا لسنن الله تبارك وتعالى في الخلق والكون . فان سنة الله الجارية قد سرت في هذه الامة فأحالت نهارها ليلا ، وقلبت موازينها ، وحطمت طغيانها. فالثورة التي قامت ضد الكهان والرهبان في عهد إخناتون اعتبرت من قبيل الاصلاح الديني [1]، لان هذا الاخير قضى على طغيان هذه الطبقة ومزقها شر ممزق .

وسوف نرى صورا مشابهة لمثل هذه النتائج وذلك في الابواب القادمة باذن الله تعالى .

١ـ انظر مصر القديمة : ٦/٤٧٥

الباب الثاني :

الاسس العقدية
للرهبنة الهندوسية
والرد عليها

التمهيـــــــــــــــــد :

أ - سكان الهند الاصليون :

يجمع العلماء والمؤرخون على وجود قبائل قديمة عاشت واستوطنت الأقاليم الهندية ، وقد أطلق على هؤلاء اسم " الدرافيديين "(١) وتؤكد المصادر التاريخية أن هذه الشعوب كانت لها مدنية عرفت بالمدنية السندية ولها من الآثار ما يرجع الى ٥٠٠٠ ق.م(٢)

بل يذهب بعض العلماء الى (ان المدنية الهندية القديمة تقع ما بين الالف الرابعة والالف الثالثة ق.م وتفوق ما كان سائدا في العصر نفسه في بابل ومصر.(٣)

وأن أبرز آثارها لغة "البراهوي"(٤) وكثير من الآثار العينية الأخرى التي لا زالت الى يومنا هذا .

وقد أتيح لتلك المدنية أن تكون محطة هامة لجميع الشعوب التي غزت الهند أو التي هاجرت من أقاليم وقارات مختلفة كما أن ديانتها شكلت نواة للديانة التي استقرت عليها الهند فيما بعد .

ومن خلال الآثار الباقية لهذه المدنية استطاع العلماء اكتشاف البذور الاولى

---

١ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٥٥٧ ، وراجع:قصة الحضارة ٢ / ١ : ١٩-ويضيف د . إحسان حقي الى ذلك قوله (غير أن الإكتشافات الأثرية التي ظهرت في وادى السند في مطلع هذا القرن أثبتت بأن الدراويديين لم يكونوا أهل الهند الاصليين بل كانوا قبل الآريين دخلاء على البلاد اقتحموها من شمالها واستولوا عليها ففر أهل البلاد أمامهم الى الجنوب . . . وتدل التحقيقات العلمية بأن أهل الهند الأصليين يرجعون في أصلهم الى أصول سكان سوماطرة واسترالية وسيلان) : مأساة كشمير المسلمة .د.احسان حقي ص ٢١ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ،ط١، ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م .

٢ - تاريخ البشرية ،أرنولد توينبي ١ : ١٤٥ ت : د . نقولا زيادة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨١

٣ - قصة الحضارة ٣ / ١ : ١٦

وأهم المدن التي أسفرت عمليات الحفر والتنقيب عن اكتشافها هي : " موهنجودارو" و " شانهودارو " . راجع"الهند ، حضاراتها ودياناتها" ، للندوى ص٢٠ وراجع كذلك : العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ، محمد يوسف النجرامي ص ١٥ ، دار الفكر بيروت ط ١ -١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤ - راجع : تاريخ الحضارات العام : ١ / ٥٥١

لهذه الديانة والتي تنوعت تنوعا كبيرا وكان لها الفضل الاكبر في ايجاد العقائد الهندية الوثنية .

معالم الديانة الهندية القديمة :

لقد دلت الآثار على (وجود عبادات وطقوس دينية تمثلت بعبادة القوى والظواهر الطبيعية ،كما وجدت معبودات عدة في كل قبيلة كان بعضها متماثلا مع بعض هذه الظواهر ،بينما كان بعضها الاخر على ما يظهر هم بعض الاجداد المؤلهين او بعض الابطال الوطنيين .) (١)

وقد كانت النار من ضمن المعبودات التي قدمت إليها القرابين " من خبز وأعشاب وخمر "(٢) وأقيمت لها الاحتفالات ،كما عبدت الشمس ، كذلك عبدت بقية الكواكب . ،واضافة الى ذلك "(تماثيل نسائية غير متقنة وهي عارية تماما لا تلبس الا بعض ادوات الزينة ،وهي على الراجح تماثيل للآلهة الأم التي كانت مرتبطة بعقائد الاخصاب) .(٣)

وهذه العبادة كانت (تعنى عناية كبرى بعبادة عضو التناسل وعلى طقوس من انواع مختلفة من أجل الاخصاب) .(٤)

كما عبدت (حيوانات مخيفة كتنين مفزع أو وحش هائل وكانوا يعتقدون أن هناك عالما آخر وهو عالم الأموات ، وأن الأخيار إذا ماتوا وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب وقدرة على التأثير في الكون والمشاركة في تصريفه وتدبيره بمجردمغادرتها الاجسام وقد استمرت تلك الديانة هي السائدة في الهند حتى جاءت ديانة الفاتحين) .(٥)

---

١ - شجرة الحضارة : رالف لنتون ٣/ ١٨٣ . ت: د . احمد فخرى مطبعة مصر ١٩٦١
٢ - الديانات القديمة ،ابو زهرة ، ٢٢- ٢٣ دار الفكر العربي .
٣ - شجرة الحضارة ٣/ ١٤٥-١٤٧
٤ - المصدر السابق . وانظر : "ماذا حدث في التاريخ" ،جوردن شايلد . ت. جورج جواد ، ص ١٢٧-١٢٨ ، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بمصر، ١٩٤٢م
وقد تلقى الآريون هذه الديانة عن الدرافيديين وكان يرمز بفرج الذكر والانثى لانهما علامة الحياة والخصوبة وفق عقيدتهم وتلقاه الناس بالرضا . . . ولا تزال هذه العقيدة قائمة حتى الان) : الهند حضاراتها ودياناتها ، محمد اسماعيل الندوى ص ٦٤
٥ - الديانات القديمة ، ابو زهرة ص ٢٢-٢٣

كما كان الثعبان من ضمن تلك المعبودات التي حظيت باهتمامهم.وكذلك كل الحيوانات المؤذية ،كما تفشت فيهم عبادة جن الهواء (١)

لقد خفيت هذه المعبودات على كثير من علماء العصر الحديث ،اذ وجدوا في بداية الامر صعوبة في التوصل إلى إكتشافها وحل رموزها وسبر غورها ،ويعترف البعض منهم بأن المعلومات الدينية كانت محدودة جدا (٢)

وعلى الرغم من الاكتشافات الاثرية التي عثر عليها العلماء والتي استطاعت اجلاء بعض الغموض الذى اكتنف هذه الديانة ،الا انه من المتعذر الكشف عن كيفية اقامة الطقوس التعبدية والنسكية التي مارسها الافراد بشكل خاص وبالتالي فإنه من الصعب التوصل الى معرفة ما إذا كانت الرهبنة شائعة إبان تلك العصور وعلى النحو الذى ظهر فيما بعد .

الا ان بعض العلماء رغم ذلك يشير الى وجود نوع من حالات الترهب والتنسك (٣) وقد تتطلب من الفرد في ذلك الوقت (القيام باعمال قاسية شديدة ،يحمل في ثناياه التحدى ضد القوى التي فوق الطبيعة ،وكان الناسك يصوم في الواقع تحديا للمعبودات لان ذلك يزيد من قواه الروحانية ،وفي اسطورة من أقدم الأساطير نقرأ عن ناسك استطاع أن يقوم بالكثير من كفارات التوبة حتى أصبح له من القوة ما جعله يجبر المعبودات على طاعته وعندما تقدمت الاراء الخاصة بوحدة الوجود أى وحدة الله في الكائنات تضاءلت هذه الفكرة (٤)) .

---

١ - راجع : حضارات الهند ، غوستاف لوبون ،ص ٦١٥

٢ - راجع : تاريخ الحضارات العام : ١/٥٥٧ ، . وتجدر الاشارة الى ان (تاريخ الهند قبل عام ١٨٠٠ ق.م (كان) مجهولا تماما حتى اوائل القرن العشرين الميلادى ثم بدأت الحفريات في السند على شواطىء نهر الهند في عام ١٩٢٢ م) :- الهند، حضاراتها، ودياناتها ،ص ٢١

٣ - من الاثار المكتشفة في المدن الثلاث ما يتعلق بالرهبنة الهندية القديمة وهو وجود تمثال لاله الهنود الدرافيديين " سيفا " الذى عبد من قبل الاريين أيضا وله ثلاثة وجوه ويوصف بأنه إله وحوش الغابات وأمير النساك والرهبان) : الهند حضاراتها ودياناتها،ص ٤٥

٤ - : شجرة الحضارة ٣/١٧٥-١٧٦

وعليه فانه لم يكن أمام العلماء المزيد من المعلومات للكشف عن نوعية الرهبنة القديمة ، ولهذا نرى أن التوسع في هذا الشأن لا فائدة منه .

وهكذا تكمن الصعوبة في التعرف على خفايا الديانة الدرافيدية التي اعتنقها السكان الأصليون قبيل الغزو الارى[1] للهند ، إلا أن البحث معني بهذا الغزو وما رافقه من تطور في الديانة الهندية التي تبناها هؤلاء وأضافوا اليها معارفهم وطومهم الدينية ، وسوف نرى كذلك كيف تطورت الرهبنة على أيديهم .

ب - الغزاة الاريون ، وآثارهم في الهند :

يختلف المؤرخون اختلافًا كبيرًا حول هوية الآريين[2] فمنهم من نسبهم الى بلاد التركستان ، والبعض ذكر أنهم هبطوا الهند من السهوب الاوراسية[3] ، والآخر ذكر انهم جاؤوا من روسيا[4] .

ويؤكد البعض أن هؤلاء القوم هم ابناء عم الاوربيين[5] وقد أسهب المؤرخون في وصف هؤلاء الغزاة ، فتعرضوا لأحوالهم وأسمائهم ولغاتهم وعقائدهم ومعبوداتهم ووصفوا المعاناة الكثيرة والآلام التي تعرض لها السكان الاصليون (اى الدرافيديين) على أيدى هؤلاء الغزاة ، ومدى التنكيل الذى لحق بهم .

---

١ - معنى الارى : سميت الامة الهندية الاوروبية بعد نزوحها الى الهند بالامة الارية ، فكلمة آرى : (ARYAN) تطلق على الشرفاء . . . وهذا يدل على أنهم اعتبروا أنفسهم منذ قدومهم الى هذه المناطق الاسيوية بالشرفاء والسكان الاصليين فيها بالاراذل وعلى هذا الاصل اشتق اسم ايران . . . وبهذا يكون الاريون قد اعتبروا انفسهم سادة البلاد والاخرين خدما وعبيدا) . : الهند ، حضاراتها ودياناتها ص ٦٣

٢ - اديان الهندى الكبرى ، د . أحمد شلبي ص ٢٢-٢٣ ، مكتبة النهضة المصرية ط٤ ، ١٩٧٦ ، وانظر: الديانات القديمة لابي زهرة، ص ٢١-٢٢

٣ - تاريخ البشرية ، ارنولد توينبي ١/١٤٧

٤ - تاريخ الحضارات العام : ١/٥٥٠

٥ - قصة الحضارة : ٣/١ : ١٥

والذى يعني البحث من هذا كله هو أن الشعوب الهندية القديمة قد (اندمجت في الشعوب الغازية الجديدة، والتي لم تكن تعرف من المدنية شيئا بل كانت قبائل بربرية.[١]

- المعبودات الارية

لقد حمل الأريون معهم بعض المعبودات وطقوس العبادات الخاصة بهم والتي مارسوها قبل غزوهم للهند إلا أن الأمر الذى يبعث على التعجب هو إنحسار تلك العبادات بعد مدة من الغزو لتبرز من جديد عبادات الدرافيد بين المغلوبين على أمرهم، وسرعان ما تشكلت من كلتا الديانتين ديانة جديدة منبعثة من أصول العقائد الارية ومن التعاليم الدرافيدية.

وعلى الرغم من هذا الاندماج العقدى بين الفئتين إلا أن الأمر إختلف اختلافًا كبيرًا على الصعيد الإجتماعي، اذ ما لبث أن تحول الغزاة الآريون إلى وحوش كاسرة في وجه السكان الأصليين وعملوا على إبادتهم ونَكّلوا بهم، تماما كما فعل الغرب الاوروبي بالهنود الحمر في أمريكا إبان العصر الحديث.

وحيث إن أعداد السكان الأصليين كانت تفوق أعداد الغزاة فقد كان من الصعب إستئصال تلك الشعوب من جذورها.[٢] ولكي يحافظ الآريون على جذورهم وجنسهم من الاختلاط بغيرهم فقد فرضوا نظاما قاسيا تمثل بمجتمع الطبقات[٣] الذى - بفضله - استمرت سيطرة الاريين على مقدرات البلاد واخضاع العباد لاقسى انواع القهر والظلم والاستبداد.[٤]

---

١ - تاريخ البشرية: ١/١٤٦

٢ - راجع: الديانات القديمة لابي زهرة ص ٢٢-٢٣، والهند، حضاراتها ودياناتها ص ٦٥

٣ - لم يكن الاريون الوحيدين الذين قدموا الى الهند فقد دخلها من الشرق شعوب صفراء سموا بالتورانيين الذين دخلوا افواجا منذ الاف السنين " وبالتقاء الاريين والطورانيين (أو: التورانيين) مع السكان الأصليين بدأت الطبقات في الهند تصبح ذات أهمية كبرى في تاريخ هذه البلاد فمن الآريين كانت طبقة رجال الدين البراهمة (BRAhMAN) وطبقة المحاربين (كشتاريا KASTARIA) ومن التورانيين تكونت طبقة التجار والصناع (و VAiSuYA) اما الهنود الذين اتصلوا بالطورانيين فلم يدخلوا التقسيم في اول الامر ولكن الحضارة الارية امتدت الى بعضهم بمرور الزمن فاوجد الاريون منهم الطبقة الرابعة وجعلوها طبقة الخدم والعبيد (شودرا SudRA) اما السكان الأصليون لانهم انعزلوا عن الفاتحين فقد بقوا بعيدين عن التقسيم وظلوا طريدى المجتمع أو منبوذين (ONTCASTES): اديان الهند الكبرى ص ٢٥

٤ - راجع: شجرة الحضارة ٣: ١٥٢

وعلى الرغم من هذا كله ،فقد تمسك الشعب بمعتقداته واستطاع ان ينفذ بها الى عقول مغتصبيه وغزاته رغم العنت الذى لاقاه على ايديهم .

وقد عرفت اللغة السنسكريتية[(١)] بانهـــا لغة الغزاة والتي تألفت منها كتـــب الفيدا فيما بعد[(٢)]. وليس هناك تحديد دقيق لتاريخ قدوم الاريين لغزو الهنـــد انما هناك موشرات تدل على انهم دخلوا مقاطعاتـــها الشمالية الغربية بين عامي ١٦٠٠ و ٨٠٠ ق.م[(٣)]. بينما يرى البعض[(٤)] انه تم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

وقد استطاع الاريون توحيد قبائلهم في منطقة البنجاب وكونوا احزابا ثم اتحـــدوا واسسوا ممالك[(٥)] لهـــم .

واضاف الاريون الى عقائدهم المكتسبة من غيرهم كثيرا من المبادىء الدينيـــة وبها (تحولوا من الحرب الى التصوف الديني ، وأحدثوا تلك المجموعات من الالهـــة وتلك النظريات التي قامت عليها جميع معظم الفلسفة الهندية التي ظهرت فيما بعـــد كما تطـــور مفهوم الرهبنة لديهم تطورا كبيرا . ، ومن مجموع نظمهم أصبحـــوا اسلافا لاعظم المجموعات الثلاث (اى الطبقات الاولى) التي تحتل ارفع مكانة في هذا التقسيم الطبقي كما انتشرت لغتهم في معظم انحاء الهند).[(٦)]

---

١ - " اللغة السنسكريتية هي اللغة الاصلية للاريين والتي تكلموا بها قبل غزوهم للهند وبعده وهي من اللغات الاوروبية التي سميت بمجموعة " سنتوم (CENtum) التـــي تنسب اليها اللاتينية الاغريقية والكيلتية (CECEbe) والتيوتونية (teutonia) والالمانية والسالافونية (SlaVenin) انظر الهند حضاراتها ودياناتها ص ٦٣ اما غوستاف لوبون فانه يذهب الى ان ذلك كان فيما مضى اما الان فان السنسكريتية واللغات الاخرى هي اخوات اشتقت من لغة مشتركة ضائعة في الوقت الحاضر .) حضارات الهند ص ٤٧٨ .

٢ - تاريخ البشرية : ١/١٤٧

٣ - تاريخ الحضارات العام : ١/٥٥٧

٤ - الاسفار المقدسة قبل الاسلام د . علي عبد الواحد وافي ص ١٥١ ط ١٩٧١

٥ - تاريخ الحضارات العام : ١/٥٥٣ ٦ - شجرة الحضارة ٣/١٥٢

و يرى الشهرستاني ان بعض علوم الهند الدينية مشتقة من تعاليم الفلاسفة اليونان وكان لفيثاغورس أثر في هذه العلوم) الملل والنحل للشهرستاني ٥/١٩٩-٢٠٠

لقد ساعد التراث الهندى العلماء في الكشف عن خفايا العقائد الهندية ، الا ان المعضلة التي كانت تقف عقبة كأداء في طريقهم هي تحديد زمن كتابة هـــذا التراث فضلا عن مؤلفي الكتب الدينية التي اعتبروها مقدسة .

وتجدر الإشارة إلى أن كتب الآريين التي جاؤوا بها الى الهند أضيــف اليها كثير من العقائد الدرافيدية القديمة .

وبالانتقال الى مضمون هذه العقائد نرى كثيراً من أوجه الشبه بين معتقدات الطرفين ، فهناك عبادة الظواهر الطبيعية ، والافلاك ، والنجوم.[١] كما قدست أنواع كثيرة من الحيوانات كالبقرة التي لا زالت تعبد .إلى اليوم .

(كما كانت هناك عبادات طوطمية وهي عبادة روحانية لا رواح كثيرة تسكــن الصخور ، والحيوان ، والاشجار ، ومجارى الماء ، والجبال ، والنجوم ، وكانت الثعابين والافاعي مقدسات اذ كانت الهة تعبد ومثلا عليا تنشد في قواها الجنسية العارمة[٢]).

وقد تعددت الهة الآريين تعدداً يفوق كل وصف فكل ما هو قريب من الانسان ، وكل ما يخشى منه أو يحبب إليه يصبح آلهة بمضي الزمن حتى أن عدد هذه الالهة وصل إلى ثلاثين مليونا[٣].

---

١ - راجع في هذا الصدد : موسوعة التاريخ الاسلامي ، د . عبد الله مبشر الطرازى ٣١٨/١-٣١٩ و ٣/ ١٦٠-١٦٣ ، عالم المعرفة ، جدة ١٤٠٣ - ١٩٨٣م
وتاريخ الاسلام في الهند ، عبد المنعم النمر، ص ٢٦-٢٧ ، دار العهد الجديد للطباعة مصر ، ط١ ، ١٣٧٨-١٩٥٩م .

٢ - قصة الحضارة ٣/١ : ٣٠

٣ - المصدر السابق ٣/١ : ٢٠٧ وهذا ما جعل غوستاف لوبون يقول (. . . وعلى الباحث الا يجهد نفسه في البحث عن هندوسي يفترض أنهم استطاعوا ممارسة دين بلا آلهة.فكيف تجد هندوسياً لا يعبد آلهة والعالم عنده زاخر بها ، فالهندوسي يصلي للنمر الذى يفترس العامة وجسر الخط الحديدى الذى يصنعه الاوروبي ، والاوروبي نفسه عند الاقتضاء) حضارات الهند ص ٣٦٨

وقد أطلق على الديانة الآرية فيما بعد اسم " البرهمية "(١) ثم أطلق عليها اسم " الهندوسية ".(٢)

---

١ ـ نسبة الى " البرهمن " و " البراهما " ولهما مدلولات خاصة في اللغة الآرية الأولى . إذ أطلقت كلمة " برهمن " على العبادة والصلاة في البداية ، ثم على كهنوت معين ، وأخيرا على سيد الالهة ، والملحق (واسمه البراهماناس) على كتب الفيدا الأربعة ، واخيرا على الطائفة المفضلة لدى الهندوس) . : الهند القديمة ، حضاراتها ودياناتها ص ٨٩ .

ويرى البعض أن : (هذا الاسم أطلق ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة الى براهما (BRAHma) وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة ، حسب اعتقادهم ، والتي تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وانشاد الاناشيد وتقديم القرابين ، ومن براهما اشتقت الكلمة " البراهمة " لتكون علما على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طباعهم بالعنصر الالهي . وهم لهذا كانوا كهنة الأمة لا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم) راجع :أديان الهند الكبرى ص ٣٩ ، ويرى الشهرستاني أن " البراهمة " انتسبوا الى رجل منهم يقال له "برهام" قد مهد لهم نفي النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك في العقول) راجع : الملل والنحل ١٧٥/٥ . وقد استدرك الدكتور وافي على الشهرستاني ذلك وقال : وهي منسوبة للاله " براهما " (BRAhma) وهو عند معتنقي هذه الديانة اسم للاله الخالق ولا صحة لما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل من انها تنسب الى رجل عظيم منهم يقال له برهام ..) الاسفار المقدسة قبل الاسلام ،ص ١٥١

وفي رأيي أنه لا تعارض بين الشهرستاني والدكتور وافي لان الديانات الوضعية ومنها الهندوسية قد اتخذت الهتها وأصنامها ومعبوداتها اتباعا لتقليد الآباء والأجداد الذين وجدوا في مصلحيهم وزعمائهم ومرشديهم قدوة ومثالا يحتذى ومع تطاول العهود عليهم اتخذوا لهولاء اصناما تعبد من دون الله ، وعليه فان ما ذهب اليه الشهرستاني صحيح من وجه فالبيروني حينما تحدث عن عبادة الاصنام وكيفية اتخاذ المنصوبات قال : فمن وقتئذ تعمل الاصنام بعضها ذوات اربع ايد كما وصفنا وبعضها ذوات يدين بحسب القصة والصفة وبحسب صاحب الصورة وأخبروا أيضا بأن لبراهم ابن يسمى " نارد " لم تكن له همة غير روئية الرب وكان من رسمه في ترددهه اساك عصا معه ....) تحقيق ما للهند ص ٨٨ علما بانه قد بدأ حديثه عن كيفية اتخاذ عبادة الاصنام عبر العصور عند الامم السالفة كالروم واليهود والنصارى وما كان يعتقده الهندوس في هذا الصدد انظر ص ٨٤) من المرجع السابق .

٢ ـ اطلقت هذه الكلمة على الديانة (" البرهمية " الجديدة . وأول ما ظهرت هذه التسمية في القرون الاولى بعد المسيح) .

: حضارات الهند ص ٦٠٠

" الفصـــــــل الأول "

العقائد الهندوسية ذات الصلة بالرهبنة ونقدهـــا :

بالرجوع الى عقائد الديانة الهندوسية ، نجد انها تتسم بالأبهام وشدة الغموض،[1] كما يرى الباحث فيها عجبا من كثرة التعدد كما أسلفنا سابقا. وقد علل بعض العلمـــاء هذه الظاهرة بان لدى الهندى اعتقاداً بان الحواس البشرية (لا ترى من الحوادث التي ندركها سوى ظواهرها ، ويعتقد أن وراء هذه الظواهر كائنات روحية لا حصـــر لـــعددها ، يمكن ادراكها بالعقل لا بالحواس . . . ولـــقد ادى تسامح البراهمة ذو المسحة الفلسفية الى الزيادة من ذخيرة آلهتهم حتى ازدادت كثرة على كثرة ، ذلك أن الآلهة المحليين والهة القبائل المختلفة قد صادفت عند الهندى سهلا ومرحبـــا فتقبلها وفسرها بأنها جميعًا تصور جوانب مـن الالهة الاصلية .)[2]

اولا : تعدد الالهة ـ والتثليث :

أن تعدد الآلهة الهائل، أربك البراهمة وأوقعهم في حيرة وذلك نتيجـــة التخبط في معرفة الحقيقة والتوجـــه نحوها . ولهذا نرى بمضي الازمنة أن العقـــل الهندى بدأ يشعر بالملل من هذه الكثرة ، وقد أخذ تدريجيا يتحول عنها ويحصرها في ثلاثة :

١ـ: براهمـــا ـ

وقد اعتبر " الاله الخالق ، مانح الحياة ، والقوى ، الذى صدرت عنـــه جميع الاشياء ، والذى يرجو لطفه وكرمه جميع الاحياء ، وينسبوا اليه الشمس التيبهـــا يكون الدفء وانتعاش الاجسام وتجرى الحياة في الحيوان والنبات ، ومن الأساطير التي حيكت حوله (أن براهما كان قبل الوجود في فضاء لا نهاية له ، فرغب أن يكـــون كثيرا ، فخلق العالم بقوة إرادته وبفيض من ذاته (نظرية وحدة الوجود) وسمى نفسه الخالق ، ثم انبثق منه الالاه المدمر ، وهو الالاه سيفا الموكل بالخراب والفناء ، فـــلا يسذر من شيء أتى عليه الا جعله كالرميم ، ولو ترك هذ الالاه وشانه لفنيت السماوات والارض ومن فيهن . ولهذا انبثق من براهما الاه ثالث حافظ مجدد وهو الالاه فيشنو (Vichnou)[3]

---

١ ـ راجع حضارات الهند ، ص ٢٨٠

٢ ـ قصة الحضارة : ١/٣ : ٢٠٩

٣ ـ الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ١٨٥-١٨٦

وللمزيد يراجع : مجلة ثقافة الهند المجلد الرابع مارس سنة ١٩٥٣ العدد الاول ص ٢٢

٢ : سيفا

وهو عندهم الإله المخرب المفني الذى تصفر به الاوراق الخضراء ،ويأتي بالهرم بعد الشباب ... وينسبون إليه النار لأنها عنصر مدمر مخرب إن تأجج لا يبقي ولا يذر .

ولسيفا هذا عبادات خاصة به اذ يقوم الشيواثيون (نسبة اليه) باقذر عبادة عرفها البشر ، (فقد اخترع بيسوا لهولاء في القرن الثاني عشر هذه العبادة ومفادها أن هولاء زينوا معابدهم بتماثيل أعضاء التناسل للذكر والانثى حتى أنهم حطوا صورا من ذهب وفضة تمثلهما فيقبلونهما بين حين وحين مصلين لهما، وقد سميت هذه العبادة باسم زوجة سيفا وهي "كالي" ، ولا تجد عبادة أدت إلى مناظر مخالفة للذوق والأدب كعبادة كالي الهائلة ... وفي سبيل تمجيد هذه الالهة امتزجت الدعارة بالقسوة فأريقت على مذابح معابدها دماء الضحايا البشرية ... وقد ابطلت هذه الضحايا في الزمن الأخير إلى الأبد لدى الأهالي البراهمة ولا يزال يرى في معابدها من الفحشاء والمنكر من الدعارة ما يستحيل وصفه ...[1]) .

كما تسمى هذه العبادة باسم " اللنجا " يقول غاندى عنها (جاءنا اضيافنا الغربيون اخر الامر يفتحون اعيننا لجوانب الفحش التي في طقوسنا بعد ان كنا نمارسها حتى عهدهم ممارسة بريئة ،لقد عرفت لأول مرة أن "شيفا لجام" (نسبة الى سيفا) ترمز الى الفاحشة من كتاب لبشر مسيحي)[2] ..

وتباع إلى الآن تماثيل صغيرة ترمز الى عضوى التناسل عند الرجل والمرأة ،في الاسواق الهندية ، دون أى وازع من أدب أو أخلاق .

٣ : فيشنو

يعتقد الهندوس ان هذا الأخير (حل في المخلوقات ليقي العالم من الفناء التام)[3]

ويرى البعض ان فشنو هو اله الدرافيديين الذين استطاعوا ادخاله ضمن المعبودات الآرية وان نظرية التجسد في هذا الاله ترجع اليهم وعن طريقهم دخلت هذه العقيدة ... وانتقلت فيما بعد الى اليونان عبر التقاء الحضارتين في عهد الاسكندر ومنهم الى الرومان ومن ثم الى المسيحيين .[4] .

---

١ - حضارات الهند ،ص ٦٠٣-٦٠٥ وقارن مع قصة الحضارة ٣/١ : ٢٢٢

٢ - المصدر السابق ٣/١ : ٢٢٤ وقارن مع المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٨

٣ - الديانات القديمة : ٢٧ - ٢٨

انظر:
٤ - الهند ، حضاراتها ودياناتها ص ٩٣

والى جانب هذه الالهة هناك الهة صغرى ، وقد اختلفت عن بعضها وتعددت [١] وتكونت منها درجات .

ووسط هذا التعدد هناك ازمنة مرت على الهند شهدت خلالها ميلا الى التوحيد [٢] ، الا ان هذا التوحيد مشوب بالتثليث ، فقد زعم البراهمة ان الالهة الثلاثة براهما وسيفا وفيشنو هي اقانيم ثلاثة لاله واحد ، والاله للواحد هو الروح الاعظم واسمه بلغتهم (آتما) [٣] .

ولا بد من القول : إن هذه المقولة قد فتحت بابا امام المسيحيين ، فيما يسمى بـ " تثليث في وحدة ووحدة في تثليث " [٤] .

وهنا ينبغي التنويه بأن مبدأ التوحيد الهندوسي مخالف تماما لعقيدة التوحيد الاسلامية ، لان التوحيد الكامل هو التوحيد (في العبادة والخلق والاعتقاد . وهو ما يعبر عنه بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد الالوهية . فتوحيد الربوبية : هو الاقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه ، وانه المحيي المميت النافع الضار المتفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار . . .

- اما توحيد الاسماء والصفات ، فهو الاقرار بان الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وانه الحي القيوم الذى لا تاخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة . . .

- اما توحيد الالوهية : فهو مبني على إخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف والرجاء والتوكل ، والرغبة والرهبة ، والدعاء لله وحده وينبني على ذلك اخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له .) [٥]

---

١ - تاريخ الحضارات العام : ١/ ٥٧٠ والديانات القديمة : ٢٨

٢ - اديان الهند الكبرى : ٤٧

٣ - الديانات القديمة : ٢٨

٤ - أديان الهند الكبرى : ٤٨

٥ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الرابعة ١٤٠٠ ، المكتب الاسلامي بيروت .

فالتوحيد الاسلامي بعيد كل البعد عما يدعيه البراهمة وذلك لان الديانة الهندوسية متقلبة ومتطورة في عقائدها فمن هذا التطور ان هذه الديانة رغم احتوائها على مبدأ التثليث فقد اكتشف العلماء وجود عقيدة الحلول والصلب والفداء ، فقد ادعوا أن احدى الهتهم قد حلت في رجل يدعى كرشنا ، والعجيب ان اساطير كرشنا التي تتحدث عن ولادته العجيبة وسيرة حياته وقدراته الهائلة مثالة تماما لما تدعيه المسيحية في المسيح (عليه السلام) ويرى بعض العلماء تطابقا يكاد يكون تاما بين ما جاءت به الكتب الهندوسية عن كرشنا وما قدمته المسيحية من كتب عن المسيح . (١)

والأمر المتعلق بموضوع الرهبنة ينحصر باله الخراب والدمار عندهم اى "سيفا" والذى وصف بانه أمير النساك والرهبان ، مما يعطي انطباعا اكيداً بان الرهبان والنساك هم الذين اخترعوا هذه العقائد ، واحاطوها بالاساطير والخرافات التي ظلت الى يومنا هذا .

---

١ - راجع : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ص ٣٦ وما بعدها ١٨ /ربيع الثاني /١٣٣٠ هـ بيروت .
وقارن مع : الديانات القديمة ص ٢٨ - ٢٩

ثانيـــا : الكــــارمــــــا

من ضمن العقائد المتصلة بالرهبنة الهندوسية ما يسمى بـ (قانون الجزاء) ويطلق عليه اسم (الكارما) وهو يندرج تحت سلسلة الآراء المعقـــدة[1] التي تكتنف الديانة الهندوسية .

وهذا القانون ينادى بأن (الانسان يحصد ما يبذر)[2] فللفرد - حسب اعتقادهم - (في تاريخـــه الروحي حريته الداخلية الكاملة)[3] . فما (يعملـــه الانسان الآن يجلب ما سيعمله في المستقبل وما سيعمله في ذلك المستقبل سيخلق المستقبل الذى يليه وهكـــذا باستمرار ....)[4] . وعلى ذلك فقد نص الهنـــدوس على أن هذا الجزاء يكون في الدنيا .[5]

(فالحياة لا يمكن فهمها الا على افتراض ان كل مرحلة من مراحل وجود النفـــس تعاني العذاب او تتمتع بالثواب جزاء وفقا لما وقع من النفس في حياة ماضية مـــن رذيلة أو فضيلة اذ يستحيل على فعل صغير أو كبير خيرا (كان) أو شرا أن يمضي بغير أثر . إن كل شيء لا بد له من أثر يظهر ذات يوم)[6] .

إلا أن الهندوس لما وقعوا في حيرة من أمرهم نتيجة تبنيهم لهذه الفكـــرة التي لم توجد لهم حلا لبعض الاسئلة التي اعترضتهم ومنها ما لاحظوه (من واقـــع الحياة (حيث) إن الجزاء قد لا يقع : فالظالم قد ينتهى دون ان يقتص منـــه والمحسن قد ينتهى دون أن يحسن اليه ولذلك لجأوا الى القول بتناسخ الارواح .)[7]

وعليه فان الـكارما (ترتبط ارتباطا مباشرا بالتناسخ الذى لا يمكـــن فهمه دونها)[8]

ولهذا القانون شق آخر .. (فالروح) بعد (موت جسدها يجوز أن ترســـل الى الجنة لتنعم بجزاء سريع عبر فضيلة بذاتها ،لكن يستحيل على روح أن تقيم فـــي الجحيم ،وقليل من الأرواح هي التي يسمح لها بالاقامة في الجنة الى الأبد ذلـــك لأن الروح لابد لها بعد فترة تقضيها في الجنة أو الجحيم أن تعود الى الأرض من جديد تتغذ بحياة جديدة - ما يقضي به عليها - كارما) .[9]

---

١ - انظر حول هذا التعقيد : تاريخ الحضارات العام ٥٦٨/١ ، الفكر الفلسفـــي الهندى : د . سرفبالي رادا كرشنا ص ١٢ - ت: ندرة اليازجي ، دار اليقظة العربية .
٢ - ، : أديان العالم : حبيب سعيد ص ٧٩ ، دار التأليف والنشر ، القاهرة
٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٣ .
٤ - الفلسفات الهندية . د . علي زيعور ص ١٣٢ دار الاندلس ، ط١ ، ١٩٨٠ .
٥ - اديان الهند الكبرى ص ٦٢ ٦ - قصة الحضارة ٣/١ : ٢١٥-٢١٦
٧ - أديان الهند الكبرى ص ٦٢ ٨ - الفلسفات الهندية ص ١٣٢
٩ - قصة الحضارة ٣/١ : ٢١٥-٢١٦

نقـد قانون " الكارما " :

ان هذا القانون فضلا عن كونه من صنع الكهنة والرهبان الهندوس.
- لا يستند الى أي نص شرعي مؤيد برسالة من عند الله ، بل وضع تكريسا لنظام الطبقات وقد أريد من ورائه (تقييد الكائن الحي بعمله)[1] فعلى كل فرد من الطبقات الدنيا البقاء ضمن دائرته التي وضعت له والا عوقب .

وهذا القانون مفروض على كل انسان يدين بالبرهمية[2] . وله آثار خطيرة ، ولم يلجأ الهندوس اليه الا بعد شعورهم بحرج الاسئلة الموجهة اليهم ، وعليه فان هذا المبدأ كان مشوشا في عقول أصحابه ، لذا فقد التمسوا الحلول من عقائد أخرى .

وفكرة الجزاء والعقاب ضرورية للانسان . ولكن لا على النحو الذى ذهبت اليه الهندوسية ، التي قصرته على الحياة الدنيا ، ورقعته بفكرة التناسخ خروجا من التورط .

وفي المقابل فان أسمى تفسير واقعي وعلمي لقانون الجزاء والعقاب نجده في مبادئ الاسلام الحنيف الذى كفل للبشرية اقامة نظام متكامل قائم على الحق والعدل ، لا يضيع فيه جزاء فرد ، ولا تهدر فيه كرامة مجتمع . فمن الركائز الأساسية لهذا المبدأ ما جاء في قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة : ٧-٨ وقوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) فصلت : ٤٦ وقوله (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) القصص : ٨٤ ، وهذه هي القاعدة التي تحكم قانون الجزاء والعقاب في الشريعة الاسلامية ، وعليه فإن الجزاء فضلا عن كونه أمرا واقعا في الآخرة فهو في الدنيا أيضا حياة طيبة جزاء من الله تعالى للعبد الصالح لقاء تقواه وخشيته من ربه فمن ذلك : التوسعة عليه في الرزق ، واصلاح الذرية ، واطالة العمر ، والحفظ من الاخطار .

أما أثره في المجتمع : فيكون بالنصر على العدو تارة ، أو التقدم والترقي في نظم الحضارة ، وذلك وفق سنن الله تعالى في الخلق والكون .

أما الجزاء الآخروى : ففيه النعيم المقيم . حيث : (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[3] . وفي ذلك يقول تعالى (سابقوا الى مغفرة من ربكم و جنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) . الحديد : ٢١

اما العقوبة فهي منصوص عليها في كتب الفقه الاسلامي تحت باب الحدود ، وفق ما قرره الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، . هذا في الدنيا . أما في الآخرة فان الله تعالى يحاسب الناس جزاء ما اقترفته أيديهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) الشعراء : ٨٨ ، فالكافرون لهم عذاب شديد يوم القيامة (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) النبأ : ٤٠ - (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا) الانشقاق : ١٠-١٢ . وهكذا يعيش الانسان في الاسلام واقعا ملموسا بعيداً عن جنوح الخيال ، واختراع الوسائل للسيطرة على بني البشر .

---

١ - راجع : شرى ايشوبانيشاد ص ٢٠ ٢ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٣
٣ - صحيح البخارى ٤/٨٦ ، ط ، استانبول ٤ - للمزيد يراجع : بحث " نظرية العقوبة في الاسلام " لابي زهرة ، كتاب المؤتمر الرابع " بحوث في الفقه والمجتمع ص ١٣٦ ، القاهرة ١٣٨٨هـ - وكذلك دستور الاخلاق في القرآن . د . محمد عبد الله دراز ص ٢٤٣ وما بعدها ط١ - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ت : د . عبد الصبور شاهين . مؤسسة الرسالة ، دار البحوث العلمية .

ثالثـــا : تناسخ الارواح

ـ التناسخ هو عبارة عن (تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بـــدن اخر من غير تخلل زمان بين المتعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد)(١)

وهذا المبـدأ متصـل اتصالا مباشرا بما قبله ، وقد اعتبره بعض العلماء هو والكارما سواء (٢)

فالكارما هو جزاء النفس على ما قدمت عبر الولادات المتكررة وهي التـــي تتحكم بمصير الانسان ،كما اسلفنا .

اما التناسخ فانه تكرار الولادات وتعاقبها وانتقال النفس من جســـد الى اخر " سواء أكان من الانسان ام من الحيوان " .

(" وسبب التناسخ او تكرار المولد هو :

اولا : ان الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها اهواء وشهوات مرتبطة بالعالـــم المادى لم تتحقق بعـد .

ثانيا : انها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالاخرين لا بـــد من ادائها فلا مناص اذاً من أن تستوفي شهواتها في حيوانات أخرى وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة)(٣).

إن الأصل الذى بنيت عليه عقيدة تناسخ الأرواح يستند الى كتب الهندوس المقدسة والتي يرجعها الفلاسفة الهنود (الى عصر الملاحم وقد اشتقت هذه الفتـــرة من القصيدتين الحماسيتين " رامايانا ، ومهابهاراتا ".

وقد تضمنت هذه الاخيرة ملحمة (بهاجفادجيتا) التي اعتبرت مؤلفـــا دينيا اكثر مما هي مقالة فلسفية ،ولم يكتبها نفر أو مدرسة مفكرين كمنهج فلسفي بـــل كاسطورة تنبعث من حياة الانسان الدينية)(٤).

ويذهب بعض العلماء الى ابعد من ذلك موضحا ان هذا المبدأ كان (ثمـــرة لجهود البراهمة حتى لا يخسروا معركة النفوذ والسلطة ازاء العامة . . . فقالوا : ان النجاة لا تكون بالاضاحي وحدها ولا بالرياضات وحدها بل باندماج الروح الاصغـــر بروح المخلوقات " بالروح الاعظم " وهذا الاندماج لا يتم الا بالتناسخ)(٥).

---

١ ـ : التعريفات لابي الحسن علي بن محمد الجرجاني ، مادة التناسخ ، الدار التونسية للنشر .

٢ ـ انظر الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص ١٥٨

٣ ـ اديان الهند الكبرى ص ٦٣ . وراجع مجلة ثقافة الهند العدد ٢ ، ١٩٥٠ ص ٤٢

٤ ـ الفكر الفلسفي الهندى ص ١٥١

٥ ـ مأساة كشمير المسلمة ص ٣٠-٣١

ولهذا فان البراهمة ارادوا وضع صيغ وطقوس بل واساطير من اجل ترسيخ هذه الافكار في عقول الناس من طريق القصص الخرافية .

وقد اورد الشهرستاني اسطورة يستند اليها البراهمة في هذا الصدد فمن ذلك قوله (اما تناسخية الهند فأشد اعتقادا في ذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة وهو أبداً كذلك فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل منه دهن فيجتمع في أصل الشجرة في مغارة ثم اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق (اى خلق) من هذا الدهن مثله طير فيطير ويقع على الشجرة وهو ابدا كذلك ، قالوا : فما مثل الدنيا وأهلها في الادوار والاكوار الا كذلك)(١)

ويوضح ابو الريحان البيروني أهمية هذه العقيدة لديهم فيقول (كما ان الشهادة بكلمة الاخلاص شعار ايمان المسلمين والتثليث علامة النصرانية والاسبات علامة اليهودية كذلك التناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يكن منها ولم يعد من جملتها)(٢).

ويربط الرهبان الهندوس هذه العقيدة بمبدأ الخلاص ، الذى له مفهوم خطير لديهم ، وقد يؤدى الى الموت بعد تعذيب مريع للجسد ، فالانسان عندهم يجب ان (يكتمل روحيا واخلاقيا قبل ان يحقق الخلاص (وكما ان) العدالة هي قانون الحياة الاخلاقية تماما كما ان العلة والمعلول هما قانون العالم الطبيعي وما يزرعه الانسان اياه يحصد وبما ان العدالة والكمال الاخلاقي والروحي لا تتحقق في حياة واحدة لذلك تؤمن هذه العقائد بالولادة الثانية حتى تعطى فرصة للانسان لكي يتقدم اخلاقيا ولكي ينال الكمال ...)(٣) .

ومن النصوص التي يستند اليها الهندوس في هذا الشأن ما يلي :

- (وبما ان الروح تمر في هذا الجسد في الطفولة والشباب والشيخوخة هكذا تأخذ جسداً آخر ، ولا يضطرب الحكيم لهذا ...

- (اعلم ان كل ما يعلم في الاشياء لا يفنى ولا يدرك ....

- (من يعتقد ان هذا يذبح ومن يعتقد ان ذاك مذبوح ، كلاهما يفشلان في ادراك الحقيقة ، هذا لا يذبح وذلك لا يذبح .

- (لا يولد ابدا ولا يموت ابدا ، وعندما يوجد لا يتوقف عن الوجود انه غير مولود ابدى ، وازلى ، لا يذبح عندما يذبح الجسد .

- (كما يلقي الانسان بثيابه الممزقة بعيدا ويلبس ثيابا جديدة ، هكذا تلقي الروح المتسجدة الاجساد وتلبس اجسادا جديدة)(٤) .

---

١ - الملل والنحل ٥/١٨١ - ١٨٢   ٢ - تحقيق ما للهند من مقولة في العقل مقبولة او مرذولة لابي الريحان البيروني ص ٣٨ دائرة المعارف العثمانية حيدراباد الدكن ، الهند ١٣٧٧ - ١٩٥٨م

٣ - الفكر الفلسفي الهندى ص ١٩ - ٢٠   ٤ - المصدر السابق . ص ١٦٤

وقد انتقلت هذه العقائد الى بعض ممن انتسبوا الى الاسلام[1]، وقد ظهر ذلك في فرق غلاة الشيعة[2]، وقد رد الامام ابن حزم على تلك الدعاوى[3]، وفند مزاعمهم، وهي في معظمها لا تخرج عن الاراء الهندوسية.

ويروى ابن الجوزي عن ابن نظيف (ان شيخ الامامية يعرف بابي بكر ابن الفلاس فحدثنا انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور اسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكي بكاء شديدا فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها، هذه أمي لا شك، وانما تبكي من روءيتها إليّ حسرة. قال: واخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له: فهي تفهم عنك ما تخاطبها به فقال: نعم. فقلت: أتفهم انت صياحها قال: لا. قلت: فأنت المنسوخ وهي الانسان.)[4]

---

١ - لاحظ انتقال هذه العقيدة بين الامم في: دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، د. عرفان عبد الحميد هامش ١ ٨ موءسسة الرسالة ١٤٠٤ ط١ وانظر كذلك كتاب: الاسلام، سعيد حوى ٤/١٢٧، موءسسة الرسالة بيروت ط١ ١٣٩٠ - ١٩٧٠

٢ - راجع في هذا الصدد: الملل والنحل، للشهرستاني ٢/١١٧ وما بعدها مطبعة ومكتبة محمد علي صبيح، القاهرة. وكذلك: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي ص ٢٥٣ وما بعدها: دار الافاق الجديدة بيروت ط٤، ١٤٠٠/١٩٨٠م

٣ - راجع رد الامام ابن حزم في: الفصل ١ / ٧١ وما بعدها.

٤ - هذه الرواية أسندها ابن الجوزي الى ابى الحسن على بن نظيف المتكلم برواية عن محمد بن ابي طاهر البزار عن علي بن المحسن عن ابيه.. وقد حكى ابن الجوزي، مقالة الفراعنة عن التناسخ، ثم تعرض لشرح مقولة الهنود عنها. راجع: تلبيس ابليس ص ٨٠، دار الكتب العلمية، بيروت

- نقـــد عقيدة التناسخ :

وجـه الدكتور محمد ضياء الرحمن الاعظمي نقدا علميا الى هذه العقيدة باعتباره متخصصا ،في هذا المجال ، وذلك عندما ناقش الادلة العقلية التي اقامها العلماء الهندوس للدلالة على صحة ما يعتقدون ، فاجاب على اربعة ادلة وناقشها ورد شبهها ، وسنورد دليلين كمثال على ذلك .

(الدليل الاول : ان طبيعة الكون تثبت نظرية التناسخ ،فالشمس والقمـر والكواكب كل منها تطلع وتغرب ، تظهر وتختفي ،تكون الكواكب مرة في هذا البـرج ومرة في ذلك ، فكذلك الارواح المتنقلة .

الجواب : لم تكن الشمس يوما من الايام قمرا ولا القمر شمسا ولا الكواكـب بحرا ،بل كل في فلك يسبحون بأمر الخالق ،بخلاف أرواحكم ايها الهندوس ،فهي مرة تكون في جسم الانسان ،ومرة في جسم الكلب ،ومرة في جسم الخنزير ،وهكذا ، فقارنوا بين طبيعة الكون و طبيعة الارواح . ....

ومن جملة الادلة ايضا

الدليل الثالث : يقولون ان القول بعدم التناسخ يؤدي الى تعطيل الارواح مع أنها أزلية .

الجواب : هذا الدليل مبني على اعتقادهم الفاسد وهو أزلية الروح والمـادة لأنه يؤدي الى احتياج الخالق الى الروح والمادة عند الخلـق ،وهو غني عن كـل شيء وقادر مطلق حتى في اعتقاد الهندوس" سروشكتي مان " اى القادر المطلق).(١)

وما يمكن توجيهه من نقد لهذه العقيدة ايضا :

- ان هذه العقيدة تجعل الانسان يدور في حلقة مفرغة لا يعرف مبدؤها من منتهاها ، وهو ما يؤدي الى الضياع .

- ان استمرار ادوار التناسخ والتقمص يؤدي الى القول بازلية الآجـال والنفوس ،وهو ما ينافي الشرع والعقل .

- ان في هذه العقيدة اقلالاً من فرص التوبة امام المسيئين للرجوع عـن اخطائهم ،لانها تنادى بحتمية الارتهان للنتائج ،فهي عملية جبرية تسلب عـن الانسان حريته وارادته .

- انها دعوة لتثبيط الهمم واماتة روح التقدم . (٢)

ولهذا كله نرى التاخر في الهند يطغى على مقومات الحياة .

١- مجلة الجامعة السلفية ، مقال بعنوان ،عقيدة التناسخ او جولان الروح ، المجلد الرابع عشر العدد الاول ،يناير ١٩٨٢ ، ربيع الاول ١٤٠٢ ص ٦ وما بعدها . الهند ،بنارس

٢- انظر : الاسلام ،سعيد حوى ٤/١٢٨ - ١٣١

رابعـــا : الاتحـــاد ـ أو "الانطلاق"

يرتبط هذا المبدأ ايضا بما قبله ، فالكارما وتناسخ الارواح عقيدتان لازمتان للوصول الى الاتحاد . فالمرتقي في العبادة المتقشف عن الملذات الحسية يعطي لنفسه في هذه الحالة مجالا للاتحاد والامتزاج ببراهما كما يدعون .

وذلك لان معنى (اكتمال الميول والشهوات هو توقفها ، وتغلب الانسان على نفسه بحيث لا يبقى له شهوات ولا ميلا بل يقتنع بما حصل عليه ولا يتطلب مزيدًا ، فاذا تم ذلك مع انقطاع عن الاعمال وعن علائق الدنيا وما فيها من ملاذ وعصيان تلك الشهوات التي تستلزم تكرار المولد . اذا تم ذلك نجا من تكرار المولد وامتزج ببراهما) (١) .

ومن النصوص التي يستند اليها الرهبان الهندوس للدلالة على هذه العقيدة ما يلي :

-(من يعرف المغزى الحقيقي للفيـــدا ، مهما كان نوع نظامه يصبح ملائما لان يتحد مع براهما ، ولو كان في هذا العالم .

- من يعرف الروح من خلال الروح في كل الكائنات المخلوقة يصبح بمســلية واحدة نحوها كلها ويدخل الحالة العليا (براهمان) .

- الانسان المولود ثانية من يتلو الكتب المقدسة التي ألهمها "مانو" يكون فاضلا ويصل الى الحالة التي يريدها) (٢) .

وفي المرحلة الرابعة من المراحل التي يقســمها الهندوس لحياة الناس وهي مرحلة الشيخوخة ، تصبح غاية الانسان الوحيدة هي الحصول (على ذلك القدر من الحكمة ومـــن الروحانية ، الذى يمكنه في نهاية الامر من الاتحاد بالربوبية العليا) (٣) .

الا ان هناك نوعا من انواع الممارسة التعبدية التي تعتبر بلا شك اشد حالات التطرف النسكي في حياة الرهبنة الهنـــدوسية .

اذ ان اليوغا (٤) تمثل قمة النشاط الديني الهندى من حيث الاتحاد ببراهما ـ عندهم ـ ولا مجال لشرح الاعمال الطقسية المتنوعة التي يمارسها اليوغي لهذا الاتحاد الا ان الطابع العام لهذه الطقوس يتسم بالمغالاة التي تصل الى حد تعذيب الجسد والنفس تعذيبـــا شديدا تكون نتيجته الحتمية في النهاية لفظ الروح دون تردد .

ولم يقتصر التطرف على الناحية العملية في ممارسة اليوغا بل تعدى الى القول بـأنه ليس من مهمة الروح المعذبة على يد ممارس اليوغا ان (تتحد مع براهما وكفى بل تصبح (هي) نفسه اذ ان براهما ليس الا ذلك الاساس الروحي الخبيء ، ذلك الروح اللامادى الـــذى لا ينفرد بنفس والذى يبقى بعد ان تطرد بالرياضة كل علائق الحواس) (٥)

---

١ ـ اديان الهند الكبرى ص ٦١ وكذلك راجع ثقافة الهند العدد الثاني ص ٤٦ سنة ١٩٥٠ وكتاب محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة . د . محمد جلال شرف . مكتبة كريدية اخوان ص ٥٣ واديان العالم ، حبيب سعيد ص ٨١

٢ ـ الفكر الفلسفي الهندى ص ٢٧٣ ٣ ـ قصة الحضارة ٣ / ١ : ٢٢٩

٤ ـ يرجع ظهور اليوغا الى عام ٨٠٠ ق م) الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٠

٥ ـ قصة الحضارة ٣ / ١ : ١٦٥

ومن نصوصهم الدالة على اليوغا

(قال الرب المبارك : (من يعرف مجدى وقدرتي هذه يتحد في باليوجا التي لا تخطئ ولا شك في هذا) .و (الذين يعبدونني ويتحدون في باستمرار أمنحهم قدرة الفهم التي يأتون بها إليّ) (١)

ابطال مقولة الاتحاد :

لقد أعطى الهندوس ذريعة كبرى لمن جاء بعدهم في توسيع مفهوم الاتحاد ، وكان ابرز من تمسك بهذه المقولة وعمل بها هم النصارى الذين اختلفت اقوالهم فيها اختلافا كبيرا . وقد تولى العلماء المسلمون الرد على مقولة الاتحاد وابطالها بطرق عديدة ومتنوعة فمن ذلك ما اورده الامام ابن تيمية بقوله :

(.. الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كانا بعد الاتحاد اثنين - كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد . وان كانا استحالا الى شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ..... لزم من ذلك ان يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره ، فانه لا بد ان يستحيل وهذا ممتنع على الله تعالى ينزه عنه . لان الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودا . والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع العدم على شيء من ذلك ، ولان صفات الرب اللازمة له صفات كمال ، فعدم شيء منها نقص يتعالى الله عنه ولان اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي ان العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب ، وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل والرب تعالى يلازمه القدم والغنى والعزة وهو سبحانه - قديم غني عزيز يستحيل عليه نقيض ذلك ، فاتحاد احدهما بالاخر : يقتضي ان يكون الرب متصفا بنقيض صفاته : من الحدوث والفقر والذل ، والعبد متصفا بنقيض صفاته من القدم والغنى الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك ممتنع) .(٢)

ويرد الامام الغزالي على دعوى الاتحاد بادلة عديدة منها :

(....ان الاله اذا كان خالقا للناسوت ثم ظهر فيه متحدا به ، فقد حدثت له صفة بعد خلقه وهو اتحاده به ، وظهوره فيه * فنقول : اذا هذه الصفة ان كانت واجبة الوجود استحال اتصافها بالحدوث وان كانت ممكنة الوجود استحال اتصاف البارى بها لان صفات البارى كلها واجبة الوجود لان كل ما لزم من عدم وجوده محال فهو واجب الوجود ، وصفات الاله يلزم من عدم وجودها محال بين) .(٣)

كما انبرى حديثا بعض العلماء للرد على هذه المقولة ومن بين تلك الردود ما يلي :

---

١ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٠٠ - ٢٠١

٢ - م.فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢ / ٣٣٩ وكذلك يراجع الجواب الصحيح ٢ / ١٦١

٣ - الرد الجميل للامام الغزالي ص ٢٧٠ ، ت عبد العزيز عبد الحق حلمي الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية القاهرة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤

(.. من طرق البرهنة على فساد الاعتقاد بالاتحاد ، ايراد هذه الاحتمالات :

١ - اما ان تظل كل ذات من الذاتين موجودة .

٢ - واما ان تفنى احداهما وتبقى الاخرى .

٣ - واما ان تفنيا معا .

وفي الحالة الاولى لا يكون هناك اتحاد ،

وفي الثانية :

كيف يمكن الزعم بان هناك اتحادا بين موجود ومعدوم؟

وفي الثالثة :

لا يكون هناك محل للحديث عن الاتحاد ، بل الاولى ان نتكلم عن الانعدام . والتناقض واضح في جميع هذه الاحتمالات .) ١

---

١ - المؤامرة على الاسلام ، انور الجندى ص ٦١ - دار الاعتصام
وكذلك عقيدة الدروز ص ٢٠٣

خامسا : الحلول "أو التجسد"

هذه العقيدة انتقلت الى الهند وسعبر الدراوديين ، الذين استطاعوا ادخال عقائدهم في ديانة الغزاة ، وهم يقصدون من هذا القول : بان الذات العليا السامية قد حلت في الانسان .

(وكان ابرز هذه الالهة تتمثل بفشنو الذى يرّى فيه الدراوديون انه يحل في الابطال الاسطوريين القدامى).(١)

لقد استطاعت هذه العقيدة ان تشق طريقها الى الهند وسية كرد فعل للتسلط البرهمي الارى ،وقد اصبح فشنو فيما بعد منافسا قويا لبرهما وكرشنا ومع مرور الزمن حل فشنو وسكن في كرشنا) .(٢)

ومن شروح الهندوس لهذه العقيدة قولهم (تعتبر الجيتا (كتاب مقدس عندهم) ان كرشنا هو تجسد (افارتارانا) او حلول المقدس في الشكل الانساني واذا بدا الله اللانهائي في الوجود النهائي خلال الازمان فان بيانه يكون في لحظة معينة ويتخذ طبيعة انسانية واحدة بواسطة الشخص المقدس وحرر ذاته المركبة التي بها يحقق الكمال المقدس فأته،كما يميل الى ان يكون متناهيا . ان نظرية افارتا هي تعبير عن قانون العالم الروحي واذا نظر الى الله انه مخلص الانسان فانه يلزم ان يثبت نفسه ويبينها عندما تهدد قوى الشر وتعمل على تهديم القيم الانسانية . عالم الجيتا هو مشهد لصراع نشيط بين الخير والشر يهتم به الله كثيرا ويقدم كل محبته لكي يساعد الانسان ليقاوم كل ما يسبب له الخوف او الشر او البشاعة) (٣)

فكرشنا على هذا الراى يكون قد حل في الانسان ليخلصه ، فهو بمثابة اله شخصي يهتم بالعالم وقد هبط الى الارض لهذا الغرض

ومن الصفات التي يضيفونها اليه (انه محبة ،وبسبب ذلك تجسد . ان الكائن الاعلى متسامح ،يتقبل جميع انواع الايمان والاعتقادات لا يتعصب لشكل واحد ومعين من التعبد،او لبلوغ الاشراق يكفي الاخلاص وحرارة الايمان : ليس هو الها غيورا ولا غضوبا ولا محتكرا انه يتقبل كل ميل تقي مهما كانت طبيعته ،وذلك الكائن الاعلى موجود في كل شيئ) (٤) وله عندهم أوصاف كثيرة اقتبس منها النصارى ما اطلقوه على عيسى عليه السلام .(٥)

١ - : الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٠-١١٢

٢ - المرجع السابق

٣ - الفكر الفلسفي الهندى . د . رادا كرشنا ص ١٥٦

٤ - الفلسفات الهندية . د . على زيعور ص ١٦٨

٥ - راجع في هذا الصدد " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " للتنير ص ١٣٠-
ط ١٣٣٠هـ .

وقد نالت هذه العقيدة شهرة كبيرة في الهند بسبب ترويج الرهبان لها . . ويفيد د. الندوى ان هذه العقيدة قد انتقلت الى اليونان بعد غزو الاسكندر للهند وقد تمثلت بالاله هليود وروس وجوبيتر كما انتقلت الى الرومان ومن ثم الى ايران بعد زرادشت ثم انتقلت الى المسيحية التي نادت بحلول الاله بالمسيح كما انتقلت الى القرامطة والاسماعيلية والبابية والبهائية فيما بعد (١).

ـــ ابطال عقيدة الحلول :

هناك العديد من الانتقادات الموجهة الى هذه العقيدة فمن ذلك ما اشار اليه الفخر الرازى حيث يقول (ان المعقول من حلول الشيء في غيره كون هذا الحال تبعا لذلك المحل في أمر من الأمور وواجب الوجود لذاته يمتنع أن يكون تبعًا لغيره ، فوجب أن يمتنع عليه الحلول (٢)

ومن ذلك ايضا (انه تعالى لا يجوز ان يحل في غيره) وذلك لان الحلول هو الحصول على سبيل التبعية وانه ينفي الوجوب الذاتي (وايضا لو استغنى عن المحل لذاته لم يحل فيه) اذ لا بد في الحلول من حاجة ويستحيل ان يعرض للغنى بالذات ما يحوجه الى المحل ؛ لان ما بالذات لا يزول بالغير (والا احتاج اليه) : اى الى المحل (لذاته) فان الاستغناء عدم الاحتياج ولا واسطة بينهما (ولزم) حينئذ مع حاجة الواجب (قدم المحل) ، فيلزم محالات معا (وايضا) اذا حل في شيء (فان المحل : إن قبل الإنقسام لزم انقسامه وتركيبه واحتياجه الى أجزائه) وهو باطل (والا) اى وان لم يقبل الانقسام : كالجوهر الفرد (كان الواجب احقر الاشياء) لحلوله فيه .

وايضا فلو حل في جسم فذاته قابلة للحلول في الجسم والاجسام متساوية في القبول) لتركبها من الجواهر الافراد المتماثلة (وانما التخصيص) ببعض الاجسام دون بعض (للفاعل المختار : فلا يمكن الجزم بعدم حلوله في البقة والنواة وانه ضرورى البطلان والخصم معترف به) (٣)

ومن المعلوم ان الله تعالى يجب في حقه جميع صفات الكمال كما يجب تنزيهه عن صفات النقص ومشابهة الحوادث (فتجسيد الله مستحيل لمشابهته للحوادث ، لان الجسم لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان ، وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث ولان كل جسم متناه في المقدار ، وكل ما كان متناهيا في المقدار فهو محدث.ولان كل جسم ألف من أجزاء وكل ما كان كذلك افتقر الى من يركبه ويؤلفه وكل ما كان كذلك فهو محدث ،) (٤)

والحلول (محال لا يمكن تصوره بين عبدين فكيف يمكن تصوره بين العبد وربه) . (٥)

والحلول محال لاسباب كثيرة (ذلك لان القديم يختلف عن الحادث لاختلاف الماهية في كل منهما وهذا الاختلاف يوجب استحالة حلول القديم في الحادث .

كما ان الله واجب الوجود وهذا الوصف ينفي الحلول لانه في حالة حدوثه يصبح الحال تابعا لما حل فيه كما يصبح معلولا لهذا المحل ومتاثرا به بل انه ليصبح في غير الامكان تصور الحال الا بتصور المحل ، اذن ينتفي الحلول في هذه المرة كما استحال في الاولى) . (٦)

---

١ ـ الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١١-١١٣
٢ ـ اصول الدين : فخر الدين الرازى ت : طه عبد الرؤوف سعد ص ٤٨ -٤٩ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤ وقد رد الرازى ايضا على هذه العقيدة في :التفسير الكبير ٢١٠/٢١ وما بعدها دار الكتب العلمية ط٢ طهران .
٣ ـ شرح المواقف للجرجاني ت : د . احمد المهدى ص ٤٨-٤٩ مكتبة الازهر ،
٤ ـ رد افتراءات المبشرين على ايات القرآن الكريم د . محمد جمعة عبد الله ص ٨٧ ط١
٥ ـ المؤامرة على الاسلام انور الجندى ص ٦١ ٦ ـ عقيدة الدروز ص ٢٠٣

- سادسا : وحدة الوجود

قبل الحديث عن هذه العقيدة ، تجدر الاشارة الى ان هذه الفكرة لم تكن لترى النور بين الهندوس ولولا قيام فريق كبير من الرهبان بأول ثورة على الاساليب والطقوس البرهمية ، رافضين مبدأ سيطرة طبقة البراهمة التي اثقلت كاهل الناس ، وقد اراد هؤلاء الرهبان ازالة الفوارق الطبقية من بينهم ، وتمثل رفضهم في الانعزال في الكهوف واتخاذ الجبال والغابات اماكن لتأملاتهم الفكرية واستغراقهم للوصول الى المعرفة الحقيقية لهذا الوجود وصلته بالخالق ..... وقد قادهم هذا التفكير الى مبدأ وحدة الوجود ، وتعتبر " الابانيشاد (١) خير معبر عن ارائهم وفلسفتهم.(٢)

اما عن هذه العقيدة ، فلها اتصال بالمبادئ السابقة ، فالفكر الهندى حاول ربط عناصر الكون بالآلهة التي عبدها كما حاول تفسير جميع ما يتعلق بها وربطها باحواله النفسية والذاتية . ومبدأ فكرة وحدة الوجود لم تستقر في عقول الرهبان الا بعد عدة مراحل :

(في المرحلة الاولى : آمن الهندوسي بوجوب تقديم القرابين والعبادات للالهة ، وفي المرحلة الثانية لم تعد القرابين المادية ضرورية ، بل حل محلها مراقبات على ظواهر كونية تخيلها الناس ضحايا ، وذلك كالشمس والنار والهواء ..

وفي الثالثة : راقب الانسان نفسه وتصورها قربانا يصل الى براهما ، وفي الرابعة تجردت المراقبات عن تصور القرابين وصار الناس يراقبون انفسهم على انهم القوة الكامنة العالمية المؤثرة ثم وصلوا من التمثل الى العينية واذعنوا ان النفس الشخصية هي عين القوة الحيوية العالمية او البراهما فصار المفتكر والموضوع الخارجي شيئا واحدا (٣)) .

ويذهب بعض العلماء الى ان فكرة وحدة الوجود الهندية قد اعتمدت على اساسين : ١ - الوجود ٢ - العدم

وفسر الهندوس الوجود بانه الكامل وحده والخير وحده والدائم وحده والقديم الأزلي ، وعبروا عنه ببراهما ، وفي مقابله العدم وهو الناقص كل نقص والشر كل الشر وعبروا عنه بالعالم بما فيه من كائنات حية وغيرها (٤)

---

١ - احد كتب الرهبان الهندوس المقدسة ، ومعناه : الجلوس في صحبه الاساتذة
راجع : الهند حضاراتها ودياناتها للندوى ص ١٠٦ - ١٠٨

٢ - المرجع السابق

٣ - : اديان الهند الكبرى ص ٦٦-٦٧

٤ - راجع : الجانب الالهي من التفكير الاسلامي . د . محمد البهي ص ٣٢١-٣٢٢
دار الكتاب العربي القاهرة ، ١٩٦٧

وترى البرهمية ايضا (ان الوجود الكامل حل في العدم الناقص او بمعنى آخر الوجود حال في العدم والكمال حال في النقص او الدائم حال في اللادائم ، فالبراهما مركب من شيئين متقابلين تمام المقابلة والانسان كجزء من هذا العالم مركب من خير وشر وكمال ونقص ودوام ولا دوام فمهمة البرهمي تنحصر في امرين : التقرب من براهما والابتعاد عن مطالب الجسم وهي الشهوات وذلك بالمبالغة في الزهد ، وكلما بالغ في الزهد كان وفيا لمهمته ، اذ في هذه المبالغة يتوقف خلاصه كما يتوقف طيها الى حد كبير اتحاده ببراهما ، فرأى البرهمية في الوجود يوصل الى الوحدة فيه ثم بجعل هذا الوجود الواحد حالا في مقابله وهو العدم او هذا العالم).[١]

ومن هذه المقولة ما جاء في "أوبانيشاد برهادارانياكا" في فصل " استمرار وصف برهمان بانه مصدر العالم ، ما يلي :

- جارجيا قال : (اى يقول جيارجيا وهو صاحب روى)

(الشخص الذى يوجد هناك بعيداً في الشمس . . . في القمر . . . في البرق . . . ويوجد هنا في الفراغ في الريح . . . في النار . . وفي الماء . . في المرآة الصوت هنا هو الذى يستمر بعد أن يذهب الواحد . . . فالشخص الذى هو في كل انحاء الارض . . الذى يشمل الظل . . . الذى يوجد في الجسد . . . هو من اعبده . . هو براهمان .

- ان لبراهمان شكلان : له شكل ولا شكل له . الفاني والخالد ، الثابت والمتحرك ، القريب والبعيد) .[٢]

كما ان ملحمة " بهاجفاد جيتا " تذكر في الفصل الحادى عشر كيفية تجلي الاله لارجونا فتقول في الفقرة ١٣

(هناك شاهد ارجونا الوجود بكامله باجزائه العديدة المتجمعة في واحد في جسد اله الالهة).[٣]

وفي فصل خلق العالم المتنوع من الروح الواحدة تذكر الاوبانيشاد برهادارانيكا قصصا خرافية واساطير عن هذا الموضوع.[٤]

---

١ - الجانب الالهي من التفكير الاسلامي ص ٣١٥-٣٢٠

٢ - الفكر الفلسفي الهندى ص : ١٢٩

٣ - المصدر السابق ص ٢٠٥

٤ - المصدر السابق ص ١٢٧ ، وقد علق ديورانت في قصة الحضارة على هذه الخرافات انظر ٣/١ : ٣٤

وقد قارن البيروني بين ما ذهب اليه الفكر اليوناني القديم وبين عقيدة الرهبان الهندوس في هذه العقيدة : (١)

- ابطـــــال عقيـــدة وحدة الوجـــود :

هناك العديد من الردود على هذه المقولة.أوجز هنا بعضها.فمن ذلك :
ان من سخف العقول المنادية بهذه العقيدة جعل الخالق تبارك وتعالى والمخلوق سواء وهو محال ،لانه تعالى لا يشابهه شيء (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٢). (وهو قائم بنفسه ومعناه : انه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه وعن محل يحله ، وعن مكان يقله قال تعالى (اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (٣) مبالغة عن القيام والثبات على الاطلاق من غير حاجة الى صانع يصنعه أو موجد يوجده أو مكان يحله) (٤).

وفي معرض رده على القائليـــــن بان : الوجود واحد بمعنى ان الموجودات اشتركت في مسمى الموجود يقول الامام ابن تيمية (... فهذا صحيح لكن الموجودات المشتركان في مسمى الواحد لا يكون وجود هذا عين وجود هذا ، بل الاشتراك في الاسم العام الكلي . فالاشتراك في الأسماء التي يسميها النحاة اسم الجنس ويقسمها المنطقيون الى جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام . فالاشتراك في هذه الاسماء : هو مستلزم لتباين الاعيان وكون احد المشتركين ليس هو الآخر ، وهذا مما يعلم به أن وجود الحق مباين لوجود المخلوقـات فانه أعظم من مباينة هذا الموجود لهذا الوجود.فاذا كان وجود الفلك مباينا مخالفا لوجـــود الذرة والبعوضة فوجود الحق تعالى اعظم مباينة لوجود كل مخلوق ، فإن الوحدة العينيـــة الشخصية تمنع في الشيئين المتعددين ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن إســـم الموجود اسم عام يتناول كل واحد كما أن إسم الجسم والإنسان ونحوهما يتناول كل جســـم وكل انسان . وهذا الجسم ليس هو ذاك وهذا الانسان ليس هو ذاك وكذلك هذا الوجـــود ليس هو ذاك .) (٥).

ويقـــول (ولهذا اتفق ائمة المسلمين على ان الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) (٦)) . (٧)

---

١ - انظر : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٠ ويعتبر د . الندوى ان هذه الاراء تعتبر تحولا كبيرا نتيجة لما احدثه الرهبان الهنود ضد البراهمة اذ (شكلوا نقمة تجاه هذه الطبقة وبالتالي لاقت رواجا بين الناس الا ان البراهمة استطاعوا عن طريق المواربة والخداع امتصاص الثورة والقضا عليها عبر استطالة الرهبان) الهند حضاراتها وديانات‍ها ص ١٠٦-١٠٨

٢ - الشورى/ ١١ ٣ - ال عمران / ٢ ٤ - التبصير في الدين ،لابي المظفر الاسفراييني ص ١٥٦ عالم الكتب ط ١ ٧ ١٤٠٣هـ

٥ - فتاوى شيخ الاسلام ٢ / ٣٥٠-٣٥١ ٦ - مريم / ٩٥

٧ - فتاوى شيخ الاسلام ٢ / ٣٤٠

وعليـــــه فان الله تبارك وتعالى منـــزه عن مشابهة الخلق لقوله تعالى :

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

و (لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها ، ولو كان مماثلا لهـــا لكان حادثا ، كيف وقد ثبت قدمـــه (.....) [1] فالله سبحانه وتعالى هو الحقيقـــة الوحيدة وراء هذا العالم حقيقة لا نهائية سرمدية (فهو) لا يندمج في العالم ، ولا يندمج العالم فيه ولا يندمج في المادة .

ولذلك فان قول اصحاب مذهب وحدة الوجود بان الله والمـــادة وحدة لا تتجـــزأ (مخالف للاسلام الحنيف) [2] ... الذى يدعو الى ان جميـــع هذه الكائنات لا بد لها من خالـــق . والخالق هو الله تبارك وتعالى .

---

١ - شرح جوهرة التوحيد ص ٥٧

٢ - المؤامرة على الاسلام ص ٥٩

الفصـــل الثاني

الفرق الدينية في الهنـــدوسية ومصادرها :

اولا : الفرق الدينية

تعددت فرق الهندوس الدينية تعددا كبيرا ، وقد غلب عليها طابع الفلسفة ومنها ما هو متأثر بالسحر ، كما أن للتقشف والرهبنة نصيباً من هذه الفـــرق وقد أحصى الشهرستاني -رحمه الله- سبعة عشر فرقة من فرقهم ، وقد أكملتها الـــى عشرين من مصادر أخرى كما لخصت اراء كل فرقة بقدر الاستطاعة فجاءت على النحـــو التالي :

١ - أصحاب البددة: من أهم مبادئهم ،عبادة البد ، ومعناه : عندهم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعـــم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت . وقد اختلفوا فـــي وصفه اختلافا كبيرا ، وقالت كل طائفة منهم برأى يخالف الآخر ، ومن آرائهم المحافظـــة على عشر خصال (١) : من بينها الامتناع والتخلي عن الدنيا والاعراض عن شهواتهـــا

٢ - أصحاب الفكرة : من مبادئهم : تمجيد الفكر والعقل وهم يقومون بأنواع كثيـــرة من الرياضات المجهدة للوصول الى التجلي ، ويسمون أيضا البكرنتينية ، وهم يصفدون أجسادهم من أواسطهم الى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم وعلية الفكر) (٢) .

٣ - أصحاب التناسخ : وهم أصحاب أسطورة الطير ، وقد مر ذكرها أثناء الحديث عن التناسخ (٣) .

٤ - أصحاب الروحانيات : ومن مبادئهم ، الايمان بمتوسطات روحانية تأتيهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب .

٥ - الباسنوية : كأصحاب الروحانيات بالنسبة للرسل ومن مبادئهم تعظيم النـــار والنهي عن القتل والذبح ، واباحة الزنا واتخاذ الأصنام لعبادة متوسطات روحانية .

٦ - الباهودية : ومن مبادئهم عبادة الاصنام وجعل عظام الناس قلائد وأكـاليـل ورفض الدنيا ، ولا معاش لهم فيها الا من الصدقة .

٧ - الكابلية : أتباع ملك روحاني يقال له شب .

٨ - البهادونية : وهم أتباع بهادون وهم أصحاب خرافات كثيرة .

٩ - عبدة الكواكب : يسير هؤلاء على مذهب الصابئة .

١٠ - عبدة الشمس : يعبدون الشمس ويسمون أيضا الدينكية ، ومن سنتهم اتخـــاذ صنم لهم بصورة الشمس ويستقربون اليه بالقرابين) (٤) .

---

١ - راجع الملل والنحل للشهرستاني ٥ /١٧٨

٢ - : الفهرست لابن النديم ص ٤٨٧ ط: دار المعرفة

٣ - راجع ص (٤٨) من هذا البحث .

٤ - راجع الملل والنحل ٥/ ١٧٨

١١ - عبدة القمـــر : زعمـوا ان القمر ملك من الملائكة ، يستحق التعظيم والعبادة وهم يصومون من كل شهر النصف ، ولا يفطرون حتى يطلع القمر ، ويحتفلون في تلك الليلة ويطلق عليهم ايضا " الجند ريهكنية " (١)

١٢ - عبدة الاصنـام : جعلوا لمعبوداتهم اصناما لتقربهم الى الله زلفى ، وقـد تأثر بهم اصحاب الروحانيات والكواكب .

١٣ - المهاكالية : هم اتباع صنم يدعى مهاكال ، ويزعمون انه عفريت من الشياطيـن يستحق العبادة ، وانهم يتقربون اليه ثلاث مرات كل يوم ويسجدون له ويطوفون بـه ويسألونه حاجاتهم .

١٤ - البركسهيكية : هم من عبدة الاصنام ، وطريقة عباداتهم هي : وضع الصنـم المعبود في شجرة باسقة ويطوفون حوله ويسجدون له .

١٥ - الدهكينية : ، يتخذون صنما على شكل امرأة ويتقربون اليه بضرب اعنـاق الغنم ولهم طريقة سيئة جدا في احتفالاتهم الدينية حيث يهجمون على الناس وهم يركبـون الفيلة فيقتلون كل من كان أمامهم .

١٦ - الجلهكية : هؤلاء يعبدون الماء وتتم عباداتهم بالتجرد من الثياب وستـر العورة ثم بالدخول في الماء حتى يصل الى الحلق . ويقيمون على هذه الحال ساعة او ساعتين مع التسبيح والقراءة . فاذا اراد احدهم الانصراف حرك الماء بيده ثـم اخذ منه شيئا ، فيقطر به راسه وسائر جسده خارجا ثم سجد وانصرف .

١٧ - الاكنواطرية : هم من عبدة النار ، ويزعمون ان النار اعظم العناصر ، وتقـوم عباداتهم على القاء القرابين النفيسة في اخدود مشتعل بالنار ، ويجلسون حولهـا صائمين يسدون انفاسهم حتى لا يصل اليها من أنفاسهم نفس صدر عن صدر مجرم .

١٨ - الكناكاباترة : من سنتهم ان الانسان اذا اذنب ذنبا ان يشخص من بعـد او قرب حتى يغتسل في نهر الكيف فيطهر بذلك .

١٩ - الراحمرنيـة : وهم شيعة الملوك ومن سنتهم في دينهم معونة الملوك ، قالوا : الله الخالق تبارك وتعالى ملكهم ، وان قتلنا في طاعتهم مضينا الى الجنة .

٢٠ - ومن هؤلاء فرقة تدعو الى تطويل الشعر وعدم شرب الخمر ، والحج الى جبل يقال له حورعن ، يحجون اليه ، فاذا انصرفوا من حجهم لم يدخلوا العمران فـي طريقهم اذا انصرفوا وان رأوا امرأة هربوا منها ولهم في الجبل بيت عظيم فيه صورة). (٢)

---

١ - الفهرست ص ٤٨٨ ، وما فصله الشهرستاني عن هذه الفرق ٥ / ١٧٨ وما بعدها وما اوضحه الدكتور سليمان دنيا في تحقيق لكتاب " التفرقة بين الاسلام والزندقة " للغزالي ، ص ١٣٤ - ١٥٨ ط١ ، ١٣٨١-١٩٦١م . دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي . وما نقله د . محمد جلال شرف في محاضرات الفلسفة القديمة " عن هذا الموضوع ص ٤٤ - ٤٧

٢ - راجع الفهرست ص ٤٨٩-٤٩٠

ثانيـــا :

" الكتب المقدســـة عند الهندوس "

ظلت الكتب "الهندوسية المقدسة" مجهولة لدى العلماء الغربيين قرونا طويلـــة في حين ان العلماء المسلمين لم تغب عنهم هذه المعرفة ، وذلك لاتصالهم بالهنـد وفتحهم لها .

وأشهر هؤلاء العلماء هو أبو الريحان البيروني (١) (٣٦٢-٤٤٠) . الذى نـزل الهند واضطلع على عاداتها وتقاليدها ودرس عقائدها ونحلها وخرج الى العالـم بمؤلفه النفيس " تحقيق ما للهند من مقولة في العقل مقبولة او مرذولة " الذى يعتبر (٢) اول مرجع تاريخي اسلامي عن الهند .

كما أن هناك العديد من العلماء المسلمين الذين أسهموا بالدراسات والابحاث عن الهند واحوالها ، ونخص من بينهم القاضي ابا القسم صاعد (٣) بن أحمد الاندلسـي (٤٦٢ هـ) كذلك قام الرحالة محمد بن ابراهيم اللواتي الشهير بابن بطـوطـة (٧٠٤-٧٧٩هـ) (١٣٠٣-١٣٧٧م) برحلات كثيرة الى بلدان عديدة ومنهـــا الهند التي التقى فيها بكثير من نساكها ورهبانها وسحرتها وتكلم عنهم (٤) .

ويختلف العلماء والمؤرخون (٥) حول تاريخ تدوين كتب الهندوس ، وخاصة كتـابهم المشهور باسم " الڤيـــدا (٦) " الذى يعتبر بالنسبة للهندوس السجـل الدينـــي

---

١ - قال عنه العلامة الانجليزى " سخاوى " : (إنه أعظم عقلية عرفها التاريخ) ، والغربيون مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرهم في العلوم وقد صاغ نظرية دوران الارض حول محورها وحول الشمس (انظر بتوسع : مـن منابع الفكر الاسلامي ، أنـور الـجندى ، ص ١٠٨ ، دار التحرير للطبع ، المجلس الاعلى للشئون الاسلاميـــة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) .

٢ - ألفه حوالي سنة ٣٩٠-٣٩١هـ ، راجع : الاسفار المقدسة ص ١٥٤

٣ - انظر كتاب طبقات الامم له ، ص ١٧-١٨ ، مطبعة السعادة بمصر .

٤ - راجع كتاب : رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٤٣ ، دار صادر بيروت ١٣٧٩-١٩٦٠م

٥ - يذهب د . الندوى الى ان الڤيدا تعتبر تاريخ الفكر الآرى منذ عام ١٨٠٠ ق.م ولكن هذا الكتاب لم يدون إلا منذ سنة ١٠٠٠ ق.م. (ويعتقد الباحثون ان التدوين الفني لهذا الكتاب قد تم خلال سنة ٦٠٠ ق.م) . : الهند حضاراتهـــا ودياناتها ص ٩٨ ، وللمزيد يراجع ايضا : الفلسفات الهندية ص ١٤٧

٦ - يطلق البيروني لفظ " بيذ " على " الڤيـدا " وربمـا تكون هذه التسمية متداولة في عصره أو أن الفاء في ڤيدا تنطق باء بالفارسية . ومعنى الڤيدا كما أورده البيروني : العلم بما ليس بمعلوم . وقد شرح -رحمه الله- أسماء كتب الڤيدا ومحتوياتهـــا وألحق ما دار حولها من خرافات واساطير . انظر : تحقيق ما للهند ص ٩٦ ومـــا بعدها .

والتاريخي والاجتماعي ، وهو كتاب كبير يحتوى على عدة أقسام ، دونت فيه جميع الآراء العقدية والأناشيد المختلفة في مدح آلهتهم المتعددة ، كما دونت العادات والتقاليد الاجتماعية الارية والسياسية وأحوالهم المعيشية وكل ما يمت الى الآريين بصلة .

ولا يعرف على وجه التحقيق أسماء واضعي هذا الكتاب (١) ، ولكن من الثابت انه نتاج تعاون مجموعة من كهنة ورهبان وعلماء البراهمة .

ويعتبر الهندوس ان هذه الكتب المقدسة عندهم موحى بها من الهتهم ويرجع تقديسهم للفيدا الى الاتجاه الروحاني لدى الفكر الهندى والموافق على تأليه او تقديس اى كتاب دون الحاجة الى ابداء الاسباب) (٢) .

---

١ - يذهب د . وافي الى ان واضع الفيدا هو : فيدافياسا ، اى جامع الفيدا . انظر ، الاسفار المقدسة ص ١٥٢ .

وربما يكون هذا أول هندى كتب كتابا دينيا هندوسيا ثم توالى بعد ذلك كتبة الفيدا ، لانه من غير المعقول كتابة مؤلفات ضخمة من قبل مؤلف واحد ، وعبر قرون متعددة ، وقد أشار غوستاف لوبون إلى أن " الفيدا " كتب من قبل عدد من اللاهوتيين وأن إعدادها كان في عدد من القرون) حضارات الهند ص ٢٥٨ .

٢ - اديان الهند الكبرى ص ٧٦

أ ـ أقسام " الفيدا "

لاتصال هذا الموضوع بالرهينة ، من حيث كونه نتاج الفكر الديني عندهم ، لابد من إعطاء تلخيص بسيط لاقسام الفيدا وما يحتويه كل قسم .
وتتوزع كتب الفيدا على أربعة أقسام .(١)

أولا : رج فيدا (٢)

اى معرفة ترانيم الثناء ،وهي مجموعة اناشيد وصلوات ،تتلى في العبادة وعند تقديم الاضاحي (٣) ،وخلال القيام بالواجبات والطقوس الدينية .
وفيه صور واضحة للالهة القديمة التي جلبها الاريون من موطنهم الاصلي .(٤)
وهي تحتوى على ١١٠٧ انشودة وتنقسم الى عشركتب تمثل الحقبة الاولى لتطور الادراك الديني .(٥)

ثانيا : ياجور فيدا :

معناها الفيدا الهوائية ،اى المنسوبة للهواء (٦) . (وتشتمل على العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين .(٧)

ثالثا : ساما فيدا

اى الفيدا المنسوبة للشمس (٨) ، وتشمل الاغاني التي ينشدها المنشدون اثناء اقامة الصلوات وتلاوة الادعية (٩) وفيها بعض التعليقات الفلسفية والتاملات .(١٠)

---

١ ـ هذا التقسيم قام به " فياساضيفا " ...ثم اوكل امرها الى تلاميذه المختلفين)
انظر : "شرى ايشوبانيشاد" . أ.س. بكطي فيدانتاسوامي برابوباض ، الا شاريا المؤسس للمجتمع العالمي لوعي كريشنا) ص ٨ دار كتب بهكطي فيدانتا ، لوس انجلوس ، لندن ،بومباى ١٩٧٤ .

٢ ـ كلمة رج : تطلق على الاشعار ،والفيدا : على المعرفة ويقصد بكلتا الكلمتين اناشيد المعارف الروحية ( ) : الهند حضاراتها ودياناتها للندوى ص ٩٩
وراجع في هذا الصدد الاسفار المقدسة ص ١٥٢

٣ ـ راجع : الفلسفات الهندية ص ١٤٧ ..

٤ ـ راجع الهند وحضاراتها ص ٩٩ ٥ ـ الفكر الفلسفي الهندى ص ٢٦
٦ ـ راجع الاسفار المقدسة ص ١٥٢ ٧ ـ اديان الهند الكبرى ص ٤٢
٨ ـ الاسفار المقدسة ص ١٥٢ واديان الهند ٤٢
٩ ـ اديان الهند الكبرى ص ٤٢ ١٠ ـ الفلسفات الهندية ص ١٤٧

رابعـــا : آثرثا ڤيـــدا

تشل مقالات في السحر والرقى والتوهمات الخرافية والسخريـــة (١) وتبلغ حوالي ١٨٠٠ انشودة فيها حكم وقصص شعبية ووسائل لحمايـــة النفس من الشياطين والاعداء والنفوس الخبيثة ،كما يعتقدون . (٢)

هـــذه الكتب الاربعة تنقسم بدورها الى أربعـــة فروع وهي : (٣)

١ - سامهيتـــــا :

وهي مجموعة من الأناشيد ،والصلوات ،وقواعد الاضاحي ،وأناشيـــــد جماعية ،كان آخرها في بداية الفلسفة الهندية ، وتطورت فيهـــــا العبادة ، من التعدد الى **التوحيد** .

٢ - البراهماناس :

هي كتابات نثرية تبحث في مغزى الشعائر والطقوس والاحتفالات التـي لها علاقة بالاضاحي والذبائح وهي من عمل الكهنة وفيها توجيهـــات لكبار السن (الذين في سن الشيخوخة) .

٣ - الاريناكـــس :

نصوص دينية لساكني الغابة من المتعبدين ،وهي مخطوطات تبحـــث في المسائل الفلسفية وتشجع على التأمل ، وغالبا ما تكون لمن بلـــــغوا آخر درجة في السلم الديني ،وهي حالة الترهب .

٤ - الاوبانيشـــاد : (٤)

وهي مخطوطات دينية عبارة عن خلاصة للبراهماناس وفيها احتجاج فلسفي ضد ديانة البراهماناس وفيها ميول نحو توحيد عبادة الاشخاص .
وهذه كما قلنا في السابق من وضع الرهبان الهندوس الذين وقفـــوا ضد سيطرة البراهمة .

---

١ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ٤٣

٢ - راجع الفلسفات الهندية ص ١٤٧ وكذلك : الفلسفة في الشرق ،بول ماســـون اورسيل . ت : محمد يوسف موسى ص ١٠٩ ،دار المعارف بمصر .

٣ - عمدت الى تلخيص هذه الفروع الاربعة من : الفكر الفلسفي الهندى ص ٢٦ واديان الهند الكبرى ص ٤٣ ، ويراجع في هذا الصدد : موسوعة التاريخ الاسلامي د . عبد الله مبشر الطرازى ١ / ٣١٩

٤ - تطلق على (المذهب الغامض الملغز الذى كان يسره المعلم الى خيرة تلاميذه واحبهم اليه ،وهذه الاسفار مليئة بالسخافات والمتناقضات) قصة الحضارة ٣ / ١ : ٤٣-٤٤ ، وراجع ما جاء عنها في : حكمة الاديان الحية ،جوزف كاير ص ١١٢

كما ان هناك مجموعات اخرى من الكتب المقدسة لدى الهندوس والتي يرجع تاريخ تاليفها الى القرن السادس والسابع ق.م (١) واهمها :

١ - رامايانا : وهي تتحدث عن الافكار السياسية والدستورية للحياة الهندية ، وطرق اختيار الملوك وولاة العهود (٢) ، ومغامرات الاله فشنو (٣) ، وتبلغ ٢٤ الف مقطوعة .

٢ - مهابهاراتا : وتعتبر ملحمة الهند الكبرى وتشبه الالياذه والاوذيسة عند اليونان (٤) .

وهي عبارة عن كتب اهتمت بالقصائد الفلسفية في ادب غير منظم (٥) ، وتشمل ٢٠٥٠٠٠ بيتا من الشعر ، وتقص هذه الملحمة وقائع تجسد اخر للاله فشنو الذى جاء هذه المرة بصفة "كرشنا" الذى نشأ راعيا للبقر ، واسهم في عدد من الوقائع والمآثر قبل ان يقتل خطأ من قبل صياد (٦) ، ويعود الى بحر اللبن مثواه السماوى (٧) . وقد اخذت ثلاثة نصوص فلسفية من المهابهاراتا سميت " البهاغاد غيتا - وكلاهما محشو بالاساطير (٨) .

٣ - دارا ماستراس (٩)

وهي مقالات في الاخلاق والفلسفة الاجتماعية ومقالات تتحدث عن سلوك الاريين في حياتهم وتصف تنظيمهم الاجتماعي واعمالهم ... الخ .

---

١ - راجع الفكر الفلسفي الهند ص ٩

٢ - اديان الهند الكبرى ص ٩٣

٣ - حكمة الاديان الحية ، جوزيف كاير ت : حسين الكيلاني ص ١١٥

٤ - اديان الهند الكبرى ص ٧٧

٥ - انظر حضارات الهند ص ٤٥٣

٦ - حكمة الاديان الحية ص ١١٥

٧ - الفكر الفلسفي الهندى ص ٩

٨ - حضارات الهند ص ٢٩٣

٩ - الفكر الفلسفي الهندى ص ٩

٤ - وهناك ايضا مجموعة كتـابات وأبحاث مختلفة سميت " بالسوترا " (١) أو "شتر " ويعود تاريخها الى القرن الاول الميلادى وقد جمعت جميع الطوائف الهندية فيها معلوماتها الفلسفية . وقد اخذت طابع المناهج ووصفت عقائد كل منهج على صورة اقوال منظمة يعتريها الغموض بعض الاحيان . (٢)

٥ - ثم جاءت فترة كتبت فيها التعليقات على السوترا من اجل توضيحها كما كتبت تعليقات حول هذه التعليقات . (٣) واهم هذه التعليقات : تعليق شنكاريا وتعليق رامونا جاشاريا وتعليق فا صهناشاريا . (٤)

٦ - يوجاواسيستها :

منظوم يحتوى على اربعة وستين الفا من الابيات وموضوعها يختص بالفلسفة واللاهوت . (٥)

وفي هذه العجالة جدير بان نشير الى ما اورده البيروني من كتب الهندوس التي عالجت مواضيع الفقه والزهد وطلب الخلاص من الدنيا ولم يذكرها غيره من المؤلفين وذلك في كتابه تحقيق ما للهند ، والذى قال فيه عن هذا الموضوع :
(ولهم كتب في فقه ملتهم وفي الكلام وفي الزهد والتأله وطلب الخلاص من الدنيا مثل كتاب عمله " كـور " الزاهد وعرف باسمه ومثل "سانكك " عمله "كپل " في الامور الالهية ومثل " پاتنجل " في طلب الخلاص واتحاد النفس بمعقولها ومثل " تابيهاسي " لكپهل في " بيذ " وتفسيره . وانه مخلوق وتمييز الفرائض فيه من السنن ومثل " ميمانس " عمله جيمن في هذا المعنى ومثل لوكايت عمله المشترى في الاخذ بالحس وحده في المباحث ومثل " اكست ميت " عمله سهيل في العمل بالحس والخبر معا) الى غير ذلك من الكتب الاخرى . (٦)

---

١ - انظر كتاب " منو سمرتي " كتاب الهندوس المقدس . ترجمة : احسان حقي ص (هـ) ، دار اليقظة العربية .
٢ - الفكر الفلسفي الهندى ص ١٠
٣ - الفكر الفلسفي الهندى ص ١٠
٤ - راجع : شرى ايوبانشاد ص ٩
٥ - اديان الهند الكبرى ص ٨٩-٩٠
٦ - راجع بتوسع : تحقيق ما للهند ص ١٠٢

يتضح من خلال استعراض اهم الكتب الهندوسية ، ان هذه الكثرة تدل دلالة واضحة على كثرة الكهنة والفلاسفة والرهبان الذين وضعوا هذه المؤلفات ودونوها على مدى قرون بعيدة .

وقد اوردت بعض الابحاث الحديثة اسماء عدد من فلاسفة وكهنة الهندوس والذين يرجح ان يكونوا من بين كتبة هذه الاسفار ، والتي يرجع تاريخها من القرن الاول الميلادي الى القرن السابع عشر منه .

ومن بين هؤلاء : (١)

- ساكارا	- كرماريلا	- شريد هارا
- راما نوجا	- فاكسباتي	- اويانا
- ياسكارا	- جايانتا	فيجنيا نيبكو (٢)
راجوناتا	- ياجانا فالكيا	- جارجي (وهي امرأة)

وعلى الرغم من كثرة الكتب الهندوسية الدينية وتعددها واختلاف نصوصها وتعارضها مع بعضها البعض الا ان نظرة الهندوس الى هذه الكتب هي نظرة احترام وتقديس وهذا المفهوم مأخوذ من مبدأ تقديس تراث الاباء والاجداد او ما يسمى بالمحافظة على النزعة والتراث القومي ، وهذا يدل دلالة واضحة على تفشي عادة التقليد الاعمى ، وان كان هذا التقليد لا يستند الى اصول وجذور صحيحة ، وقد لمسنا بعضا مما تحتويه هذه الكتب من خرافات ، واساطير .

---

١ - راجع عن هذه الاسماء في : الفكر الفلسفي الهندي ص ١١ وكذلك ص ٧٢ فيها المزيد من مؤلفي الكتب الهندوسية .

٢ - راجع قصة الحضارة ٣ / ١ : ٤٠٤

ب - قوانيـــن مـــانو

نفـرد الحديث في هذه الزاوية عن هذا الكتاب لانه يعتبر من أهـــم الكتب الهندوسية ،اذ انه تلخيص وتقعيد للاحكام والقوانين والتشريعات التــــي احتوتها الفيـــدا (١) . وكان الهدف من وراء هذه القوانين ، ضبط السلوك فـــي المجتمع الهندى مع تحديد الطقوس والعبـادات وتفصيل الواجبات والفروض وتوضيـــح المبادىء الاخلاقية والاجتماعية التي يقوم عليها الفكر الهندوسي (٢) .

وليس هـناك تاريخ قطعي لتحديد زمن كتابة هذه القوانين ، ولكـــن العلماء رجحوا بانه كتب في نحو المائة السادسة قبل الميلاد ، وان كاتبه أو واضعه هو الاله براهما وانه علمه الاله (مانو) وهذا بدوره علمه الى بهركو (٣) . هذا ما يزعمه الهندوس في وضع الكتاب .

وتحتوى هذه القوانين اثنتي عشر بابا تضم ٢٦٨٥ (٤) بيتا او فقرة تنــص على التشريعات الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها .

وقد اهتم العلماء الغربيون بهذا الكتاب واقاموا حوله دراسات موسعـــة لاستخلاص المعارف والنتائج منه ،واستطاعوا بهذا العمل اعطاء صورة واضحة عن تكوين المجتمع الهندى الارى القديم من حيث الديانة والمجتمع والفرد والحكم (٥) .

والسر الكامن وراء اهتمام الهندوس بهذا السفر بالذات وتعلق البراهمة به على وجه الخصوص يتضح من خلال نتائج تعاليمه وتوصياته التي استطاعت ان تعيـد لحمة الهندوس الى ما كانت عليه وان تقف بوجه المد البوذى والجيني ردحـا من الزمن والذى كاد يهدد الكيان الكهنوتي للبراهمة (٦) . فجاء الكتاب درعا واقيا لسلطتهـم وتسلطهم وتكريسا لامتيازاتهم على سائر الطبقات الاخرى .

ومن الملاحظ في هذا السفر هو اشتماله على قوانين وانظمة لم تكـــن موجودة في الكتب السابقة التي اهتمت كثيرا بشوءون الالهة وصفاتها ومدحها الخ ... فجاءت هذه القوانين وعالجت ما يهم الشعب من شعائر وطقوس لتقديم القرابيـــن وبمعنى اخر اهتمت هذه القوانين بالدين الشعبي اكثر من اهتمامها بالالهة فقط . وبهذه العملية استطاعت طبقة البراهمة الهندوس تضييق الخناق على البوذية والجينية والحد من نشاطهما (٧) .

---

١ - الاسفار المقدسة ص ١٥٥   ٢ - الفكر الفلسفي الهندى ص ٢٤٩

٣ - انظر مقدمة كتاب " منوسمرتي" ، كتاب الهندوس المقدس ،ت : احسان حقي ص (هـ)

٤ - قصة الحضارة ٣/ ١ : ١٦٣ ، ، وانظر ٣/ ١ : ١٦٤ حول التطور التفريعي لهذا السفر

٥ - راجع ما قام به غوستاف لوبون من دراسات حول هذا الموضوع في " حضارات الهند " ص٢٩٣

٦ - هناك ايضا كتب اخرى كان لها اثر كبير في هذا المجال ويطلق عليها سوتراس ومعناها الخيوط انظر ، الهند حضاراتها ودياناتها ص١٨٦

٧ - راجع في هذا الصدد : حضارات الهند ، ص ٣٣١-٣٣٩ ، واديان الهند الكبرى ص٩٨

الفصل الثالث :

- نظام الطبقات الهندوسي ونقده :

من الغريب ان يتجرأ الناس لاختيار فئة تقوم بسن تشريعات وقوانين مختلفة ، لكن الأغرب ان تبقى هذه الفئة مستمرة في طغيانها ، تسن التشريعات الدينية والنظم الاجتماعية ، وتقسم من خلالها الناس الى طبقات متفاوتة في الرتبة متباعدة في الامتياز مختلفة في الحقوق والواجبات ، وان تحدد لكل طبقة قوانينها الخاصة بها ، لا يمكن ان تتعدى لغيرها .

لقد استطاع كهنة البراهمة ورهبانهم المحافظة على نفوذهم ومكاسبهم طيلة قرون عديدة يرجعها البعض الى ٢٥٠٠ عاماً [١] ، وقد مارسوا خلالها حكماً طاغيا ، وعلى نطاق واسع . فاذلوا الناس واستعبدوهم وحرموهم من ممارسة حقوقهم تحت ستار القداسة والانتماء للعنصر الالهي ، ورغم التطور الذى شهدته الهند في العصر الحديث الا ان نظام الطبقات لا يزال معمولا به حتى يومنا هذا رغم المحاولات الكثيرة لتغييره . [٢]

وصحيح ان دور الكهنة بدأ يتقلص الى حد ما نتيجة الانفتاح [٣] الذى شهدته الهند في هذا العصر الا ان نظام الطبقات لا يزال يعيش في مخيلة الهندوس ، وحياتهم الاجتماعية ، وقد قابلت اثناء زيارتي للهند احد الطلبة الذين يدرسون في الجامعة السلفية في بناريس وقد اسلم وترك الهندوسية طمعا بانه كان من طبقة المنبوذين .

اولا : كيف نشأ نظام الطبقات :

لقد أتى على أمم كثيرة حين من الدهر مارست فيه أنظمة عرقية معتمدة على نظام الطبقات فكانت فئة من الناس تتغلب على أخرى وتمارس ضدها التمييز العنصرى .

الا أن كثيرا من هذه الأمم استطاعت تغيير أساليب وقواعد انظمتها الاجتماعية الكثيرة تبعا للتطور العام الذى يرافق الحياة البشرية ونظرا للمفاهيم الاجتماعية الكثيرة والفلسفات التي تتوصل اليها الأمم اما عن طريق تفكيرها الذاتي أو عن طريق الاكتساب من الأمم الاخرى عبر الالتقاء الحضارى بين الشعوب ، وقد يأتي التغيير نتيجة رسالة سماوية منزلة من عند الله تبارك وتعالى على رسول أو تصحيح انحراف عبر نبي من انبياء الله صلوات الله عليهم .

---

١ - انظر في هذا الصدد : قصة الحضارة ٣/١ : ١٦٩

٢ - انظر : اديان الهند الكبرى ص ٦٠

٣ - انظر : الهند د حضاراتها ، ودياناتها ص ١٨٧

اما بالنسبة للهند فان هذا التغيير لم ير وجه النور الا في العصور الاسلامية الزاهرة التي استطاعت كسر قاعدة احتكار الهندوس، والقضاء على طغيان البراهمة والتقدم بالهند خطوات واسعة نحو الحضارة والازدهار.(١)

لقد كان المجتمع الارى في الهند كما أسلفنا - بربرى الطباع، وثني الديانة همجي النشأة، وكانت مفاهيمه الدينية بسيطة وساذجة الا أن التقاء الاريين بالدرافيديين وغيرهم، مكنهم من تطوير حياتهم الدينية والاجتماعية رغم الهجمات الوحشية التي تميز بها الفتح الارى للهند(٢)، وخلال هذه الفترات المبكرة كان المجتمع الارى يتطلب افرادا يقومون برعاية الطقوس وتقديم القرابين والاضاحي وانشاد الترانيم لالهتهم الخاصة، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم إسم الكهنة. لقد (كانت الطقوس تستلزم أربعة من الكهنة ومن بينهم (البراهما) ذلك الذى ارتفع شانه فيمابعد)(٣) ولم يكن هؤلاء الكهنة (حتى ذلك الوقت قد أصبحوا طبقة تختلف عن الطبقات الاخرى اختلافا واضحا، كان رئيس كل عائلة يقوم بدور الكاهن عند تقديم القرابين التي كانوا يكثرون في تقديمها طبقا لما تطلبه الديانة الفيدية).(٤)

---

١ - لم تستطع أي قوة أن تخضع الهند تحت سيطرتها مدة طويلة، إلا أن هذه القاعدة لم تنطبق على قوة الفتح الاسلامي، الذى أزال كل العقبات من طريقه ومحا الفروق الطبقية والعرقية وأعاد العباد الى عبادة رب العباد، وبنى حضارة عريقة شامخة، لازالت معالمها الى الآن تشهد على التقدم. ولولا التدخل الاجنبي وخاصة الانكليزى بالتعاون مع الهندوس الوثنيين، دسا، وخداعا، لما قامت لهؤلاء قائمة.

٢ - يوضح توئبي أن بداية تطور المجتمع الارى كان إثر المحاولة التي قام بها الاريون للمحافظة على عرقهم والتي قامت على أساس اللون في البداية وكان هذا الاجراء ضد السكان الاصليين، وما لبث الآريون أن انقسموا (كما حدث لشعوب أخرى في اماكن مختلفة متعددة في أجزاء العالم الى ثلاث طبقات هي : المحاربون، والكهنة والعامة، وقد كانت هذه الطبقات وراثية عند الاريين كما أصبح الانقسام الطبقي الداخلي عندهم لا يقل صرامة عن الفصل بين الاريين وأهل البلاد، وقد انتزع البراهمة مع الوقت من المحاربين (الكشاتريين) ما كانوا يتمتعون به من كونهم أرفع الطبقات) راجع : تاريخ البشرية ١/١٤٦-١٤٧ وكذلك : يراجع في هذا الصدد : معالم تاريخ الانسانية ١/٢٣٤

٣ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ٩٥

٤ - : شجرة الحضارة ٣/١٥٧

وبعد عملية الغزو الارى جاءت عملية الاستقرار والتوسع في القرى والمدن وهي الفرصة التي أتاحت للآريين الوقوف على كثير من المعارف الدرافيدية والتي أهلتهم لمزيد من التقدم العمراني والتجارى والصناعي وحتى الديني الذى رافقه انواع كثيرة من التسلط والشعوذة (١) من قبل الكهنة ، أضف الى ذلك المعارف المستقاه من أمم اخرى .

ومع هذا التوسع والانفتاح الجديد اقتضى الأمر وجود عدد كبير من الكهنة الذين ازدادوا مع مرور الزمن وأصبحت لهم بعد ذلك قواعد وامتيازات كثيرة تطورت ونمت وقد توج هذا النمو بتسلمهم الأمر بعد أن تمكنوا من ادارة البلاد حسب اهوائهم ، تماما كما فعلت الكهانة المصرية القديمة من قبل .

وكان لتأليف الكتب الدينية الهندوسية أكبر الأثر في تدعيم سلطة الكهنوت البرهمي والذى لاقى مع الزمن رواجا بين الناس بسبب استغلالهم لبساطة الشعب ، بادخال القرابين والانظمة والعقائد التي يريدونها .

كان لهذه العوامل الفضل الاكبر في نشوء طبقة البراهمة الذين اكتسبوا مع الزمن في نظر الهندوس صفة التقديس والغلو حتى اعتبروا عنصرا فريدا مميزا عن بقية افراد الشعب مع الايحاء بوجود عرق إلهي فيهم بل وادعاء الالوهية ايضا (٢) .

---

١ - في هذه الفترات (كان البراهمة يعلنون في كبرياء ان الكاهن يستطيع ببراعته ادارة الحفلة الدينية أو اقامة شعائرها أن يحصل على البركات التي يصبو اليها وليه ، أو أن يسوق اليه الهلاك المحقق لو شاء ، ولم يكن القربان في نظر الكاهن مجرد محاولة لاسترعاء انتباه الاله الذى قد يكون مشغولا في مكان آخر أو الذى يكون قد تزلف اليه عابد آخر منافس بل أصبح هذا القربان أداة نفسية من أدوات السحر تقيد الآلهة وتضمن الحصول على البغية أو على الأقل تضمن الحصول عليها إذا لم تتدخل مؤثرات معادية ونفس هذه المؤثرات يمكن التغلب عليها إذا (تعودنا السخاء مع الكهنة فهم كما يزعمون في كبرياء الآلهة على الارض) .

: تاريخ العالم ٢ / ٥٢٧

٢ - المصدر السابق .

وضمانا لهذه السلطة ، واحتفاظا بهذا النفوذ ، سن البراهمة لانفسهم قوانين تحمى هذه المكتسبات ، وتمنع غيرهم من الاشتراك فيها ، أو الاقتراب منها ولم يكتفوا بذلك بل قننوا أنظمة عنصرية وعرقية لغيرهم وقسموا المجتمع الى طبقات وفئات متفاوتة من حيث الرتبة والمنزلة ، وعلى أساس هرمي ، موزعة أعمالها ونشاطاتها الدنيوية بحسب ما تختص به كل فئة ، على أن يكون الولاء والانقياد للطبقة الأولى أى طبقة البراهمة ، وما عداها محكوم عليه بخدمتها والقيام بواجبات السمع والطاعة لها .

وقد حاك البراهمة مبررات لتقسم هذه الطبقات وصاغوها بنصوص عقدية وقوالب دينية لاضفاء صفة الشرعية وطرح لباس القداسة عليها ، وهي في حقيقة أمرها أباطيل مستندة الى اساطير وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ، ومع هذا كله فان في المجتمع الهندى الى الان من يتقبل هذا بسرور .

ثـانيـا :

تقسيـم الطبقـات

تستند قوانين مانو الى اسطورة خرافية لتقسيم الطبقات في الهند فمن ذلك ما جاء في باب خلق العالم مادة ٣١ منها ، ما يلي :

(ولسعادة العالم ، خلق برهما البراهمة من وجهه ، والكشتريين من ذراعيه ، والويش من فخذية ، والشودر من قدميه) . (١)

وعلى اساس هذا القانون جرى توزيع مهام الطبقات كالاتي :

الطبقـة الاولى : البراهمـة

وترمز الى طبقة الاذكياء من الرجال الذين يعون براهمان اى الروح الكلية المجردة (٢) ، وهؤلاء هم الطبقة المميزة التي لا تخضع لغيرها من الطبقات ، ولهما من الصفات ما يجعلها محترمة بل ومقدسة في نظر الطبقات السفلى .

ومن وظائف هذه الطبقة : اقامة الشعائر وتقديم القرابين والذبائح ، وترتيل الأناشيد . وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء البراهمة استطاعوا تدعيم هذه الطبقة باستغلال نفوذهم لدى الناس على اعتبار أنهم الأكثر ثقافة بين الشعب وهم (٣) معلموه وكهنته الذين لا تقام العبادات الا بواسطتهم " وهم وحدهم الذين لهم الحق في الاعطاء والمنع والقبول والرفض " . (٤)

---

١ - : منو سمرتي ص ١٩ ، وقد شرح البيروني هذا التقسيم وقارنه بنظام الطبقات الفارسي : راجع : تحقيق ما للهند ص ٧٥-٧٦ ٢ - انظر : شرى ايشوبانيشاد ص ١
٣ - راجع : معالم تاريخ الانسانية ١ : ٢٣٤ ٤ - راجع الاسفار المقدسة ص ١٦٧

- واليك بعض النماذج من القوانين المتعلقة بافراد هذه الطبقة والتي يلاحظ من خلالها مدى الطغيان والتحكم والتسلط الذى يمارسه البراهمة

- جاء في قوانين مانو من الباب التاسع فصل منزلة البرهمي ما يلي :

٣١٤ - على الملك ألاّ يغضب البرهمن حتى ولا في أوقات المصائب لأنه إن فعل ذلك فإنه يبيده مع جيشه ومراكبه .

١٨ ٣١٨ - إن البرهمن خليق بكل إحترام سواء أكان عالما أم جاهلا شانه شان النار سواء أكانت . . . ام لم تكن .

٣٢٠ - يجب تعظيم البرهمن على كل حال ،ولو مارس كل الاعمال لان كل واحد من البراهمة إله .

٣٢١ - على البراهمة ان يوقفوا الكشتريين عند حدهم اذا ارادوا ان يعلوا عليهم لان الكشتريين خلقوا من البراهمة).(١)

الطبقة الثانية : الكشاتريا (الجنود)

هي طبقة تلي البراهمة في الذكاء .(٢) وتتكون من الاشراف المحاربين (يتعاطون الادارة والسياسة ويسهمون في المعارك ويكونون عادة طبقة الملاكين العقاريين في البلاد ، وينتمي الملك الى هذه الفئة ومنها ينتخب نسبة لحقوقه الارية والعائلية . . . وتنحصر مهمة الملك الاولى في الدفاع عن افراد الامة ،والقيام بأود طغمة من رجال الكهنوت .)(٣)

وهناك بعض النصوص التي تتعلق بهذه الطائفة منها :

٢ - كستاريا : الذى تقبل السر المقدس المنصوص عنه في الفيدا حسب القانون عليه ان يحمي هذا العالم كله .

٣٥ - خلق الملك ليحمي الطبقات والانظمة ،كل واحدة حسب رتبتها ،والتي تقوم بواجباتها المختلفة .(٤)

-(ولا يجوز للاكشترى ان يشتغل بغير الجندية . والاكشترى يعيش جنديا حتى في وقت السلم) .(٥)

---

١ - : منوسمرتي ص ٥٧٣-٥٧٤

٢ - انظر : شرى ايشوبانيشاد ص ١

٣ - : تاريخ الحضارات العام ١ / ٥٦١ وقارن مع فلسفات الهند ص ١٥٠

٤ - الفكر الفلسفي الهندى ص ٢٦٦ - ٢٦٧

٥ - : أديان الهند الكبرى ص ٥٩

الطبقة الثالثة : الفيشيا

أي التجار ، وأصحاب الأموال والمرابين[١] ، ومهمتهم القيام بأعمال التجارة والصناعة والزراعة وجميع أعمال البيوع والعقود[٢] وامتهان جميع أنواع الحرف وان توصل بعض منهم الى جمع ثروة طائلة فانهم يبقون مع هذا عرضة للضرائب والتسخير .[٣]

وقد حددت مهام هذه الطبقة في كتاب مانو سمرتي ، نختصر منها بعض هذه الفقرات :

جاء في فصل واجبات الويش . . . (الفيشيا)

(٣٢٨ - لإن إله المخلوقات ، كما عهد بالمخلوقات حين خلقها الى البرهمن والكشترى ، فكذلك عهد بالماشية وتربيتها الى الويش .

٣٣٠ - على الويش أن يكون عالما بقيمة الجواهر واللؤلؤ والمرجان والمعادن والثياب والعطور والبهارات .

٣٣١ - كما يجب عليه أن يكون عالما بكيفية بذر البذور وصلاح الأرض وفسادها وبالمقاييس والمكاييل .

٣٣٣ - وعليه أن يكون عالما جد العلم بواجبات العمال والخدم كما يجب عليه أن يكون عالما ببضع لغات وبطرق التجارة وأساليبها وبأصول البيع والشراء[٤] . .)

الطبقة الرابعة الشودرا (أو المنبوذين)

يختلف العلماء حول هذه الطبقة ، فمنهم من إعتبر الشودرا طبقة منفصلة عن المنبوذين وعليه فإن الشودرا هي الطبقة الرابعة في تقسيم المجتمع الهندوسي . أما المنبوذون فإنهم لم يدرجوا في هذا التقسيم واعتبروا فئة بعيدة كل البعد عن الطبقات الأخرى ، وقد وصفوا بأحط الصفات المذمومة والقبيحة وأعطوا المهن المحتقرة .[٥] وهناك من اعتبر الشودرا والمنبوذين طبقة واحدة ، وان صفة المنبوذين تطلق على الشودرا أنفسهم وبذلك يكون التقسيم الى أربع طبقات فقط .[٦] وهذا الراى هو أقرب الى الصواب .

---

١ - انظر : حضارات الهند ، ٢٩٥

٢ - الفلسفات الهندية ص ١٥٠

٣ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٢٦١

٤ - منو سمرتي ص ٥٧٧

٥ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ٥٦

٦ - انظر : منو سمرتي ص ٥٨٣ والاسفار المقدسة ص ١٦٦ / ١٦٧ وحضارات الهند ٢٩٥

وما جاء في بعض قوانين مانو عن هذه الطبقة وذلك في فصل واجبات الويش والشودرا ما يلي :

(٣٣٥ - ان اعظم عمل يقود الشودر الى الخير والفلاح هو أن يخدم البراهمة الصلحاء علماء الويد (الفيدا) الذين هم في الدور الثاني من الحياة .

٣٣٦ - ان الشودر الطاهر الذي يقوم بخدمته بكل امانة واخلاص ويتحلى بعذوبة البيان ويبتعد عن الغرور ويلتجىء باستمرار الى البرهمن ينال في العالم الثاني فرقة ارفع من فرقته)(١).

ومن هذه النصوص نعلم مدى استئثار البراهمة في المناصب وحرمان الطبقات الاخرى منها ، كما يتضح معاناة المنبوذين من هذا التسلط .

وجدير هنا ان نشير الى الصراع الدائم الذي ظل دائرا بين الهندوس والمنبوذين ،كان نتيجة للتعسف الذي لاقاه هؤلاء من الطغاة

وفي بحث قيم قام عبد العزيز الثعالبي(٢) بشرح قضية المنبوذين في الهند ، وآثارها السيئة ، والجهود التي قامت من أجل ضم هؤلاء الى الاسلام والعمل على ترك الديانة الهندوسية ، وهو يشير الى اللجنة التي ألفت لبحث قضايا المنبوذين عبر الأزهر في مصر ، وذلك بعد ان لفتت جريدة البلاغ المصرية انظار المسلمين عام ١٩٣٦ الى هذه المسألة (٣)

وقد أشار الشيخ عبد المنعم النمر الى هذه اللجنة وما قامت به من جهود في هذا السبيل ، الا ان هذا السعي لم يسفر عن نتيجة ايجابية وكان العائق الاكبر امام البعثة هو وجود هوة سحيقة بين المسلمين والمنبوذين ما اسهم في بعد هؤلاء عن الاسلام مع انه كان بالامكان استغلال الحالة المتدهورة بين المنبوذين والهندوس لاقامة جسر بين المسلمين والمنبوذين (٤)

الا ان العامل الاكبر في فشل محاولات المسلمين في هذا السبيل تلك المؤامرات التي يحيكها الهندوس كلما لاحت في الافق فرصة للتقارب بين المسلمين والمنبوذين وقد كان غاندي الزعيم الهندي الراحل وراء اغلب هذه المؤامرات (٥)

---

١ - منو سمرتي ص ٥٧٧-٥٧٨ ٢ - راجع هذا البحث القيم في كتاب "مسألة المنبوذين في الهند" ،عبد العزيز الثعالبي ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . ٣ - راجع المصدر السابق ص ٥

٤ - راجع تاريخ الاسلام في الهند ،عبد المنعم النمر ص ٣٣ ، ط١ ، ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م

٥ - راجع مسألة المنبوذين في الهند ص ٦٥ وما بعدها .

ثالثـــا :

الفوارق الطبقية بين الهندوس

من خلال استعراض نظام الطبقات رأينا التباين الكبير الذى يباعد بين أفراد المجتمع الهندوسي،واستكمالا لهذا الموضوع تجدر الاشارة إلى أن هذه الفـــوارق الطبقية قد شملت جميع مرافق الحياة في المجتمع ولم تنحصر في أمر واحد . ومـــن خلال النصوص التي اخترتها نرى هذا التباين الذى يدل دلالة واضحة على الظلم والقهر والتعنت في معاملة الناس،كما يدل كذلك على انتفاء مبدأ الاخـلاق الــذى يتغنى به الهندوس،ويهدر بالتالي أسس الحكمة المزعومة ،فكيف تجتمع المبادئ والحكم الرفيعة والاخلاق العالية مع قوانين مجحفة تهضم حقوق البشر وتذلهم .

واليك بعضا من هذه النصوص :

بالنسبة للعبادات :

ـ أما كشتر فانه يقرأ " بيذ " (الفيدا) ويتعلمه ولا يعلمه .

ـ وكل عمل يخص البرهمن من التسابيح وقراءة بيـذ وقرابين النار فهـــو محظور عليه (اى على شودر) حتى انه (هو) وبيش (اى الفيشيا) ان صح عليهما انهما قرآ بيذ رفعتهما البراهمة الى الوالي فقطع لسانهما .(١)

ـ على الملك : بعد أن يستيقظ مبكرا ،ان يعبد بكل أدب البرهمن العالم بالويد الثلاثة حق العلم وأن يتبع نصائحه .

ـ وعليه أن يعبد يوميا : برهمنيا مسنا ،عالما بالويد طاهرا لان من يعبـد الرجل المسن يكون معظما وموقـرا ...) (٢)

ـ وعليه ان يقوم بالعبادات الكمالية وان يعطي البراهمة كل ما يحتاجونـه اليه من أسباب المسرات ومن الأموال ليضاعف بذلك حسناته (٣) .

ـ ان جزاء التقدمة التي تقدم الى غير البرهمن يكون بسيطا وجزاء التقدمــة التي تقـــدم الى رجل يقول عن نفسه انه برهمن عالم بالويد (والانك) فجزاؤه غير محدود . (٤)

وفي مجال التشريع الحقوقي والجزائي :

ـ لا حرج على الملك ان يستعين على قضاء حوائجه ببرهمن ولو كان برهميا اسما او ببرهمن مشتبه في حسبه ونسبه ولكنه يدعى انه برهمن وليتجنب استخـــدام الشودر البتة (٥)

١ ـ انظر : تحقيق ما للهند ص ٤٥٧
٢ ـ منوسمرتي ص ٣٥٣-٣٥٤ ٣ ـ المصدر السابق ص ٣٦٢
٤ ـ المصدر السابق ص ٣٦٤ ٥ ـ المصدر السابق ص ٤٠٢

(ـ ان المملكة التي يكون فيها ميزان الاحكام بيد الشودر والملك ينظر عن كثب فان مملكته تنقرض وتتلاشى كما تغور البقرة في الوحل) (١)

(ـ ان المملكة التي يكثر فيها الشودر والملحدون تهلك سريعا بقحط أو وباء) (٢)

وفي فصل الشهادة

ـ على القاضي ان يجعل البرهمن يقسم بصدقه والكشترى بمركبته او بدابته او سلاحه والويش ببقرته او بحبوبه او بذهبه والشودر باخذ آثام كل الذنوب (٣)

وفي فصل عقاب الشهادة الكاذبة :

ـ على الملك العادل : ان يعاقب الكشترى والويش والشودر وينفيهم من الارض ان شهدوا كاذبين واما البراهمن فيعاقبه بالنفي فقط .

ـ لقد صرح (منوجي) "اى مانو" برهماجي : بجواز معاقبة الفرق الثلاث: الكشترى والويش والشودر بانزال العقاب عليهم في عشر اشياء من عضو ومتاع وأما البراهمة فينفون في الارض فقط من غير أن يؤذوا .

ـ وهذه العشرة هي : عضو التناسل ،البطن ،اللسان ،اليدان ، القدمان العينان ،الأنف ،الأذنان ،كل الجسم ، المال والعقار . (٤)

وجاء في الاحكام العامة :

ـ ان الشودر لا يتحرر ولا يعفى من الخدمة ولو حرره مولاه واعفاه لانه لا يستطيع احد تحريره الا الذي قيده . (٥) .

ـ ان استنكاف الويش والشودر عن القيام باعمالهما يجعل هذا العالم كله بارتباك واضطراب ولذلك يجب على الملك ان يجبرهما قهرا على القيام باعمالهما الخاصة بهما . (٦)

ـ اما بالنسبة للفوارق في تقسيم الارث :

ـ يقسم الارث بين الاولاد ان كانوا من اربع نساء من الفرق الاربع حسب البيان التالي :

---

١ ـ : منوسمرتي ص ٤٠٢

٢ ـ المرجع السابق ٤٠٣

٣ ـ // ٤٢٥

٤ ـ // ٤٢٨-٤٢٩

٥ ـ // ٤٩٩

٦ ـ // ٥٠٠

(-يا خذ ابن البرهمية الارقاء العارفين بالحرث والزرع ،كما يأخذ الثـور اللقاح والمركبة والحلية ويا خذ الدار حصة استثنائية ويا خذ حصة حسنة غير ذلك من الارث .

- ويا خذ فوق ذلك ثلاثة أسهم مما تبقى ويأخذ ابن الكشترية سهمين وابن الويشية سهما ونصف السهم وابن الشودرية سهما واحدا . (١)

- ليس للشودر ان يتزوج من فرقة غير فرقته ،فكل اولاده يقتسمون الارث فيما بينهم بالتساوي ولو كانوا مئة ولد (٢)

- اما في احكام الميسر :

- على الملك ان يعاقب المقامر والمراهن والشودر الذي يستشبه بالمولودين ثانية بعقاب بدني (٣)

- وفي القصاص والرشوة

- اذا تعذر على الكشترى والويش والشودر اداء ما يحكم عليهم به من غرامة مالية فللملك ان يستوفي المبلغ باستخدامهم لديه ويستوفي الغرامة في مثل هذه الحالة من البراهمن تقسيطا (٤)

هـذه بعض الامثلة والنماذج من النصوص الهندوسية التي فرقت بين الناس واقامت حاجزا بين وصولهم الى الحق والعدل . (٥) .

ولا مجال هنا لمقارنة هذه القوانين المجحفة بالاحكام والتشريعات الاسلامية التي ساوت بين الناس في الحقوق والواجبات فأعطت كل ذي حق حقه واجرت العدل والانصاف في كل القضايا التي تهم البشر ،وعملت على ازالة الفوارق الطبقية بين الناس ، ومحت قوانين الرق ، وافسحت للناس العيش بسلام .

---

١ - : منو سمرتي ص ٥٣٨

٢ - المرجع السابق ٥٣٩

٣ - // ٥٥٤

٤ - // ٥٥٦

٥ - ولمن اراد معرفة المزيد عن هذا الاجحاف نحيل القارىء على : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية لبلاد السند والبنجاب ص ١ / ٣٢١ وكذلك كتاب : تاريخ الاسلام في الهند ص ٢٨-٢٩

ويحسن بنا استعراض بعض الآيات القرآنية الدالة على المساواة ومحو الفوارق بين الناس .

يقول الله تبارك وتعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) . (١)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢)

هذه الدعوة العامة شاملة لجميع الخلق ، وهي توجيه للناس كافة لا لفئة دون أخرى . ولا شعب دون آخر أو قبيلة دون أخرى . وهذه ميزة الاسلام التي وحدت الناس لعبادة رب الناس . واخراجهم من عبادة بعضهم بعضا واتخاذهم اربابا من دون الله .

ويقول الحق تبارك وتعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣)

ويقول جل ذكره (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ .) (٤)

ويقول الهادى البشير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

(لاَ فضلَ لعربيّ علىَ عجميّ ولا لأبيضَ علىَ أسودَ إلا بالتقوى ...) (٥)

ويقول ايضا (إنّ اللهَ أوحىَ إليّ أن تواضعُوا حتّى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ) (٦)

---

١ - الحجرات : ١٣

٢ - البقرة : ٢١

٣ - النحل : ٩٧

٤ - النحل : ٩٠

٥ - مسند الامام أحمد بن حنبل ، ٥/٤١١ ، المكتب الاسلامي ، بيروت

٦ - صحيح الامام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ٤/٢١٩٨-٢١٩٩ دار احياء التراث العربي ، بيروت ط٢ ، ١٩٧٢م

الفصل الرابـــــع :

نظـــام الرهبنـــة الهنـــد وســــي ،

المبـــادئ ، والصـــور ، والمراحل .

اولا : المبادئ

بعد الاطلاع على أهم العقائد الهندوسية ، والتعرف على مبادئها التـــي صاغها الرهبان والكهنة واستعراض فرقهم وكتبهم التي قدسوها ، و طبقاتهـــم التي اخترعوها .

يأتي الجانب العملي في الفكر الهندوسي الذى يعتبر خلاصة ونتيجة لمـــا قررته هذه العقائد الوثنية .

وهذا الجانب يعتبر أخطر موضوع في هذا البحث لما ينطوى عليه من أهميـــة بالغة ، حيث تتمثل فيه الصور التعبدية التي يمارسها الهندوس على أيدى رهبانهم والتي هي نتاج أفكارهم ومبادئهم التي صاغوها ، ووضعوا أسسها واخترعوا اسماءها وسمياتها .

كما تتضح أهمية هذا البحث من خلال تـــأثيره الكبير في الأمم التي اتخذت لنفسها مسلك الرهبنة والتزمت به .

وتاريخ الرهبنة الهندوسي يبدأ من أواخر العهد الڤيدى حيث كان النساك يتواجدون على شكل افراد (يتجنبون الاتصال بالمجتمع المادى ، ولا يزاولـــون اى نشاط ، ووجدوا لهم مكانا يحقق لهم وحدتهم في الغابة وهناك كانوا يعطـــون الارشادات لاولئك الذين كانوا ينشدون الوصول الى معرفة طبيعة الكون وطبيعـــة الانسان . . . . وكان القرويون المحليون يعولون النساك عن طيب خاطر إذ كـــان يسعد اولئك القـــرويين ان يمدوا النساك بالطعام والشيء القليل الذى عســاهم يحتاجون اليه من مستلزمات الراحة في مناخ كمناخ الهند وذلك مقابل الفوائـــد السحرية التي تحل على تلك الجماعة بسبب وجود ذلك الناسك على مقربة منهـــم ، بل لقد وصل بهم الأمر الى الاعتقاد بأن مجرد لمس يده عندما يمدها لاخذ هدية منهم كان يغدق جزءاً من قوته الروحية على مقدم الهدية) (١)

ولم تتضح معالم الممارسات التعبدية الهندية ولم تقعد أسسها ومبادؤهـــا الا عبر فترات طويلة من الزمن ونتيجة جهود كبيرة من جانب الرهبان الهنـــدوس

---

١ - : شجرة الحضارة ٣/١٥٨

الذين تهيأت لهم الظروف المناسبة لسن هذه القوانين ونشرها بين اتباعهم واتخاذها كمبادئ ثابتة لا محيد عنها لكل من التزم بهذا السلك وعمل به .

ويلاحظ المتتبع لهذه القوانين مدى صرامتها وتطرفها . . . ولا غرابة في ذلك لاننا رأينا اثناء الحديث عن المعتقدات الهندوسية خطورة الاتجاه الفكرى للرهبنة الهندوسية والذى تمخض عنه القول بالاتحاد ببرهما . وكذلك القول بوحدة الوجود ، وغيرها من العقائد ذات الصلة الوثيقة بهاتين العقيدتين .

فالقول بالاتحاد يبرز الصلة بين القوانين النظرية والممارسات التعبدية ، للرهبنة . .

لقد كان الاتجاه في هذه العقائد يمثل قمة التفكير الفلسفي والرهباني للهندوس ، فالتبتل والانقطاع وحرمان النفس وقهر الجسد وتعذيبه حتى الموت من أجل الاتصال او الاتحاد ببرهما هو الهدف الاسمى والغاية المنشودة للراهب الهندوسي . (١)

وقد مر أن ممارسات اليوغا تمثل رأس هذا التطرف والغلو ، وقبل الخوض في الحديث عن الصور التعبدية المغالية يجدر بنا الوقوف عند أهم القواعد والاسس التي بنى عليها الرهبان هذه الممارسات .

وكما مر معنا في السابق فقد قسم الهندوس الناس الى طبقات وهي فئات تتحدد بالوظيفة . وهي الكاهن المعلم (براهمن) . الملك او القائد السياسي الحربي (كشتاريا) . التاجر (ڤايسيا) والعامل (سودرا) ويطلق على الثلاث المولودين مرتين ، دون طبقة الشودرا . فسنرى فيما بعد :

كيف تشمل حياة المولودين مرتين المراحل الاربعة التالية والخاصة بالرهبنة :

١ - مرحلة الطالب (براهما سارين)

٢ - مرحلة رب البيت (غراستا)

٣ - مرحلة ساكن الغابة (نانابراشا)

٤ - مرحلة الراهب المتجول (سانياسين) (٢)

---

١ - والخطورة الناجمة عن ذلك تتمثل بمحاولة الراهب التحرر من قيود الحياة وسجنها للاتحاد ببرهما عبر ممارسة شاقة مؤدية في النهاية الى ازهاق الجسد .

٢ - راجع هذه المراتب الاربع في : الفكر الفلسفي الهندى ص ٢٠

ثانيا : المراحل الاربعة

١-: مرحلـــــة الطالـــــب

يكون المبتدئ في هذه المرحلة شابا وعليه ان يتبع التعليمات الـــــتي يصدرها الرهبان وكبار الكهنة والتي من شأنها أن تدربه على أمور الطاعة وكيفيـــة العزلة والبعد عما يثير الشهوة ودراسة الكتب المقدسة وتقديم القرابين للنـــــار وكيفية الاستحمام واحترام المهتهم .الخ . (١)

وسوف نلاحظ مدى صرامة هذه القوانين وشدتها بالنسبة للطالب المبتـدئ، فقد وضعت قواعد تحظر عليه الامتناع عن أكل اللحم وعدم لبس الاحذية ، وأمره بالنوم لوحده دائمـا والتسول والالتزام بقواعد النذر (٢) التي تفرض عليه.اضـافـة الى دراسة الفيدا مدة ستة وثلاثين سنة . كما ان هذه القواعد السلوكيـــة للطالب المبتدئ من شأنها تدريبه لتقبل المراحل الثلاث الاخرى وان طول هـــذه المدة كفيل بتحقيق اهداف الرهبنة الهندوسي (٣)

---

١ - يراجع في هذا الصدد بالفلسفات الهندية ص ١١٤
وكذلك : تحقيق ما للهند ، للبيروني ص ٤٥٧- ٤٥٨
وكذلك : قصة الحضارة ٣/ ١ : ٢٢٨-٢٢٩ والمذاهب الكبرى في التاريخ ص٤٥

٢ - تلتزم نظم الرهبنة على اختلاف انواعها ومذاهبها بمبدأ النذر المتضمن لمعنـــى القسم والحلف والزام النفس بالمقسم عليه . ويشمل النذر عند هذه المذاهـب : الطاعات ، والعبادات مثل نذر العفة ، ونذر الطاعة ، والتبتل والانقطاع .
ومر بنا اثناء الحديث عن الرهبنة المصرية شيئ من هذه النذور ، وللمزيد يراجع : معالم تاريخ الانسانية ١ : ٤٦٤ - ٤٦٩ ، كما سنلاحظ وجــود شيئ من هذا القبيل عند اليونان ، وستهتم الرهبانية المسيحية بهذا المبـــدأ وستطبقه على اوسع نطاق ، وسيمر معنا هذا الموضوع اثناء الحديث عن النـــذور الرهبانية عند المسيحية .

٣ - لقد حفل الباب الثاني من كتاب منو سمرتي بجميع احكام المراحل الاربعـــة راجع ص ٤٧ - ١١٧ منه .

من القوانين الواردة في شأن هذه المرحلة ما يلي :

- يجب على الارى ان يدرس الفيدا بكاملها مع الاوبانيشاد وان يقوم باعمال الزهد ، وان يقدم نذورا مختلفة تنص عليها قواعد الفيدا . (١)

- يجب على من يريد ان يصبح براهمن ان يشرع في السنة الثانية بعد الحبل (يعني بها الولادة) وعلى من يريد ان يصبح كستاريا ان يشرع في السنة الحادية عشرة بعد الحبل وفي السنة الثانية عشرة لمن يريد ان يصبح فايسيا .

- وعند ما يتم (طقس) الشروع ، يجب ان يرشد المعلم التلميذ الى قواعد تنقية الشخصية ، وقواعد السلوك وتقديم التضحية بالنار وعبادات الصباح والمساء .

- على الارى الذى يشرع (يكرس) ان يقدم المحروقات الى النار المقدسة ويعمل ما هو صالح لمعلمه . . .

- يجب ان يرشد الطالب الذى كرس الى اتمام النذور واعمال النظام وان يتعلم الفيدا تدريجيا وان يطبق القواعد المنصوصة .

- يستحم كل يوم ليطهر جسده ويقدم تقدمات المساء الى الالهة والى الحكماء والكهنة ويعبد الالهة .

- ليمتنع عن اللحم والعطور والقلائد ليتجنب النساء وايذاء المخلوقات .

- ليمتنع عن دهن جسده وتكحيل عيونه وعن لبس الاحذية وعن الرغبة الحسية والغضب والعلاقة الجنسية والرقص والغناء .

- ليتسول يوميا لكي يحصل على طعامه

- على من يحقق نذر (التلمذة) ان يعيش دوما على الاستعطاء كما يجب ان لا يستعطي من بيت واحد على الدوام . ان استعطاء الطالب لطعامه يعادل الصوم في القيمة .

- اذا طعن بمعلمه او وبخه فانه سيصبح حمارا في الولادة الثانية واذا شهر به يصبح كلبا ، من يحسد معلمه يصبح حشرة .

- ان نذر دراسة الفيدا الثلاثة تحت ارشاد معلم يجب ان يتم لمدة ستة وثلاثين سنة ، او لنصف هذا الزمان او لربعه او حتى يتم التلميذ تعلمها على كمالها .

---

١ - راجع هذه القواعد في : الفكر الفلسفي الهندى ، ص ٢٥٥-٢٥٨

المرحلة الثانية : مرحلة رب الاسرة

هذه المرحلة تعتبر فرصة للفرد كي يزاول نشاطه العادى كاى فرد من افراد المجتمع ،فيحق له ان يترك العزلة ،وتبدأ هذه المرحلة من الربع الثاني من حياته فيعمل ويكسب ويتزوج وينجب .(١) ورغم هذا التوسع الذى تفرضه هذه المرحلة الا ان على الفرد متابعة ما بدأه في الفترة السابقة من قراءة تعاليم الفيدا .

ومن القواعد التي تفرض عليه ،ما يلي :

(- التلميذ الذى درس الفيدا الثلاثة في نظام صحيح ،دون ان يكسر قواعد التلمذة يدخل طبقة رب البيت .

- اذ يتم طقوس عودته الى المنزل هذا الذى ولد مرتين يتزوج امرأة من طبقته موهوبة بعلامات حسن الطابع .

- ليقم كل انسان في الطبقة الثانية بتلاوة الفيدا يوميا وتقديم الاضاحي الى الالهة لان المثابرة على تقديم الاضاحي يسند الخليقة المتحركة الساكنة .

- ولكي يكسب القوت الضرورى لمعيشته عليه أن يجمع الثروة باتباع الوظائف اللائقة المنصوص عليها لطبقته دون ان ينهك جسده .

الى غير ذلك من القواعد الاخرى)(٢)

المرحلة الثالثة : مرحلة ساكن الغابة

وتأتي هذه المرحلة في حياة الهندوسي اشد من المراحل السالفة من حيث ممارسة الشعائر والعبادات .

يكون الفرد في هذه المرحلة قد تجاوز سن الاربعين فعليه حينئذ ان يهجر ما اعتاد عليه في المرحلة السابقة فيترك زوجته وأولاده متجها الى الغابة فيطلق عليه اسم " ساكن الغابة " وفيها يزاول التعبدات وينقطع عن العالم فيصبح ناسكا زاهدا . اما القواعد التي يجب عليه الالتزام بها فهي كالتالي :

١ - الطالب الذى ولد مرتين ، الذى عاش حسب القانون في نظام ارباب البيوت يمكنه ان يتخذ قرارا ثابتا ،ويخضع اعضاءه ، ويحيا في الغابة ، ويطبق القواعد المعطاة .

---

١ - يختلف نظام الرهبنة الهندوسي عن النظام الرهبني للكنيسة المسيحية في هذه الناحية ،وان كانا يتفقان في بعض الجوانب الاخرى على اسس واحدة نابعة من مفاهيم مشتركة ، . وسنرى عند الحديث عن الرهبانية المسيحية تلك القواسم .

٢ - : الفكر الفلسفي الهندى ص ٢٥٨-٢٦٠ ،وراجع في هذا الصدد : الفلسفات الهندية ص ١١٤ ، وقارن مع تحقيق ما للهند ص٤٥٧

٢ - عندما يرى رب البيت ان جلده قد تجعد وشعره قد ابيض ويرى اولاد اولاده عندئذ يمكنه ان يلتجئ الى الغابة .

٣ - اذ يهجر طعامه الذى يحصل عليه بالزراعة ، وكل ممتلكاته ، يمكنه ان يرحل الى الغابة ، كما يمكنه ان يترك زوجته لاولاده أو أن يأخذها معه .

٤ - وان ياخذ معه النار المقدسة والادوات اللازمة للتضحية يمكنه أن ينطلق الى الغابة وان يسكن هناك ، يضبط حواسه تماما .

٥ - عليه ان يقدم التضحيات وان يعيش على انواع الطعام المهيأة للزاهد كالاعشاب والجذور والثمار .

٢٦ - (عليه) ان يجتهد لكي يحصل على الاشياء التي تسبب الغبطة ، وان يكون نقيا ، وعليه ان ينام على الارض العارية . وان لا يهتم بملجأ وان يقتات من جذور الاشجار وثمارها .

٢٧ - ليتقبل العطاء من البراهمانين الذين يعيشون كزهاد وليأخذ ما يمكنه ان يقيم حياته وليتقبل العطاء من ارباب البيوت المولودين ثانية والذين يعيشون في الغابة

٢٨ - على الناسك الذى يعيش في الغابة ان يحضر الطعام من القرية ، ويمكنه ان يتناول ثماني لقمات .

٢٩ - هذه الملاحظات وغيرها ، يجب ان يمارسها البراهمين الذى يعيش في الغابة ولكي يحقق وحدة تامة مع الذات السامية ، عليه ان يدرس النصوص المقدسة المختلفة المتضمنة في الاوبانيشاد (١)

ومعروف ان الاوبانيشاد هي خلاصة التجارب للرهبان الهندوس .

المرحلة الرابعة : مرحلة الزاهد المتجول

هذه المرحلة تعتبر اشد المراحل عنفا وقسوة من سابقاتها ، اذ المبالغة في مجاهدة النفس والجسد سمة خاصة بهذه المرحلة . ، والى جانب اعتمادها على الناحية العملية ، هناك الاعتماد كذلك على الناحية الفكرية ، اذ يلتزم افراد هذه المرحلة بالتامل والتفكير واخضاع الحواس وقهر الجسد والنفس وجعلهما اكثر طواعية للعقل وذلك من اجل الغاية المنشودة عندهم وهي الاتحاد ببرهما .

ان هذه المرحلة تعتبر في عرف الرهبان مرحلة تحرر من قيود الحياة وسجنها اذ ان النفس بحسب اعتقادهم تنطلق بعد القضاء على الشهوات نحو هدفها المرسوم وهو الاتحاد بالمعبود .

---

١ - راجع هذه القواعد في : الفكر الفلسفي الهندى ص ٢٦٠-٢٦٢

وكما سبق القول فان ممارسة اليوغا امر مطلوب هنا ، وعندما يرد هذا الاسم فالمعنى الوحيد الذى يجب ان يتبادر الى الاذهان هو الموت .

ومن قواعد هذه المرحلة الامور التالية :

٣٣ - بعد ان ينتهي الانسان من القسم الثالث من حياته في الغابة يمكنه ان يحيا كزاهد خلال القسم الرابع من وجوده ، وبعد ان يكون قد هجر كل تعلق بالمواضيع الدنيوية .

٣٤ - ومن ينتقل من نظام الى نظام ، وبعد ان يخضع حواسه يكسب الغبطة بعد الموت .

٤١ - عليه ان يتجول صامتا ، وهو مسلح بواسطة الطهارة ولا يهتم بالمتع التي يمكن ان تقدم له .

٤٢ - عليه ان يتجول لوحده وبدون رفيق حتى يحقق التحرر النهائي ، وعندما يفهم ان المنعزل لا يخذل ولا يخذل ، يربح هدفه .

٤٩ - يبتهج بكل ما يدل على الروح ، ويجلس جلسة اليوجي ، ويستغني عن كل مؤنة خارجية ويمتنع عن المتع الحسية ويحيا في هذا العالم ، ولكنه يتوق الى الغبطة والتحرر النهائي .

٨١ - من يهمل كل تعلقاته تدريجيا ويتحرر من الثنائية (التناقض) يرتاح في برهمان وحده .

الى جانب قواعد اخرى تختص بهذه المرحلة (١)

هذه المراحل الاربعة هي الحياة التي يحياها الهندوس ، وهي كما رأينا مدعاة ، لكل تأخر ، وترك لكل تقدم ممكن ان يسهم الانسان فيه ، لعمارة الارض ، وافادة البشرية من وجوده في مجتمعه ، والخمول الذى رافق الحياة الهندية لم يكن سوى نتيجة حتمية لتلك الحياة التي نادى بها الرهبان الهندوس وعملوا كل ما في وسعهم لانجاحها .

---

١ - انظر الفكر الفلسفي الهندى ص ٢٦٢-٢٦٣

ثالثـــا :

العبـــادات في الرهبنة الهندوسية وبعض صورهـــا

هناك العديد من العبادات في الديانة الهندوسية التي شرعها الهندوس وهي في مجملها تتسم بالقسوة والعنف وجميعها قائم على اساطير وخرافات ، يتخللها حركات وانفعالات لا حكمة من ورائها ولا يفهم مقصودها ، وتتراوح هذه العبادات بين الصلاة ، والصوم ، وزيارة الاماكن المقدسة ، وتقديم القرابين والاضاحي ، الى غير ذلك مما افاض العلماء الذين عنوا بتتبع هذه العبادات وافردوا لها ابحاثا مطولة وفصلوا اعمالها ومناسك كل شعيرة منها.[1] وهي في مجملها تخص عامة الهندوس .

اما ما يهم البحث منها خاصة بالنسبة لموضوع الرهبنة ، فينحصر في ممارسة اليوغا ، والحج ، والصوم ، وساذكر بعضا من صور هذه الممارسات للدلالة على مدى القسوة والعنف في عبادات الرهبان .

صـــور من عبادة اليـوغا

تعتبر اليوغا من أشد صور الممارسات التعبدية عنفا وقسوة ، لارتباطها بعقيدتي وحدة الوجود والاتحاد ، وكما رأينا في السابق أهمية هذه العقائد بالنسبة للرهبان ، فسوف أستعرض الصور المختلفة لهذه الشعيرة عندهم والتي فيها من المبالغات ما يخرج عن الحد المألوف ، وقد وصف لنا ديورانت ببراعة ما يقوم به هؤلاء من اعمال فكانت على النحو التالي :

(على سلم المستحمين ، نرى القديسين جالسين هنا وهناك ، يحيط بهم هنود ينظرون اليهم نظرة الاجلال ، ومسلمون ينظرون في عدم اكتراث وسائحون يحدقون فيهم بالابصار ويسمى هؤلاء القديسون " باليوجيين " وهم بمثابة المعبر عن الديانة والفلسفة الهندية تعبيرا ليس بعده وضوحه وغرابته وضوح او غرابة ، ثم تراهم كذلك في عدد اقل ، في الغابات وعلى جنبات الطرق لا يتحركون ، ويستغرقون في تفكيرهم فمنهم الكهول ومنهم الشباب ، منهم من يلبس خرقة بالية على كتفيه ومنهم من يضع قماشا على ردفيه ومنهم من لا يستره الا تراب الرماد ينثره على جسده وخلال شعره المزركش تراهم جالسين القرفصاء وقد لفوا ساقا على ساق ويركزون ابصارهم في

---

١ - راجع تلك العبادات في : تحقيق ما للهند ص ٤٥٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ واديان الهند الكبرى ص ٥١ وحضارات الهند ص ٦٢٩

في انوفهم او سررهم . بعضهم يحدق في الشمس ساعات متواليات ،بل اياما متعاقبة فيفقد ولأبصارهم شيئا فشيئا ،وبعضهم يحيطون انفسهم بالسنة حامية من اللهب في قيظ النهار ،وبعضهم يمشون حفاة على جمرات النار او يصبون الجمرات على رؤوسهم، وبعضهم يرقدون عرايا الاجساد مدى خمسة وثلاثين عاما على اسرة من حراب الحديد، وبعضهم يدحرجون اجسامهم على الارض الاف الاميال حتى يصلوا مكانا يحجون اليه، وبعضهم يصفدون أنفسهم بالاغلال في جذوع الشجر،أو يزجون بانفسهم في اقفاص مغلقة حتى يأتيهم الموت.وبعضهم يدفنون أنفسهم في الارض حتى الاعناق ويظلون على هذا النحو أعواما طوالا أو طول الحياة.وبعضهم ينفذون سلكا خلال الاصداغ حتى يمر من الصدغين فيستحيل عليهم فتح الفكين،وبهذا يحكمون على أنفسهم بالعيش على السوائل وحدها.وبعضهم يحتفظون بايديهم مقبوضة حتى تنفذ اظافرهم من ظهور اكفهم وبعضهم يرفعون ذراعا او ساقا حتى تذبل وتموت . . . .وكثير منهم يجلسون صامتين في وضع واحد وربما ظلوا في وضعهم اعواما يأكلون اوراق الشجر وانواع البندق التي يأتيهم بها الناس وهم في ذلك كله يتعمدون قتل احساسهم ويركزون كل تفكيرهم بخفية ان يزدادوا علما ، . واغلبهم يجتنبون هذه الطرائق التي تستوقف الانظار ويبحثون عن الحقيقة في . . . .دیارهم .) (١)

وقد وصف ابو الفرج ابن الجوزى احوالا متعددة من صور ازهاق الروح عند الهندوس ، وهي تتراوح بين ازهاقها بالنار او بالماء ، او بالجوع . . .الخ (٢)

الصوم

أما الصوم المفروض على الرهبان فله شروط منها :

(يحرم عليهم الانتفاع بشيء من الاطعمة التي تكون بمنازلهم وقت الكسوف ويجب عليهم التصدق بها على غير افراد طبقتهم بعد تحطيم الانية التي كانت بها وتوجب قوانين مانو على طبقة السيناتا (SINATA) وهم كبار رجال الدين من البرهميين ان يكفوا عن الاكل والشرب والنوم والسفر من غروب الشمس الى غروب الشفق الاحمر كل يوم .(٣) . وقد ذكر البيروني الايام التي يعين فيها الصيام ومواقيتها وذلك استنادا الى مطالع القمر اضافة الى اعتمادهم على حساب الابراج الفلكية ،كما ذكر كذلك بعض الاساطير والخرافات التي يتمسك الهندوسي بها لاثبات هذه

---

١ - قصة الحضارة ٣/١ : ٢٦٠-٢٦١

٢ - راجع تلبيس ابليس لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ص ٧٠دار الكتب العلمية عن طبعة ادارة الطباعة المنيرية ١٣٦٨هـ

وبراجع كذلك ما ذكره ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ٢/١٦٦-١٦٧-١٧٦ .

هـذه العبادات (١)

زيـارة الاماكـــن المقدسة

يقوم الهندوس بالحج الى عدة اماكن يعتبرونها مقدسة ،وهي اما لزيـارة شجـر ، اوصنم ،اونهـر ، كنهر الغانج مثلا .

ففي هـذا النهر (تدوى اصوات المستحمين حوله رافعيـن اذرعتهم الى السماء ويصيحون في نغمـة الصابرين (أوم ،أوم ،أوم) (٢)) وهذه الكلمـة (غالبا ما ترد على السنة اليوغيين وتطلق عند ساعة الموت وهي الشكل الموجز للتـردد الصوتي التجاوزى اذا استطاع اليوغي ترديد هذا الصور وبنفس الوقت يذكر كرشنـا او فيشنو فانه يحرز اسمى هدف) (٣) .

وتجدر الاشارة الى ان هذا النهر اصبح يشكل خطورة على البيئـة في الهند ،وذلك نتيجة استحمام الاف الهندوس في هذه النهر على مدار السنة ،اضافة الى صب مجارى المياه غير المعالجة التي تضخ يوميا وكذلك نتيجة القاء بعض الهندوس بانفسهم في النهر لاعتقادهم بان ارواحهم تتحرر اذا ماتوا فيه وكذلك القاء اجساد الموتى المحترقة في هذا النهر ومن لم يستطع احراق جسد الميت من الفقراء فانـه يربط جثة الميت بحبل معلق بحجر ويرمى في النهر وهذه العملية تتكرر باستمرار .
كل ذلك ادى الى تغيير كبير في مكونات هذا النهر ، وبعث على انتشار الاوبئـة والامراض . (٤) .

---

١ - راجع : تحقيق ما للهند ص ٤٨٣-٤٨٤
٢ - حضارات الهند : ص ٦٢٠-٦٢١
٣= " : شرى ايشوبانيشاد ص ١٤

كما ذكر البيروني الاماكن الكثيرة التي يحج اليها الهندوس راجع : تحقيـق ما للهند ص ٤٦١

- راجع التقرير الذى نشرته جريدة الرياض في عددها الصادر بتاريخ ١٤٠٥/٣/١١ الموافق ٣/ديسمبر ١٩٨٣م عدد ٦٠٠٧ ص٧ السنة ٢١ حول تلوث نهر الغانج .
وقد اخبرني احد الزملاء وهو من مسلمي الهند بان الحكومة الهندية قد اوقفـت عمليات القاء الجثث في هذا النهر مؤخرا .نتيجة لهذا التلوث .
وقد عاينت بعضا من هذه المشاهد اثناء رحلتي الى الهند .

من خلال استعراض صور العبادات الخاصة بالرهبان يستطيع الباحث استنتاج النقاط التالية :

اولا : صرامة التعاليم الدينية وقسوتها ، اضافة الى التعقيدات الكثيرة التي لا يمكن تحملها من قبل الناس العاديين ، مما يشكل عبئا يضاف الى الاعباء الناجمة عن النواحي العقدية والفكرية .

ثانيا : ارتباط هذه العبادات بالخرافات والاساطير والسحر والشعوذة وهذا بدوره يؤدي الى خداع الناس والتدجيل عليهم باسم الدين .

ثالثا : ارتباطها بمصالح شخصية راجعة اساسا الى طبقة رجال الكهنوت البراهمة ، وكبار الرهبان الواقفين على التشريع وسن القوانين .

رابعا : صعوبة تطبيق جل هذه التعاليم مما يؤدي الى نفور الناس واحجامهم عن مثل هذه الممارسات ، الا ان الجهل المطبق الذي يعيش في ظله الهندوس يبقى هذه العبادات فوق رؤوسهم كالسيف المسلط .

الفصل الخامـــس :

النتائـــج التي آلت اليها الرهبنـــة الهندوسية

وقفت في الباب الاول على النتائج التي وصلت اليها الرهبنة المصريـــــة وتبين الفشل الذى منيت به ، و ان سنة الله تبارك وتعالى قد مضت في هـذه الامة نتيجة التسلط والبعد عن منهج الله سبحانه وتعالى . ولهذا اصبحت اثرا بعد عيـن .

فالبعد عن هذا المنهج والانحراف عن الصراط المستقيم هما الركنـان الاساسيان في اضمحلال اى امة من الامم مهما علت ، ومهما تغطرست.

والرهبنـــة الهندوسية لها من النتائج الخطيرة ما يصب في هذا الباب فسمات التأخر والتقهقر في الهند بادية على مجمل الحياة التي يعيشها الهنـــود في هذا العصر ، رغم التفوق العسكرى ، على جيرانها ، ورغم التسابق في الميـــدان النووى مع الاخرين ، فان الروح الدينية تشد الناس الى الدعة والكسل ، ومـــا نراه اليوم من مصانع ، ومعامل ، وانتاج ، ماهو الا ثمــرة من ثمرات الحضارة الاسلامية التي تعلمها الهندوس على ايدى المسلمين ، فلما عرفوا قيمتها ، اخذوا في تقليـد المسلمين في جميع الميادين ، فضلا عن احتكاك العالم الغربي بهم ونقل بعــــض التقدم العلمي و التقنـي الى الهنود مما اتاح لهم الفرصة لتسلم زمام الأمـــر ونزعه من ايدى المسلمين .

فلا فضل للرهبنة الهندوسية في ذلك بل هي بعيدة كل البعد عـــن الحضارة والتقدم ، الا ان الجوانب المهمة في هذه الموضوع تنحصر فـي تقييـم الاسس العقدية للرهبنة الهندوسية وما آلت اليه من نتائج .

فمن النتائج الحتمية التي وصلت اليها الرهبنة هي اختلاط مفاهيمهـا بمفاهيم الكهانة وهذا بدوره اعطى الكهنة امتيازات كثيرة ، ولا يختلف الباحثـــون في ان الرهبنة هي بنت الكهانة وربيبتها ، ففي احضانها وكنفها عاشت ونشـــأت وما العقائد والاراء والاثار الشفوية والمكتوبة او المدونة الا ثمرة من ثمارها ، وقـــد استطاعت الكهانة استغلال الرهبنة كستار لاعمالها الدنيئة ، فاستمالت الرهبـــان لتمرير مشاريعها واستثمار طغيانها ، ولم يحرك الرهبان ساكنا الا حينما اشتـــد الطغيان على رقابهم وذلك عبر نظام الطبقات الهندوسي الذى فرضه البراهمــــة على الناس ، لهذا جاء كتاب الاوبانيشاد كرد فعل على هذا التسلط ، الا ان دهاء الكهنة منع من اخفاق جهودهم في ابقاء سيطرتهم على الناس وذلك عبر تبنيهـــم لمبادئ وعقائد الرهبان .

فحينما نتحدث عن السلبيات في هذه الاسس ، فمعنى ذلك اننا نشمل بذلك اعمال الكهان والرهبان على السواء لانها من نتائج افكارهما ، ولكونهما يتبنيان مبادئ بعضهما البعض .

ففي ظل الهيمنة الكهنوتية ارتقت هذه الطغمة سلم الاستبداد وحولت حياة الناس الى جحيم لا يطاق ، بفضل انظمتها وقوانينها ، اضف الى ذلك ما شاع فيهم من انحلال خلقي وصل الى قمة التدهور.(١)

---

١ - وصف ديورانت الاوضاع التي كانت سائدة في معابد الكهنة البراهمة وما كان يدور فيها من مجون وارتكاب للفحشاء دون خجل او وجل ، وفي ذلك يقول :

(وفي كل معبد (تاميل) مجموعة من النساء المقدسات اللاتي يستخدمن المعبد اول الامر في الرقص والغناء امام الاوثان ثم من الجائز ان يستخدمن بعد ذلك في امتاع الكهنة البراهمة وبعض هؤلاء النسوة - فيما يظهر - قد قصرن حياتهن على عزلة المعابد وكهانها ، وبعضهن الاخر قد وسع من نطاق خدماته بحيث يشمل كل من يدفع اجرا لمتعته على شريطة ان يدفعن لرجال الدين جزءا من كسبهن عن هذا الطريق وكان كثير من زانيات المعابد او فتيات الرقص يقمن بالرقص والغناء في الحفلات العامة والاجتماعات الخاصة .

ويحدثنا نص مقدس انه في سنة ١٠٠٤ ميلادية كان في معبد الملك الكولي (راجاراجا) في تانجور اربعمائة امرأة من خادمات الله ، واكسب الزمان هذه العادة صيغة الجلال فلم ير فيها احد ما يتنافى مع الاخلاق حتى ان السيدات المحترمات كن آنا بعد آن يهيئن ابنة الى مهنة العهر في المعابد بنفس السرور التي يهيئ بها الابن الى الكهنوت .

ويصف (ديبوا) في أول القرن التاسع عشر معابد الجنوب" بانها في بعض الحالات كانت تتحول الى بيوت للدعارة ولا شيء غير هذا" ، وكانت عامة الناس تطلق على خادمات الله بغض النظر عن مهنتهن في بداية الامر - الزانيات -

(وكانت) واجباتهن الرسمية تتألف من الرقص والغناء داخل المعابد مرتين كل يوم ... (وكان) الرقص يثير الشهوة وليس في اشاراتهن شيء من الوقار واما غناؤهن فيكاد كله يتألف من أشعار فاحشة تصف ما مر في تاريخ الهتهم من حوادث الاباحة الجنسية) قصة الحضارة : ١/٣ : ١٧٤-١٧٥

ولا يفوتنا ان نتعرض للاسباب الكامنة وراء هذا الانحدار لنظام الرهبنة ، والكهنة بشكل عام .

فالى جانب انغماسهم في الرذائل والتسلط والقهر تظهر انواع كثيرة من الطغيان ، ومن امثلة ذلك :

- الابتزاز المالي -

وقد اشتهر الكهنة به ، وذلك لقاء اعمال الشعوذة وضروب الاحتيال وممارسة فنون السحر والدجل . ولم يكن ليستمر هذا الابتزاز لولا تفشي الجهل بين العامة ، واستغلال الجهل من قبل الكهنة يعتبر جريمة اجتماعية واخلاقية .

- التعصب العنصري:

ان احتقار البراهمة للناس وانزالهم منزلة العبيد كان له اكثر الاثر في تعميق الشقة بين الناس ، كما أسهم في ايجاد المناخ المناسب لابقاء التمييز العنصرى متفشيا عبر نظام الطبقات .

- ادعاء البراهمة للالوهية

ان هذا الادعاء يظهر التلاعب الذى يمارسه البراهمة في عقول الناس ، كما يتضح لنا مدى سخافة العقول التي تتقبل هذه العقائد أو تنتسب اليها ، و تجدر الاشارة الى ان هذه الدعوى لم تنطل على بعض العقول التي نادت بالغاء مثل هذه العقيدة ونبذها ، مما حدا بالبراهمة الى رمي الداعين الى التحرر بالكفر والالحاد (١) . وصحيح انهم دعوا الى الالحاد

١- يصف ديورانت الموجة التي اعترضت على ادعاء البراهمة بالانتساب الى العنصر الالهي ، وقد اطلق على هذه الطائفة " المشككون " ، فقد نادت هذه الطائفة منذ (٦٠٠ ق . م) بمبادىء لمناهضة طغيان الكهنة ومن بينها :

١ - انه ليس هناك عودة للروح الى تجسد جديد ولا اله ولا جنة ولا نار ولا عالم .

٢ - ان كل الكتب الدينية التقليدية من تأليف جماعة من الحمقى والمغرورين .

٣ - وان ما يحكم الاشياء كلها هو (الطبيعة) التي تبدع والزمان الذى يهدم وهما لا يأبهان بفضيلة او برذيلة (بل يقسمان) بين الناس انصبتهم من السعادة والشقاء .

٤ - وان الناس تخدعهم حلاوة الكلام فيعتنقون الاعتقاد في الالهة والمعابد والكهنة مع انه في الواقع لا فرق بين فشنو وكلب) . انظر قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٩-٢٣٠ وهكذا نرى ان من نتائج الكهانة والرهبنة تحول الناس نحو الالحاد والشك في الدين ، تماما كما هو الحال الذى آلت اليه اوروبا في عهد الكنيسة المسيحية خلال العصور الوسطى والذى أدى فيما بعد الى بروز الشيوعية . وسيتعرض البحث لهذه النقطة اثناء الحديث عن الطغيان الكنسي والبابوى .

الا ان ذلك كان نتيجة حتمية للطغيان الديني والسياسي والاجتماعي الذى مارسه البراهمة .

- ان القيود التي يفرضها الرهبان على أنفسهم ، وطقوس العبادات التي يشرعونها للناس ، هي من باب التكليف بما لا يطاق ، مما ينتج عنه اهدار للارواح ، وضياع للاوقات ، وافقار للناس ، .

- ان دعوى التمسك بالاخلاق الفاضلة ونذر العفة والطهر ، واظهار التبتل والابتعاد عن الدنيا وما فيها ، لا تثبت امام المناظرة ، لقيامها على اسس عقدية مستندة الى خرافات واساطير ، . فضلا عن كونها تعطيل للفطرة البشرية ، ومنع وظائف الجسد من اتمام مهامها على الوجه المطلوب ، فالدعوة الى نبذ الحياة كلية وطرح الطيبات جانبا والعمل على نشر الاستعطاء ، كل ذلك يوءدى الى خلل في بنية المجتمع الفكرية والاقتصادية ، والعلمية ، ولهذا فان الهند تعتبر من أكثر البلدان فقرا في العالم ، وهذا راجع الى تعطيل دور العمل في الحياة والركون الى الممارسات التعبدية التي لا طائل تحتها والتي تنهك الجسد اكثر مما تحميه ، كما ان الالتجاء الى التفكير في اوهام غير مجدية ، لا نفع فيه بل هو توقيف لحركة العقل وربطه باحزمة من الخيال والضياع .

لكل ذلك نرى ان فقدان المصدر التشريعي الصحيح ، المعتمد على اصل سماوى منزل وموحى به من الخالق تبارك وتعالى من غير تحريف ولا تبديل هو شرط اساسي من شروط الدين الحق ، لان الخالق اعلم بما يصلح شوءون الناس ، وما يناسبهم في عسرهم ويسرهم ، .

اما الاعتماد على تشريع وضعي من صنع البشر ، فهو بمثابة وضع الامر في غير نصابه ، بل تعد على حقوق الله تبارك وتعالى اذ له اخص خصائص الالوهية وهي الحاكمية التي تعبد الناس بها وانزل تشريعه ليرجعوا اليها في جميع أمورهم . اما التشريعات الوضعية فانها غير موءهلة لتصريف شوءون العباد وتقنينها ،

فالمنهج الرباني هو الكفيل بتحقيق ذلك ، لانه دين الله المتكامل القويم الذى لا زيغ فيه ولا نقصان ، صالح للفرد والمجتمع ، في كل زمان ومكان .

وما دامت الأمة متمسكة بهذا المنهج ، تحترم قداسته ، وتلتزم بمبادئه وأهدافه ومثله ، وتنافح عنه ، فهي بخير ، ولا يضرها من خالفها .

وان تخلت عنه ونبذته وراء ظهرها فان الفساد حال بها لا محالة ، والوبال واقع بها لا غرابة . وما عليها الا انتظار العذاب من الله تبارك وتعالى ، فهو يمهل ولا يهمل .

وبناء على هذه القاعدة فان اى مجتمع يرضى لنفسه الحكم بانظمة وضعية أو قوانين بشرية لا بد له من ان يتخبط قبل ان يندثر وينهار ، وذلك من سنن الله تبارك وتعالى ولان المذاهب والقوانين البشرية تعتريها امور عدة من بينها :

١ - الاهواء الشخصية والمصالح الفردية الانانية ، فبوجود هذه الامراض فان المصالح العامة تتعرض للتعطيل ، وبالتالي تقل استفادة المجتمع من هذه القوانين فضلا عن الصدام الحتمي بين فئات الناس الذى ينشأ نتيجة استئثار البعض بهذه المصالح ، وتفضيل الانانية على المصالح العامة .

٢ - قصور هذه القوانين وعدم ملاءمتها لمختلف الازمنة والامكنة ، وهذا راجع الى ضيق افق العقل البشرى تجاه القضايا الانسانية الكبرى ومشاكلها العالمية التي لا سبيل الى حلها عن طريق حلول بشرية قاصرة ، بل لا بد من تدخل العناية الالهية لتسهيل وتيسير سبلها .

٣ - اعتماد هذه القوانين على عناصر القومية والعرقية الضيقة دون مراعاة مبدأ أصل النشأة البشرية وجعلها كاساس للتعارف بين بني البشر .

٤ - اعتمادها على التمييز العنصرى وتغليب فئة على أخرى حسب اللون والجنس والشكل .

لهذا كله ولامور اخرى غيرها نستطيع ان نقول : ان قوانين الرهبنة من هذا المنظور وعقائدها لا يمكن للعقول النيرة القبول بها مطلقا ، ورفضها هو السبيل الوحيد للنجاة من العذاب والهلاك .

والنتيجة التي آلت اليها الرهبنة الهندوسية ، هي فشلها في تحقيق الامن والامان للناس مما نشأ عنه بروز الرهبنة الجينية ، والبوذية كرد فعل لهذه الظاهرة والتي سوف نعالجها ان شاء الله في السطور القادمة .

البـــــــاب الثالـــــــث

الاسس العقدية
" للرهبنـــــة الجينيـــــة "
والرد عليهمـــا

الرهبنة الجينية : نشأتها وتطورها (١)

التمهيد

أ - اسباب النشأة :

لعل من أبرز النتائج التي تمخضت عنها الرهبنة الهندوسية عبر سيرتها الطويلة هو نشوء عدد من الفرق الهندية التي إنفصلت عن الهندوسية تماماً ووقفت في وجه التعاليم البرهمية ، وأنكرت جملة من عقائدها الهامة ، واقتبست منها البعض الآخر ، كما تميزت عنها بوضوح معالم الرهبنة فيها .

وللحديث عن اسباب نشأة الرهبنة الجينية ارتباط وثيق بالحالتين الاجتماعية والدينية في الهند التي شهدت على مدى قرون طويلة حالات من القهر والتسلط البرهمي ، و التي أشاعت في الاجواء نوعا من القلق الدائم والخوف المستحكم في نفوس الطبقات الدنيا التي رزحت تحت نير التعاليم الدينية ردحا من الزمن .

وقد سبق الكلام عن هذا الموضوع في الفصول السابقة ، الا ان ما يعني البحث هنا ، هو : كيفية تقبل النفوس لعقائد جديدة بعيدة عن نطاق التعاليم الموروثة .

فقد شهد القرن السادس ق . م حركات عديدة بهدف التخلص من هيمنة البراهمة (٢) ، وكان الجو حينئذ يعج بالاراء والعقائد المختلفة ، وكانت النفوس مهيئة ومستعدة لقبول اى فكرة معارضة لمبادىء الطبقة الاولى مهما كان لونها . وحرى أن تأتي هذه المعارضة من قبل تلك الفئات المحرومة والمطحونة برحى الطغيان البرهمي ، وقد رأت هذه الفئات في الدعوات التي قامت: سلكا جديدا لعبور النفق المظلم الذى أحال حياتها الى كابوس مرعب .

لقد جاءت حركة التغيير من قبل طبقة الكشتريا (٣) وهي الفئة التي أسندت اليها مقاليد الحكم ، وهي أشبه بالمنصب الفخرى ، وذلك لضمان سكوتها ، ولأن القرارات لا تصدر إلا من البراهمة وأن التنفيذ كان لزاما على طبقة الكشتاريا ، .

---

١ - هذا الاسم نسبة الى كلمة " جينا " ، ومعناه : " القاهر " راجع : قصة الحضارة ٣ / ١ : ٥٨

٢ - راجع : الموسوعة البريطانية : ١٠ / ٨ مادة " الجينية " .
_ ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA . V:10 . P.8 _ 1974)
وموسوعة تاريخ العالم ، وليم لانجر ، ١ / ٩٧

٣ - راجع اديان الهند الكبرى ص ١٠٧ . ، ويذهب بول ماسون الى ان الجينية قد تأسست تحت تأثير الاصلاح الايراني الذى وضعه زرادشت) : الفلسفة في الشرق " بول ماسون اوريسيل " ت : محمد يوسف موسى ص ١١٧ ، دار المعارف ، مصر .

ب - مؤســـس الحركـــة :

برز مهافيرا ، أو " مهاويرا "(١) من هذه الطبقة ،كأحد ابناء الامراء في بلدة (ويسلا)(٢) من منطقة بيهـــار(٣) . وذلك في القـــرن(٤) السادس (٥٩٩ -٥٢٧) . ق.م. وهي الفترة نفسها التي ظهر فيها بوذا(٥) . وتجمع المصـــادر على انه كان بامكانه تصدر أمور الحكم كابيه أو أخيـــه(٦) ،إلا أن سببا رئيسيا حـــال دون ذلك الأمر . فالصدمة الأليمة التي أحلت به إثر موت والديه معا جوعـــا عقـــب(٧) صوم طويل ،وقهر للنفس اتباعا لقواعد دينية صارمة ومتطرفـــة(٨) ،ولعلهمـــا كانا ممن يمارسون عبادة اليوغـــا ـ

هذه الصدمة قلبت حياة مهافيرا العادية ، وجعلت نفسه وعقلـــه ثائرين حائرين ،وكانت نقطة تحول في مسار حياته ،فقد هانـــت عليه الدنيا ، ورخصت النفس ،فهام على وجهه تائها هاربا من مجتمعه منزلا بنفسه أقسى أنواع الزهـــد والتقشف.(٩)

---

١ - معنى هذا الاسم : "البطل العظيم". وقد يطلق عليه أيضا إسم " فاراد مانا "
راجع : حكمة الاديان الحية ص ١٤١ .

٢ - راجع : الهند حضاراتها ودياناتها ، ص١٤٢ وكذلك راجع : (
_ MAN'S RELIGIONS , John. B. NOSS . P. 95. MAcmillan Publishing CO. INC . NEW. YORK. 1980

٣ - راجع موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ١ / ٣٢٤

٤ - يختلف العلماء حول تعيين سنة ميلاده ووفاته ، فـــاضافة لما ذكر ، هناك من يذهب الى انه ولد سنة ٥٤٠ق.م . انظر : الهند حضاراتها ودياناتها ، ص١٤٢ وهناك اقوال اخرى حول هذا التاريخ ،الا انه لا يوجد تاريخ متفق عليه بيــن العلماء.

٥ - راجع : مجلة ثقافة الهند : عدد ٣ ،مجلد ٢ ، ص٣ ، سنة ١٩٥١
ويعتبر غوستاف لوبون ان الجينية والبوذية هما شيء واحد لتشابه النشأة ، والسيرة والاراء . والحقيقة انهما مختلفتان في كثيرة من النواحي ،وليس صحيحـــا ما ذكره لوبون ،بدليل انه تعرض لذكر معابد الجينية ووصف الجينوات ،وهذا غيـــر موجود عند البوذية لعدم ايمانهم بهذا المبـــدأ . راجع مقالته في : حضارات الهند ص ٦٢١-٦٢٣ . كما ان العـــديد من العلماء لم يذهبوا الى ما ذهب اليه لوبون .

٦ - راجع : اديان الهند الكبرى ، ١١١ . ٧ - الديانات والعقائد في مختلف العصور : أحمد عبد الغفور عطار : ١٠٧/١ مكة المكرمة ،ط١ ، ١٤٠١ه-١٩٨١

٨ - ثقافة الهند ،عدد ٣ ،مجلد ٢ ، ص٣ ، سنة ١٩٥١ .

٩ - علما بان مهافيرا قد عاصر عددا كبيرا من الرهبان الذين أشرفوا على كثير مـــن الاديرة التي اتبعت نظام بارسفاناثا في تعاليمها وهذا النظام كان من مهامه تخريـــج الرهبان.ومن بين هذه الاديرة مدرسة "ديويالاسا" ،التي لم ترق له فهجرها ، انظر :
_ EARLY INDIAN RELIGIONS. P. 147 . RePRinted 1975 P. BANERJee . NEW Delli . INDIA

وربما اراد ان يضع حدا لحياته باتباعه لهذه الطريقة تماما كما حصل لوالديه الا ان الامور لم تجر كما يشاء «ثم ما لبث ان انضم لجماعة الشحاذين ، ونذر الا يتكلم اثنتي عشر عاما » (١)

والامر المفاجئ حقا ، هو انقلاب هذا الزهد الى نوع جديد من الرفض للعقائد والمبادئ البرهمية (٢) . اذ كان في البداية ممارسا لتلك الرياضات الروحية على الطريقة التي رسمها الرهبان البرهميون .

وهنا يبرز سؤال عن سبب تغير الوجهة التي كان عليها ، وتحول هذه الوجهة الى دين جديد (٣) .

ومما لا شك فيه ان مهافيرا استطاع خلال رياضته القاسية التعرف على دقائق وتفاصيل الممارسات التعبدية السائدة ايامه ، ومن ثم بانت له عن كثب الاساليب الملتوية التي يتبعها الرهبان والكهنة الهندوس في تمرير عقائدهم وشرائعهم ، وبثها بين الناس بطرق غير اخلاقية ولا تليق بالزاهدين . كما بان له زيفها وخداعها .

كما استطاع تبيان الاسباب الرئيسية لسريان القهر والتسلط الممارس من قبل البراهمة على غيرهم من الطبقات الاخرى .

ولهذا كله فقد أبى عقله تقبل مثل هذه الترهات سيما وانه وصل الى مرتبة عالية تسمى (المرشد : تيرثانكارا TiRThanKAR) (٤) .

لقد وازن مهافيرا بمنهجه العقلي الصرف امور العقائد الهندوسية واصطدم بالواقع العملي الممارس ، فوجد هوة سحيقة بين ما تدعيه البرهمية الهندوسية من زهد وتقشف وبين ما تمارسه من قهر وتسلط . وخرج بنتيجة مؤداها الشك والالحاد بكبرى العقائد الهندوسية الا وهي عقيدة تعدد الالهة .

وهي ردة فعل طبيعية معاكسة للتطرف المغالي للفكر الديني الوثني . وقد اعتبرت هذه النزعة بمثابة حركة اصلاحية ضد الديانة التقليدية ، كما اعتبر مؤسس الجينية مصلحا في العصر الذى نشأ فيه ، والذى نادى اضافة الى نبذ الالهة (٥) : بازالة نظام الطبقات (٦) ، وعدم الاعتراف بالكتب المقدسة (الفيدا) (٧) .

---

١ - حكمة الاديان الحية ، ص ١٤٢ ٢ - راجع الموسوعة البريطانية ٨/١٠ وانظر كذلك : موسوعة تاريخ العالم ٩٧/١

٣ - الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٤ - تفيد بعض المصادر ان الجينيين يعتبرون مهافيرا احد كبار المصلحين الذين تعاقبوا واحداً تلو الاخر والبالغ عددهم ٢٤ جينا وهي تعني "المصلح" انظر : EARLY iNdian RELigions. P. Baner Jee P. 147 - RePRinted 1975 NEW Delhi.

٥ - قصة الحضارة : ٣/١ : ٥٩ ، ومجلة ثقافة الهند، عدد ٣، ص١، مجلد ٢، سنة ١٩٥١ وكذلك الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٦ - الفلسفات الهندية ص ٣١٧ ، وانظر كذلك : حضارات الهند ص ٦٢٢ - ٦٢٣

٧ - انظر : الفكر الفلسفي الهند ص ٣٢٥ و موسوعة تاريخ العالم ٩٧/١-٩٨

وهناك حافز اخر شجع مهافيــرا على الاستمرار في دعوته وهو مناصرة امــــــراء المقاطعات والاسر الحاكمة من الكشتاريين لدعوته وتأييدهم له . ومن اهم هذه الاسر: "فيديها" و "مغاداثا" و "وانغا" . . .وكانت مقاطعة بيهار وما جاورها من المدن والقرى والبلدان محور نشاطه . . . كما ان بعض رجال الدين والرهبــــان قد انضم الى هذه الدعوة .(١)

١ - راجع ــ EARLY indiAN. RELigioNS. P. 148_150

الفصـــل الاول :

اهـــم العقائـــد الجينيـــــة ونقدها

اولا : اهم العقائد

انكر مهافيرا جملة من العقائد الهندوسية كما أسلفنا وفي طليعتها تعدد الالهـــة .

فلم يعترف بضرورة وجود اله لهذا الكون مبررا ذلك بأنه في حال اتخاذ الالهة فان ذلك من شانه العودة الى نظام الطبقات وهو الامر الذى يرفضه وينكره (١) .

لقد ربط مهافيرا بين هاتين السألتين لكون البراهمة مسؤلين عن ايجاد هـــذا الحشد الهائل من الالهـــة المزعومة ، والتي أثقلت العقل الهندى بالاراء المتناقضـــة وكبلت الحياة الدينية وعقدتها فضلا عن الحيرة والاضطراب اللذين لازما الناس أزمنة طويلة .

ومن هنا برز السبب الرئيسي الذى حدا بمهافيرا لانكار الالوهية ، ولكـــي يصرف أنظار أتباعه عن هذه القضايا دعا الى الاتجاه نحو الاعتناء بالنفس عن طريـــق تهذيبها وازالة ما يعلق بها من أدران حتى تصل الى مرحلة النجاة ، حيـــث الخلود التام .

وقد فلسف الجينيون هذه العقيدة بقولهم :

(" انه ليس من الضرورى أن نفرض وجود خالق أو سبب أول ، فكل طفل يستطيع أن يُفَنِّدَ مثل هذا الفرض بقوله : إن الخالق الذى لم يُخْلَق أو السبب الذى لم يسبقـــه سبب ،لا يقل صعوبة على الفهم عن افتراض عالم لم يسبقه أسباب ، ولم يخلقه خالـــق ، وانه لاقرب الى المنطق السليم أن تعتقد أن الكون كان موجودا منذ الأزل ، وأن تغيراته واطواره التي لا نهاية لها ترجع الى قوى كامنة في الطبيعة ، من أن تعزو هذا كله الى إله)[٢]

---

١ - وان كان هذا المبدأ قد خرق فيما بعد على يد اتباعه الذين جعلوا من مهافيرا الهـــا يضاف الى سلسلة الهة الهندوس . وهنا نجد له عدة اسماء منـــها " الوقـــور (Arhat) والمصلح او الفاتح (JiNA) راجع في هذا الصدد مجلة ثقافة الهند مجلد ٢ عدد ٣ ص ٢ ١٩٥١

٢ - قصة الحضارة ٣ / ١ ٥٩ .

وخير معبر عن هذه العقيدة هو كتاب (الستوراكريت انكا) الذى اوضـــح هذه العقيدة المستندة الى مقولة الطبيعيين بقوله (العالم أبدى لا حد له وهو كائن ليخلد ولن يفنى) : حكمة الاديان الحية ص ١٤٦ و راجع كذلك حضارات الهند ص ٦٢٢ وكذلك Man's Religions P. 99)

ويستتبع هذا الالحاد نبذ فكرة الروح الكلية المسيطرة (أتمان Atman)[١] التي تقول بأن أرواح البشر وأرواح الالهة متحدة بهذه الروح الكلية .

الا أن مهافيرا لم يستطع انكار الروح في الانسان فأقر أن لكل فرد روحه الخاصة التي ينفرد بها عن بقية الأرواح .

وعلى هذا الأساس فقد اهتم مهافيرا بهذه الروح ودعا اتباعه لتنقيتها . كما رفض مبدأ البراهمة القائل (باتصال الروح بالجسد على الدوام ودوران انتقالها وفق مفروضات قرروها لصالحهم وتحقيق مآربهم . وقد حاول ابطال مزاعم الكهنة قائلا :

(ان الروح ما دامت محبوسة ومقيدة باغلال الجسد وسلاسله لن تصبح في فسحة ولن تتحرر لتنطلق الى آفاق غير محدودة ولن يتسع سلطانها ، ولن تظهر عبقريتها ولن يتحقق نبوغها)[٢]

وبدلا عن ذلك فقد نادى بأن الطريق (لخلاص الجسد كامن في قهر النفس وانكار الذات وهذا ما عرفه في وصاياه الخمس التي أهمها وأولاها هي (ال (أهنسا) (Ahm Sa) أو عدم الايذاء لكل ذى حياة ولأن لكل حي روحا)[٣] وصحيح أن الدعوة الى قهر الجسد وتعذيب النفس ليست جديدة على الفكر الهندى . . . الا أن الأمر الجديد هو الدعوة الى عدم ازهاق أي كائن ذى روح [٤]

وبالنتيجة فان هذا الالحاد قد بني على أساس من سوء فهم لمسألة الايمان بالله تعالى . اذ أن هذه الفكرة كانت مشوشة في أذهان الجينيين وهذا يعود الى ربط التقديس بالالوهية التي يدعيها البراهمة وأن الالهة عندهم لها من الصفات ما يجعلها تشترك مع الصفات البشرية بأمور كثيرة فهي تأكل وتشرب وتجوع وتعطش وتتناسل . . . وهذا ما عكر فكر الجينيين مما استدعى انكارهم لوجود الالهة .

وعليه فقد قاست الجينية مبدأ الالوهية عند الهندوس وقارنته من وجهة نظر بشرية محضة دون الرجوع الى مقومات النظرة الفكرية المجردة عن كل هوى أو ردة فعل لأي مشكلة عقدية من هذا النوع . فاثبات الألوهية لا يتم عن طريق قياس الغائب على الشاهد بل باتباع الأصول العلمية والأسس المنهجية ، ودراسة البراهين القاطعة الدالة على وجود الخالق عز وجل وما أكثرها ، فمنها ما هو فطرى مستودع في النفس البشرية ، ومنها ما هو نظرى ثم ما كان عقليا أو فكريا .

والاسلام حينما يعالج هذه القضايا فانه لا يعالجها وفق الخيال والأوهام بل نراه يدعو العقل البشري للتدبر والتفكر في هذا الكون الفسيح وما فيه من مخلوقات والتبصر في النفس البشرية وما انطوت عليه من خفايا وأسرار معجزة لا يمكن التوصل الى سبر غورها عن طريق المعرفة البشرية القاصرة وكذلك بقية المخلوقات الأخرى . فاذا ما تجرد العقل عن الهوى والزيغ والتخمين . وربط الأمور وفق ما يقتضيه المنطق السليم ، وأرجع الأسباب الى مسببها ومنسقها وخالقها وباريها فلا بد والحالة هذه من أن يقر بوجود الله تبارك وتعالى .

(قُلْ انظُروا مَاذَا فِي السَّموات والأَرْضِ وَمَا تُغْني الآياتُ والنُّذُرُ عَنْ قَومٍ لا يُؤمِنُون) [٥]
(وَقُلْ الحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون) .[٦]
(قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الأُخْرَى إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ)[٧] (. . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون . .)[٨]

وهكذا فإن العقل إذا ما سار وفق هذا النهج فسيصل الى الحقيقة اليقينية الكبرى التي لا ينكرها إلا هالك .

---

١ - راجع : مجلة ثقافة الهند ص ٢ عدد ٣ مجلد ٢ سنة ١٩٥١
٢ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٤٢
٣ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٣ ٤ - طالما بان الجيني يسمح لنفسه بازهاق روحه متى شاء عبر ممارسته للرياضة الروحية (اليوغا) .
٥ - يونس : ١٠١ ٦ - النمل : ٩٣ ٧ - العنكبوت : ٢٠
٨ - الذاريات : ٢١

ثانيا : الكـــارمـــا وتناســـخ الارواح :

يجمع العديد من العلماء على ان اصحاب الديانة الجينية يوءمنـــون بمبدأ الكارما وتناسخ الارواح ، وليس صحيحا ما ذكره صاحب كتاب " الفلسفات الهندية من ان " موءسس الجينية لم يقل بعقيدة التناسخ "(١).

وقد سبق لنا التعرف على هاتين العقيدتين من خلال دراستنا للفكر الديني الهندوسي ، وبان لنا أهميتهما في تلك الديانة .

والفكر الجيني يوافق هاتين المقولتين(٢) مع اختلاف طفيف لا يوءدى الى كبيـــر فرق ، وهو يدور حول محورالكارما من حيث كونها " مادية " أم " اعتبارية " .

فقد آمن الجينيون بمبدأ الكارما على(اساس انها قانون الجـزاء وانها تتحكم في كل حياة فيكافأ الانسان او يجازى على كل ما يأتي به او يجترحه من صالح او طالـح في الحياة التالية) . (٣) . وان النفس تتقمص جسدها الجديد اذا ما نالت مـــن الجزاء حقها الموفور (٤) .

والفرق بين النظرة الجينية والهندوسية الى الكارما يتعلق بجوهـرها .

ففي حين يرى الهندوس انها اعتبارية . يذهب الجينيون الى ان الكارما هي كائـــن مادى (يخالـــط الروح كانه يمسك بتلابيبها، أو يحيط بها كما تحيط الشرنقـــــــة بالفراشة)(٥) .

وعلى هذا الأساس فقد قسم الجينيون الأرواح الى أربعة أقسام وذلك حســـب التالي :

١ ـ الأرواح ذات الحواس الخمس : مثل الآلهة(٦) ،الإنسان ،الحيوانات ، والكائنات النارية .

٢ ـ الارواح ذات الحواس الأربعة :

مثل : الحشرات الكبيرة ، النمل ، النحل ، الذباب ، والفراشات .

---

١ ـ راجع : الفلسفات الهندية : د . علي زيعور ، ص ٣١٧

٢ ـ راجع الموسوعة البريطانية ١٠/٨

وكذلك : Man's Religions. P. 98 -

٣ ـ حكمـــة الاديان الحية ص ١٤٢ ، والفكر الفلسفي الهندى .

٤ ـ انظر قصة الحضارة ٣/١ : ٦٠

٥ ـ : اديان الهند الكبرى : ص ١١٦

٦ ـ كما سبق القول فإن أتباع مهافيرا حوروا مذهبه من الإلحاد إلى الإعتقاد بوجود الهة ، فقد اثبتت الحفريات في مقاطعة كالينغا وجود تماثيل للمصلحين الجينييـــن وكان ذلك في حدود القرن الرابع ق . م (وغالبا ما كانت هذه التماثيل تعبد بعد مهافيرا) انظر بتوسع (Early Indian Religions. P. 177 -

٣ ـ الارواح ذات الحاستين : وهي التي تتمتع باللمس والذوق فقط كالديدان ، والحيوانات الصغيرة ذات الاصداف .
٤ ـ ذات الحاسة الواحدة :
مثل النباتات ،الاشجار ، الجذور ،والاجسام النباتية المائية . . . الخ . (١)

ثالثا : النظرية النسبية

المعرفة في نظر الجينيين نسبية (وللحقيقة (عندهم) معالم عديدة لا واحدة ، ، وهي تختلف مع النظرة الهندوسية ، فهي تقول ان النظر الى ماهية الحقيقة شيء نسبي تختلف باختلاف الناظر وهي مهما كانت تعبر عن ذاتها باشكال عديدة مع العلم اننا لا نصل الى إثبات المطلق) (٢) . وهذه النظرية تلحظ مثلا :
(أن هذا الشيء قد يكون حاراً بالنسبة الى شخص ما ، وباردا بالنسبة الى شخص آخر . حاراً بالنسبة الى الشخص المعين ، وباردا فيما بعد بالنسبة اليه ايضا ، وذلك بنوع من التقريب أو أن شخصا ما بالذات هو ابن وأب وعم . . . الخ بالنسبة الى أقاربه الاخرين (٣) .

وقد نفى البعض أن يكون هذا الامر شك تلتزم الجينية به ، موضحا أنه قد (ظن بعض المؤلفين المحدثين أن في هذا المبدأ فلسفة شكية بينما هو في الحقيقة مبدأ نسبي ، وقد استخلص منه العديد من التطبيقات العملية والاخلاقية بشكل خاص وعلى هذا فما هو أمامنا في العالم الحسي ليس حقيقة ثابته بل هو تداخل علاقات مرتبط بوضعنا وأحوالنا أمام تلك الحقيقة ، فالعالم الحسي لا يستحق منا المبالاة والاهتمام فبالعكس ينبغي علينا نفيه والانعكاف على بناء داخلنا ، وقطع كل ميل نحو الواقع ، من هنا تنبع عقيدة اللاعنف (أهمسا) والسلوك المتشظف والتأملي .) (٤)

ومهما كان الدفاع عن هذه العقيدة فان السلبية هي الطابع المميز فيها . والدفاع الذى تقدم آنفا لا يثبت عند البرهان ، فهذه العقيدة بحق تعتبر هروبا من الواقع وعدم الاحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتق الانسان والتي تتعلق بأمور رسالته كبشر مكلف باداء الامانة ، وعمارة الارض . وهذا الهروب يعتبر مرضا نفسيا ناجما عن النظرة التعيسة للحياة فبدلا من ايجاد الحلول لمعضلات البشر ومشاكله

---

١ ـ راجع : Man's Religions p.99 والفكر الفلسفي الهندى ص ٣٣٢
٢ ـ الفكر الفلسفي الهندى ص ٣٤١ ٣ ـ فلسفات الهند ، جان فليوزات ـ ت: علي مقلد ص ٣٢ ـ ٣٣ ، المنشورات العربية ، جونية لبنان ، وكذلك راجع موسوعة الدين والاخلاق ٤٦٨/٧
٤ ـ الفلسفات الهندية ص ٣١٨

تفضل الجينية الانعتاق من هذه المسؤولية والركون الى التأمل العقلي الذى لا يتعلق الا بالذات والنفس وايجاد الوسائل لتعذيبها وشقائها .

فأي فكر ثاقب ياترى سينتج عن نفس كئيبة حزينة ؟ أللهم سوى مبادئ مريضة وأهداف عقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع ؟ .

وتجدر الاشارة الى أن هذه النظرية كانت بداية لنظرية أكبر ، ونعني بها ما طوره الفلاسفة اليونان على يد " هيرقليطس" (٥٤٠-٤٧٥) ق م . الذى وجد في هذه النظرية بابا لغرضيته القائلة بأن (الأشياء في تغير متصل) وقوله (أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين، فان مياها جديدة تجرى من حولك ابدا) (١) .

فالتغيير عنده هو (قانون الوجود وأن الاستقرار موت وعدم ، فاذا كان كل موجود يتغير باستمرار امتنع وصفه بخصائص ثابته وامتنع العلم أيضا لأنه يتألف من قضايا ضرورية والواقع أن "هيروقليط" كان لا يقصد الى هذه النتيجة لكن جماعة من السوفسطائيين هم الذين استخرجوها من نظريته هذه غير ملتفتين الى أن الوجود قد يتغير بالعرض ويبقى هو : هو من حيث الجوهر والماهية ولما كان "هيروقليط" لم يفطن الى هذه التفرقة فقد اعتبر الجد الأعلى للشك في الفلسفة اليونانية) (٢) .

كما أن هذه النظرية قد تطورت في العصر الحديث على أيدى دعاة الوجودية وعلى رأسهم اليهودى جان بول سارتر الذى طورها ليصل بها الى الكفر والالحاد واستتبع ذلك نظريات اباحية.من ذلك قوله : (انك تستطيع أن تفعل ما تريد وليس ثمة من له الحق في توجيه النصح إليك وليس في نظرك شر وخير إلا اذا خلقتهما) (٣) .

رابعا : فرضية المادة الذرية

تؤمن الجينية(بأن المادة ذرية في تركيبها وأنها لا تفنى وأن الزمن لا يفنى ، وانما يمر في دورات لا يدركها العقل طولا ، وكل دورة منها ترتفع رويدا الى ذروة من الخير ثم تنحدر فتدخل في فلك آخر يتردى باستمرار في الشر حتى يبلغ أحد أعماق الفساد قبل أن يأخذ دوره في فلك جديد للخير وتستغرق هذه الدورات المتلاحقة ملايين ملايين القرون ، والانسان الذى لا تزيد حياته عن طرفة عين في دهر ، كيف يتسنى له أن يعيش ليدرك السلام لروحه وأن يتخلص من آلام الدنيا) (٤) .

وهكذا يظهر التناقض بين مبدأ التغيير وهذه الفرضية ، وعلى أي حال فان مقولة عدم فناء المادة الذرية فتحت الباب واسعاً أمام الفلاسفة والملاحدة للقول بقدم العالم ، فنجد الفلسفة اليونانية القديمة تتبنى هذه النظرية وتدافع عنها بأدلة لا تستند الى براهين علمية بل الى تخمينات وتخيلات عقلية لا أساس لها من الصحة

---

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ١٧

٢ - انظر : محاضرات في نقد الفلسفة ،ألقيت على طلبة كلية الشريعة للدكتور محمود خفاجي ١٣٩٨-١٣٩٩هـ - جامعة أم القرى .

٣ - انظر : محاضرات في المذاهب الفكرية المعاصرة للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني فصل الوجودية في الفلسفة . - محاضرات القيت على طلبة الدراسات العليا فرع العقيدة ١٤٠٠هـ -١٤٠١هـ جامعة أم القرى .

٤ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٢ وراجع كذلك : الفكر الفلسفي الهندى ص ٣٢٧

وقد تناول العلماء المسلمون الرد على هؤلاء (١) وأثبتوا بالدلائل العقلية والنقلية حدوث العالم وأبطلوا الزعم بقدمه . وقد اعتمدوا في نقدهم على ما يثبت حدوث الجواهر والأعراض المبثة في هذا الكون وبرهنوا على أن التغير ملازم لها وبما أن التغير انتقال من حال الى حال فمن المحال القول بقدمها . وفي ذلك يقول الباقلاني :

(و يجب أن يعلم أن العالم حادث وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى والدليل على حدوثه : تغيره من حال الى حال ، ومن صفة الى صفة ، وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثا ، وقد بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا بأحسن بيان يتضمن أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة لما قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن بدء هذا الامر؟ فقال :

(نَعَم كَانَ اللهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ ثُمَّ خَلَقَ الأَشْيَاءَ) فأثبت أن كل موجود سواه محدث مخلوق وكذلك الخليل عليه السلام ، انما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة الى حالة لأنه لما رأى الكوكب قال : هذا ربي الى آخر الآيات (٦-٧٦-٧٩) فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال الى حال دلت (على أنها محدثة) ، ، ومفطورة مخلوقة ، وأن لها خالقاً فقال عند ذلك (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ) . (٦-٧٩) (٢) .

ولا شك أن هذه الفرضية التي تذهب اليها الجينية ما هي إلا سَعْي من أجل الخلاص الذى تنادى به ، ولهذا كان لا بد لها من اختراع نظريات مبنية على الظن والتخمين لا عن علم نافذ ويقين . وذلك امعاناً في الدعوة الى ترك الدنيا والالتفات الى المقررات التي ينشئها الرهبان الجينيون . والتي من بينها عقيدة الخلاص التي سيكون الحديث عنها خلال السطور القادمة .

خامساً : الخلاص

تشترك الجينية مع غيرها من أديان الهند بفكرة الخلاص من دورات الحياة والولادة الثانية كما أنها لم تختلف عن البقية في : أن الشدة والقسوة في ممارسة الرياضة النفسية والدينية هي طريق الخلاص والنجاة من هذه الحياة ، فالنجاة عندهم (حالة يبطل فيها نشاط الأعمال السالفة في الحياة السابقة فالروح مع خلودها لا تعود تتقمص الاجساد الأخرى وتتخلص من الحياة المادية الى الأبد) (٣) .

أما ما تختلف به عن الهندوسية فينحصر في تحديد الهدف الأسمى من هذه الممارسات .

فقد لوحظ في الهندوسية أن الاتحاد ببرهما هو الهدف الذى من أجله تمارس العبادات والشعائر وتعذيب الاجساد وازهاق الأرواح .

أما في الجينية فان الغاية من هذه الممارسات هو بلوغ حالة انعدام الخلقة في هدوء و خلود ويطلق على هذه الحالة اسم (النيرفانا) (٤) .

---

١ - راجع في ذلك : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١٢ / ٢١٤ وما بعدها واصول الدين لابي منصور البغدادى ص ٥٩

٢ - راجع : الانصاف للباقلاني ص ٣٠ مؤسسة الخانجي ١٣٨٢هـ ١٩٦٣

٣ - ، : مجلة ثقافة الهند ص ٣ المجلد ٢ العدد ٣ سنة ١٩٥١

٤ - حكمة الاديان الحية ص ٢٤٢ وكذلك :

- Mans Religions . P. 98
- ENCYCL . BRIT . V:10. P. 8

وعليه فان فكرة الخلاص أو النجاة في الفكر الجيني تعتبر طورا (من الوجود يختلف عن أطوار الحياة الدنيا الفانية وهي الفوز بالسرور الخالد الذى لا يشوبه ألم ولا حـــزن ولا هـم).(١)

ومعنى ذلك أن هذا الفكر ينادى بخلود الروح وهو الأمر الذى أقرتـــــه الهندوسية من قبل .

ولكي تفر الجينية من قضية الاتحاد التي نادت بها الهندوسية حاولت أن تفلسف الخلاص فقالت : بأن الشخص اذا وصل الى هذه المرتبة فانه (ليس بذى جسم مادى وليس بطويل ولا قصير ، ولا لون يحيط بكل شيء ، مطلق من جميع القيود ، يكون دائما في سرور ، وطمأنينة واستقرار ونعيم مقيم ، مكانه فوق الخلود الكوني).(٢)

وهذا هو الفرق بين نظرة البوذيين الى النرفانا ونظرة الجينيين الى فكـرة الخلاص (التي هي عندهم جنة حقيقية أو سعادة تحظى بها روح الانسان لا فناء).(٣)

ولا شك ان الجينية وجدت في هذه النظرة فرصة لترغب الناس بدينها الجديد فالجزاء على الطاعات يأخذ حيزا واهتماما كبيرا من الفكر البشرى . وكان لا بد للجينية أن تأخذ هذه القضية بعين الاعتبار لسايرة عقول العامة وترغيبهم بهذا الثواب المزعوم . ولهذا فقد أوحت بهذه العقيدة كبديل عن فكرة الاتحاد وذلك للتخلص من عبوديـــة البراهمة وبالتالي لتجذب الناس الى هذه الآمال المستقبلية الخيالية .

أما في الاسلام فان مفهوم النجاة يختلف عما قررته الأديان الوضعية ومنهـــا الجينية اذ يرتبط بمدى إلتزام العبد بأوامر الله تبارك وتعالى واجتناب نواهيه وفـــق ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة ، هذا الالتزام والانقياد هو المعنى الحقيقـــي الذى يحمله الاسلام بين طياته . وعليه فإن الاثابة والاحسان في الدار الاخرة لا يرتبطان بأي تضحية بشرية أو قرابين أو ازهاق الأرواح أو فداء للبشرية ، بل يكونان في الجنــة حيث وعد المتقون .

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) (٤) . والايمان باليوم الاخــر جزء من الايمان بعالم الغيب الذى تعبدنا الله تعالى به . والا فلا معنى للعبوديـــة دون الالتزام بما افترضه الله تعالى على عباده وهذا الامر الغيبي ليس من بـــاب المستحيل . فالقادر الحكيم والخالق الكريم الذى خلق السموات والأرض بالحق بيده كل شيء وهو المتصرف في هذا الكون وثوابه من باب التفضل على الخلق . (والله يعدكـم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم).(٥)

---

١ - : أديان الهند الكبرى ص ١١٨

٢ - : المصدر السابق وكذلك الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٣ - حضارات الهند ص ٦٢٢ وانظر ايضا :
- MAN'S Religions . P. 99

٤ - محمد : ١٥

٥ - البقرة : ٢٦٨

الفصل الثاني

العبادات الموصلة للخلاص :

ترسم الجينية مبادئ عدة للوصول الى الخلاص ، وذلك عبر تعاليم متعددة تشكل في مجموعها اطارا للسير في هذا الطريق الصعب ، الذى لا يمكن لأي فرد اجتيازه دون تحمل الأعباء الجسام والآلام ، والإرهاق المستمر في سبيل الامل المنشود .

هذه الممارسات لا تعتبر في نظر الجينيين الاوائل طقوسا وعبادات وذلك لان مهافيرا رفض العبادات انسجاما مع مبدأ الالحاد الذى رسمه لاتباعه مع ان هذه المبادئ سرعان ما تغيرت عبر الاجيال لتصبح بالفعل ممارسات تعبدية حقيقية كتلك التي يمارسها الهندوس تماما .

وبالرجوع الى الرعيل الاول الذى تربى على أيدى مؤسس هذه الديانة نجد أن هذا الجيل قد كتب عليه الالتزام بمبادئ الرهبنة الجينية والحفاظ عليها والتقيد بمبادئها ، دون ان يشعر ان ما يقوم به هو من قبيل العبادات .

وربما تكون مبادئ الرهبنة الجينية من أقسى درجات الرهبنة في العالم وذلك لاعتمادها على مبادئ خطرة على النفس البشرية المؤدية الى الهلاك .

وقبل الوصول الى درجة الخطورة هناك مبادئ اولية تجب مراعاتها ومن ذلك :

١ - الاعتقاد الصحيح ٢ - المعرفة الصحيحة ٣ - السلوك الصحيح

وتسمى هذه المبادئ " الجواهر الثلاثة " (١)

ولكل من هذه المبادئ خصائص ، وبنود وذلك على النحو التالي :

اولا : الاعتقاد الصحيح :

ويندرج تحته أمور

- الاعتقاد بالاشياء المؤكدة كما هي ، هو اعتقاد صحيح .
- انك تصل الى هذا الاعتقاد بالحدس والفهم .
- يستقى الفهم من المصادر الخارجية ، اى الكتب المقدسة .

والوصايا ، وتصل اليه بالمعرفة الصحيحة ، وبالمعرفة الجزئية .

- تصل الى الفهم بوصفه ، بفطريته ، بعلته ، بمكانه ، بدعوته ، وبتصنيفه .
- وتصل اليه ايضا بوجوده وعدده ومكانه وامتداده وزمانه وكيفه وكمه (٢)

---

١ - راجع حكمة الاديان الحية ص ١٤٢

٢ - هذه النصوص موجودة في كتاب " تانغارشاد هيجط سوترا ، وقد ذكرها صاحب كتاب : الفكر الفلسفي الهندى ص ٣٢٨

ثانيـــا :
المعرفـــــة الصحيحة :

المعرفـة عند هم خمسة انواع :

- المعرفة العادية - معرفة الكتب المقدسة - المعرفة فوق العادية
- المعرفة العقلية - المعرفة الكاملـــــــة . (١)

ثالثا :
السـلوك الصحيـح

وربما يكون هذا المبدأ هو أهم المبادئ التي تنطوى عليها الديانة الجينية لتعلقه بالجانب العملي وهو الاساس الذى بنيت عليه الرهبنة عند مهافيرا .

ويتعلق هذا المبدأ بفكرة الخلاص الذى لا يمكن بلوغه (بالصلاة ولا بتقريب القرابين ولا بعبادة آلهة متعددة بواسطة الروحانيين وانما بصالح الاعمال التي يأتيها الانسان عن فهم وعقيدة فحسب ، وقد علمهم مهافيرا ان خلاص كل منكم يكمن في نفسه) (٢)

كما يرتبط السلوك الصحيح بمبدأ النذر ، وهذا النذر يجب أن يكـــون مجردا عن خمسة أمور :

١ - عن الاذى ٢ - عن الكذب ٣ - عن السرقـــة
٤ - عن عدم العفة ٥ - عن التعلق الدنيوى . (٣)

هذه النذور الخمسة يندرج تحتها تعاليم جزئية او تفصيلية ولكل مـــن هذه النذور تأملات خمسة :

(أ - التاملات الخمسة للنذر ضد الايذاء هي

١ - الحذر في الكلام ٢ - الاعتناء بالعقل (اى التأمل العقلي)
٣ - الحذر في السير ٤ - الحذر في رفع الاشياء وانزالهـــا
٥ - الحذر في تناول الطعام . والشراب (حذرا من قتل الكائنات الحية في طعامه وشرابه) .

ب - التأملات الخمسة : (للنذر ضد الكذب) وهي :

١ - تجنب الغضب ٢ - وتجنب الطمع ٣ - تجنب الجبن
٤ - تجنب الطيش ٥ - التحدث حسب الوصايا المقدسة (اى التي افضى بها مهافيرا واتباعه) .

---

١ - راجع : الفكر الفلسفي الهندى ص ٣٢٨
٢ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٢ - ١٤٣
٣ - الفكر الفلسفي الهندى ص ٣٣٦

ج - التأملات الخمسة (للنذر ضد السرقة :

- السكن في مكان منعزل - السكن في مكان مهجور

- السكن في مكان لا يدخل فيه أحد - نقاء العطاء .

- عدم الجدال مع من يؤمن مثلك .

د - التأملات الخمسة (للنذر ضد عدم العفة) ومنها :

- رفض الاستطاع إلى أحاديث الاتصال بالنساء

- رفض رؤيا اجسادهن

- رفض تذكر التمتع مع النساء في الماضي

- رفض تجميل الجسد .

التأملات الخمسة (للنذر ضد التعلق الدنيوى ومنها :

- التنكر للمحبة - التنكر للحقد - للذة - لعدم اللذة .

- لمواضع الاحساس) (١)

ومن مجمل هذه النذور نستطيع ان نستخرج بعض الاحكام التي يحرم على الجيني القيام بها :

(فالزراعة حرام . . . لانها تمزق التربة وتسحق الحشرات والديدان ، والجيني الصالح يرفض أكل العسل لأنه حياة النحل ، ويصفي الماء قبل شرابه خشية أن يقتل ما عساه ان يكون كامنا فيه من كائنات ويغطي فمه حتى لا يستنشق مع الهواء أحياء عالقة فيقتلها ، ويحيط مصباحه بستار حتى يقي الحشرات لذع النار ، ويكنس الارض امامه وهو يمشي خوفا من ان تدوس قدمه الحافية على كائن حي فترديه ولا يجوز له ابداً أن يذبح حيوانا أو يضحي به) . (٢)

ومن الواجبات المفروضة على الراهب :

- الاستجداء : فعليه القيام به لتأمين الطعام والشراب والكساء .

- حمل العصا والمكنسة لتنظيف الارض التي يمشي عليها حرصا منه على عدم ايذاء الحشرات .

وهذه الاعمال تلتزم بها النساء الداخلات في سلك الرهبنة ايضا لدى فرقة السفاتمبارا الا ان فرقة الدياغمبارا لا تسمح لهن بالدخول في الرهبنة (٣)

---

١ - راجع جميع هذه البنود في : الفكر الفسفي الهندى ص ٣٣٦

٢ - قصة الحضارة ٣ / ١ : ١٠-٦١ وكذلك الفلسفات الهندية ٣١٨ و) - Man's Religions. P. 100

٣ - راجع بتوسع : موسوعة الدين والاخلاق ٤٧٢/٧) - Encycl. of. Religion and Ethics. V.7.P.472

اولا :

أهميــة اليوغا في الرهبنة الجينية

سبق الحديث عن إهتمام الرهبنة الهندوسية بممارسة اليوغا ، ورأينا من خلال ذلك الصور المتعددة لهذه الرياضة الشاقة .

والجينية تدين بهذه الطريقة ايضا للوصول الى النجاة أو الخلاص كما تراه . ومن الممكن الاستشهاد بنصين من كتب الجينيين للتأكد من أهميتها عندهم ومن ذلك ما جاء في كتاب " تانغارشاد هيمجاماسوترا " في الفصل السادس قوله :

- اليوجــا هي نشاط الجسد والكلام والعقل .
- اليوجا هي السيلان الداخلي لمادة كارما الى الروح (١) .

ومهما قيل عن فوائد اليوغا فانها في النهاية لا تبعد عن ان تكون طريقة تهدر فيها الطاقات والاوقات دون طائل ، والانسان موءتمن على جسده لا يحق له التصرف به وفق أهوائه ونزعاته كما أنه مسوءول عن وقته وعمله فلا ينبغي اضاعته فيما لا فائدة منه والا أصبح عرضة للضياع والتأخر والكسل ، وهي النتيجة الحتمية التي آلت اليها حياة الرهبان .

اضافة الى ما تقدم فان الديانة الجينية وضعت عدة مبادىء عمليــة تلزم الأتباع بوجوب تطبيقها تطبيقا تامًا وهي مبادىء متنوعة وفي مجالات عدة .

أهم هذه المبادىء ما يتعلق بقانون اهسا (٢) اوعدم الايذاء ، وكذلك ما يتعلق منها برفض معاشرة النساء والابتعاد عن الشهوات واللذة ومنها ما يتعلــق بنذر الصمت .

ثانيا : قــانون أهنســـا : والنقد الموجه اليه

من النصوص الدالة على أهمية هذا القانون ما جــاء في (السوترا ـ كريت انكا) وهو كتاب جيني ما يلي :

- جميع الاحياء تكره الالم . . . وعلى هذا لا توءذها ولا تقتلها . هذا هــو روح الـــحكمة ، : " لا تقتل حيا " .

- اذا ما اعتكفت على سعادتك الروحية فلا تقتل أي حي بنفسك ولا باوامرك ولا بموافقتك .

- من يقتل او يوءذى من أجل راحته سيغوص في نهاية حياته في حمـــأة من العذاب) (٣)

---

١ - راجع : الفكر الفلسفي الهندى ص ٣٣٥

٢ - راجع بتوسع عن هذا المبدأ في كــل من (الموسوعة البريطانية ١٠/١٠ وكذلك راجع عن هذا الموضوع في : (_ Man's Religions . P. 101

٣ - : حكمة الاديان الحية ص ١٤٥-١٥٠

النقد الموجه الى هذا القانون :

يلاحظ في هذه المبادئ التزمت والتنطع الزائدين عن حدود المعقول ولا يمكن ان يعيش الانسان بهما حياة عادية .

انه لأمر محمود أن تدعو هذه النحلة الى وجوب التمسك بعدم الايذاء ولكن من المستهجن حقا أن تمنع عن بني آدم ما أحله الله له من الطيبات ، وتفرض عليه قيوداً ما انزل الله بها من سلطان كتصفية المياه وكنس الارض ووضع المنديل على الأنف حتى لا تتأثر الجراثيم الصغير وتتعرض للفناء .

ان الحرج الذى تضعه الجينية أمام الخلق يدل دلالة واضحة على عظم المشقة التي ترهق كاهل الانسان اذا تمسك بمبدأ يمنعه من أدنى حقوقه المعيشية البسيطة ، وهذا ظلم ما بعده ظلم ينبع أساسا من عدم التفقه والتبصر في معنى الحياة . . .

فمن الدلالة على سخف العقلية التي وضعت هذا المبدأ : هي مساواة حياة الانسان وروحه بروح الدواب والطيور والهوام والحجر والشجر .

وهنا تقع الجينية في تناقض كبير حينما تبيح لاتباعها تطبيق الممارسات العملية كالرياضة القاسية لازهاق الروح وصولا الى ما تدعيه بالخلاص ، في حين تنكر عليهم قتل بعوضه او ذبابة مضرة بالصحة .

وللأستاذ العطار راى في هذا الموضوع نستأنس به حيث يقول :

(. . ولكن لي رأياً في أساس الجينية ، فمؤسسها ماهافيرا حاقد على الحياة والمجتمع والناس لأن والديه فارقا الحياة بواسطة الانتحار جوعا حتى الموت فامتلأت نفسه المفجوعة ألماً وحقداً وكراهية وبغضاء للحياة فانعكس ما في نفسه على مذهبه انتقاما من الحياة بتسخير افرادها ليلقوا مصير والديه ومن لا يلقاه يفقد التلذذ بالحياة وهو موت الدوافع الى الحياة المليئة بالاطايب والملذات الحلال .

انه دين انبعث من مريض مضطرب النفس ولكن لاغرابة في ان يجد اتباعا لان الهند تتسع لاى دين مهما كان مناقضا لقوانين الاخلاق واداب السلوك والمجتمع وللحياة والوجود نفسيهما)(١) .

---

١ - راجع : الديانات والعقائد في مختلف العصور ، ١ / ١١١

ومن نقاط الضعف التي تسجل على هذا القانون وتشكل طعنا فيـــه ، هو ما يتعلق بالموقف السلبي الذى يتخذه الجينيون ازاء التعرض للحيوانات والحشرات .

فالانسان معرض للاخطار الناجمة عن مهاجمة الحيوانات المفترسة او الحشرات المؤذية ،والقاتلة .

فما موقف الرهبان من مهاجمة تلك الحيوانات وتعريضها حياة الانســان للخطر ان لم نقل للموت الزؤام ؟ .

ان دعوى المسالمة لا تنفع في مثل هذه الحالات ،اذ ان العقل يأبـى الاستسلام لهذه المقولة لما فيها مـن استكانة وخنوع بل وسخـف عقلي لا مبرر لوجـوده فبعض الحيوانات لا يمكن ابعاد اذاها الا بالقتل كالضوارى ، وبعض الحشـــرات لا يمكن اتقاء شرها الا بالابادة ، كالزواحف السامة وغيرها .

ولا شك ان ابقاء الحشرات يزيد من انتشار الامراض والاوبئة ويسهم فـي افقار البلاد ، وقتل المواسم الزراعية ، والمواشي .

الى غير ذلك من الاسباب التي تدعو الى نبذ هذا المبدأ .

ثالثاً - :

البعـــد عن النســـاء :

ان النصوص الجينية تدعوا الى الابتعاد عن النساء ، واعتزالهن .
ومن ذلك قولهم :

(- من لا تخضعهم اللذاذات يعلمون بان التأمل واجبهم .
- الأفاضل يعتبرون اللذائذ كالامراض .
- النساء للرجل الاحمق اغراء تصعب مقاومته .
- من ينفق وقتا طويلا مع النساء يعـــرض عن ممارسة التأمل .
- في قلب النساء رجل واحد ، وفي كلماتهن آخر وفي آحضانهن آخر .
- كما أن الرعود أعلى الاصوات ، والقمر أبهى الاجرام السماوية ، والصندل أفضل العطور ، كذلك الذى نبذ جميع الشهوات
- المحمول على غارب الشهوة لن يبلغ مدى .) (١)

إن الدعوة الى الحد من الشهوات واللذات أمر يتفق مع السلوك السوى لبني البشر لأن الافراط فيها باب عريض اذا فتح تصبح النفس وبالا على صاحبها وتجـــر المجتمع نحو الهلاك والوبال .

والجينية اذا ارادت الالتزام بالتخفيف والتقليل من الشهوات فلا أحـد يعترض سبيلها ، فالتوسط في جميع الأُمور هـــو الحل المطلوب في هذه الحياة كـي تستقيم ، ويصبح لها معنى له مغزى وقيمة .

الا أن الجينية تأبى هذا التوسط أو الدعوة الى التقليل من الشهوات ، بل فرضت على النفس البشرية كبتا مطبقا لاى نشاط جنسي أو عاطفي ، فألزمت أتباعهـــا بوجوب الابتعاد عن النساء وعدم الاقتراب منهن والتخلي عن اى ارتباط بهـــن الى حد انها ازاحت من قاموس تعاليمها مجرد كلمة حب أو ود فمن تعاليمها :

(يحيا الحكيم حياة مبعدة عن الحب بعدها عن البغضاء) (٢)

وهكذا تكون حياة الراهب الجيني خـــطلية من أى هدف في هـــذه الحياة ، اذ يلاحظ في هذه الدعوة هدم لآمال الانسان وتطلعاته. واطفاء لاشـــراقة الروح النقية. وايقاف عمل الفطرة التي فطر الله الناس عليها واغلاق لمدارك العقـــل الذى منحه الله لبني البشر .

---

١ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٥ - ١٥٠
٢ - المصدر السابق

كما ان الدعوة الى الابتعاد عن الحياة الزوجية فيها اهدار لعملية التناسل التي هي اساس في عمارة الارض وانشاء المجتمع الامثل .

ولا يخفى على عاقل ما في هذا القانون من انانية مفرطة فهو يبيح للفرد ان يعيش حياته كما قررت الرهبنة الجينية ويرفض ان يدع المجال لغيره في العيش كما اراد الخالق سبحانه وتعالى .

ان تعطيل وظيفة الجنس في الكيان البشرى خطر كبير يهدد الداعين اليه ، وذلك لما لهذه الطاقة المزروعة في كيان البشر من قوة هائلة تدفع النفس الانسانية الى افاق واسعة ، فان روعيت بدقة وانتظام عادت بالنفع والامن والسعادة على صاحبها وان اوقفت ومنعت من اداء مهمتها اضحت شرا قاتلا يهدد كيان الفرد ، في اي لحظة من حياته بالدمار .

ولا ادل على فشل هذا المبدأ في الرهبنة الجينية من تلك الحياة الخاصة التي كان يحياها الزعيم الهندى " غاندى " الذى اخذت عليه والدته العهود الجينية الثلاثة وهي التي تامر باجتناب : الخمر واللحم والنساء . (١)

فالامر الغريب في تلك الحياة ما كان يشاع في العلن عن بطولته وشدة ورعه وتقشفه حتى انزلته المؤلفات والمعاجم منزلة القدسين والانبياء .

ويشاء المولى عز وجل ان يفضح هذه السيرة وذلك عندما نشر كتاب " الحياة الجنسية لمشاهير الناس " الذى تعرض مؤلفوه الى حياة المهاتما غاندى الخاصة والذى يظهر فيه هذا الزاهد على حقيقته ، فهذا الكتاب يصف مغامرات هذا الزعيم مع النساء واساليبه الكثيرة في اختيارهن ، فمن فصول هذا الكتاب ما يذكره المؤلفون عن تلك العلاقات قولهم :

(بقيت هناك بعض الجوانب الاخرى وان كانت تفصيلية فتقاليد الهندوس (٢) من هذا الجانب الذى انغمس فيه غاندى تفترض على الرجل ان يتجنب الجنس الاخر كلية ولكن غاندى امضى بقية حياته في مزالق صعبة هي مزالق الاغراء . فقد كان على الرغم من كل ذلك عاشقا يحب النساء ، اللواتي كن مفيدات جدا لحركته السياسية وقد بدأ قصصه معهن في جنوب افريقيا اثناء عمله هناك ، عندما التقى بفتاة مراهقة في السابعة عشرة من عمرها اسمها " صونيا اسلشن " . . . وكانت صونيا بداية

---

١ - راجع في هذا الصدد كتاب : مهاتما غاندى ، رومن رولان ص ٧ ، ترجمة عمر فاخورى ، مطبعة طبارة بيروت .

٢ - غاندى هو هندوسي ، ولا يعني ذلك الا يلتزم باى مبدأ اخر ، فطبيعة الهندوسي ميالة الى كل تغيير مهما كان نوعه وهو على استعداد ليخلط عقائده باى عقيدة تروق له .

سلسلة من الفتيات المراهقات . . . اللواتي كن يتهافتن عليه كتهافت الفراش على النار ، فالشيء الثابت ان غاندى كان يتمتع ليس بحيوية جنسية دافقة وحسب ، وانما بجاذب جنسي غريب لم تكن شهرته وحدها هي السبب في ذلك ، ولكن هؤلاء المراهقات يعطين كسكرتيرات اثناء الصباح ، ومدلكات في فترات الغداء وعند العصر ، فاذا ما جاء الليل ، انسلت احداهن الى فراش الرجل الذى كان يكتفي من الثياب بقطعة قماش بيضاء اثناء العمل ، ولا شيء مطلقا في الفراش ، .

وكان غاندى يفضل الليلة بعد عطية مساج تتناول كل شيء ، حتى انه كان يستعمل نوعا خاصا من العطر والبخور ، وخاصة في الحمام بعد الساعة العاشرة مساء ، حتى ليقال ان غاندى كان مولعا بالطقوس .

ومن الغريب ان هذه الطقوس كانت جنسية الى حد بعيد ، لقد كانت النساء ياتينه من اماكن نائية وغير متوقعة ، ومع ذلك فقد كتب يقول : "ان النضال من اجل البقاء نقيا جنسيا هو كالسير على حد السيف" .

ولكن الغريب ان غاندى حاول الابقاء على هذه العلاقات الجنسية بعيدا عن كل فضول الى ان افتضح امر الفتيات المراهقات اللواتي كن ينمن معه عاريات ، وكانت حجته : ان الرجل الذى يقرب نحو الستين يحتاج الى الدفء). (١)

- ان هذا التناقض الذى يلف حياة هؤلاء لا وجود له في حياة الفرد المسلم اذ أن الاسلام يحيط هذا الفرد بالرعاية التامة فيوضح له الطريق الذى يجب أن يسلكه منذ أن يشب عن الطوق وذلك وفق منهج متكامل ومتوازن في آن معا لا تطغى فيه وظيفة الروح على الجسد أو العقل عليهما وكذلك العكس . وبذلك فلا يمنع الاسلام من ممارسة الوظيفة الجنسية بل يحض عليها باسلوب لا تعقيد فيه ولا غموض ودون كبت أو حرمان بل يضع الضوابط الكفيلة باسعاد الانسان وتنمية روح الخير والمحبة فيه للجنس الآخر كشريك له في هذه الحياة لا على أنه من سقط المتاع أو أنه رهيب للشيطان . يقول تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٢)

ووفق هذا المفهوم فالمسلم لا يحتاج الى اتخاذ الخليلات أو المحظيات سرأ لإنّ الاسلام قد أتاح له أن يعيش حياته الخاصة وفق وسيلة نظيفة ولغاية شريفة .

---

١ - راجع هذه التفاصيل ، وأمور أخرى في الترجمة التي أوردتها مجلة الحوادث : العدد ١٣٠٥ سنة ١٩٨١ ، الجمعة /٦ تشرين الثاني / نوفمبر /ص ٩٧ . وذلك تحت عنوان (غاندى بشر بفلسفة الجنس في خدمة . . . الهنود) وهو ترجمة لفصل من كتاب (_The intimate sexlives. of Famous People. لعدد من الكُتّاب الغربيين .

٢ - الروم : ٢١

رابعـــا

تطور و تبد ل الانظمة :

ربما وجدت الجينية نفسها محرجة امام التعاليم والممارسات الروحية الصعبة التي نادت بها . وكما رأينا سابقا مدى صرامة المبادئ التي ياخذ الجيني بها نفسه ، فهذه القوانين وجدت صعوبة في التنفيذ ، كما تركت اثارا سلبية علـــى الاتباع العاديين (١) . اذ ان التكليف بما لا يطاق لا يتلاءم مع الفطرة البشـريـة .

ولاسباب كثيرة رجعت الجينية الى نفسها قليلا ، حينما وجدت تقاعسا شديدا من قبل اولئك المتعبدين المتعبين .

وازاء هذا الوضع كان لابد من تغيير في نصوص القوانين والانظمـــة المتبعة ، وتقسيم الممارسات بحيث تتلاءم وطبيعة افراد هذه النحلة . وهكـــذا اصبح هناك الجيني العادى ، والراهب المنتظم .

وقد جاءت النصوص الجينية المعدلة لتراعي هذا العادى ومن تلـــك النصوص ما جاء في كتاب " تانغارشاد هيجاماسوترا " :

- نذور رب البيت اقل من نذور الزاهد

- يجب ان يحدد رب البيت نشاطه في مكان ثابت ، ويحدد نذوره بوقـــت اقصر ، ولا يقترف خطيئة عن عمد أولا عمد . وعليه ان يتأمل في الروح وان يصوم وان ياكل بعد ان يأكل الضيوف .

- رب البيت هو من يراقب موته الهادئ في اللحظات الاخيرة من حياته (٢)

وهكذا نرى كيف غيرت الجينية نمط القوانين فبدل الصرامة والشدة المتمثله في التعاليم الاولى نجد التخفيف الذى شرع لفئة من العامة .

فلفظ رب البيت قد استعمل من قبل عند الهندوس ، وربما استعملـــه الجينيون كذلك لهذا الغرض اذ ان البراهمة يطلقون هذا الاسم على الهندوســـي الذى يمر بالمرحلة الثانية من المراحل الاربع عندهم والتي تبيح له فرصة الزواج والانجاب وممارسة الحياة العادية .

ورغم ذلك فقد ارادت الجينية وضع بعض القيود على " رب البيت " أو على الجيني العادى حتى يبقى ضمن الاطار المرسوم له في تلك الديانة .

---

١ - راجع في هذا الصدد (_ MAN'S RELigions . P. 101

٢ - راجع : الفكر الفلسفي الهندى ص ٣٣٧

فمن الامور التي فرضت عليه ما يلي :

(١ ـ اجتناب الخمر ٢ ـ اجتناب قتل الكائنات الحية مع تحريم الذبح
٣ ـ اجتناب السرقة ٤ ـ اجتناب الزنى
٥ ـ اجتناب الطمع ٦ ـ الابتعاد عن المعاصي
٧ ـ التقليل من اعباء الحياة ومتطلباتها ٨ ـ الحرص على الابتعاد عن المساوئ .
٩ ـ تحديد المناسبات الدينية باوقات معينة
١٠ ـ تحديد مدة النذور
١١ ـ تحديد ايام معيشة لممارسة حياة الرهبان
١٢ ـ يجب التصدق على الفقراء والمساكين دائما) (١)

ويضاف الى هذه المبادئ ايضا

(ـ اجتناب اكل اللحم ـ اجتناب الفواكه ـ اجتناب اكل العسل .
اجتناب اكل الجذور ـ عدم الاكل ليلا .) (٢)

---

١ ـ Man's Religions. P. 101
٢ ـ الموسوعة البريطانية ١٠/١١

الفصل الثالث : الـفرق الجينيـــة وتطورات الرهبنة

اولا : الفرق :

لم تلبث الجينية بعد موت مهافيرا طويلا حتى حل الانشقاق بيـــن اتباعها والرهبان المنتمين اليها ، فانقسمت هذه الديانة الى عدة فرق .

فقد اكد العلماء على وجود انقسامات عديدة في الجينية ، فالـــى جانب وجود فرقتين كبيرتين هناك فرقة اخرى اسسها احد اقارب مهافيرا ويدعى جمالي الذى انضم اليه ... ٥ راهب .

الا انه لم يعرف مصير هذه الفرقة ، ولعلها ذابت في الفرقتيــــن الكبيرتين فيما بعد . (١)

اما الفرقتان الكبيرتان اللتان استقطبتا الرهبان والاتباع فهما :

١ - الدياغبارا (اصحاب الرداء الازرق

٢ - والسفاتمبارا (اصحاب الرداء الابيض

وقد اختلف العلماء اختلافا كبيرا حول تاريخ الانشقاق الحاصل بين الفئتين كما اختلفوا في اسباب النزاع .

فبالنسبة للتاريخ فهناك من يرجع الانشقاق الى سنة ٨٣ق م . وهناك مـــن يذهب الى انه حصل في سنة ٨٠ ق.م . وهناك عدة اراء اخرى (٢) .

اما بالنسبة لسبب النزاع والشقاق فهناك من يقول بان (سيفابهوتي كان في خدمة الملك راتهافيهارا وان هذا الاخير قد اهداه لحافا او دثارا هدية تكريما له على دخوله في الجينية الا ان الناس قد مزقوا الهدية في غياب سيفابهوتي فحـــزن وغضب وانحرف ليقيم طائفة الدياغبارا) (٣) .

وهناك من يقول بان الفرقة والشقاق قد حدثا (حينما هاجر راهب جيني واسمه بهادراباهو بفئة من طائفته جنوبا الى اقليم الكرنات فرارا من مجاعة ظلت اثنتى عشرة سنة ببلاد البنغال ، وعلى اثر عودة هذه الفئة اتخذ الرهبان الذين فضلوا الاقامـة على المهاجرة قرارا في مجلسهم الديني ان يجمعوا الكتب الجينية لكنهم لم يستطيعوا

---

١ - انظر : EARLY, iNDiam. P.173-174

٢ - راجع الموسوعة البرطانية . ٨/١١

٣ - راجع : EARLi, iNDiAm. P.175

تسجيل بعض نصوص البروات (اى الكتب الدينية) القديمة ، ولهذا السبب جاء قانون سفاتمبارا (اى الفرقة التي بقيت) ناقصا وهو القانون الذى تمت كتابته في صورته الحالية في مجلس فالابهى (القرن الخامس أو أوائل السادس الميلادى) .

واتبع الرهبان العائدون طريقة أشد صرامة وتجنبوا المجلس واطلقوا على أنفسهم إسم طائفة الدياغمبارا وقالوا ان القانون الحقيقي قد ضاع(١) .

وهناك مصادر أخرى تذكر أن سبب الخلاف يعود الى اللباس أو الرداء الذى يجب على الراهب الجيني أن يلبسه

فرأت فرقة أن تضع الرداء الأبيض ، وأطلقت على نفسها اسم السفاتمبارا واطلقت الثانية على نفسها إسم : الدياغمبارا (٢)

وكانت هذه الاخيرة أكثر تشدداً إذ رأت أن على الراهبان عدم إرتداء أي لباس يوارى الجسد وأن بقاء الراهب عاريا هو المطلوب حتى لا ينشغل عن التفكير والتامل لأن اللباس يؤدى إلى الإحساس بوجود المادة وهو الأمر الذى يجب أن يمحى من النفس وان يبقى الراهب بعيداً عنه . (٣)

ومن فلسفتهم في هذا المعنى قولهم : (ان الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم ،فلو لم يكن الإثم في الحياة لما كان الحياء . فترك اللباس هو ترك للاثم وتصوره . وعلى ذلك يجب على كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الاثم أن يعيش عاريا ويتخذ من الهواء والسماء لباسا له)(٤) .

وللرداء عندهم تعلق بالنجاة فمن قولهم ايضا : (مادام المرء يرى في العرى ما نراه نحن ،لا ينال النجاة ،فليس لأحد أن ينال نجاته ما دام يتذكر انه عار ،عليه أن ينسى ذلك بتاتا ليتمكن من إجتياز بحر الحياة الزاخر ، وذلك لان المرء طالما يتذكر انه عارٍ أو أن هناك خير أو شر حسن او قبيح فمعناه أنه لا يزال متعلقا بالدنيا وبما فيها فلا يفوز بـ(موكشا) اى النجاة) (٥)

---

١ - : موسوعة تاريخ العالم ص ٩٩ وكذلك _EARLY. iNDiAm. P.173

٢ - راجع وقد ترأس فرقة السفاتمبارا راهب اسمه "ستهولا بهادرا" ،كما ترأس فرقة الدياغمبارا راهب واسمه بهادرابا هو انظر _EARLY. iNDiAN. P. 174

٣ - راجع بتوسع الموسوعة البرطانية ٨/١٠

٤ - : تاريخ الاسلام في الهند ص ٥٠

٥ - مجلة ثقافة الهند ص ١٣ المجلد ٢ عدد ٣ سنة ١٩٥٠

ثانيا : اثـر التطـورات في مبـادئ الرهبنة :

هناك عدة تطورات طرأت على الفكر الرهبني الجيني كان من شأنها تحول المد الديني الى تراجع وانكماش بعد انتشار وذيوع كاد يهدد الاراء والمعتقدات السابقة والتقليدية في الهند . وهذا الفشل ادى بالتالي الى تهديد الرهبنـــة الجينية نفسها بالانقراض . وهذا العصر خير شاهد على ذلك .

اذ اصبح الجينيون في الهند يمثلون اقلية (١) دون ان ننســى ان تفوقهم المادى الان راجع الى تخليهم عن مبادئ الزهبنة التي نادوا بها مـــن قبل .

ونستطيع ان نلخص مجمل التطورات التي رافقت الجينية وذلك علــــى النحو التالي :

١ - في مجال العقائد :

تم التحول من الالحاد وانكار الالهة الى عبادة الانسان والعودة الــــى تعدد الالهة وفق الطريقة الهندوسية .

وقد رأينا في الفصول الماضية كيف دعا مهافيرا الى الالحاد الذى بناه على قاعدة مؤداها انه لا يجوز الاعتقاد بوجود اله حتى لا يعود نظام الطبقات الـــى الوجود . وبعد وفاته لم تستطع الجينية الصمود امام مغريات وتحديات الهندوس وغيرها من الاراء المحلية ،كما انها من ناحية اخرى فشلت في صرف انظار العامـــة عن فكرة وجود الخالق ، وازاء هذا الفشل لم يجد الجينيون بدا من الرجوع الى اقامة التماثيل لمصلحيهم الاربع والعشرين . الذين قـــــدسوهم واتخذوهم اربابــــا من دون الله وكان اول هؤلاء وافضلهم على حد زعمهم ريشابها (RiShAbhA)

والثلاثة الاخرون وعلى راسهم (Rishtameni _ PARSVOmatha _ VARdLHAMANA _ MAhaviRA) (٢)

وقد أقيمت التماثيل في القصور التي شيدت من اجل ال ٢٤ جينا او ما يطلق عليهم (الثيرثانكاراس) في معظم الاماكن التي تواجد فيها الجينيون . وقد اعتبرت هذه القصور والتماثيل من افخم الاعمال التي قامت في الهند نظرا للبـــذخ والترف اللذين حظيت بهاهذه الاماكن . (٣)

---

١ - بـــلغ عدد الجينيين حسب احصاء ١٩٠١ / ١٠٣٣٤١٤٠ / مليون وثلاثمائة واربع وثلاثين الفا ومائة واربعين نسمة وهذه النسبة اقل من نصف بالمئة من سكان الهند . راجع موسوعة الدين والاخلاق : ٧ / ٤٧٢

٢ - موسوعة الدين والاخلاق ٧ / ٤٦٥

٣ - والمذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٠ _ Man's Religions . P. 101

٢ - احترام الجينيين للبراهمة بعد كراهيتهم لهم :

على الرغم من ان الجينيـــة تعتبر ثورة على الهندوسية الا انها لم تستطع السير قدما للتحرر من ربقة البراهمة .

ومما لا شك فيه ان سطوة البراهمة لم تترك مجالا للجينيين بالتحرك ضدها واخذ المبادرة على نطاق واسع ، ولهذا نرى الجينية قد اعترفت ضمنا بهذه القـوة ومع مرور الزمن تحول هذا الاعتراف الى احترام للبراهمة ولمقامهم[1] والـدعوة الـى عدم المساس بهم او التعرض لهم بالاذى مهما كان الامر .

وقد وجد الجينيون ذريعة لهذا التغيير استنادا الى مبدئهم العام المسمى بقانون اهمسا الداعي الى عدم الايذاء .

وهكذا جاء هذا القانون لتثبيط الهمم وترسيخا للدعة والكسل ، مما اسهم في ابقاء الجينية بعيدا عن الرئاسة والزعامة في الهند وابـقائها تحت سيطرة البراهمة .

٣ - اثر الانشقاق في الرهبنة الجينية :

راينا في السابق كيف انقسمت الجينية الى فرقتين رئيسيتين هما : الدياغبارا والسفاتبارا .

وقد كان هذا الانشقاق مثار كتابات كثير من العلماء والمؤرخين . ذلك لانـــه كان السبب الرئيسي في زعزعة التماسك في الرهبنة الجينية ، فقد اورثها عبئا ثقيلا لم تستطع تحمله عبر تاريخها وقد تمثل في الجدل القائم بين الفئتين حول عدة امور منها :

١ - الرسائل التي خلفها مهافيرا
٢ - مبدأ العرى
٣ - مبدأ دخول النساء في السلك الرهـبني .

ان هذه الامور رسخت الشقاق[2] بين اتباع الجينية وعلى الرغم من عـــدم قيام نزاع دموي بينهما الا ان هذه الخلافات اسهمت الى حد بعيد في زيادة الهوة بين الطرفين . .

---

١ - راجع حضارات الهند ص ٦٢٣
٢ - راجع تفاصيل النزاع في : الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٤ - وضع القوانين والانظمة الديرية :

بعد رحيل مهافيرا احتدم النقاش بين السفاتمبارا والدياغمبارا حول القوانين التي ألغها مهافيرا بنفسه .

فقد أنكرت الدياغمبارا هذه القوانين واعتبرتها في حكم الضائعة بينما أقرت طائفة السفاتمبرا هذه القوانين .

وقد وجدت فيما بعد قوانين لعبادات جديدة اهمها :

قوانين عبادة نياغمياشا . وقد اكتشفت في عهد ماتورا (١) كما تغيرت عدة قوانين عملية تتعلق بالدعوة والارشاد والتي أطلقوا عليها اسم : "ايوساريا" وربما تكون هذه الطريقة قد أُخذت عن البوذيين والتي تسمى : "البيهاراس" . (٢)

٥ - ادخال النساء في السلك الرهبني :

لم تكن هذه المسالة قد أثيرت في حياة مهافيرا ،إلا أنها مالبثت أن برزت بشكل حاد لتحدث خللا في آراء الجينية وبلبلة بين افرادها .

فالدياغمبارا ترى عدم وجوب إدخال النساء في سلك الرهبنة لانهن غير قادرات على عبور قانون النجاة أو الخلاص وعليه فانهم يحرمون دخول النساء (٣) .

اما السفاتمبارا : فقد رأت ان ما ينطبق على الرجل ينطبق على المرأة وانها تستطيع ان تمارس جميع المهام الموكلة الى الراهب دون تعب مع اجبارها على لبس الثياب .

وقد اعتبرت السفاتمبارا فئة غير مرغوب فيها من قبل الدياغمبارا واطلقوا عليها اسم (هيريتكس) . (٤)

كما ان العرى كان سببا في ازدياد الفرقة بين الطائفتين . (٥)

---

١ - EARLY. Religions. P. 182

٢ - Encycl. of Religion. and. Ethics. V: 7. P. 472

٣ - EARLY. Religions. 175

٤ - " . P. 174

٥ - راجع ثقافة الهند ص١٣ عدد ٣ المجلد ٢ سنة ١٩٥١

النتيجة التي آلت اليها الرهبنة الجينية :

كان من الطبيعي جدا ان تتغير مفاهيم الرهبان الجينيين ، الذين احسوا بضرورة ايجاد مخرج للمأزق الذى أوجدوا أنفسهم فيه ، هذا المأزق نتج عن التعاليم الصارمة في الحياة ، ومحاربة كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد .

وهنا برز التطور في إدخال بعض التغييرات على النصوص الدينية فبدل أن تكون المبادئ والاحكام متجهة نحو إرشاد الرهبان فقط تحولت هذه النصوص لتخاطب الافراد العاديين وتضع لهم المناهج للسير عليها في حياتهم الخاصة .

فاتاحت لهم الزواج والانجاب وسمحت بتكوين البيت والأسرة إلا أنها لم لم تنس وضع قيود أُخرى اعتبرتها ضرورية للبقاء على الصيغة الجينية . . وغالبا ما تكون هذه القيود متصفة بالقسوة والاجحاف رغم ادعائهم بانها من باب التخفيف .

وقد كان للعوامل السالفة الذكر اثر كبير في نشوء مرحلة جديدة ومغايرة كل التغاير عما كان عليه الوضع القديم .

فعلى اثر ارهاق الكواهل بالقيود وانزال الناس منازل القهر والفقر والتسول وخاصة المعدمين من الجينيين كان لابد من البحث عن ثغرة للخروج من النفق المظلم الذى يستحيل العيش في كنفه .

فقد ضاق الناس بكثرة القوانين وقيودها ، فالزراعة حرام والفلاحة كذلك واكل اللحوم وشرب العسل كلها من باب المحرمات ، وحينما يصبح التحريم والتحليل سلعة بيد الرهبان فان المقاييس سوف تختلف وكذلك الموازين ستنقلب .

ولهذا فمهما حاول هؤلاء المشرعون من ترقيع لقوانينهم المهترئة فان الخرق سيتسع على الراقع .

وهنا استطاع الجينيون استغلال بعض النصوص الدينية وتحويلها الى تشريع جديد يتيح لهم فرصة ارغد للعيش .

فقد تحول اتجاههم للتجارة التي فتحت عليهم باباً للثراء ، الذى لم يغلق الى الان ، وقد أدى هذا الإجراء إلى إضمحلال سريع لتعاليم الرهبنة .

لقد أكد المؤرخون والعلماء على تحول الجينيين الى التجارة بشتى أنواعها حتى إنشاء البنوك الربوية التي أُوقعت الديون بالناس وأُسهمت في شحن النفوس بالبغضاء ضدهم .(١)

ولهذا كله فقد بات من المؤكد الاعتراف باخفاق الرهبنة الجينية وفشلها في ايجاد المجتمع الامثل وذلك للنتائج التي آلت اليها .

---

١ - راجع موسوعة الدين والاخلاق ٤٧٣/٧

الباب الرابع

الاسس العقدية
" للرهبنة البوذية "
والرد عليها

التمهيد :

بعد الوقوف على الاسس العقدية للرهبنة الجينية والتطور الذى رافقها، ينقلنا البحث الى فصل آخر من فصول الرهبنة التي شهدتها الهند إبان القرن السادس ق.م ، حوالي ٥٦٠ ق.م.

فقد عرفت الهند كما سبق القول ، ثورتين كبيرتين ضد الهندوسية وعقائدها ومبادئها التسلطية التي أرهقت النفوس في سبيل تربع طائفة البراهمة على عرش النفوذ، والتحكم بنظام الطبقات وفقاً للمصالح ، وكسبا للامتيازات العرقية والعنصرية.

وقد اعتبر العلماء الحركة الجينية اولى هاتين الثورتين واعتبروا البوذية هي الثورة الثانية بعدها .[1]

وهناك من اعتبر البوذية حركة سلمية اصلاحية ضد الهندوسية[2] ، بل فلسفة أخلاقية ترمي الى التدرج في رفع مقومات النفس الانسانية وعلوها ، وعلى العموم فقد اعتبر هذا العصر بالذات عصر (الانتقال من الطقوس الى التأمل والفكر).[3]

ورغم ذلك فهناك من يذهب الى ان هذا العصر يعتبر عصر الانتكاس الشديد والتشاؤم.[4] ولا شك أن مرد ذلك الى النظام الرهبني الذى أشاعه بوذا ودعمه بآرائه وتعاليمه .

ولا يهم البحث هنا الدخول في متاهات العلماء حول هذا الخلاف بقدرما يهمه الإطلاع أولا على مبادئ وأسس الرهبنة البوذية ، من حيث العقائد والأفكار ومن ثم متابعة التطورات والتغييرات التي واكبتها ، وكذلك التوقف للحكم عليها من خلال النتائج التي وصلت اليها والدور الكبير الذى قدمته لنظم الرهبنة التي لحقت بها وسارت على منهجها فيما بعد .

---

١ - نسبة الى بوذا مؤسسة الديانة البوذية ولكلمة بوذا عدة معان منها : العالم والحكيم ، والعاقل . راجع في ذلك : دائرة معارف بطرس البستاني ، مادة بوذا .

٢ - راجع : البوذية ، هنرى أرفون . ت: هنرى زغيب ص ١٧ ، المنشورات العربية المطبعة البولسية ، جونية لبنان ، ١٩٧٥

٣ - تاريخ البشرية ، أرنولد توينبي ١/٢٢٣ ، ت: نقولا زيادة ، المطبعة الاهلية للنشر، بيروت ، ١٩٨١

٤ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦١

أ - مصادر الفكر البوذى :

يرجع العلماء مصادر البحث عن العقائد البوذية وما يختص منها بالرهبنة ، وتعاليمها ، الى الكتب التي قدسها البوذيون ، اضافة الى الاثار التاريخية التي اكتسبت اهمية لدى الباحثين لما فيها من نقوش وكتابات قديمة توضح بعض المراحل التي مرت بها هذه الديانة ، مظهرة التطورات التي حدثت داخلها .

ويؤكد بعض الباحثين على أهمية تلك الآثار لكونها تزيح الستار عن الغوامض التي اكتنفت البوذية بشكل عام[(١)] . و التي لم يكن بالامكان التوصل الى حل رموزها إلا من خلال الوقوف على تلك الاثار خاصة تلك النقوش المحفورة داخل المعابد والقصور ، إضافة الى الكتابات المنحوتة على صناديق الذخائر الدينية[(٢)] ، والنصب والجرار التي زُعِمَ أنها حوت رفاة بوذا والتي ترجع الى حولى عام ٤٥٠ ق . م . (٣)

أما بالنسبة للكتب التي قدسها البوذيون ، فهي مؤلفة باللغة البالية (اللغة المقدسة التي كتبت بها الشريعة البوذية)[(٤)] . وقد توصل العلماء الى حقيقة مفادها ان بوذا لم يترك سوى بعض التعاليم التي من شانها ارشاد أتباعه الرهبان الى طريقته التي وقف عندها من خلال تجاربه العديدة التي مر بها ، مع تأكيدهم على انـــه لم يترك كتابا مستقلا يوضح فيه مبادئه وتعاليمه ، وقد وجد فيما بعد ما يسمى (بانجيل بوذا) وهو موجود ومطبوع ومترجـــم الى اللغة العربية ، ويدعي البوذيون انه من تأليف بوذا ، الا ان الواقع لا يتفق مع هذه المقولة لاسباب عديـــدة[(٥)]

---

١ - راجع : تاريخ حضارات الهند ، غوستاف لوبون ص ٣٦٥

٢ - راجع : البوذية ص ٢٤-٢٥

٣ - انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٢٦-٤٢٧ ، دار نهضة لبنان ، وكذلك دائرة معارف البستاني ٥/٦٦٢-٦٦٣

٤ - : معالم تاريخ الانسانية ، هـ. ولز ، ٢/٤٧٣

٥ - من اهم الاسباب الداعية الى رفض نسبة انجيل بوذا الى صاحبه :
ان ما تضمنه هذا الكتاب من مسائل عقائدية لا تتفق مع جملة الامور التي كان ينادى بها بوذا نفسه ، فنصوص هذا الانجيل تفيد بان بوذا كان يؤمن بوجود الالـه فمن ذلك مثلا قوله للبرهميين : ("اذن اطلب ان (تتغاتا) يعرف الطريق السوى الذى يوصل الى الاتحاد " ببرهما " وهو وحده يعرف ذلك ولا احد سواه لانه في عالم براهما ، وفيه ولد فهو في وانا فيه وكلانا واحد" انجيل بوذا ص ١٥٧ ، ت: عيسى سابا ، مكتبة صادر ، بيروت ط ١٩٥٣) مع ان العلماء قد بحثوا هذه القضية مطولا واشاروا الى ان بوذا لم يكن يتعرض لهذه القضية كما انه كان يصرف اتباعه عنها ويدعوهم الى عدم الخوض فيها بل وانكر وجود الله الخالق (راجع : الموسوعة الفلسفية م. روزنتال ، ى يودين ، ت : سمير كرم ص ٩١-٩٢ مادة بوذا ، دار الطليعة بيروت ط٢، ١٩٨٠)

اما بقية المصادر الدينية الاخرى فقد وجدت صور تأليف كبار علماء البوذية ورهبانها واهم هذه الكتب . :

- طريــق الطهارة (١)
- زهرة الشريعة المستقيمة
- القانون السنسكريتي
- وصف مسهب للبلاد السعيدة (٢)

ولم يخف على العلماء ما في هذه الكتب من روايات سقيمة ، وضعها اهــل الغلو تعظيما لشان صاحب هذه النحلة (٣) .

= كما انه في تعاليمه لم يشر من قريب او بعيد الى وجود هذا الانجيل خلال ارشاده لتلاميذه ، كما ان حركة العربة الصغرى ، - وهي فرقة من الفرق البوذية - لم تشر الــى هذا الانجيل بينما كل الاصابع تتجه الى فرقة اخرى تدعى " العربة الكبرى " علــى ان هذا الكتاب من تاليف مؤسسيها وعلمائها .

ويقول د . محمد اسماعيل الندوى (كما لا نملك دليلا قاطعا على تأليـــفه (اى بوذا) كتابا واحدا من بين عشرات من الكتب المنسوبة اليه) .

الهند ، حضاراتها ، وديانا تها ، محمد اسماعيل الندوى ض ١٤٩
وراجع كذلك : فلسفات الــهند ، جان فيليوزات ص ٣٣

١ - هذا الكتاب ينسب الى " بوذاغوزا "
وهو احـد كتب فرقة " العربة الصغرى " انظر :البوذية ص٦٠

٢ - هذه الكتب هي للعـربة الكبرى : انظر : البوذية ، ص ٦٤، ٦٦، ٦٧ ،

٣ - انظر في هذا الصدد : دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ٢/ ٣٨٤ ط٣ مادة بوذا دار المعرفة بيروت ١٩٧١ .

ب - حيـــاة بوذا :

حفلت مؤلفات المؤرخين الغربيين وغيرهم بقصص وروايات عن حيـــاة بوذا (٥٦٠-٤٨٠ ق م) وقد استمدت هذه المؤلفات مادتها من كتب البوذيين أنفسهم . وليس هناك أدنى شك أن ما تناولته هذه الكتب من روايات لا يمت الـــى الحقيقة بصلة نظرا لكثرة الأساطير والخرافات والأوهام التي نسجتها العقلية الهندية المغالية.[١] ويعترف لوبون بهذا الواقع حيث يعبر عنه قائلا : (.. فالحق أن معظم تاريخ بدهة (بوذا) هو كما أشار سيو سينار مقتبس من الاساطير القديمـــة.)[٢] كما أنه من العسير جدا التمييز بين الحقيقة التاريخية وبين الاسطورة فيما يتصل ببوذا وحوارييه[٣]، زد على ذلك ان العالم لم يلم (الماما صحيحا بحياة غوتاما (بوذا) وارائه الحقيقية الا في نصف القرن الاخير وذلك نتيجـة الاهتمام بدراسة اللغة البالية.[٤]

وبالرجوع الى تلك الاساطير التي سردت حياة بوذا يلاحظ وصفها لحيـــاة أسرته ومركزها المرموق في المجتمع الهندي وعن نسبتها الى طبقة الكشتارية وكيفيـــة ولادته وما رافقها من عجائب وغرائب تخرج في مجملها عن حدود الواقع المألوف.[٥]

وقد تشابهت هذه القصص الى حد كبير مع القصص التي يوردها المسيحيون عن حادثة ولادة السيد المسيح عليه السلام ، وقد قارن العديد من العلماء هـــذه القصص مع بعضها البعض فوجدوا تطابقا في معظمها .

ولن نعمد الى ما تناقلته الكتب المتعلقة بهذا الموضوع بل إن التعرف على اهم المراحل التي رافقت ذلك الامير الشاب هو ما يخدم البحث .

---

١ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٧٣ ، وقد اختلفت اراء العلماء حول تحديد سنة ميلاده ووفاته ، راجع تلك الاختلافات في : الديانات والعقائد ١ / ١١٦ وكذلك في: المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦١ .

٢ - حضارات الهند ص ٣٤٤

٣ - : الاسلام بين الاديان د محمـــد كمال جعفر ص ٢٥٠

٤ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٧٣

٥ - راجع هذه الخرافات في كل من (انجيل بوذا ص ١٧ وما بعدها ، وكذلك في : حياة بوذا ، أ . فاردينان هارولد ، ت: فليب عطاالله ص ١٤ ، دار الروائع الجديدة ط ، ١٩٧٥ ، وكذلك : البوذية ص ١٦ ، ودائرة معارف البستاني ٥ / ٦٥٩

ولـد غوتامـا بوذا (١) في مقاطعة كابيلافاستو والتي سميت فيما بعد باســم بنارس ، وهي احدى المقاطعات الهندية ، وقد رعاه والده وهيأ له جميع وسائـل الرفاهية (٢) ثم ما لبث ان زوجه من احدى الاميرات ، التي انجبت له ولدا سماه راهولا (٣) ، الا ان عدة مشاهد مؤثرة قد اوقفت هذا الامير للتفكر والتدبر واعادة النظر في هذه الحياة ، كما ان تلك الحوادث حالت بعد ذلك دون تحقيق رغبة والده في تسليمه مقاليد الحكم من بعده (٤) .

لقد كان لتلك المشاهد اثر كبير في حياته اذ قلبت مفاهيمه راسا على عقب ، فقد توقف اثناء سيره مع مرافقه (شانا (٥)) امام عجوز هرم احدودب ظهـره وكلت رجلاه عن حمله كما شاهد بعدها مريضا طحنه الالم وأهله حوله عاجزيـن عن تقديم العون له ، كما مر على جثة محترقة يأكلها الديدان ، ثم شاهد راهبـا يتعبد ، وفي كل مرة كان يطرح سؤالا على خادمه فلا يلقى سوى جواب واحد قائلا : (هـكذا نهج الحياة ولا مفر لنا من هذا المصير) (٦) .

لقد لعبت هذه الصور في مخيلته وأثرت في نفسه وبات يطرح الاسئلـة دون ان يحظى باجابة مقنعة مما حدا به في نهاية المطاف الى العدول عن حياتـه السابقة والالتزام بمبدأ الرهبنة الهندوسية التقليدية علّه يصل عبرها الى اكتشاف اسرار هذه الحياة (٧) ، وكان عمره في هذه الاثناء يقارب التاسعة و العشرين (٨) .

---

١ - لقد سمي عند ولادته (سيذارتا) اى الذى حقق غايته ، ومنها اسم العائلـة كما اطلق عليه اسم ساكيا موني نسبة الى القبيلة ، ولكن الاسم الذى غلب عليه هو بـوذا ومن معانيه : الملهم ، والمشرق عليه ، او المتنور .) : البوذية ص ٢٦

٢ - حضارات الهند : ٣٤٥

٣ - : انجيل بوذا ص ٢٢

٤ - انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٢٦-٤٢٧ وحياة بوذا ص ٣٩-٤٠

٥ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٧٤ وحياة بوذا ص ٣٩ - ٤٠

٦ - : معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٧٤

٧ - حضارات الهند ص ٣٤٧

٨ - الديانات والعقائد ١ / ١١٨

وعليه فقد قرر في دخيلة نفسه ضرورة الانتصار على الشيخوخة والمرض والموت (١) . وللوصول الى مبتغاه ، فقد غير مجرى حياته السابقة وهجر الاهل والولد (٢) ، وارتدى ملابس الرهبنة والتمس طريق الغابة وحده حيث ظفر بخمسة رهبان فاستانس بهم وقاسمهم حياة الرهبنة ونال اعجابهم حينما فاقهم تعبدا وتبتلا وانقطاعا حتى غدا لهم مرجعا وقدوة . (٣)

ولم يشف مسلك الرهبنة الهندوسية غلته ، اذ ان هذا الطريق لم يوصله الى مبتغاه الاساسي كما كان يرجو ، سيما وانه مارس الوانا وصورا قاسية من العبادات الهندوسية حتى لم يعد هناك من مزيد .

ومن خلال هذه الوقائع نستطيع تلخيص ما توصل اليه عبر ممارسته للرهبنة الهندوسية :

- عدم جدوى الممارسات التعبدية المقررة من قبل الرهبان الهندوس . تلك التي وضعت في الاساس للوصول بالفرد الى طبقة البراهمة لان بوذا كان من طبقة الكشتارية ولم تشفع له هذه الممارسات في بلوغ تلك المرتبة لاقتصارها على العنصر البرهمي فقط .

- عقم وضحالة الاراء العقدية للرهبنة الهندوسية وذلك لعدم تمكنها من تحقيق اهدافه . وتطلعاته او الاجابة على اسئلته الملحة فضلا عن اقتناعه بعدم امكانية الوصول الى نتيجة مشرفة لرياضته اذ لم ينل منها سوى ازهاق النفس وإرهاق الجسد . دون طائل .

- تأكد من ان الاسباب الكامنة وراء الظلم والقهر المخيمين على العامة انما مرده الى الهيمنة البرهمية ولهذا نراه في تعاليمه يشدد على ضرورة ازالة الظلم والجهل . .

وهكذا ادرك بوذا ان البرهمية عاجزة عن حل لغز الوجود ومشكلة الحياة (٤) .

وبناء عليه فقد أحس بأنه أخفق في مسعاه ، فعاد أدراجه وقرر العدول عن التبتل مؤكدا ان الوصول الى ما يريد لا يكون الا بعقل تغذى وجسم سليم (٤) . بعيدا عن حياة الرهبنة الهندوسية الرتيبة ، وعاد الى الاكل والشرب ، مما أثار حفيظة رفاقه الرهبان الخمسة وجعلهم يبتعدون عنه . (٥)

---

١ - حياة بوذا : ٤٩-٥٧

٢ - انجيل بوذا ص ٢٩

٣ - حياة بوذا ص ٩٩ وراجع كذلك : الديانات والعقائد ١/١١٩

٤ - اديان الهند الكبرى ٢٤٢

٥ - المصدر السابق

وتصف المصادر كيف استطاع بوذا مقاومة الشيطان (مارا) واعوانه وانتصاره عليهم (١) وهي في حد ذاتها شبيهة بما يورده النصارى ايضا عن السيد المسيح عليه السلام .

وفي هذه الاثناء وبينما كان مستلقيا تحت ظل شجرة (البو)(٢) اذ سمع صوتا من داخله يدعوه الى مجاهدة نفسه للوصول الى الحق ، عندها قرر عدم مبارحة المكان حتى ولو تشقق جلده وتقطعت عروقه وانفصلت عظامه ... الخ (٣) .

لقد احس تحت هذه الشجرة بالسعادة والطمانينة تملأن نفسه ، حسبما يذكره البوذيون ، ويشعر بعدها بالهدوء وقد تكشفت له اسرار الحياة وتم له التعرف على كيفية الانتصار على الهرم والمرض والموت ، وهو الامر الذى اطلق عليه اسم النيرفانا او الاستنارة (٤) .

اخذ بوذا يبشر بالدعوة الجديد قبلدة (مجادها) والتي دعيت فيما بعد باسم " بيهار " وما لبثت تعاليمه ان انتشرت في اصقاع عديدة في الهند ، فكثر اتباعه ومريدوه ولقي حظوة في اعين الرهبان الذين تجندوا للتبشير بدعوته و تعاليمه (٥) ، وقد اسهم في انتشارها بعض الملوك والامراء الذين اعتنقوا هذه الديانة وعملوا على نشرها مثل اسوكا (٢٦٤-٢٢٧ق.م) (٦) .

تلك هي اهم مراحل حياة بوذا كما تناقلتها الكتب المختلفة ، علما بان الكثير مما ورد في تلك القصص يكتنفه التغيير والتبديل تبعا لاختلاف الكتاب والمؤلفين حول الكثير من هذه القصص ، اضافة الى عدم ثبوت اى منها ثبوتا قطعيا .

كما لا يمكن القول بوجود اتفاق تام بين الذين كتبوا سيرة بوذا وذلك لان الذين نقلوها كانوا يعتمدون على الكتب الدينية المليئة بالاساطير والخرافات التي حيكت حول حياته .

....

١ - حضارات الهند : ص ٣٤٩ وانجيل بوذا : ص ٤٤-٤٥

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٢/ ٤٨٠

٣ - اديان الهند الكبرى ١٤٢

٤ - الديانات والعقائد ١/ ١٢١

٥ - المرجع السابق ١/ ١٢٢

٦ - معالم تاريخ الانسانية ٢/ ٤٩٢-٤٩٣ وكذلك اديان الهند الكبرى ١٨٠-١٨١ وقصة الاديان ، د. رفقي زاهر ص ١٢٠-١٢١ ط١ دار المطبوعات الدولية مصر ١٤٠٠، ١٩٨٠ .

وتجدر الاشارة الى ان مجلة اليونيسكو قد مت تقريرا مصورا عن : "شاندى بوروبودور" وهو من أكبر المعابد البوذية في أندونيسيا ،أوضحت فيه صورا عديدة للنقوش والزخارف التي تمثل حياة بوذا وتعاليمه ،وقد توقف التقرير عند كل نقش على حدة وبين فيه مراحل عدة من حياة بوذا وكذلك القصص الخرافية التي رافقت تلك الحياة . (١)

ج - اراء حول شخصية بوذا :

هناك من يرى أن بوذا يعتبر فيلسوفا . وان ما جاء به ليس دينا بل هو فلسفة حياة . (٢) كما يذهب البعض الى امكانية اعتباره نبيا من الانبياء لان ما جاء به من حكمة وموعظة واخلاق انما يمثل وينطبق على ما دعت اليه الاديان السماوية .

وقد استدل القائلون بنبوة بوذا بقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك . .) . (٣)

وهذا الراى بعيد . وذلك : لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مؤيدون بوحي من عند الله تبارك وتعالى والوحي (٤) الالهي له اعراض . فالرسول صلى الله عليه وسلم كانت يعتريه : احمرار الوجه وتتابع الأنفاس ، مع تحول الوعي عما حوله الى ملك الوحي . وينجلي عنه الوحي في اليوم القارس البرد وأن العرق ليتقاطر غزيرا من جبينه وان جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليثقل من شدة الوحي ،حتى تكاد فخذه ترض فخذ زيد دونها ،وحتى تثقل ناقته فتبرك على الارض . وتزخر أذناه بأصوات حادة ، كصلصلة الجرس ،يجد الصحابة لها دويا كدوى النحل . . .) . (٥)

وقد رد الاستاذ العطار على القائلين بنبوة بوذا والذين استدلوا بقوله تعالى (والتين والزيتون وطور سنين) زاعمين بان التين هي شجرة التين التي استظل تحتها بوذا ونزل عليه الوحي .

وفي ذلك يقول (فليس لدينا أي دليل يثبت نبوة بوذا ورسالته وما بين أيدينا من سيرته يجعله بعيداً عن عيسى . ولا لقاء بين ديانتيهما ،لان ملكوت بوذا خال من إله . وعيسى جاء بديانة التوحيد الحق وملكوته لدى المسيحيين مشغول بثلاثة آلهة

---

١ - راجع : رسالة اليونيسكو العدد ٢٦١ ،ص ١٣، سنة ١٩٨٣ ، القاهرة .

٢ - الفلسفات الهندية ص ١٧٩ و ٢٣٣

٣ - الاية ٧٨ من سورة غافر .

٤ - الوحي لغة : الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته الى غيرك) انظر : لسان العرب لابن منظور ،دار صادر ،ط ١٣٥٦هـ وكذلك : القاموس المحيط للفيروز ابادى - مادة (وحي) المطبعة الحسينية ط ١٣٣٠هـ والنهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير . (باب وحا) دار احياء الكتب العربية

وفي الاصطلاح : الايحاء : الاعلام على سبيل الخفاء ،قال تعالى (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك) والايحاء هنا : الارسال الى النبي صلى الله عليه وسلم والوحي يكون الهاما وايماء وغير ذلك) انظر الجامع لاحكام القران . للقرطبي ٨٥/٤ ط ١٣٧٦هـ وكذلك : التفسير الكبير للفخر الرازى ١٠٨/١١ ط٢ .طهران . وكذلك :تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٢٥٦ فصل (وح) مطبعة الامام . مصر .

٥ - انظر : وحي الله . د . حسن ضياء الدين عتر ص ٤٩/٥٠ ط ١٤٠٤هـ مطبعة رابطة العالم الاسلامي مكة المكرمة .

الاب ، والابن والروح القدس (١) .

كما ان انكار بوذا للذات الالهية أمر مستهجن بل منكر وكفر والحاد ، فان الانبياء عليهم السلام أمناء على الرسالة والوحي ، وهم معصومون : ومكلفون بتبليغ شرع الله تعالى ، فلا يجوز في حقهم انكار الذات العلية ، كما لا نستطيع القول بنبوة من لم يقصه الله تعالى صراحة في كتابه العزيز ، أو لم تشر اليه السنة بدليل شرعي .

ولكثرة الاختلافات حول شخصية بوذا فقد اضطربت عبارات العلماء في تحديد الحالة التي وصل اليها في تجربته . فمن ذلك ما حصل لـ " ولز " . فتارة يصف هذه الحالة بالالهام (٢) ، وذلك حينما قال (والعقل عند ما يصطرع مع مسألة جليلة معقدة يخطو خطوات ويتثبت من مواطئ قدميه ، خطوة خطوة ، وهو لا يدرك المغانم التي غنمها الا ادراكا يسيرا حتى يفوز بالنصر بغتة في شيء من الالهام غير منتظر الذى ينير له الطريق وهذا كما يخيل الينا هو ما حدث لجوتاما) (٣) .

وتارة يصف هذه الحالة بأنها وحي حينما قال (فانه جلس يتناول طعامه تحت دوحة عظيمة الى جوار نهر عند ما جاءه ذلك الشعور بالرؤية الصافية والبصيرة النافذة اذ خيل اليه انه يرى الحياة صافية نقية . ويقال انه جلس طيلة ليله ونهاره مستغرقا في فكر عميق ثم نهض يذيع على العالم رؤياه وما هبط عليه من وحي) (٤) .

ولا شك أن هذه الحالة ليست بالالهام ولا بالوحي : وانما هي من قبيل الحدس الذى يأتي بالحلول التي تومض وتطرأ على فكر العالم أو المفكر فجأة دون أن يكون قد تعمد تكوينها ، وذلك نتيجة عملية درس وتمحيص لمعالجة قضية استعصت عليه ولم يجد اجابة لها .

وهذا ما يسهم الى حد كبير في اجهاد الفكر واتعابه خاصة اذا كانت هذه المسائل تمس قضايا الانسان ، وتعنى بحل مشاكله . وان كان بوذا قد توصل الى حل بعض ما يراه مشكلة فلا يعني ذلك أنه أصبح نبيا وأن الوحي قد نزل عليه .

ومن الادلة على ذلك ما جاء على لسانه :

(لقد اكتشفت حقيقة عويصة كان من الصعب رؤيتها . لذا سيكون من الصعب فهمها . فالحكماء وحدهم سيتمكنون منها ، ان الناس منغمسون في ملذات العالم وهم مع ذلك فرحون ، فكيف سيفهمون النتائج والمسببات . . .) (٥) .

وهذا يدل على انه كان يبحث عن شيء ثم وجده

---

١ - : الديانات والعقائد ١/١٣٧-١٣٨

٢ - الالهام : ما يلقى في الروح بطريق الفيض ، وقيل الالهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو الى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلماء الا عند الصوفيين) راجع : التعريفات للجرجاني مادة : الالهام .

٣ - معالم تاريخ الانسانية ٢/٤٧٨ ٤ - المصدر السابق .

٥ - : حياة بوذا ص ٩٣ وكذلك انجيل بوذا ص ٥٣

بعد عناء ، ويمكننا بعد ذلك من خلال دراسة منهج بوذا وتعاليمه ان نقرر امرا مطابقا لواقعه بالنسبة لهذه القضية بالذات فقد كان يمثل مدرسة فلسفية وكان غرضه منها التحرر من ربقة التعاليم الدينية وطقوس الطبقة الحاكمة لكسر نفوذها ، فلم يجد سوى النظر في القضايا الفلسفية التي تتعلق بالانسان وما يعتريه من مشاكل . وقد اتسمت هذه الفلسفة بطابع الرهبنة ، لما فيها من قوانين وانظمة تدعو الى الترهب ،وقد أسهمت هذه المدرسة في مد انظمة الرهبنة في العالم بكثير من المبادئ والاراء .

وقبل التعرف على تعاليم الرهبنة البوذية ، ينبغي الوقوف على اهم العقائد التي تنادى بها .

الفصل الاول : العقائد البوذية ، ونقدهـــا

هناك مرحلتان هامتان في تاريخ الفكر الديني والفلسفي البوذى .

المرحلة الاولى : تتمثل في بداية عهد البوذية ،وفي هذه الفترة يتكلم العلماء عن سيرة بوذا وحياته وآرائه التي كان يبثها بين أتباعه ،وذلك من خلال خطبـــه ومواعظه ، . وقد وصف البعض هذه الفترة بأنها مثلت في مبادئها جانب البساطـة كما دعت الى الكثير من البحث داخل كل نفس.(١)

اما المرحلة الثانية : فهي فترة ما بعد بوذا ، وهي التي تم فيها تغيير الكثير من المعالم في هذه النحلة ،وفيها تم ادخال العقائد الهندوسية .(٢) اضافة الى الطقوس والتقاليد الوافدة عبر المذاهب الهندية المختلفة والتي أسهمت في تغيير وجهة المرحلة الاولى .

وقد تمثلت العقيدة في المرحلة الاولى ببعض الاراء التي كان ينادى بها بوذا ومن ذلك : أولا : ـ انكـــار الالوهيـــة .(٣)

برزت هذه الحقيقة حينما تجاهل بوذا وجود الاله ،وهذا الأمر لم يكن في حد ذاته جديدا على الفكر الهندى ،اذ رأينا سابقا كيف أنكر مهافيرا صاحب الجينيـــة الايمان بوجود الاله ، وهاجم آلهة الهندوس .

ومرد هذا الانكار راجع الى ارتباط المفاهيم العقدية بالواقع العرقي الذى كان يميز الطبقات الشعبية عن بعضها . باسلوب متسم بالعنصرية .

فمهافيرا وبوذا كانا ينتميان الـى " الكشتارية " التي كانت تكوى بظلم الكهنـوت البرهمي ،ولهذا لا نجد كبير عناء في التوصل الى الاسباب الرافضة لكل ما يمت الى الهندوسية برأى أو فكر .

وهناك أمر آخر يمكن أن يساعد في تأكيد هذه النظرية : وهو موقف بوذا نفسه من قواعد الرهبنة الهندوسية وما انطوت عليه من تعاليم ،اذ انه لم يستطع أن يجـــد فيها ما يرضي رغباته ويجيب عن أسئلته ويحقق طموحه في الوصول الى المعرفة .

فلقد وجد في هذه الرهبنة ضياعا للوقت دون طائل ،وهدرا للطاقة والفكر وتشتيتا للذهن دون فائدة ـ .

لهذا قررا عتزال ما كان عليه والالتفات الى طريق آخر ، ويمكـــن ربط هـــذا الاستنتاج بما توصل اليه " مهافيرا " الجيني أيضا أثناء قيامه بالرياضات والممارســـات وفقا لتقاليد الرهبـــنة الهندوسية وما وجد فيها من تناقضات . فالواقع الـــــذى

---

١ - : شجرة الحضارة ٣/١٨٦-١٩٠

٢ - راجع : البوذية ص ٧٣ ، وشجرة الحضارة ٣/١٨٦ - ١٩٠

٣ - هناك من يرى : أن بوذا (كان ينبذ مسائل العقيدة لسببين (أولهما : أنهـــا تتناول مسائل فوق مداركنا . وثانيهما : أن معرفتها لا تـــؤدى الى الخلاص . والجريح يطلب العلاج والتضميد . ولا يعنيه من أجل ذلك أن يعرف طبيعة السلاح الذى جـــرح به) : تاريخ العالم ٢/٥٣١

بمعيشه البراهمة يختلف عما يروجونه ، وكأنهم يجعلون من هذه التعاليم ستارا يخفون به حقيقتهم المخزية وصولا الى الهيمنة والسيطرة .

فلا غرابة اذاً أن يصرف بوذا جُلَّ وقته في ابعاد أتباعه عن الخوض في المسائل العقدية الخاصة بالألوهية وما وراء الطبيعة (١) .

وقد حار العلماء كثيرا في هذه القضية واختلفت اراؤهم حول ما اذا كان بوذا يقر بوجود أو نفي الايمان بالاله (٢) . وعلى الرغم من تأييد البعض لفكرة ايمان بوذا بالاله الا أن الواقع يقول عكس ذلك . فقد ترجم د . رؤوف شلبي كتاب (داماپادا) الى العربية واستطاع التوصل الى عدة حقائق منها :

- ان (لا اله في البوذية ولا تاريخ لذات بوذا ولا تعاليم محددة متقنة فكل ما في البوذية سلبي . . . انها دعوة الى الهروب من الحياة دون مقابل) (٣) . وهذا الرأى قد ذهب اليه من قبل عدد من علماء الغرب (٤) .

وهذا ما أراه مناسبا في تقرير حالة بوذا والبوذية الاولى تجاه هذه القضية .

علما بان هناك من يرى : أن منهج بوذا كان (لا أدريا خالصا (٥)) في مسائل ما وراء الطبيعة ، وكان يرفض ان يبحث مع أتباعه في المسائل الخاصة بالمطلق وعلاقة الروح بالمطلق ، ومسألة " لا نهاية الزمان والمكان - أو نهايتهما " بل وصل به الى انكار الرغبة المتأججة عند الكثيرين لمعرفة ما اذا كان مصير جسم الرجل الذى وصل الى الاستنارة الكاملة (النيرفانا) هو الفناء التام بعد الموت ، أو أن مصيره نوع من الحياة الخالدة (٦) .

---

١ - يذهب الشيخ ابو زهرة رحمه الله الى ان بوذا " لم يتعرض لمسألة الالوهية بسلب او ايجاب ، وأنه كان حائرا مضطربا و " أن المذهب لا يؤخذ من قول المفكر عند هذه الحالة بل المذهب ما يستقر عليه الشخص ويتجه اليه ويدعو الناس الى اعتناقه . ولم يدع أحد أن ذلك كان جزءا من مذهبه وآرائه ، دعا الناس اليه بل أن منتحلي نحلته كانوا جميعا يؤمنون بقوة مسيطرة على العالم ولم يمنعهم ذلك من أن يجمعوا بين عقيدتهم ومذهبه ، واذا كان من متبعيه من نحله أوصاف الاله ، فذلك دليل يظن معه أنه ليس من دعايته انكار الاله) الديانات القديمة ص ٧٠

٢ - لاحظ في ذلك :الاسلام بين الأديان ص ٢٥٧ وما بعدها .

٣ - راجع : آلهة في الاسواق ص ٢٣٥

٤ - مثل : قصة الحضارة ٣/١ : ٨٢ وكذلك شجرة الحضارة ٣ /٦ ١٩-١٩٧
ومعالم تاريخ الانسانية ٢/ ٤٨٤

٥ - مدرسة فلسفية قامت عقب موت الاسكندر وانحطاط الحالة السياسية والاجتماعية بعده في اليونان ولم تأخذ هذه المدرسة جانب التهكم في الشك كالحالة التي وجدت عند السوفسطائيين ولكن الشاك - كما يقول (كرم) - رجل مغلوب على أمره فقد الايمان بالحق والخير في بيئة تبلبلت فيها الافكار وفسدت الاخلاق الى حد بعيد فانعزل في نفسه لا يوجب ولا ينفي وانما يقول : لا أدرى) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٣٤ ، وقد اشتهر " بيرون الايليسي " كأحد ابرز اعلام هذه المدرسة) : الوجود الالهي ص ٥٠

٦ - تاريخ العالم ٢/ ٥٣١

اما المرحلة الثانية من البوذية :

فهي تعتبر في عرف العلماء فترة التوسع والانتشار ، ليس فقط داخل الهند بل الى آفاق اخرى كالصين واليابان ودول جنوب شرق آسيا بصفة عامة . وفي هذه الفترة بالذات يمكن تسمية البوذية ونعتها بالدين الوضعي بعد أن كانت تمثل جزءاً من الفلسفة الهندية . ففي هذه الاثناء تم ادخال كثير من العقائد الهندوسية وألبستها ضمن العقائد والتقاليد والشعائر البوذية . وهذا هو السبب الذى قوض دعائم البوذية في الهند ، بعد أن كان الفكر البوذى في تصاعد[1].

يضاف الى ذلك ضياع الاصول البوذية في حلقة المرحلة التي تولت فيها العربة الكبرى[2] " مسؤولية الدعوة[3] . فقد ألفت في هذه الفترة أكثر الكتب التي قدسها البوذيون واعتبروها من تراثهم الديني . علماً بان بوذا لم يترك كتابا من تأليفه .

وقد اعتبر العلماء أن التوسع الكبير في العقائد البوذية كان نتيجة الانفتاح الذى مارسته العربة الكبرى أو " الماهايانا " تجاه العقائد الاخرى . (٤)

---

١ - وقد أسهب " لوبون " في وصف أسباب تصاعد وانتصار البوذية المؤقت ، وارجع بعضها الى تحكم الهندوسية وصرامة الدين الذى لا يعرف الرحمة بما يمثل من قساوة حيث لا رأفة فيه ولا محبة في حين ان تعاليم بوذا تحارب هذه الهيمنة وذاك التسلط . راجع هذا المفهوم في : حضارات الهند ص ٣٥٧

٢ - ولها عدة تسميات اخرى منها (العجلة العظمى)، وهي الفرقة الثانية التي نشأت عقب التبدل الذى طرأ على البوذية وهجرة هذه النحلة خارج الهند مما ادى الى الانشقاق . وقد سميت بذلك تمييزا لها عن العربة الصغرى أو ما يسمى بالهينايانا وقد سميت بالصغرى على وجه الامتهان ، لعدم انفتاحها وبقائها على الصور الاولى للبوذية : انظر : حكمة الاديان الحية ص ١٨-١٩ وكذلك فلسفات الهند ص ٤١ .

٣ - البوذية ص ٧٣

٤ - المرجع السابق ص ٦٧

ثانيا : الكارمــــــا :

كان العقل الهندى مليئا بفكرة التكرر الدوراني اذ كان يزعم ان كل شيء لا بد ان يدور فيعود .

وعقيدة الكارما هي من جملة العقائد التي قبلت بها البوذية . وقد تعرضت سابقا لهذه الفكرة عند الهندوس ، وقد بان أثرها على العقيدة ككل .

ولا تختلف الكارما عند البوذيين عما هي عليه عند الهندوس اختلافا كبيرا . . . . فالبوذية تضيف الى هذا القانون مفهوما آخر يتعلق بالتوبة .

وقد رفض العلماء مناقشة هذه العقيدة لانها تنتمي الى عالم فكرى آخذ فـــي الزوال ، وما قاله " ولـــز " في هذا الصدد : (انـه لا توجد أية ضرورة تدعونا لفـرض أية حياة فردية معينة تستأنف . . . (وانه) لا وجود لشيء من هذا التكرار أو التعاقب المضبوط . . . فان كل يوم يكبر سابقه بمقدار متناه في الصغر ، وما من جيل يكرر سابقـه تكرارا دقيقا مضبوطا والتاريخ لا يعيد نفسه أبدا ، اننا نعلم الآن علم اليقين ان ألوان التغيير التي تلحقه لاتنــتهي ولا يكاد يدركها حصر ، فكل شيء جديد جدة أبديـــة لا نهائية)[1].

كما ان هذا القول يؤكد لنا تعارض فكرة الكارما مع العلم والواقع ، وقد أكـــد القرآن الكريم على أنه لا يوجد شيء أبدى ولا نهائي على صعيد هذه الحياة ، فالله وحده هو الحي الباقي قال تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[2] وقال ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[3].

اما الجانب الجديد في قانون " كارما " البوذى ، فهو يتعلق بالتوبة ، فهـي لا تمنع صدور المعلول عن العلة ، وانها لا تكفر الذنوب (ويرى بوذا ان التوبـــة مقصودة كانت أو غير مقصودة لا تستطيع أن تمنع صدور المعلول عن العلة ولا العمل عن نتائجه)[4].

وبالتالي فان هذا القانون ينسجم مع موقف بوذا الالحادى ، فمن آرائه مـــا جاء في قوله (ان ناموس الطبيعة ليس بخاضع لذات قدسي يتصرف فيه كيفما يشاء ، بل ذلك الناموس بذاتــــه نافذ بنفسه لا يتأثر بمؤثـــر بشرى أو الهي أبـــدا)[5]

---

١ - : معالم تاريخ الانسانية ٢/٤٨٥

وكذلك : الفلسفات الهندية ص ٢٧٣

٢ - ابراهيم : ٤٨ ٣ - الرحمن : ٢٦-٢٧

٤ - حضارات الهند ص ٣٥٦

٥ - اديان الهند الكبرى : ص ١٥٧

ولا يخفى ما لهذا المفهوم من اثر سيئ على الناس ، فمعنى عدم قبول التوبة من العاصي يحطمه ما لا يطيق . وربما شعر البوذيون بهذه المساوئ فاضطروا الى اضافة قانون اخر فاخترعوا مبدأ " الاعتراف امام الكاهن " (١) للتوبة والمغفرة ، وهذا ما قدمته البوذية بدورها الى من جاء بعدها .

ثالثا : التناسخ :

من جملة العقائد التي قبلها البوذيون عقيدة تناسخ الارواح ، وهذا المبدأ سبق الكلام عنه في اثناء عرض العقائد الهندوسية ، ويرى العلماء ان اصحاب بوذا قد تأثروا الى حد بعيد بكتب الاوبانيشاد الهندوسية (٢) .التي نادت به.

الا ان مفهوم التناسخ هنا يرتبط ارتباطا وثيقا بالمبدأ العام الذى وضعه بوذا وهو عدم الاقرار بوجود الاله وفي هذه النقطة يختلف البوذيون مع الهندوس .

فالبوذية توسعت فيه واخذت مدى ارحب مما عليه الهندوسية التي ارادت من ورائه ارغام الطبقات الدنيا على الرضوخ لها وذلك عبر اجتياز العديد من التقمصات قبل التوصل الى طبقة الكهان ،كما ارادت من اقرار مبدأ الروح الكلية (آتمان) والاندماج فيه حصر هذا الاتحاد بطبقة البراهمة فقط .

ولقد كشفت البوذية التناقض الحاصل بين مبدأ التناسخ ومبدأ الروح الكلية (اتمان) عند الهندوس ، وبينت ان التوافق بين هذين المبدأين عقيم (فالاتحاد بالروح الخالدة هو على صعيد نظرى مباشر ومجرد من كل سببية ، فيما التناسخ على العكس يخضع لسلسلة قاسية من الأسباب والنتائج) (٣).

ومن هنا استطاعت البوذية توجيه الطعن بمبدأ وحدة الوجود لدى الهندوس الذى يتعارض مع مبدأ التناسخ لعدم قدرة أصحابه على تفسير تعدد الوجودات ..

ويقع البوذيون في التناقض حينما ينكرون وجود النفس ، ومنعا لهذا الحرج فقد قالوا بانتقال الرغبة من جسم الى آخر .

---

١ - راجع في هذا الصدد : انجيل بوذا ص ١١٤-١١٥

٢ - راجع : فلسفات الهند ص ٣٦

٣ - البوذية ص ٢٢

والبوذية في هذه المسألة تريد الفرار من الاعتراف بوجود النفس تمشيا مع الالحاد الذى اكتنف تعاليم بوذا ، فكما انه (اقترح لاهوتا بغير اله فكذلك يقدم لنا علم نفس بغير نفس فهو يرفض الروحانية في شتى صورها حتى في حالة الانسان)[١] .

وعلى الرغم من القول بانتقال الرغبة من جسم الى آخر فان الاعتراض يبقى قائما فالتحليل العلمي يقول ان هذه الرغبة اما ان تكون خاصة بالجسم او شيء غير الجسم (فان كانت شيئا غير الجسم ، فهي النفس ، سواء أسموها رغبة أم نفسا وبذلك يعود على أصلهم بالنقض ، ويؤدى كلامهم الى نقيض ما يدعون ، ويهدمون بيد ما يبنونه باليد الاخرى .

وان كانت الرغبة خاصة من خواص الجسم ، ولازمة من لوازمه فكيف تنتقل الى جسم آخر وهي خاصة من خواص غيره ؟ ذلك يقتضي أن ينتقل الجسم مع رغبته الخاصة به لانه من غير المعقول ان يوجد اللازم من غير ملزومه والخاصة من غير المختص بها .

لهذا كله نقول : ان انكار بعضهم للنفس يتنافى مع اعتقادهم التناسخ الثابت نسبته اليهم والتوفيق بينهما يؤدى الى أمور لا يقبلها العقل أو يؤدى الى هدم أحد الامرين - : اعتقاد التناسخ أو انكار النفس .)[٢] .

والجدير بالذكر ان بعض العلماء قد أنكر ان يكون بوذا[٣] قد اعترف بمبدأ التناسخ . الا أن مرد ذلك يعود الى الالتباس والغموض اللذين سادا تعاليم بوذا ، ويعلل د . الندوى ذلك بقوله :

(والسبب في ذلك ان تعاليمه كانت تتناقلها الالسن اعتمادا على الذاكرة قرابة اربعة قرون . وفي خلال هذه المدة الطويلة اضيفت الى عقيدته وتعاليمه اضافات كثيرة ونسبت اليه أمور عدة (كما) نسبت اليه عشرات من الكتب ، وقد ثبت فعلا ثبوتا علميا وجود الخلط والتحريف في كثير مما يروى عنه وينسب اليه)[٤] .

هذا ولا جدال بين العلماء أن البوذية الحالية تدين بهذا المذهب الذى يعتبر أحد دعائم عقيدتها .

---

١ - : قصة الحضارة ٣ / ١ : ٨٢

٢ - الديانات القديمة ص ٧٠-٧١

٣ - الهند القديمة ، حضاراتها ودياناتها ص ١٤٨-١٤٩

٤ - المرجع السابق .

رابعا: النيرفـــانـــا :

يدعي البوذيون ان " بوذا " استطاع التوصل الى معرفة اســـرار الحياة عن طريق " النيرفانا " التي تعني في عرفهم : الغيبوبة ، أو الانطفـــاء . وقد شبهت هذه الحالة بالشعلة التي تنطفئ عند انتهاء مادة الاحتراق (هكذا ينطفئ الفرد الذى يتوقف عن اذكاء نيران عواطفة فلا تعود حياته تولد مرة ثانيـــة تماما كالمصباح الذى اذا ما انطفأ مرة لا يقوى بعدها على اذكاء شعلتــــــه بنفسه) .(١)

الا ان البعض يفسر حالة بوذا في النيرفانا قائلا (هي صفو الروح وسكينته ذلك ان النيرفانا ليست معناها الفناء كما يعتقد الكثيرون من الناس خطأ وانمـــــا معناها فناء الاغراض الشخصية الباطلة التي تجعل الحياة بحكم الضرورة دنيئـــــة اوذليلة او مروعة) .(٢)

وكأن صاحب هذا القول يريد الرد على من احتار في امر النيرفانا خاصة فيما يتعلق بمصير الانسان بعد هذه العملية .(٣)

واذا كان بوذا يريد من وراء فكرته هذه الايحاء لاتباعه ان من اتبـــــع هذا الطريق فانما يكون بذلك قد توصل الى الخلاص او النجاه فاننا نستطيـــــع القول بان فكرة الخلاص او النجاة في الفلسفة الهندية واحدة لدى معظم نحل الهند وان عبر عنها باساليب متعددة .

والمتأمل في حقيقة مبدأ النيرفانا يكتشف ان بوذا اراد من هذة الفكرة بالذات الخلاص من تكرار الولادات التي تمخضت عن طريق مبدأ التناسخ .

وعلى الرغم من تحرر بوذا من بعض قيود المفاهيم البرهمية بشكل عـــام الا انه لم يستطع مطلقا التفلت من هذا المبدأ وهذا يفسر لنا مدى سطوة التعاليم البرهمية على البوذية .

وفي ميزان بوذا فان النيرفانا تعتبر خشبة خلاص له ولهذا نراه يغـــرى اتباعه بضرورة اللجوء اليها رغم الاعتراضات وكثرة الاسئلة التي انهالت عليه لمعرفـــــة كنه وحقيقة النيرفانا التي ظلت غامضة بالنسبة للكثير من تلاميذه وهذه حادثة تدل على ذلك : (سأل مالوتكيابوتا معلمه عن النيرفانا وعما اذا كان من بلغ الكمال يستطيـــع

---

١ - البوذية : ص ٤٠ وقارن مع الديانات والعقائد ١٢٨/١

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٤٨٢/٢

٣ - راجع تاريخ العالم ٢ : ٥٣٢ وما اثاره من شكوك حول هذا الموضوع .

الاستمرار في حياته بالنيرفانا ؟ ام يبتلعه العدم ؟ . فما كان من بوذا الا ان ضرب مثلا لرجل (اصابه سهم مسموم . هل ينتظر كي يتداوى ليعرف ما اذا كان الذى اصابه راهبا براهمانيا ام نبيلا شريفا أو فلاحا أم خادما من الشعب ؟ ما يكون نتيجة هذا الانتظار ؟ موت الجريح طبعا . . . هكذا حال الذى يريد الشفاء من حالات التناسخ) .(١)

ورغم ذلك فان هذه العقيدة لم تختمر في عقول البوذيين ، تبعا للغموض الذى يكتنفها . لهذا نجد تطورا هاما يطرأ على هذه العقيدة بعد موت بوذا اذ سرعان ما تأثرت البوذية بعده بالاراء الهندوسية والجينية ، فاخذت الرموز والاصطلاحات الغريبة تحتل قسطا وافرا من تفسير قانون النيرفانا فعبر عنه تارة (بانه (تحرير الفرد من عودته الى الحياة) أو (انعدام شعور الفرد بفرديته . او (اتحاد الفرد بالله) او هي (فردوس حسن السعادة بعد الموت) . (٢)

ومن التحليلات التي وجدت بعد بوذا ولم تكن من قبل ما تدعيه البوذية من ان بوذا قال (ايها المريدون (النيرفانا) هي طور لا ارض فيه ولا ماء ، لا نور ولا هواء ، لا فيه مكان غير متناه ، ولا عقل غير متناه ، ليس فيه خلاء مطلق ، ولا ارتفاع الادراك واللادراك ، ليس هو هذا العالم ولا ذاك العالم ، لا فيه شمس ولا قمر) (٣)

ووفقا لهذا الاطار فقد وضع البوذيون مقومات للوصول الى النيرفانا منها :

١ - السيطرة على النفس ٢ - البحث عن الحقيقة
٣ - النشاط ٤ - الهدوء
٥ - الغبطة ٦ - التركيز

وهناك ما يسمى بالحقائق النبيلة الاربع التي تضع القدم على طريق النيرفانا (٤) .

---

١ - : البوذية : ص ٤٢

٢ - راجع هذه المصطلحات في : قصة الحضارة ٣ / ٠ : ٨٤

٣ - : ثقافة الهند عدد ٤ ص ١٣٣ سنة ١٩٥٣

٤ - الحقائق النبيلة الاربع جميعها ذات صبغة تشاؤمية ، راجع : انجيل بوذا ص ٤٨-٤٩

ويضاف الى ذلك بعض الامور التي تشدد البوذية على اتباعها للوصول الى النيرفانا منها ما يتعلق بالفناء التفكير الكلي عما يحيط بالفرد والانقطاع التام دون حراك ، والتدرج الطويل في هذا السبيل مرغوب بل مطلوب وقد يمتد الى حيوات بعيدة .

ويعلق احد الشراح على هذه النقطة قائلا (هذه السكينة طالما انها سكينة العالم الطبيعية ، تسمى الغبطة ، وسكينة التعدد هي ايضا الغبطة وذلك بسبب توقف الكلام وتوقف الفكر)(١) .

وازاء هذا الموقف السلبي لم يخف البعض تهكمه على بوذا الداعي الى ايقاف الفكر حيث يقول (اذا كان شرطه (اى بوذا) الوحيد هو خنق كل تفكير وكل احساس فمن التلقائي ان يبلغها جميع الصم والعميان والاغبياء)(٢) .

ومن جملة النقد الموجه الى مبدأ النيرفانا ما افاد به الاستاذ العطار من ان (النيرفانا في البوذية ليس عالما ماديا ولكن ميتافيزيقي انه وراء الحس . اذن انتهت البوذية الى اثبات ما انكره بوذا وهو المجهول ، فاذا كانت النيرفانا حالة شعورية تقوم على الوهم فأين موقع النيرفانا في الوجود ؟ انه الموجود نفى فيه الموجودات عند ما يتحقق له الصفاء والخلوص من الألم والعذاب ، ولكن أين يقع هذا الوجود ؟ ان النيرفانا حالة وهم تنتهي اليها الأرواح بعد التطهر من العناء الذى فرضه عليها الوجود في حالة الحياة وعندئذ تتساوى أرواح الناس بالالهة وتعود للمجهول الذى أنكره بوذا)(٣)

وهكذا يكون التناقض قد أحاط بهذا المفهوم فضلا عن أن النيرفانا في حقيقتها لاتستند الى أساس علمي صحيح بل الى تجربة شخصية فردية عانت من الضياع والتمزق العرقي فلم تجد أمامها سوى اللجوء الى التخيلات والأوهام تمني النفس بها علها تنسيها الواقع المرير الذى تعيشه وتبعث فيها الأمل بالخلاص من ربقة القيود المفروضة عليها من قبل الطغيان البرهمي .

ولا نجد في الاسلام ما يدعو الى هذا التشتت الذهني أو الإغراق في الخيال والوهم وذلك للضوابط التي يضعها الاسلام في عملية تربية العقل البشرى وتوجيهه الوجهة السليمة . فالقضايا الغيبية يوليها الاسلام أهمية بالغة ، ولكنه لا يترك فيها العقل البشرى يتخبط في تفسيرها وفق الخيال والوهم بل وفق السمعيات التي جاءت في الكتاب العزيز والسنة المطهرة بما يتناسب والفكر البشرى أما المشاكل الفردية والاجتماعية التي تأخذ حيزا مهما من حياة الفرد فان الاسلام قد بسط الاحكام الشرعية المستنبطة من الادلة التفصيلية المستندة الى الكتاب والسنة أو تلك الاحكام التي توصل اليها العلماء وفق عملية الاجتهاد المبنية على الدقة والدراسة المستفيضة . وذلك لتذليل الصعاب أمام الناس .

وبالنتيجة فان الاسلام لا يترك مجالا لاغراق الفكر في قضايا لا طائل تحتها ووفق هذا المفهوم فان تصور الاسلام للسعادة البشرية ينطلق من مبدأ الجزاء والعقاب فالسعادة المنشودة تكمن فيما وعد الله تبارك وتعالى عباده المتقين ذلك بالظفر بجنات النعيم . ولن يكون ذلك الا بالعمل الصالح واتباع اوامر الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه .

---

١ - الفكر الفلسفي الهندى ص ٤٣٧

٢ - البوذية ص ٤٣

٣ - الديانات والعقائد ١ / ١٢٩

وقارن مع : الفلسفات الهندية ص ٢٧٤

خامسا : مبدأ التغيير الدائم :

تؤمن البوذية ايمانا كبيرا بهذا المبدأ ، وهو يشمل حياة الفرد وكذلك العالم بأسره . . وهو يشبه الى حد ما النظرية النسبية التي يعتنقها الجينيون ، وقد رأينا سابقا كيف ان هذه النظرية اتخذت قاعدة لكثير من الاحكام التي بنت عليها الجينية اراءها الفكرية . كقانون أهسا مثلا .

وسريان هذا التغير في حياة الفرد يوضحه بوذا لاحد البراهمة حينما قال (ان ذاتك المتحدة بك هي عرضة للتغيير ، لقد كنت منذ زمن طفلا ثم تدرجت الى سن الحداثة ، فالشباب ، فالرجولة ، فهل من فرق بين هذه الادوار ؟ وهل بينها مماثلة ؟ اليس مثلها مثل النور الاول والثاني والثالث ، يتناقص الزيت كلما اندلعت السن اللهيب ؟ فهل هذه واحدة في الامس وما قبله اليوم ؟ .) (١)

وهكذا فالحياة في نظر البوذيين ليست مستقرة.كما يفسر ذلك ايضا الراميوري موضحا راى البوذية حيث يقول (ليس في حياتنا الشاعرة شيء قائم مستقر يعبر عنه بالذات او النفس او الروح سوى تطورات متعاقبة متوالية وتقلبات متتالية مستمرة من البديهيات ، ان الجسد يبقى مائة سنة ويزداد عليه ولكن الامر الذى يقال له الذهن والادراك والشعور لا يزال يجرى ويمضي نهارا وليلا ، يفنى شيء وينبعث موضعه اخر . . فالحياة الشخصية حياة دون حي وشخصية من دون شخص ونفسية من دون نفس ، وروحية من دون روح وفكر ولا مفتكر وشعور ولا شاعر .) (٢) .

فالوجود الشخصي في عرف البوذيين يمثل دائما بالعربة (التي تجرها الخيل ، هذه العربة - في حقيقة امرها - ليست الا مجموعة من الاخشاب ، والمسامير وبعض المعادن ركبت بطريقة معينة ثم اعطيت هذا الاسم : " العربة " - دون ان يعني ذلك وجود جوهر متميز مستقل لهذا المفهوم من هذا اللفظ) (٣).

وكذلك الشخص مثله كمثل العربة فما هي الا اجزاء فلما اجتمعت يقال لها "العربة" . (٤) .

---

١ - : انجيل بوذا ص١٧٦

٢ - ثقافة الهند العدد ٤ ص١٣١ سنة ١٩٥٣

٣ - الاسلام بين الاديان ص٢٥٦

٤ - ثقافة الهند عدد ٤ ص١٣١ سنة ١٩٥٣

وبناء على ذلك فالمصطلحات : ("شخص" او "فرد" ، شخصية ، نفس ، هوية ذاتية ، وما الى ذلك ليست الا اسماء ممنوحة لما هو في حقيقة امره سلسلة معقدة من الحوادث والخطرات نجمت عن تداخل وتشابك عدد لا يحصى من العوامل ، ان تتابع مراحل الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة يجعل من المستحيل اعتبار الشخصية ذات كيان مستقل متميز وثابت ولهذا ترى البوذية انه ليس هناك مبرر للاعتقاد بثبات الهوية او الذاتية من الطفولة الى الرجولة). (١)

هذه الفلسفة التي تنادى بها البوذية تريد ان تصل الى نتيجة مؤداها ان هذه الحياة ليس فيها سوى البؤس والشقاء ، وما دامت الحياة في تغيير مستمر فالاجدر تركها والابتعاد عنها ، وهذا الطرح يرتبط ارتباطا وثيقا بما قررته البوذية من احكام تتعلق بالاسباب المؤدية الى الحزن والبؤس .

فقد نصت الروابط الاثنا عشرة على انه :

(بسبب الكيان الذاتي يكون الوجود الدنيوى . . . وبسبب الوجود الدنيوى يكون الموت والفناء ، وهكذا تقوم سلسلة الغم والحزن واليأس . . .). (٢)

وكما حدد بوذا نظرته نحو الكيان الفردى ، فانه حدد ايضا فكره بالنسبة لهذا العالم ، حيث يقول عنه :

(كل ما في العالم باطل ، وكل شيء زائل ، وافراح الحياة في حلم عابر ، الناس في العالم اشباح ، ورجاؤهم سراب). (٣)

وعلى هذا الاساس فان هذا العالم (ليس فيه شيء ثابت مستقر ، وما الكائنات الا تكونات وتصرمات يأتي حال ويذهب حال ، يوجد طور وينقضي طور في كل آن يتكون جديد ويفنى قديم ، لا قرار لهذا ولا لذاك). (٤)

---

١ - الاسلام بين الاديان ص ٢٥٦ :

٢ - حكمة الاديان الحية : ص ٢١

٣ - انجيل بوذا ص ١٣٦

٤ - فلسفة الهند القديمة ، مقالة لمحمد عبد السلام الرامبورى ، ثقافة الهند ، العدد ٤ ، ص ١٢٦ ، سنة ١٩٥٣

واستنادا الى ما تقدم فان هذا العالم (يحمل ثلاث خصائص بارزة وسمات واضحة : ١ - انه تعس حزين ، مليء بالالام والاحزان ٢ - انه عابر متنقل ، خادع لا يدوم ٣ ، انه خال من اية روح او اى معنى .

انـنا نولد في احزان ونموت في احزان وتتناوشنا الاحزان فيما بين ذلك ، ويبدو ان السبب الرئيس لهذه الاحزان يكمن فيما تشير اليه الخصيصة الثانية للعالم وهي انه عابر متنقل لا قرار له فلا شيئ يبقى على حاله ، واذن فليس الكون (العالم) الا نوعا من الفيض المستمر (FLUX) للحوادث المتتابعة كشريط سينما شـي لا يكف عن الدوران ونحن لا نستطيع التصرف الا في ضوء الاعتقاد (الكاذب) في الدوام والثبات والاستقرار ولذا نجد انفسنا متمسكين بالاشياء التي نصادفها محاولين ادامة الاحتفاظ بها مع انها بطبيعتها عابرة زائلة وهكذا نصدم في احلامنا وامانينا حتى ابان تملكنا لهذه الاشياء يعزونا الخوف من فقدها ثم يضطرنا الواقع المر الى فقدها فعلا فنتألم ونحزن واذن لا مناص من الالم و الحزن ، اننا لا نستطيع ان نضمن لمتعنا الخلود ولذا كنا - ولن نزال تعساء) .(١)

ان هذه النظرة القاتمة التي تصورها لنا البوذية عن الكيان الفردى والعالم انما تريد من ورائه ادخال عنصر الشك الى هاتين القضيتين . وعدم التسليم لحقيقتهما ونفي امكانية التعرف على جوهرهما ، فاذا تم لها ذلك بالفعل وامكن صرف النظر عنهما تماما اصبح من السهل في نظرها الالتفات نحو ما هو اجدر واسلم ، الا وهو " النيرفانا " اذ ان الشيئ الوحيد الذى قد تسلم البوذية بسلامته من التغير والصيرورة هو " النيرفانا ") .(٢)

وعليه فان الهدف واضح ، وهو يشابه الى حد بعيد ما سعت اليه النظرية النسبية في الجينية ، التي ارادت من وراء قانونها صرف النظر عن هذا العالم تمهيدا للوصول الى طريق الخلاص المزعوم . وهكذا تتشابه النظريتان من حيث المضمون والمفهوم . وصحيح ان هذه الفلسفة استطاعت ان تصف بعض جوانب التغير الظاهر في هذه الحياة الا ان حكمها لم يصب كبد الحقيقة فالتغير المشاهد لا يتم وفق خبط عشوائي بل بمقتضى ارادة ربانية خالقة مدبرة حكيمة (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ..) القمر : ٤٩ (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) الفرقان : ٢ (مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ..) (٣) فكل يجرى لما خلق له ولغاية يعلمها الله تعالى ويبنى على ذلك حكم شرعي يتعلق بالايمان بعالم الغيب والبعث والحساب . وكل ذلك وفق علم الله تعالى وتقديره . اما دعوى التغير في المفهوم الوضعي فالمراد منه التشكيك بكل ما يتصل بالدين من مفاهيم وقيم وعقائد .

---

١ - الاسلام بين الاديان ٢٥٤

٢ - المرجع السابق ٢٥٦

٣ - الاحقاف : ٣

سادسا : اليوغا

رأينا من خلال دراستنا للهندوسية والجينية ان مبدأ اليوغا يعتبر دعامة اكيدة لعقائدهما وعليه فان هذا المبدأ يضاف الى سلسلة الاراء المستعارة التي استقتها البوذية من غيرها .

وقد لوحظ في السابق مدى القسوة والعنف المصاحبين لتلك الممارسة والتي في الغالب كانت تؤدي الى ازهاق الروح للخلاص من هذه الحياة .

واعتراف البوذية بهذا المبدأ ليس امرا شاذا اذ يعتبر من الامور الشائعة لدى قطاعات كبيرة من الطوائف الهندية .

الا ان البوذية تضيف بعدا آخر الى هذا المفهوم اذ (تروى التقاليد السطقسية . . . كيف مر بوذا نفسه بالدرجات التأملية الاربع قبل توصله الى الاشراق . . . وهذه الدرجات الاربع التي توازى الحقائق المقدسة (عندهم) تثبت تصاعدية اليوغا البوذية فمع الدرجة الاولى تتم السيطرة على مراقبة الحواس ، ومع الثانية تطويع المخيلة ومع الثالثة محو الاحساسيس ومع الرابعة والاخيرة قطف ثمرة التحقيق الروحي الناجز) (١) .

وهكذا نرى ان اليوغا تعتبر مادة خصبة للرهبنة البوذية فهي عنصر مهم في تحقيق اهداف الرهبان وتطلعاتهم .

وعلى الرغم من اخفاق الهندوسية والجينية في هذا المضمار . فقد كان الاجدر بالبوذية الا تهبط الى هذا الدرك وهي التي تدعى محافظتها على الفلسفة والحكمة .

فأي حكمة في ضياع الوقت دون طائل ؟ واى فلسفة تدعو الى توقف العقل عن العمل ؟ والخلود الى السكون والصمت دون حراك ؟ .

ولن نجد في الاسلام ذلك الخيال الفارغ لان المسلم يحرص على وقته وجسده وعقله وقد جاءت مقاصد الشريعة الاسلامية للمحافظة على ما يهم الانسان في هذه الحياة وما يعقبها فهي تحافظ على الدين ، والعرض ، والمال ، والنفس ، والعقل . وعليه فان الاحكام الشرعية تدور حول هذه الامور وتضع لها المبادئ الكفيلة بحماية الانسان مايتهدده من اخطار . وبذلك تنتفي السلبية المفرطة التي تنادى بها الرهبنة عبر اليوغا وبدلا عنها نرى الاسلام يدعو الى العمل والنشاط والى ما فيه خير وصلاح البشرية . . . . (. . وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ . .) (٢) ومن العمل استعمار الارض (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . . .) (٣) فعمارة الأرض تتناقض مع مبدأ اليوغا الداعي الى الكسل والدعة .

---

١ - البوذية - : ٤٤-٤٥

٢ - التوبة : ١٠٥

٣ - هود : ٦١

الفصل الثاني :

أثــر التطور في الفكر الديني ونشأة الفرق البوذية :

حينما استطاع بوذا نشر دعوته الجديدة ومبادئه التي رآها قيمنـه باصلاح مجتمعه ،كان قوام هذه الدعوة يستند الى مجموعة من الرهبان الذين اعجبوا بشخصية معلمهم ،وعن طريقهم استطاع بوذا ادخال مجموعات اخرى في دعوته .

ويذهب البعض الى ان بوذا لم يكن مهتما باقامة كهنوت من رجال الدين ،ولم يكن يدعو الى انشاء الاديرة والمعابد ، بل كان جل همه اكتساب الاتباع من الرهبان الجدد لضمهم الى عشيرته ، وقد سميت البوذية في هذه الفترة " بالبوذية البدائية " والتي يصفها "ولز" بقوله (هذه البوذية البدائية تختلف من اوجه اخرى معينه عن اى دين من الاديان التي بحثناها حتى الان ،فهي قبل كل شيء ديانة خلق وسلوك لا ديانة طقوس وقرابين ، ولم تكن لها معابد ولما لم يكن لها قرابين لم يكن لها هيئة مقدسة من الكهان.وكذلك لم يقم لاهوت . وقد وقفت موقفا محايدا من الهة الهند التي كان يعبدها الناس في ذلك الزمان فلا هي اكدتها ولا هي اعترفت بها ولا هي انكرتها بل غضت الطرف عنها جميعا).(١)

وازاء هذا الوضع فقد استطاعت البوذية البدائية التاثير على بعض العلماء الذين اخذوا يبحثون عن الجوانب الخلقية التي احتوتها تعاليم بوذا فها هو أ. هارتمن يقول (فما هي الهداية الاخلاقية التي تقدمها لنا مثل هذه العقيدة ؟ انها تستطيع ان تاخذنا بان نعيش عيشة الرهبان اغرابا لا نعتزل الناس تلك العزلة المالوفة بل نعيش سويا في جماعات فطرية نتبادل التشجيع والتعاون ،عيشة تأمل هادئ ونبذ للرغبة .).(٢)

هكذا كان ينظر الى البوذية الاولى ، ولا شك ان هذه المبادئ كانت جديدة على الفكر الهندي الذى ذاق الامرين من الكابوس الهندوسي ، ولهذا كان التعاطف مع الفكر الجديد الذى نمى على نهج موقت . لم يدم طويلا .

اذ ان الاقدار لم تدع الحلم البوذى يطول ، فلم تستطع الرهبنة البوذية مواكبة التطور الذى طرأ على المجتمع الهندى بعد موت بوذا ،خاصة اذا لاحظنا بدقة الالتفاف الهندوسي على البوذية ومحاصرتـه لها بعقائده المتنوعة

---

١ - : معالم تاريخ الانسانية : ٢/٤٨٦

٢ - تاريخ العالم : ٢/٥٣٢

اضافة الى عنصر اساسي ركز عليه بعض العلماء الذين اشاروا الى ان تعاليم بوذا لم تكن تروق الشخص العادى (١) لاقتصارها على طبقة الرهبان فقط .

لذلك نجد هذه التعاليم تتعرض للتغيرات والتطورات العديدة والتي شملت العقائد والمبادىء والطقوس والتقاليد الى غير ذلك .

ففي الجانب العقدى :

تم ادخال عبادة الالهة الى العقائد البوذية بعد ان كانت تنادى بتجنب الخوض في هذه المسائل ، واصبح بوذا " المصلح " يمثل احدى هذه الالهة فبعد موته " استبدل التبجيل البسيط لذكرى المعلم بتاليه بوذا وصار خلاص الانسان يتوقف على فضل الالهة الذى يمكن السعي اليه عن طريق ترديد السوترا او الاسفار المقدسة . (٢)

فما ورد على لسان ممثل بوذية " الماهايانا " ساتنيديفا (القرن السابع الميلادى) قوله (انني مشبع بالفكرة التي تدعوني الى بذل جهدى وانا اولد ولادات متكررة لا حصر لها لاكتساب الفضائل التي ستتيح لي بعون الالهة بوذا وبالصلاة ان اصبح بلسما لالام جميع الكائنات) . (٣)

ولم يقتصر على هذا الامر بل (قام مجمع للارباب ذو تسلسل وطبقات فما عاد بوذا الا في المرتبة الثانية ، وتتلخص بوذية المركبة الكبرى في الفقرة التالية : (ثمة بوذا اولى موجود غير مخلوق ،عنه صدر العالم وكان من تفكره نشوء خمس شخصيات التفكر البوذى " صدر عنها بدورها " خمس شخصيات التفكر البوذى الحقيقي " بعدها صدر على الارض " الخمس شخصيات البوذية البشرية " منبثقة عن شخصيات التفكر البوذى ، ورابع تلك الشخصيات " ساكيا موني " يليه ماتيريا خامس واخر بوذا في هذه الحلقة من التطور) . (٤)

---

١ - انظر : شجرة الحضارة ١٨٦/٣-١٩٠

٢ - الموسوعة الفلسفية ، ص ٩١-٩٢

٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٩

٤ - البوذية ص ٦٦ وقارن مع : الفلسفة في الشرق ص ١٣١ .

ويفصل لوبون هذه المسألة حيث يقول : (ان بودهة (بوذا) شاكيه موني وحده لم يكن رسول الحق في العالم ، فسيظهر بدهة ثان وثالث حاملين انوارا جديدة وقوى جديدة مرشدين الى اقصر طريق لبلوغ الكمال ، بيد انه لا بد من مرور احقاب لا تحصى بين ظهور بدهة وبدهة لما يتطلبه تكوين بدهة من زمن طويل).(١)

وهكذا نرى انتقال الفكر الجيني الى البوذية ، فالجينية لديها هذه النظرية ، وقد استقت البوذية منها هذا المبدأ .

ومن الامور التي لحقها التطور في الفكر البوذى ايضا ، قضية النيرفانا التي كانت تشكل العمود الفقرى للبوذية الاولى ، ومع ذلك فان هذا المبدأ لم ينج من براثن هذا التطور . الذى ادى الى بروز منحنى جديد .

فلم يعد الهدف الرسمي (للنيرفانا) الفرار من الدورة الجحيمية للولادات المتتالية وهو طموح اناني بل صار العمل على مساعدة الاخرين للوصول الى هذا الخلاص ، والمثال الاعلى لم يعد المعتكف التقي ... بل صار البوذى العامل وهو يوشك الدخول في النيرفانا على رفض هذا الدخول ريثما يخلص من تخلفوا وما زالوا يتخبطون في شرك الاضاليل والاوهام .).(٢)

وقد اصبح المبدأ العام لهذا التطور ينادى :

(انه اذا كان للمرء ان يقتدى ببوذا نفسه فان عليه ان يسعى الى تحقيق خلاص الاخرين لا الى خلاصه هو (وهكذا) حلت صورة " البوذيساتفا " - اى الشخص الذى يبلغ حالة التنور - محل فكرة النيرفانا) .(٣)

اولا : التطور في الجانب العملي والفكرى في الرهبنة.

أما من هذه الناحية فان نصوص الكتب الدينية في البوذية لم تعد تخاطب الرهبان لوحدهم ، تماما كما فعلت من قبلها الجينية بل تعدت الى عامة الناس وبذلك تكون البوذية الجديدة اكثر انفتاحا لتقبل التقاليد والنظم الاخرى من غيرها .

ففي مجال العبادات هناك الصلاة وادعيتها عندهم ، وقد اصبح بوذا محور صلاتهم ومن ذلك قولهم (انا التجئ الى "بوذا" ، انا التجئ الى "الدارما" انا التجئ الى "السانغا" تكرر ميكانيكيا مرات لا تحصى على سبحة

---

١ - : حضارات الهند ص ٣٦٠

٢ - البوذية ص ٦٣ -٦٤ وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤ ويذهب اورسيل الى ان فكرة الدعوة الى خلاص المخلوقات مردها الى تاثير الفكر الايراني على الفكر البوذى ، راجع الفلسفة في الشرق ص ١٣١

٣ - رسالة اليونيسكو عدد ٢٦١ ص ١٣ سنة ١٩٨٣ القاهرة .

وتحريك الشفتين فقط ،كاف لجعلها فعالة ، ثم جعلت الالات للصلوات مؤلفة من اسطوانة مجوفة تدور على محور تجعل فيهـا الصلاة مكتوبة على دروج كثيرة وتدار) [١] .

وقد لاحظت انماطا من هذه الالات الموسيقية اثناء زيارتي للهند وشاهدت الرهبان البوذيين وهم يضربون عليها بالعصي ، ويرتلون على انغامها صلاتهم واناشيدهم . وكان ذلك في "سارنات" القريبة من بنارس ، تلك المدينة التي ولد فيها بوذا .

- ومن التطور الديني في البوذية انشاء مبدأ " غفران الذنوب " ومن ذلك ما جاء في انجيل بوذا (ولبى الزهاد رغبة الواحد المبارك فكانوا يجتمعون في " فيهارا " اى الدير يقيمون الصلاة بحضور الشعب الذى كان يأتي لسماع " دهارما " ولكن الشعب لم يكن يرضى عن سكوت الزهاد ، لانهم ما كانوا ينطقون ببنت شفة كانهم بكم لا يتكلمون .

واتصل الخبر " بالواحد المبارك " فامر الزهاد ان يقرأوا كلمة " براتيموشكا " وفيها اطمئنان عبادة . وان يدعو الناس الى الاعتراف بخطاياهم لينالوا مغفرة . وعلى المذنب ان يتقدم الى الزاهد الذى يرى فيه صلاحا فيعترف له بخطاياه فيغفرها له .) [٢] .

وهنا نرى كيف كانت هذه المقدمة بداية لما يسمى بالكهنوت ، واذا كانت البوذية في بداية عهدها انكرت على الهندوس هذا التنظيم ودعت الى ازالة الطبقات ، فان اعترافها بهذا المبدأ يعتبر نكسة خطيرة وتراجعا عن المبادئ التي وضعها بوذا .

والاعتراف بالذنوب امام الكاهن سوف يكون له شأن خطير في المسيحية التي اقتبست هذا المبدأ عن البوذيين وسوف نرى الاثار السيئة لهذا العرف في الفصول القادمة ان شاء الله .

---

١ - : دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٧١

وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٣

٢ - انجيل بوذا : ١١٤-١١٥

ثانيا : ترتيب الكهنوت :

ان من اهم التطورات العملية التي لحقت بالرهبنة البوذية ما يسمى بقوانين " الفينايا " والتي تطلق على ترتيب الكهنة وتقسيماتهم ، ولا شك ان هذه القوانين قد ثبتت على ايدى رهبان العربة الكبرى . وهي من الناحية التنظيمية تعتبر من اوائل التنظيمات في الرهبنة على مستوى العالم ، وهي بالتالي تعتبر الام بالنسبة للتنظيمات التي جاءت بعدها ، وستستفيد الرهبانية المسيحية كثيرا من هذه التقسيمات وسنرى ذلك اثناء الحديث عن الاديرة والانظمة الرهبانية عند النصارى .

- التنظيم الرهبني البوذى -

هناك اقسام عدة ابتدعت من بينها قسم يدعى " سيلا " وهو خاص بادب العوام .

وقسم اخر يدعى " السراماته " اى مهذبو الحواس ، يلزمهم ان يحفظوا ٢٥٠ وصية ، من بين هذه الوصايا (لا تقتل ،لا تسرق ،كن عفيفا ،لا تكذب لا تسكر ، لا تأكل بعد الظهر ، لا تغني ولا ترقص ، تجنب ملابس الزينة ، لا تستعمل فراشا كبيرا ،لا تقبل معادن كريمة (١)

ومن الصفات الضرورية للدخول الى مسلك الرهبنة :

(تقديم الاحترام لبوذا و الشريعة والكهنوت والسيرة الجيدة ، والصحة الجيدة والعلم القليل . ومن الاوامر : ان لا يأكل الراهب الا من فضلات اطعمة العوام وان يلبس رداء من الخرق ملطخا ،وان يسكن بالقرب من اصول الاشجار وان يستعمل بول البقر دواء وان لا يفتخر بقوى فوق القوى البشرية) (٢)

هذه وصايا عامة للراهب من الضرورى عندهم التحلي بها ، ثم تأتي بعدها الى مراحل السيامة وهي التي يتخرج الراهب منها بعد اتمام التعاليم والفرائض المقررة ، فهناك مرحلتان :

السيامة الاولى : وهي للخروج من الحياة الزمنية ، فتكرس عزم المبتدئ على التخلي عن عالم العلمانيين والانصراف بعدها الى عقيدة بوذا ،ولا تحق هذه السيامة الاولى الا لمن اتم السادسة عشرة ،و يكون " للاكليريكي الجديد " (المنتظم) - يرافقه معلمه المرشد - ان يبقي على ثيابه العلمانية ، انما ان يبسط على يديه الطرحات الصفراء التي للرهبان المتسولين ، ويتقدم من جمعية الرهبان فيستسمحهم اذنهم بقبوله في درجة الابتداء ،واعدا بالتخلي الا عن المراجع الثلاثة قائلا امامهم

---

١ - : دائرة معارف البستاني ٥/ ٦٦٨ ٢ - المرجع السابق

(في بوذا ،أجعل ثقتي ، وفي قوانينه ، ومذهبه) .(١)

وبعد ان يعدد المفاهيم التي يجب ان يلتزم بها ،(يتشح بالطرحات الصفراء ، وهي ثوبين داخليين واخر خارجي و ما يغطي الجسد كله الا الكتف اليمنى ،وحاملا قصعة الرهبان المتسولين ، . (ويكون) للمبتدىء ان يشارك معلمه السيرة . فمن شروق الشمس حتى انتصاف النهار ،يتسول قوته ويقتات ،وبعد الظهر ،يلجأ الى الحدائق او المرابد او الصوامع التي وضعها ميسورون طمانيون بتصرف اتباع بوذا ، او الى عمق الغابات ، وينصرف الى سماع توجيهات معلمه وممارسة التأمل) .(٢)

(اما السياحة الثانية ،وهي اقتبال سر الكهنوت ، فتأتي بعد مرحلة تتراوح مدتها بين قصيرة أو مديدة ،انما لا تحق الا لمن أتم العشرين ،عند هنا يكون للمنتسب الجديد المحتفى به يرافقه كفيلان احدهما معلمه المرشد ، ان يخضع لامتحان يثبت مؤهلاته لاقتبال سر الكهنوت . كل هذا بعد التحقق من المواصفات التالية : خلوه من مرض معد ،او عاهة ، تمتعه بكامل حريته في التصرف (فلا يكون عبدا او مدينا او قاصرا او جنديا) حصوله على اذن من اهله بلوغه العشرين ، حيازة الاثواب الثلاثة وقصعة التسول .) .(٣)

وهكذا نرى كيف تتشابك الفرائض البوذية وتتعدد بعد ان كانت بسيطة ، ساذجة . ولا بد من الاعتراف بان قوانين وتعاليم بوذا البدائية لو لم تكن قابلة لهذا التطور وقبول المفاهيم الغريبة لما حدث اى جديد على مفاهيم هذه النحلة . وهكذا دأب الاديان الوضعية .

وهناك داخل التنظيمات طبقات للرهبان :

فمن ذلك ما يسمى (بطبقة الارية : وهم معلمو الالهيات ، ومعنى الارية هنا اى المحترمين الذين يعرفون الحقائق الاربع .

وهناك طبقة الاشار : الذين وصلوا الى النهر الذى يوصلهم الى النيرفانا ، وطبقة اخرى سترجع الى الحياة . واخرون لا يرجعون .

ومنها طبقة الارشاته : اى العباد ،وهم في عرف البوذيين (اتقياء معصومون لهم قوة اجتراح العجائب ويرون النيرفانا) .(٤)

---

١ - : البوذية ص ٤٨
٢ - المرجع السابق ص ٤٩
٣ - المرجع السابق ص ٤٩
٤ - : دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٦٩

وهناك طبقات ارفع من السابقة :

وهي تشمل انواعا من القديسين اسمى ممن تقدم بحسب المجــــازات الثلاثة وهم الذين يعيشون لانهم كانوا تلاميذ لسقياموني (بوذا) .

والبوذات والبراتياكة او المخلصون انفسهم وهم اعلى من الارشـــــاته بطيون من المراتب يدركون كل الحوادث . . . والبوذ يستفه وهم نوع من البـــــوذات الاصليين) .(١)

ومن المبادئ السلوكية التي استقاها البوذيون من الجينية ما يلي :

- لا يجوز للراهب المتسول ان ياتي بيوت الخلاعة ولا بيوت الاشـــــراف ولا الارامل والكفار .
- يجب قبول الصدقات او الهدايا .
- لا يجوز للمتسول ان يقبل اكثر مما يحتاج اليه للاكل مرة واحدة
- ولا يجوز اكل اللحم ولا البقول ما دامت فيها قوة النمو) .(٢)

والجديــــر بالذكر ان المصادر التي تنسب الى العربية الكبـــرى تورد نصوصا عن اباحـــة بوذا بعد الاستنارة " النيرفانا " لكثير من المأكولات . (٣) .

---

١ - ' . : دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٦٩

٢ - المرجع السابق

٣ - لاحظ ما قد ـــــــــت " اناندا " الى بوذا وذلك في انجيل بوذا ص٢٤ وما قدمه احد الشباب له : في ص٥٢ وما اكله هو في اخر حياته و ذلك في كتاب حياة بوذا ص ٢٢٨-٢٢٩

ثالثا : دخـــول النســاء مسلك الرهبنة :

ركزت البوذية الجديدة على فتوى كان بوذا قد اصدرها بحق ادخال النساء في المسلك الرهبني على مضض ، فمن ذلك ما جاء في انجيل بوذا :

(سألت " ياشودهارا " بوذا ثلاث مرات ان يقبلها في سنانغـــا ـاى الدير ـ فلم يجبها الى رغبتها ، وجاءته حاضنته " براجاباتي " مصحوبة " بياشودهارا " وغيرها من النساء راجيات من " تتغاتا بوذا " ان يعلن امامه نذورهن فيتقبلهن تلميذات لـ " بوذا " . ولما رأى المبارك غيرتهن وشوقهـــن الى الحقيقة لم ير ما يمنعه عن قبولهن تلميذات) .[١]

وهكذا انتهى الامر بقبول النساء في الرهبنة علما بان كتاب "حياة بوذا " يورد ما يفيد ندم بوذا على هذا الامر ومن ذلك قوله (ولكن جاء يوم قال المعلم فيه لاناندا : لو لم تقبل النساء في الرهبنة يا آناندا لبقيت العفة مصانة ولاستمرت الشريعة الحقيقية عائشة قوية لا يعكرها معكر لمدة الف سنة اما وقـــد دخلتها النســاء فالعفة سوف تتعرض للخطر ، والشريعة الحقيقية لن تعيش كامـــل قوتها اكثر من خمسمائة سنة .) .[٢]

وهكذا نرى أثر الجينية ينتقل الى البوذية في هذه المسألة ، والى جانب ذلك فقد وضعت لهن عدة فرائض من بينها (حلق الرؤوس ، والجلـــوس للتسول للا ديرة) .[٣] ومن الشروط كذلك (بعد مضي مئة سنة على ترهبها (اى الراهبة) ان تقف امام راهب في نفس اليـــوم الذى يصبح فيه راهبا ، وتقدم له اعمق دلائل الاحترام ، وعلى الراهبات ان يتوجهن الى الرهبان ويعترفن لهـــم جهارا بخطاياهن ويتعلمن منهم الكلام المقدس . .

وكل راهبة تقترف ذنبا كبيرا تخضع لعقاب مدته خمسة عشر يوما ، تقـــوم بتنفيذه امام الرهبان والراهبات كافة ، وكي تقبل الراهبات في الرهبنة عليهن ان يمررن

---

١ - انجـــيل بوذا ص ١٠٧

٢ - حياة بوذا ص ١٧٤

٣ - دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٦٩

لمدة سنتين عن فضيلتهن ورباطة جأشهن ، ويحرم على الراهبات اطلاقا ان يوجهن النصح والارشاد للرهبان ، اما الرهبان فيحق لهم ذلك ،) .(١)

بعض العبادات والطقوس البوذية :

تهتم البوذية الجديدة (بسيامة الرهبان ، وغالبا ما تكون هذه في ايام الاعياد الكبيرة عندهم ، مصحوبة باحتفالات كثيرة) (٢)

اما النذور في الرهبنة البوذية فانها لا تلزم صاحبها بها مدة حسياته كلها ، اما ملبوس الكهنة فهو مؤلف من صدرية تحتية وكساء يصل الى الركبتين ويشد بمنطقة ورداء يجعل على الكتف اليسرى ، وجميعها صفراء اللون تلبس دائما حتى في الليل ، ويحسب فقدها كفقد صفة كهنوتية ، والجميع يحلقون لحاهم في اول القمر وتمامه الا (الرسل) ويحافظون على نظافة اظافرهم واسنانهم.

- ومن الامور الضرورية للمتسول :
- قدح كبير ضيق الفم لا عروة له ، يقبل فيه الصدقات .
- منخل او مصفاة لتصفية الماء ، وعصا أو شمسية .
- سبحة ذات ١٠٨ حبات ، وموس وابرة . (٣)

وفي بداية البوذية لم يكن هناك اماكن معينة للانعزال عن الناس ، أو للوحدة أو للتسول ، والجولان . ثم جعل لها بعد ذلك بقليل اديرة ذات غرف تسع كل منها راهبا واحدا .

ويلاحظ هنا تشابها كبيرا بين هذه النظم وبين نظم الرهبانية المسيحية وهي تظهر بجلاء في نظام الاديرة على وجه الخصوص ،اما بقية الامور فتظهر في المبادىء التالية :

- القيام بالاحتفالات حول الهياكل والمزارات وذلك بحمل الزخائر والقرابين .
- اعتراف العوام - المعمودية
- لبس الحلل لرجال الكهنوت كحلل اساقفة النصارى
- الهياكل والمذابح
- تماثيل القديسين - الخدمة الدينية بايقاد الشموع - الترتيل وقرع النواقيس

---

١ - حياة بوذا ص ١٧٣-١٧٤

٢ - : البوذية ص ٤٩

٣ - راجع : دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٦٩

وما اضيف الى العبادات البوذية ما سموه بالحج الى الديار التي شهدت اهم الاحداث في حياة بوذا :

مثل : مدينة كبيلافستو وبود هغايا ثم مدينة بنارس ، وكوسينارا[(١)]

وفي بنارس بالذات توجد اهم المعابد عند البوذيين ، واليها يحج الاف الناس حسب المواسم عندهم . ففي "سارنات" وهي ضاحية من ضواحيها يقصد البوذيون من جميع اقطار العالم هذه المنطقة لوجود اكبر صنم لبوذا هناك . وحول جدار المعبد طقت صوره منذ ولادته حتى نهايته .

كما اضيفت (عبادة بقايا بوذا كشعره وسنه وما لم يحرق منه)[(٢)]

---

١ - انظر الفلسفات الهندية ص ٢٩٠

٢ - المرجع السابق ص ٢٩١

رابعا : المجامع البوذية :

هناك عدة مجامع بوذية عقدها اتباع بوذا للنظر في التطورات الحاصلة في مسيرة الدعوة البوذية ، وفي نهاية كل مجمع كانت تقرر بعض التوصيات ففي :

المجمع الاول

عقد هذا المجمع (كاسيابا) وهو أهم تلاميذ سقيا موني (بوذا) وكان مؤلفا من ٥٠٠ كاهن في "رجه غريها" وقد قرر فيه الترتيب المؤسس على امالي بوذا ومواعظه).[١]

وقد جاء هذا المجمع لوضع تعاليم المعلم الراحل التي تتعلق بالعقيدة وبالحياة الرهبانية ، ويعتبر هذا المجمع محاولة اولى لوضع القانون في مجموعة شرائعه المذهبية ، وقام "اناندا" المقرب من بوذا بصياغة خطب المعلم "واوبالي" بنص قواعد السلوك الرهباني "وكاسيابا" باعداد موجز واضح لجوانب العقيدة).[٢]

المجمع الثاني :

جاء هذا المجمع بعد وقوع خلل في دير مدينة فيسالي وكان ذلك بعد موت بوذا بنحو ١٠٠ سنة (٣) . وكان الهدف من ورائه ابطال " هرطقة " مذهب شايعي المركبة الكبرى ومنذئذ كان الانشقاق ، اذ ان هؤلاء لم يرضوا بما قرره اولئك المحافظون العتاق).[٤]

المجمع الثالث :

عقد هذا المجمع بامر بياداسي في باتاليبوترا ، وقد اجتمع فيه الف من الكهنة حاولوا اصلاح الخلل العظيم الذى احدثه في السياسة قوم من الشاقين الرهبان الكذبة الفاسدين).[٥]

---

١ - دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٦١
٢ - البوذية ص ٥٨-٦٠
٣ - دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٦١
٤ - البوذية ص ٥٨-٦٠
٥ - دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٦١

كان ذلك عام ٢٤٥ ق ٠ م وعندها وضع النص النهائي للقانون الذى سن الشرائع المذهبية القديمة .

وذلك القانون ينقسم الى ثلاثة مواضيع كبرى :

(اولها : يتعلق بمسألة السلوك ،اى يسرد سير الرهبان ، وهو بدوره يقسم الى عدة التزامات : الاعتراف العلني بالخطايا - تسجيل الاعمال اليومية - نقد الخطايا ، التبشير الديني

ثانيها : يتعلق بمواعظ بوذا ويقسم الى خمسة عشر مقطعا موجزا لحكم بوذا وامثاله .

ثالثها : يتعلق بعرض العقيدة البوذية وهي مجموعة من سبعة ابواب في الطورائيات ، أشهرها وأهمها الباب الثالث لانه يعدد الاقوال المتناقضة لمختلف نحل المركبة الصغرى (١)).

المجمع الرابع :

وقد صدر عنه قانون كتب باللغة السنسكريتية (وربما كان هذا القانون هو نفس القانون السابق ولكن ترجم من البالية الى السنسكريتية .

وعقب هذا تم ارسال دعاة الى البلدان الاجنبية لرد نحلة التانجة (اى عبدة الافاعي) الى البوذية وقبائل اخرى وثنية من كشمير (٢) !

المجمع الخامس :

عقد في مندالاى (بيرطانيا)

حيث حفرت فيه نصوص التعاليم على ٧٢٩ قطعة رخامية (٣)

---

١ - : البوذية ص ٥٨-٦٠ ١

٢ - دائرة معارف بطرس البستاني ٥ / ٦٦١

٣ - راجع : البوذية ص ١١٣

المجمـــــع السادس :

عقد في رانغون (بيرمانيا) وبعده اقيم احتفال سنة ١٩٥٦ بالذكرى ٢٥٠٠ لـــولادة بوذا . واتفق على العمل على توحيد الكلمة الدينية بين البلدان البوذية وتنظيم خطة تبشيرية جديدة لعقيدة بوذا في الهنـــد).[1]

وهـــكذا تكون المجامع البوذية قد اسهمـــت كثيرا في تدعيـــم خطط الرهبان ، وعملت على احتواء التناقضات الموجودة داخل هذه النحلـــــة وان كانت هذه التناقضات لم تسفر عن توحيد تام بين البوذيين وذلك لوجود الخلافات العميقة بين المـــــذاهب المختلفة والتي تمخـــض عنهـــا بـــروز : الفـــــرق البـــوذيـــة

والتي سيـــكون الحديث عنها ان شاء الله في الصفحات التالية

---

١ - البوذية ص ١١٣

خامســـا : الغـــرق البوذيـــة

كانت البوذية في حياة معلمها تعيش تعاليم مبسطة ولكن (ضمن نظام معقد ، ثم اخذت تنمو وتتشعب فصارت لكل قرن بوذية تختلف قليلا عـــن بوذية سابقة وبوذية لاحقة ، وطفقت تتطرق فيها مسائل من الالهيات مجردة قـــد نهى عنها موءسسها وحذر منها مريديه واتباعه وزجرهم عن البحث عنها ، فبحثـوا فيها حتى ادرجوهـا في التعليم نفسه وجعلوها كمبادئ للاعتقاد . . . . وبـــدأ التعارض . . . وانعقدت مجالس ونشأت المباحث وفشا الاختلاف واختلفت التعبيرات حتى صارت مذهبا فكريا وميلا عقليا ، وحدثت مدارس فلسفية كل منها يمثـــل عن البوذية ويدعي انه هو البوذية الخاصة المنتقلة عن بانيها . . .) .(١)

وبالرجوع الى التاريخ البوذى القديم نجد انه ليس من الغريـــب ان يحدث الانشقاق والنزاع بين البوذيين ، فمن المجمع عليه بين الروايات ان الخلافات كانت تقع في عهد بوذا نفسه وكان يجتمع بالرهبان ويحل هذه النزاعات .

واولى هذه النزاعات حدثت اثناء تمرد بعض الرهبان في مدينـــــة كوشامبي على بوذا نفسه وامر حينها بانزال العقوبة بالراهب المتمرد علـــى اوامره مما اثار حفيظة رفاقه الرهبان الذين وقفوا الى جانبه ضد معلمهم بـــوذا الا انه استطاع في النهاية السيطرة على هذا التمرد .(٢)

ويمكن القول ان هذه النزاعات الاولى كانت نتيجة خلافات شخصيـــة ومنافسات محدودة ما لبثت ان عولجت في وقتها .

الا انه بعد (مضي ١٠٠ عام تقريبا على وفاة بوذا لم تستطع البوذيـــة المحافظة على وئامها وتماسكها امام التيارات الهـنـدوسية وغيرها . ولذلك فقـد دب النزاع والشقاق بين الاتباع خاصة بعد انعقاد المجمع البوذى الثاني الـــذى عقد في مدينة فايزالي بعد وفاة بوذا بقرن من الزمان) (٣)

---

١ - : ثقافة الهند ، مقالة للرامبورى العدد ٤ ص ٩٤ سنة ١٩٥٣ م

٢ - راجع : حياة بوذا ص ١٩٣ وانجيل بوذا ص ١١٦ حول هذا الموضـــوع ويذهب اورسيل الى ان النزاع جاء "بتاثير الفكر اليوناني والايراني على البوذيــة" . : الفلسفة في الشرق ص ١٣١

٣ - موسوعة تاريخ العالم : وليم لانجر ٩٨/١

ويعزو بعض العلماء هذا النزاع الى اثر التطور الحاصل داخل الكيان البوذى وذلك لانتشار البوذية ودخولها اقطارا كثيرة ،فان اتباعها هنا وهناك اكثروا فيها القياس والتاويل حسب عقولهم وثقافاتهم حتى بعدت عن اصلهـــا الساذج البسيط ، (١)

كما ان بروز المشاحنات بين اعضاء المذهب الواحد ادى بالتالي الى تأسيس عدة طوائف وفرق (٢) .

وقد عدد العلماء الفرق البوذية وأوصلوها الى خمس فرق ، . الا انها تعتبر فرقا كلامية اكثر من كونها فرقا لها كيانها المستقل عن بعضها ، (٣)

اما الفرق التي لها مميزات خاصة ، والتي حافظت على كيانها ومبادئها السلوكية وممارساتها فهي تلك التي انشقت عن النحلة الام مكونة مذهبا له طقوسه ومعتقداته وكان لها الاثر الكبير على مجريات التطور الفكرى البوذى .

وقد احصى العلماء ثلاث فرق مهمة منها اثنتان رئيســيتان هما :

الاولى : المركبة الصغرى

الثانية : المركبة الكبرى (٤)

الثالثة : المركبة التانترية .

- فرقة المركبة الصغرى (الهينايانا) :

وفي هذا التشبيه بعض احتقار اسبغه شايعو المركبة الكبرى علـــى الذين يتمسكون بحرفية العقيدة البوذية غير محاولين توسيـــع افاقها الى ديانـــة منتشرة تعبق بالتقوى والخلقية) .(٥)

ويذهب البعض الى (ان المركبة الصغرى تمثل تعاليم بوذا بكاملها وتدعو الى الاهتمام بهدى شارعها وكانها هي التي دعا اليها بوذا نفسه واتبعها مريدوه واتباعه الملازمون له) .(٦) .

وتقتصر هذه الفرقة على الرهبان والراهبات فقط (٧)

---

١ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ١٧٧

٢ - شجرة الحضارة ص ٣/١٨٦-١٨٧

٣ - اديان الهند الكبرى ص ١٧٧

٤ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٣

٥ - البوذية ص ٥٦

٦ - ثقافة الهند العدد ٤ ص ٩٥ سنة ١٩٥٣

٧ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤

وتراث هذه المركبة كتب باللغة البالية ، ويحتوى على الناموس البوذى الذى يتألف من ثلاث (مجموعات) تسمى " تريبيتاكا وهي :

اولا : الناموس الراهبي او الديرى / فينايا

ثانيا : الخطب (شوترا) : وهي مجموعة مواعظ تدعى سوتابيتاكا ومدونة في القرن الثالث او الرابع ق . م -بحسب ما يدعون-

ثالثا - العقيدة المجردة (ابهيدارما)

وهناك كتب اخرى تضم نصوص اجوبة الراهب البوذى ناغسينا عن اسئلة الأمير اليوناني ميناندر ، يكثر فيها الاساطير والمختلقات الى جانب ذلك هناك كتب اخرى مثل ياتاكا وهي مخصصة للتبسيط ولافهام العامة (١)

ثانيا : الماهايانا المركبة الكبرى :

كانت بدايتها في مطلع القرن الميلادى الاول ، ودعت بالمركبة الكبرى تمييزا عن المركبة الصغرى ذات الوجهة الضيقة والمحصورة لشرح العقيدة البدائية) . (٢)

وقد بشر بهذه الفرقة راهب بوذى اسمه " نجارجانا " (٣) وكانت تعاليمها مختلطة باراء في الكون ، وافكار مجردة عن الحياة والنجاة ، موسسة على نظريات فلسفية وقياسات عقلية ، قد سمحت بها قرائح المتاخرين من الشراح والزعماء والغالب عليها صبغة الفلسفة) . (٤)

ونظرا للتطور المشار اليه فقد طغى التغيير على جميع مناحي الفكر البوذى (وبه امست البوذية ديانة شعبية (وتخلت) عن صبغتها الملحدة . ففي العقيدة الأولى لم يكن من مجال لخالق العالم ، مزود بارادة مستقلة ويمكنه الحكم على الاسباب والنتائج كما لم تكن اية نعمة الهية تتدخل في حركة التناسخ المتواترة اما مع المركبة الكبرى فانفتح المجال لارادة عليا وصار حتميا ان تتأله شخصية بوذا) . (٥)

---

١ - راجع : الفلسفات الهندية ص ٢٦٧

٢ - البوذية ص ٦٠

٣ - شجرة الحضارة ٣/١٨٦-١٩٧

٤ - ثقافة الهند عدد ٤ ص ٩٥ سنة ١٩٥٣

٥ - البوذية ص ٦٥ وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤

وبذلك فتحت العربة الكبرى المجال للامم التي انتسبت الى مسلك الرهبنة فيما بعد وذلك باد خال عقيدة التثليث الى المبادى البوذية . (١)
فهذا الواقع الجديد تجسده عقيدة الاجساد الثلاثة للبوذا اى لمفاهيمه الثلاثة ، بشريا ، والهيا ، وكونيا ، هكذا صار للبوذا جسد الخلق ، طالما يجول على الارض ويمارس فيها نشاطا بشريا ثم جسد النعمة لدى دخوله العوالم الفوارضية (اى الفوق ارضية) واخيرا جسد الشريعة لدى تجرده من اى تمثيل ، وتسجد وذوبان في المطلق الذى هو اساس كل شيء) . (٢)

وهنا يبدو تاثير الفكر الهندوسي على البوذى الذى قبل وربط تحت ضغوط كثيرة هذه العقيدة ، وقد رأينا عبادة تعدد الالهة عند الهندوس وخاصة فكرة التثليث ، (براهما ، سيفا ، وفشنو) فليس من المستغرب اذا ان تنتقل هذه العقيدة الى البوذيين ، وسنرى كيف انتقل التثليث ايضا الى الفكر المسيحي فيما بعد .

ولشدة ذوبان البوذية في الديانة الهندوسية فقد لاحظ لوبون هذا الاختلاط في مباني انغكور الشهيرة ، فالرموز الموجودة فيه تتشابه الى حد كبير بين ما هو لدى الهندوسية وما لدى البوذية في هذا الجانب. (٣)

وقد كان لفلاسفة وعلماء المركبة الكبرى اثر كبير في تطور هذا المذهب فعلى ايدى هؤلاء الرهبان تمت كتابة الكثير من الكتب المنسوبة الى البوذية ومن اشهر هؤلاء : - امتيابا - فايروكانا - اتالوكيتسفارا .
وما لبثت هذه الشخصيات ان تحولت الى الهة فيما بعد (٤) .
كما انتقل هذا التغيير ايضا الى خارج الدائرة الهندية ليشمل بلادا جديدة استطاعت البوذية نشر دعوتها فيها مثل اندونيسيا وغيرها من بلدان جنوب شرق اسيا . وقد اكتسبت الماهايانا عبادات جديدة كعبادة الاسلاف ، ويعتبر معبد بوروبودور في اندونيسيا من اكبر المعابد البوذية في الشرق ، وترجع اهميته بالنسبة للبوذيين الى انه شاد خصيصا لممارسة طقوس الرهبنة ، بشتى اشكالها اذ تتوفر في هذا المعبد الضخم الاماكن والخلوات والمساطب اللولبية ذات المراحل المتعددة والتي من شانها تمكين الرهبان من ممارسة شعائرهم وطقوسهم المختلفة وعبر أزمنة طويلة . (٥)

---

١ - الديانات والعقائد ١ : ١٤٠ ٢ - البوذية ص ٦٥
٣ - حضارات الهند ص ٣٧٠ وراجع كذلك : دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٦٢
وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ٦٤
٤ - البوذية ص ٦٧
٥ - انظر رسالة اليونيسكو عدد ٢٦١ ص ٨-١٥ سنة ١٩٨٣

المركبة التانتريـــة :

قامت هذه النحلة على يد (بهكشو اسنغا في القرن السادس للميلاد . وهو الذى ابتدع بدعة تسمى بوغانشارا او تنترا ، وهي ضرب من مذهب سيـــوا (سيفا) السرى) . (١)

وهي قائمة على مبادئ السحر الممزوجة بتعاليم اليوغ . (٢)

واهم المناطق التي انتشرت فيها هذه النحلة : منغوليا والتيبت . (٣)

وهذه الفرقة ليست ذات اهمية بالنسبة لما قبلها .

ومن بين الفرق التي استطاعت ان تغير في العقائد البوذية :

- الشاكتية :

وتعني عبادة الالهـــة الانثوية

وكان بوذا كما مر شديد الحذر من ادخال العنصر النسائي في دعوته حتى ادخل في مذهبه النساء على مضض وعلى اساس قاس من الانصياع والاذلال .

ولما جاء اناندا التلميذ المفضل يســـأل معلمه عن سبب هذه القسوة اجابه :

(لانهن يا اناندا لعينات حسودات حقودات وحمقاوات) .

ولكن تحت ضغط الايمان الشعبي الجارف من منبع . . غير ارى لاقـــت نشأة العبادة الانثـــوية قبولا كبيرا وخاصة في صفوف الرجال

وتبرز (الشاكتية) هذه الجمعية العنصر الاصلي والقوة) بصورة النزوة الجنسية التي تربط الرجل بالمرأة . كذلك البوذية التانترية تزود جميع البـــوذيين الحقيقيين بند انثوى عليهم الالتحام به لبلـــوغ الوحدة الخالدة) . (٤)

---

١ - دائرة معارف البستاني ٥/ ٦٦٢

٢ - البوذية ص ٧٤

٣ - الفلسفات الهندية ص ٢٦٧

٤ - البوذية ص ٧٤-٧٦

الفصل الثالـــث

النتائج التي وصلت اليها الرهبنة البوذية ونقدها .

حينما قيل " لا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس" كانـت مقولة صادقة تنطبق على الواقع الذى تعيشه البوذية بافكارها وأطروحاتهـــا العقدية والســلوكية . فهي من هذا الجانب تغلق باب الامل في وجه الانسان وتقطع ينبوع الرجاء الذى اجراه البارى عز وجل لعباده .

وهي بهذه السمة انما تعـــبر عن قنوط ويأس وتشاؤم يدفع صاحبـه الى متاهات نفسية لا حد لها ، واذا كانت البوذية التي ارسى دعائمها بوذا تدعى انها تريد وضع الحلول لمتاعب البشرية وكشف الظلم والقهر عن الشعوب والانتصار على الالام والاحزان والموت ، فقد جانبت الصواب واخطأت الهدف ،ومرد ذلـك يعود الى الاخفاق في ايجاد الدواء الناجع لتلك المشاكل ، نتيجة النظرة الضيقة الى الامور ، والاعتماد على اسس واهية لا تسمن ولا تغني من جوع .

فالبحث عن الحلول الاجتماعية والانسانية والعقدية لا يتأتى عن طريق وضع قيد مكان اخر ، ولا بوضع معضلة مكان اخرى . وصحيح ان البوذية حاولـــت تفسير بعض الظواهر الاجتماعية التي يعاني من مشاكلها كثير من الناس ،الا انها لم توجد حلولا جذرية لها ، وجل ما قامت به هو وضع حلول موقته لامراض مزمنة كالدواء المسكن يخدر صاحبه ولا يبرئه .

وظنت بهذا ان مبادئها وتعاليمها تستطيع ان تمحوا القهر والظلـــم عن المجتمع وترفع الضيم والغبن عن الناس ونسيت في غمرة نشوتها وانتصارها الموقت ان ما حققته لم يكن الا ردة فعل عاطفية لجيل من الرهبان الذين اغتروا بالعبارات الطنانة التي اطلقها بوذا والتي غلفها باغلفة جذابة وادعى فيها خلاص البشرية .

وسرعان ما ظهرت على حقيقتها عند اول حركة دفاعية من قبل الهندوسية التي تمكنت من اخذ زمام المبادرة فيما بعد واحتوت الموقف كله ، فالقت بقفـــازها في وجه عدوها الجديد الذى سرعان ما ترنح وتبددت قواه ، وولى هاربا بعيـــدا عن بلده يبحث عن ركن اخر لنشر دعوته . وهكذا عادت تعاليم الهندوسية تمسـك المخيلة البوذية وتاخذ بالبابها ، وتلاشت سريعا من الهند بعد قرابة الالف عام .

ومن هنا يتضح لنا السمة الهشة التي حملتها البوذية في معركتها الفكرية والنسكية .

ويحق القول هنا بان الاديان الوضعية ينهش بعضها بعضا ويفترس القوى منها الضعيف فيفد و المنتصر مهيمنا ويبقى المنهزم فيها ذليلا خائرا .

ومن ناحية اخرى فان البوذية وان لامست في بعض الاحيان مشاعر الانسان وعواطفه بعباراتها الداعية الى تهذيب النفس وسمو الاخلاق . ، الا انها لم تستطع ان تهب لهذا الانسان سبل الكمال النفسي والخلقي ، وهذا ما غاب عن تعاليمها ومبادئها لبعدها عن المنهج الرباني القويم الذى يصون هذه التعاليم ويحفظ استمراريتها .

كما وانها وان حاولت تبني مفاهيم خاصة بتحرر العباد من عبادة العباد بادئ الامر الا انها لم تستطع بتعاليمها الانعطاف نحو جادة العقيدة الدينية السليمة لبعدها عن الحق وانكارها لبديع السموات والارض ، وتجاهلها للخالق جل وعز . وحتى هذا الالحاد الذى صبغت نفسها به لم تستطع ان تحافظ عليه لهشاشته وضعفه امام التيار الشعبي الهندوسي فعادت الى تأليه البشر واتخذت فيما بعد من بوذا الها يعبد .

وهي في تعاليمها ايضا انما تاخذ من هذه الحياة الجانب المؤلم ولم تلتفت الى الجانب المضيء كما اتخذت منها الجانب المحزن المبكي وتناست الجانب السعيد المفضي الى الحب والوئام .

وعلى العكس من ذلك نرى الاسلام يفتح امام البشر جميع الوسائل المتاحة للسعادة في هذه الدنيا والاخذ منها بقدر الحاجة دون جشع او طمع .

قال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ .) (١)

وقوله (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (٢)

وقوله تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (٣)

هذه الايات المشرقة ينشرح صدر الانسان لها وتتفتح مداركه لاستقبال الامر الالهي دون كبت او قنوط . وهذه الحياة التي يريدها الاسلام من الانسان هي وسط لا افراط فيها ولا تفريط ، فهذه الوسطية تكفل للانسان العيش الهانئ الرضي في ظل رحمة الله تبارك وتعالى ، وذلك في الدنيا وله في الاخرة النعيم المقيم ان احسن واتقى .

---

١ - الاعراف : ٣٢

٢ - الاعراف : ٣١

٣ - الاسراء : ٧٠

وازاء تناسي هذه السلمات فقد عاشت البوذية وحدها في عالمها المنعزل في دنيا رهبانها وكهنتها الامر الذى ادى الى تفكك الروابط الاجتماعية ولم تستطع التوسع والخروج من النفق المظلم الا بعد رحيل بوذا الذى اسهم موته في تغيير وجهة سيرها كثيرا واستطاعت ضم اتباع من عامة الناس بدل الاقتصار على الرهبان .

وربما يخدع البعض بالشعارات الداعية الى التعقل والتدبر واعمال الفكر . الا ان العقل السليم يدرك تماما التناقض الحاصل في تلك الشعارات والتي وقع في شراكها كثير من العلماء خاصة الغربيين .

فقد ادعت البوذية انها تريد من الانسان ان يعمل فكره ولبه لغاية نبيلة، الا ان الواقع يفيد ان هذا الغاية اضحت بعد البحث والدرس مجهولة وليس لها اى بعد فكرى سليم ، بل ولا تساعد الفكر على التحرك والتدبر ،بل تعمل على تقييده باوهام وترهات لا تقبل عقول الصبية بها .

واذا افترضنا جدلا ان مبدأ النيرفانا هو الغاية المنشودة ، فان البوذية بهذا لم تستطع مطلقا حل المعضلات التي تواجه البشرية ،اذ ان الطابع السلبي يصبغ هذه الحالة بطابع كسول ، ومهما ادعت البوذية ان النيرفانا تحقق للفرد الاشراق والاستنارة والانتصار على الالم والظلم والموت ، فان الواقع يكذب هذه المقولة .

واذا كان ما تدعيه صادقا فلماذا لم تحاول البوذية حل مشاكلها مع الهندوسية او غيرها من الديانات الوضعية على اقل افتراض . .

ثم هل يمكن للانسان ان يعمل في ظل النرفانا اذا كان هذا المبدأ يدعوه في مرحلة لاحقة الى الغاء احاسيسه ومشاعره وفكره وكل ما يحيط به ؟ ؟

وكيف يمكن بعد هذا الالغاء حل المشاكل الانسانية . ؟

وكيف يمكن التوصل الى ردع المارقين والمجرمين والمذنبين ؟

هل النيرفانا كفيلة في احقاق الحق وارساء قواعد العدل والسلام ؟ بين الناس ؟ واذا افترضنا ان البعض يصلون الى النيرفانا فهل يتأتي لجميع الخلق الوصول اليها ؟

واذا كانت الاجابة بالسلب فما الفائدة المرجوة من النيرفانا اذاً واي هدف يجنى من ورائها . ؟

ان الغاية الوحيدة التي يمكن الوصول اليها هي : الضياع ولا شيء غيره ، وان البوذية اتعبت نفسها واشغلت كاهل البشر بمبادئها التعسفية دون طائل وجدير بهذه النحلة ان تندثر ولا يسمع بها الا في كتب التاريخ لاخذ العبرة والعظة .

وما احسن ما قيل في الحكم على البوذية بعد استعراض ارائها :

(انها فلسفة اخلاقية موجهة للعجزة ، للطاعنين في العمر ، ثم انها قاتمة متشائمة ، هي فلسفة شخص قتله سوء الظن والخيبة والفشل الدائم والريبة ولذلك نجده يبشر بالابتعاد والانقطاع والانفراد بنفسه بلا صعين حتى ولا مع اله)[1].

ومن جملة التعقيدات التي تضيفها البوذية الى فكرها ذلك التعنت في اغلاق باب التوبة امام المذنبين والعصاة ،فلم تتح لهم المجال ليتراجعوا عن غيهم ويرتدعوا عن معاصيهم ، بل اقفلت باب الندم ، وهي بذلك بدل ان تسهم في ارساء الامن والسلام للمجتمع اذ بها تزيده زعزعة وتهدد استقراره لوقوعها في التناقض ، وهي وان لم تكن تدعو الى الرذيلة ، الا انها ساعدت عليها بطريق غير مباشر . وهي تدعى انها تريد تسليح البشر بالقيم الاخلاقية وتنسى ان هذا الامر لا يتحقق بمجرد وضع نظريات عقلية خالية من معالجة لب القضايا من اساسها .

فكيف تنتفي السرقة وابواب الرحمة موصدة دون اللصوص ، وكيف يمكن دعوة المذنب الى الخلاص دون فتح باب الرجاء والامل له ؟

انها اسئلة تتزاحم لتضع الفكر الديني البوذى في حيرة واضطراب .

(ومن التناقضات التي تقع فيها البوذية تلك الدعوة المبشرة بالمحبة والفضيلة والصداقة مع الناس ، وقد جعلت ذلك متوقفا على محبة الانسان لنفسه حتى يمكن التسليم بانتقال المحبة الى الغير ، وبمقتضى التعاليم البوذية التخلص من هذه النفس وخصائصها . فماذا يحب الانسان ؟ يحب اطلاقا ماذا ؟ من المحب ومن المحبوب؟ بل ان مقتضى محبتي لغيرى ان اخلصه من بدنه او من نفسه فهل اقتله ليريح ويستريح)[2] .

وان كانت البوذية تدعو الى هذه المبادىء حرصا منها على الاخلاق فمهما قيل عن دعوى التمسك بالاخلاق ومهما نالت من اعجاب البعض فالحق يقال ان ما جاء به الاسلام من اخلاق لا يمكن ان يوازن بين ما تدعيه البوذية او اى دين وضعي اخر .

---

١ - الفلسفات الهندية ص ٢٨٤

٢ - الاسلام بين الاديان ص ٢٧٤

وذلك لان الانسان مهما حاول وضع ضوابط لسلوكه وآدابه فانها ستظـل قاصرة ما دامت نابعة من مشاعره واحاسيســـه الشخصية ، وما دامت هذه الاحاسيس فردية فحكمها على الامور غالبا ما يكون قاصرا عن الشمول والاحاطة ، وعليه فلا يمكـن تطبيق المبادئ الموضوعة لها على بقية البشر لاختلاف الامزجة والنزعات المختلفـــة بين العباد .

ولهذا فقد تكون الضوابط في بعض الاحيان قاصرة عن اعطاء علاج شاف لكثير من الامراض ولعلم الانسان المحدود ولقصور خصائصه فانه لا بـد من تعثـــره ازاء ما يضع لـنفسه من مبادئ دون استناد الى قانون عام شامل ملبٍّ لاحتياجات البشر جميعا ، كالـــــذي صدر من لدن حكيم خبير .

ولا ننكر ما لدعوة بعض المصلحين السابقين عبر التاريخ من اثر في نشر المبادئ الخلقية بين البشر .

الا انه ازاء ذلك يجب الاعتراف ان المبادئ الخلقية هذه لم تكتمل ولـم تتم الا بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعـث ليتمم مكارم الاخلاق .

وقد اثبت الاسلام بتعاليمه الشاملة وقواعده الراسخة انه دين الفطرة وانه دين الاخلاق والاداب والسلوك وان بقية الدعوات الاخرى لا يمكن ان تقارن به لانـه دين الله القويم .

والبوذية وان وضعت قوانين اخلاقية ، فانما تضع هذه المبادئ لفئـــة دون اخرى وهم رهبانها وكهنتها ، فما جدوى هذه المبادئ على بقية الناس ، ان لـم تلب احتياجاتهم ومتطلباتهم في التربية ؟ ووضع هذه المبادئ لفئة الرهبان من لدن رهبان سابقين نتيجة الخبرة والمعرفة الخاصة غير مضمونة النتائج لافتقارها الى اصـــل سماوى ونص شرعي قويم .

وخلاصة القول ان المبادى الخلقية الموجودة في الاديان الوضعيـــــة اما ان تكون مستقاة من اصل سماوى ثم حرفت عقائدها الدينية ، واما ان تكون نابعة من المعرفة والخبرة الخاصة بالانسان .

فان كانت الاولى فيجب الرجوع اليها واتمامها ، بالعقائد الصحيحـــة والتمسك بها ومسح اثار التحريف والتزييف عنها والاقرار بواضع هذه القوانين سبحانه وتعالى ، والاسلام كفيل بهذه الغاية . وان كانت الثانية فيجب تصحيحها والعودة بها الى الينبوع الاصلي ، ولقد وجد الاسلام لاجل هذه الغاية فانعم به واكرم .

وقبل الختام لابد من الاشارة الى التقرير الذى وضعه د . شلبي عن جولته في بعض البلدان التي تنتشر فيها البوذية .

ففي هذا التقرير نلمس صرخة مدوية لاستنهاض الهمم واستدراك التقصير اللاحق بكثير من البلدان التي تنتشر فيها البوذية انتشارا كبيرا ، علما بان الجيل الجديد من البوذيين لم يعد يقتنع بالعقائد والمبادئ البوذية مما اتاح الفرصة امام المبشرين المسيحيين لوضع الخطط تلو الاخرى لنشر العقيدة المسيحية بين اتباع البوذية ، وقد استطاعت فرق التبشير وبسهولة وضع هذه الخطط موضع التنفيذ مستغلين خلو الشباب البوذى وتركه للمبادئ الوثنية التي لم تعد تلبي المشاعر والاحاسيس الانسانية فضلا عن الخواء الروحي الذى يرزح تحته .

وهذا التقرير يدعو الى توجيه الدعاة المسلمين وعلى اعلى درجة من التخصص للاطلاع و حمل امانة الدعوة الاسلامية الى ربوع تلك البلدان ، اذ ان الارضية صالحة الى درجة كبيرة لبث العقيدة الاسلامية السمحة بين القوم . (١)

---

١ - راجع بتمعن هذا التقرير في : اديان الهند الكبرى ص١٨٦-١٩٢

الباب الخامس

" الرهينة اليونانية "

التمـــهيـــد :

من العسير جدا على الباحث التغلغل في كنف التاريخ القديم للعثور على بدايات وصور العبادات الاولى ، وخاصة بالنسبة للتاريخ الديني لليونان .

فقد ساد الغموض تلك الحقب الاولى ، والعائدة للحياة الدينية البدائية فغابت بذلك معرفة دقائق الطقوس والعبادات التي كان عليها اباء اليونان الاول .
ولعل السبب يـــعود في المرتبة الاولى الى (الاضطراب والاختـــلاف الناتج عن التنوع الذى لا حد له للصور والافكار الدينية ، كذلك المراكز المتنوعـة للحياة الاجتماعية التي كانت تتمركز في أعلى درجة من الممارسات الدينية).[١]

الا ان دراسة القرن الثامن قبل الميلاد ، قد اعطت الباحثين بصيصـا من الامل للوقوف عـلى بعض المعارف والمعالم الدينية التي سادت آنذاك .
ومع هذا فان تلك المعالم لم تكن لتعطي الصورة الواضحة والمرجوة التـي ينشدها الباحثون .. [٢]

وعلى الرغم من تلك الصعوبة ، فاننا سنجد في وسط الصور التعبديـة القديمة والمتنوعة ، نوعا من الوحدة والتشابه في السيكلوجية الدينية ، هـــذا الجانب يؤدى الى وحدة وتشابه في الممارسة والتطبيق وبذلك يمكننا العثـــور على نقاط عامة تشمل الجميع .. [٣] وبهذا ايضا نستطيع لمس بذور الرهبنـــة .
- الاصـــول العرقية :
ان من المتفق عليه بين الباحثين ان الآريين هم الاجداد الاصليون للشعب اليوناني القديم - فقد كانوا جماعات وقبائل متناحرة متفرقة .
وتكاد الحياة الدينية تكون بسيطة وساذجة الى أبعد الحدود . إذ (لم يكـــن

---

١ - موسوعة الدين والاخلاق ٦/ ٣٩٢

٢ - تاريخ الحضارات العام : ١/ ٢٧٩ -٢٨٩

٣ - موسوعة الدين والاخلاق : ٦/ ٣٩٢

لهؤلاء الاربيين من كهنة سوى سدنة المقاصير والاماكن المقدسة ومن روساء العائلات وكان (هناك من) يقوم كذلك بتقديم القرابين ولكن لا يبدو ان دياناتهم تنطوى على خفايا كبيرة وشعور باسرار مقدسة ، فعندما يخرج الاغريق للقتال يلتئم من هؤلاء الروساء والاكابر مجلس ، ينصبون عليهم فيه ملكا يتمتع بسلطات فضفاضة وليس لديهم قوانين بل لديهم العرف وحده دون اى معايير مضبوطة للسلوك والاخلاق .) (١).

وعلى هذا فان البربرية الاغريقية القديمة كانت سائدة إبان تلك العصور ولكن من العجيب حقا بل والغريب ايضا أن نشاهد المدنية الاغريقية تنمو نموا سريعا وتقطع شوطا بعيدا ، ذلك لان (رعاة الاغريق المتبربرين شقوا طريقهم جنوبا مغيرين على عالم كانت مدنيته قد أصبحت قصة طال بها العهد ، إذ كانت الملاحة والزراعة واقامة المدن المسورة والكتابة أمورا معروفة من قبل ، فلم ينشىء الاغريق مدنية خاصة بهم بل حطموا مدنية واقاموا من انقاضها وعلى اطلالها مدنية اخرى . وذلك هو السبب الذى يرجع اليه عدم وجود دولة معبد في سجل الاغريق ولا مرحلة الملوك الكهنة بل وصل الاغريق مباشرة الى نظام المدينة التي لم تنبت في الشرق الا حول المعبد ، فعرفوا من الشرق فكرة ارتباط المعبد بالمدينة وتسلموها سائغة . . . وبمرور الايام أصبح الاغريق أكثر تدينا وأشد اعتقادا في الخرافات .) (٢).

لقد استقى علماء التاريخ والاثار المعلومات عن تاريخ الديانة من مصادر مختلفة أهمها ذلك التراث الباقي والمتمثل بالأدب اليوناني القديم من شعر ونثر وخطابة .(٣) وعن هذا الطريق تمت معرفة الأنشطة الدينية وكانت تتضمن هذه الأعمال الموضوعات المتعلقة بالعبادات أو باللاهوت أو بالنظم الاسطورية للمجتمعات .

---

١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ٢ / ٣٢٠

٢ - المصدر السابق ٣٣٠/١ - ٣٣١

٣ - توجهت أعمال خطباء ذلك العصر إلى أغراض معينة وذلك لانهم كانوا ميالين الى ان يركزوا على الموضوعات الدينية. ويلجؤون غالبا الى الاثارات مستغلين في كسب المستمعين وجذبهم اليهم باعتبار ان الدين يمتزج في هذه المجتمعات بالسياسة وبالحياة الاجتماعية ويعتمد على هذه الخطب اكثر من اعتماده على الشعراء او الفلاسفة باعتبار ان كلمات الخطيب كانت توجه الى الانسان العادى . .) انظر موسوعة الدين والاخلاق ٦/ ٣٠٣ ،

الفصـــل الاول : الديانـــــة والعقائـــــد :

تشابهـت الديانات القديمة خاصة الوثنية منـــــــها ـ في عبادتها الاولــــى ـ تشابهـــا كبيرا ، وذلك يعود الى الالتقاء الذى كان يتم بين الشعوب ، واخــــذ بعضها عن بعض .

وكما رأينا قدماء المصريين وغيرهم يتدرجون من عبادة الى اخـــــرى كذلك فعل اليونان من بعد ... فالتنوع الديني والتقلب في العبادات كان سمـــة تضاف الـــى سمات العصر اليوناني القديم .

ـ وقد قسم بعض العلماء انواع الالهة التي عبدها اليونان ، فمن ذلك :

ـ الهة السماء ، والهة الارض ، وآلهة الخصب ، والالهة الحيوانية ، وآلهة ما تحت الارض ، والـــهة الاسلاف والابطال ، والالهة الالبية ، .

واما اسماؤها فمما يشق على الإنسان ذكرها كما يقول " هزيود ".(١)

الى جانب ذلك فقد ألَّه اليونان بعض الخصال في البشر : كالحكمـــــة ، والفصاحة والبيان ، كما أَلَّهوا مواهب التمثيل والموسيقى ، وبعض الرموز كالحـــب ، والجمال مثل افروديت وغيرها .(٢)

كما إتخذ اليونان من مظاهر الخصب عبادة لهم ، وقد تمثلت باتخاذ عضوي الذكر والانثى للرجل والمرأة (ولهذا كان قضيب الرجل وهو رمز الانتاج يظهر فـي طقوس ديمتـــر وديونيسيس وهرمس) .[٣] ولعل هذه العبادة مأخوذة عن الهند وسية فعبادة " اللنجـــا " لا تزال الـى يومنا هذا موجودة في الهند .

ويأتي تأليه البشر وتقديسه في أعلى مقام ، وكان يتوزع على عائلات مختلفـة من الشعب (وقد تم كل هذا العمل في الوقت نفسه الذى تكون فيه الشعب اليوناني وقد اكتمل في أوائل القرن الثامن (ق.م) حيث انتصر تشبيه الالهة بالانسان ... ولم يبق للاصنام والحيوانات الى جانب الالهة سوى قيمة الرموز او الخاصيات) .(٤)

---

١ ـ قصة الحضارة : ج ١ مجلد ٢ ص ٣٢١ ط ٩ ١٩٥٩ م

٢ ـ سوسيولوجية الحضارة القديمة . د . صلاح قوال ، ص ٩٨ ، دار الفكر العربـــي ، القاهرة ١٩٨٢ .

٣ ـ قصة الحضارة ، ج ١ م ٢ ، ص ٣٢٣

٤ ـ تاريخ الحضارات العام ، ١ / ٣٩٤ ، وراجع كذلك : دراسات فلسفية واخلاقيـــة ، د . محمد كمال جعفر ، ١١١-١١٢ ، مطبعة حسان ، ١٩٧٧ م وموسوعـــــة الدين والاخلاق ٦ / ٤٠٥

وإضافة الى كون هـذه العبادات تعتبر ثمرة الالتقاء الفكرى بينهم وبين الشعوب الاخرى إلا أن هناك اسباباً تدعوا للإهتمام،وهي بروز الشخصيات المحاربة التي كانت تقود الشعب نحو النصر في الغزوات المتعددة والتي انبثق عنهما ما يسمى بابطال الحروب .(فالحروب المتعددة اوجدت كثيرا من المستوطنات خارج اليونان (وبالتالي كان قادة الاستيطان يصبحون زعماء في المستوطنات الجديدة وبعد موتهم يتحولون الى ابطال يعبدون فيها ويدفنون في أضرحة للعبادة) (١).

وعلى الرغم من وجود هذه الآلهة البشرية والتوجه اليها بالعبادة إلا أنها كانت تعالى (في غير كثير خوف او رهبة ولكن كان يتستر وراء الهة الغزاة الاحرار آلهة اخرى للشعوب المقهورة (التي تجد من يتبعها) خلسة بين الارقاء والنساء ولم يكن منتظرا من الالهة الاوربية الأصلية ان تأتي بالمعجزات أو أن تتصرف في حياة الناس) . (٢)

ولم يمنع اليونانيون أن تتصف هذه الالهة حتى بالصفات الذميمة للبشر (٣).

(فابطال الحروب هؤلاء وصلوا الى ما وصلوا اليه بعد ان نعموا (بثروة وفيرة (وقد) كان تملك الارض عنوان الثروة الوحيدة تقريبا ومن بين هذه الطبقات نشأت طبقة الاشراف . اما المجتمع اليوناني القديم فقد كان موزعا توزيعا على اساس الثروة والقوة اضافة الى توزيع على أساس الأصل والإنتساب ، فكانت القبيلة ثم الاخوية ثم الجينوس الذى يأتي مباشرة فوق الاسرة وهو القبيلة المحدودة والاسرة الكبيرة ، فقد طاب للاغنياء التباهي بنسبهم البطولي وحتى الالهي ....) (٤).

---

١ ـ الاغريق تاريخهم وحضارتهم ـ سيد احمد علي الناصرى ، ١٣٧-١٣٨ ، دار النهضة العربية .

٢ ـ معالم تاريخ الانسانية ، ولز، ١/ ٣٣٢

٣ ـ دراسات فلسفية واخلاقية . د . محمد كمال جعفر ، ١١١-١١٢

(فالالهة اليونانية كانت في رأيهم تحيا حياة بشرية كاملة فالاله ما هو الا كائن حي بكل مشاعره واحاسيسه وقواه الجسمية والنفسية والعقلية ... ويماثله في الرغبات والمفردات حتى السيئ منها ولكن الاله كان دوما انسانا مكتمل الرجولة أو إمرأة رائعة الجمال ، ... وما دام للالهة صفات البشر فهم يلدون ويولدون ، ولهم تاريخ ميلاد ... لكنهم أبدا خالدون .. والاولاد والاخوات والاقرباء قد يكونون اربابا او انصاف ارباب ... المهم أن لهم من الالوهية نصيب ..) : سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ٩٩ وقارن مع: "دراسات في العصر الهلنستي" ، لطفي عبد الوهاب يحيى ص ٤٤

٤ ـ تاريخ الحضارات العام ، : ١/ ٢٧٩-٢٨٩

وقد لعب الاشراف دورا كبيرا في تاريخ اليونان القديم وتقلبت هذه الطبقة في مجالات الحكم والدولة ، ورغم التطور الذى رافق الحياة اليونانية ابتداء من تسلط طبقة الاشراف مرورا بالملكية الديكتاتورية وصولا الى الديمقراطية ، الا ان نمط العبادة لم يكن يتغير خلال تعاقب انظمة الحكم هذه .

ذلك لان الشعب نفسه لم يكن في ديانته ، سوى مقلد للامم التي جاورته او التي غزاها وانتصر عليها ، وان شهدت البلاد في بعض الاحيان تيارا دينيا قويا الا ان هذه الظاهرة لم تكن هي السمة الاساسية .

اولا : الكهانة اليونانية :

في ظل التقلبات السياسية والعسكرية كان المعبد يقوم بنشاط بين عامة الشعب ، ولا شك ان طبقة من الكهنة كانت تمارس دورها في معابد اليونان .

وربط تكونت هذه الطبقة من مساعدى ومستشارى طبقة الاشراف الاول والذين ادعوا الالوهية ، اذ ليست هناك إلا بعض المصادر الضئيلة عن هذه الطبقة ونشاطها وممارساتها وصور عباداتها . كما ان الغموض كان مسيطرا على سجل الحياة الدينية وخاصة فيما يتعلق برجال هذه الطبقة . فكان لا بد من الوقوف على الانشطة الدينية لمعرفة درجة شيوع الكهانة والرهبنة على حد سواء .

أثر الديانة الشرقية في اليونان :

وازاء هذا الوضع الصعب ، فانه لا مناص من البحث عن جذور المعرفة اليونانية ومنبع تراثها الديني الغامض للوقوف على بعض المعالم .

فاضافة للتراث الادبي والشعرى المعتبر من أهم المصادر التاريخية لليونان هناك مصدر اساسي لهذه الديانة والذى يعتبر عند العلماء من اهم المصادر التي استقى منها اليونان معرفتهم وطوسهم الدينية .

فاللقاء الحضارى الذى تم في منتصف القرن الثامن (ق . م) بين اليونان والشرق بصورة عامة قد أثمر تطورا هاما في هذا المضمار ، ذلك لان اليونان بحكم طبيعتها الجغرافية ، وخصب اراضيها ووفرة مواردها دعت الناس الى التشبث بالحياة والتمتع بظواهرها المختلفة . ونظرا لمهارة اليونانيين في امر البحار وكثرة تنقلهم واختلاطهم بغيرهم من الامم وغزوهم لبلاد الشرق وخاصة مصر فان هذا اللقاء كان كفيلا بنقل مفاتيح العلوم والمعرفة ومختلف الفنون اليهم .

ويؤكد العلماء انه (لم يعد من المشكوك ان يكون اليونانيون قد استمدوا بذور دينهم ـ الميثيولوجيا اليونانية ـ من مصر وفينقيا والهند[١] والصين والكلدان وايران (فارس) فميثولوجيتهم شرقية الاصل وان بدت في ثوب من الشعر والخيال يناسب المزاج اليوناني الذى اوحاه جو بلادهم ، وعليه فان البعثات العلمية التي انجزتها اليونان الى مصر لتستقي من المعارف والعلوم وتتلقى عن حكمائها ضروب الحكمة ومعرفة الاسرار كانت متتالية ، ولا شك ان اليونانيين نقلوا من مصر الشيء الكثير الذى يتصل بفروع العلم مثل علم الفلك وباقي الرياضيات والطب وما وراء الطبيعة الى جانب تلقيهم الحكمة عن الكهنة المصريين).[٢]

ومن هنا نعلم اهمية الشرق بالنسبة للديانة اليونانية وخاصة مصر. وقد فرض هذا التقارب نوعا من التشابه والوحدة وان اختلفت الصور والاشكال التعبدية وتبدلت الاسماء من بلد لاخر .

ثانيا :
بدايات الزهد :

وبانتقال المعرفة الى اليونان يمكن حصر مدى ذيوع الفكر الديني ، وبالتالي يمكن القول بان الزهد الشرقي على الاخص قد استطاع ان يؤثر تاثيرا كبيرا في حياة بعض اليونانيين الذين وجدوا فيه موئلا و ملاذا من الحياة الصاخبة التي كانت قائمة . وقد أسهمت هذه القلة على ضآلتها في إيجاد الميل الى الزهد والترهب في الحياة اليونانية وكان هذا الاتجاه متمثلا في صورة فردية أولا ، ومقصورا على الذين اكثروا من التأمل والنظر واقتبسوا من معين تلك المعتقدات الدينية الاجنبية.

---

١ - يرى بعض الباحثين ان اليونان حينما اتصلت بالهند عقب غزوات الاسكندر على الهند وتوطدت العلاقات بين البلدين في شتى المجالات (اخذت فكرة التجسد (اى حلول الالهة في الملك) السائدة في الهند آنذاك تدخل في العقيدة اليونانية فانتقل الاله فشنو عندها لينال نفس التقدير والاعجاب وكذلك أصبح الاله هليودوروس (HELiodoRUS) رمز التجسد كما انتقلت كذلك هذه النظرية الى ايران بعد زرادشت) : الهند حضاراتها ودياناتها . د . محمد اسماعيل الندوى ، ص١١٢ ، دار الشعب ، مصر ، ١٩٧٠

٢ - تارت ح : دراسات فلسفية واخلاقية . ص ١١١ -١١٢ ، وكذلك : تاريخ الحضارات العام ١ / ٢٧٩-٢٨٩ . وقد وجدت اولى الاشارات الدالة على بداية الزهد والتقشف ما ورد في كتابات هومير (هوميروس) من ضرورة اخذ العهد والميثاق على المتعبدين ، وقد جاء ذلك في العقائد عن اله اليونان " زيوس " .) . موسوعة الدين والاخلاق ٦ / ٣٩٧

كما وجدت ا مشارات تفيد وتوضح أول صورة للتطهر الذى أوحى به الكهنة اليونانيون الأول لفئات الشعب وذلك (بضرورة تطهير نفسها من البلاء بطرح مياه التطهير في البحر وهذا كان طقسا دينيا معروفا منذ القدم وكان من بين القوانين التي يذكرها هزيود :

" الانسان العائد من جنازة مشؤومة ، سيغنى ما لم يجتهد في ان يتجنب طفلا في ذلك اليوم ".(١)

ثالثـــا :
بدايـــــات الرهبنة :

وهناك ظواهر اخرى تدل على وجود نوع من الترهب والتبتّل ، وان كـــان هـذا النوع خالياً من القـــوانين والأنظمة كما هو الحال في الرهبنة الهنديـــة والمسيحية . ، وكان الجانب الفكرى الذى اتخذه هذا التيار يتمثل بالشعـــور (باله مسيطر على كل نفس ،ومعنى هذا أنه أتاح وجود علاقة شخصية بين كـــل شخص وبين المعبد بصورة خاصة ، ومن هنا وجد الاجتهاد والاختلاف بين افراد العابدين واتخذت القرابين شكلا آخرفبدلا من ان تتخذ من الاشياء المملوكة اصبحت تقدم من أفعال الانسان أوذاته وذلك بتكريس حياته كلية لخدمة هذا الاله . . . . فوجد التبتل والانقطاع للعبادة (اى الترهب بالمعنى العملي) وهذا بدوره ساعد على ازدهار وتقدم مذهب التجسيم والتشبيه . . . .وفي حالات معينة كان يقدم الاطفال باعتبارهم حصاد مازرعه الاباء حتى تنال البركة الاجيال المستقبلية . . .واخذ الأيمان كان يسبق العبادة مع المواثيق والعهود على المواظبة في جميع هذه الحالات (٢)

---

١ - موسوعة الدين والاخلاق ٦/٣٩٥

وربط تفيد هذه الظاهرة : انها اول شاهد على التحريم او ما يسميه الغرب (بالتابـــو) .

٢ - المصدر السابق : ٦/٤٠٤

الفصل الثاني : العبادات وصورها واثر الرهبنة في مدارس الزهد والفلسفة

اولا : - الممارسات التعبدية

- لقد قام نوع من الهيمنة على مقاليد السلطة والحكم في اليونان من قبل طبقة الكهنة ،تماما كما كان الحال في مصر ، والهند .

الا ان هذه الهيمنة تختلف من حيث المدة والصلاحية ،ومن حيث اللون الثقافي والعلمي . فقد تميزت الكهانة المصرية بطول مدة هيمنتها على الحياة الدينية بعكس اليونان ، .كما ان اللون الثقافي المصرى كان أوسع وأعمق مما للكهنة اليونان الذين لم يكن لديهم هذا البعد ولم يكن اهتمامهم منصبا الا على الخرافات والاساطير التي برعوا وتفننوا في اذاعتها ونشرها .

وبالعودة للحديث عن التيار الزهدى الذى وجد في اليونان بعد الالتقاء مع الشرق نستطيع القول بأن هذه الفئة قد تأثرت بالروح الصوفية الشرقية (ويبدو ان هذا التيار التصوفي الذى دفع بالمتصوفين الى الانخطاف احيانا قد كان خير معوان لنجاح هتافات الغيب)[١] .

لقد شهدت بعض المدن اليونانية كمدينة كلاوس و دلفي وعلى الاخص هذه الاخيرة كثرة مميزة من طبقة الكهنة ،وقد ذاع أمرهم بين الافراد حتى بين الحكام والملوك ،ذلك لان الكهانة اليونانية قد اكتسبت نوعا من التأييد الشعبي بسبب الاساليب التي اتبعتها . كما ساد نوع من الممارسات التعبدية خالطها كثير من الوان الشعوذة ،واطلق على هذه الانشطة الدينية " مهابط الوحي " او " هتافات الغيب " .

هاتان التسميتان اطلقتا في الهياكل والمعابد التي أقام بها الكهنة العرافون ، وعبر هذه الوسائل استطاع الكهنة اذاعة الاساطير والخرافات وامداد المعتقدات الدينية المزعومة بكثير من الحيوية والنشاط ، وغالبا ما توجهت هذه العبادات نحو تأليه البشر،والجدير بالذكر ان هذه الاساطير والممارسات[٢] لم تنطل على عامة الشعب فقط بل إمتدت لتشمل ملوك البلاد واستقطبت حكاما من خارج اليونان أيضا[٣] مما أكسب هذه المعابد أهمية كبرى في نفوس العالم وأدى الى ازدهارها وذيوع صيت البلدان التي اقيمت فيها وخاصة مدينة دلفي كما اسلفنا .

---

١ - تاريخ الحضارات العام ١/ ٢٩٨

٢ - راجع هذه الاساطير بتوسع في : الاغريق تاريخهم وحضارتهم ص ١١-١١٢

٣ - راجع : تاريخ الحضارات العام : ١/ ٢٩٨

ثانيـــا :

ـ الطقـــوس والشعائـــر :

في جو الحرب والمنازعات الطاحنة ، تفتقد الشعوب كثيرا من طاقاتها وتنزف دماؤها بغزارة مما يؤدي الى اسوأ الكوارث المادية والوجدانية والعاطفية . فلا تجد الشعوب وسيلة سوى المعابد الدينية تلوذ بها وتؤول اليها لتغطي الجانب المفقـــود من مشاعرها .

وامام هذه الوقائع المأساوية التي عاشها الناس ابان العصور القديمة ،فان الشعب اليوناني المغامر كان يعود بعد حروبه الطويلة مثخنا بالجراح او مثقلا بالعوارض النفسية والاوهام التي تنتابه .

وفي ظل هذه الاوساط الكريهة استطاع الكهنة استغلال هذه الاحداث لاجتذاب الهاربين من ويلات الحروب الى معابدهم واديرتهم ، ممارسين امامهـــم صنوفا والوانا من الهرج والممارسات التي اتقنوها وسيطروا بها على مشاعر واحاسيس الناس .

لقد اطلق الكهنة ما يسمى بالعرافة على المرأة التي تتحدث عن الغيـــب فمثلا (كانت العرافة " بيثيا " عادة امرأة في الخمسينات من عمرها تلتف بأردية غريبة وتجلس فوق قائم ذي ثلاث ارجل وعندما يتقدم طالب المشورة يقدم الاضاحي والقرابين ويتلو الصلوات للرب ثم يقوده الكهنة الى حجرة الانتظار وفي الوقت المناسب يدعـــى للمثول امام كاهنة "ابوللو" التي لا تكاد تبدو من ابخرة مياه العين الساخنة ويضع طالب المشورة سؤاله او اسئلته امامها وتـهـذي الكاهنة وهي تمضغ اوراق الغار وتنهل من غاز غريب يتصاعد من شقوق الصخر ،وتحتسي المياه الكبريتية وتتمتم بكلمات غريبـــة يترجمها أحد الكهنة الى أبيات من الشعر السداسي الموزون ويعطيها للسائـــل وكانت الاجابات عادة غامضة بحيث يمكن تفسيرها تحت أي ظرف بحيث تبدو الكاهنـة صادقة في كل ما تقول ، وكانت المشورات تتنوع من اسئلة شخصية الى اسئلة سياسية وعسكرية خاصة بالدول مثل اقامة المستوطنات او اعلان الحروب .

ولقد اكتسبت دلفي مكانة عالية بين الاغريق وتمتع كهنتها بتبجيل ووقار واحس الكهنة بمدى مسئوليتهم ولهذا كانوا غاية في الدبلوماسية عند اعطاء اي مشورة)[١] .

---

١ ـ الاغريق تاريخهم وحضارتهم : ١١١-١١٢

وراجع كذلك قصة الحضارة ج ١ م ٢ ص ٣٥٩

بهذا الاسلوب وبغيره[٢] كان الكهنة يمارسون نوعا من الهيمنة النفسية على العامة بحيث يعتقد هؤلاء ان كل ما يصدر عن الكاهن انما هو الحق وعليه يجب اتباعه في تعاليمه وكل ما يصدر عنه من قرارات .

وبذلك ايضا نعلم مدى الخطورة التي تمثلها هذه الناحية لما تنطوي عليه من اصدار التشريعات للبشر ، وانشاء القوانين وفق اهواء ونزعات الكهنة والرهبان .

الا ان هذا التيار الذي شهدته اليونان لم يستمر طويلا ، فما لبث ان انكشفت الحجب عن تلك الممارسات وبات الشعب يعرف جيدا الاساليب المخادعة وقد ساد شعور (بان هتافات الغيب انتهازي او انه يستنشق الريح او يخضع لتاثيرات يصعب الاعتراف بها دون مس الشرف فقد اتهم بالرشوة وبالخضوع للعظماء) (٢)

ولا يفوتنا هنا ذكر اعتماد الكهنة على السحر فقد وجدت صور تعبدية مورست خلالها صور من الوان السحر الاسود كما يسميه العلماء .

ولا (جدال ان هذه الصور كانت مبنية على اساس السحر (اذ) كان هناك اهتمام بفن السحر الاسود وفيه صيغ قريبة للايمان والتأمل . وتظهر بوضوح العقلية الهيلينية وكأنها مغطاة بسحب وهذه الصيغ هي التي كان يمارسها الرهبان بطرق معينة وخطوات محفوظة يتدرجون على أثرها في مناصبهم ودرجاتهم)[٣] .

وقد كانت لديهم قوانين تشبه القوانين الديرية التي اوجدها المسيحيون فيما بعد كما تشابهت مع نظام القسس الا أن نقطة الخلاف بينهما تظهر في (عدم

---

١ - لاحظ اساليب الكهنة في : سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ٩٩
٢ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٣٦٢/ ٣٦٣
٣ - موسوعة الدين والاخلاق ٦/ ٣٠٩ وما بعدها
وكثيرا ما كان السحر يسخر لاغراض شخصية وكان بعضه يتعلق بالخنازير بصورة خاصة وكانت (تؤخذ القطع المتعفنة منها حيث تتخذ اداة للسحر . . . ثم تنشر في الاماكن التي يراد حصول السحر بها ، وقد يرمز هذا الى طرح الذنوب القذرة عن الانسان والتخلص منها نهائيا باعادتها الى مكانها الطبيعي وهو الارض وتتخلص السماء منها . وقد كان هناك سحرة رسميون لهم القاب معينة) . المصدر السابق ٦/ ٤٠١

محاولة فرض " أبولون " كإله أعلى على الدول الهيلينية وكانت ممارساتهم تتراوح بين الدوام على الصلاة ، والأدعية والترانيم مع الاحساس بالانتماء الوطني .

وتنص بعض قوانينهم على الآتي :

أولا : تقديم القرابين وقبولها من الشعب .

ثانيا : بذل النشاط التعبدي في نظام يومي مقسم على اوقات مختلفة قد تطول بطريقة مدهشة .

ثالثا : الاعداد لاحداث الامور الخارقة او ما يشبه المعجزات (الشعوذة والسحر) .

رابعا : تقديم المعلومات المتصلة بالمركز الرئيسي الديني الذى يمثل اقوى الروابط والوحدة الروحية في العالم الهيليني .

وهذه هي نقطة الالتقاء بين السياسة والدين آنذاك مما كان يفرض على الراهب التأكد بين آونة واخرى من ولاء العباد لاوطانهم ودولهم .

وكان يتعهد بأخذ العهد على الراهب نفسه أن يظل مخلصا للنظام وأن يتبع الانصاف المتبادل بين أخوته وقصاد معبده وبهذا حصلت خطوة تقدمية في نطاق الدين بايجاد تشريعات للمعابد تتضمن الطهارة الضرورية في كل ما يشين ، وأولها اراقة الدماء وإلا لم يكن لها الحق الديني في أن تبلغ رسالة او تقوم بمهمة .) . (١)

ومن نتائج تعاليم الكهان والرهبان اليونان ظهرت على السطح عدة مظاهر تعبدية ، منطوية على اساطير ، ومرتكزة على خرافات ، وقد اجمع العلماء على ان هذه العبادات ظلت تعاليمها سرا احقابا طويلة ولم تعرف تفاصيلها على الوجه الاكمل ، الا انهم استطاعوا تحليل مراميها وتعليل الاشارات الخاصة بها ، فمن هذه العبادات ، ظهر ما يسمى باسرار " الفسيس " ، أو (الوسيس) . فقد ظهرت هذه وقصدت الى تجاوز حدود المدينة ، ودعوة الناس جميعا حتى الاجانب والارقاء الى حياة روحية أسمى وأقوى ، ذلك أن فريقا من اليونان لحظوا الفارق بين سيرة الانسان وما يعتقده من مثلٍ أعلى في الاخلاق واستوقفت نظرهم التعارض البارز بين شقاء الانسان وسعادة الآلهة ، فبدا لهم أنه قد يكون بالإمكان إيجاد علاقة بالآلهة عبر علاقة العبد بالسيد ، علاقة تقارب

---

١ - موسوعة الدين والاخلاق ٦ / ٤٠٧

فاتحـــاد تكفل للانسان المشاركة في السعادة الالهية ، ووجدوا عند الشرقييـــن غذاء لهذه النزعة ،فنشأت "اسرار" أو نحل سرية تعد مريديها بالنجاة مـــن مصائب هذه الحياة وبالسعادة في الاخرة . فيأمنون شر المرض والغـــرق والخراب والحرب وما اليها ، ويضمنون لانفسهم النجاح والتوفيق ، وبعد الموت النجـــاة من "الحمأة" واللحاق بالالهة فيخلصون من الكابوس الذى كان جاثما على الصدور والذى يلخص هذه العبارة :

("ان حياة الانسان ظل زائل ، ووجوده بعد الموت ظل الظل") ....

(ان نحلة ألوسيس (كانت) تعبد "ديمتر" التي كانت الهة الحرب عند هوميروس ،فصارت عندها الهة العمل)[1].

والملاحظ ايضا انتشار عبادة "كورا" الى جانب عبادة "ديمتر" كذلك عبادة (ديونيسيوس" (وكان ذلك عاملا هاما من عوامل نجاح هذه الاسرار ... مما يحملنا على الاعتقاد بانها قد انطوت على تفسير رمزى عن طريق عرض غير مثيـــر وتمثيل مختصر ،غير أن ذلك كله كان يستدعي فكرة الموت ،مصدر قلق الانسان الدائم وكان المشترك في هذه الاسرار يغادر المعبد مطمئنا الى المصير الذى سيكون بعد الاجل المحتوم ،فقد كتب "سوفوكليس" وعلى غراره كثيرون :

" طوبى ثم طوبى لاولئك البشر الذين سيذهبون بعد مشاهدة هـــذه الاسرار لمقابلة "هاديس" اما الاخرون فكل شيء سيكون لهم عذابا " .[2]

وقد حققت هذه الاسرار انتصارا وذيوعا كبيرا بحلول القرن الخامس (ق ٠م) حتى حازت على ثقة اليونانيين واصبحت المعابد مزارا لهم واقيمت لهذه الغايـــة الاحتفالات الضخمة (وتقوم العبادة في هذه النحلة على اسطورة غامضة وتعـــاليم ظلت سرا مكتوما مدى ألف عام . وكان المريدون يمثلون قصة ميثولوجية لكي يبعثـــوا في نفوسهم العـــواطف التي إنفعل بها الإله أو الآلهة ويتلون عبارات مبهمـــة ويرقصون ويصيحون على صوت موسيقى صاخبة لكي يحققوا حالة الجذب او الاتحـــاد بالالهـــة)[3].

---

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ،يوسف كرم ،ص ٥-٦ ، دار القلم ، بيروت

٢ - تاريخ الحضارات العام ١/ ٣٦٤

٣ - ان هذا السر كان محرما على اى انسان ان يبوح به (والا تعرض للقتـــل ... وكان الاحتفال عبارة عن (مسرحية رمزية لها أثر في حياة ديونيسيس

ولعل بعض أسباب ازدهار هذه العبادة وشيوعها خلال هذه الفترة يعود الى الافكار التي انطوت عليها والتي ترجع الى اهتمام واضعيها بالحياة الزراعية التي كان يعيش عليها اغلبية الشعب، فاستغل الكهنة هذه الناحية فكان لهما اكبر الأثر في الاستقطاب الشعبي .

اضافة الى توجهها نحو الفرد بعينه دون تمييز طبقي او عنصري ومخاطبته (بعيدا عن كل نظام او قانون وعن كل اثر عائلي او مدني ... الى الفرد وحده كما سيكون يوم موته)(١)! .

ومن اهم العبادات التي تخص البحث تلك العبادة التي انتقلت الى اليونان عبر مدرسة الاسكندرية واسمها " عبادة السرابيس " أو " السيرابيوم " فقد عرفنا شيئا عن هذه العبادة التي كانت على عهد ايزيس وكيف كان الزهاد والنساك المصريون يقومون بالشعائر التعبدية في حضرتها ، .

وقد استقى الاستاذ العقاد معلومات عن " فيلون " ليهودى اثناء الحديث عن اثر العبادات المصرية في اليونان . مفادها ان نحلة قوية خرجت من مصر " على قلة عدد المنتمين اليها ،وهي نحلة المتنطسين (thERAPEuts) التي ذكرها الحكيم الاسكندرى اليهودى فيلون ، وقال ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد واسمهم اليوناني معناه " الاساة " او " المتنطسون " واكثر صوامعهم كانت على مقربة من الاسكندرية حول مريوط القديمة) (٢).

= واكبر الظن ان موضوعها كان اختطاف بلوتو برسفوني وتجوال دمتر الحزينة وعودة الفتاه العذراء الى الارض والكشف عن اسرار الزراعة وكانت خلاصة الاحتفال هي زواج خفي بين كاهن يمثل زيوس وكاهنة تمثل دمتر وكان هذا الزواج الرمزى يثمر ثمرته بسرعة سحرية عجيبة فقد كان يعقبه بعد قليل على ما ينقله لنا المؤرخون اعلان صريح بان " سيدتنا قد وضعت غلاما مقدسا " .) راجع قصة الحضارة ١/٢ / ٢ : ٣٤٣

١ - تاريخ الحضارات العام : ١ / ٣٦٤

٢ - : حياة المسيح ، عباس محمود العقاد ، ٢٦٦/١١ المجموعة الكاملة دار الكتاب اللبناني بيروت ط ١ ١٩٧٨

وقد ركز ولز على كيفية انتقال كثير من العبادات المصرية الى غيرها من الامم ومن بينها عبادة سرابيس . راجع معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٦٤-٤٦٩

ان هذه الجوانب العقدية والتعبدية ، تكشف بصورة واضحة التماثل والتشابه الذى يعتبر القاسم المشترك بين الديانات الوضعية الوثنية وبين العقائد والاسرار المسيحية التي اقتبسها كهنة الكنائس ، ورهبان الاديرة ، فالى الآن لا تزال المسيحية تغرق بتعاليم الاسرار ، لتوهم الناس بوجود خفايا لا يعلمها الا الرهبان . تماما كما كانت الرهبنة اليونانية وكهنتها يمارسون هذا الدور .

وبالعودة للحديث عن الحياة الخاصة التي كان يعيشها الكهنة اليونان والمبادىء التي كانوا يدينون بها كالانظمة والقوانين التي تضبط اوضاعهم فقد قل حديث العلماء عنها ، .(غير ان نوعا من المراسيم والتزام التطهير الجسدى كان مفروضا عليهم . كما ان هناك نوعا من التعاليم الاخلاقية والشعارات التي كان يطلقها الكهنة أثناء اداء المناسك التعبدية في هياكل العبادة اوصت باحترام الحكمة واليمين وتأدية واجبات الضيافة) .(١)

---

١ - تاريخ الحضارات العام : ٢٩٨/١

ثالثا : أثر الرهبنة في المدارس الزهدية والفلسفية :

بعد الاطلاع على بعض صور الرهبنة اليونانية ، وما انطوت عليه من ترهب وتبتل متسم بالبساطة ، يجدر بنا الوقوف على الاثر الذى أحدثته في المدارس الزهدية والفلسفية .

وسنرى هنا مدى تأثر أصحاب هذه المدارس "كالاورفيين " والفيثاغوريين" ببعض العقائد التي صاغها الرهبان ، كذلك الامر بالنسبة لبعض الفلاسفة كسقراط وارسطو وافلاطون .

وسنرى أن هذه التأثيرات غالبا ما اصطبغت بالناحية الفكرية والتأملية أما الجانب السلوكي فقد شهد نوعاً فاتراً من الترهب ، ويمكن أن نسميه نوعاً من الزهد . إذ لم تكتمل في هذه الاثناء صورة الترهب على النحو الأوسع ، فلن نر فيه قوانين وضوابط ، ولا أديرة وصوامع ، ولا تنظيمات رسمية وكهنتوت هرمي . بل سنرى فيه نوعا من الترف الفكرى الذى ينطوى على قضايا نفسيه تتعلق بالفلسفة والاخلاق .

اما الناحية المهمة في هذا الجانب فتظهر جلية في أثر الفلسفة اليونانية في العقائد النصرانية ، كعقيدة الخطيئة الاولى ، والتضحية ، وضرورة تعذيب الجسد لخلاص الروح ، وغيرها . وسوف نشاهد هذه الملامح من خلال عرض مذاهب الاورفيين والفيثاغوريين وبقية الفلاسفة .

- الفصل الثالث :

أهم المدارس الزهدية في اليونان :

اولا : الاورفية

قد يكون الحديث عن الاورفية أكثر إثارة وأقرب الى مواضيع البحث صلة من حيث نوعية التعاليم والنسك . فقد ذاع في القرن السادس ق . م. نوع من الزهد الصوفي اليوناني المتأثر بالروح الشرقية .

هذا التيار تمثل بنحلة "اورفيوس"[1] والتي دعيت فيما بعد بالاورفية

---

١ - يشكك العلماء بوجود هذه الشخصية الخيالية لكثرة الاساطيرة التي حيكت حولها " ، الا ان ديورانت يقر بانه كان شخصا حقيقيا .

انظر : قصة الحضارة ، ج ١ م ٢ ص ٣٤٤

وتقوم تعاليم هذه النحلة على العديد من الآراء العقلية وما تدعى أنه مبادئ أخلاقيـــة . اذ اعتمدت اعتماداً مباشراً على القصص والأساطير التي زينت بهـــا عقائدها ، وذلك لتقبلها العامة ،كما إعتمدت في أواخر عهدها على السحر والشعوذة.

ونظرا لبعض آرائها التقشفية فقد أعتبــرت الاورفية بانها تمثل تيارا زهديا فلسفيا وقف في وجه التيار الالمبي الرياضي الذى نشأ متمسكا بحب الجسد والدعـوة الى نعيم الحياة ومتعها .

الجانب العقدى لهذه النحلة تمثل في عبادتها لديونسيوس فقد عبــده الاورفيون وأقاموا حوله الاساطير (١) التي جذبت اليها الكثير من العامة .

وفي الجانب النفسي : ألحت الاورفية (على فصل النفس من حيث هي عنصر روحي عن الجسد من حيث هو عنصر دنيوى . . . فالنفس يمكنها ان تكون قد مــرت بتجسدات سابقة ويمكن أن يكون لها تــجسدات أخرى في المستقبل كما أن بعض الشرور التي تنزل بحياة خاصة يمكن أن يكون سببها إقتراف خطيئة سابقة على هذه الولادة ويمكن للنفس فيما بين تجسدات مختلفة ان تقيم في الجحيم) .(٢)

(وكانت الترانيم والطقوس الاورفية ترشد المؤمنين الى ما يجب أن يتبعوه في هذا الحساب النهائي الشامل ،شأنها في هذا شأن كتاب الموتى عند قدماء المصريين) .(٣)

١- تقول احدى هذه الاساطير : ان " تزوس " وهب طفله " ديونيسيوس " السلطان على العالم فغارت منه " هيرا " زوجة " تزوس " وألبت عليه طائفة من الالهة الاشداء هم " الطيطان " فكان " ديونيسيوس " يستحيل صورا مختلفة ويرد هم عنه الى أن انقلب ثورا فقتلوه وقطعوه وأكلوه . غير أن الآلهة " بلاس " (مينيرفا) استطاعــت أن تخطف قلبه ، فتبعث من هذا القلب " ديونيسيوس الجديد) . : تاريخ الفلسفة اليونانية ص٦-٧ ، وتاريخ الحضارات العام ١/٢٩٧-٢٩٨ ، وهــذه الاسطورة تتشابه مع مضمون اسطورة ازيزس واوزوريس وحوروس المصرية

٢ - : المذاهب الكبرى في التاريخ . اليان .ج .ويد جيرى ، ٨١-٨٢ ترجمة: ذوقان قرقوط،دار القلم،ط٢ ، بيروت،١٩٧٩

٣ - قصة الحضارة ج١ م٢ ص ٣٤٥

لقيت هذه الاراء اصداء واسعة في اليونان بصورة طامة ، وطى الاخص ظهر هذا التأثير في "الفيثاغورية" التي امتزجت تعاليمها بتعاليم الاورفية ،فقد انتقلت إليها عقيدة"انتقال الروح من جسد لاخر".(١)

وإن من الجدير بالذكر أن المبادىء هذه والافكار التي انطوت طيها الاورفية كانت بمثابة النواة الاولى للفلسفة فيط بعد ، وقد ارجع العلماء هذه الاراء الى النتيجة التي آلت اليها اسطورة "ديونيسيوس" التي حاكتها مخيلة الاورفية ومؤداها : "ان الانسان ركب من عنصرين متعارضين : من العنصر"الطيطاني" وهو مبدأ الشر ومن دم "ديونيسيوس" وهو مبدأ الخير ،فالجسد بمثابة القبر للنفس وهو عدوها اللدود يجرى معها على خصام دائم". (٢)

كما تظهر الروح الشرقية الصوفية في تعاليم الاورفية والشعائر التي كانوا يقيمونها ،وتتضح أكثر في الممارسات العملية التي اعتمدت .

فهناك ضرورة التطهر من الشر ،ويكون بالاستحمام باللبن ،أو بالماء وتضاف إليه مادة تلونه بلون اللبن . كذلك بالنسبة للقرابين غير الدموية ،وتمثيل قصة "ديونيسيوس" بما في ذلك تقطيع ثور وأكل لحمه نيئا وتلاوة صلوات كالتي وردت في كتاب الموتى المعروف عند المصريين،فقد اكتشفت صفائح ذهبية عليها إرشادات للنفس عما يجب أن تسلك بعد الموت من طرق وتتلو من صلوات فكانت هذه الصفائح دليلا قاطعا على انهم عرفوا كتاب الموتى وأخذوا عنه (٣).

ويقرب لنا ديورانت صورة التشابه والتماثل، بين عقائد الاورفية وما نادت به المسيحية فيما بعد، خاصة فيما يتعلق بعقيدة "الابن المقدس" و "الخطيئة الاولى "و "العشاء الرباني" . فهو يقول عن ذلك :

(ان هذه العقيدة كانت في جوهرها توكيدًا لعذاب ("ديونيسس زجريوس" الابن المقدس وموته وبعثه كما كانت توكيدًا ايضًا أن الناس جميعا سوف يبعثون في حياة مستقبلة يثابون فيها على أعمالهم أو يعاقبون عليها ،وإذا كان الاعتقاد السائد

---

١ - : دراسات فلسفية واخلاقية : ١٢١ ، والمذاهب الكبرى في التاريخ ٨١-٨٢
وقصة الحضارة ١/٢/٢ : ٣٤٧
٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦-٧ ، وسنرى فيما بعد أثر ذلك على كل من سقراط وافلاطون .
٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨

ان الجبابرة الذين قتلوا " ديونيسيس " هم الذين تناسل منهم الادميون فقد كانت البشرية كلها ملوثة بشيء من الخطيئة الاولى ، وكان عقابها على هذه الخطيئة ان الروح تسجن في الجسم كأنها في سجن أو قبر ، ولكن في وسع بني الانسان أن يعزوا انفسهم بأن يعرفوا أن الجبابرة قد أكلوا ديونيسيس وأن كل إنسان ينطوي لهذا السبب في روحه على جزء من الالوهية الخالدة وكان عباد أرفيوس يتناولون في " عشاء رباني " جماعي لحم ثور نيئاً ويمثل في اعتقادهم ديونيسس إحياء لذكرى قتل الاله وأكل لحمه وامتصاصا للجوهر المقدس من جديد).(١)

هذا ويرجح أن الاورفية كانت في الأصل على (صلة وثيقة بالاسرار ولا يبعد ان تكون أغلب عناصرها مستمدة من الكهنوت المصري).(٢)

وقد اعتبر العلماء ان هذه الممارسات والتعاليم تبالغ في اطراء نوع من الزهد غريب جدا على الموقف اليوناني المتسم بالاعتدال والانسجام في الحياة النفسية الاغريقية).(٣)

وكما أخذ الاورفيون عن كتاب الموتى المصري ، كذلك اخذوا فكرة (الولادات المتعاقبة عن الهنود مباشرة أو بواسطة الفرس ، وكانوا يقولون ان الارض للبشر كالحظيرة للماشية ، فلا يحق للنفس أن تهرب من هذه الحظيرة ، وانما واجبها ان تنتظر الى الاجل المحدد من الالهة ، فالانتحار كفر ، إنه عدول عن الامتحان ومن ثمت عن الثواب وسيأتي اليوم الذي تنجو فيه النفس الصالحة من " دولاب الولادات " وتستعيد طبيعتها الالهية فتحيا حياة روحية في العالم غير المنظور ومن مبادئهم ايضا احترام الحياة حيثما وجدت في الانسان والحيوان والنبات).(٤)

---

١ - قصة الحضارة ج ١ م ٢ ص ٢٤٥

٢ - دراسات فلسفية واخلاقية : ١٢١

٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ : ٨١-٨٢

٤ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨ ، وراجع في هذا الصدد أيضا قصة الحضارة ١/٢ : ٣٤٥

وتؤكد بعض المصادر ان عقيدة تناسخ الارواح (قد انتقلت الى الاغريق عن طريق "فيريكيدس" "PHEREKYdES" وتلميذه فيثاغورس الذى كان معاصرا لبوذا معلم الهند ومؤسس الديانة البوذية .) (١)

ويذكر البعض ان مبعوثين بوذيين من بلاط الملك اسوكا البوذى قد حضروا الى الاسكندرية زمن اليونان ، وأن جالية هندية كانت تتواجد هناك (٢).

وتذكرنا بعض المطرسات اليونانية ببعض المبادئ الرهبانية في النصرانية (اذ ان بعضها يفرض " تجارب حماسية واخلاقية صارمة تتضمن الالام وتقشفا مريرا وجلدا طوافا في الليل على ضوء المشاعل ولباسا خاصا) (٣)

وهذا ما دعا ديورانت الى القول (ان الاورفية كان فيها .. اتجاهات مثالية هي التي ادت الى الفلسفة الاخلاقية والرهبنة في المسيحية) (٤).

وكما كان الحال بالنسبة للجماعات الدينية اليونانية التي سبقت الأورفية والتي اندثرت وانمحت . كذلك كان نصيب الاورفية ، فلما كان الدجل والخداع عاملين مهمين في انحطاط الدعوات السابقة ،كذلك تسرب الخبث الى نحلة اورفيوس إذ (لا ريب في ان الاورفيوسيين قد جمعوا في صفوفهم دجالين وعرافين يجوز الاشتباه بهم ولا ريب ايضا ان السحر كان له مكانة في كتبهم المقدسة) (٥).

---

١ - ... : العودة للتجسد ص١٩

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٢ : ٤٦٤ وانظر كذلك : الهند حضاراتها وديانتها محمد اسماعيل الندوى ص ١١٢

٣ - دراسات فلسفية واخلاقية ص ١٢١

٤ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٤٦

٥ - تاريخ الحضارات العام : ١/٢٩٧-٢٩٨

ثانيـــا :

- نحلـــة فيثاغـــورس

ألمحنا الى أن نحلة أورفيوس كان لها بعض التأثيرات على الفكر الفيثاغورى. الا ان الفيثاغورية ، قد أضافت الى تعاليمها نمطا من التقشف في الممارسة ،فمـــن مبادئها ما يحتم على (الافراد العيش عيشـــة العفة والبساطة بموجب قانون ينص علـــى الملبس والمأكل والصلاة والترتيل والدربة والرياضة البدنية).(١)

كما أنها نادت بتحريم أكل لحم الحيوان وبعض النبات ومارست السرية فـــي تعاليمها الدينية والدنيوية وفرضت على أتباعها الكتمان ، وقد أوصلت عقوبة افشاء سر هند سي إلـــى الاعدام.(٢)

ثالثـــــا :

- نحلـــة إزيـــس ومثـــرا :

واقترنت نحلة " إزيـــس " المصرية بنحلة " مثـــرا " (الفارسية في غزو بلاد الرومان واليونان فسماها اليونان ديمتر و نحلوها صفتها المصرية وهي صفة الأمومة الكبـــرى أو صفة الطبيعة الأم ، وكان عبادها يوحدون بينها وبين القمر ،ويعتبرونها من شـــم ربة البحر والملاحة ، ويرسمون لها صورا جميلة تنم عن الطهارة والحنان وفي حضنهـــا طفل رضيع يشع النور من وجهه رمزا للامومة والبر والبراءة ، وكان كهانها يحلقـــــون روؤسهم في المغرب محاكاة للكهنة المصريين وكان لها بينهم عابدون وعابدات يسمونها حامية البيت والأسرة ، ومن ثم شيوع عبادتها بين الرومان الذين اشتهروا بتقاليـــد الأسرة وبتقديس حقوق الاباء ولا شك أن المراسم السرية التي تلازم نحلة إيزيس كان لها أثرها في تشويق الناس ...) (٣)

أليس في هذا الوصف ما يشابه الى حد كبير تلك الصور التي يتخذ هـــا المسيحيون للعذراء وطفلها يسوع بين ذراعيها ، وما يطلقون عليها من ألقـــــاب التقديس ما يفيد انها حامية للبلد الفلاني او القرية الفلانية ؟؟.

---

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ص ٢٠

٢ - المصدر السابق

٣ - حياة المسيح ، العقاد : ١١/٢٦٥-٢٦٦

الفصل الرابع : اثر الرهبنة في الفلسفة اليونانية :

اخذت الفلسفة اليونانية حيزا كبيرا من كتابات العلماء وأبحاثهم، ذلك لان جاذبية الفلسفة اليونانية طغت على هذه الكتابات.مما أثر على الابحاث المتعلقة بالدين .

فقد إتسعت آفاق الفلسفة وامتدت أفكارها لتشمل جل المعارف المتعلقة بالفكر ، والعقيدة ، والأخلاق ، وما وراء الطبيعة ، وقد أسست على أثرها المدارس المختلفة .

ويهمنا في هذا الصدد أن نعرف عن هذه الفلسفة ما يتعلق بموضوعنا الاساسي ومدى علاقة الرهبنة اليونانية والزهد بها .

وقبل ذلك لا بد من الرجوع قليلا الى الوراء لكشف بذور هذه الفلسفة وجذورها .

فقد مر بنا في السابق ان اللقاء الحضارى بين اليونان والشرق القديم وعلى الخصوص " مصر " قد اسفر عن نتائج هامة بالنسبة للمعرفة والثقافة اليونانية.
وما يجب التنبيه إليه أيضا أن ما أخذه اليونانيون عن مصر (لم يقتصر على ما كان يدون في الكتب ،بل هناك تعاليم شفهية يفضي بها الكهنة الى خلصائهم بعد أخذ الميثاق عليهم بعدم إفشائها لأنها من الأسرار المصونة التي لا يليق بالعامة أن يعلموها . ومن الحكماء اليونانيين الذين زاروا مصر طلابا : فيثاغورس وديمقراطيس ، وانكساندر ، وفريسسندس ، وافلاطون . أولئك تربوا في معابد المصريين ونهلوا من حكمتهم ثم كتب لهم أن يسموا بالفلاسفة فيما بعد)(١)

وعليه فيمكن القول بان الشرق له أثر فعال في الشعراء والمفكرين بل يمكن القول ايضا ان التعاليم الشرقية هي التي (وجهت الفلسفة وجهتها العقلية الروحية على ايدى فيثاغورس وسقراط وافلاطون . وسنجد عندهم عقائدها وتعابيرها كأصول يحاولون ترجمتها الى قضايا عقلية ثم البرهنة عليها . ولما اشتد اختلاط اليونان بالشرقيين شعر فلاسفتهم بالحاجة الى دين فعادوا الى " الاسرار " يشرحون اقوالها بل يصطنعون شعائرها وينسجون على منوالها)٢

---

١ - دراسات فلسفيةواخلاقية : ١١٢-١١٣

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨

- اراء سقـــراط (١)

هذه المبادىء والتعاليم اضحت فيما بعد محور الفلسفة وروحها .

لقد قعد الفلاسفة هذه المبادىء ووضعوا لها الأطر والقوالب المناســـبة للتغيير الاجتماعي والسياسي ، وللتطور الذى رافق الحياة اليونانية آنذاك .

وفي اقوال الفلاسفة الأول ما يشهد على ذلك فسقراط " الاب الاول " للفلسفة اليونانية انصبت معظم توجيهاته وتعاليمه حول النفس البشرية ومعالجتها .

ولقد لجــأ الى القواعد المنطقية المستندة الى الدين والأخلاق اليونانية ضد التيارات المعارضة والهادفة الى التشكيك في القيم والمبادىء ، وهو ما قام بـــــه السوفسطائيـــون وغيرهم ، فحاول أن يوقف هذا التدهور الخلقي الذى وصل اليــــه الشباب اليوناني .

ولهذا كانت توجيهاته وتعاليمه تهتم بالنفس والسلوك .

وانحصرت الفلسفة عنده في دائرة الاخلاق ، باعتبارها أهم ما يفيد الانسان " فمن مبادئه " (أن الانسان روح وعقل يسيطر على الحس ويديره ، والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة ، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمتهـــا الآلهة في قلوب البشر . فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الالهـــي وقد يحتال البعض في مخـــالفتها بحيث لا يناله اذى في هذه الـــدنيا ولكنه مأخوذ بالقصاص العدل لا محالة في الحياة المقبلة ، والانسان يريد الخير دائما ، ويهـــرب من الشر بالضرورة فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو انسان اراده حتما ، امـــــا الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره ، ولا يعقل انه يرتكب الشر عمداً ، وعلى ذلك فالفضيلة علم والرذيلة جهـــل .) (١)

ولهذا كان غرض سقراط تنبيه الناس الى وجوب التحلي بالقواعد الخلقية لمجابهة خصومه ، ولنبذ الخرافات والشعوذة التي كان الكهنة يمارسونها أمام أعيـــن الشعب . وربما تكون هذه التعاليم هي احدى اسباب الحكم عليه بالموت .

فمثلا (لما سمع عن نبوءة كاهن دلفي وأنه " أحكم الناس " . . . تساءل مستنكرا: كيف يمكن أن يكون حكيما وهذه صفة موقوفة على الآلهة؟) (٢)

وصحيح أن سقراط لم ينغمس في حمأة الاهداف الكهنوتية إلا أن المسحة التقشفية التي إلتزم بها الرهبان تـبرز عنده من خلال فلسفته المتعلقة بالنفـــــس البشرية ، خاصة حينما إعتبر أن الحياة مسرح مليء بالآلام لا يتخلص منه الانســـان الا بالموت فقد خاطب صديقه "كريتـــو" عند موته قائلا :

---

١ - سقـــراط (٤٦٩-٣٩٩ق . م) فيلسوف يوناني شهير وجه البحث الفلسفي الى الانســـان ، وكان قبله موجها الى العالم والاجرام السماوية ، ولذلك قيل انه استنزل الفلسفة من السماء الى الارض ، ويعد سقراط مؤسس علم الاخلاق لأنه أول من حاول ان يبني معاملات الناس على اساس علمي) مبادىء الفلسفة ، ا .س. رابوبرت ت : احمد امين ص ٢١٧ دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ م

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٣

" يا كريتــو إن عليّ دينــاً وهو (ديك) لاسـسلكبيوس فلاتنس أن ترد عني هذا الدين " . ويقول البعــض إن اسلكبيوس المقصود هنا هو رب الشفـــاء (المعادل لامنحوتب عند المصريين) وبالتالي فإن مقصد سقراط هو أن يقـــدم قربانا لرب الشفاء لانه شفاه من الآم الحياة) . (١)

ويـــأتي وصف سقراط على لســان تلميذه واكبر مريديه ـــ أفلاطون موضحا زهد أستاذه واعراضه عن الملذات فيقول :-

(.. كان طول حياته معرضاً عن متاع الدنيا ، هائماً بالجمال الاسمى داعياً إليه وكان يشتد به الهيام فيغيب عن العالم المحسوس ويستغرق في التأمل حتى يمكث واقفاً بلا حراك ساعات متواليه بل يوما بليله ، ثم انظر اليه في سجنه وقد دنا أجلــه ، ليس يكفي القول في وصف حاله انه لا يخشى الموت أو انه ينتظره بشجاعة فهو مغتبط به أشد اغتباط ، هو يعلم أننا ملك الالهة وأن الانتحار إنتقاص على ارادتهم ولكنــه يرحب بالموت يأتي على يد غيره ، لان الفيلسوف يحس الشوق الى الإلهيات ويحس ثقل الجسم يعوقه عن اللحاق بها ، فالموت خلاص النفس ، وبداية حياة جديدة مع الالهة والفيلسوف الحق يجتهد ساعة فساعة أن يعيش هذه الدنيا العيشة الروحية التـــي يشتهيها وأن يتعجل الحياة الأخرى بممارسة العفة بمعناها الاسمى وهو الرغبة عـن اللذة والتجرد عن الجسم والمران على الموت فيلبي جسمه ويصفيه من المادة بقـــدر الاستطاعة ، لانه يعلم ان سعادته في التشبه بالله .) (٢)

هذه الاشارات كفيـلة باجتذاب المنادين بالسلك الرهباني ، وصحيـــح ان سقراط لم يؤسس تنظيط رهبانيا الا ان اراءه الفلسفية وعبارات تلميـــذه عنه توحي بأن نمطا من الحياة المتقشفية كان يلازم سقراط في عيشته ، كما يذكرنـا وصف افلاطون لاستاذه بأحوال التقشف والزهد الرهباني الذى مارسه الرهبـــان المسيحيون ، بل يمكن اعتبار هذا المنحى هو من المبادىء الاساسية لنظرياتهـم وقواعدهم التأملية والفكرية ، والتي سنشهد طرفا منها في أبواب قادمة إن شـــاء الله تعالى .

غير أن هذه الآراء كان لها أكبر الأثر في تلاميذه من بعده ونعني بـــه على وجه الخصوص " افلاطون " الذى اعتبر أمينا على الإرث الفلسفي الذى تركـــه سقراط . .

---

١ ـ الاغريق تاريخ وحضارتهم ص ٢٩٩

٢ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩٨-٩٩

- آراء افلاطـــــون (١)

تعددت اراء افلاطون الفلسفية ،فشملت ، الدين ،والسياسة ،والاخلاق ويمكن اعتبار ما كتبه في محاوراته والمسماة " بالجمهورية " خلاصة اراثه حـول الامور السابقة .

ففي كتابه هذا يوضح افكاره السياسية ،وقد عالج فيه تصوره لما ينبغي ان تكون عليه الدولة مرتبه وفق نظام هرمي وقد خرج بنظرية المدينة الفاضلة او السعيدة بعـد تحليل لعناصر الدولة المنشودة . وقد بناها على الفكرة الدينية التي هي قوام الاخلاق (واساس التنظيم الاجتماعي ولولاها لما كان للحياة نظام ولا كان للعقاب والثواب معنى (على حــد ما يذهب اليه) ، ان الفكرة الدينية أساس النظام في المدينة السعيدة وهي الهدف الاسمي الذى يرمي اليه افلاطون في كتابه الجمهورية لذلك نجده يقـول للشبان : ان الامة لا تكون قوية الا اذا آمنت باله يعزى القلوب الجريحة يشجع العزائم الخائرة.وان تقسيم الدولة بين الفلاسفة والمحاربين والعمال أمر مقدر من الله)(٢).

كما عالج القضايا المتعلقة بالنفس البشرية من خلال نظريتي الكهف (٣) والعربة (٤)

---

١ - ولد حوالي (٤٢٧-٣٤٧ ق م) الفيلسوف المعروف ،ابن اريستون وبركتيوني ولد في اثينا وعاش فيها معظم سني حياته التي بلغت الثمانين ،ومع انه اشتهر بالسياسة في البدء بفضل اسرته واهتماماته معا ،فقد كرس معظم حياته في الواقع للدرس والتعليم ..) : الوجود الالهي ...في تاريخ المذاهب الفلسفية ،سانتلانا .
تحقيق د . عصام الدين محمـــد علي ،هامش ص ٢٨ ، مؤسسة الخافقين ،دمشق ،ط١ ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٢ - : من افلاطون الى ابن سينا :د . جميل صليبا ص ٣٣ ،دار الاندلس ١٤٠١ - ١٩٨١ - بيروت .

٣ - (لقد شبه افلاطون حياة الناس في هذا العالم بحياة سجناء كهف مظلم ألفـوا ظلامه ،وقنعوا بالضوء الخافت الذى يتسرب من كوة صغيرة ،عاكسا ظلالا متحركة ،يحسبها السجناء أشخاصا أو كائنات ، وشتان بين هؤلاء وبين من ينطلق في الفضاء الفسيح ، حيــث الشمس المشرقة و حيث الحقائق السافرة ،ان الفيلسوف وحده هو الانسان الذى استطاع ان يخرج من كهفه .وان يبصر الاشياء كما هي ،ولذا كانت اسطورة الكهـف تعبيرا فنيا رمزيا عن المعرفة الحقة في نظر افلاطون) ... : دراسات فلسفية واخلاقيـة ص ١٤٥ وانظر كذلك :تاريخ الفلسفة اليونانية،ص ٧٤

٤ - هذه النظرية في رأيه تعبير عن الفضائل الثلاثة التي تدبر (قوى النفس الثلاث : : الحكمة فضيلة العقل - تكمله بالحق - والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الاهواء فتترك النفس هادئة والعقل حرا - ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة وهي فضيلة القـوة الغضبية تساعد العقل على الشهوانية فتقاوم اغراء اللذة ومخافة الالم) تاريخ الفلسفة اليونانية،ص ٩٥

وقد ركز افلاطون فلسفته على الجمال واتخذ من هذه الدراسات وسيلة للوصول الى نظرية المثل) . (١)

ومن خلال النظريات الثلاث نستطيع ادراك أهمية الزهد والتقشف بالنسبة له . فنظرية الكهف ترمز للسجن العام الذى يفرضه البدن على النفس كلما كانت خاضعة لرغباته وميوله . فإذا ما تحررت وارتقت عن الرغبات والميول استطاعت أن تتخلص من البدن نهائيا واستطاعت أن تُحَصِّل المعرفة اليقينية . وهذه هي النقطة التي نلمس فيها نوعا من الزهد والرهبنة ، وذلك لقهر البدن والصمود أمام رغباته.

أما نظرية العربة فتظهر فيها عملية التوازن ، والتي يعطي فيها القيادة للعقل الذى يوازن بين القوة الغضبية والقوة الشهوانية ،فلو تُرِكت النفس تحت رحمة القوة الشهوانية لَدُمِّرَت النفس بخضوعها التام للبدن - ولو خضعت للقوة الغضبية لدمرت النفس ايضا ولو أعطيت القيادة للعقل لنجت النفس واستقامت وصلح امرها لان العقل هو الذى يعطي التوازن والانسجام بين القوتين الاخيرتين .

والنظريتان : أدتا الى بذر بذور الزهد وقهر البدن والتخفف من مطالبه وشهواته وهذه من المبادىء الاولى التي تبنتها الرهبانية المسيحية .

و تتضح آراء افلاطون في فلسفة النفس والعلم من خلال ما يراه بالنسبة لمعرفة النفس ، فيذهب الى (أن النفس لا تطلع على المعرفة بواسطة الاحساس بل تتذكر علمها الأبدى الذى كان لها قبل أن تتصل بالجسد ، لقد كانت النفس في السماء تسير مع الآلهة وراء مركبة جوبتر ،إن العالم العقلي وظيفتها الحقيقية ،إنها لسبب ما أُعرضت عن تأمل المعقولات فأضاعت أجنحتها وهبطت إلى الأرض وجاورت خراب الجسد ونسيت ما كانت تعلمه من حقائق الأشياء يوم كانت في السماء فالعلم إذن هو تذكر النفس لما نسيته من الحقائق أو هو صعود من العالم المحسوس الى العالم المعقول ولا يستطيع المرء أن يرتقي من الحوادث إلى عللها أو من الإحساس الى الصورة إلا إذا كان مؤيد

---

١ - هي نظرية عقلية تذهب الى : وجود عالم موازٍ لوجود هذا العلم كنتيجة منطقية للمبدأ القائل : الخير والحق والجمال لا يخرج منها الا نظائرها وامثالها أي : الخير والحق والجمال . فهو يقول مثلا : (ما من شيء في هذا العالم ،إلا وله في العالم العقلي معنى يقابله ،هو عماد وجوده ومنبع حياته ،وأُصل حركاته ،وموضوع علمنا به . فالانسان مثلا ،والحيوان والنبات وكل ما ثبت نوعه واستقر وجوده بخلاف الامور الطارئة ، له في العالم العلوى مثال بسيط جرد عن القشور المادية والطوارىء الحسية . . .)

الوجود الالهي . . .في تاريخ المذاهب الفلسفية (سانتلانا) ص ٦٨

النفس بشدة الصفاء . ان ادراك الحقائق الخالدة ليس بالامر السهل لان الناس تعودوا في كهف الحياة ان يذكروا الظلال ويعرضوا عن أسبابها الحقيقية) (١).

ويركز افلاطون اهتمامه على النفس من حيث هي قوة هائلة ينبغي الانتباه الى وظائفها ، ويحذر مما قد يسبب في ابطال هذه الوظيفة : (إن الجسد سجن للنفس لذلك فانه يجب على جميع الجهود أن تكون بعيدة عن السعي الى الارتفاع بواسطة العالم المحسوس أن تتجه الى التخلي عن هذا العالم) (٢).

هذا ما استطاع افلاطون أن يقدمه من آراء الى الزهاد والنساك فيما بعد والذين نهلوا هذه المبادئ ووضعوها نصب اعينهم .

الا ان الاخطاء الاكثر اثارة تلك التي تتعلق بمبدأ شيوعية المال والنساء على اعتبار أن نظام الاسرة يغذي الانانية في نظره وأن الحل الوحيد لكسب ولاء الناس جميعا للوطن هو تخريج جيل من الاطفال لا ينتسبون الى أب وأم معينة وانما ينتسبون الى الدولة التي تربيهم وتحدد تخصصهم،وكذلك المال ملك مشاع بين الناس جميعا يمكن لاي انسان ان ياخذ منه ما يريد. وهذا بلا شك يؤدي الى عكس ما اراده افلاطون وهو انهيار المجتمع وشمول الفوضى .

ولابد في نهاية المطاف من القول إن مقولات افلاطون الفلسفية وآراءه المنطقية لم تأت من فراغ ،فالى جانب تأثيرات استاذه سقراط جاء الجانب المصرى الذى أضفى على هذه المعارف صبغة شرقية بلون صوفي . فالعلوم والمعارف الكهنوتية المصرية أثرت الى حد بعيد في أفكار أفلاطون ،فمن خلال تجواله وترحاله في طلب المعرفة (سافر الى مصر وهو يذكرها في غير ما موضع من كتبه ولاسيما (الجمهورية) و (القوانين) ذكر من عرفها معرفة شخصية وانتهز الفرصة فذهب الى قورينا لزيارة عالمها الرياضي تيودوروس ودرسته وعاد الى مصر فقضى زمنا في عين شمس واتصل بمدرستها الكهنوتية واخذ بنصيب من الفلك ولابد ان يكون استفاد ايضا بملاحظة الديانة والحكم والاخلاق والتقاليد فان في مؤلفاته الشواهد العديدة على ذلك)(٣)

---

١ - من افلاطون الى ابن سينا ص ٢٦-٢٧

٢ - المذاهب الكبرى في التاريخ : ٨٨

٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ص ٦٣ . ويلاحظ ان هذه الفلسفة التي ظهرت على يديه قد صبغت الفلسفة (عامة) بطابعها الخاص ووضعت لها النظام والمنهج المنطقي حتى بدت على ما هي عليه الآن ثم عادت مصر تنتفع بها في مدارس الاسكندرية وان كانت قد مزجت بالدين في صورة ما يسمى بالافلاطونية المحدثة مثلا) دراسات فلسفية واخلاقية ص ١١٣ وقصة الحضارة ٣/١ : ٢٤٦ ط ٢ ١٩٥٧ م

وازاء هذا الحشد ، فانه لا مندوحة من القول : ان ما تبناه افلاطون من مبادئ فلسفية واخلاقية ونظريات فكرية كانت مثار اعجاب الكثير من العلماء والادباء والفلاسفة ورجال الدين المسيحي وعلى الخصوص الذين بهرتهم الفلسفة اليونانية ، خاصة ما تعلق منها بالجانب النفسي والتأملي .

ومن أعجب بمذهب افلاطون وسار عليه ، أحد ابرز رجالات هذه الوسط المسيحي وهو "اوغسطين" ، اضافة الى العديد من اباء الكنيسة (١) . فقد الف أوغسطين (كتابا اسماه مدينة الله مستوحيا منه فلسفة افلاطون . (٢)

وسيتضح فيما بعد مدى الاثر الذي تركته الفلسفة اليونانية على الفكر الديني المسيحي ، وسنرى مدى التزام الرهبانية بهذا الفكر ، وتطبيقها العملي له .

---

١ - من افلاطون الى ابن سينا ص ٣١

٢ - : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية . لويس غرديه .ج . قنواتي ت : د . الشيخ صبحي الصالح والأب فريد جبر ، دار العلم للملايين، بيروت ط٢ ، ١٩٧٨ .

البـــــاب الســادس :

الاسس العقديـــة
الرهبنـــة اليهوديـــة
والــرد عليهـــا

التمهيـــــد :

شغلـــت الاوساط العلمية المختصة بـــالا ثار والتـــاريـــخ في اواسط هذا القرن بثلاثـــة اسماء لفرقة يهودية تبنت مبدأ الرهبنـــــة في نظامها وهذه الاسماء هي : الاسينيون - الحسيديون - جماعـــة وادى قمران .

ومن الغريب حقا أن تقوم في الوسط اليهودى الديني فرقة تنـــادى بالرهبنة و تلتزم التزاما كاملا بالمبادىء التقشفية والنسكية ، كاي نحلة سابقـــة عليها مارست الزهد والتبتل . والغرابة تكمن في كيفية اكتشاف هذه الفرقـــة والملابسات التي رافقت هذا الكشف ،اضافة الى تلك التطورات التي اعقبت عمليات البحث والتنقيب ، وما نجم عنها من اراء متباينة بين علماء التاريخ والا ثار ومقـــارنة الاديان .

ومن خلال الفصول القادمة سوف نستعرض جميع هذه التطورات لنصل الى الاسس العقدية لهذه الفرقة والمبادىء التي نادت بها وعملت من اجلها .

بدايات الكشـــف :

يتفق العلماء والمؤرخون على وجود فرقة يهودية قديمة مارست مبـــادىء الرهبنة والتقشف في نظام حياتها ، ثم ما لبـــثت ان انقرضت فيما بعد ، ومـــع هذا الاتفاق هناك خلاف حول تحديد تاريخ نشأة هذه الفرقة والعصر الـــــذى وجدت فيه ،الى جانب الخلاف حول تحديد اسم هذه الفرقة على وجه القطع . ولهذا نجد هذه التسميات الثلاث تتردد في ابحاث العلماء كل حسب اجتهاده .

ولا بد من الاعتراف بان هذه الفرقة لم تكن محـــط انظار العلمـــاء على الاقل قبل عام ١٩٤٧م ، لان هذا الكشف يعتبر بالنسبة اليهم أهـــــم اكتشاف في مجال مقارنة الاديان في العصر الحديث ، حيث تم التعرف على بعـض خبايا التاريخ القديم والذى يعود الى ما قبل الميلاد بحوالي قرن أو قرنيـــــن على خلاف بين العلماء .

ويرجع إهتمام العلماء بهذا الاكتشاف الى تلك المخطوطات التي عثر عليها عام ١٩٤٧م - ١٣٦٦هـ قرب البحر الميت جنوبي أريحا في وادى قمران حيث توالت الفرق العلمية والاثرية للبحث والتنقيب عن اثار تلك المنطقة القديمة .

وتعود القصة إلى أن شابا (في الخامسة عشرة من عمره من عشيرة عرب التعامرة واسمه (محمد الذيب) قد اشتهر اسمه بعد مرور عامين من عثوره على المخطوطات عند ما تم استجوابه وسجلت معلوماته . وبناء على كلامه تبين انه وجد المخطوطات في شهر شباط عام ١٩٤٧ م (فبينما كان) يرعى قطيعا من الاغنام في السفوح الواقعة في البرية التي تشرف على البحر الميت من الغرب ولما افتقد احدى معزاته اخذ يبحث عنها في تلك الكهوف حتى ظن انها قفزت داخل كهف فرماها بحجر ليردها ولكنه سمع تكسير اواني فخارية فاثار هذا الصوت فضوله ونادى رفيقا له فهبطا الى الكهف حيث وجدا المخطوطات هناك (١)

وقد تعددت الروايات المتناقلة حول وصول هذه المخطوطات الى علماء الاثار ، وعلى اثر ما تم اكتشافه قامت بعثات وهيئات علمية ودولية بالبحث والتنقيب حول تلك المغارات ومن ثم امتدت الاكتشافات الى خربة قمران والتي كانت في السابق معسكرا للقمرانيين اصحاب هذه المخطوطات (٢) .

ولم تخل هذه الروايات من روح الاثارة والتشويق لكثرة ما رافقها من عمليات فحص وتتبع وعرض من قبل العلماء لتحديد تأريخها والتعرف على محتوياتها كما لم تخل من جرائم السرقة الفردية التي تعرضت لها تلك المخطوطات خاصة على يد المطران صموئيل (٣) وما تبعها من جرائم اغتصاب على يد سلطات الاحتلال الصهيوني بعد دخولها القدس عام ١٩٦٧م .

وبتوالي الاكتشافات اخذت المراجع العلمية الغربية تكثف ابحاثها في تلك المنطقة وتكتشف في كل مرة كهوفا ومغارات تحتوى ادراجا نحاسية وجرارا خزفية تتضمن اعدادًا كبيرة من المخطوطات باللغة العبرية والتي اختلف العلماء بداية في تحديد زمن تاريخها (٤) .

---

١ - مخطوطات البحر الميت ، محمود العابدى ص ٥٤ ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٦٧ وراجع في هذا الصدد : التوراة بين الوثنية والتوحيد سهيل ديب ، ص ٨٥ دار النفائس ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

٢ - راجع الفصل الاول من "مخطوطات البحر الميت" ، للعابدى .

٣ - المرجع السابق ص ٣٣٢ -٣٥٢ وانظر ايضا : مخطوطات البحر الميت ، حسين عمر حمادة ص ١١١ ، دار منارات للنشر ط١ ، ١٩٨٢ ، عمان الاردن .
وقد اصدر هذا المطران كتابا سماه "كنز قمران ، مدارج البحر الميت" شرح فيه قصة تلك الادراج ، ودافع فيه عن أعماله التي قام بها .

٤ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى ص ٥٥-٧٠

وتكمن قيمة هذه المخطوطات لدى العلماء تبعا لما تحتويه من اسفار للعهد القديم باللغة العبرية الى جانب عدد كبير من المؤلفات التي كتبتها جماعة وادى قمران ، وعقب هذا الحدث اختلفت اراء العلماء حول الاثر الذى يمكن ان يحدثه فيما بعد على اكثر من صعيد .

فلقد اثارت تلك المخطوطات العديد من الدوائر العلمية التي ابدى كتابها كثيرا من الاراء والتعليقات حتى بلغت الكتابة حولها الاف المقالات ونشرت عنها عشرات الكتب ، (١) كما طرحت هذه النصوص الكثير من التساؤلات حول المضامين العلمية التي تنطوى عليها هذه المخطوطات ، ويمكن اجمالها بالاتي :

- اعتبر البعض ان هذه المخطوطات مزيفة ولا تتضمن اى قيمة علمية (٢) بينما ذهب فريق الى انها اصلية وتعود الى طائفة القمرانيين التي حاولت اظهار زيف الفرق اليهودية ،كالصدوقيين والفريسيين ، وكشف حقيقتهما . وان هذه الفرق الضالة قد حرفت التوراة الاصلية ، وان جماعة قمران تؤمن برسول اخر الزمان الذى سيأتي وتكون علامات النبوة في جسمه (٣) .

كما اعتبر البعض ان هذه الاكتشافات ما هي الا عمل ضخم يهدف الى النيل من الحقوق الاسلامية انطلاقا من استغلال اليهود لهذه النصوص لمصلحتهم الخاصة ولاثبات احقيتهم بفلسطين كما يزعمون (٤) .

كما يذهب البعض الآخر الى أن هذه المخطوطات سوف تعيد النظر في كثير من العقائد المسيحية التي يدعيها النصارى حاليا وانها ستكون ضربة موجهة الى اصول النصرانية الوثنية (٥) .

ويؤكد البعض انه لن يكون هناك اثر كبير في تغيير نصوص العهد القديم الحالية لمشابهة تلك المخطوطات للنصوص الموجودة الان (٦) .

---

١ - الموسوعة الاثرية العالمية لمجموعة من العلماء باشراف ، ليونارد كوتريل ، : ت : د . محمد عبد القادر محمد ، ود . زكي اسكندر ص ٢٥٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م القاهرة ،وراجع في هذه الصدد : مخطوطات البحر الميت ، حسين حمادة ص ٧ ، وحياة المسيح للعقاد ١١/٢١٣ ،

٢ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٥٨

٣ - محاضرة عن " مخطوطات البحر الميت ، والبحث في اصول النصرانية الاولى " القاها .د . فاروق عبد الله بتاريخ ٢٢ ربيع الاول سنة ١٤٠٦هـ في جامعة الملك عبد العزيز بجدة ،كلية الاداب والدراسات الانسانية .

٤ - مخطوطات البحر الميت " حمادة ص ١٣٠

٥ - محاضرة د . فاروق عمر عبد الله .

٦ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٦٠

وفي غياب غالبية النصوص المكتشفة ، وبعدها عن ايدى العلماء المسلمين المتخصصين في هذا المجال ، فان الاسئلة لا تكاد تنقطع حول هذه المخطوطات ، وملابساتها ، خاصة اذا علمنا ان قسما كبيرا منها لا يزال رازحا تحت الاحتلال اليهودى في القدس ، . حيث تعكف دائرة يهودية مختصة ، على دراسة محتوى المخطوطات منذ ما يزيد على ثلاثين سنة دون ان تخرج للناس الا النذر القليل من المعلومات ، ولهذا اطلق على هذه اللجنة اسم " الدائرة المسحورة " وتوجد مخطوطات في الاردن هي جزء من تلك الاجزاء المكتشفة .(١)

وحيث ان هذا الاكتشاف يعتبر بكرا فانه من المؤكد مضي وقت طويل حتى يتم التوصل الى معرفة ما خفي حتى الان من أمر هذه المخطوطات ومضامينها ، وما الابحاث التي سنتناولها في هذا الموضوع سوى خلاصة لما توصل اليه العلماء حتى الان ، ولابد من الاشارة الى ان المواضيع التي سيتطرق اليها البحث لا تتعلق الا بما يهم ويتصل بالرهبنة اليهودية موضوع الدراسة .

أ : الخلاف حول التسمية :

هناك خلاف واضح بين العلماء حول تسمية اصحاب المخطوطات المكتشفة في وادى قمران ، ومرد الخلاف يعود الى ان (المخطوطات لم تذكر اى اسم لتلك الجماعة) !(٢)

ولهذا يطلق البعض عليهم اسم (القمرانيين(٣) ،) نسبة الى الوادى الذى نزلوا فيه ، ويطلق اخرون اسم" الاسينيين "(٤) على هذه الفرقة ، لان يوسيفوس(٥)

---

١ - محاضرة د . فاروق عمر عبد الله .
٢ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٢٧١ ، وراجع ما جاء في هذا الخلاف في ص ٢٨٧ وما بعدها ، في نفس المصدر السابق .
٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٢٧٣
٤ -(لا يعلم أحد بالضبط المعنى الحقيقي لكلمة (أسيني) فقد تضاربت في شرحها الاراء وكلها تستند الى حقيقة تاريخية أو صفة ادبية كانت تلازم جماعة الاسنيين) راجع : "كنز قمران ، مدارج البحر الميت ، المطران اثناسيوس يشوع صموئيل ص ٢٠٨ ت : القس الفونس شوريز ، نشر ثاوفيلوس جورج صليبا ، ١٩٨٥ ، لبنان .
وقد عدد هذا المصدر المعاني التي يمكن ان يكون هذا الاسم قد أشتق منها . ولكنها جميعها تخمينية .
٥ - مؤرخ يهودى ولد سنة ٣٧ او ٣٨ م وكانت اسرته من كبار الكهنة وقد اتبع مذهب الفريسيين وسافر الى روما ، وقد كتب عن الفرق اليهودية الثلاثة ومن بينهم الاسينيين راجع في هذا الصدد : مخطوطات البحر الميت " للعابدى ص ٤٧-٤٨ وكنز قمران ص ٢١١

المؤرخ اليهودى أرخ لفرقة يهودية وسماهم " بالاسينيين " ، وربط تكون هذه التسمية طارئة على نحلة جماعة قمران من فرقة يونانية الاصل كانت تسمى بنفس الاسم ، وانها كانت تمارس حياة الرهبنة ابان العهد البطلمي (١) ، وقد اطلق على هذه الزمرة اليونانية اسم اخر هو " المتنطسون " اى الاطباء .

وبناء عليه فقد اعتبر الاستاذ العقاد ان هؤلاء المتنطسين ربط كانوا اساتذة لجماعة وادى قمران (٢) وقد استند في ذلك الى اليهودى فيلون (٣) الذى قال : (ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد واسمهم اليوناني معناه الاساة أو المتنطسون واكثر صوامعهم كانت على مقربة من الاسكندرية حول مريوط القديمة) (٤) .

والى جانب ذلك هناك من يذهب الى تسميتهم بـ" الحسيديين (٥) " اى : الأتقياء (٦) او المستحسين (٧) . وقد اعتبر البعض جماعة قمران جزءا من الحسيديين وهي فرقة محاربة كانت كبيرة العدد متشعبة الفروع (٨) وعنها اخذت تعاليمها (٩) .

---

١ - راجع : اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان ، د . مصطفى كمال عبد العليم ص ٢٨٨ ط١ مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨م ومخطوطات البحر الميت "لصلادة" ص ٤١-٤٢

٢ - راجع : حياة المسيح ، عباس محمود العقاد المجموعة الكاملة ١١/٢١٦ دار الكتاب اللبنانية بيروت ط١ ، ١٩٧٨ .

٣ - فيلون (٢٠ق ٠م-٠-٦٠ب ٠م) فيلسوف يوناني من اصل يهودى . ولد في الاسكندرية ، اط فلسفته الممتزجة بفلسفة افلاطون والتوراة فقد اثرت على الاداب المسيحية) : كنز قمران ص ٢١٠

٤ - راجع حياة المسيح ، للعقاد ، ١١/٢٦٦

٥ - الاسفار المقدسة السابقة للاسلام . د . علي عبد الواحد وافي ص ٥٨ وكذلك راجع : الديانات والعقائد ، للعطار ٢/٣٧٣

٦ - دائرة المعارف ، فؤاد افرام البستاني ١٢/٣٧٢

٧ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤

٨ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٢٧٢

٩ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤

ويؤكد البعض ان هذه الفرقة هي جزء من الغريسيين التي تقف في الوسط بين اليمين اليهودى المتمثل بالصدوقيين وبين اليسار المتمثل باصحاب يهوذا الجليلي.(١)

الا انه من غير الجائز اطلاق اى من هذه التسميات على وجه القطع وذلك لعدم توفر الادلة الاكيدة على صحة ثبوت اى اسم من التسميات السابقة ، وان الوقت لا يزال مبكرا لمعرفة الاسم الحقيقي لهذه الفرقة على الوجه العلمي الصحيح .

ولكن الامر الذى يسرتاح له اطلاق لفظ جماعة وادى قمران ، وذلك لثبوت وجودهم في ذلك المكان ، او القمرانيين . كحل مبدئي(٢)

واذا استعملت لفظة "الاسينيين" في هذا البحث ، فذلك وفقا لما تعارف عليه العلماء حتى الان لا على الوجه القطعي انما من باب التجوز .

ب - الاماكن والاثار المكتشفة :

ظلت الاكتشافات والتنقيبات تتوالى في وادى قمران وما جاوره مدة طويلة كان ختامها عام ١٩٥٦ (٣) حيث تم اكتشاف المغارة الحادية عشرة ، والاخيرة والى جانب الاحد عشر كهفا التي اكتشفت محتوياتها تم الكشف ايضا عن كهف المربعات التي تبعد ١٥ كلم عن الاماكن المكتشفة الاولى (٤) وكذلك امكن التعرف على خربة قمران (٥) وهي التي كانت في السابق معسكرا للقمرانيين ، مارسوا فيه حياة العزلة والرهبنة بعيدا عن المجتمعات اليهودية الاخرى ، كما امكن التعرف على خربة المرد (٦) ، ووادى الدالية .(٧)

---

١ - راجع : مخطوطات البحر الميت " للعابدى ص ٢٨٧
ويرى البعض أن رئيس هذه الفرقة والذى اطلق عليه اسم " استاذ الحق " انه هو السيد المسيح عليه السلام . راجع : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٩٧
الا ان صاحب هذا المرجع يذهب الى ان ذلك من باب الافتراض فقط دون الجزم وذلك لاختلاف التاريخ بين " استاذ الحق " وبين السيح عليه السلام . راجع ص. ٩منه

٢ - وقد ذهب الى هذا الراى د . فاروق عمر عبد الله في محاضرته عن هذا الموضوع

٣ - انظر : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص ٨٦

٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ١١١

٥ - المرجع السابق ص ١٢٥

٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ / ٣٧٠

٧ - مخطوطات البحر الميت " لحمادة " ص ٢٢

وجميع هذه الامكنة عثر فيها على اثار عينية تراوحت بين جرار خزفية[1] كانت تحتوى على تلك المخطوطات المشار اليها ، والى جانب ذلك عثر على قطع نقدية معدنية بلغت حوالي ٥٠٠ قطعة أمدت الباحثين ببعض التواريخ التي يمكن ان تعود اليها أزمنة تلك المخطوطات أو زمن وجود جماعة وادى قمران ، وهذه القطع لها تتابع زمني متصل تقريبا لحوالي ٢٠٠ سنة ويصل تاريخ ثلاث منها الى عهد الملك هيرودوس.[2]

ج - المخطوطات المكتشفة :

المخطوطات المكتشفة هي بلغات متعددة منها العبرية القديمة المعروفة باسم (PAleo HEBREW) وعبرية أحدث واليونانية والارامية والنبطية.[3]

ويمكن تقسيمها الى قسمين :

- قسم يختص باسفار العهد القديم

- وقسم يختص بكتب جماعة وادى قمران نفسها ألفها علماؤهم ورؤساؤهم

أما القسم الاول :

فقد إشتمل على الاسفار التالية : سفر اشعيا ، ويضم اكبر واقدم مخطوط بما في ذلك الجزء الموجود في الجامعة العبرية.[4]

- سفر[5] تثنية الاشتراع - نص لسفر ايوب بالارامية[6]

- مزامير التسابيح والشكران الموجودة في القطع الاربع المتفرقة.[7][8]

- تفسير لسفر حبقوق والتعليق عليه.[9]

- سفر لامك[10] - كتاب (أو سفر) اللاويين[11]

- ومن هذه الاسفار ايضا " ميخا ، ونحوم ، ودانيال وعاموس والخروج[12] وصموئيل ، وهذه الاربعة الاخيرة هي مقاطع منسوخة فقط.

---

١ - انظر : العرب واليهود في التاريخ . د . أحمد سوسة ص ٢٧٧ ، العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ، ١٩٧٥ .

٢ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٥٨ ، الا أن البستاني يوصل هذه القطع الى خمسمائة وخمسين قطعة ، "سكتها مدينة صور الفينيقية في منتصف القرن الثاني فالقرن الاول قبل الميلاد وكانت قد نفشت في جرار ثلاث وبعضها من البرونز يحمل اسم يوحنا هركانس الاول ابن سمعان واسم ابنه الاسكندر ابن يوناثان والقليل جاء باسم هركانس الثاني وهيرودوس الاكبر) وقد ابرز الصدر نفسه بعض الصور لهذه النقود راجع : دائرة فؤاد افرام البستاني ٣٧٨/١٢

٣ - التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب . ص ٨٣

٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٧١

٥ - الموسوعة الاثرية العالمية ٢٥٩ ٦ - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٧٧

٧ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى ص ٧١ ٨ - دائرة فؤاد البستاني ٣٧١/١٢

٩ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٧١ ١٠ - المرجع السابق ص ٨٠

١١ - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٧٧ ١٢ - دائرة فؤاد البستاني ٣٧١/١٢

ويذهب البعض الى القول انه بالاستطاعة جمع (توراة كاملة من مخلفات هذه الكهوف باستثناء سفر استير وميزتها انها وردت بلغتها الاصلية مترجمة عن اليونانية كالتي بين ايدينا وانها اقدم منها بالف سنة ") . (١)

كما ان هذه الكتب تحبذ القراءة السبعينية (٢) اكثر من القراءة الماسورية (MASSORitic) (٣)

ولا شك ان هناك مبالغة في هذا الموضوع ، علما بان هذه المسائل بحاجة الى وقت " اذ لا تزال امام الباحثين كمية هائلة من العمل لوصل القطع بعضها ببعض وترجمة نصوصها الصعبة (٤) وهذه العملية بحاجة الى جهود كبيرة اضافة الى الامكانيات الضخمة . (٥) .

اما القسم الاخر من هذه المخطوطات فهو يشتمل على كتب خاصة بجماعة وادى قمران واهمها :

- قانون الجماعة او كتاب النظام (٦) - الشواهد (٧)
- وثيقة دمشق (٨) - التقويم (٩)
- قانون الاخلاق (١٠) - الابراج (١١)
- الترانيم (١٢) - كتب التفسير (١٣)
- الملحمة او " قانون الحرب او حرب ابناء النور وابناء الظلام (١٤)
- جدول الكنوز . (١٥)

---

١ - مخطوطات العابدى ص ١٣٦ والموسوعة الاثرية ص ٢٥٩
٢ - الموسوعة الاثرية ص ٢٥٩ والقراءة السبعينية قد اشتهرت "بالترجمة السبعينية" (VERSioN de , SePTAmTE) وهي التي تمت في سنتي ٢٨٢-٢٨٣ ق.م على أيدى اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر بأمر بطليموس فيلادلف . راجع الاسفار المقدسة ، د . الوافي ص ١٨ وراجع كذلك : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٨٣
٣ - نصوص الاسفار المسورة (او الماسورية) اى المضبوطة بالشكل العبرى المعروف راجع ، مخطوطات البحر الميت " لحمادة " ص ٣٦ ، وللمزيد يراجع : مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٧٠ و ٢٢٠ وما بعدها .
٤ - الموسوعة الاثرية ص ٢٥٩
٥ - علما بان كثيراً من القطع هذه ليس من السهل وصلها ، وربط بحاجة الى الاستفاضة لهذا العمل .
٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ / ٣٧٠ - ٣٧١ ومخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٧١
٧ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ / ٣٧٠-٣٧١
٨ - // المرجع السابق . ٩ - المرجع السابق
١٠ - المرجع السابق ١١ - المرجع السابق
١٢ - المرجع السابق ١٣ - المرجع السابق ومخطوطات " للعابدى " ص ٧١
١٤ - المرجع السابق ومخطوطات " للعابدى " ص ٧١
١٥ - المرجع السابق ١٢ / ٣٧٠-٣٧١

د - محاولات للتعرف على تاريخ القمرانيين وهويتهم :

حاول العديد من علماء مقارنة الاديان استقراء تاريخ فلسطين القديم ومراجعة النصوص الواردة في المخطوطات التابعة للقمرانيين وذلك لمقابلتها بالاحداث التي جرت ابان تلك الحقب ، ومن ثم البحث عن ابرز الشخصيات التي دارت حولها تلك النصوص ، تمهيدا للتعرف على الزمن الحقيقي لنشأة هذه الفرقة وأسباب وجودها بين اليهود .

ويلاحظ أن كتابات الباحثين في هذا الصدد قد أصيبت بالحيرة والاضطراب لصعوبة الخوض في هذا الموضوع الشائك ، وتكمن الحيرة في الالتباس الحاصل في تحديد الفترة الزمنية لوجود هذه الجماعة ، إذ أن الحروب والمنازعات الداخلية والخارجية ما فتئت تتواصل إبان تلك العصور ، وقد إنعكست سلبا على أوضاع القمرانيين ، مما تسبب في ضياع الكثير من أخبارهم وتواريخهم الخاصة بهم .

يضاف إلى ذلك أن النصوص لم توضح تاريخ الأحداث التي مر بها القمرانيون ، كما غابت اسماء الشخصيات البارزة فيهم والتي تصدرت الزعامة أو الرئاسة .

وقد إزدادت الحيرة حينما أوردت هذه النصوص عبارات واشارات عامة غير محددة من الممكن جداً إلصاقها بأي عصر من العصور التي وجد فيها اليهود في الماضي ، كما ان الشخصيات الوارد ذكرها توافق العديد من أوصاف كثير من الحكام الذين تولوا زمام السلطة في فلسطين القديمة قبيل الميلاد .

وكما هو معروف فأن الحكام اليونانيين والرومانيين قد تتابعوا على حكم هذه المنطقة ، وانهم كانوا ينصبون عنهم حكاما وكهانا محليين لادارة مناطق النفوذ .

ومن امثلة ما اوردته نصوص المخطوطات من اسماء ، مثلا : اسم " معلم الصدق " او "معلم العدل " وكذلك اسم " معلم الكذب " او " الكاهن الكاذب " او " الكاهن الراسع "

لقد حاول بعض العلماء (١) اطلاق الصفات الخاصة بمعلم الكذب على الكاهن اليهودى " يشوع طوبيا " الذى سمى نفسه " ياسون " (٢) وقد عين من قبل خليفة الاسكندر انتيوخس (٣) الذى جرت في عهده مذابح واضطرابات عنيفة خلفت وراءها الاف القتلى من اليهود ، وكان ذلك في سنة ١٧٠ ق.م . (٤)

وهذا الرأى يستند الى ما جاء في المخطوط المسمى بشرح حبقوق حيث ورد فيه بعض صفات هذا الكاهن وذلك على النحو التالي (لقد امتلاء بالفضيحة بدل المجد -) اى ان كاهن الشر لم يطهر قلبه بل سار في طريق السكر لكي يطفيء ظمأه . . . وفي نص اخر: (يمتص دم المدينة) ... (٥)

وهناك من يرى ان كاهن الشر كان يعيش حياة فاسقة ويعكف على الشراب وينغمس في الظلم والتعسف اشارة الى العبارات التالية (وكأس يمين الرب تدور اليك وفي الفضيحة يغشى مجدهم) . (٦) ويورد هذا المصدر ما يفيد ان الاوصاف والاشارات هذه تتشابه الى حد كبير مع عهد آخر وشخصيات مختلفة . ومن ذلك ان :

الكاهن الشرير ممكن الاستدلال عليه من اوصاف سيمس الذى عين كاهنا على اليهود من قبل انتيوخس الخامس ولد انتيوخس الاول وان سيمس هذا انقلب على الحسيد المتمسكين بالدين واضطهدهم وقتل ستين رجلا منهم وسلب كنوز الهيكل ولم يبال باصوات الاستنكار اليهودى لانه كان مدعوما من القائد السورى بكداس ، وظهر هنا ان بيت طوبيا قد انتقموا من الحسيد الذين انسحبوا من الثورة المكابية فجاء بكداس القائد الى القدس وامر ببناء مدينة الظلام بالدماء واسكنها رعية بالباطل . وهنا

---

١ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى " ص ١٨٢

٢ - هو كاهن يهودى وهو ابن سمعان الثاني (١٧٥-١٧١ق م) استغل نفوذه لاشاعة الروح اليونانية بين اليهود (٢ملوك ٤ : ٧-٢٦) ، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٤٥ .

٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ١٨٢-١٨٣

٤ - راجع مختصر تاريخ سوريا ، المطران يوسف الدبس ١٤٢/١-١٤٣ ط٢ ١٩٨٤ بيروت .

٥ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ١٨٠

٦ - المصدر السابق .

قال بعض العلماء ان سيمس هو الكاهن الشرير وان بكداس هو داعية الكذب [١] ([٢]). كما يذهب نفس المصدر أن الكاهن الشرير تنطبق أوصافهُ أيضا على اسكندر هركانوس المكابي لأن هذا الأخير قد أذاق شعبه الويلات [٣]. وعلى هذا المنوال يعرض نفس المصدر عدة شخصيات من نهاية العصر اليوناني الى بداية العصر الروماني مرشحة ومؤهلة لقبول أوصاف الكاهن الشرير ، ولكن دون الاستطاعة من تحديد زمن أو إسم هذه الشخصية على وجه القطع [٤] للتشابه الحاصل .

وفي المقابل فإن أوصاف معلم الحق أو معلم العدل أيضا عامة لا يمكن القطع بأي من الشخصيات هي صاحبة الزعامة او الرئاسة بين القمرانيين ، علما بان هناك من يذهب الى القول بان هذه الصفات تنطبق على المسيح عليه السلام [٥] ، والذى يسميه الابيونيون (نبي الحق) [٦] . ولهذا فان خير ما يقال في هذه الصدد (ان كل ما بايدينا من مصادر تاريخ اليهود في حكم اليونان والرومان قليل غير موثوق به حتى يمكن ان يقارن مع ما جاء في مخطوطات البحر الميت ويتصل به) [٧] .

وعلى الرغم من وضوح العبارة وما ترمي اليه من صعوبة الا ان بعض الباحثين [٨] حشد جميع جهوده العلمية والتاريخية والدينية لاثبات ان صفات الكاهن الشرير او كما اسماه (الكاهن الراسع) "اى الكاذب" تتحقق في شخصية يوناثان افوس (١٦٠ - ١٤٢) [٩] . ويحاول باحث اخر تحديد عهده بسنة ٥٠ ق.م [١٠] .

---

١ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ١٨٠

٢ - المرجع السابق ، وراجع اعمال القائد بكداس في مختصر تاريخ سوريا ، للدبس ١/١٥١ الذى اورده باسم بكيديس .

٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ١٨٣

٤ - لاحظ الصفحات ١٨٤-١٨٥ من المصدر السابق .

٥ - المصدر السابق ص ١٨٦

٦ - المصدر السابق

٧ - المصدر السابق

٨ - راجع دائرة فؤاد البستاني ١٢/٢٧٥

٩ - راجع ترجمته في قاموس الكتاب المقدس ص ١١٢٥

١٠ - المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٣ دار الطليعة بيروت ط ١ ١٩٧٩ م .

ويستند البستاني الى عبارات من النصوص المكتشفة والتابعة للقمرانيين خاصة ما جاء في تفسير حبقوق ووثيقة دمشق حيث ورد فيه ما يلي : هو الذى " عرف في اول عهده بالامانة والوفاء ولكنه اذ حكم اسرائيل زاغ قلبه وتكبر وترك الرب ، وعصى الناموس بسبب امواله ، فقد نهب وجمع اموال ذوى العنف الذين تمردوا على الرب كما استولى ايضا على اموال الشعب) .(١)

وما جاء في التفسير ايضا ((الكفر والجشع والتسلط تلك عيوبه الرئيسية انما يفوقها الكذب فهو الذى يقطر كذبا ، الذى افسد جمعا غفيرا ، اذ بنى بالدم مدينة الباطل واقام جماعة بالكذب) .(٢)

وكذلك قوله (وما انه جاء على معلم الصدق واتباعه اسلمه الرب في ايدى اعدائه فاذلوه وأوقعوه في انواع الشقاء ، حتى أنهى حياته مرير النفس لانه عامل بالشر أولياء الله) . (٣)

ويستدل البستاني على معلم الصدق بالاوصاف التالية والاشارات التي وردت منسوبة الى المعلم نفسه (حيث جاء في كتاب الترانيم المخطوط :
(اقسمت الا ارتكب خطيئة في وجهك والا اقترف اثما امامك ، وهكذا ادخلت في الفة اعضاء جماعتي) .(٤)

وما جاء ايضا (اشكرك يا رب لانك آثرتني واظهرت لي عهدك . . . لقد انرت بواسطتي الكثيرين واظهرت قوتك التي لا قياس لها ، وعرفتني الى اسرارك التي لا نفاد لها واردت ان تتمجد بي في تدابيرك التي لا ادراك لها) .(٥)

وبناء على ما تقدم قام البستاني بتقسيم المراحل التي مرت بالقمرانيين وارجع الحوادث الى تواريخها وشخصياتها التي لعبت على مسرح الاحداث وفق تفاسيره الخاصة واستنتاجاته (٦) .

---

١ - من تفسير حبقوق ٨/٨-١٣ ، راجع دائرة فؤاد البستاني ١٢/ ٣٧٤
٢ - // ١٠/٩-١٣ // // //
٣ - // ٩/٩-١٢ // // //
٤ - الترانيم ١٤/-١٧-١٩ // // //
٥ - // ٤/ ٢٧-٣٠-٥٧ // // //
٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/ ٣٧٤

وازاء هـــذا الاختلاف بين العلماء حول تحديد الازمنة والشخصيات الـــتي وجدت في عهد القمرانيين ، هناك في المقابل راى قابل للاخذ والرد والتمثـــل بطرح جديد لم يسبق صاحبه اليه من قبل .

فقد كشفت محاضرة د . فاروق عمر عبد الله "ان هذه الجماعة اسست معسكرها في وادى قمران فيما يبدو من دراسة الاثار ما بين سنة ١٤٠ الى سنة ١٢٥ ق.م. ، واستمرت الجماعة فيه حتى النصف الثاني من القرن الميلادى الاول ،اى حوالي سنـــة ٦٨ الميلادية يعني قبل تدمير الهيكل الثاني بسنتين ، ولعل بقية منهم أو من غيـرهم عادت اليه واقامت فيه حتى سنة ١٣٥ ميلادية أيام ثورة اليهود الأخيرة على الحكـــام الـرومان الوثنيين التي كانت عاقبتها الفشل التام واجلاء بقية اليهود من القدس وفلسطين وطمس آثار اليهودية فيهما واعادت تسمية القدس من قبل الرومان الوثنين الى ايليـــا كابيتولينا ، التسمية التي بقيت معها حتى الفتح الاسلامي العظيم وهو المذكور ايضـا اى ايليا في كتب التفسير .

ويبدو ان الرومان هدموا المعسكر وأحرقوه ،وتدل على ذلك علامات الحريـــق الكبير على بعض اثار المباني ووجود بعض نصال سهام الرومان في انقاض المعسكر .

وقد زعم بعض الباحثين بان جماعة النصارى الاولى التي كانت في بيت المقـــدس تحت رئاسة يعقوب العدل وبطرس ويوحنا والتي انضم اليها غيرهم من الحواريين منـــذ رفع المسيح الى حولي سنة ٦٤ م . اى ست سنوات قبل تدمير الهيكل الثاني ،كانـــوا هم ايضا على صلة قوية بجماعة وادى قمران والتشابه بينهما كبير والنظام الجماعي فيمـــا يبدو نفس النظام والاسماء والاصطلاحات المستخدمة نفسها .

واشار بعض الباحثين الى التشابه بين يعقوب العدل نفسه امام النصارى الاول بعد رفع المسيح حسب ما يقول المؤلفون المسيـحيون القدماء والمعلم أو الهـــادى العدل المذكور في المخطوطات فان يعقوب العدل (كان ايضا من علماء بني اسرائيل معروفا بعدالته وتمسكه بالشرع وامانته على التفسير والفتوى واخلاصه في القول والعمـــل واجتهاداته بالعبادات وتسمى كذلك بالعدل .

وان المؤرخ النصراني القديم هيغيسيبوس يصف يعقوب العدل ببعض السمات في اللباس والعادات التي اتصفت بها طائفة الاساة او الاسانيين الكتابية التي يزعـــم معظم الباحثين انهم الطائفة التي كانت في وادى قمران . " (١) .

---

١ ـ هذا ما اشارت اليه المحاضرة ،علما بانها مسجلة على شرائط تسجيل صوتي . ولم تنشر الى الان .

وعليه فان الحصيلة التي يمكن الخروج منها بعد استعراض الاراء مجتمعة هي ان علماء مقارنة الاديان لم يتفقوا اتفاقا تاما على زمن نشوء هذه الفرقة وانتشارها وان الراى الذى يرتاح له حول تاريخ النشوء هو ما ذهب اليه د. فاروق عمر عبد الله الموافق الى حد ما ما ذهب اليه البستاني في دائرته . (١)

---

١ - علما بان المعلومات الواردة في محاضرته قد استقاها من ثلاثة مصادر غربية هي :

— the Dead SEE SCRolls. theadeR. GASTER.
— the Dead SEE SCRoLLS. iN. ENglish. VERMES.
— the cRicibLE OF chRIShianity - Ed. Toymbes.

الفصل الاول

الحالتين السياسية والدينية في عهدى اليونان والرومان

قبل التعرف على الاسس الدينية والعقدية لرهبنة جماعة وادى قمران يحسن ايجاز الكلام عن الحالة السياسية والدينية التي رافقت نشأة تلك الفرقة، للوقوف على بعض الظروف التي اسهمت الى حد كبير في بزوغ هذه النحلة .

اولا : في عهد اليونان

لم يعرف اليهود في فلسطين حياة الاستقرار والهدوء لكثرة الفتن الداخلية من جهة فيما بينهم ، والحروب الخارجية التي اجتاحت الاقاليم الخاضعة للنفوذ اليوناني ، اضافة للنزاع الحاد الذى قام بين خلفاء الاسكندر المقدوني (٣٣٢ ق٠م) الذى نشب بسبب اطماع كل فريق بما لدى الاخر من تركة هذا الاخير(١)

وقد انعكس هذا الصراع سلبا على اوضاع اليهود السياسية والدينية والاقتصادية على السواء ، وقد كانت فلسطين من ضمن المناطق التي حكمها اليونان وكانت ملحقة بسوريا .

والدارس لهذه الحقبة من التاريخ يرى اليهود متأرجحين بين سندان السلوقيين حكام سوريا وبين مطرقة البطالمة حكام مصر(٢)

كما ان احلك الاوضاع السياسية وغيرها بالنسبة لليهود كانت على عهد انطيوخوس الرابع السلوقي (١٧٥-١٦٤ ق٠م) ٠ اذ ضغط هذا الاخير على اليهود ليتركوا تقاليدهم وآدابهم وانذر كل من يخالف امره باشد العقوبة ، ووضع لهم حكاما عرفوا بشدة بغضهم لليهود فادى ذلك الى ثورتهم بقيادة العائلة المكابية عام ١٦٧ ق٠م(٣)

وقبل اندلاع الثورة بقليل كان اليونان قد تمكنوا من جذب زعماء وكهان يهود الى صفوفهم ، فتم لهم بواسطتهم تأسيس حزب ليقف في صفهم ، وقد اقام هؤلاء الزعماء (مدرسة وثنية في المدينة المقدسة (القدس) (مكابيين ١ف عدد ١٢) . وتزلفوا الى انطيوكس (انطيوخوس) ترويجا لمطامعهم وكان من هؤلاء رجل اسمه يشوع فبدله بياسون وهوأخوأونيا رئيس الاحبار وسولت له نفسه ان يأخذ الرياسة من أخيه فوعد انطوكس بمبلغ جسيم من المال فقلده الرياسة(٤)

---

١ - بلادنا فلسطين ، مصطفى مراد الدباغ ، ص ١/٥٩٥-٥٩٦ منشورات دار الطليعة بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م وانظر: الشخصية الاسرائيلية، د . حسن ظاظا ص٦٧ . دار القلم دمشق ط١ ٠ ١٤٠٥هـ ٠ ١٩٨٥م

٢ - الموسوعة الفلسطينية ، العميد عبد الرزاق محمد الاسود ١٣-١٤ ، دار العربية للموسوعات ط١٩٧٨

٣ - بلادنا فلسطين ١/٥٩٩

٤ - مختصر تاريخ سوريا ١/١٤٣

وفي هذه الفترة نرى صراعا عنيفا يدور بين زعماء اليهود وكهانهم للوصول الى رئاسة الكهنوت وهو المنصب الديني الذى يخول صاحبه التحكم في رقاب الناس ، وقد استعمل هؤلاء الكهنة شتى اساليب السرقة والنهب والرشوة للوصول الى مناصبهم .

وقد تمكن ياسون المذكور انفا في نهاية المطاف من مهاجمة " اورشليم " القدس بالف رجل . . . واخذ يذبح اهل وطنه بلاشفقة ولكن تقوى عليه الجمهور فزحف الى اورشليم فاهلك من اهلها ثمانين الفا في ثلاثة ايام وباع منهم كثيرين وانتهب الهيكل وكان ذلك سنة ١٧٠ ق م (مكا ف ٤ عدد ٧) .(١)

كما قامت بعدها عدة حوادث عنف ذهب خلالها الكثير من اليهود ، والتي تبعها ثورة اليهود بقيادة متياس الحشموني (او متتيا المكابي) سنة ١٦١ ق . م . الذى استطاع شن حملات ناجحة ضد اليونان وتمكن من هزيمتهم وقد وقع المكابيون معاهدة سلام مع اليونانيين عام ١٤٣ ق . م) .(٢)

تولى الحكم في عام (١٦٠-١٤٢ ق م) يوناثان الذى يعتقد بعض العلماء انه هو المقصود (بالكاهن الراسع الكاذب) الذى عذب معلم الحق او معلم الصدق في عهد يوناثان تم اضطهاد جماعة وادى قمران وعلى يد هذا الكاهن . فقد كان (صاحب ثروة طائلة جمعها من أسلاب الحرب ومصادرة الارزاق ، والاموال . . وقد اغنته الغزوات في مأدبا والبقاع وعدد من المقاطعات واسلاب اليهود المتمردين ، وخصه الملك (ديمتريوس ببعض الامتيازات . . . ولما ظهر الاسكندر بالاس في بطلمايس (عكا) سنة ١٥٣ ق م . يناوئ ديمتريوس استمال يوناثان ونصبه رئيس كهنة سنة ١٥٢ ق . م ثم اقامه حاكما عسكريا واداريا على اليهودية وبعد وفاة بالاس نشط قائده تريفون واعلن ملكا انطيوخوس السادس بن بالاس (١٤٥-١٤٢ ق م ، فزايد هذا الاخير وعين يوناثان حاكما على سورية ، ليستعدى المكابيين على منافسة عرش انطاكية ، وهو ديمتريوس الثاني ١٤٥-١٣٨ ق م . (٣)

هذه المراحل جعلت يوناثان يتحول من زعيم الى متزلف لارباب الدولة السلوقية المتداعية ، لايهمه منها سوى الحفاظ على مركز مرموق فيها ، مما اثار نقمة بعض الكهنة " وابناء التقى " فتحولوا عنه ، ملتحقين بمعلم الصدق الذى نادى بقطع علاقاته مع الجاحدين والمارقين وخونة القضية . . . . ، منعزلين في قمران وربما في بر الشام " مدشنين " منذ تلك الايام نوعا من العصيان المدني وتنبه يوناثان

---

١ - مختصر تاريخ سوريا ١/ ١٤٣

٢ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية د . عبد الوهاب محمد المسيرى ص. ٣٧ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ١٩٧٤ م مصر .

٣ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ / ٣٧٥

الى مغبة تلك المقاومة السلبية ،فزار قمران محاولا التخفيف من ضغط الجماعة ، وتوخيا استطالتهم الى موقفه فلم يفلح ،اذ "ان الرب" حفظ اولياءه المختارين ومعلمهم ودفع عدوهم الى يد تريفون ،الذى طمع بدوره بالملك ،فاغتال صنيعته انطيوخوس السادس واحتال على يوناثان فقضى عليه في عكا وعاد به الى انطاكية ،حيث أذاقه مر العذاب ،أملاً في إرغام أخيه سمعان طسي (١٤٣-١٣٤م ق.م) على الانضمام الى معسكره وكان سمعان قد انتقل الى مساندة ديمتريوس الثاني واذ فشلت خطة تريفون أروى نقمته فأعدم أسيره يوناثان سنة ١٤٢ ق م).[1]

وتعتبر الفترة الممتدة ما بين..عام (١٤٣ق.م الى عام ٨٦ ق.م من اسوأ الفترات التي شهدتها فلسطين ، وقد عدد المؤرخون المثالب الكثيرة التي اتصفت بها هذه الفترة خاصة في عهد هركانوس الخامس (١٣٥-١٠٤ ق م) الذى اجبر الادوميين سكان جنوبي الكرمل على التهود بالبطش والقهر .

كما ان ارسطوبولس الاول بن هركانوس (١٠٤-١٠٣ ق م) على الرغم من قصر ملكه الا انه كان مملوءاً بالجرائم الكبيرة فترك أمه تموت جوعا في السجن ومن حسده قتل احب اخوته اليه ، وسجن الاخرين ،وافظع جرائمه ارغامه هو واخوه اسكندر من بعده سكان الجليل العرب (الايطوريين) ..بعد ان ضم بلادهم الى ملكه على التهود واعتناق اليهودية بحد السيف .

قال المؤرخ (توينبي toy mbE) إن أقدم حادث تاريخي معروف من حوادث التعصب الديني هو قيام اليهود المكابيين بقيادة اسكندر جينوس باكراه سكان الجليل من غير اليهود على اعتناق اليهودية وذلك في الربع الاول من القرن الاول قبل الميلاد .)[2]

ومن المثالب ايضا في حكم المكابيين ما نقله المطران يوسف الدبس عن يوسيفوس المؤرخ قوله (ان الشعب مقت الملك اسكندر ودخل الهيكل في عيد المظال[3] فأخذوا يرشقونه بثمار الليمون على راسه ويقذفونه بالشتائم فخرج عليهم بحرسه فقتل منهم ستة الاف رجل واخذ لنفسه حرسا من الاجانب سنة ٩٥ ولما أخمد ثورة

---

١ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/ ٣٧٥

٢ - "بلادنا فلسطين ،للدباغ ١/ ٦٠٠

٣ - بالعبرية عيد "السوكوت" ويبدأ في الخامس عشر من شهر تشرى اليهودى (اكتوبر) ومدته سبعة ايام ومناسبته "التاريخية" هي احياء ذكرى خيمة الشعب التي آوت ابناء اسرائيل في العراء بعد الهجرة فهي تذكرهم بايام التيه) .

: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٧٧

اليهود اقبل على محاربة الاجانب فانتصر على جنود ملك العرب وذلل المؤابيين وغيرهم وافترض الجزية عليهم وكمن له اعداؤه في مضيق وزحمة قطار من الابل فلم ينج الا بشق النفس وقتل كثيرون من رجاله وجرأ مصابه العرب والمؤابيين على محاربته فحاربوه ست سنين وقتل من الفريقين نحو خمسين الفا وفتح مدينة كان العصاة تحصنوا بها وقبض على ثماني مائة رجل اتى بهم الى اورشليم فقتلهم سنة ٨٦ ق م ولدى تشاغل ملوك سورية بالحرب بعضهم مع البعض افتتح مدنا اخرى وعاد الى اورشليم وعكف على الملاذ ومعاقرة الخمرة فاصيب بحمى الربع ومات سنة ٧٩) (١).

وهكذا تمثل هذه الفترة التي حكم فيها اليهود المكابيون صورة دموية وحالة من الفوضى السياسية التي خلفت الكثير من المآسي والويلات في فلسطين. كما تعطي انطباعا واقعيا عن الغطرسة اليهودية التي اتسم بها اولئك الحكام اليهود الذين تذرعوا بالكهنوت ليحكموا بالحديد والنار، كما بينت لنا هذه الحقبة ايضا مدى تكالب هؤلاء الزعماء على السلطة وعدم تورعهم عن ارتكاب الجرائم الخلقية والسياسية للوصول الى اطماعهم .

ولهذا لا نستغرب مطلقا سرعة زوال هذا الحكم الذى دام ٢٩ (٢)سنة وهذه النزاعات التي عصفت بالمجتمع الداخلي كان لها اكبر الاثر في تقويض الاستقلال المزعوم الذى تمكن المكابيون من انتزاعه لفترة جد قصيرة، ورغم ذلك فانه لم يدم طويلا لقلة عددهم وضعفهم الداخلي الناشيء عن انشقاقاتهم وانقساماتهم، وخصوصا بعد ان شرع الرومان في توسيع سلطتهم وبسط ظلهم على البلاد والاقطار فكان ذلك عاملا على زوال الاستقلال المزعوم. (٣)

وهكذا نرى ايضا كيف كانت حالة القمرانيين ابان تلك العهود ومن غير الممكن ان تستقر اى فرقة ما دامت تعيش في وسط هذه اللجج المستعرة .

---

١ - مختصر تاريخ سوريا ١/ ١٧٢-١٧٣

٢ - الموسوعة الفلسطينية ،عبد الرزاق الاسود ، ١٣-١٤

٣ - بلادنا فلسطين ، الدباغ ، ١/ ٦٠٠

ثانيا - في عهد الرومان

ظهرت روما على المسرح الدولي كأقوى منازع للامبراطورية اليونانية المتداعية ، التي سرعان ما تقوضت دعائمها امام الزحف الروماني الذى كلف حروبا طاحنة مكنت الرومان من التغلب على النفوذ اليوناني بشكل عام .

وفي الشرق استطاع الرومان التغلب على السلوقيين في سوريا وأصبحت فلسطين تحت حكمهم . ففي سنة ٦٤ ق‌م . إحتل القائد الروماني (بومبي) سوريا وضمها الى روما وفي السنة التالية (٦٣) ق‌م دخل اورشليم واخضعها لحاكم سوريا الروماني .

ولم يكن اليهود في هذا العهد احسن حالا مما كانوا عليه في عهد الاغريق وكانوا بين مد وجزر على قدر حدة الصراعات التي تنشب بين الزعماء الرومان على الحكم .

ففي عهد الامبراطور (قيصر) تمتع اليهود بحرية اقامة الشعائر الدينية وبحكم ذاتي (٤٩-٤٣ق‌م) و لما اغتيل قيصر سنة ٤٤ق‌م حكم (اوكتفيان) وانطونيوس) اورشليم وعينا حاكما على (يهوذا) والجليل المدعو ("هيرودوس " الادومي) وذلك سنة ٣٩ ق‌م وهو الذى قضى على المكابيين وازال حكمهم[1] وفي عهده اعيد بناء الهيكل الا ان اليهود كانوا يمقتونه لقسوته وشدة تعصبه في نشر الثقافة اليونانية والرومانية وبناء المعابد للاصنام[2] .[3]

ولما نشب الخلاف والقتال بين (اوكتافيان)و (انطونيوس) سنة ٣٠ ق‌م . انتصر (اوكتافيان) وتولى الحكم بصفته أول امبراطور روماني وسمى نفسه اغسطس .) .[4]

وبعد مقتل انتباتر والد هيرودوس وانتحار اكبر (اخوته) خلى العرش لهيرودوس (وفي سنة ٣٧ ق‌م . دخل القدس فاتحا بمعونة الرومان[5] وقد تزوج هيرودوس عشر نساء وكان له ابناء كثيرون واشتد التنافس فيما بينهم على وراثة العرش وكان القصر مسرح عشرات المؤامرات والفتن واشتركت زوجات الملك واقاربهن في تلك المؤامرات . هذا الى جانب الضغائن التي حاكها هيرودوس ضد اعدائه من يهود

---

١ - هو الابن الثاني لانتيباتر الادومي الاصل وكانت أمه آدومية ايضا لذلك لم يكن يهوديا من ناحية الجنس مع ان الادوميين كانوا قد رضخوا للمذهب اليهودى بالقوة سنة ١٢٥ق‌م . وكان قيصر قد عين انتيباتر حاكما على اليهودية سنة ٤٧ ق‌م وقسم مدن فلسطين بين ابنائه الخمسة وكان نصيب هيرودوس في الجليل) : قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨

٢ - بلادنا فلسطين ١/٦٢٢ ٣ - الموسوعة الفلسطينية ١٣-١٤

٤ - المصدر السابق ٥ - راجع موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٤٢٥ ، وقد أحب الرومان هيردوس حبا جما لانه ساعدهم على توطيد حكمهم في البلاد واجتهد في نشر ادابهم وتقاليدهم ومدنيتهم فرضي عنه الامبراطور اغسطوس حتي قيل انه لم يفضل احدا عليه سوى وزيره الاول) بلادنا فلسطين ١/٦٢٣

البلاد ، وضد خصومه من حكام الرومان .)(١)

فقد كان الملك المذكور قاسي القلب عديم الشفقة يسعى وراء مصلحته ولا يتراجع مهما كانت الخسائر ، ولم يكن يهتم للحقيقة ولا يهتم بصراخ المظلومين واشتهر بكثرة الحيل وقتل عدة زوجات وابناء واقارب خوفا من مؤامراتهم ، غير انه بنى اماكن كثيرة في فلسطين . (٢)

هذه النظرة القاتمة التي سادت عهد هذا الحاكم مرهونة بعدة اعتبارات منها : ان هذا الاخير لم يكن يهوديا بحسب المفهوم اليهودي لانه من ام آدومية اى عربية الاصل وهو ما يتعارض مع الشروط التي يضعها اليهود لقبول اى شخص في ديانتهم ولهذا نرى السخط الذى يحمله اليهود على هذا الحاكم ووصمه بابشع الصفات .

كما تورد روايات اهل الكتاب ان هذا الحاكم قد امر بقتل جميع الاطفال في بيت لحم زمن مولد المسيح عليه السلام(٣) وذلك حتى لا ينجو ابن داود ولا يملك على اليهود ويتربع على عرشه (٤) . ولهذا ايضا كان مكروها من المسيحيين ، يقول " الدبس" : (ونجا يسوع بارشاد الملك ليوسف ان يهرب به الى مصر (متى فصل ٢ عدد ١) وقد قضى هذا السفاك غير ماسوف عليه اذ اصيب بحمى محرقة وتقرح الامعاء وقد ذكر يوسيفوس ك ١٧ ف ٨ اعراض مرضه مفصلا وقد ملك في اليهودية سبعا وثلاثين سنة على ما روى اكثر المؤرخين (٥) .

(تقاسم ابناء هيرودوس بعد وفاته الحكم حسب وصيته ورضيت روما بتعيينهم ولاة فقط لا حكاما على الاقاليم التي عينتها لهم في سوريا وفلسطين إلا أن هؤلاء الولاة سرعان ما تقلص نفوذهم بسبب كثرة المشاكل التي أحدثوها هم أنفسهم أو بسبب القلاقل التي أحدثها اليهود بثوراتهم وتقلباتهم وقد كانت الفوضى والفتن من أهم سمات هذا العهد فمثلا قام أرخيلاوس خطيبا في الشعب بعد أن انقضت أيام الحداد على والده هيرودوس ووعد برفع المظالم التي أحدثها والده فلم يكتف الشعب بالوعد بل سأله الحط من الخراج ونسخ الضرائب المفروضة على البيع والشراء وتبديل رئيس الاحبار الى غير ذلك فَسَوَّفَهم باجرائه.وتألبوا عليه فساق جنوده اليهم فقتل يومئذ من اليهود ثلاثة الاف رجل).(٦)

---

١ - وقد أرخ الدبس نقلا عن يوسيفوس لهذه الفترة وبين تلك المنازعات الحادة : راجع مختصر تاريخ سوريا ١ /١٨٢-١٨٣

٢ - قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨ ، وقتله لزوجاته وابنائه مذكور في كتب المؤرخين المسيحيين لاحظ : مختصر تاريخ سوريا ١ /١٨٤-١٨٥ وما بعدها

٣ - انظر : انجيل متى الاصحاح الثاني .

٤ - انظر : انجيل متى ٢ /١

٥ - مختصر تاريخ سوريا ١ /١٨٦-١٨٧

٦ - بلادنا فلسطين ١ /٦٢٩ -٦٣٠

ولهذا كانت نهاية حكمه سريعة اذ عملت روما على وضع بيلاطس البنطي مكانه وفي عهد هذا الاخير حصلت حوادث عدة من بينها ، ما جرى لسيدنا عيسى عليه السلام مع قومه .(١)

اما هيرودوس انيتيباس (٤ق م -٣٩ م)

فقد ارتكب هذا الحاكم عدة جرائم اهمها :

زواجه ب (هيروديا) ابنة اخيه ارسطوبولس البارعة الجمال والماجنة ، وكانت هيروديا قبلا تزوجت عمها هيرودوس فليبس) ثم تركته اثناء حياته والقت بنفسها في احضان عم اخر هو انتباس هذا (٢) .

وينقل اهل الكتاب ان يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) قد قطع راسه في عهد هذا الحاكم ، وذلك لانه اعترض على زواج انتباس من ابنة اخيه . . . وقد كان ذلك عقب حفلة اقامها هيرودوس انتياس وفيها أرسلت هيروديا ابنتها الجميلة سالومة لتؤانس ضيوف الملك وسط المجون والخلاعة ورنين الكؤوس واذ بهيرودوس الثمل ينتشي برقصها المثير فيقسم امام ضيوفه بان يعطيها ما تطلب فطلبت حسب رغبة امها راس يوحنا على طبق ، وبعد لحظات هوى الجلاد بسيفه على عنق الرجل العظيم)(٣) .

ويعتقد البعض ان (يوحنا المعمدان) كان من جماعة وادى قمران (٤) .

---

١ - راجع : بلادنا فلسطين ٦٣٠/١ وسوف نتعرض لهذا الحديث اثناء الكلام عن الحالة الدينية ان شاء الله تعالى .

٢ - بلادنا فلسطين ٦٣٢/١

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٨ وقد ذكرت قصته في انجيل متى ١٤ : ٣-١٢ ويعتبر يحيى عليه السلام احد الانبياء في نظر الاسلام وقد ورد ذكره في العديد من السور والايات في القران الكريم ومنها في سورة آل عمران .

وقد أول المسيحيون اقوال يحيى عليه السلام وما ورد على لسانه في اناجيلهم ليواطؤا اعتقاداتهم بالوهية المسيح عليه السلام وبنوته . راجع في ذلك (يوحنا ١ : ١٥ -٢٩-٣٦

٤ - راجع : دائرة فؤاد البستاني ٣٧٦/١٢

ويعتبر " يحيى " عليه السلام - في الاسلام - نبيا من انبياء الله تعالى ، وقد وردت في حقه ايات كثيرة في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى (. .يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . .) مريم : ٧ وقوله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا . .) مريم : ١٢

وفي عهد اغريباس الثاني قامت ثورة اليهود عام ٦٦ م ضد هذا الوالي لممالأته الرومان وتودده الى ولاتهم (١) وقد كتب يوسيفوس عن هذه الثورة سبعة كتب . وفي سنة ٧٠ تم تدمير الهيكل برمته واحرق كل ما كان في المدينة بيد الرومانيين (٢) وقد نقل عن يوسيفوس ان عدد القتلى في الحصار بلغ مليونا ومائة الف نسمة (٣) . ويذهب البعض الى ان جماعة وادى قمران قد تلاشت واضمحلت عقب استيلاء الرومان على بيت المقدس وحرق الهيكل ومهاجمة معاقل اليهود في فلسطين وان جماعة قمران قد نالها ما نالها وهذا ما دفعها الى دفن كتبها ولفائفها في مغارات المنطقة عندما احست ان الخطر بات يهددها (٤) .

ولا يفوتنا ذكر الثورة الثانية التي قادها " باركوكبا " وذلك انه بعد (تراخي الايام اخذ اليهود يعودون الى خرائب القدس ويبنون فيها مايشبه اوكار الأرانب واعشاش الطيور ، حتى اذا مرت ستون سنة من خرابها ظهر من ابنائها باركوكبا " سمعان ابن الكوكب " الذى ادعى أنه المسيح الذى يخلص امته من استعباد الرومان فتبعه عدد كبير ازعج بهم حكومة روما واقلقها ثلاث سنين الى ان ارسل الامبراطور هدريان قائده فقضى على الثورة سنة ١٣٥ م و محا اسم اورشليم من الوجود وبنى على انقاضها مدينة رومانية خاصة اسماها " ايليا كابيتولينا " وحرم على اليهود الاقتراب منها وبنى في موضع الهيكل معبدا لجوبتر وزينها بالابنية الوثنية والملاهي والحمامات) (٥) .

ونخرج بنتيجة من هذا التاريخ القاتم مفادها ان اليهود رغم تمكنهم في بعض الاحيان من تكوين مجتمعات لهم في فلسطين في العصور القديمة الا انهم افتقدوا عنصر الثبات والتمكين في الارض خاصة ابان الفترة موضوع البحث ، كما انهم لم يكن لديهم ما يدعوهم لاقامة دولة مبنية على اسس ومرتكزات راسخة بل اثبتت القرائن انهم كانوا عصابات همجية همها الوصول الى السلطة باى ثمن ، ولم يكن هدفها التطلع نحو ارضاء الله تبارك وتعالى ، او النظر الى مستقبل الشعب والامة بقدر ما كانت اهدافها تنحصر في نزوة الحكم وحب السيطرة متسترة وراء الدين والكهنوت ولهذا كانت فترات الحكم قصيرة ، وان يسر لها ومكثت روحا من الزمن فهذا يرجع الى حبل من الناس ، وذلك عبر التزلف لليونان تارة أو التودد للرومان طورا . وهذا هو دأبهم اينما كانوا وحيثما حلوا ، وما أشبه اليوم بالامس .

---

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٨٩-٩٠ ٢ - كانت قيادة الحملة لتيطس ، راجع في هذا الصدد ، مصر والعرب واسرائيل في الكتب المقدسة . د . محمد أحمد محمود حسن ص ٨٧ دار المعارف بمصر ١٩٨٠ م . - ويذهب البعض الى انه في هذه الوقعة نال الاسينيون نصيبهم فسقضى عليهم نهائيا الجيش الروماني في صيف ٦٨ م وقد اوفدت مفرزة الى قمران فهدمت واحرقت من طالته من سكانها ولاذ من افلت بالفرار وضربت حامية عسكرية مخيمها على انقاض المدينة لعشرات السنوات حتى اخر القرن الاول) انظر دائرة فؤاد البستاني ٨٠/١٢ ٣ - مختصر تاريخ سوريا ٢٠١/١

٤ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٠/١٢ ٥ - مخطوطات البحر الميت "للعابدى" ص ٢٧-٢٨ وقارن مع : تاريخ فلسطين القديم : ظفر الاسلام خان ، ص ٩٢-٩٣ دار النفائس بيروت ط٤/١٤٠٤

الحالة الدينية

ربما تكون الحالة السياسية سببا مهما في توسيع دائرة الخلافات الدينية بين اليهود ، وهذه الخلافات كانت على الدوام سببا للشقاق الحاصل بين فرقهم ومجتمعاتهم ولا بد من التعرض للحالة الدينية لمعرفة الجو الذى عاش اليهود فيه ، وهذا يعطينا بالتالي صورة لمجمل الحياة الدينية في العصرين اليوناني والروماني .

ومن خلال استعراض صور العبادات الوثنية والنحل اليونانية المتعددة والتي مرت في الباب السابق ، رأينا مدى تأثير العقائد الدينية المصرية القديمة والديانات الشرقة الوضعية على الوضع الديني اليوناني بشكل عام .

ولم ينحصر هذا الجو على اليونان فقط بل خيم شبح هذه الديانات المرقعة على شعوب المستعمرات القديمة ، ومع انهزام الامبراطورية اليونانية واضمحلالها ورث الرومان هذه التركة السقيمة واصبحت روما ومستعمراتها مسرحا لمزيج من الاديان الوضعية الوثنية المختلفة .

وقد ظلت روما تحافظ عليها كما طورت بعضها واخترعت لها اسماء وكنى جديدة لم تكن في السابق وابقت على البعض الاخر كما هو بكامل طقوسه وتقاليده من مصادره الام .

وكان الاثر الكبير الذى تلقته روما ناتجاً عن العقائد الشرقية التي أمدت نحلها بشتى انواع العقائد . وقد عمل الاباطرة الرومان على اكتساب ود الشعوب المستعمرة وذلك بالابقاء على عباداتها المحلية دون فرض طقوس معينة وكانوا يسترضون الكهنة بشتى انواع الهبات مما اسهم في ازدياد ثروتهم ونفوذهم . (١) .

وتعتبر ديانات شعوب البحر المتوسط في تلك العصور من اهم مصادر الفكر الديني الروماني فمن سوريا مثلا كانت عبادة اودونيس وهداد واترجاتس . (٢) ومن مصر القديمة كانت عبادة ايزيس اله القمر واوزوريس وحوروس وسيراميس . (٣) ومن فارس كانت عبادة متراس ابن اهرامزدا اله النور (٤) (٥)

---

١ ـ قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٦

٢ ـ المرجع السابق

٣ ـ سوسيولوجية الحضارات القديمة ١٣٠

وراجع كذلك ما كتبه العقاد عن هذا الموضوع ١١/٢٦٥ من المجموعة الكاملة

٤ ـ سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٥ ـ قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٦ وراجع المجموعة الكاملة للعقاد ١١/٢٦٥

ومن العبادات الموروثة عن الغرب :

عبادة "ديونيسيس" اليونانية التي اقتبست منها فيما بعد عبادة جوبيتر الروماني اله السماء . وهناك عبادة مارس اله الحرب وهركوليس اله الشجاعة (١) .

اما معبوداتهم الخاصة التي نسجوها فكانت عبادة " سيبيل " وعبادة " أتيس " .

كما دأب الرومان على تأليه قيصر والاباطرة وانطونيوس وكثير من العظماء المحليين في حياتهم وبعد مماتهم وأخذت هذه الالهة تمتزج بعضها ببعض بتأثير التجارة والحرب فيزداد عددها ويعظم شأنها في كل مكان ، وتقام الصلوات بالف لغة لألف إله أملا في النعيم والنجاة فلم تكن الوثنية والحالة هذه دينا واحدا بل كانت أجمة من العقائد المتشابكة المتناقضة المتنافسة وكثيرا ما كان يتداخل بعضها في بعض وتختلط اختلاطا متعمدا مختارا) (٢) .

ولم يقتصر هذا التعدد على ما ذكرنا بل انتقل التأليه الى كل مظاهر الحياة (فهناك إله لكل ملكة ولكل حاسة ولكل جزء من أجزاء جسم الانسان بل والاكثر من هذا ان الطفل عندما يذهب الى المدرسة تخصص له أربعة أرباب إثنان منهما مختصان بالذهاب واثنان اخران مهمتهما ان يعودا به سالما الى والديه (٣) .

هذه الحالة ادت الى صرخة صاحت بها إحدى النساء قائلة (إن بلادنا غاصة بالأرباب بحيث يسهل على المرء أن يلقى فيها ربا من أن يصادف رجلا) (٤) .

بعض صور العبادات القائمة :

تنوعت صور العبادات الرومانية تنوعا لا يختلف كثيرا عن المضمون الذى رافق الحياة الوثنية اليونانية القديمة .

من هذه الصور ما جاء عن عبادة سيبيل (التي ثبتت في كل من " ليديا " وفريجيا " وايطاليا وافريقية وغيرها من الاقاليم وظل كهنتها يخصون انفسهم كما فعل حبيبها "آتيس" فاذا اقبل عيدها الربيعي صام عبادها ، وصلوا وحزنوا لموت

---

١ - سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٧

٣ - سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٤ - المرجع السابق

" أتيس " ، وجرح كهنتها سواعدهم وشربوا دماءهم وحمل الاله الشاب الى قبره باحتفال مهيب فاذا كان اليوم الثاني ضجت الشوارع بأصوات الفرح الصادرة عن الأهلين المحتفلين ببعث أتيس وعودة الحياة الى الارض من جديد وعلا صوت الكهنة ينادى اولئك العباد (قووا قلوبكم ايها العباد المتصوفون لقد نجا الاله وستكون النجاة حظكم جميعا) . (١)

هذه الصورة ليست هي الوحيدة التي كانت ذائعة ابان عهود الرومان فالى جانب ذلك (كانت ايزيس الالهة المصرية والام الحزينة والمواسية والمحبة وحاملة هبة الحياة الخالدة تلقى من التكريم اكثر مما تلقاه سيبيل وكانت شعوب البحر الابيض المتوسط تعرف كيف مات زوجها وكيف قام بعدئذ من بين الموتى وكان يحتفل بهذا البعث السعيد في كل مدينة كبيرة وكان عباده المبتهجون ينادون (لقد وجدنا اوزوريس من جديد) وكانوا يرمزون الى ايزيس بصور وتماثيل تحمل بين ذراعيها حورس ابنها الالهي ويسمونها في الاوراد والادعية ملكة السماء . . . وام الاله (وكانت) هذه الطقوس اقرب العبادات الوثنية الى المسيحية) . (٢)

وكان انتشار دين ايزيس من مصر الى بلاد اليونان في (القرن الرابع قبل الميلاد ثم انتشر الى صقلية في القرن الثالث والى ايطاليا في القرن الثاني ثم انتشر بعدئذ في جميع اجزاء الامبراطورية). (٣)

ومن الصور الخاصة بالعبادات والطقوس الفارسية التي انتقلت الى تلك الاجواء ، عبادة " ميثراس " (اذ كانت القرابين تقرب اليه . . . كما كان عباده يشتركون في تناول طعام مقدس من الخبز والنبيذ ، وكانت الاشارة التي يختتم بها عيده هي دقات ناقوس وكان يحتفظ على الدوام بنار (موقدة) امام القبو الذى يمثل فيه الاله الشاب يطعن الثور بخنجره . . . ويقول كهنته ان الناس كلهم سيحشرون لا محالة امام مثراس ليحكم بينهم) (٤)

وقد انتشرت هذه الاساطير التي تبعث في نفس اصحابها الامل والقوة في القرنيين الثاني والثالث من التاريخ الميلادى في غربي اسيا وانتقلت منه الى اوروبا . وروع الاباء المسيحيين ما وجدوه من اوجه الشبه بين دينهم وبين المثراسية وقالوا : ان الثانية قد سرقت هذه العبادات عن المسيحية او انها في المثراسية حيل مضللة احتال بها عليهم الشيطان . . . وليس من السهل ان نعرف اى الدينين اخذ عن الاخر ولعل الاثنتين قد تسربت اليهما افكار كانت وقتئذ منتشرة في جو بلاد الشرق) . (٥)

---

١ - : قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٧   ٢ - المصدر السابق وراجع مجموعة العقاد ١١/٢٦٥

٣ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٨   ٤ - المصدر السابق ٣/٣ : ١٤٩-١٥٠

٥ - المصدر السابق ٣/٣ : ١٥١

ومن صور العبادات التي اخذت عن اليونانية ايضا ما كان يمثل طقوس الاورفيين الخاصة بشرب (دم ثور يضحون به للمنقذ الميت الذى يكفر عن خطاياهم ويوحدون بينه وبين هذا المنقذ وكان الاشتراك الجماعي في تناول الطعام والشراب المقدسين من المظاهر الكثيرة في اديان البحر الابيض المتوسط وكثيرا ما كان اهل هذه الاديان يعتقدون ان هذا الطعام ستحل فيه بهذا التقديس قوى الاله ثم تنتقل منه بطريقة سحرية خفية الى المشتركين في تناوله (١) .

وقد توجت هذه العبادات بصورة هي اقرب الى الواقع المعبر عن الحالة الدينية التي سادت العصر الذى يدور الحديث عنه .

اذ ان هذا العالم كان غنيا بمن فيه من السحرة ومدعي صنع المعجزات والمتنبئين والمنجمين والزهاد والقديسين ومفسرى الاحلام العلميين ، وكانت كل حادثة غير عادية تتخذ نذيرًا إلهيًّا بما سيقع من الحوادث في المستقبل . واصبح لفظ " اسكيسيز " (AS KE SiS) الذى كان معناه عند اليونان تدريب الجسم تدريبا رياضيا يقصد به وقتئذ اخضاع الجسم لسلطان الروح فكان الناس يضربون انفسهم بالسياط ويبترون اعضاءهم ويحيمون انفسهم او يقيدون اجسامهم بالسلاسل في مكان واحد ، ومنهم من كانوا يموتون نتيجة لهذا التعذيب او الحرمان الذاتي (٢) .

وهنا يجب التوقف عند هذه النقطة الهامة التي ستفتح المجال للبحث في صلب موضوع الرهبنة اليهودية ، رهبنة جماعة وادى قمران .

يقول ديورانت معقبا على كلامه السابق الموصل الى هذه النقطة :

(ولجأ جماعة من اليهود وغير اليهود رجالا ونساء الى الصحراء المصرية القريبة من بحيرة مريوط ، يعيشون فيها منفردين في صوامع وبيع ، ويحرمون على انفسهم جميع العلاقات الجنسية ، ويجتمعون في يوم السبت للصلاة الجامعة ويسمون انفسهم معالجي النفوس (thERA PeutAe) . (٣)

هذه النحلة هي محور الرهبنة اليهودية ومنها انبثقت جماعة وادى قمران موضوع هذا الباب . والتي عاشت وسط هذه الاجواء الدينية ،

---

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٥١

٢ - المرجع السابق

٣ - المرجع السابق ، وراجع كذلك معالم تاريخ الانسانية ٣ / ٧٣٠ ، "والمسيح" (حياة المسيح) للعقاد ١١ : ٢٦٦

ومما لا شك فيه ان هذا الجو الديني الوثني المكفهر اشاع لونا من الوان التقلب الفكري والديني على السواء في منطقة حوض البحر المتوسط . كما انعكس على عقائد اليهود .

فعلى الرغم من الادعاء بان الفكر اليهودي كان مناوئا للفكر الديني الوثني وانه كان خصما له ،الا ان هذا الخصم لم يكن جادا في دعوته للخلاص من الوثنية ولم يكن يهدف في الاصل الى التغيير من وضعه العزري والا لما تسرب اليه شيء منها .

فالواقع يشهد ان اليهود كانوا في عقيدتهم مشوشين ومضطربين وانهم في أحقاب كثيرة كانوا يدخلون العقائد الوثنية في دينيهم .

والقرآن الكريم يفضح اليهود ويؤكد هذه الحقيقة ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى (وإذْ قَالَ موسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ) (١) وقوله تعالى (قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَة) (٢) .

وقد اكد هذه الحقيقة لوبون حينما اورد العبادات الوثنية التي اقتبسها اليهود عمن جاورهم من الامم ، من ذلك عبادة تموز ابن عشتار الذي دعي فيما بعد أدونيس الاغريقي كما ظلت عبادة الشمس والقمر والنجوم سائدة فيهم . وكانت عبادة الشمس تختلط آنئذ بعبادة الحيوانات وذلك لما كان من تصوير القوم على جدر معبد يهوه صور الزحافات والبهائم والاشياء الكريهة وجميع الهة ال اسرائيل (٣)

ومن معبوداتهم ايضا مولك اله النار ، وكان الفينيقيون على الخصوص يعبدون بعلا فادخلته ايزابيل الصيدونية على الخصوص الى العبريين) (٤)

---

١ - البقرة : ٥٤

٢ - الاعراف : ١٣٨ ٣ - لاحظ : اليهود في تاريخ الحضارات ص ٦٥ ، ط : عيسى البابي الحلبي .

٤ - اضافة الى ذلك فان التفاعل بين اليهودية والوثنية ظل مستمرا فمن جهة كان من الوثنيين من يخصون (العلي) اله اليهود بعبادة الى جانب عباداتهم لالهتهم وكان اخرون يعتنقون عقائد اليهودية ويختلفون الى معابدهم واخرون يدخلون في الملة اليهودية ومن جهة اخرى كان اليهود يتاثرون بالفلسفة اليونانية اعلاهم شانا واعظمهم نفوذا في اخوانهم يهود الاسكندرية وكانوا يؤلفون جالية غنية زاهرة اخذة بحظ كبير من الثقافة اليونانية حتى انهم لم يكونوا يقرأون التوراة الا في الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية وكانوا يضيفون اليها مثلما للاصل من كرامة وعصمة ولكن كان منهم الكفار اضلتهم السفسطة اليونانية فاعرضوا عن الله وشريعته وكان اخرون يدينون بدينهم ويتحللون من قيود الشريعة بالتاويل المجازي) تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص ٢٤٧

الجدير بالملاحظة ان اليهود ربما عاشوا مسالمين للفكر الوثني فيما لو اتيحت لهم فرصة العيش دون فرض المكوس عليهم من المستعمر ودون الزامهم بالضرائب للدولة الغازية . ولولا الناحية المالية والمادية لما قامت ثورات اليهود على اليونان والرومان والتي على اثرها انمحى اثر اليهود من ارض فلسطين .

ويضاف الى تلبد الجو الوثني ما أشاعه اليهود أنفسهم من فرقة بين أحزابهم وجمعياتهم السرية والعلنية والتي وصلت علاقاتها فيما بينها الى حد القطيعة اذ ان المنافسة بين هذه الفئات ما فتئت تتفاعل وتتضاعف الى درجة الخطورة ، وحينما وقع الصدام استصرخ المتناحرون منهم بالقياصرة تاره وبالاباطرة تارة اخرى للقضاء على ابناء جلدتهم كل يريد الخلاص من خصمه بعد ان بلغ الامر ذروته .

ولم يكن عالم النزاع والشقاق ليستمر بين الفرق اليهودية المتناحرة لولا وجود بوادر مشجعة أسهمت في تاجيج نار الخلاف .

كما لم يكن لهذا النزاع ان يستمر بين اليهود والامبراطوريات المستعمرة لولم تكن هناك جذور قابلة لبث سموم الفرقة بين هذا الشعب المتمرد والشعوب الاخرى .

هذه البوادر وتلك الجذور هي نتيجة حتمية لروح العقيدة اليهودية المتقلبة والقابلة للتشرذم والانقسام كخلايا الديدان المتكاثرة والمتشعبة على الدوام تشعب خيوط العنكبوت .

واذا ما استقرأنا نفسية اليهود المضطربة الحائرة المتمردة لادركنا اسباب اعراضها عن خالقها ، واباتها الخضوع لاوامره ، فتحرف كتبه ، وتقتل رسله ، وتغتال انبياءه وتلحق بربها من الصفات مالا يليق به تبارك وتعالى .

ومن هذا نصل الى تشخيص مرض هذه الامة ، فهي : امة تريد العيش والبقاء على دماء الاخرين ، كالحشرات والطفيليات التي تمتص دماء البشر ، ولهذا تخترع كل يوم اساليب خبيثة لهذا الغرض ، ومن هذا المنطلق تتعامل مع الشعوب بشعارها الدائم (الغاية تبرر الوسيلة) .

تلك هي ابرز سمات الفكر اليهودى الذى يرجع في اساسه الى تلك العقيدة المحرفة التي غيرت مفهوم الالوهية واخرجت صفات البارى تعالى من حدود الكمال الى النقص ومن التنزيه الى التشبيه والتعطيل والتجسيم كما ان الانبياء لم ينجوا من السنتهم وحرابهم وسوف نتعرض باذن الله لهذا الانحراف العقدى قبل استعراض اهم الفرق اليهودية واهم ارائها وسبادئها والتي ستوصلنا الى بيت القصيد وهو الحديث عن رهبان جماعة قمران والتعرف على منهجهم وعقائدهم وما دار من خلاف حولهم .

وسوف نرى كيف ستكون هذه الفرقة حلقة من حلقات الوصل بين رهبنة الاديان الوضعية ورهبانية اهل الكتاب .

الفصل الثاني : العقائد اليهودية ونقدها

اولا : موقفهم من الالوهية :

بعث الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله الى بني اسرائيل لهدايتهم وارشادهم الى الطريق المستقيم ، وأنزل معهم الكتب والصحف هدى ونورا ليحكموا بها بين الناس ، الا أن اليهود انحرفوا وكفروا فاستحقوا لعنة الله تعالى وغضبه ، ومرد ذلك يعود الى عدة مواقف اتخذوها من عقيدة التوحيد التي أمروا بها .

وعليه فان تاريخ اليهود زاخر بالويلات والنكبات التي حلت بهم عقابا لهم لخروجهم عن طاعة الله تعالى وضربهم الكتاب بعضه ببعض واختلافهم على انبيائهم وها هي كتبهم المحرفة شاهدة عليهم . ولا أدل على ذلك من الزيغ في العقيدة حيث شبهوا الله وجسموه ووصفوه بما لا يليق به سبحانه .

فمن ذلك ما جاء في العهد القديم (فأكملت السموات والارض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا) .(١)

ومن ذلك ايضا ما جاء في قصة آدم وحواء :

(وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة . فنادى الرب الاله آدم . وقال له : أين أنت ، فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها . فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي أعطتني من الشجرة فأكلت) .(٢)

ولقد وصل بهم الأمر الى أبعد من التشبيه والتجسيم حيث حرفوا في سفر التكوين بما يوهم القول بتعدد الالهة (وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الأبد ، فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها فطرد الانسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة)(٣)

كما أمعن اليهود أيضا إمعانا كبيراً في التشبيه والتجسيم بل ان كل نقص استحال في حق الله تعالى لم يخجلوا من ايراده وذكره حتى غدت كل نصوص التوراة واسفارها المقدسة تصف الله بصفات المخلوقات دون تنزيه أو مراعاة للكمال الواجب له سبحانه .

١ - سفر التكوين : ٢ / ١-٣
٢ - التكوين : ٣ / ٨- ١٣
٣ - التكوين : ٣ / ٢٢-٢٤

وزيادة على ما سبق اليك بعضا مما جاء في العهد القديم من صفات لا تليق بذات الله تعالى ولا بصفاته :

من ذلك ما أوردوه من قصص خرافية توحـــي بظهور الله تعالى ظهورا عيانا فمن ذلك ما جاء في سفر التكوين (وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطي هذه الارض) .(١)

ومن الصفات ايضا :

(-لقاء موسى عليه السلام وارادة قتله .(٢) - الاجتياز والخروج في وسط مصر .(٣)
-الخروج والصعود والوقوف .(٤) والنوم والاستيقاظ .(٥) - التعب .(٦)
-الحنق (٧) - الحزن (٨) - العمق (٩) - الندم (١٠) - الدعاء بالويل على نفســه (١١)
-الزمجرة والصراخ والهتاف (١٢) - التغمســـة (١٣) - الوجود في الزو بعـــة (١٤)
-التشبــه بالمخلوقات (١٥) -

كما أنهم نسبوا لله تعالى الأبوة . من ذلك قولهم :
(هو يبني لي بيتا وانا اثبت كرسيه الى الابد ، انا اكون له ابا وهو يكـــون لــــي ابنا ولا انزع رحمتي عنه كما نزعتها عن الذى قبلك) .(١٦)

كما نسبوا البـــنوة لله تعالى وسموا أنفسهم أبناء الله :
(ان أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا) (١٧)

---

١ - راجع التكوين ١٢ : ٧ وكذلك ١٧ : ١ وراجع ظهوره لكل من : سارة في تكوين ١٨ : ١٠-١٥ ولهاجر تكوين ١٦ : ٧-١٤ ولاسحاق ٢٦ : ٢ وليعقوب ٢٨ : ١٦-١٧
ولموسى سفر الخروج ٣ : ٦ ولسليمان ، الملوك الاول ٣ : ٥ ولاشعياء ، اشعيا ٦ : ١-٥
ولارميا ، أرميا ٣١ : ٣ ولحزقيال ، حزقيال ١ : ٢٦-٢٨
٢ - راجع سفر الخروج ٤ : ٢٤-٢٦ ٣ - الخروج ١١ : ٤-٥
٤ - مزامير ٦٨ : ١٨ وكذلك حزقيال ٩ : ٣ و ١٠ : ١٨-٢٠ وزكريا ١٤ : ٣-٤
والقضاة ٥ : ٤
٥ - أرميا ٣١ : ٢٣-٢٦ ومزامير ٧٨ : ٦٥-٦٦ وزكريا ٢ : ١٣ ومزامير ٤٤ : ٢٣
٦ - ملاخي ٢ : ١٧ ٧ - اشعيا ٦٦ : ١٤ ٨ - ارميا ٨ : ١٨ و ٨ : ٢١
٩ - أيوب ١١ : ٧-٩ ١٠ - هناك العديد من النصوص انظر مثلا : خروج ٣٢ : ١٢-١٤
صموئيل الاول ١٥ : ١٠-١١ صموئيل الثاني ٢٤ : ١٦ ، مزامير ١٠٦ : ٤٤-٤٥
ارميا ٢٦ : ١٣ عاموس ٧ : ٣-٨ يونان ٣ : ١٠
١١ - أرميا ١٠ : ١٨-٢٠ ١٢ - ارميا ٢٥ : ٣٠ ١٣ - اشعيا ١ : ١١ ١٤ - ناحوم ١ : ٣
١٥ - اشعيا ٤٢ : ١٣ و ٤٠ : ٢٢
١٦ - الايام الاول ١٧ : ١٢-١٣ وملاخي ١ : ٦ وصموئيل الثاني ٧ : ١٤
١٧ - تكوين ٦ : ٢ وانظر ايضــا ايوب ٢ : ١ ومزامير ٢ : ٧ ومزامير ٢ : ١١-١٢ و ٢٩ : ١

ولم يقتصر الامر على ما ذكر ، بـل تجاوزوا الحدود باتخاذهم الاصنام والاوثان

ومن الادلة على اثبات عكوف بني اسرائيل على عبادة الاصنام ما جـاء في اسفارهم من فضائح ولم يكن اتخاذ الاوثان مقتصرا على عصر موسى عليه السلام بـل ان في عهدى يشوع والقضاء نصوصا تدل على ارتكاب مثل هذا الكفر البواح من قبلهم.(١)

وقد تعقب الامام ابن حزم مراحل ارتداد بني اسرائيل عن الايمـان وعبادتهم للاوثان في عهد القضاة واورد اسماء الولاة الذين تم في عهدهم هـذا الارتداد ، وقد بلغت حسب تتبعه رحمه الله سبع ردات (٢) .

كما تتبع د . عبد الشكور محمد امان هذه المراحل وفصلها وارجعهـا الى عهودها وفق ما هو مذكور في نسخ العهد القديم المتداول حديثا والتي جاءت على النحو التالي :

---

١ - من النصوص التوراتية التي تثبت عبادتهم للاوثان ما يلي :

- سفر التثنية ٤ - : ٣-٤
- سفر العدد ٢٤ : ١-٣
- مزامير ١٠٦ : ١٩-١٠
- هوشع ٩ : ١٠

ومن النصوص الاخرى :

في - يشـوع ٢٤ : ٢٣
- قضـاة ٢ : ١٩
- // ٢ : ١٠-١٣
- // ٣ : ٥-١٧

وتجدر الاشارة الى ان التفصيل الذى اورده د . عبد الشكور محمد امان عن عقائد بني اسرائيل ما يغني القارئ اذ انه يجد بيانا وافيا لهذه العقائد الضالة والانحرافات الشاذة، راجع بتوسع : بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهيـة د . عبد الشكور محمد امان العروسي ١ / ٢٤٢ -٤٠٧ ، رسالة دكتوراه ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ .

٢ - راجع الفصل لابن حزم ١ / ١٤٩

- المرحلة (١)	- عدد اعوام الارتداد	- اسم السفر	
الاولى	٨	القضاة	٣ : ٨
الثانية	١٨	//	٣ : ١٤
الثالثة	٢٠	//	٤ : ١-٣
الرابعة	٧	//	١٦ : ١
الخامسة	٣	//	٨ : ٢٧-٣٣-٣٤
السادسة	١٨	//	١٠ : ٦-٨
السابعة	٤٠	//	١٣ : ١

اما في عهد الملوك فقد بلغ عدد ملوك مملكة يهوذا عشرين ملكا توارثوا عبادة الاوثان لم يستقم منهم سوى خمسة فقط (٢)

وقد ذكر ابن حزم رحمه الله ان اليهود قد اتخذوا الها اخر من دون الله اطلقوا عليه اسم "صندلغون" ويقول في هذا الصدد :

(واعلموا انهم افردوا عشرة ايام من أول اكتوبر يعبدون فيه ربا آخر غير الله عزوجل ، فحصلوا على الشرك المجرد ، واعلموا ان الرب الصغير الذى افردوا له الايام المذكوره يعبدونه فيها من دون الله عز وجل هو عندهم صندلغون الملك خادم التاج الذى في راس معبودهم وهذا اعظم من شرك النصارى . (٣)

---

١ - بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ، د . عبد الشكور محمد امان ، ١ / ٣٩٣

٢ - يراجع في هذا الصدد الاسفار التالية :

١ - سفر الملوك الثاني ٨ ; ١٨

٢ - اخبار الايام الثاني ٢١ : ٦و ١١ - ١٠

٢ - اخبار الايام الثاني ٣٦ : ١١-٢١

٣ - في مملكة اسرائيل ظلت عبادة الاصنام منتشرة فيهم راجع :

سفر الملوك الثاني ١٧ : ٧-٢٤

وراجع في هذا الصدد ما كتبه ابن حزم عن ذلك في الفصل ١ : ١٥٠ ، ومطالعات د . عبد الشكور في " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية" : ١ / ٣٩٥-٣٩٩

٣ - الفصل ٢ / ١٨ وتعقيبات كل من د . علي عبد الواحد وافي في كتاب الاسفار المقدسة ص ٢٩ ود . عبد الشكور في " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ١ / ٤٠٤

لقد فضح القرآن الكريم في كثير من السور والايات تلك المراحل التي انحرف فيها التفكير العقدي لدى اليهود ونبه الى الجرائم التي ارتكبوها بكفرهم وفسقهم بحق الله تبارك وتعالى ، وقد أشار الى هذا الانحراف من خلال توراتهم المحرفة التي دسوا فيها ما شاؤوا من أباطيل وخرافات وأساطير ،

ففي طلبهم من موسى رؤية الله يقول الحق تبارك وتعالى :

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .(١)

وقد بينت الآية الكريمة ضيق أفق هؤلاء القوم واهتزاز ايمانهم بعالم الغيب كما يدل طلبهم هذا على سوء الأدب لاعتادهم على الابتزاز أسلوبا وطريقا وكأن قضية الايمان تدخل في باب المساومة كالبيع والشراء . ولهذا طلبوا من موسى عليه السلام ما طلبوا . وفيه دليل على سوء طويتهم .

وفي مرحلة لاحقة قالوا لموسى عليه السلام :

(. . . يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ .) (٢)

وقد أوضحت الآية هنا مدى تورطهم في التقليد الأعمى المبني على محاكاة العقائد الوثنية ، اذ مر هؤلاء الجهلة على قوم يعبدون أصناما على صور البقر (فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك) (٣)

كما يدل على ان هؤلاء ارتبط ايمانهم بالمحسوس فقط مضاهاة للوثنيين الذين عاصروهم .

ولم يكتفوا بمجرد الميل الى الهوى وطلب الاشراك بالله فقط بل ما لبثوا ان اتخذوا العجل الها بمجرد غياب موسى عليه السلام لميقات ربه .

(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) .(٤)

---

١ - البقرة : ٥٥-٥٦

٢ - الاعراف : ١٣٨-١٤٠

٣ - : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٢ / ٢٤٢-٢٤٣ ، ط : المكتبة الشعبية

٤ - الاعراف : ١٤٨

وهذه الآية لها ارتباط بما سبق " اذ يخبر الله تبارك وتعالى عن ضلال من ضل من بني اسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط الذين كانوا استعاروا منهم فشكل لهم منه عجلا ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا جسداً له خوار ، والخوار صوت البقر وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى فأعلمه الله تعالى بذلك) .(١)

وعلى هذه الشاكلة كانت نفوس القوم تتأرجح ، فكلما وجدوا فرصة للفرار من عقيدة التوحيد تمسكوا بها حتى اذا جاءهم العقاب عدلوا عن غيهم والتزموا أمر ربهم ولكنهم ما يلبثون حتى يعودوا لما نهوا عنه فازدادوا ضلالا وارتكاسا .

وقد رد القرآن عليهم حينما نسبوا لله تعالى الولد :

فمن ذلك قوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) .(٢)

وهذه الشبهة التي وقعوا فيها تعود الى اعجابهم بالعزير نتيجة كتابته للتوراة دون الرجوع الى نصوص مكتوبة في أسفار . (٣)

وفي مجال الرد على صفات النقص التي ألحقوها بالباري تعالى يقول سبحانه :
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) .(٤)

وفي جانب آخر يرد القرآن عليهم في نسبة الفقر الى الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) .(٥)

---

١ - تفسير ابن كثير : ٢ / ٢٤٧

٢ - التوبة : ٣٠

٣ - : تفسير ابن كثير ٢ / ٢٤٨

٤ - المائدة : ٦٤

٥ - ال عمران : ١٨١

وقد تعقب كثير من العلماء المسلمين افتراءات اليهود على الله تعالى فمن ذلك ما أورده الامام ابن حزم في الفصل ردا على ما جاء في توراتهم المحرفة

من أن الله تعالى قال (هذا آدم قد صار كواحد منا) ان هذا يعتبر (مصيبة من مصائب الدهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد ادى هذا القول الخبيث المفترى كثيرا من خواص اليهود الى الاعتقاد ان الذى خلق آدم لم يكن الا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار الها من جملة الالهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الاحمق).(١)

أما ما ألصقوه من صفة التعب والنصب بالله تعالى فهو افتراء وبهتان . فالله تعالى قادر على كل شيء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو القائل (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب).(٢)

وهذا رد عليهم فيما أوردوه في كتبهم المحرفة .(٣)

وعليه فان كل شبهاتهم وافتراءاتهم تدور حول تشبيه الله تعالى بخلقه وهذا باطل لان الله تعالى (منزه أن يكون من جنس شيء من المخلوقات : لا أجساد الآدميين ، ولا أرواحهم ولا غير ذلك من المخلوقات ، فانه لو كان من جنس شيء من ذلك بحيث تكون حقيقته كحقيقته للزم أن يجوز على كل منهما ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه وهذا ممتنع : لأنه يستلزم أن يكون القديم الواجب الوجود بنفسه غير قديم واجب الوجود بنفسه ، وأن يكون المخلوق الذى يمتنع غناه يمتنع افتقاره الى الخالق ، وأمثال ذلك من الأمور المتناقضة والله تعالى نزه نفسه أن يكون له كفو أو مثل أو سمي أو ند).(٤)

---

١ - : الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام ابن حزم الظاهرى ١/ ٩٥ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة .

٢ - ق : ٣٨

٣ - انظر في سبب نزول هذا الرد : "أسباب نزول القرآن" لابي الحسن علي بن الواحدى ت : السيد احمد صقر ص ٤٢٠-٤٢١ ط٢ - ١٤٠٤هـ

٤ - : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥ /٢١٧ ط١ ١٣٩٨هـ

ثانيـــا : موقفهم من الانبياء والرسل "عليهم السلام"

اذا كانت ألسنة اليهود السليطة وكتبهم المحرفة قد تعرضت للذات العلية بصفات النقص ومشابهة الحوادث فليس من المستبعد بعدها ان يكون مقام الانبياء والرسل هدفا لسهام القدح والشتم من قبل اليهود بل والضرب والقتل والنشـــر لانبيائهم .

وعليه فان (الموقف الاجمالي من أنبياء الله تعالى الذى وقفه بنو اسرائيل في تاريخهم الطويل وشهدت به عليهم أسفارهم ، انهم لا يراعون لانبياء الله حرمـــة ولا يعتقدون فيهم العصمة ، بل كانوا يكفرون بهم ويؤذونهم ويرمونهم بعظائم الامور من الصفات القبيحة والخصال الشنيعة ولم يقتصروا على الايذاء والتكذيب والتجريـــح بل اعتدوا على عدد كبير من انبياء الله بالقتل غير مبالين بغضـــب الله وسخطه) (١)

ونتيجة لعدم اعتراف اليهود بعصمة الانبياء فقد جوزوا في حقهم ارتكاب الكبائر والآثام والمحرمات فمن ذلك :

ا - اتـــهام آدم بعدم الاستغفار من ذنبه (٢)

ب - اتهام نوح عليه السلام بشرب الخمر (٣)

ج - اتهام لوط عليه السلام بالزنى بابنتيه (٤)

د - اتهام ابراهيم عليه السلام بالكذب وتسليم زوجته سارة دون مقاطعة . (٥)

هـ - اتهام اسحق عليه السلام بالكذب (٦)

و - اتهام يعقوب عليه السلام بالكذب (٧)

ز - اتهام داود بالزنى (٨)

حـ - اتهام سليمان بالارتداد عن الدين . (٩)

هذا غيض من فيض مما تطفح به تلك الاسفار المحرفة من وصف للانبياء والرسل بما هم بريئون منه . فالانبياء والرسل ازكى الناس واطهرهم وافضلهم . ومثل هذه الذنوب التي نسبها اليهود اليهم لا يمكن ان تقع من احد منهم بحال من الاحوال

وهذه الاتهامات الشنيعة هي في حقيقتها تدخل في باب التعدى على حرمات الله تبارك وتعالى فهي محاولة دنيئة من قبل حاخامات اليهود للنيل من ديـــن الله القويم وصراطه المستقيم وذلك اتباعا لهوى النفس وتبريرا لجرائمهم واثامهم التـــي يقترفونها على الدوام واعطاء الفرصة للاجيال القادمة لاستباحة حرمات الله تحت ستار الاقتداء بالانبياء والرسل .

---

١ - : بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ٢ / ٤٢٦

٢ - : تكوين ٣ : ١-٢٤ ٣ - تكوين ٩ : ١٨-٢٥ ٤ - تكوين ١٩ : ٣٠ ٥- تكوين ١٢ : ١-٣ ٦ - تكوين ٢٦ : ١-٧ ٧ - تكوين ٢٧ : ١-٣ ٨ - صموئيل ٢ : ١١

٩- الملوك الاول ١١ : ٢-٢١ وانظر في مجال رد الطعون : اظهار الحق ص ٥٧٠

ولهذا فان جرائم اليهود في العصور السالفة والحالية تمثل انعكاسا واضحا لتعاليم التوراة المحرفة الصاغة وفق مخططات اليهود واطماعهم ، وما أضافوه من تعاليم التلمود ، وغيرها من الكتب السرية والعلنية تحقيقا لاهدافهم الدنيئة

وهذه الصورة الواقعية توضح اختلال مفهوم النبوة والرسالة عند هم فحالة فقدان أسس وقواعد الدين القويم كفيلة بجعل هذا المجتمع متفكك الاواصر متفرق الاهداف فضلا عن الكفر والضلال .

والاضطراب في مفهوم النبوة والرسالة كان سببا من أسباب كثرة الانبياء في بني اسرائيل فمنهم من كان مرسلا من عند الله تبارك وتعالى مؤيدا بالوحي والحق . الى جانب ذلك وجد بين بني اسرائيل مصلحون ،فأطلق اليهود عليهم اسم النبوة ، كما وجد بينهم من ادعاها زورا وبهتانا ووجود هؤلاء الكذبة كان بمثابة رد فعل للنظام الطبقي الذى انتشر بين اليهود والمتمثل بسيطرة قطاع كبير من الاثرياء على مقاليد النفوذ مما أشاع جوا من الحقد والضغينة وأسهم في ابراز هؤلاء المتنبئين (الذين يستطيعون قراءة قلوب الناس (كذبا) وماضيهم ويخبرونهم بمستقبلهم حسبما يتقاضون منهم من أجور ومنهم متعصبون متهوسون يستثيرون مشاعرهم بالأصوات الموسيقية الغريبة أو المشروبات القوية أو الرقص الشبيه برقص الدراويش وينطقون بعبارات يراها أصحابهم وحيا أوحي اليهم أي تمشيا فيهم روح غير روحهم) . (١)

وهذا ما برع فيه الكهنة الذين استطاعوا الوصول الى مناصب مرموقة في المجتمع اليهودى وسيأتي الكلام عنهم بعد الحديث عن موقفهم من عقيدة البعث والحساب (اليوم الاخر) ان شاء الله تعالى .

اما موقف الاسلام المشرف من الانبياء والرسل عليهم السلام فهو موقف يليق بتكريمهم واحترامهم والذب عنهم وهو مبني على أساس أنهم مختارون ومصطفون من الله تبارك وتعالى بتبليغ رسالته الى البشر ، مبشرين ومنذرين لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ولهذا فقول اكثر العلماء منعقد على وجوب كون الانبياء معصومين من الكبائر دون الصغائر يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : القول بان الانبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول اكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ، حتى انه قول أكثر أهل الكلام ،كما ذكر " ابو الحسن الامدى " ان هذا قول اكثر الاشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والائمة والصحابة والتابعين وتابعيهم الا ما يوافق هذا القول). (٢)

١ - : قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٤٩ وقارن مع : اليهودية د . شلبي ص١٦١-١٦٢

٢ - : فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٣١٩/٤

و مجمل القول فان الانبياء[1] معصومون من الكبائر بعد البعثة عمدا وسهوًا وكذا من الصغائر عمداً واذا وقعت منهم صغيرة سهواً بعد ها فانهم ينبهون على ذلـك واما قبل البعثة فانهم غير معصومين من الكبائر والصغائر اللهم الا ما ينفر الطباع عن متابعتهم في رسالاتهم .

وللعصمة متعلقات اهمـــها : العصمة من الكفر ٢ ـ العصمة من المعاصي ٣ ـ العصمة من الخطأ في التبليغ[2]

وللعصمة صفات منها : الصدق ، والتبليغ والامانة والفطانة وهذه من الواجبات في حقهم عليهم السلام .

اما ما يستحيل في حقهم فهو : الخيانة والكذب والغفلة والكـــتمـــان ما امروا بتبليغه . [3]

وقد ايد الله سبحانه وتعالى انبياءه ورسله الكرام بالمعجزات تصديقا لكل ما يبلغونه عنه وكانت مقرونة بالتحدى لمواجهة انحراف المنكرين ولإلزام الجاحدين

---

١ ـ والعصمة في اللغة : المنع وأيضا الحفظ : وفي الاصطلاح : حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحاله وقوعه . .) أو هي (لطف مـــن الله تعالى يحمله على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار للابتلاء والاختبار) : مختار الصحاح للرازى مادة عصم وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجورى ص ١٣٤ والفقـــه الاكبر للملا علي القارى ص ٩٤ دار الكتب العلمية ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م بيروت ، لبنان .

٢ ـ راجع : المواقف للايجي ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩

٣ ـ راجع في موضوع العصمة ومتعلقاتهـــا " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧

وقد اورد الرازى في اثبات وجوب العصمة ثلاثة أوجه :
أحدها : أن كل من كانت نعمة الله تعالى عليه أكثر كان صدور الذنب منه أقبح وأفحش ونعمة الله تعالى على الأنبياء أكثر فوجب أن تكون ذنوبهم أقبح وأفحش من ذنوب كـــل الأمة وأن يستحقوا من الزجر والتوبيخ فوق ما يستحقه جميع عصاة الامة وهذا باطـــل فذاك باطل .
الثاني : أنه لو صدر الذنب منه لكان فاسقا ولو كان فاسقا لوجب أن لا تقبل شهادتـــه لقوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) واذا لم تقبل شهادته في هذه الاشيـــاء فبأن لا تقبل في اثبات الأديان الباقية الى يوم القيامة كان أولى وهذاباطل فذاك باطل .
الثالث : أنه تعالى قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم (فاتبعوه لعلكم تفلحون) وقال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فلو أتى بالمعصية لوجب علينا بحكم هذه النصوص متابعته في فعل ذلك الذنب وهذا باطل فذاك باطل ، وأمـــا جميع الآيات الواردة في هذا الباب فاما ان تحمل على ترك الأفضل أو أن تثبت كونه معصية لا محالة فذلك انما وقع قبل النبوة) معالم أصول الدين ، فخر الدين الرازى ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ طه عبد الرؤوف سعد دار الكتاب العربي بيروت . وراجع في ذلك : أصول الدين لابي منصور البغدادى ص ١٦٧ ــ ١٦٩ دار الكتب العلمية ط ٢ ١٤٠٠ ـ بيروت

والقرآن الكريم يورد في كثير من السور والآيات قصص الانبياء والرسل عليهم السلام مع قومهم .

كما يشير بوضوح الى معارضة بني اسرائيل لهم والاعتداء عليهم بالقتل من ذلك قوله تعالى :

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) (١) .

ويقول الحق سبحانه :

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (٢) .

وهكذا يكون موقف الاسلام من الانبياء لائقا بهم كاشفا جرائم اليهود اعداء الحق والدين .

---

١ - البقرة : ٨٧

٢ - ال عمران : ١٨١

ثالثـــا : عقيدة اليوم الاخر :

ان المادية التي صبغت الفكر اليهودى كان لها من الاثار المدمرة أكثر ما أخرج اليهود من دائرة المؤمنين بالبعث والحساب ، وهذا يمثل ارتكاسا كبيـــرا وجوهريا لعقيدة اليوم الاخر والتي جاءت بها شريعة موسى عليه السلام ككل الاديان السماوية والتي اعتقد بها بنو اسرائيل في بداية الدعوة ثم حرفوها بعد ذلك . فالله تعالى ارسل رسله وانبياءه لهداية الخلق وانزل كتبه بالحق (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)[1] . و " الكتب السماوية من ركائزها الدعوة الى التوحيد والايمان باليوم الاخر فاذا ما خلت التوراة من هذه الركائز أو احداها فهي ليست توراة اللـه بل هي ألعوبة المحرفين ...)[2] .

وانكار اليهود لعقيدة البعث والحساب لا يشكل مفاجأة لدارسي النفسيـة اليهودية[3] . وما انطوت عليه اخلاقهم من مفاسد فردية واجتماعية ، أهمها : الحرص على متاع الدنيا ، وكثرة الجدال ، والعنصرية في التفكير ، وقسوة في القلوب وتهـور في الطباع والسلوك[4] .

والتبديل والتغيير والتحريف في التوراة من الأسباب الرئيسية فـي ابتعاد القوم عن أصول عقائدهم وعليه فقد باتت الفرق اليهودية تتضارب في عقيـدة البعث والنشور ، وتضع تصوراتها عنهما وفق أهوائها ، وقد خلت التوراة من ذكرهمـا تماما . وفي ذلك يقول ديورانت : (على أن اليهود قلما كانوا يشيرون الى حيـاة أخرى بعد الموت ، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود .

وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا ولم تدر فكرة البعث فـي خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض . ، ولعلهم أخذوا هذه الفكرة من الفرس أو لعلهم أخذوا شيئا منها عـــــن

---

١ - المائدة : ٤٤

٢ - الاديان في القرآن ، د . محمود بن الشريف ، ص ١٠٣ ط٣ سنة ١٩٧٩م دار عكاظ للطباعة والنشر .

٣ - راجع في هذا الصدد كتاب " دفائن النفسية اليهودية . د . محمد علي الزعبي ط . بيروت .

٤ - لقد فضح القرآن الكريم هذه الصفات الذميمة في كثير من آياته فمن ذلك قوله تعالى : (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) البقرة : ٩٦
وفي حب الجدال (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ . قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ .) البقرة : ٦٧-٧١
و عن قسوة القلوب (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) البقرة : ٧٤ .
و راجع في هذا الموضوع : " قصة الاديان " رفقي زاهر ص١٩٧ -٢٠٢ مكتبة النهضة ...

المصريين) (١)

وهذا النص يفسر ويؤكد لنا ما ذهب اليه د . المسيري (٢) من : ان العهد القديم ليس فيه اشارة واحدة الى البعث أو اليوم الآخر وأن فكرة الاعتقاد بالبعث بدأت تظهر في الكتابات اليهودية لتخدم فكرة العودة للارض ولعل هذا من الأسباب الكامنة في عدم تقبل الفرق اليهودية لفكرة البعث والحساب .

والايمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الايمان في الاسلام وقد شدد القرآن الكريم النكير على الكافرين لانكارهم البعث ، وقد عالجت الايات المكية هذه الناحية بصورة خاصة لان البيئة الجاهلية كانت لا تعتقد بهذه العقيدة .

فالله تعالى هو المحيي والمميت وهو القادر على بعث الاجساد وهو أهون عليه ، قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ . . .) (٣) .

(أَوَلَمْ يَرَوا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٤) .

واثبات هذه العقيدة لايتم وفق النظريات والقوانين التجريبية لتعلقها بالايمان بعالم الغيب ، فالفطرة السليمة التي وضعها الله تعالى في النفس البشرية هي القادرة على ادراك هذه الحقائق وأن ذوى الأبصار وأولي الالباب هم المتمكنون من النظر في الآيات الكونية المبثوثة في هذا الوجود والاستدلال على امكانية البعث والنشور، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك، ودعا الخلق الى التفكر والتدبر ، يقول سبحانه في ذلك (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٥) .

ويقول (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) (٦) .

ويقول سبحانه (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) (٧) .

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٨) .

وهكذا تأتي الآيات القرآنية لتجيب على أسئلة الحيارى التائهين في لجج الحياة مذكرة إياهم بأن البعث حقيقة لا ريب فيها .

---

١ - قصة الحضارة ٢ / ١ : ٣٤٥ ، ان كان قصد ديورانت بالتوراة المحرفة فهذا صحيح والا فان الكتب المنزلة من عند الله تعالى جميعها تقر بهذه العقيدة .

٢ - راجع : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ١٠١-١٠٢

٣ - الروم : ٢٧ ٤ - العنكبوت ١٩ ٥ - العنكبوت ٢٠

٦ - المؤمنون : ١٣-١٦ ٧ - فاطر : ٩ ٨ - فصلت : ٣٩

الفصل الثالث :

اسفار اليهود المقدسة (التوراة)
أو العهد القديم - ونقدها

لم يطلق على أسفار اليهود إسم العهد القديم في العهود التي وافقت نشأة جماعة وادى قمران ،لان هذه التسمية لاحقة على وجود الجماعة ، إذ أن أول من أطلق وقرر هذه التسمية هم المسيحيون تمييزا لها عن الاناجيل التي أطلقوا عليها اسم العهد الجديد .(١)

وقد تعددت الاراء حول معنى كلمة (التوراة) فيذهب البعض الى انها مشتقة من كلمة (تارا) بمعنى : يلقى بالقرعة لمعرفة مشيئة الله ، والكلمة لم تكن ذات معنى محدد اذ كانت تستخدم بمعنى (وصايا) أو (شريعة) أو (علم) أو (أوامر) ولكنها في القرن السادس ق م. صارت تعني الشريعة بشكل عام ثم أصبحت تشير إلى البنتاتوخ (أو البنتاتوك) (٢)، أو شريعة في مقابل أسفار الأنبياء وكتب الحكمة والأناشيد (٣) ، ويذهب البعض الى انها من كلمة تورة بالعبرية اى الهدى والرشاد. (٤) وينسب أهل الكتاب الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام على اساس انها موحى بها من الله ، اما بقية اسفار العهد القديم فهي ... أسفار تاريخية مختلفة تحكى التقلبات التي مر بها اليهود . ، أما بقية أسفار الانبياء فقد سمي كل سفر بحسب إسم صاحبه كما يعتقدون .

وجميع هذه الاسفار في نظر أهل الكتاب مقدسة ما عدا بعضها التي اخْتُلِفَ في قدسيته ، فبعضُ الاحبار يضيفون اسفاراً لا يقبلها احبار آخرون .(٥)

- اما بالنسبة لمفهوم الاسلام حول التوراة فهو يختلف عما يذهب اليه اليهود فالمسلمون يؤمنون بان الله تبارك وتعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام

---

١ - راجع : كتاب : "كنتم خير امة اخرجت للناس" ، خير الله طلفاح ، ١٥٦/٧ دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م . ، وكذلك راجع في هذا الصدد بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ، ١٧/١

٢ - اى الكتاب ذو الاسفار الخمسة ، راجع "كنتم خير امة اخرجت للناس" ١٥٧/٧

٣ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٤٣ وهناك تسميات أخرى منها (الناموس) راجع : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨ ، ومنها التعاليم ، راجع : اليهودية ، د شلبي، ص ٢٣٠

٤ - راجع : "كنتم خير امة اخرجت للناس" ١٥٧/٧

٥ - اليهودية ، د . شلبي ص ٢٣٠

هـــدى ونورا ، قال تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَا التوراةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَـــا النَّبِيونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبانِيُّونَ وَالأَحْبارُ بِمَا اسْتُحفِظُوا مِنْ كِتَـابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلَا تَخْشَوا النَّاسَ وَاخْشَونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ) [١]

ولكن : هل بقيت التوراة كما أرادها الله لبني اسرائيل ، أم غيـرت وبدلت ؟ ، وهل حافظ عليها هؤلاء أم حرفوها وزوروها ؟

ولأهمية هذا البحث وتعلقه بجماعة وادى قمران وكتبها ومؤلفاتهـا التي تخالف بقية اليهود بحسب آراء بعض العلماء يحسن ايراد بعض النقاط حـول ماهية التوراه المتداولة حاليا بين أيدى أهل الكتاب ، وتاريخ تدوينها ومصادرهـا للانتقال الى التحريفات التي أدخلها القوم عليها .

اولا : نظـــرة عـــامة :

اهتم نقاد النصوص الدينية بأسفار العهد القديم وتمكنت أبحاثهـم الكثيرة عقب حقب طويلة من التوصل إلى حقيقة مفادها أن أسفار التوراه دونت في أزمنة مختلفة وليس في زمن واحد، وأن هذه الأزمنة متباعدة جدا فيما بينها وتصل الى قـرون عديدة ، مما يوحي باستحالة نسبتها الى موسى عليه السلام من جهة ، كما أن المفاهيم والمعلومات والاحداث التاريخية التي وردت في هذه النصوص لا تتفق مع نظريـــات وقوانين العلم الحديث [٢] فضلا عن التناقضات الكثيرة الواردة في هذه الاسفـــار ولهذا اعتبرت من قبيل الاساطير والخرافات القديمة التي نسجتها مخيلة الكهنـــة الامر الذى يستحيل معه قـــبول العقل السليم بمثل هذه الترهات ، ومـــا رافقها من تضخيم وتفخيم لشعب مشتت محتار ، ظن صلفا انه شعب مختار تمشيا مـــع تقوله على الله تبارك وتعالى ومكابرة على الحق ، واتباعا لخطط الكهنة ابتغاء جمـــع اليهود بعد التيه والتشرد .

---

١ - المائدة : ٤٤

٢ - يراجع في هذا الصدد ما كتبه " موريس بوكاى " حول الاخطاء التاريخية الواردة في التوراة المحرفة المتداولة ، وكذلك المناقضات العلمية التي لا يسلم بها العلم الحديث وذلك في كتابه " دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة " ، ص ٣٩ - ٤٧ ، دار المعارف بمصر

ثانيا : تقسيـــم التـــوراة :

===

يقسم اهل الكتاب اسفار العهد القديم كل بحسب ترتيبـــه الخاص ، وما يذهب اليه كل فريق . فاليهود لهم تقسيم رتبوا فيه اسفارهم بحسب تواريخهـــم ولم يسلم هذا التقسيم من خلافات بين الفرق اليهودية .

فاذا جئنا الى المسيحيين وجدنا النسخة الكاثوليكية تزيد سبعـــة اسفار عن النسخة البروتستانتية) (١).

وما يهم البحث هنـا هو التقسيم الذى ارتضاه اليهود للعهد القديـــم والذى يبلغ مجموع اسفارهم ٣٩ سفرا وهي على النحو التالي :

القســم الاول : اسفار موسى الخمسة ، وتسمى ايضا الناموس.(٢)
وهي :

١ - التكوين :: وسمي بذلك لانه يصف الخليقة وبدء العالم والشعب المختار بنـــوع خاص . (٣)

٢ - الخروج : واسمه في الاصل العبرى (واله شيموت) ويتحدث عن بني اسرائيل وخـــروجهم من مصر ، وقد دونت فيه احكام شريعتهم بحسب ما يرونها ومن ضمنها الوصايا العشر في ا لاصحاح العشرين . (٤)

٣ - اللاويين : ويحتوى على طقوس الكهنة ابناء لاوى (٥) ويبين واجباتهم وحقوقهـــم والذبائح وفروضها .(٦)

٤ - العدد : تضمن احصاءات عن الشعب المختار ، وقصة التيه .(٧)

٥ - تثنية الاشتراع : وهو تكرار وتتمة لشريعة موسى (٨) بحســب ما يزعمون ، واسم السفر بالعبرية (اله هوياريم) .(٩)

---

١ - اليهودية ، د . شلبي ص ٢٣٠

٢ - قاموس الكتاب ص ٧٦٤

٣ - " كنتم خير امة . . .) طلفاح ص ١٥٧/٧

٤ - قاموس الكتاب ص ٣٣٩ ، (و " كنتم خير امة ، طلفاح ، ١٥٧/٧

٥ - " كنتم خير امة " ١٥٨/٧ وقاموس الكتاب

٦ - قاموس الكتاب ص ٨٠٩

٧ - " كنتم خير امة ." طلفاح ، ١٥٨/٧

٨ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٠٩ و " كنتم خير امة " ص ١٥٨/٧

٩ - قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٥

القسم الثاني : ويسمى الانبياء ، وكذلك الاسفار التاريخية

وهو اثنا عشر سفرا وسأعددها فقط واحيل القارئ الى المصادر التي تحدثت عنها ، والتي توسعت في مباحثها .

١ - يشوع
٢ - القضاة
٣ - راعوث
٤ - صموئيل الاول
٥ - صموئيل الثاني
٦ - الملوك الاول
٧ - الملوك الثاني
٨ - اخبار الايام الاول
٩ - اخبار الايام الثاني
١٠ - عزرا
١١ - نحميا
١٢ - استير

وتتحدث اخبار هذه الاسفار عن كل ما مر باليهود حسب زعمهم من احداث خلال عهود الانبياء اصحاب هذه الاسفار ، وما حدث لكل واحد منهم (١)

القسم الثالث : اسفار الاناشيد

وعددها خمسة

١ - ايوب
٢ - مزامير داود
٣ - امثال سليمان
٤ - الجامعة
٥ - نشيد الاناشيد

وتتحدث هذه الاسفار عن امور مختلفة منها قصة ايوب وابتلائه ، وادعية متعددة نسبت اليه والى سليمان وداود . وغيرهم .

القسم الرابع : اسفار الانبياء (الصغار) ويسمى نبيئيم

وهي سبعة عشر سفرا

١ - اشعيا
٢ - ارميا
٣ - مراثي أرميا
٤ - حزقيال
٥ - دانيال
٦ - هوشع
٧ - يوئيل
٨ - عاموس
٩ - عوبيديا
١٠ - يونس او يونان
١١ - ميخا
١٢ - ناحوم
١٣ - حبقوق
١٤ - صفنيا
١٥ - حجي
١٦ - زكريا
١٧ - ملاخي اوملاخي

وهي أسفار تتحدث عن كل ما جرى لهؤلاء المذكورين اعلاه مع قومهم

---

١ - ومن اهم المصادر والمراجع التي بحثت في تفاصيل هذه الاسفار وفسرت الاحداث التي مرت بانبياء بني اسرائيل : اليهودية ، د . شلبي ، والاسفار المقدسة ، للدكتور وأفي ، وكتاب قاموس الكتاب المقدس ، وبنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء للدكتور عبد الشكور محمد أمان ، وكنتم خير امة ، لطلفاح وغيرهم .

ثالثا : لغات الاسفار وتاريـــخ تأليفها وتدوينها :

دونت اكثر اسفار العهد القديم(١) بالعبرية ، وان كانت التراكيب والاساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الاسفار وتنم عن العصور التي الف فيها كل سفر منها ولا يستثنى من ذلك الا بعض أجزاء(٢) يسيرة الفت من اول الامر باللغة الارامية وهـي بعض اجزاء من سفرى عزرا (ESDRAS) ودانيال وفقرة واحد من سفر ارميا ..... وكلمتان اثنتان من سفر التكوين وردتا باللغة الارامية عن قصد ويرجح الباحثون الـــى ان ما الف بالارامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه الى حوالي سنة ٣٠٠ قبـل الميلاد وان ما الف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه الى سنة لاحقة لهــذا التاريخ .(٣)

وان اقدم ترجمة للتوراة (هي الترجمة المعروفة اليوم بالترجمة السبعينية وهي المنقولة من العبرانية الى اليونانية وقد نقلت هذه الترجمة الى الاسكندريــة بمصر في حوالي سنة ٢٥٠ قم تلبية لرغبة بطليموس فلادلفوس (٢٨٠- ٢٤٧ قم) ثم ترجمت الى اللغة الحبشية عام ٣٢٠ للميلاد ويرى المؤرخون المحققون ان المقصـود بالتوراه هنا هو الاسفار الخمسة الاول من الكتاب المقدس المنسوب لموسى عليـــه السلام كما يدعي اهل الكتاب .(٤)

(وليس في الوسع تحديد تاريخ قاطع للتوراة ولكن الارجح ان معظمها كان موجودا ومعترفا بقداسته لدى اليهود منذ عهد الاسكندر الاكبر (عام ٣٣٠ق ٠م) وقد اتفق معظم شراح العهد القديم على تعدد النسخ التي جمعت منها التوراه واهمها نسخة إلوهيم ونسخة يهوه ونسخة الكهنة او السجلين والذائع ان بعض هذه النسخ كتب حوالي القرن العاشر ق٠م على ايام المملكة الاسرائيلية وبعضها الاخر كتـــب في القرن السادس ق م . اثناء فترة السبي البابلي وبعضها كتب قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون .

وايما كان الامر فـــان اقدمها عهدا يروى احداثا تعزى الى زهاء الــــف سنة مضت قبل تسجيلها كما انها في جملتها تتناول تاريخا بينها وبينه عدة قرون وهـذا ينطوى ضمنا على ان تدوين التوراه تعرض لتعديلات كثيرة حتى تكون اكثر مطابقـــة للاغراض التي دعت الى كتابتها وفي راى ولز ان التوراة قد انتهت الى صيغتهـــا الراهنة حوالي سنة ١٠٠ قم (٥)

---

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ ٢ - المرجع السابق
٣ - الاسفار المقدسة ، د. وافي ص ١٧ ٤ - "كنتم خير امة" طلفاح ١٧٠/٧
٥ - التراث اليهودى الصهيوني ، صبرى جرجس ص ٢٢ ط١ ١٩٧٠ عالم الكتب ، القاهرة

ويذهب موريس بوكاى الى ان : ما اشار اليه " ادموند جاكوب " من انه لـم يكن هناك نص واحد فقط بل هناك (تعدد في النصوص ، ففي القرن الثالث قبـل الميلاد تقريبا كان هناك على الاقل ثلاث مدونات للنص العبرى للتوراه ، وكان هنـاك النص المحقق (الماسورى) والنص الذى استخدم جزئيا على الاقل في الترجمـة اليونانية والنص المعروف بالسامرى او اسفار موسى الخمسة ثم بعد ذلك في القرن الاول قبل الميلاد اتجه الى تدوين نص واحد ولكن تدوين نص الكتاب المقدس لم يتم الا فـي القرن الاول بعد الميلاد .)(١).

ويؤكد بعض العلماء على (ان النسخة الوحيدة من التوراه التي كانـت محفوظة بالهيكل ضاعت باحراقه لاول مره على ايـدى البابليين)(٢).

ومن ثم فقد قام احبار اليهود اثناء الاسر البابلي بتاليف توراه جديـدة اعتمدوا فيها على الذاكرة واضعين امام اعينهم هدفا واحدا هو اجتماع اليهود مـرة اخرى عند الهيكل بعـد اعادة بنائه من جديد ولا يمنع هذا بطبيعة الحال مـن ادخال التعديلات عليها حتى اصبحت بنصها الحالي)(٣).

وهناك اسفار كثيرة لم يعرف مؤلفـوهـا (٤).

وتجدر الاشارة الى ان اخر الابحاث التي انتشرت في الغرب اكـدت على بشرية التوراه المكتوبة حاليـا : اذ جاء في مقدمة دراسة صادرة عن الهيئة العبريـة

---

١ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بـوكاى ، ص ١٨ ، ويؤكد ايضا (انه لو كانت هذه المدونات الثلاثة موجودة الان لامكن اقامة المقارنات للوصـول الى راى عما كان عليه النص الاصلي ولكن بشاء سوء الحظ الا تكون لدينا اقل فكرة عـنه ان اقدم نص عبرى للتوراه يرجع عهده الى القرن التاسع بعد الميلاد هذا اذا وضعنـا جانبا اسطوانات مغارة قمران التي ترجع الى ما قبل العصر المسيحي بقليل وبرديـة الوصايا التي تختلف طفيفا عن النص الكلاسيكي ، وبعض مخطوطات ناقصة ترجع الى القرن الخامس بعد الميلاد ...) .

٢ - التراث اليهودى الصهيوني ، ص ٢٢

٣ - المرجع السابـق

٤- راجع : بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ، ١/٨٢-٨٩ وقد أسهب د . عبد الشكور أمان في اعطاء نماذج كثيرة لهذه الاسفار .

الامريكية والتي اوضحت (ان هذه الدراسة تنبع من فرضية ان سفر التكوين كما هو الحال في الاسفار الاربعة المكونة للتوراه هي كتاب بشرى من وضع البشر ![1]) .

كل ذلك يدعو الى الشك في هذه الاسفار ، بل والاعتقاد بانها من وضع احبار اليهود ، وانها ليست من وحي الله لما فيها من دس وتحريف وتزوير .

ويكفينا ان الحق تبارك وتعالى قد كشف جرائم اليهود في تحريفهم للتوراه والكتب المنزلة على انبيائه ، يقول الله تعالى :

(أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)[2] .

ويقول ايضا (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[3] .

ويقول (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)[4] .

---

١ - : مقالة بقلم " محمد جلال كشك " تحت عنوان " ملاحظات اسلامية عن التوراة والانجيل" ، مجلة المجلة ، عدد ٢٢٠٨٠٤ شعبان ١٤٠٤هـ ، ص ٤٩ ، السعودية .

٢ - البقرة : ٧٥ - ٧٩

٣ - المائدة : ١٣ - ١٤

٤ - النساء : ٤٦

النقـد الموجه الى تلك الاسفار

من الاسباب الهامة التي تدعوا الباحثين للشك في صحة الاسفار المقدسة وعدم نسبتها الى موسى عليه السلام : كثرة الفتن والاضطرابات التي رافقت التاريخ اليهودى ، ولا ادل على ذلك من تعدد حملات السبي المتكررة التي قام بها الاشوريون على امتداد حقب طويلة كان اولها سبي الاسباط العشرة او مملكة اسرائيل الشمالية سنة ٧٤٦-٧٢٨ ق م حتى سقوط السامرقبيد سرجون عام ٧٢٢ق م . ثم سبي السكان الى مادى وما بين النهرين .

اما السبي الثاني فهوسبي يهوذا وتم على يد نبوخذ نصر في اربع مراحل اى في الاعوام ٦٠٥ق م و ٥٩٧ ق م و ٥٨٧ ق م و ٥٨٢ ق م .(١)

ولا يخفى على احد ما يرافق عادة عمليات السبي من بطش وقتل وخراب وحرائق مما يجعل من المؤكد فقدان وتلف ما بحوزة القوم من اعيان . وكتب ، وما الى ذلك . زد على ذلك ان الصراع كان دينيا في اغلب الاحيان .

وعلى هذا الاساس فان هذه الاسفار لا يمكن ان تبقى على حالها من حيث الصحة والنقل واتصال السند فضلا عن التواتر مهما قيل من حجج توحي في الظاهر انها كانت محفوظة في الصدور ثم تداولت فيما بعد او انها كانت مكتوبة في مجلدات .

وقد اكد الشيخ رحمة الله الهندى انقطاع سند الاسفار وعدم تواترها بقوله (ان تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون والنسخة التي وجدت بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقينا ، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة ايضا غالبا قبل حادثة بختنصر ، وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأسا).(٢)

على ان العلماء يوردون اسبابا اخرى تجعلهم في شك من امر هذه الاسفار وتقدم لهم ادلة قاطعة على انها من صنع كتبة وحاخامات اليهود ولا يمكن نسبتها الى موسى عليه السلام .

فمن ذلك ما اورده ديورانت حول سفر التكوين من (ان العلماء مجمعون

---

١ ـ قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٨ لمجموعة من علماء اللاهوت .

٢ ـ اظهار الحق ، الشيخ رحمة الله الهندى ص ٨٤

على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراه هما القصتان المتشابهتان المنفصلةكلتاهما عن الاخرى في سفر التكوين تتحدث احداهما : عن الخالق باسم (يهوه) على حين تتحدث الاخرى عنه باسم (الوهيم) ويعتقد هؤلاء العلماء ان القصص الخاصة بيهوه كتبت في يهوذا وان القصص الخاصة بالوهيم كتبت في افرايم وان هذه وتلك امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة .) (١)

اما بالنسبة لسفر تثنية الاشتراع فيقول عنه ديورانت :

(وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية اكبر الظن ان كاتبه او كتابه غير كتاب الاسفار السالفة الذكر وثمعنصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة فيما بعد والرأي الغالب أن هذه الفصول تكوّن الجزء الاكبر من سفر الشريعة الذى اذاعه عزرا ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق٠م . (٢)

ويفرق ديورانت بين ما وجد في عهد يوشيا وما تلاه عزرا على الشعب ولهذا فالحاجة ماسة للعودة الى هاتين الحادثتين للتعرف على ما قرره ديورانت .

- يعترف أهل الكتاب ان معظم الاسفار المقدسة قد اتلفت او فقدت في عصر الارتداد عن الله وهذا ما صرح به قاموس الكتاب المقدس مستشهدا بالاصحاح ٢١ من سفر الملوك الذى أخبر عن الأحداث التي عاصرت منسى وقد جاء فيه (من أجل أن منسّى ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله وجعل أيضا يهوذا يخطىء بأصنامه لذلك هكذا قال الرب اله اسرائيل هأنذا جالب شرًا على أورشليم ويهوذا حتى ان كل من يسمع به تطن أذناه وأمد على أورشليم خيط السامرة ومطمار بيت أخاب وأمسح اورشليم كما يمسح واحد الصحن يمسحه ويقلبه على وجهه وأرفض بقية ميراثي وأدفعهم الى أيدى أعدائهم فيكونون غنيمة ونهبا لجميع أعدائهم) (٣)

بعد هذه الكارثة تولى يوشيا الحكم وفي عهده وجد "حلقيا" فصولا من سفر تثنية الاشتراع . ، وقد اكد الدبس ان ما وجد فقط اربعة فصول من سفر التثنية . (٤)

فالعثور على أجزاء من سفر لايعني أن جميع أجزاء التوراة التي فقدت أو أتلفت أو محيت قد عثر عليها كلها ، هذا اذا كانت حادثة العثور حادثة صحيحة ولم تكن الأجزاء المعثور عليها من تأليف شافان الكاتب بالتواطوء مع حلقيا الكاهن

---

١ - قصة الحضارة ٢/١ : ٣٦٧
٢ - المرجع السابق ٢/١ : ٣٦٧-٣٦٨
٣ - سفر الملوك الاول ٢١ : ١١-١٤
٤ - مختصر تاريخ سوريا ، ص ٩٧

فهما اللذان عثرا على تلك الاجزاء" (١)

ويؤكد ديورانت أن ما عثر عليه من الاسفار على عهد يوشيا " قرئ على اليهود مرتين في يوم واحد " . (٢)

ثم تأتي الحادثة الثانية وهي حادثة عزرا والتي تحدث عنها ديورانت قائلا (في سنة ٤٤٤ ق .م دعا عزرا وهو كاهن وعالم اليهود الى اجتماع عام خطير وشرع يقرأ عليهم من مطلع النهار الى منتصفه (سفر شريعة موسى) وظل هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام كاملة يقرأون عليهم ما تحتويه لفات هذا السفر ولما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستورا لهم يتبعونه ومبادئ خلقية يسيرون على هديها ويطيعونها الى أبد الآبدين (٣)) .

ثم يؤكد أن ما تلي في عهد يوشيا هو غيره ما تلي في عهد عزرا .

وبعد أن يورد تأثيرات الأمم الأجنبية على اليهود يقرر حقيقة هامة مفادها (ان الاسفار التي تليت على الشعب بأمر يوشيا وعزرا هي التي صيغت منها القوانين الموسوية التي قامت عليها الحياة اليهودية كلها فيما بعد (٤)) .

وقد علق الشيخ رحمه الله الهندي على ذلك بقوله (ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسختها واكثر نقولها في حادثة انتيوكس (انتيوخوس) (٥) .

وحادثة انتيوخوس هذه تعتبر من أهم الكوارث التي حلت باليهود وتراثهم الديني وقد تحدث عنها الدبس قائلا (. . . وعاد ياسون من مقره وهاجم أورشليم بالف رجل فهرب منلاوس الى القلعة وأخذ ياسون يذبح أهل وطنه بلا شفقة ولكن تقوى عليه الجمهور فطرده ومات غريبا في مصر، وبلغ انتيوكس خبر ثورته فزحف الى اورشليم فاهلك من اهلها ثمانين الفا في ثلاثة ايام وباع منهم كثيرين وانتهب الهيكل وكان ذلك سنة ١٧٠ قم) . (٦)

---

١ - راجع : قاموس الكتاب المقدس حول حادثة العثور هذه في ص ١١٢٠

٢ - قصة الحضارة ٢ / ١ : ٣٦٦

٣ - المرجع السابق ، ويعقب على ذلك قائلا (. . . على حين ان قراءة الكتاب الاخر (عزرا) قد احتاجت الى اسبوع .

٤ - المرجع السابق ٢ / ١ : ٣٧٠ ٥ - اظهار الحق ص ٨٤

٦ - مختصر تاريخ سوريا ص ٩٧ مستشهدا بـ (مكاف ٤ عدد ٧) .

الفصل الرابع : رجـال الدين اليهـود ،

ان التطور الذى رافق العقيدة اليهودية والذى اشار اليه العلماء ، راجع دون شك الى وجود طبقة في المجتمع الديني اليهودى ، ادعت دور تحريف التوراة الاصلية ، وهذه الطبقة تمثلت " بالكهنة " والكتبة " ، والتي سنرى طرفا منها اثناء الاشارة اليها بشكل موجز لنعرف حقيقتها وما تمثله من ضغط في المجتمع اليهودى .

أ ـ الكهنــة :

تطلق هذه الكلمة في عرف اهل الكتاب على خدام الدين وفي اصطلاح الكتاب المقدس عندهم تأتي من كلمة (كاهن ـ أو كهنوت " اى الشخص المخصص لتقديم الذبائح ") (١)

وكان الكهنة يتولون الى جانب ذلك التشفع لدى الله من أجل الشعب (٢) ومن هنا تبرز أهمية دور هؤلاء في المجتمع كطبقة تستغله تدين الناس بامتهانها الوساطة ما بين الخلق والخالق .

والاعتقاد السائد بين اليهود (أنهم أمة من الكهنة والقديسين والانبياء اختارهم الله ليكونوا بمثابة الكهنة لكل الاغيار ، ولكن شعب الكهنة كان مع هذا له كهنته المقصورون عليه) (٣).

والى جانب واجبات تقديم الذبائح اليومية والاسبوعية والشهرية والسنوية اضيفت الى مهامهم الخدمة في (الاحتفالات والتطهير (وكانوا) يعتنون بالانية المقدسة والنار المقدسة والمنارة الذهبية والاثاث المقدس . وكانوا يطلقون الصوت في الابواق المقدسة ويحملون تابوت العهد ويقضون في دعاوى الغير ويقدرون المال للافتداء وينظرون في شأن البرص ويفسرون النـاموس للشعب ويقومون باستشارة الله بواسطة الاوريم والتميم) (٤).

---

١ ـ قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١

٢ ـ الكتب التاريخية في العهد القديم د . مراد كامل ص ٢٠ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ م .

٣ ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٣١٧

٤ ـ كلمتان عبريتان معناهما (انوار وكمالات) .. ويرجح انهما كانا شيئين صغيرين او ربما حجرين وكانا يحفظان في صورة رئيس الكهنة يستخدم الاوريم والتميم في معرفة ارادة الله في الامور الكهنوتية او السياسة القويمة (قاموس الكتاب المقدس ص ١٣٦) ومن خلال وصفهما فان قول صاحب القاموس انف الذكر (ويقومون باستشارة الله) يفيد ان حوارا قائما يدور بين الكهنة وبين الله بواسطة هذين الحجرين ، وهذا محال وتدليس على الناس وافتراء على الله كما لا يصح وصف هذه الطريقة بالاستخارة كما جاء في قول صاحب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) من انهم كانوا يفصلون في الامور

وكان رئيس الكهنة اعظم الاشراف بين الاسرائيليين . . . . وكانت وظيفته ميراثا في آل هارون وكان البكر ، اذا خلا من العيوب الجسدية هو الذى يتولى هذا المنصب وكانوا يعينونه في حفل كبير) (١) ويقوم بتقدمة الذبيحة يوميا ، وكان يلبس الملابس الفاخرة ولا سيما في يوم الكفارة ، وكان يضع في هذا اليوم صورة مرصعة بالجواهر وقد نقشت على الجواهر اسماء اسباط بني اسرائيل الاثني عشر ، وذلك يرمز الى ان رئيس الكهنة يحمل مسئولية كل الشعب ، وهذه الرتبة هي تذكار للشعب امام الله كما يدعون) (٢) .

=القضائية عن طريق استخاره الله ، راجع : ص ٣١٧ من المرجع السابق . فهذه لا يمكن تسميتها استخاره ، لمخالفة الشكل والمضمون ، بل هي اقرب الى طريقة عرب الجاهلية في الاستقسام بالازلام او عادة التطير عند هم .

اما الاستخارة فهي عند المسلمين : دعاء بعد صلاة غير فريضة يقصد منها (طلب الخيرة) مختار الصحاح لابي بكر الرازى ص ١٩٥ ط ١٣٩٨هـ ، دار الفكر .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه الاستخارة في الامور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن : يقول اذا هم احدكم بالأمر فليركع ركعتين غير الفريضة ثم ليقل :

اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب ، اللهم فان كنت تعلم ان هذا الامر ، ثم يسميه بعينه - خير لي في عاجل امرى وآجله وفي ديني ومعاشي وعاقبة امرى فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وان كنت تعلم انه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امرى او قال عاجله واجله فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به)

: صحيح البخارى كتاب التوحيد باب ١٠ ، المكتب الاسلامي ، محمد اوزدمير ، اسستانبول - تركيا ١٩٧٩ م

١ - قارن هذه الاحتفالات بما في قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٣

٢ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٠

وهكذا نرى هؤلاء الكهنة كيف يلعبون دورا مهما في حياة اليهـــود واليهودية " فقد وضعوا انفسهم بين الناس والله فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين الا اذا باركها الكاهن لان مفتاح السماء كان في يده (١) . (حسب ما يدعون) كما لـم يكن احد غير الكهنة يستطيع ان يقرب القرابين بالطريقة الصحيحة او يفسر الطقوس او الاسرار الدينية تفسيرا آمنا من الخطأ وكان هؤلاء طبقة مغلقة ولا يستطيع احد ان ينتمي اليها إلا أبناء ليفي ، ولم يكن من حقهم ان يرثوا مالا ولكنهم كانوا معفيين من الضرائب وفرضة الرؤوس وسائر الاتاوات على اختلاف انواعها وكانوا ياخذون العشور على نتاج الضان ، وينتفعون بما يبقى في الهيكل من القرابين التي لم تستنفدهـــا الالهة (حسب زعمهم) (٢) .

ولا شك ان هذه العطية تدر عليهم اموالا طائلة كما تبرز هذه الظاهرة مـدى الثروة التي يمتلكها هؤلاء والتي جنيت من الناس باسم الدين . (٣) .

ومن خلال مراجعة جدول فرق الكهنة في قاموس الكتاب المقدس يتضح لنا ذلـك العدد الهائل الذى كان يؤلف طبقة هائلة تعيش على دماء الناس وتتلاعب بعواطفهم واحاسيسهم الدينية لقاء تجارة الخداع والغـش .

---

١ - : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣١٧

٢ - قصة الحضارة ٢ / ١ : ٣٤٦

٣ - يقول الحق تبارك وتعالى في معرض مخازى اليهود في اكل اموال الناس بالباطل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبارِ والرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) التوبة : ٣٤ قال الواحدي: (نزلت في العلماء والقراء من اهل الكتاب كانوا ياخذون الرشا من سفلتهم وهي المآكل التي كانوا يصيبونهـا من عوامهم) اسباب نزول القرآن لابي الحسن علي بن الواحدى . ت : سيد أحمد صقر ص ٢٤٣ دار القبلة للثقافة الاسلامية ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) المملكة العربية السعودية .

وقال ابن كثير (ذلك لانهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون اموالهم بذلك . كما كان لاحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجيء اليهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استمـروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم في ان تبقى لهم الرياسات فاطفأها الله بنور النبوة وسلبهم اياها وعوضهم الذل والصغار وباؤا بغضب من الله تعالى) تفسير ابن كثير ٢ : ٢٥٠

ب - الكتبـــــــــــة :

هذه الطبقة يطلق عليها اسم آخر هو " الناموسيون " (١) كانت مهمتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها فهم أشبه بالنساخ (٢)، وعن طريق صلتهم بكتابة الشريعة عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسخوها فاتخذوا الوعظ وظيفة اخرى لهم بجوار كتابة الشريعة وكان الوعظ وكتابة الشريعة وسيلتين اصطنعهما الكتبة لتصيد اموال الناس وبخاصة عند ما عم الفساد وانحرف الفريسيون (٣) .

وقد تطورت هذه الطبقة واصبح من مهامها :

اولا : درس الناموس وتفسيره واصبح شرحهم مدنيا ودينيا وكانوا يحاولون تطبيقه على تفاصيل الحياة اليومية وقد اصبحت قرارات عظماء الكتبـــــة شريعة شفاهية (٤) تدعـــــى التقاليد . ولا شك ان التلمود كـــان وليد ما ألفه الكتبة .

---

١ - الكتب التاريخية في العـــــهد القديم ص ٢٦

٢ - المرجع السابق ص ٢٧

٣ - اليهودية د .شلبي ص ٢٣٢

٤ - هكذا تحولت الشريعة من الأصالة الى التحريف على أيدى هؤلاء ، فجــــاء التحريم والتحليل وفق اهوائــهم وهذا تعد على مقام الالوهية والربوبية ، وقد فضــح الحق تبارك وتعالى هذه الجريمة بقوله في محكم التنزيل (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) . التوبة : ٣١ قال الامام ابن كثير : وهكذا قال حذيفة ابـــــن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير (اتخذوا احبارهم ...) انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا وقال السدى : استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم) ... راجع تفسير ابن كثير ٢ : ٣٤٩

وفي شان الذين يكتبون الكتاب بايديهم وينسبونها لله يقول سبحانه (فويـــــل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويـــل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) البقرة : ٧٩ ، يقول الامام ابن كثير : اى فويل لهم مما كتبوا بايديهم من الكذب والبهتان والافتراء وويل لهم مما اكلوا به من السحت كما قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه (فويل لهم) يقول فالعذاب عليهم من الذى كتبوا بايديهم من ذلك الكذب وويل لهم مما يكسبون ، يقول : مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم) تفسير ابن كثير ١ : ١١٨

وعن تبديل هؤلاء لكتاب الله جاء في صحيح البخارى عن ابن عباس رضي اللـــه عنهما قال (يا معشر المسلمين كيف تسألون اهل الكتـــــاب وكتابكم الذى انزل علـــى

ثانيا : لدرس الاسفار الالهية بنوع عام وذلك من الوجهة التاريخية والتعليمة .

ثالثا : للتعليم ، وكان يلتف حول كل كاتب مشهور جماعة من الطلاب يتتلمذون عليه .(١)

رابعا : العناية بحفظ الهيكل والمجامع .(٢) اضافة الى ذلك جاءت(خطوة ثانية رفعت من شأن الكتبة وأعلت من قدرهم ، وهي أن كل واحد منهم عني بانشاء مدرسة أصبح هو راعيا لها ومعلما بها . وكان له مريدون يسمعون تعليماته ويذيعونها ، ومن الناحية النظرية لم يكن يجوز لهذا المعلم أن يتقاضى أجراً من مريديه وان كانت الناحية النظرية كثيراً ما أهملت وحصل الكتبة على ثراء كبير من مريديهم ومن وسائل اخرى .(٣)

وقد بلغ (أوج نفوذهم على الشعب في أيام المسيح (عليه السلام).. ومع أنه وجد بينهم من آمن بتعاليم المسيح .. إلا أن أكثرهم قاموا ضده وتذمروا منه).(٤)

وقد حمل المسيحيون الكتبة مسؤلية (صلب المسيح) كما يزعمون . ولهذا كان الانتقاد شديدا لهم .

وهكذا يتضح دور رجال الدين اليهود وكذلك خطورة المهام الموكلة اليهم . فعن هذا السبيل يمكن اخضاع المجتمع لتوجيهاتهم والزامه بمقرراتهم وتقريراتهم العقدية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . وقد شكلت هذه الفئات العمود الفقرى للمنحى الفكرى والسلوكي والسياسي اليهودى عبر التاريخ ، فنجد المؤلفات اليهودية تصدر عن اراء هؤلاء كتابة وشرحا وتفسيرا مع الاخذ بعين الاعتبار ما تضفيه هذه المهام عليهم من قدسية في أعين البسطاء .

وتتمادى هذه الفئات في اضلال الرعاع عن طريق استغلال العواطف واثارة المشاعر وتأليبها وبث روح العداوة والاحتقار لغير اليهود وقد اخترعت ما يسمى بشعار " المعاداة للسامية " كستار لمحاربة كل من يتصدى لمآرب اليهود واطماعهم التوسعية وعن هذا الطريق استطاعت الصهيونية تنفيذ مآربها واغتصاب اراضي المسلمين في فلسطين وهي على الدوام تسعى لمزيد من التوسع كلما سنحت الفرصة بذلك .

=نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الاخبار بالله تقرؤنه لم يشب وقد حدثكم الله ان أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسايلتهم ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم) : صحيح البخارى ، باب لا يسأل اهل الشرك عن الشهادة وغيرها ٣/١٦٣

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٩

٢ - يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية . د . احمد حجازى السقا ص ٢٤ دار التراث العربي للطباعة والنشر ط١ ، مصر ، ١٩٧٨م

٣ - اليهودية . د . شلبي ص ٢٣٢

٤ - قاموس الكتاب المقدس ٧٦٠

٥ - المرجع السابق .

الفصل الخامس
========

الفـــرق اليهوديـــة

اسباب انقسام اليهود الى فرق دينية تعود إلى أمور شتى ، ولكـــن العقائد اليهودية خاصة ما يتعلق بأصول الدين ، وفروعه ،كانت من أبرز أسباب هذه الفرقة وهذا التشعب .

كما أن روح التفرد والأنانية التي تصطبغ بها الشخصية اليهودية كان لها تأثير كبير على إنقسام المجتمع الديني اليهودي ككل ، واذا كان لليهود ما يجعلهـــم يعيشون بعيدا عن الشعوب الأخرضمن مجتمعات منغلقة فان هذه المقولة تنطبـــق على الوضع الداخلي إذ أن الأحقاد والضغائن تنتشر إنتشاراً واسعا وتشكل باستمـرار تهديدا للمجتمع اليهودي ، ومن الناحية التاريخية فان تفرق اليهود خاصة بعد رجوعهم من السبي البابلي قد ازداد (١) .

ورغم هذا الانقسام وحب التشرذم فان اليـــهود يحرصون في الظاهر على اعطاء صورة مزيفة لواقـــعهم المنحل ، فهم على الدوام يوجهون الاعلام حول تجمعاتهم والتفافهم حول بعضهم ، إلا أنهم في حقيقة الأمر يعيشون في خداع مستمر وقـــد كشف القرآن الكريم هذا الزيف ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى (لَا يُقَاتِلُونَكُـــمْ جَـــمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعـــاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ .) (٢)

وسوف أحاول في هذه العجالة استعراض أهم الفرق اليهودية المنتشرة إبان العصر الذى وجد فيه القمرانيون للتعرف على بعض آراء هذه الفرق ، ومن ثم الوقوف على الفرق بين جماعة وادي قمران وبقية أقرانها .

اولا : الصدوقيـــون

هذه الفرقة تنتسب الى رجل يقال له صدوق (٣) ، او صادوق (٤) ، وقد كان كبير الكهنة ، وقد ورث الصدوقيون عنه المهنة حتى عام ١٦٢ م (٥) ، وكانت أسرة صادوق تقود الشؤون في القرنين الرابع والثالث في العصرين الفارسي واليوناني (ثم) أخذت تضع الاعتبارات السياسية فوق الدينية (٦) .

---

١ - راجع : الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٣

٢ - الحشر : ١٤ ٣ - الفصل ، لابن حزم ١ / ٧٨

٤ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٧ ٥ - موسوعة المفاهيم و المصطلحات الصهيونية . ٢٤

٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

وقد تقرب الصدوقيون من حكام اليونان وغيرهم كما تقرب الحكام اليهم ، فكانت القيادة والسياسة في ايدى الصدوقيين في زمان الرومان الهرودوسيين وكان رؤساء الكهنة انذاك منهم)(١)

وانحصرت عقائدهم في الاتي :

أ - التزموا تعاليم التوراة (المحرفة) ورفضوا الأخذ بالاحاديث الشفوية المنسوبة الى موسى (عليه السلام (٢) . وقالوا : (إن حرف الناموس المكتوب وحده ملزم).(٣)

ب - انكروا القيامة والثواب في الجسد ، ذاهبين الى ان النفس تموت مع الجسد (٤) . ويعتقدون ان عقاب العصاة واثابة المحسنين انما يحصلان في حياتهم(٥) .

ج - انكروا وجود الملائكة والارواح(٦) !

د - قالوا بحرية الارادة و (اننا قادرون على اعمالنا ، واننا سبب الخير واننا نتقبل الشر من أجل حماقة أفعالنا وأن لا دخل لله في صنعنا الخير أو اعرضنا عن الشر (٧) .

هـ - كانوا يقولون بان عزيرا ابن الله(٨) (تعالى الله عما يصفون) وكانت تحصل بينهم وبين الفريسيين مشاحنات وخلافات . (٩) . وقد عارضوا المسيح عليه السلام في دعوته وكانت لهم محاورات معه سجلها متى (٣-: ٢٣ ومتى ١٦ : ١-٤) ويتهمهم المسيحيون بالمشاركة في المؤامرة على السيد المسيح(١٠) ، كما نسب متى وصف المسيح لهم بأنهم أولاد الأفاعي هم والفريسيون متى ٣ : ٧ . وكان باقي اليهود ينفرون من تعاليمهم(١١) وتعتبر هذه الفرقة من الفرق التي اضمحلت مع الزمن(١٢) ! وان كانت بعض افكارها لا زالت موجودة بين ظهراني اليهود .

---

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

٢ - الاسفار المقدسة . د . وافي ص ٥٦

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ وحياة المسيح للعقاد في المجموعة الكاملة ١١ : ٢٤٥

٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٣٨ وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

٥ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٦

٦ - قاموس الكتاب المقدس ٥٣٩ ٧ - المصدر السابق ومخطوطات البحر الميت للعابدى " ص ٣٨

٨ - الفصل ، لابن حزم ١ : ٧٨ ٩ - يوحنا المعمدان ص ٢٣

١٠ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٠

١١ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٧

١٢ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٣٨ و موسوعة المفاهيم ص ٢٤٠

ثانيـــا
الغريسيـــــون :

هذه الكلمة مأخوذة من العبرية (بيروشيم) اى المنعزلون (١) ، وهذا اللفظ دليل على انفصالهم عن عامة الشعب وما يختص بالسلوك (٢) ، ومع ذلك فهم لم يتجنبوا الناس كلية بل كانت لهم صلات وتعامل ، واختلاط ، وانما كانت هذه التسمية تهكما وتحقيرا لهم (٣) ، كما يطلق عليهم ايضا اسم الربانيين (٤) ، وهم يشكلون احدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي تناهض الفئتين الأخريين الصدوقيين والاسانيين (جماعة وادى قمران) وكانت أضيقها رأيا وتعليما (٥) ، وهناك خلاف بين العلماء حول أصل نشأتهم (٦) ، وقد شكل هؤلاء حزبا سياسيا دينيا أيام المسيح عليه السلام وقد تعرضوا للابادة في عهد يوحنا هركانس الاول (١٣٤-١٠٤ق م) فتدفق الغريسيون من اليهودية إلى قمران إتقاء للمظالم اكثر منهم رغبة في الحياة النسكية (٧) ، وبلغ الغريسيون ذروة اليأس والقنوط (وازدادت على يد) الاسكندر بن يوحانان (١٠٣-٧٦ق م) "الشبل الكلب" على حد التعبير الوارد في "تفسير نحوم" وناصر عليهم الصدوقيين ، ودام النزاع بين الغريقين ست سنوات باد فيها من الغريسيين خمسون الف رجل على ما جاء في تاريخ اليهود القديم ليوسيفوس فاستنجد هؤلاء بالسلوقيين فتقدم ديتريوس الثالث افكابروك (٩٤-٨٨ ق م) من دمشق الى شكيم (نابلس) حيث أوقع بجيش الاسكندر سنة (٩١ق م) ولما قفل الملك السلوقي راجعا عاد الاسكندر وانتقم من الغريسيين فعلق على الصليب ثمانمائة من وجهائهم وقتل نساءهم وأولادهم تحت أعينهم وهم ينازعون ، والملك يعاقر الخمر مع محظياته (٨) . إلا أنهم استطاعوا الحصول على دعم زوجة الاسكندر الكسندرا (٩) .

---

١ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ٢٨٣

٢ - يوحنا المعمدان ص ٢٣

٣ - حياة المسيح ، مجموعة العقاد الكاملة ١١ : ٢٤٤

٤ - الاسفار المقدسة ص ٥٦

٥ - قاموس الكتاب المقدس ٦٧٤

٦ - راجع هذا الخلاف في:الاسفار المقدسة ص ٥٥ وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤

٧ - دائرة معارف فوائد البستاني ١٢ : ٣٧٥ -٣٧٦

٨ - المرجع السابق ٩ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤

اهـــم عقائــــد هم :

أ - انهم يعترفون بجميع اسفار العهد القديم والاحاديث الشفوية ،المنسوبة (زيفــا) الى موسى(١) عليه السلام واسفار التلمود ، ويتضح ان فقهــــاءهم هم الذين ألفوا التلمود (٢)

ب - يقولون بالقدر ، ويجمعون بينه وبين ارادة الانسان الحرة .

ج - وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد ووجود الارواح ومكافأة الانسان ومعاقبته في الاخرة حسب صلاح حياته الارضية أوفسادها(٣).

ولا شك ان مفهومهم هذا يختلف عن مفهوم الاسلام له ،اذ يرى الفريسيون ان الاموات سينتشرون في هذه الارض ليشتركوا في ملك المسيح الـــذى سياتي آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعا في ديانــة موسى أي أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا .(٤)

د - ومن آرائهم ايضا أن دولة اليهود لابد أن تستعيد مكانتها (٥) .

وقد شاركوا غيرهم من اليهود في الـــوقوف بوجه دعوة عيسى عليه السلام وكــذلك كان الامر بالنسبة لدعوة يحيى عليه السلام ، وكانا عليهما السلام يقولان بحسب ما يعـــترف به المسيحيون ويناديانهم باولاد الافاعي هم والصدوقيون .

كما وبخ المسيح عليه السلام بشدة رؤساءهم وادعاءهم البر كذبــــا وتحميلهم الناس أثقال العرضيات دون الاكتراث بجوهر الناموس (٦)

وقد انقسم الفريسيون في عصر الميلاد الى فريقين :

فريق منهما يتبع الحكيم (هلل) وهو الفريق السمح الودود في معاملــة الاجانب والفريق الاخر يتبع الحكيم (شماى) وهو أقرب الى الحرج والتضييق ورد الراغبين في دخول الدين من غير اليهود (٧)

ولا شك بأن الكثير من الأحزاب السياسية والدينية في اسرائيل تأخــذ بافكار هذه الفرقة التي ليس لها ذكر في التاريخ الحديث .

---

١ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ٥٥ وكذلك قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤

٢ - الاسفار المقدسة ٥٥

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤ ٤ - الاسفار المقدسة ص ٥٥

٥ - اليهودية ،د . شلبي ص ٢٢٧

٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٥ وحياة المسيح ،في مجموعة العقاد ١١ : ٢٤٤

٧ - المسيح ،في مجموعة العقاد ص ١١ : ٢٤٥

ثالثـا : السامريون :

تنسب هذه الفرقة الى مدينة السامرة ، تلك المدينة القديمة التي بنيت نابلس على انقاضها[١]، وقد اشتق اسمها منها[٢]، وسميت بذلك لان عمرى بن أخاب (٨٧٦-٨٤٢ ق م) اشترى تلا بوزنتين من فضه من رجل اسمه شامر[٣]، وهم يقولون ان مدينة القدس (هي نابلس (شكيم) ولا يعرفون حرمة بيت المقدس ولا يعظمونه[٤]، ويقول خصومهم[٥] (انه عندما غزا سرجون السامرة عام ٧٢٢ ق.م سبى من سكانها ٢٧٢٨ شخصا وترك بعض السكان الاصليين واذ وجد انهم متمردون دبر خطة يقتل بها وطنيتهم الثائرة فنقل شعبا من بابل وحماه والغربية الى السامرة وصار هؤلاء السامريون ، وظلوا يمارسون عباداتهم التي اعتادوها قبل المجيء الى السامرة[٦]، وقد امتزجوا بالسكان واختلطوا بهم[٧] وتزاوجوا فيما بينهم ، ولما عاد اليهود من السبي البابلي رفضوا اشراك السامريين في اعادة بناء الهيكل ، وسنوا القوانين التي تحرم الاختلاط بهم[٨]، وقد قدس السامريون فيما بعد جبل جرزيم[٩].

وما اكثر المنازعات التي قامت بين اليهود العبرانيين والسامريين[١٠] والتي كان من نتيجتها وجود هوة سحيقة بين الطرفين تعود في مجملها الى خلافات في العقائد والاراء[١١] وكذلك الخلاف حول الكتب التي يقدسها كل فريق[١٢].

---

١ - وقد هدمها القائد " فسبساسيان " واقام على انقاضها مدينة اسماها المدينة الجديدة (نيوبوليس او نابلس المعروفة اليوم) راجع : حياة المسيح ، للعقاد ، في المجموعة الكاملة ١١ / ٢٤٩

٢ - موسوعة المفاهيم ، ص ٢١١

٣ - قاموس الكتاب المقدس ٤٤٨ ، وراجع مقدمة كتاب التوراة السامرية ، ت: د . احمد حجازى السقا ص ٤-٥

٤ - الفصل لابن حزم ١ / ٧٨ ٥ - تقول التوراة العبرية ما يلي (واتى ملك اشور يقدم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفرد ايم واسكنهم في مدن السامرة عوضا عن بني اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها وكان في ابتداء سكنهم هناك انهم لم يتقوا الرب ..) سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٤-٢٥

٦ - قاموس الكتاب المقدس ٤٤٩-٤٥٠ ٧ - حياة المسيح ، للعقاد ١١ : ٢٤٨

٨ - موسوعة المفاهيم ص ٢١١ ٩ - قاموس الكتاب المقدس ٤٥٠

١٠ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى ، ص ٣٦

١١ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٨

١٢ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية د . عبد المنعم الحفني ص ١١٥ ، ط١ دار المسيرة بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ . وراجع هذه الخلافات وحول الفروق بين التوراة العبرية والسامرية في مقدمة كتاب التوراة السامرية

اهم الاراء والعقائد :

أ ـ يبطل السامريون كل نبوة كانت في بني اسرائيل بعد موسى (عليه السلام) وبعد يوشع . . . فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان واشعيا واليسع والياس وعاموص وحبقوق وزكريا وارميا وغيرهم .(١)

ب ـ يرفضون اسفار الانبياء (٢) ويؤمنون باسفار موسى الخمسة ، ويضيفون اليها احيانا سفر يوشع بن نون (٣) وسفر القضاة . (٤)

ج ـ يقدسون جبل جرزيم (٥) ويتوجهون اليه في الصلاة والحج ، على عكس اليهود العبريين الذين يقدسون جبل صهيون . (٦)

د ـ يتشددون في حرمة يوم السبت ، ولا يرى عندهم نار أو نور .

هـ ـ يصومون يوم الكفارة مثل سائر اليهود ولكنهم يتشددون فيه فلايستثنـــون منه حتى الاطفال والرضع ! (٧)

و ـ يؤمنون بيوم القيامة ، وبوجود ملائكة (٨) ، وظهور المسيح في آخر الايـــام لكنهم يزعمون انه سيكون من ال يوسف على حين يعتقد اليهود انه من ال داود (٩)

وقد افترقت السامرة الى دوستانية وهم الالفانية والى كوســتانية . والدوستانية معناها : الفرقة المتفرقة الكاذبة ، والكوستانية معناها : الجماعة الصادقة و يقرون بالاخرة والثواب والعقاب فيها . والدوستانية تزعم أن الثواب والعقـــاب في الدنيا ، وبين الفريقين إختلاف في الاحكام والشرائع . (١٠)

---

١ ـ الفصل لابن حزم ، ١/٧٨ والتوراة السامرية ص ٢١١

٢ ـ مقدمة التوراة السامرية ص ١٤

٣ ـ موسوعة المفاهيم ص ٢١١ ٤ ـ الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٦

٥ ـ حياة المسيح ، للعقاد ، ١١/٢٤٨ ، وراجع تفاصيل احتفالات السامريين على قمة هذا الجبل في كتاب " مخطوطات البحر الميت " للعابدى ص ٣٦-٣٧

٦ ـ التوراة السامرية ص ١٥

٧ ـ يوحنا المعمدان ص ٢٣ ٨ ـ يذكر الامام ابن حزم في الفصل ١/٧٨ ان السامريين هؤلاء لا يقرون بالبعث) والخلاف الدائر بين اليهود حول هذه النقطة متشعب وطويل ، وما نقله ابن حزم محمول على انهم لا يدينون قطعا بالبعث كما هو عند المسلمين ولا يقرون بما جاء مطابقا لما في القرآن والسنة النبوية الشريفة . والله اعلم .

٩ ـ يوحنا المعمدان ص ٢٣ ١٠ ـ : الملل والنحل للشهرستاني ٣/٢٧ على هامش الفصل لابن حزم ط ، محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة . ويذكر الشهرستاني انه قد (ظهر رجل في السامرة يقال له الالفان ادعى النبوة وزعم انه هو الذى بشر بـــه ،

ويقول العقاد : (من المحقق ان هؤلاء السامريين كان لهم شأن في تطور الفكرة المسيحية او فكرة الخلاص المنتظر على يد رسول موعود .) (١)

وما ذكره د . احمد السقا ، حول تغير " نظرة اليهود العبرانيين اليوم الى السامريين وانهم ينظرون اليهم على انهم اخوة اختلفوا معهم في الرأى كما اختلف العبرانيون من قبل المسيح وفرقهم الخلاف الى فريسيين وصدوقيين (٢) } ليس على اطلاقه ، اذ يرى د . المسيرى ان " بعض اليهود ينفي عن السامريين صفة الانتساب الى اسرائيل والايمان باله اسرائيل .) (٣)

الا انه يمكن الجمع بين الرأيين بان الخلاف بين العبرانيين والسامريين ربما أُجِّلَ بسبب الحروب التي يخوضها اليهود ضد المسلمين فليس من المستبعد أن يؤخر هذا الخلاف الى ما بعد ذلك - والا فالنزاع العقدى قائم لا شك .

والسامريون هم أصغر طائفة دينية في العالم ، فعددهم لا يتجاوز ٢٤٠ شخصا يعيش اغلبهم في نابلس والباقي في اسرائيل بجوار تل ابيب . (٤)

= موسى وانه هو الكوكب الذى ورد في التوراة وانه يضيء ضوء القمر وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنة) . راجع الملل والنحل ، للشهرستاني ٢٧/٣

١ - حياة المسيح ، للعقاد ، ص ٢٤٩/١١

٢ - مقدمة التوراة السامرية ص ١٥-١٦

٣ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢١١

٤ - المرجع السابق .

رابعـــا : القناثيون (١)

تعتبر هذه الفرقة من الفرق المتطرفة بين اليهود (لآرائها واتجاهاتها فقد اتخذت طابع العـــنف والعدوان لتحقيق اهدافها ، وكانت وثيقة الصلة بالفريسيين يقول عنها (GuiGnEbERt) (وكان في فلسطين بين الفرق الاخرى فريق وثيق الصلة بالفريسيين يتفق معهم في اكثر عقائدهم كالقول بالمسيح المنتظر وكـالحماســة الوطنية والميل للعبادة ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح ، بل بالعدوانية ضـــد المواطنين الذين اتهموا باللادينية او بقبول الخضـــوع لغير اليهود ، وكان من سياســة هذا الفريق الا ينتظر اتباعه العون من الهتهم بل ان يعملوا بانفسهم ليساعدوا الاله على تحقيق ما يريده لشعبه وكانوا بذلك يكونون الجناح اليسارى في فريق الفريسيين (٢).

ومن اقوالهم : ان الله لايعود الى شعبه الا اذا خلصت الارض للـشعب (٣).

وقد قضى الرومان على ثورتهم التي قاموا بها بقيادة القائد القنائي اليعـــازر (٤) وهو من الغلاة الذين اطلق عليهم اسم السقارة (SicARi) من سقر الاراميـة والعربية (بمعنى : قباد على المحارم ، فهم الذين يحطون بشدة على المحارم ، حيث كانوا يغيرون ويسلبون وينهبون (٥).

---

١ - من الكلمة العبرية قنا٠ بمعنى : غيور (موسوعة المفاهيم ص ٢٩٤ وقاموس الكتاب المقدس ص ٧١٠ - وبالارامية والعربية من قنأ بمعنى : اشتد غضبه فهم الغاضبـون (الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٧٥ . كما ان لهذه الفرقة اسما٠ اخرى منها : أ - الغيوريون (الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٨)

ب - الجليليون (موسوعة المفاهيم ص ٢٩٤) وقد اعتبر د . مراد كامل ان الجليليين والغيوريين فرقتان منفصلتان في حين انهما فرقة واحدة ،

ج - المتعصبون (اليهودية .د . شلبي ص ٢٢٢)

٢ - اليهودية ص ٢٢٢

٣ - الموسوعة النقدية ص ١٧٥

٤ - موسوعة المفاهيم ص ٢٩٤

٥ - الموسوعة النقدية ص ١٧٦

خامسا : الناظوريون

هذه الفرقة اشار اليها شارل جنيبير ، نقلا عن كتابات احد المؤلفين المسيحيين من القرن الرابع ويدعى القديس " ابيفان " . (١)

يقول عن اتباع هذه الفرقة :

(انهم لم يعترفوا بمعبد اليهود كمركز لطقوسهم ، ولكنهم ساروا على تقاليد هم الاخرى ولم يقبلوا الشريعة اليهودية على انها شريعة الهية متاثرين في ذلك بالتيارات الفكرية الخارجية

- ثم انهم يعتبرون انفسهم " قديسيين " بالنسبة الى بقية البشر وكان هذا راى المسيحيين الاول ايضا في بدء دعوتهم .

ومن ناحية اخرى يمكن ان نفسر الاسم الذى اتخذوه لفرقتهم بالرجوع الى كلمة ناظر العبرية التي ترجمها اليونان بكلمة (هاجيوس) اى القديس وينطبق هذا التفسير أيضا على اللقب الذى اطلق على عيسى وكان هؤلاء الناظريون في اغلب الظن شديدى التحمس لفكرة حلول مملكة الله ، ولعلهم كانوا السابقين الى التفكير في (المسيح المنتظر) والى القيام بطقوس معينة من اجله على غرار ما كانت تقوم به فرق اخرى اكثر اغراقا في الشرق منهم بالنسبة الى الاله المنقذ ، الذى تتهيأ له متاثرة في ذلك باتجاهات دينية خارجية مختلفة . (٢)

ويضيف جنيبير الى ذلك القول بان وجودها يدل دلالة واضحة على اتصال الروابط بين اليهودية بمعناها الحقيقي وبين الاديان الاخرى التي شاركت اليهودية في فكرة ترقب او عبادة " منقذ الهي " وان تفاوتت اشكال هذا الترقب وتلك العبادة . (٣)

علما بان انتشار هذه الفرقة كان على ضفاف نهر الارد ن قبل مولد المسيح عليه السلام (٤)

---

١ - المسيحية ، نشأتها ، وتطورها ، شارل جنيبير ، ص ٦٣-٦٤ ، المكتبة العصرية ت : د . عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، صيدا لبنان .

٢ - المرجع السابق

٣ - المرجع السابق .

٤ - المرجع السابق

الفصـــــل السادس

عقائـــد القمرانيين :

الحديث عن عقائد جماعة وادى قمران ،أعقد من الحديث عن تاريـــخ نشأتها وتطورات حياتها ، ذلك لان الباحثين حينما قارنوا عقائد هذه الفرقة بغيرها من الفرق اليهودية الاخرى ، تحدثوا عن جوانب قليلة منها ، دون الخوض في مسالكها المتشعبة ، مما تعذر ـ والحالة هذه ـ اعطاء حكم نهائي بشأنها .

ومن الصعوبات التي تذكر في هذا الصدد ،ان العلماء حينما رجعـــوا الى مخطوطات العهد القديم المكتشفة في المغارات قاموا بمقارنة ما هو مطبـــوع بين ايدى اهل الكتاب ببعض نصوص منها مغفلين بذلك الموازنة الضرورية الكاشفـــة لا خص عقائـــد القمرانيين وارائهم . وكل ما قام به العلماء يعتبر مقارنات لنصـــوص من سفر اشعيا (١) ونصوص من تفسير حبقوق (٢) .

علما بان العلماء حينما تحدثوا عن المخطوطات المكتشفة اكدوا علـــى وجود عدد كبير من هذه النصوص ، فكان الاجدر بهم عقد مقارنات بين الاسفـــار الخمسة الاولى للتوراة المخطوطة وبين ما هو مطبوع ،فعن هذا الطريق يمكن لهـــم التاكد بشكل واضح من اصول عقائد القمرانيين خاصة فيما يتعلق بالالوهية والنبـــوات واليوم الاخر .

وربما يكون العذر الوحيد امام العلماء هو عدم استكمال نشر جميع نصـــوص المخطوطات وهـــو ما يعيق فعلا عملية البحث والمقارنة .

الا ان الخشية نابعة من مغبة ان تكون هذه المقارنات قد أبعدت عمدا او صرف النظر عن نشرها لما تتضمن من حقائق قد تظهر بطلان عقائد اهل الكـــتاب المحرفة عن الالوهية والنبوات وابطال مزاعمهم ، أو أن الدائرة اليهودية المؤلفـــة للبحث في هذه المخطوطات تستغل المعلومات المستخلصة منها كورقة ضغط علـــى المسيحيين للتنازل والخضوع للمقررات اليهودية .

وازاء هذه الصعوبات فانه لا يمكن القطع باى فرضية لغياب المخطوطـــات عن ايدى المسلمين فضلا عن عدم وجود هيئة رسمية علمية اسلامية تتبنى دراستهـــا وتمحيصها وترجمتها لوضعها بين ايدى الباحثين المنصفين لاستخلاص النتائج واصدار

---

١ - راجع في هذا الصدد : مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٢٥٠-٢٦٥ وكذلك : مخطوطات البحر الميت " لحمادة " ص ٦٢

٢ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى " ص ٢٤٩-٢٥٢ ، ومخطوطات البحر الميت لحمادة ص ٦٢

القرارات المناسبة بشأنها .

وما يزيد البحث صعوبة ندرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن الفكر الديني لدى القمرانيين . ، وجل ما في الامر ان ما بحث. حتى الآن كان استعراضا للعموميات ، بل بعض هذه الدراسات جاءت محيرة ، بل وغامضة .

ومن ذلك ما ذكر بان عقائد هذه الفرقة لم تخرج عن عقائد بقية الفرق اليهودية وانه (لا يختلف مفهوم الاسينيين لله والعالم والانسان في الاساس والجوهر عما ورد في العهد العتيق بل يعتمد في مجمله على شيء من التفصيل والتاويل)(١)

وقد عرفنا في الفصول السابقة ما كانت تعتقده الفرق اليهودية من عقائد باطلة واراء متشعبة . فهل عقائد جماعة وادي قمران على هذه الشاكلة ، ام انها تختلف عن البقية ، واذا كانت على شاكلتها فما الداعي الى الانعزال والابتعاد عن اقرانها ؟ .

والاجابة على ذلك تكمن في تحليل الاسباب الدافعة لانعزالهم واستقلالهم عن المجتمع اليهودي فقد بلغت الفروق الى الحد الذي قال عنه بعضهم (ولولا صلتهم بالهيكل الاسرائيلي لما حسبوا من الاسرائيليين)(٢).

فالخلافات في مناحي العقيدة لاشك قائمة، وربما يظهر بوضوح اثناء استعراض كافة جوانب الموضوع .

الا انه لا بد من الاشارة الى ان بعض ما كتب عن عقائدهم جاء مبنيا على اساس ما ذكره خصومهم المعاصرون لهم ، وهذا ايضا يلقي ظلا من الشك على بعض النقول لاحتمال وجود الدس عليهم او محاولة للطعن بهم .

واغلب الظن ان الذين بحثوا في عقائد هذه الفرقة هم من المحدثين في هذا الجانب ، ولم يكونوا من أصحاب الاختصاص في مجال العقائد والاديان .

ولهذا نرى اهتماماتهم تنصب على الانظمة والقوانين الديرية التي شغلت هذه الفرقة اتباعها بها في حياتها النسكية واساليب التقشف والتعبد .

اما ابحاث المتخصصين في هذا المجال فقد جاءت كمقدمات اولية لا يمكن ظهور نتائجها الا باستكمال نشر بقية المخطوطات(٣) وهذا ما لم يتم حتى الان .

لهذه الاسباب مجتمعة فان البحث يعطي لنفسه العذر ان قصر في تتبع اقوال العلماء وتمحيص ارائهم ، او اقتصر على مراجع دون اخرى لقلة المادة العلمية المطلوبة

---

١ - : موسوعة فؤاد البستاني ١٢/٢٨٠

٢ - : الديانات والعقائد ، للعطار ٢/٣٧٤

٣ - وذلك : كابحاث د . علي عبد الواحد وافي ص ٥٨ في الاسفار المقدسة .

- اختلاف العلماء حول الاسس العقدية :

هناك انقسام بين العلماء حول عقائد القمرانيين ، ففريق منهم يعتمد جانب الطعن بهم مستندا الى بعض اقوال المؤرخين والكتاب الذين عاصروا هذه الفرقة ، اضافة الى بعض نصوص من كتب القمرانيين المخطوطة ككتاب النظام واسفار العهد القديم .

وأولى هذه الإتهامات تتحدث عن عبادتهم للشمس ، إذ لاحظ البعض (أن الآسينيين يستعملون لفظة الله ، والشمس ، والقدر ، في المدلول الواحد . فهل هي واحدة ؟ أم في الالفاظ بعض التورية ؟ والغوارق الخفية ؟ ، ومن هنا ... يبدو أنهم يعبدون الشمس فلا يتلفظون بكلمة دنيوية قبل بزوغها حتى إذا ما أشرقت سجدوا لها ودعوها بتوسلات وصلوات ورثوها عن آبائهم كأنهم يضرعون إليها أن ترسل نورها عليهم ، أليس في ذلك بقايا من تأثير عبادة المصريين للشمس " آمون ، رع " طقست في ممارسة الاباء وانتقلت الى الآسينيين فجاءت تعاليمهم خليطا من المذهب المصرى ومذهب الصابئة ومذهب القدرية مع المحافظة على استحقاق الاعمال للعقاب والثواب بدينها حاكم مطلق وذلك دون تمييز ودون الاجتهاد في التوفيق بين هذه النظريات التي ظهرت متضاربة متباينة هذا اذا اعتمدنا ما نقله يوسيفوس)(١) .

ويذهب المطران صموئيل :أن ذلك كان نتيجة تأثرهم بأجواء السبي(٢) البابلي . الى جانب ذلك لاحظ البعض أن أحد أسفار مزامير الشكر يسمي الله تبارك وتعالى " أمير الآلهة وملك المبجلين ورب كل روح وسيد كل عمل (٣) . وهذا اتهام لهم بتعدد الالهة .

ومن جملة الاتهامات ايضا ، انهم كانوا يأخذون بمذهب الغنوصية(٤)

---

١ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨١ وكنز قمران ، للمطران صموئيل ص ٢١٦-٢١٧
٢ - كنز قمران ص ٢١٧
٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٢٦١
٤ - الغنوصية او " الغنوسيس " هي كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة ، غير انها اخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيا هو التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا او هو تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بان تلقي في النفس القاء فلا تستند على الاستدلال او البرهنة العقلية وقد اعتبر الغنوصيون عقائدهم اقدم عقيدة في الوجود وان الغنوصية اقدم (وحي) اوحى الله به ، فانتقل من طبقة غنوصية الى طبقة اخرى ، ولا يمكن انتقاله ولا ينتهي. وهو يختلف عن غيره من العقائد الدينية بان دائرته لا تنتهي ابدا ، وقد احتفظ به مجموعة من الكهان والسحرة وتناقلوه معلنين ان بيدهم (مفاتيح الاسرار الالهية و " اسرار القدس الاعلى " وان بالغنوص الخلاص الابدى ، ذلك الوحي المتجدد والفيض الذى ينبعث دائما من الملأ الاعلى ولا نعرف بالدقة اين ظهر ... هل اتى من فارس أو من الهند ؟ : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام د . علي سامي النشار ١ : ١٨٦

وللاستدلال على ذلك اخترت بعض النصوص الدالة على ايمانهم بنظرية المعرفة والاسرار الخفية.[١] الا ان هذه النصوص في راى هذا الصدر لا تكفي لوضع اسس قرابة بين القمرانيين والغنوصية، فهو يقول عن ذلك (فالتشابه بين الغنوصية والقمرانيين هنا لا يكفي لوضع اسس قرابه بينهما ولا شك ان المخطوطات تحتوى افكارا ومثلا تشابه تلك التي كان يدين بها الغنوصيون في نقاط مختلفة، ومن الممكن ان تكون بينهما حلقة اتصال غير مباشره وتاريخية غير قابلة للتعريف.

ويضاف الى ذلك القول (بان كانت الغنوصية لم تؤثر في ديانة شريعة قمران اليهودية فكل منهما قد اغترف الماء من نفس المصدر، فالافكار تتشابه وقد توجد في البلاد المتاثرة بالمجوسية او ديانة بلاد فارس القديمة، ولربما يقول "كون":

(ان مخطوطات البحر الميت ترينا النقطة التي تدفق عليها تيار تأثير الديانة المجوسية .. (فقد) جرى في جدول التقليد اليهودى والتقى به .)[٢].

كما يذهب البعض الى انهم كانوا يعتقدون بثنائية النور والظلام ونظرية الخير والشر.[٣]

اذ لمس الباحثون وجود عبارات "جيوش النور والظلام" وتنازعهما حيث تتصارع الجبهتان في داخلية كل انسان يتزعم الاولى من جهة ميخائيل امير النور متحدا مع روح النور او روح الحق، ويقود الثانية من جهة اخرى بليعل او ملاك الظلام مع جمهرة ارواح الظلام او ارواح الشر المسيطرة على العالم الارضي)[٤].

ويتفق المتهمون على ان هذه النظرية مأخوذة من الفكر الفارسي وعلى الاخص الزرادشتي.[٥] فحول هذا التأثير يقول النقاد (على الرغم من ان طبيعة التقارب بينهما نقول: ان افكار كتاب النظام ايرانية بدلا من ان نسميها غنوصية فالتأثير الايراني يظهر بصورة خاصة في الادب الذى يدور حول الرؤيا والذى يتضمن كتاب سفر دانيال في العهد القديم وكتب اخنوخ غير القانونية.

وقد عثر في كهوف قمران على اجزاء من هذه الكتب التي لها اوجه تقارب في نقاط عديدة في هذا النوع من الاداب مع المخطوطات وكثيرون هم الكتاب الذين لاحظوا ان فكرة الاسرار الالهية التي تعبر عنها مخطوطات البحر الميت تعود الى هذا النوع من التفكير الغيبي فكتاب دانيال يستعمل كلمة (سر) التي تظهر في مخطوطات البحر الميت وان الفقرات المأخوذة من مخطوطات دانيال الكثيرة التي عثر عليها في الكهوف تبرهن ان نساك يهوذا كانوا يعرفون هذا الكتاب وقد لوحظت ايضا تعابير مشابهة في كتاب اخنوخ.[٦]

---

١ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٢٥٣، ٢٥٦ ٢ - المصدر السابق
٣ - كنز قمران ص ٢١٦-٢١٧ ٤ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/ ٣٨١
وقارن مع: مخطوطات البحر الميت " للعابدى ص ٢٥٩

٥ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/ ٢٨١ ومخطوطات " العابدى " ص ٢٥٩ وكنز قمران ص ٢١٧

٦ - مخطوطات البحر الميت " العابدى " ص ٢٥٩-٢٦٠ وكنز قمران ٢١٧

ومن الاتهامات المسجلة ضدهم ايضا ما قيل بانهم كانوا يقدسون بعد الله تبارك وتعالى شخصا اخر يسميه يوسيفوس (معطينا الشريعة) وهو موسى عليه السلام ، وانه كان في اعلى مكان من القداسة والاحترام لدى العهديين . (١)

فكلمة القداسة هنا تحيط حولها الشكوك بعض الشيء وذلك لان اغلب الباحثين لم يلمسوا قدسية موسى في المخطوطات ، وربما تكون الترجمة غير دقيقة أو ان معنى القداسة هنا لا يخرج عن كونه تقديرا واحتراما لا أكثر وهذا ما عبر عنه المطران صموئيل . (٢)

ومن تلك الإتهامات ما نقل أنهم كانوا يعتقدون بالبعث الروحاني دون الجسماني ، جاء ذلك إعتمادا على ما تحدث به يوسيفوس بشأن العقيدة المفروضة عليهم و (القائلة) (" بان الاجسام تفنى وان المادة التي عملت منها ليست خالدة لكن النفوس هي الخالدة والتي تعيش الى الابد " وعندما تتحرر من ربقتها كأنها مربوطة باجسادها وكأنها في سجن بقوة سحرية ، عندئذ تذهب الاجساد الى الفناء ، وتذهب الارواح الى الخلود). (٣)

وقد حلل البعض أقوال يوسيفوس هذه بقوله (اما الأخذ بالعقاب والثواب ، فناتج من الاعتقاد بخلود النفس وفناء الجسد ، والا فلا يمكن حصول القيامة والبعث فالنفس تنحدر من ألطف الاثير فتجتذبها محاسن الجسد بتشويق طبيعي معين ، فتنزلق ، وتحل فيه وتعيش متحدة به كانها في سجن ، وتتابع حياتها وتقوم باعمالها صالحة أو طالحة على أن السعي لنيل جزاء الصلاح واجب حتى يدرك الجسد الموت والفناء فاذا حان الأجل تتحرر من قيود الجسد تحرر الافلات من العبودية فان كانت صالحة ، تعيش في النعيم ، في مكان واقع فيما وراء البحر المحيط حيث لا يكدرها مطر ولا ثلج ولا حر وحيث يهب عليها النسيم اللطيف وينعشها وان كانت شقية تطرح في مكان مظلم بارد حيث تقاسي عذابا ابديا). (٤)

على ان هذا التحليل يلقى اعتراضا من قبل باحثين اخرين ، حيث لم يتضح لهم انها (افكار اغريقية وعقيدة غنوصية (اذ) لم ترد في مخطوطات البحر الميت. وان هذه الاراء فيها ما فيها من تعاليم مدرسة الاسكندرية وقد يكون يوسيفوس اخذ بالفلسفة الاسكندرية فنسبها الى الاسنيين في معرض الكلام عنهم وهو الذي انفصل عن جماعتهم قبل ان يدرك كنه معتقدهم . . .). (٥)

---

١ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٢٧٧-٢٧٨ ٢- كنز قمران ص ٢١٧

٣ - المرجع السابق ص ٢٨١ وراجع كذلك : المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٨ دار الطليعة ط١ ١٩٧٩ م .

٤ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٢ وكنز قمران ص ٢١٧ نقلا عن يوسيفوس

٥ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٢٨١

ومن ضمن المآخذ ما لاحظه د. النشار نقلا عن فيلون، من ان بعض عقائدهم تدين (بمذهب يلعب فيه علم الجن والملائكة الدور الكبير) (١).

كما وجهت اليهم تهم ترميهم بانهم اخذوا عن الفرس المفاهيم التنجيمية فذهبوا الى ان حياة البشر واعمالهم مسيرة على سير الاجرام السماوية وان الانسان يتأرجح بين تقلبات قوى الخير والشر المتنازعة فيميل الى هذه أو تلك حسب برجه فلكل برج نسبة حسابية تفرض على مواليده في انخراطهم بعالم أرواح النور أو أرواح الظلام) (٢)

كما يذهب البعض إلى ان (من بين المعتقدات التي اشيعت عنهم القول بانهم (لم يشكوا ابدا في ان اسرائيل كانت شعب الله المختار) (٣)

هذه بعض الانتقادات والاتهامات التي صدرت من قبل العديد من العلماء، وفي المقابل هناك من يذهب الى النقيض من ذلك.

وهذا الفريق يستند الى اراء متفرقة منها ما اعتمد على اقوال بيليني (٤) ومن ذلك قوله (ويتباهون ويتفانون في تقوى الله (سبحانه وتعالى) ولا يسمع لهم صوت قبل بزوغ الشمس حتى يؤدوا فريضة الصلاة باتجاه الشمس وكانما هم يتضرعون لتشرق، حتى اذا فرغوا من الصلاة صرفهم كبارهم كلا الى عمله) (٥).

ويعضد ذلك قول بعض الباحثين (انهم كانوا يشعرون بتسام روحي له شكر موجه الى الله تبارك وتعالى الواحد الاحد) (٦)

كما استدرك بطرس البستاني على يوسيفوس حول ذات الموضوع حيث اوضح ما ذهب اليه يوسيفوس بقوله (انهم يسمون نور الشمس نور الله ... ورأينا انهم لا يتلفظون بكلمة عالمية (اى دنيوية) قبل طلوع الشمس وانهم كانوا يصلون لها كل يوم لكي لا ينقطع نورها عن العالم ... (كما ذكر) يوسيفوس ايضا (انهم كانوا يعتقدون

---

١ - : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام .د. النشار، ١/٧٦-٧٧

٢ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٢٨١

٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٢٦١

٤ - بليني الكبير (٢٣-٧٣) هو مؤلف التاريخ الطبيعي . وقد كتب عن الاسينيين في كتابه الخامس والفصل السابع عشر .) راجع كنز قمران ص ٢١١

٥ - مخطوطات البحر الميت للعابدى ص٣٩-٤٠

٦- : صفحات مضيئة من تراث الاسلام ،انور الجندى ،ص ١١٢ دار الاعتصام ١٩٧٩

ان كل شيء خاضع لسلطة القدر وان لا شيء يحدث في الناس الا بامر القدر . .

فاذا اخذنا ظاهر هذه الالفاظ وقربناها - بعضها من بعض - نرى ان الله والشمس والقدر واحد عندهم وانهم كانوا يعبدون الشمس ويعتقدون القدرة الكلية في القدر فيظهر من يوسيفوس ان تعاليمهم اخلاط من مذهب الصابئة ومذهب القدرية وزادوا عليها اعتقاد استحقاق الأعمال وابدية العقاب والثواب ووجود حاكم مطلق) [(١)].

وقد رد البستاني على ذلك قائلا (فلا يخفى ما في التوفيق بين هذه الاراء من عدم المناسبة اذ يصعب تصديق كون جماعة واحدة تعتقد بوجود حاكم مطلق والقدر معا . . . فالمظنون ان يوسيفوس لم يدرك كنه اعتقادهم أو أنه أخطأ في تفسير بعض خرافاتهم وعباراتهم المبهمة) [(٢)].

وليس من الغريب ان يوجه النقد الى اقوال يوسيفوس حيث يذكر المؤرخون انه كان قائدا في الحرب مع الجيش الروماني الذى قضى على مساكن اصحاب العهد (القمرانيين) ووضع حدا للهيكل) [(٣)]

ونستنتج من ذلك ان ما ينقل عن يوسيفوس قد يكون مدسوسا على هذه الجماعة ولهذا يعترى الباحثين شك من اقواله خاصة في مجال العقائد .

وفي زحمة هذه الاراء يأتي راى الدكتور فاروق عمر عبد الله بنظرية تدعو الى التدبر بأمر هذه الطائفة تدبرا دقيقا للوقوف على حقائقها حيث تبين له من خلال دراساته الاولية لهذه الفرقة أن عقيدة التوحيد الخالص كانت منتشرة بينهم ، وقد ذهب إلى أن الجماعة قد بنت أسسها على النحو التالي :

اولا : كانت جماعة وادى قمران تعتبر نفسها الجماعة الصالحة الوحيدة في بني إسرائيل إلى أيام وجودها . . . واتهمت غيرها من اليهود بتحريف الكتب فقالت مثلا : بان التوراة التي انزلها الله تبارك وتعالى على سيدنا موسى عليه السلام قد حرفها وشوهها وافسد معانيها المفسرون والمؤولون والمبطلون من بني اسرائيل ولذا فان وظيفة جماعة وادى قمران الأولى والأكبر في اعتقادهم - هي ان يحافظوا على الاصول الصحيحة والتفسير والتاويل الصحيحين لها ويبينوها للناس) [(٤)].

---

١ - : دائرة معارف بطرس البستاني ٣ / ٥٠٠

٢ - المرجع السابق .

٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٢٧٦

٤ - فقرة من محاضرة الدكتور عن " مخطوطات البحر الميت والبحث عن اصول النصرانية الاولى .

ثانيا : اعتقادهم بمجيء المسيح ومجيء رسول اخر الزمان (عليهما افضل الصلاة والسلام) والاستعداد لقبولهما ولتعزيز رسول اخر الزمان خاصة ونصرته (عليه الصلاة والسلام) على كفار جميع الامم .

واعتبرت الجماعة القمرانية هذه التعاليم من أهم الاسرار التي تحتفظ بها والتي لا تستطيع اباحتها بين عامة اليهود الا(بتعريض) من أباحها للقتل على أيدى الفاسقين من بني إسرائيل أعداء الحق وأعوان الشياطين .

وبعد استعراض الخطوط السرية التي كانوا يتداولونها يذهب صاحب المحاضرة الى ان (بعض الكتب الاخرى الخاصة بهم (كانوا يكتبونها بخط سرى خاص ومن النصوص المكتوبة بخط معكوس قطاعات من وصف طويل لولادة رسول عظيم يولد آخر الزمان يعينون تاريخ ولادته بذكر منازل البروج ثم يصفونه ويصفون بعض العلامات التي تكون على جسمه الشريف وصفا دقيقا .

وان الوصف وان كان مجزءًا وغير كامل ، يصدق على المصطفى عليه وعلى اله واصحابه افضل الصلاة والسلام .

ثالثا : ان نسخة العهد القديم التي بايدينا اليوم لا تحتوى الا على ١٥٠ مزمورا من مزامير زبور داود عليه السلام وان نصوص الكتابيين التي بين ايدينا اليوم لا تصرح بان داود عليه السلام كان نبيا بل ينكر كثير من النصارى كونه نبيا بسبب مفهومهم الخاطئ للنبوة ولكن مخطوطات وادى قمران تصدق القرآن الكريم في ذلك فتقول بالنصوص الصريحة : ان داود عليه السلام كان نبيا وأن جميع ما أوتي من الزبور ما جاء إلا وحيا من لدن العلي العظيم .

رابعا : لم تخف (الجماعة عداوتها للصدوقيين وسائر خدمة الهيكل الثاني الذين عرفوا بالفسق والانحراف عن الحق . . . وان كتب جماعة وادى قمران تسمي الفريسيين بالمرتدين والمنافقين ومعلمي النفاق .

خامسا : كانت هذه الجماعة تقول (بانه كان دائما في بني اسرائيل في كل جيل منذ الزمن الاول بقية قليلة من الصالحين لم يخونوا العهد واوفوا به وان الله تبارك وتعالى لم يرحم بني اسرائيل ولم يهلكهم مع كثره فسقهم إلا بسبب تلك البقايا الصالحة في كل جيل . . . . وهم يعرفون انفسهم بالغرباء في قومهم .

وكانت هذه الجماعة تعرف نفسها احيانا بانها هي واتباعها جنود الله المرابطين : الذين يقتدون في ذلك بموسى ويوشع بن نون (عليهما السلام) فيبقون على الاستعداد الدائم ليجاهدوا في سبيل الله فيطردوا المشركين والكفار من الارض

كلها ، وكانوا يستفتحون في ذلك . . . بـــــرسول آخر الايام الذى ينتصرون به علـــى جميع الامم ويسمون أنفسهم بالمتطوعين .

وقد استشهد المحاضر بنصوص من سفر اشعيا* وقارنها بنصوص من انجيل يوحنا وسفر تثنية الاشتراع للدلالة على بشارة التوراه بالرسول صلى الله عليه وسلـــــم واثبت ما حذف من انجيل يوحنا في هذا الصدد وقابله بما للقرانيين من نصـــوص تثبت صحقيعته . موضحا احتمال ان يكون يحيى عليه السلام مشاركا في هـــــذه الجماعة بحسب اراء بعض العلما* .

هذا وبعد استعراض المواضيع يقرر الباحث ان عقائد القرانيين حسبما تبين له حتى الان كلها توحيدية توافق الاسلام تماما ثم انهم كانوا حذرين من الشرك ، كان ايمانهم بالقضا* والقدر واضحا جدا ، وكانوا يركزون على الاهمية بالرضا بالقضا* والقدر ويكل ما أنزل الله تبارك وتعالى على اليهود بحكمته وعدله لنكثهم العهد .

واما م ذلك فانه لا يسع القول سوى ان هذا البحث لا يزال بكرا ولا بد من انتظار بعض الوقت للوقوف على كامل التفاصيل المتعلقة بهذه القضية ، والى حيـــن ذلك فلا بد من التاكيد: انه ان ثبت حرص هذه الجماعة على تعاليم موسى عليه الســـلام وشرعه فهي طائفة مخلصة دون ريـــب ، وان ثبت العكس فهي ضالة منحرفة .

هـــذا من الناحية العقدية ، اما من الناحية السلوكية والتعاليـــــم النسكية فسنرى ذلك كله من خلال استعراض الافكار والمبادىء التي التزمت بهـــا الجماعة وذلك للحكم عليها من هذا الجانب .

الفصل السابـــــــع :

العبـــادات :

١ ـ الصلاة :

من الفرائض التي التزم بها القمرانيون : القيام الى الصلاة بعد طلـــوع الشمس وذلك عقب التطهيـــر بالماء (١)

ومن ضمنها : الصلاة والقراءة عند الساعة الخامسة، وتكون قبل الاكل (٢).

ـ كما انهم يعكفون على قراءة الكتاب (التوراة) وتفاسيره ، ويقوم الجمهور بالسهر معا ثلث الليالي على مدار السنة للقراءة والصلاة الجماعية (٣).

ولا جل ذلك فهم يقسمون انفسهم ثلاثة افواج :

الفوج الاول : يحيى الثلث الاول من الليل اى السهرة كلها .

الفوج الثاني : يحل محل الاول .

الفوج الثالث : يستمر حتى الصباح ، فيقضي الليل كله (٤).

٢ ـ الصوم :

ـ كانوا يكثرون مـــن الصيام حتى لقد كانوا لا يتناولون الطعام الا وجبه واحدة كل ثلاثة ايام او يزيد (٥).

٣ ـ تقديم القرابين :

ومن العبادات ايضا عندهم : تقديم القرابين وذلك في المعابد الخاصة بهم (٦). وقد نبذوا الذبائح الدموية في تقديمهـــا (٧) واقتصروا على النباتية فقط (٨)

واعتبروا التطهير انقى وافضل وتجاهلوا قدسية هيكل اورشليم ، ذاهبيـــن الى ان خلاص اسرائيل لن يتحقق من الخارج بذبح الحيوان بل من الداخل بالتنسك والصمت والتأمل والصلاة والتقشف حتى بلوغ اسمى درجات الفضيلة والاقتراب من الكمال (٩).

وهناك خلاف بينهم حول طريقة تقديم القرابين ، وقد حصل بين من سكـــن منهم في وادى قمران وبين من سكن في مصر (١٠).

---

١ ـ دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/٣٨٣ ، وحياة المسيح ، للعقاد ١١/٢٤٧

٢ ـ دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/٣٨٣

٣ ـ المرجع السابق

٤ ـ المرجع السابق

٥ ـ المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص١٤٧ ،

٦ ـ دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/٣٨٣

٧ ـ المرجع السابق والاسفار المقدسة د. وافي ص ٥٨

٨ ـ حياة المسيح ، للعقاد ص ١١/٢٤٦

٩ ـ دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨٣

١٠ ـ المرجع السابق ١٢/٣٨٣ ـ ٣٨٤

وانسجاماً مع مفهومهم الخاص عن المادة ، فقد حظروا على انفسهم تعاطي التجارة للربح[١] لانها في مذهبهم حرام ، وعلى خبيث[٢]، لهذا فقد كانوا يـزدرون الغنى[٣] ، واعتبروا اموالهم في الجمع والانفاق واحدة .[٤]

وفي تعاملهم الداخلي فانهم التزموا المقايضة[٥] فلا يبيعون ولا يشترون شيئا بعضهم من بعض ، بل يعطي كل منهم اخاه ما يحتاج اليه مما عنده ويأخذ منه ما يوافق حاجته .[٦]

الا ان ذلك لم يمنع من قيام كل واحد بحرفة خاصة به[٧] وغالبا ما يبدأ صاحب الحرفة عمله بعد الصلاة صباحاً .[٨] كما انهم اقتصروا على الزراعة والصيد وما يحتاجون اليه ويتصل بهما[٩] ، كما حرموا استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما لما يبعثان في النفوس من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح[١٠] . وكانوا يكرهون العبودية[١١] كما انكروا التفرقة العنصرية واقروا مبدأ المساواة بين الناس في القيمة الانسانية المشتركة وحرصوا على التعايش السلمي بين جميع الشعوب[١٢] . كما حرموا الاشتغال بصناعة الاسلحة والذخيرة وسائر الآت الحرب لتنافر الغاية التي تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم وهي أن يعيش العالم في سلام دائم.[١٣]

---

١ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨٤ وكنز قمران ص ٢١٨
٢ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٤٧ والاسفار المقدسة د . وافي ص ٦٠
٣ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى " ص ٣٩-٤٢ ومخطوطات البحر الميت لحمادة ص ٤٦
٤ - مخطوطات البحر الميت ، "للعابدى " ص ٣٩-٤٢
٥ - دائرة فؤاد البستاني ٣ ١٢/٣٨٤
٦ - المرجع السابق ومخطوطات بحر الميت ، للعابدى ص ٣٩-٤٢
٧ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٥٠
٨ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى ص ٣٩-٤٢
٩ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠
١٠ - المرجع السابق
١١ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨٤ والاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٩ وكنز قمران ص ٢١٨
١٢ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٩
١٣ - بحوث في الاسلام والاجتماع ، د . وافي ص ٢٧١ وكنز قمران ص ٢١٨

العلـــــوم

- عزف القرانيـــون عن دراسة المنطق لانهم اعتبروه ترفا فكريا (١) .

كمــا لم يبحثوا في العلم الطبيعي " لان مجاله أوسع من قدرات الانسان (٢)

واعتبروا المنطق وعلم المقولات والطبيعة لا فائدة منها (٣) .

- لكنهم كانوا يتفكرون في آثار الله سبحانه بتدبر مخلوقاته والنظر في الكون (٤) .

- اهتموا بالقراءة المتعلقة بالاخلاق وفيما يزيد معرفتهم بها وينميهــا (٥)

- كانوا يجتمعون يوم السبت في معابدهم ويجلسون كل بحسب رتبته ، وكـــان للقدماء منهم في الاخوية المحل الأعلى من المعبد وكان أحد الحاضرين يقرأ ثم إن عضوا آخر مختارا من اكثرهم علما ومعارف يفسر الجمل الصعبة على الفهم ، وكانت خطبتهـــم وكتبهم تمتاز عن غيرها بما يستعملونه فيها من التشابيه والاستعارات المتنوعة . (٦)

---

١ - الموسوعة النقدية ، د . حفني ص ٥٠

٢ - المرجع السابق

٣ - دائرة معارف بطرس البستاني ٣ / ٤٩٩

٤ - الموسوعة النقدية ، د . حفني ص ٥٠

٥ - المرجع السابق .

٦ - دائرة معارف بطرس البستاني ٣ / ٤٩٩

الاخـــــلاق

اســـــهب الباحثون في وصف السجايا الخلقية التي كانت تلازم القمرانيين ، ويمكن حصرها بالاتي :

- التعاون ، اذ كان سمة اساسية بين الافراد اضافة الى الاحترام المتبادل بينهم .(١)

- اكرام الضيف ، فقد كانوا على فقرهم يحسنون الضيافة ولاسيما مع الاخـــوة فاذا جاءهم احد من مكان اخر ، وضعوا ما عندهم تحت تصرفه كانه له ويدأ هو يعمل كانه من أعرق السكان .(٢) ثم يحل ضيفا على أحد الأخوة المكلفين بالاعتناء بالغربـــاء في الاماكن التي ليس فيها اديرة ، فيقدم له الأطعمة والالبسة وسائر اللوازم .(٣)

- الاستئذان قبل التحدث إذا كان الإجتماع يضم عشرة اشخاص ،(٤) ويتحاشـــون البصق بحضرة بعضهم .(٥)

- لايتسرب اليهم الغضب ، واذا غضبوا ملكوا انفسهم ، وهم يقدرون الامانـــة (٦)

- يسعون دائما وراء السلام ،(٧) ويأبون صناعة السلاح .(٨)

- يصدقون كل ما يقولون ولا يحلفون ،(٩) والحلف لا يكون "الا عند قسم الجماعة مرة واحدة لتبيين الامانة والمحافظة على الجماعة .(١٠)

- الصبر على تحمل الاوجاع والاسقام .(١١)

- يحرصون على الصدق والوفاء .(١٢)

- اشتهروا بالطاعة والاحترام للشيوخ والاذعان لقولهم والخضوع لراى الاكثرية (١٣)

- يبالغون في نظافة الثياب ، ويؤثرون ارتداء البيض منها .(١٤)

---

١ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٣٩-٤٢

٢ - دائرة د فؤاد البستاني ١٢/٣٨٤ ومخطوطات البحر الميت " للعابدى ص٣٩ -٤٢

٣ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨٤

٤ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى ص ٣٩-٤٢

٥ - مخطوطا المرجع السابق

٦ - المرجع السابق

٧ - المرجع السابـــق وراجع كذلك قصة الحضارة ٣/٣:١٧٥

٨ - حياء المسيح ، للعقاد ١١/٢٤٧ وقصة الحضار ٣/٣ : ١٧٥

٩ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى " ص ٣٩-٤٢

١٠ - المرجع السابق ودائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨٤

١١ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى " ص ٣٩-٤٢ وقصة الحضارة ٣/٣:١٧٥

١٢ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨٤ وقصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥

١٣ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨٥

١٤ - الموسوعة النقدية ، د . حفني ص ٥٠ ومخطوطات البحر الميت ،للعابدى ص ٣٩-٤٢

"الاكـــل والشـــرب"

- اعتمد القمرانيـون على النبات في اكلهم ،لانهم "لا يأكلون اللحم"[١].
كما كانوا يأبون الذبح[٢].

- كانت لهم حجرة طعام خاصة حيث يأخذون مقاعدهم فيها بهيبة ووقـــار[٣]
وكانهم يوءمون هيكلا مقدسا[٤]، لكل واحد منهم رغيف غير الادام ، . . . .يبارك الكاهن على الخبز ثم ياكلون وحاشا لاحدهم ان يمد يده الى فمه قبل البركة ، حتى اذا أكلوا عادوا الى الصلاة خالعين ثياب الطعام وينبثون الى اعمالهم حتى الغروب[٥].

وكما تغدوا يتعشون ومعهم الضيوف بكل هدوء وسكون واذا تكلم أحدهم أنصت الكل إليه ولا يزيدون عن كفاية الشبع[٦].

- واضافة الى نبذهم المال امتنعوا ايضا عن شرب الخمور[٧] كما لم يوجد بيـنهم من يبيعه[٨] الا ان المطران صموئيل يذهب الى انهم لم يحرموا اكل اللحم وشرب الخمر[٩]

"الطـــب والتمـــريض" :

- اهتم القمرانيون بالطب فاذا "اعترى احد الاخوة (فيهم) مرض يعتنـــي به الخبراء كل الاعتناء" ، وقد كان بين الجماعة من يبذل جهدا عظيما في درس مصنفات القدامى ،ليتعرفوا منها على خصائص الحشائش ،والعقاقير والمعادن والحجارة ، وطرق استعمالها لمعالجة اخوتهم المتالمين[١٠]. حتى لا يضطرهم الامر الى تركهم يتضـــوررون ويسيرون الى الموت دون مساعدة ونجدة ولئلا يسلموهم الى اطباء نجسين من غيـــر صفوفهم[١١] اضافة الى تعاطيهم لطب الروح[١٢]. فقد كانوا "يداوون المرضى بالصلاة والاوراد والادعية[١٣]، وكانوا يعتقدون ان المرض ناشىء من تسلط الارواح الخبيثة على الادميين فكانوا لذلك يحاولون طرد هذه الارواح بالتعاويذ السحرية[١٤].

١- الاسفار المقدسة .د. وافي ص ٦١ ،والمســيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥
٢ - الموسوعة النقدية ص ٥٠ والمسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥
٣ - مخطوطات البحر الميت ،" للعابدى " ص ٣٩-٤٢
٤ - مخطوطات البحر الميت " لحمادة " ص ٤٧
٥ - مخطوطات البــــحر الميت " لـلعابدى ص ٣٩-٤٢ ، ومخطوطات البحر الميت لحمادة ص ٤٧
٦ - المرجع السابـــق .
٧ - دائرة فوءاد البستاني ١٢/٢٧٣ والاسفار المقدسة ص ٦١
٨ - دائرة معارف بطرس البستاني ٣/٤٩٨ ٩- كنز قمران ٢١٥
١٠ - دائرة فوءاد البستاني ١٢/٣٨٥ ومخطوطات البحر الميت " لحمادة" ص ٤٨ ودائرة بطرس البستاني ٣/٤٩٩
١١ - دائرة فوءاد البستاني ١٢/٣٨٥ وحياة المسيح " للعقاد " ١١/٢٤٦
١٢ - حياة المسيح ١١/٢٤٦
١٣ - مخطوطات البحر الميت "للعابدى ص ٣٩-٤٢ وحياة المسيح ١١/٢٤٦
١٤ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥

" الانتظــام في الجماعــة وشروطــه "

رتب القمرانيون انفسهم بحسب الدرجات والرتب والاقدميــة .

- فقد وجد في هذه النحلة ثلاث درجــات هي : (١)

درجــة التلميــذ : ويقبلون فيها الصبيان فيط دون الحلم .

درجة المقسميــن : وهم الذين يقسمون اليمين ويقضون سنة في الرياضة والتدريب على العبادة والاطلاع على الاسرار .

درجــة الواصليــن : ويقضي فيها سنتين ، ثم يلبس شعار الطائفة وهو ثوب ازرق وزنار ويحمل الفأس في يده كناية عن العمل الشاق . (٢)

ولهم في المرحلة الاولى والمرحلة الثانية شعائر متواترة يقوم بها الاساتــذة منها الاغتسال وتلاوة بعض العهــود .

- يقسم احدهم مرة واحدة بيمين الامانة والمحافظة على الجماعة (٣) ولا يبوح بسرها ولو اقتيد الى عذاب الموت (٤) ويحرم عليه القسم بالحق او الباطل مدى الحياة (٥)

- يجوز فصل العضو اذا حنث في يمينه ، واتفق مائة من الاخوان على ادانتــه بل يجوز الحكم عليه بالموت اذا بلغ الحنث حد الخيانة والكفر بقواعد الايمان . (٦)

- يقدّر الاقدم فالاقدم ممن التحق بهم (٧)

- وليس لاحد من القسم الاكبر أن يمس احداً من دونه والا اغتسل . (٨)

ومن الشروط الاخــرى الموضوعة لهذا الغرض :

- عدم وجود الموانع ،كالعاهات الجسدية أو الخلقية ، كالابله ،او الاحمق او المجنون ،او الجاهل ،ومن كان ضعيف العينين لايبصر بهما ، والكسيح او الاعرج او الاطرش ،او القاصر .

فاذا ثبت وجود احدى هــذه العلل لا يدخل الى احضان الجماعة لان الملائكة القديسين تقوم وسطها . (٩)

- الحرص على جميع العادات والتقاليد . (١٠)

---

١ - حياة المسيح ، للعقاد ١١ /٢٤٧
٢ - المرجع السابق
٣ - المرجع السابق
٤ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ /٣٨٠
٥ - حياة المسيح ١١ /٢٤٧
٦ - المرجع السابق ١١ /٢٤٧
٧ - مخطوطات البحر الميت ،للعابدى ٣٩ - ٤٢
٨ - المرجع السابق
٩ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ /٣٨٠
١٠ - مخطوطات البحر الميت ص ٣٩-٤٢

- الاختبار لمدة سنة ،فاذا نجح رقي لاول درجة ويغمس بالماء الطاهر.
- ولا يشارك الجميع في الطعام الا بعد اختبار اخر مدته سنتان واذ ذاك يقبلونه تماما . (١)

- الحلف باليمين المغلظة ان يعبد الله مخلصا له الدين وان يسير بالعدل والحق مع كل انسان ولا يسيء الى احد ... وان يعرض عن الجاهلين ، ويعاون الابرار وان يكون أمين الروح مع الناس لا سيما اولي الأمر وأن يتعلق بالحق ويمقت الكذب ويقاتله .
- ان يكون نقي اليدين من كل سرقة او ظلم منزها عن اضمار السوء .(٢)
- ويتم اختيار الزعماء او القادة منهم بالانتخاب والاقتراع .(٣)

العقوبات :

- فانه لا يجوز التجديف على الله ، وشترعهم اى موسى عليه السلام ، والا حكم عليه بالاعدام . (٤)
- والاحكام كانت تلفظها بالتصويت وبعد التدقيق والتمحيص ، هيئة محكمة لا يقل عدد اعضائها عن المائة .

فمن ارتكب احدى الكبائر ووقع في الخطايا الشائنة يطرد من بين الجماعة فيكون مصيره الموت المحتم لانه لا يتناول ما يجد من الطعام ، ارتباطا منه بقسمه ومعاداته فيضطر الى ان يأكل العشب فيضعف جسمه حتى الهلاك .(٥) ، واذا كان له من حظ ،او من شفيع يشفق عليه في الرمق الاخير فيعاد ثانية الى الحظيرة باعتبار ان ما حل به من بؤس يكفي للكفارة والتوبة الحقيقية .(٦)

---

١ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٣٩-٤٢
٢ - المرجع السابق
٣ - قصة الحضارة ٣/٣-١٧٤
٤ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/ ٣٨٥
٥ - المرجع السابق ، وكذلك مخطوطات البحر الميت ،للعابدى ص ٣٩-٤٢
٦ - المرجع السابق .

التبتـــل و " نظرتهم الى المرأة "

تشدد القمرانيون في قهر الجسد للتغلب على الشهوات التي تعتبر في عرفهم منبع الشرور والجريمة [1]، وعلى العموم فان المادة عندهم مصدر الشر كله والسرور بهما سرور بالدنس والخيانة [2]، فكان همهم "كبح جماح النفس وقمع ثورة الهوى [3] ولهذا كانت الرهبنة غالبة عليهم فحرموا الزواج واحسبوا التبتل والبعد عن النساء [4]، وبهذا الامتناع فانهم لم يعرفوا للعائلة من معنى [5]، فاذا ما ارادوا تأمين استمرار الجماعة انتقوا اولاد غيرهم ممن يتوسمون فيهم الخير والصلاح فاخذوا يدربونهم على الحياة الفضلى [6]، في رأيهم .

حتى اذا اشتعلت الفتنة في ايام هركانس الاول (١٣٤-١٠٤ق م) دخل كثير من الفرق الاخرى كالفريسيين والصدوقيين هربا من الموت وانتظموا مع القمرانيين وشاركوهم في مبادئهم وكذلك اثروا في بعض افرادهم خاصة في قضية الزواج [7].

فلما كثر الجمهور وتداخلته افكار جديدة [8] قامت فئة منهم تقر بصوابية الزواج وضرورته لتأمين التسلسل والتناسل بين البشر [9].

فاذا رغب أحدهم في الزواج عليه أن يحترس من سلوك المرأة لان النساء جميعهن فاسقات ، وليس بينهن واحدة تحافظ على امانتها لرجل واحد [10]، لذلك يمتحن الخطيب خطيبته ثلاث سنوات فاذا اقتنع بفضيلتها تزوج منها ، ولا يساكنها وهي حامل ، ليبرهن على انه لا يتزوج لاجل اللذة ، بل لاجل التوالد ، وعاش المتزوجون وهم اقلية وحدهم مع عيالهم الا انهم كانوا خاضعين في سائر الامور لفروض الجماعة وقوانينها [11].

ورشح أن جماعة من النساء دخلن في صفوف الجماعة فتبين انهن من المخطوبات للاسينيين او من زوجاتهم أو من بناتهم اللواتي يطلبن الزواج ، ولم

---

١ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٤ ومخطوطات البحر الميت ، للعابدى ٣٩-٤٢ والاسفار المقدسة ، د. وافي ص ٦٠-٦١

٢ - حياة المسيح ، للعقاد ١١ / ٢٤٧

٣ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى ص ٣٩-٤٢

٤ - حياة المسيح ، للعقاد ١١ : ٢٤٦-٢٤٧ و المسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٧

٥ - الاسفار المقدسة . د . وافي ص ٦٠ ومخطوطات البحر الميت لحمادة ص ٤٦ والمسيح في مفهوم معاصر ، ص ١٤٧

٦ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٤ ، ومخطوطات البحر الميت ، للعابدى ص ٣٩ -٤٢ ومخطوطات البحر ، لحمادة ٤٦

٧ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٤ ٨ - المرجع السابق ٩ - المرجع السابق و مخطوطات البحر الميت ، لحمادة ص ٤٦

١٠ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٤ ١١ - المرجع السابق ودائرة بطرس ٣ / ٤٩٨

توجد فئة من النساء منفردة عن الرجال (١)

اما في حال الاغتسال والوضوء الجماعي ، فكان النساء يتقدمن من الاحواض لابسات بعض اثوابهن ، والرجال متمنطقين بالبستهم ايضا . (٢)

اما الذين ابتعدوا عن الزواج ولم يتاثروا بالقادمين طيهم من الفرق اليهودية الاخرى فانهم التزموا الصمت والتفكر والندم واعتقدوا ان كل ما يباح من السرور هو سرور الروح او سرور الاتصال بعالم الارواح وهو عالم ساوى في اطى الاثير يرتفع اليه المؤمن بالعبادة والرياضة والقنوت (٣) ، وقد ادت المغالاة الى قيام بعضهم بخصاء انفسهم . (٤)

التقويم والاعياد السنوية

اهتم القرانيون بالتقويم السنوى ، وقد عنوا من خلاله اعيادهم وايام خدمة كهنتهم ، فمن اعيادهم مثلا : الفصح ، والفطير ، والاسابيع وغيرها . وتخدم كل عيد اسره معينه من اسر الكهنة ، كما كانت لهم اعياد اخرى مثل : عيد الحصاد ، وعيد الصيف ، وعيد البذار ، وغيرها ، واصل هذا التقويم انه نسخة عن التقويم المصرى الشمسي العائد الى أواخر الالف الخامس قبل الميلاد . (٥)

---

١ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٤

٢ - المرجع السابق

٣ - حياة المسيح للعقاد ١١ / ٢٤٧

٤ - المسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥

٥ - راجع بتوسع : دائرة فواد البستاني ١٢ / ٣٨٦

الديـــر الكبير أو " المدينة الاسينية "

بهذه القواعد والانظمة والقوانين عاشت جماعة وادى قمران فـــي معسكرها الجماعي بل داخل دير كبير حوى جميع المرافق والانشاءات الضروريـــة للعيش الجماعي المشترك المتكافىء دون الحاجة الى الاتصال بالعالم الخارجي .

لقد حوى هذا الدير برجا ، وجناحا من طابقين تدورعلى جانـــب غرفته الرئيسية مقاعد حجرية وقاعة كبرى فيها طاولات من الجص والاجر ينسخ عليهـــا النساخ الاسفار المقدسة عندهم وعليها محابر من البرونز .

وفي بـــعض الطـــاولات فجوات للماء المقدس يتطهر به الكتاب عنـــد الشروع بالعمل . كذلك حوى غرفا منها :

المطابخ ، - المغاسل ، - قاعة الاجتماع والصلاة والقراءة . ولا قاعـــة المآدب " المقدسة " المشتركة .

كذلك ضم الدير الكبير معامل الخزافين ، والحدادين والنحاسين . وكذلك الاهراءات (صوامع الغلال) والمطاحن ، والمخابز والمخازن ، كمـــا اقيمت مقبرة بالقرب منه .

وقد لوحظ وجود غرف نوم جماعية ولم تر غرف فردية .[(١)]

ولا شك ان هذا النمط من الابنية سيكون له تأثير كبير في الاديرة المسيحية فيما بعد . وهذا ما قـــام به الرهبان الى حد ما .

---

١ - يراجع في هذا الصدد :

قصة الحضارة ، ديورانت ٣/٣ ١٧٥

و يراجع بتوسع دائرة فوائد البستاني ٣٧٨/١٢

الفصل التاسع :

نقـــد مبـــادىء الرهبنة اليهودية

لم تكن الانظمة والمبادىء التي سبق الحديث عنها نابعة مـــن اصول شريـــعة موسى عليه السلام ،وذلك لان توط غريبا قد صاحب هذه التعاليـم وصبغها بصبغةلم يأمر الله تعالى بهـا .

ومـــرد ذلك كله يرجع الى طبيعة الانحراف العقدى الذى اصـــاب بني اسرائيل بصوره عامة والذى أثر بشكل أو بآخر على فهمهم للشريعة ، وقد جـــرف معهم جماعة وادى قمران التي تأثرت بالمبادىء الدخيلة .

ومع ذلك فانه يجب عدم انكاران بعضا من التعاليم الاصلية والشرعيـة قد حافظت على وجودها بين القوم ، ولهذا يلاحظ وجود بعض الجوانب الاخلاقيـة والمبادىء السلوكية كالصدق والامانة والاخلاص في العمل وحب الافراد بعضهم لبعض الى غير ذلك مما يتفق مع الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام ، فهذه بقايـــا من تلك الشريعة التي ذابت وانمحت في لجج ومتاهات بني اسرائيل .

اما المؤثرات الخارجية فتتضح جلية من خلال المبادىء السلوكية والاراء الفكرية التي تتفق مع الفكر اليوناني القديم المتأثر بالفلسفة الهندية وعلى راسهـــا البوذية والجينية ، فقد لاحظ بعض الباحثين ان التأثيرات البوذية قد (انتقلـــت الى مصر وغيرها بعد ارسال الملك البوذى اشوكا بمبشريه الى تلك الديار).(١)

فالحركة الفكرية الدينية الوثنية المعاصرة .... كانت في جوهرها مماثلة للرهبنة اليهودية ،(فالجماعة بعد ان فقدت ثقتها بمؤسساتها التي تنتمـي اليها اخذت تفكر بالنجاة الروحية الفردية وكان الدين ذو الطقوس الخفية الغامضـة قد بعث هذا الامل في صدور الالاف المؤلفة من اليونان وفي بلاد الشرق الهيلنستي وايطاليا ولكن هذا الأمل أو الحاجة اليه كان اليهود في انتظاره ، كان الفقـــراء او المحرومون والمظلومون او المحتقرون في هذه الارض يتطلعون الى الله كي يرسل لهم من ينجيهم ويرفع عنهم نير الذل والعذاب).(٢)

---

١ - هامش : قصة الحضارة ٣/٣ : ٢١٥
وكذلك راجع مخطوطات البحر الميت ،لحمادة ص ٤٩

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٨٣

لكل ذلك كانت هذه المبادئ بحاجة ماسة الى تصحيح في المفاهيم والاراء الدخيلة على دعوة موسى عليه السلام ، والقمرانيون في زحمة الصراع والنزاع كانوا يشكلون احد الامراض المتنوعة التي انتابت بني اسرائيل ، فكان الجو مهيأ والحالة هذه لبعث عيسى عليه السلام لتصحيح الفساد المستشرى .

وسنلاحظ من خلال نقد المبادئ مدى الانحراف الذى تمادى به القوم ، فالنقد سيوجه الى المبادئ التالية :

- مبدأ تحريم أكل اللحم وذبح الحيوان
- مبدأ الاشتراكية في الاموال والاعيان
- مبدأ الالتزام بالاعياد الوثنية
- في بعض الانظمة والقوانيين الداخلية
- في التكتم والسرية
- في قساوة العقوبة
- في مبدأ الاغتسال من اللمس أو المصافحة بين الافراد .
- في البعد عن النساء وعدم الزواج
- في اتخاذ الدير الكبير ، والانعزال عن الناس والمجتمع .

نقد مبدأ عدم أكل اللحوم وذبح الحيوان

حرم الله تبارك وتعالى على بني اسرائيل بعض الامور واحل لهم امورا اخرى . ومن ذلك قول الحق على لسان عيسى عليه السلام (وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) (١) .

وقد اشار العلماء الى ان ما حرم عليهم هو : لحوم الابل والثروب (٢) والشحوم وفي اشياء من السمك وفي اشياء من الطير ؛ . . . فجاء عيسى بالتخفيف منه في الانجيل (٣) .

ومن هذا يلاحظ ان التحريم هنا لم يكن على اطلاقه ، فقد ابيح لهم اكل بقية الانعام ، اما رهبان وادى قمران فقد حرموا على انفسهم اللحوم مطلقا واقتصروا على النبات . وهذا الرأى قد مر في الابواب السابقة ، ولوحظ وجوده عند الجينيين والبوذيين ، وقد تأثر به الى حد كبير الفيثاغوريون .

وقد اشار العقاد الى تأثر القمرانيين بهذا المبدأ فقال :

(وقد نشأت الطائفة (اى في بدايتها) على الاغلب بالاسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد واقتبست من مدارس الاسكندرية كثيرا من انظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية كمذهب فيثاغورث الذى يحرم ذبح الحيوان ويدعو الى التقشف والقناعة بالقليل) (٤) .

---

١ - ال عمران : ٥٠-٥١

٢ - الثروب ج : الثرب ، وهو شحم قد غشي الكرش والامعاء رقيق : راجع : مختار الصحاح مادة ثرب .

٣ - : فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ١ : ٣٤٣ ، مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ط٢ ١٣٨٣هـ-١٩٦٤ م

و التسهيل لعلوم التنزيل للامام ابى القاسم محمد بن احمد بن جزى الكلبي الغرناطي ١/١٩٢ ت : محمد عبد المنعم اليونسي وابراهيم عطوة عوض ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة حسان ، القاهرة .

٤ - : حياة المسيح ، للعقاد ١١/٢٤٦

مبـــدأ الاشتراكية في الاموال والاعيان :

تبنى رهبان قمران كما مر مبدأ شيوعية الاملاك والاموال والاشتراك الكلي والجماعي في امور العشيرة

وهذا المبدأ ايضا لم يكن نتيجة ردة فعل تجاه اليهودية الجامحة نحـــو المادية وحسب ، بل هو بدعة وجدت قبل نشوء هذه الفرقة بزمن بعيد ، فقد تلقفها رهبان قمران واقاموا بها نظاما لهم .

وقد حلل المختصون الاسباب الكامنة وراء اتخاذ القمرانيين لهذا المبدأ وارجعوا السبب المباشر الى الحالة الاقتصادية التي تقلب فيها بنو اسرائيل وبيـــنوا الفرص التي اتيحت لهم (للاثراء واستثمار الاموال ، وقد افاد من هذه الفـــرص اكبر افادة بعض طبقات وبعض افراد من بني اسرائيل ، فملكوا الضياع والقصور وغرقوا هم ونساؤهم في الترف والنعيم ، وظهرت الفروق واسعة صارخة بينهم وبين سائر افراد الشعب في مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم وسائر شئون حياتهم .)[١]

وهـــذا بدوره يؤدي الى الانحدار نحو الظلم والبغي فقد (استعلـــوا على غيرهم استعلاء كبيرا وكان لا بد لهـــم لكي يبقوا على مستواهم المعيشي والاقتصادي ان يمعـــنوا في ابتزاز الطبقات الدنيا وتجريدها من كل شيء ولم يكونوا ليخشـــوا من جراء ذلك جزاء ولا حسابا ، فقد كانوا هم الصفوة المختارة الذين يراقبون الناس ولا يراقبون ويحاسبونهم ولا يحاسبون . وكانوا قادة الشعب وحكامه بيدهم الحـــل والعقد ، وعن طريقهم تساس الامور .)[٢]

لقد نشأت عن هذا الطغيان مظالم وويلات اخلاقية واجتماعية كثيرة من ذلك انهم كانوا (لا يتورعون في سبيل الاثراء عن الالتجاء الى اخس الوسائـــل فكانوا ياكلون السحت ويمدون ايديهم للرشوة ويسلبون اموال الضعفاء واليتامــــى والارامل ويقرضون المعوزين من بني اسرائيـــل ربا فاحشا ثم يستولون على اراضيهم سدادا لديونهم او يبيعونهم ويبيعون اولادهم وزوجاتهم بيع الرقيق ، فاستحالـت من جراء ذلك معظم الاراضي الى اقطاعيات كبيرة يملكها عدد محدود من الافـــراد

---

١ - : "بحوث في الاسلام والاجتماع"، د . علي عبد الواحد وافي ص٢٦٩ - ٢٧٠ .

٢ - المرجع السابق .

والطبقات ، وتكدست كذلك معظم الثروات الاخرى في ايدى هؤلاء حتى لقد ضاقت بها بيوتهم ولم يقو البشر على حراستها فلجؤا الى بيت الاله نفسه ورعايته فاستحال بذلك المعبد الى (بنك) يهودى لحفظ ودائع بني اسرائيل وكان من نتائج ذلك ان اختفت الملكيات الصغيرة او كادت) (١) .

لقد جرت هذه المظالم الى البؤس والشقاء كثيرا من الناس وقد عبر أشعيا عن هذا الوضع المزرى قائلا (ويل للذين يصلون بيتا ببيت ويقرنون حقلا بحقل حتى لم يبق موضع ، فصرتم تسكنون وحدكم في وسط الارض) (٢) .

ولا شك أن هذا الوضع كان نتيجة حتمية لاختلال ميزان الحق والعدل عندهم وللانحراف الكبير الذى شهدته عقيدتهم الزاحفة ، فانعكس ذلك على الوضع الاجتماعي الذى ولد بالفعل نقمة عارمة بين الطبقات الدنيا والتي حاولت باسلوبها التعبير عن رفضها لهذا النهج بالهروب من هذا الواقع المؤلم الى حياة جديدة تختلف اختلافا كبيرا عن سابقتها فهربت من التطرف الراسمالي الى التطرف الشيوعي وهذا ما فعلته الرهبنة اليهودية .

ولا بد من الاعتراف هنا ان هذا المبدأ الجديد الذى لجأت اليه الجماعة كان معمولا به منذ عهد ليكورغوس (LYCURGUES.) في القرن التاسع قبل الميلاد الذى حاول تطبيق هذا النظام في (اسبرطة) .

فقد حقق هذا الاخير (نظاما شيوعيا مبتكرا لم يسبق اليه وذلك انه الغى نظام الملكية الفردية للارض واعاد تقسيم "لاكونيا" الى ثلاثين الف قطعة متساوية القيمة بعدد الاسر الاسبرطية حينئذ واعطى كل اسرة قطعة منها فاصبحت ملكية الارض جماعية واصبح جميع الاسر سواسية . . وجعل للدولة نفسها اى للمجتمع العام نصيبا كبيرا من غلة الارض ودخل الناس في مختلف مظاهر الانتاج .

وفي مقابل ذلك تنفق الدولة على جميع الشؤون العامة واعمال الحرب وتاخذ على عاتقها تربية جميع الاولاد الذكور وتنشئهم تنشئة عسكرية على نفقتها وفي دورها الخاص) (٣) .

وعلى نمط يقارب هذا النظام تم لجماعة وادى قمران تاسيس هذا المعسكر الضخم وتم فيه توزيع ما يحتاجه كل فرد بنسب مقدرة .

الا ان نصيب نظام ليكورغوس كان الاخفاق حتى لقد اضطر هو نفسه الى تعديل القوانين هذه واعاد توزيع الارض اكثر من مرة ولم يثبت شيء من هذا النظام البتة مع مرور الزمن) (٤) .

---

١ - بحوث في الاسلام والاجتماع ، د . وافي ص ٢٧٣
٢ - اشعيا ٥ : ٨-١٠
٣ - بحوث في الاسلام والاجتماع ص ٢٧٣
٤ - المرجع السابق .

وهذا النظام هو في جوهره ينطوى على فساد (ذاتي لتعارضه مع اتجاهات النزعات الفردية ومع السنن التي يقوم عليها العمران الانساني ، وتعتمد عليها العلاقات التي تربط الناس بعضهم ببعض .) (١)

كما ان الغاء الحوافز من اى نظام عملي يؤدى الى التقاعس والتواكل في العمل . والفشل الذى لقيه نظام (ليكورغوس) كان من هذا القبيل لهذا احتاج الى تغييره عدة مرات .

وصحيح ان جماعة وادى قمران كانت نهايتها على ايدى الرومان الفاتحين الا ان هذا النظام بحد ذاته ابقى الجماعة في حلقة مفرغة تدور حول نفسها فلا تؤثر في غيرها ولا غيرها يتأثر بها وظلت اعدادها كما هي ودوافعها محدوده واهدافها محصوره في نطاق ضيق ، مما أورث الشلل في أركانها . ولهذا كان الفشل ملازما لها .

---

١ - بحوث في الاسلام والاجتماع ص ٢٦٩

نقــد مبدأ الالتزام بالاعياد والتقويم المصرى القديم

ان استعمال القمرانيين للتقويم المصــرى والا حتفال ببعض الاعيــاد المتعلقة بمحاصيل الزراعة والثمار وغيرها من الاعياد الوثنية يجعل من هذه الجماعــة مقلدة لغيرها في نظمها ومبادئها .

ولا اعتراض من حيث المبدأ على استعمال التقويم من الناحية العلمية فهذا امر لابد منه لاستعماله في معرفة المواقيت والازمنــة ، انما الذى يعــاب هو ظاهرة التقليــد في اتخاذ ه تقويما للاعياد والا حتفال بها تبــعا للنظــام الوثني المصرى القديم .

وصحيح ان هذه الجماعة لم تكن تشارك غيرها في الحياة العامة الا انهــا كانت تخضع في فترات معينة لتيارات غريبة لا تقــدر على ردها نظرا لضعف النشــأة وفقدان الحيلة .

- في الانظمة والقوانين الداخلية للجماعة

تبين من نصوص الجماعة انها تصر على ضرورة خلو المنتسب اليها مــــن الموانع الخِلْقيـــة ، وهذا يحتم وجود تفرقة بين الناس وينبئ عن غلظة في قلـــوب اصحاب هذا المبدأ ،كما يمنع بالتالي وصول الخير الى الغير .

فالدعوة الخالصة لا تحتاج الى مثل هذا النص ، اذ انها لا تفرق بين كبير وصغير ولا بين غني وفقير ولا بين قوى وضعيف فالكل امام الحق سواء وهم جميعا يشكلون اطار الجماعة لا فرق بينهم الا بالاحسان ولا فضل الا بالتقوى .

وصحيح أن القوى خيــر وأحــب.إلا أن الضعيف لا يحرم من الحـــق والعدل والخير ، فلا يجوز طرده من حظيرة الايمان لضعفه الجسدى اذ ربما يكــون جهاده المالي مدعما للجهاد بالنفس ومعينا له (يقول الحق تبارك وتعالى :

(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكـــم خير لكم ان كنتم تعلمون) (١)

فاقتصار الجماعة على فئة واحدة من الناس او جنس واحد فيه قصر نظــر ويترتب عليه خلل وفـــروق بين البشر .

---

١ - التوبــة : ٤١

مبـــدأ التكتـــم والسريـــة :

جرت المفاهيم على ان اى عقيدة دينية جديدة تلقى معارضة قوية في بداية نشأتها ، ولا بد في هذه الحالة من اتخاذ مبدأ السرية والكتمان حفاظا على افكارها وعناصرها من كيد أعدائها ، حتى اذا ما قويت شوكتها واشتد عودها اصبح مـــن الضرورى لها اعلان الدعوة جهـرة دون ابطاء ، والا فانها معرضة للفشل ان استمرت في اتخاذ مثل هذا الطابع . فاستمرار السرية والخفاء في الدعوة مقرونان بالخطـــورة لما يترتب عليه من نمو للنـــزعات الفردية داخل الجماعة ، المفضي الى التهـــور والتسرع في اصدار الاحكام دون اللجوء الى التعقل والتدبر ، وغالبا ما تكون هـــذه الاحكام في وسط هذا المجتمع المنغلق المتذمر جائرة ، نظرا لضيق الافق ، ومحدودية التفكير و انعدام الشورى .

فما يحاك في الظلام يخرج ضاويا وما يزرع في الضوء ينبت ويترعرع ويقوى ويشتد ، في وجه الصعوبات والملمات .

ومكمن الفـــشل في ابقاء الجماعة على سريتها وكتمانها انها لا تستنـــد في دعوتها الى خطة مدروسة ، تقيم فيها مراحل نموها وتطورها . ولهذا فان رهبان قمران رغم تمكنهم من الاستمرار اكثر من ثلاثة قرون او قرنين على اقل تقدير ، الا انهـم لم يعلنوا على الملأ مبادءهم وآراءهم ولم يعملوا على نشرها في الخارج .

والحق ان هذه الفـــرقة لم تستطع التمييز بين ما ينبغي عمله في بدايـــة الدعوة وبين ما ينبغي ان تقوم به من خطوات بعدها . فسارت على منهجها دون تغيير في اسلوب الدعوة القديمة فظلت جامدة مكبلة بنصوص كتبها الجامدة وشروط انتسابهـا الضيقة المتسمة بالعنصرية والفردية من غير ان تعرض بضاعتها على الاخرين .

وغير خاف ان مبدأ السرية في التعاليم مبدأ مستورد من المذاهب المعاصرة لتلك الفرقة ، فالفيثاغورية مثلا نادت بالسرية المطلقة حتى انها اعتبرت ان من يفشي سرا دينيـــا او دنيويا يكون عرضة للاعدام .(١)

وهذا ما نصت عليه قوانين رهبان قمران الى حد ما ، وقد استنتـــج د . النشار من ذلك ان هذه الفرقة اليهودية قد فتحت الباب امام فرقة يهود يـــة حديثة تتخذ السرية طابعا لها حيث اوضح قائلا :

(وكانت لهم مذاهب خاصة سرية ، ويعتبرونها اسرارا لا تفشى إلا لأعضاء

---

١ - انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ٢٠

الجماعة بعد انضمامهم لها بوقت طويل واختيارهم اختيارا عنيفا ، هذه هي الصورة الاولى للماسونية[1] التي ابتدعها اليهود ايضا في العصور الحديثة وجعلوها وسيلة لنشر كثير من مبادئهم وغايتهم اقامة هيكل سليمان مرة ثانية)[2] .

كما ان هذه الجماعة (كانت بتعاليمها السرية ملهمة لنحلة يهودية لاحقة تدعى القبالة[3] ، أو القبالا)[4] .

---

١ ـ الماسونية : (من الكلمة الانجليزية (ماسون) اى عامل بناء ، وتعود جذور الحركة الماسونية الى جماعات الحرفيين في العصور الوسطى الاقطاعية ، وهي جماعات كانت منظمة تنظيما صارما شبه ديني لها طقوسها الخاصة ورموزها الخفية وقسمها السرى . . . . . والمحتوى الايديولوجي للماسونية . . . عالم رجراج ولذلك فهي تغير لونها وفق ظروفها التاريخية فنجدها حركة تقدمية آنا ورجعية في آن اخر بل انه توجد الان في العالم حركات ماسونية عديدة متصارعة ولكل واحدة طقوسها الخفية السرية . . . .) : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣٥٢

ويمكن اعتبارها بشكل عام (مخطط فكرى اجتماعي اقتصادى ، صهيوني الفكر عميق الاهداف كبير الاثر متغير المظهر ، قادته هم اساطين الفكر اليهودى العالمي . . . (وهي) تحمل اسماء مختلفة وتعمل بسمات متعددة لتخدم اهدافًا صهيونية واحدة ، وظهرت في يوم من الايام باهداف انسانية في ظاهرها حاقدة حقدا اسود على البشرية كلها في اعماقها) : شهادات ماسونية ، حسين عمر حمادة ص ٧ ، دار قتيبة ط١ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م وللمزيد يراجع ايضا : الماسونية في العراء وحقيقة الماسونية ، للدكتور : محمد علي الزعبي .

٢ ـ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، د . النشار ، ٧٦/١

٣ ـ القبالة : علم التاويلات الباطنية والصوفية عند اليهود والمعنى الاصلي لكلمة قبالة في اللغة العبرية هي التراث من القبول وكان يقصد بها اصلا التراث الشفوى ، المتناقل لليهودية فيما يعرف باسم الشريعة الشفوية ثم اصبحت منذ اواخر القرن الثاني عشر الميلادى تعني الاشكال المتطورة للتصوف والعلم الحاخامي في اليهودية الى جانب مدلولها الاكثر عموما على كل المذاهب الباطنية في اليهودية منذ بداية العصر المسيحي ومنذ اواخر القرن الثاني عشر الميلادى . . . . وينطلق المؤمنون بالقبالة من افتراض ان الله قد خلق العالم عن طريق الفيض الالهي وفكرة الفيض تفترض وجود وحدة تنظيم كل المخلوقات بل وتنتظم الانسان والخالق حتى يصبح الاله ومخلوقاته هما نفس الشيء . . . وترتبط القبالة بعدد من العلوم السحرية مثل التنجيم والسيميا والفراسة وقراءة الكف وعمل الاحجبة و تحضير الارواح . . . وقد انتشر الفكر القبالي بين صفوف يهود اوربا في القرن السادس عشر ثم بين يهود شرق اوربا بالذات في القرن الثامن عشر وذلك بانتشار الحركة الحسيدية ومن اهم المفكرين القباليين في العصر الحديث الحاخام ابراهم كوك المفكر الصهيوني واول حاخام صهيوني استوطن فلسطين . . .) . موسوعة المفاهيم و المصطلحات الصهيونية ص ٢٩٠-٢٩١ وكذلك راجع : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٦٥-١٦٧

٤ ـ قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥

قســاوة العقوبة في القوانين القمرانية

جاءت الشرائع السماوية لهداية الخلق الى سبيل الحق ، واتخذت وسائل الترغيب والترهيب اسلوبا في مخاطبة البشر .

وعمدة هذه الوسائل ، الترغيب بعفو الله تبارك وتعالى ومغفرته لعباده وفتح الباب امام العصاة للتوبة والانابة اليه .

والوقوف في وجه هذا النهج هو اغلاق لباب الرجاء والامل ، وسد لابواب المغفرة ، وما قام به رهبان قمران من وضع قوانين صارمة لا رحمة فيها ولا شفقة هو من هذا القبيل .

وفي الفصول السابقة لوحظ نص لاحدى فقرات قوانينهم ان (من ارتكب احدى الكبائر ، ووقع في الخطايا الشائنة يطرد من بين الجماعة فيكون مصيره الموت المحتم لانه لا يتناول ما يجد من الطعام فيضعف جسمه حتى الهلاك)[1].

هذا النص ان كان المراد منه معاقبة الكفرة والملحدين فهو في موضعه ولا اعتراض عليه ، الا ان النص لم يذكر كفرة او ملحدين ، وعليه فان النص يعني المذنبين والعصاة ، وفي هذه الحالة يمكن معالجتهم بالعقوبات الناجعة والرادعة ، المؤدية الى التوبة والندم على فعل المنكر .

والا فالنص يلحق اجحافا كبيرا في حق المذنبين ، والحق انه يجب التسليم بضرورة معاقبة المذنبين كل حسب جرمه مع الاخذ بعين الاعتبار ان حد هذه العقوبة يجب ان يكون مكفراً للجرم المرتكب حتى يكون الانصاف عاما وشاملا . وفي المسائل التي لا قتل فيها ولا دماء كبعض الكبائر غير المكفرة والصغائر فينبغي ابقاء باب التوبة فيها مفتوحا امام المذنب للعودة والرجوع الى الحق والصواب

كما ان طرد المذنب او نفيه من الجماعة يزيد من شعوره بالظلم فلا يفكر بالعودة الى الصلاح ، بل ينقلب مجرما لا يتورع عن ارتكاب المزيد من المعاصي والكبائر وفي ذلك خسارة كبيرةٌ لكلا الطرفين .

---

١ ـ لاحظ صفحة (٢٨٤) من هذا البحث .

مبدأ الاغتســـال من المصافحة أو اللمس

مطالبـــة هذا المبدأ بأنه (ليس لأحد من القسم الاكبر في الجماعة ان يمس احدا ممن دونه والا اغتسل)[1] يوحي بوجود فوارق طبقية ونزعات عرقية داخـــل الجماعة الواحدة ، فضلا عن ميزة التعالي والكبر ، وهو ما ينافي التواضع والتسامح .

وهو في وضعه هذا ينم عن تعالي رجال الكهنوت وذلك لتدعيم قوانينهم الخاصة وفرض هيبتهم على الاخرين بغير حق ، كما يوحي باضفاء سمة القداسة علـــى هؤلاء ، وربط التمست الطبقات الدنيا من الطبقات العليا البركة والمغفرة ، وهـــذا ما تجلت صورته فـــيما بعد في الرهبانية المسيحية التي اتخذت رهبانها اربـــابا من دون الله ، وفي الباب القادم ان شاء الله سأتعرض لهذا الموضوع .

في مبدأ " البعد عـــن النساء " وتحريم النكاح :

اعتناق هذا المذهب فيه مغايرة اكيدة لمذاهب الفرق اليهودية الاخـــرى التي رأت في مجملها (ان الزواج واجب ديني لكل قادر عليه وان من يحجم عـــن الزواج مع القدرة عليه لا يقل حرمة عن القاتل لان كليهما على حد تعبيرهم " يطفـــئ نور اللـــه " وينقص ظله في ارضه ويبعد رحمته عن اسرائيل " بل لقد راى بعـــض فقهائهم انه من بلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء ان يرغمه على الزواج)[2] .

ولم يرد نص في كتب اليهود يوحي بضرورة العزوبة والامتناع عـــن النساء ، مما يعطي دليلا قاطعا على ان هذا المبدأ لم يكن نابعا من البيئـــة اليهودية بل كان نتيجة اثر خارجي .

ولا شك ان تأثير الرهبان اليونان الذين عاشوا مع الجيل الأول مـــن القمرانيين في الاسكندرية وحول مريوط كان كبيرا . .

فـــبالاستـــطاعة هنا تقرير ان هذه الحقبة بالذات تمثل بحق صلـــة الوصل ما بين رهبنة الديانات الوضعية ورهبانية النصارى وذلك لان علماء التـــاريخ يقررون ان جماعة وادى قمران لم تنتشر تماما الا بعد ميلاد المسيح عليه السلام بنحو ٧٠ عاما تقريبا .

---

١ - راجع صفحة (٢٨٣) من هذا البحث

٢ - : الاسفار المقدسة السابقة للاسلام د . وافي ص ٦٠ وحول ذات الموضوع راجع : موقف اليهودية والمسيحية والاسلام في العزوبة " مقالة لنفس المؤلف في مجلة الازهر عدد محرم ١٣٧٩ هـ ص ٣٠ ، القاهرة

ان هذا المبدأ حينما قررته الرهبنة اليهودية لم تكن قد اخذت بعين الاعتبار اضراره الخطيرة ..

وصحيح ان العلماء لم يتحدثوا عن وجود ما يشير الى حصول جرائم خلقية داخل الجماعة، الا ان الامر المعلن ان الجماعة كانت تتبنى اولادا من خارج اطار القمرانيين، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على فشل هذا النظام من الاساس، فما هو الداعي للتبني ما دامت قوانين الجماعة في نظرها مثالية وراقية؟

ان التعالي على الحق جريمة بشعة ودعوة كهذه فيها هدم لركائز المجتمع وتهديد لاستمرار النسل وعمارة الارض.

كما ان نظام التبني لا يمكن ان يقوم بحمل مسؤولية بناء المجتمع، وكم من الناس من يستطيع التخلي عن فلذة كبده ليعيش في مجتمع مغلق تكتنفه حياة العزلة والتقوقع،؟ هذا لعمرى بعيد كل البعد عن الواقع.

ومن الواضح ان الجماعة قد بنت نظام رهبنتها وتبتلها طبقا لارائها المتعلقة بالمرأة فالموقف المعلن من النساء كما توضحه احدى فقرات قوانينهم (انهن جميعا فاسقات وليس بينهم واحدة تحافظ على امانتها لرجل) (١)

هذا الموقف فيه تجاوزخطير لحقوق المرأة ومكانتها في المجتمع وتعد على سمعتها وكرامتها، وادخالها في باب الفسق تحقير لقيمتها الانسانية أولاً ومهانة لدورها في المجتمع فضلا عن انكار الجميل الذى تؤديه الامهات في سبيل فلذات اكبادهن.

ولو وجد في واضع هذا القانون شيء من الحياء والخجل لقصر الفسق على فئة معينة من النساء دون ان يعم حكمه الجميع بالاتهام والقذف.

الا ان التقليد الاعمى وتتبع خطى الرهبنة الجينية والبوذية واليونانية قاد واضعي قوانين رهبنة اليهود الى هذا المأزق الخطر.

وقد لوحظ في السابق موقف الجينية من المرأة وموقف بوذا منها. (٢)
وقد وقف القمرانيون نفس الموقف، فما اشبه هذه بتلك.

ولهذا فان معارضة السنن الالهية في الخلق عملية متعبة نتيجتها الحتمية الفشل، ولا ادل على ذلك من ان هذه الجماعة لم تستطع ان تقاوم الضغوط الخارجية فقد استطاعت الجماعات اليهودية الاخرى الولوج الى قلب القمرانيين وكسر نظام الجماعة الى حد ما، و هذا ما حصل عند البوذيين من قبل وكان الزمان قد استدار كهيئته مرة اخرى.

---

١ - راجع صفحة (٢٨٥) من هذا البحث
٢ - راجع صفحة (١٥٧) من هذا البحث.

نظام الدير الكبير ومساوئه

ان انشاء معسكر كبير يضم جميع مستلزمات حياة الرهبان لم يسبق ان اقيم مثله من قبل ، فهذا الابتداع كان نتيجة لقرار الجماعة بعدم التعاون والاختلاط مع اليهود الاخرين فضلا عن بقية الملل الاخرى .

ان هذا الوضع يحتم انزال افدح الاضرار بالمجتمع فالعزلة والتقوقع داخل دائرة ضيقة يمنع من اكتساب المواهب والقدرة على التلقي السليم لمبادئ وعلوم الحياة المتطورة والنافعة للمجتمع . كما يقفل الابواب امام النابهين ، ويبقى الجماعة تدور في حلقة مفرغة لا جديد فيها ولا تجديد .

والهروب من الشرور لا يكون بالانعزال كلية عن المجتمع ، وصحيح ان نصوص الشريعة الحقة لا تتغير ولا تتبدل الا ان الاحوال التي ترافق الناس تتبدل بصورة مستمرة ، ولا بد والحالة هذه من استنباط احكام تواكب ما يستجد من امور متطورة مع الزمن خاصة اذا لم تكن النصوص قادرة على اعطاء احكام مباشرة او خلت من الوضوح والبيان ، وعندها لا بد من الاجتهاد والاستنباط . .

ومع اقفال هذا الجانب وحصره في دائرة ضيقة تبرز المشقة والحرج امام الناس في امورهم العادية والمعيشية .

واذا لاحظنا الفترة التي عاشتها جماعة وادي قمران لامكن لنا التعرف على مدى القصور الذي اعتراها ومدى التأخر الذي اكتنف جوانب حياتها اذ ظلت على انغلاقها وانعزالها بعيدة عن أي تقدم يذكر .

ومما لا شك فيه ان فكرة المستعمرة او الدير الكبير قد فتحت اعين اليهود في العصور المتاخرة على انشاء احياء كبيرة معزولة كلية عن المجتمعات السكنية الاخرى خاصة في اوروبا وقد اتفق على تسميتها بالجيتو (١) ، وقد توسع

---

١ - الجيتو : هي حي مقصور على إحدى الأقليات الدينية او القومية ولكن الكلمة (جيتو) تستخدم بشكل خاص للاشارة الى احياء اليهود في اوروبا وقد اقيم اول حي يهودي يطلق عليه كلمة جيتو في البندقية عام ١٥١٦م ومع انه كانت توجد داخل الجيتو طبقات مختلفة (من اليهود) فكان هناك الغني والفقير والمستغل الا ان الطبقة المنغلقة لهذا البناء الاقتصادي جعلت كل الطبقات تتداخل فكانت الاقلية اليهودية تقوم برعاية مصالح كافة اعضائها بصرف النظر عن انتمائهم الطبقي . . . . وفي الجيتو كان اليهودي يهرب من العالم الخارجي لعالم كان يتصور ان كل ما فيه يهودي خالص فقد كان يمارس طقوسه اليهودية بكل حرفيتها وبدون حرج ثم

كثيرا في استعطاله ،اذ كان ملهما لاحلام اليهود وتطلعاتهم ، حيث فيه نشؤوا . .
وترعرعوا وتمكنوا من تحقيق الكثير من اهدافهم التوسعية .

=

يمتنع عن العمل يوم السبت حتى يعجل بعودة الماشيح المنتظر ليقود شعبه لارض الميعاد ، وحينما كان يحاول اليهودى ان يدرس شيئا فانه كان يذهب الى بيت هامدراش، - المدرسة - الملحقة بالمعبد اليهودى أو يذهب الى المدرسة التلمودية حيث كان لا يدرس الا التوراه والتلمود والمدراش ولا يقترب البتة من تاريخ الاغيار فقد كان كل ما يعنيه تاريخ اليهود كما جاء في كتب اليهود المقدسة لكل هذا كان يعيش اليهودى نفسيا في مكان كان يتصور انه فلسطين وان كان يعيش بجسده في احدى جيتوات شرق اوربا او وسطها) : موسوعة المفاهيم والمصطلحات والصهيونية ص ١٥٤ ، ١٥٥

الترابـــط بين رهبنة القمرانيين ورهبنة الجماعات اليونانية القديمـــــة

هناك ملامح واشارات قوية توحي بارتباط جماعة وادى قمران بغيرها من النحل الاخرى المعاصرة لها .

فمن خلال استقراء عقائد هذه الفرقة ونظمها الديرية وقوانينهـــا يمكن الكشف عن الترابط الذى قام بين القمرانيين وغيرهم ، وقد اوضح ديورانـــت في معرض حديثه عن هذا الموضوع قائلا (ولجأ جماعة من اليهود وغير اليهود رجالا ونساء الى الصحراء المصرية القريبة من بحيرة مريـوط ، يعيشون فيها منفردين فـــي صوامع وبيع ، ويحرمون على انفسهم جميع العلاقات الجنسية ويجتمعون في يوم السبت للصلاة الجامعة ويسمون انفسهم معالجي النفوس (thERAPEutae) [(١)] .

كما أوضح العقاد هذا الجانب بقوله (وخرجت من مصر ايضا نحلـــة قوية على قلة عدد المنتمين اليها وهي نحلة المتنطسين (theRAPEuts) التي ذكرها الحكيم الاسكندرى اليهودى فيلون وقال ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد واسمهم اليوناني معناه الاساة او المتنطسون واكثر صوامعهم كانت على مقربـــــن الاسكندرية حول مريوط القديمة ويظن بـــعض المؤرخين ان هؤلاء المتنطسيـــــن هم اساتذة النساك اليهود الذين يسمون الاسين او الاسينيين) [(٢)] .

فاقرار ديورانت بمخالطة هذه الفئة اليهودية لغيرها ومحاولة العقاد ربط هذه الـدلالات هـــــو برهان واضح على ان التأثر اليهودى بالفكر اليوناني الخاص بالرهبنة قد نبع وانبثق إبان تلك العهود وان كانت في بدايتها .

ويمكن تاكيد هذه الحقيقة من خلال التعرف على العقائد اليهوديـــة التقليدية والتي انكرت في مجملها العزلة ودعت الى الاخذ بمباهج الـحيــــاة المادية ، وقد مرت في الفصول السالفة نماذج من تلك المبادئ والاراء .

---

١ - : قصة الحضارة ٣/٣ : ١٥١ ، ويجب لفت النظر إلى أن لفظة سرابيس المصرية القديمة تلك العبادة التي شغلت مصر في عهد ايزيس وازوريس قريبة جـدا من لفظة (سيرابوت او سيرابوس (thERAPEuts) وهذا القرب يوحي بوجـود ارتباط بين اللفظتين الا ان العلماء لم يشيروا الى الان الى هذه النقطة كما ان البحث مدعو لايضاح هذا الترابط فيما بعد .

٢ - : حياة المسيح ، للعقاد ١١/٢٦٦

ولا شك انه لم يوجد قط في مبادئ الفرق اليهودية القديمة على اختلاف مشاربها وقبل نشوء جماعة وادى قمران من نادى بالرهبنة .

فمن المعروف حقا ان اليهود قساة القلوب اصحاب طبيعة مغالية في المادية وتميل الى الانانية والتكبر والتعالي ، فمن المستغرب ان تظهر بينهم فسئة تنادى بالعزلة والعزوبة . وعليه فلا بد من تقرير حقيقة واقعية وهي ان قيام جماعة يهودية بهذا الامر لابد ان يحصل من جراء تاثيرات خارجية (١) ولا شك ان بعض هذه التاثيرات قد جاء عن طريق تلك الجماعات التي خالطها اليهود في مريوط واخذوا عنها نظم الرهبنة ومبادئها .

وهكذا يمكن ربط الحلقات المتعلقة بالرهبنة لتصبح الصورة واضحة مبنية على اساس ان الرهبنة اليهودية هي :صلة وصل ما بين رهبنة الاديان الوضعية وبين رهبانية النصارى التي سوف نرى نشأتها وتطورها في الباب القادم باذن الله تعالى .

---

١ - لم يكتف ديوارنت بايراد التاثير اليوناني على الجماعة بل ألمح الى ان هؤلاء لعلهم تأثروا بآراء البراهمة والبوذيين والمجوس عبدة النار والفيثاغوريين والكلبيين وهي الاراء التي جاءت الى اورشليم ملتقى الطرق التجارية في غرب اسيا) .

: قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤

ويضاف اليه ما ذكره المطران صموئيل في هذا الصدد حينما قال انها (أي الجماعة) مزيج من اليهودية - ولا شك - ومن العناصر الشرقية كالفارسية والهندية والوثنية مع اليونانية بدليل وجود اثار لكل من هذه العناصر فيها ، فالاسينية لجأت الى البرارى والكهوف سعيا وراء كمال كل فرد من اعضائها ومع ذلك فما لبثت ان انقرضت سواء اكان السبب في ذلك الاضطهادات التي قاستها او نكبات الزمن الاخرى المتعددة فالنتيجة الواقعية هي انها لم تكن تحتوى على مقدار كاف من الحياة ليضمن لها استمرار البقاء وطول الحياة على مرالاجيال)

: كنز قمران ص ٢٤٤

الباب السابع

الاسس العقدية
للرهبانية المسيحية
والرد عليها

التمهيـــد :

بعد الحديث عن الرهبنة اليهودية ومشاكلها وما انتهت اليه .....
نصل الى نهاية المطاف والى ما لابد منـــه في سلسلة الرهبنة ، لنختمها بالحلقـــة الاخيرة والخطيرة منها وهي الرهبنة المسيحية التي مارست جميع ادوار من سبقهـــا واقتبست عنهم كثيرا من المفاهيم والمبادئ العقدية والعملية وطبقتها واضافـــت اليها الكثير ،.

وهنا تتجلى حقيقة البدعة في الرهبانية المسيحية ، مصداقـــا لقوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوهـا حـــق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون) (١) .

فضم عقائد ومبادئ مخترعة الى الدين الاصيل ليصبح دينا محرفـــا بدعـــة ليس للنصارى اد خالها على ما جاء به عيسى عليه السلام .

وللوصول الى ذلك لا بد من استعراض وبيان أهم أسس العقـــائـــد التي استقر رأى الكنيســـة عليـــها ، للوقوف على كيفية نشوء الرهبانية وتطورهـــا والادوار التي مرت بها والمناهل التي شربت منها .

---

١ ـ الحديد : ٢٧

الفصل الاول : العقائد ونقدهـا

اولا : اسس العقائد المسيحية

لقد مرت المسيحية عبر قرون عدة قبل ان تستقر على عقيدة تبني عليها اصولها ، وقد اجمعت الطوائف المعارضة للتوحيد على القول بالتثليث (١) ووضعت له المصطلحات الخاصة به ، وهي في واقع الأمر تتناقض مع ما تدعيه من القول بالتوحيد التي اضطرت الى المناداة به خوفا من وصمها بالوثنية .

فهي تضع اسم : الاب ، والابن ، والروح القدس ، كاساس لعقيدتها الا ان الطوائف المتعددة داخل المسيحية نفسها تختلف حول طبيعة كل اقنوم من هذه الاقانيم الثلاثة وانبثاق كل منها عن الاخر .

وقد اقرت عقيدة التثليث عقب مجامع متعددة بعد ان مرت الكنيسة بتطورات كثيرة نظرًا لما اعترضها من مشاكل وصعاب فكرية ودينية ، منها ما هو نابع من اختلاف دعاتها الأوائل حول مضمون رسالة عيسى عليه السلام وشخصيته وحياته ومنها ما يرجع الى أسباب خارجية طارئة أسهمت الى حد كبير في إنحراف خط المسيرة وتوجهها نحو طريق لا يرضى عنه المسيح عليه السلام وحواريوه الخلص .

---

١ - تتراجع المسيحية في العصر الحديث عن كثير من الاراء التي تحكمت بها في الماضي فالموسوعة الكاثوليكية الجديدة والمعترف بها رسميا في اوساط الكنيسة تعترف (بان التثليث لم يكن معروفا للمسيحيين الاولين وان هذا المبدأ قد تمت صياغته في الربع الاخير من القرن الرابع الميلادى فتقول في هذا الصدد . :

(نجد من الصعب في النصف الثاني من القرن العشرين ان نقدم تفسيرا واضحا وموضوعيا لأصل سر الثالوث المقدس وتطوره المذهبي وتفسيراته اللاهوتية فمناقشة الثالوث تمثل ظلا من الغموض غير المستقر سواء كانت على مستوى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أو غيرها .

وقد حدث أمران هامان : هناك اعتراف من جانب المفسرين وعلماء الانجيل وعدد كبير من غلاة الكاثوليكية بانه لايجب الحديث عن ثالوث العهد الجديد (الانجيل) دون ان يكون المتحدث مؤهلا لذلك ويوازيه اعتراف مؤرخي العقيدة ورجال اللاهوت بأن الحديث في ثالوث مبهم يتحرك بنا من أصول العهد المسيحي الأول إلى الربع الأخير من القرن الرابع الميلادى ففي هذا الوقت أصبح الثالوث مبدأ نهائيا ، وتهيأ الفكر المسيحي والحياة المسيحية تماما لاستيعاب فكرة الاله الواحد في ذوات ثلاث) : الاسلام والمسيحية ، ألفت عزيز الصمد ص ٥٥-٥٦ الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م دار القران الكريم ، بيروت ، لبنان .

وعليه فان اراء الفرق المسيحية المختلفة لـــم تتفق على صيغة لاعلان المبادئ الرئيسية للديانة المسيحية في القرنين الاول والثاني وذلك بسبب الاحداث الخطيرة التي غيرت معالم الدين الحق .

فبعد تقلبات عديدة وملابسات تاريخية ومجادلات عقائدية شهد هـــا العالم المسيحي آنذاك عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ضم ٣١٨ أسقفا تحت رعايـــة قسطنطين وكان وثنيا ولم يتنصر بعد وقد خرج المجمع بقرارات سميت آنذاك بدستـــور الايمان أعقبه مجمع آخر سنة ٣٨١ م في القسطنطينية تحت رعاية (تاودسيوس) وقد أقرت فيه صيغة أضيفت إلى الاولى كان المؤتمرون بحاجة اليها مكملين بذلك النـــص الذى ألزمت الكنيسة أتباعها باعتناقه وعدم الخروج عنه . ونص دستور الايمان كان على النحو التالي :

- أومن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل مايـــرى وما لا يرى

- وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مســـاو لـــلاب في الجوهر الذى به كان كل شيء .

- الذى من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماوات ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس .

- وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب .

وصعد الى السماوات وجلس عن يمين الاب .

- وأيضا يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات لا فناء لملكه (١)

- وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب الذى هو مع الاب ، والابن مسجود له وممجد الناطق بالانبياء .

- وبكنيسة واحدة جامـــعة مقدسة رسولية .

- واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا

- واترجى قيامة الموتى

- والحياة في الدهر الاتي . آمين (٢)

---

١ - الى هنا النص الذى جاء في المجمع الاول (راجع في ذلك: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ص ٢٥٠ ط١ ١٣٨٥-١٩٦٥ دار الكتب الحديثة ، مصر

٢ - راجع نص الصيغتين في كتاب الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية افلاطون مطران موسكو ص ٦٥-٦٦ ت : الخورى يوحنا حزبون، مطبعة كرم، بيروت ١٩٥٧

وقد حاول صاحب رسالة التثليث والتوحيد (١) تخريج صيغة هذا الدستور من الأناجيل الأربعة ورسائل اعمال الرسل .

الا أن الناظر في العهد الجديد وما احتوته أناجيله من نصوص يظهر لنا بوضوح ان كاتبيها يمتازون بثقافة اصطبغت بالوان شتى اكتسبتها من بيئة مشبعة بأساطير وفلسفات ومفاهيم وثنية .

وما عرف عن أهل الكتاب من اتخاذ منطق التأويل المغالي لتفسير نصوص كتابهم ليس بغريب عليهم بعده تخريج أي نص وفق مفهوم العقيدة التي يدينون بها بعد تغلغل الآراء التأليفية الدخيلة على رسالة عيسى عليه السلام .

ولسنا في معرض الحديث عن التطورات التي سبقت انعقاد المجامع والاعتراضات الكثيرة التي أثيرت حوله أو الخوض في تأثير الفلسفات الوثنية القديمة على الديانة المسيحية فإن ذلك سوف يكون البحث فيه أثناء الحديث عن الآثار الخارجية على الديانة المسيحية .

وما يهم البحث هنا هو استعراض المفاهيم الرئيسية التي قام عليها دستور الايمان واراء المسيحيين بالنسبة لعقيدة التثليث وما نتج عنها من مبادئ دينية اتخذت كمستند للأسس التي بنت عليها الرهبانية أطرها وتنظيماتها .

وقبل ذلك لا بد من استعراض بعض نصوص الأناجيل التي يعتمد عليها المسيحيون في إثبات عقيدة التثليث ومن ذلك :

ـ ما جاء في انجيل متى :

(فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) (٢)

ـ وما جاء في رسالة يوحنا

(ان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد) (٣) .

ـ وكذلك ما جاء في انجيل يوحنا :

(في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) (٤) .

١ـ لـ عيسى منصور ، وقد نقل الاستاذ عبد الكريم الخطيب تخريج هذه الصيغ في كتابه المسيح في القرآن ... ص ٢٤٩ - ٢٥٣

٢ـ متى : ٢٨ : ١٩

٣ـ رسالة يوحنا (١) ٥ : ٧-٨

٤ـ انجيل يوحنا ١ : ١

ثانيا : مدلولات التثليث عند المسيحيين

حاول علماء المسيحية تفسير مدلولات العقيدة وما انطوت عليه من مفاهيم عن الاقانيم الواردة في نص دستور الايمان السابق ذكره ، وما تفتقت عنه عبارات الاناجيل من دعوى التثليث .

وسيسير البحث مع بعض الاصطلاحات للوقوف على مدلولاتها وما ترمى اليه ، وستتضح مدى وعورة هذه التفاسير .

فلفظ الاب عندهم ترادف كلمة (الله) : (وهو الاله ، خالق جميع الكائنات والحاكم لجميع العوالم والواهب كل المواهب الحسنة ، والله روح غير محدود أزلي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته ، وعدله وجودته وحقه) .(١)

في هذا التفسير ولأول وهلة قد تظهر بعض دلائل التنزيه إلا أن ذلك لا يلبث ان يتلاشى أمام بقية المدلولات فهاهم يقولون (الله واحد ، وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر . . . الله الاب والله الابن والله الروح القدس ، فالاب هو الذى خلق العالمين بواسطة الابن . . . والابن هو الذى أتم الفداء وقام به ، والروح القدس هو الذى يطهر القلب والحياة غير أن الأقانيم الثلاثة يشتركون معا في الاعمال الالهية على السواء وتطلق الصفات الالهية على كل أقنوم من هذه الأقانيم) .(٢)

ويعترف النصارى بأن عقيدة التثليث هذه لا تظهر واضحة في العهد القديم) .(٣)

- مفهوم (ابن الله) :

اطلق هذا اللقب على المسيا (مز ٢ : ٧) ويو (١ : ٤٩) وهو يدل على العلاقة المكينة (كما يدعون) بين الاب السماوى والابن الازلي ، وقد استعمل هذا اللقب في العهد الجديد ما يقرب من ٤٤ مرة عن يسوع المسيح ، والله الاب يحب ابنه (يوحنا ٣ : ٣٥ و ١٠ : ١٧) الاب هو الذى ارسل الابن ويعمل به (يوحنا ٣ : ١٦ و ١٧ و ٨ : ٤٢) و(غلا ٤ : ٤) و (عب ١ : ٢)

ويقولون كذلك : والمسيح بما انه ابن الله (تعالى عما يقولون) فهو اله بكل الكمالات غير المحدودة والتي للجوهر الالهي والابن مساو لله في الطبيعة (يوه : ١٧-٢٥) ومن هذه الاعتبارات فالمسيح فريد في هذا وهو (ابن الله) .(٤)

---

١ - قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اساتذة اللاهوت ص ١٠٧ - ١٠٨ ط ٢ ١٩٧١
٢ - المصدر السابق
٣ - المصدر السابق
٤ - المصدر السابق .

وقد فند الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار هذه الاقوال واثبت بالبراهين ان هذه المفاهيم دخيلة على عقيدة المسيح عليه السلام راجع تفسير المنار ١٠ / ٣٩٢

يتضح مما تقدم صعوبة فهم تلك النصوص لما تنطوي عليه من خلط وتناقض يمجها العقل ، ويرفضها المنطق فضلا عن مخالفتها لواقع وحقيقة العقيدة الصحيحة التي جاء بها عيسى عليه السلام النابضة بالتوحيد الخالص .

ولتشابك وتتضاد عقيدة التثليث فقد حاول بعض العلماء حل الرموز التي تكتنفها والتي تستعصي على الفهم ومن ذلك قول أحد العلماء :

(بقي على المسيحيين أن يجدوا حلا للأمور الآتية :

- ما الطريق للتوفيق بين التوراة التي تقول بالوحدانية والتي يقدسها المسيحيون ، وبين التثليث الذى اعتنقه المسيحيون ؟

- كيف يتم فهم (وحدة في تثليث وتثليث في وحدة ؟)

- يقولون الابن مولود غير مخلوق والابن ليس احدث من الاب فما معنى هذا ؟ . . . . لقد حاولت جهدى ان اصل الى جواب لهذه الاسئلة عن طريق القراءة او المحادثة مع المسيحيين ولكني اقرر انني لم استطع فهم اجاباتهم بل صرح كثير منهم ان هذه المسائل مسائل اعتقاد لا فهم ،فاعترضت بانها مسائل اساسية وهي المدخل للدين فكيف لا يفهم ؟ ولكني لم اتلق جوابا على اعتراضي) .(١)

ولم يقتصر عدم فهم هذه العقيدة وصعوبة تصورها على علماء المسلمين بل ان علماء النصرانية انفسهم يقرون بهذه الحقيقة التي لا يمكن اخفاؤها .

فنرى صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث يقول :

(قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات والارض واما في الوقت الحاضر ففي القدر الذى فهمناه كفاية)اى ان عقيدة التثليث لا يمكن ان تتكشف للنفس على وجهها الا يوم تتجلى كل الاشياء لهم يوم القيامة وذلك حق فانهم لا يعلمون حقيقتها الا يوم يحاسبهم الله عليها) .(٢)

ويقول القس الياس مقار تحت عنوان الايمان بالثالوث في الاله الواحد) .

(ان الله الواحد الشخص الروح ذو ثلاثة اقانيم وواضح ان هذه العقيدة مما تنفرد به المسيحية عن غيرها من الديانات والفلسفات القديمة والحديثة اذ لا مراء ان صفحات التاريخ لم تسجل على وجه الاطلاق عقيدة اعتنقها دين او فكر كهذه التي

---

١ - المسيحية ،د . شلبي ص ١٣٤

٢ - محاضرات في النصرانية ،لابي زهرة ص ١٢٢

يؤمن بها المسيحيون على اننا ونحن نتأمل هذه العقيدة بشيء من التفصيل والتوضيح لا مندوحة لنا من الاعتراف اننا ازاء سر من اعمق اسرار الوجود والحياة واذا كان اوغسطينوس وكلفن قد اعترفا بان اللغة اللاتينية على ما فيها من غنى وجمال عاجزة كل العجز عن التعبير عن كنهها وعمقها فإننا نقول ما هو اكثر اذ نقول ان بيان البشر أو الملائكة أعجز من أن يسبر غورها الا اذا امكنه ان يبلغ المستحيل).(١)

وهكذا فبلغة المستحيل يريد النصارى اقناع الناس بهذه العقيدة الاسطورية ، ولا عجب بعد ذلك ان يردد المسيحيون قول اوغسطين احد كبار اباء الكنيسة لصديقه (لا تحاول ان تفهم لكي تؤمن بل آمن لكي تفهم).(٢)

الـــرد على عقيـــدة التثليـــث :

هناك أدلة كثيرة تقوض عقيدة التثليث وتثبت بطلانها ، وقد يعجب المرء كيف فات المسيحيين تلك الادلة،خاصة ما كان منها يتعلق بنصوص أناجيلهم وسوف يتعرض البحث للادلة النقلية الخاصة بنفي هذه العقيدة ثم يتناول الأدلة العقلية .

الأدلة النقليـــة :

أولا : ما جاء في انجيل يوحنا قوله (وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته) .(٣)

وهذا اعلان صريح دال على وحدانية الله الحق ، ونص على أن عيسى عليه السلام مرسل من عند الله .

ثانيا : ما جاء في انجيل مرقس : (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله:أية وصية هي أول الكل ؟ فأجابه : يسوع : إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الاولى) .(٤)

وهذا نص آخر أوضح في الدلالة على التوحيد ونفي الشرك بالله تعالى وهو لا ينافي ما جاء به موسى عليه السلام وبقية الانبياء ، ولكن النصوص الوثنية هي التي أعمت أبصار القوم فاضلتهم سواء السبيل .

---

١ ـ اقانيم النصارى ،د . احمد حجازى السقا ص ٧٦-٧٧
٢ - [illegible] : قصة الحضارة ١/٤ : ١٤٢
٣ - يوحنا ١٧ : ٣
٤ - مرقس ١٢ : ٢٨

ثالثا : ما يؤيد بشرية عيسى عليه السلام ما جاء في رسائل اعمال الرسل : (ايها الرجال الاسرائيليون ،اسمعوا هذه الاقوال ، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم ايضا تعلمون) .(١)

رابعا : ومايدل على بشريته ايضا ما جاء في انجيل مرقس :
(واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الاب) .(٢)

ومعنى ذلك ان علم الغيب منفي عن عيسى فكيف يدعي النصارى ألوهيته وهو فاقد لصفة من أخص صفات الالوهية ؟

اما صفة الأب والابن فسيأتي الحديث عنها اثناء الكلام عن الملابسات التي وقع النصارى فيها . ان شاء الله تعالى .

هذه بعض الادلة النقلية من أناجيل النصارى التي تثبت القول بالتوحيد ، وتنطق ببشرية عيسى وتنفي عنه صفة الالوهية .

وقد خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب ودعاهم الى تصحيح العقيدة فمن ذلك قول الحق تبارك وتعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) .(٣)

وازاء مكابرة أهل الكتاب واصرارهم على عنادهم حكم الله بكفرهم ، قال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) .(٤)

---

١ - اعمال الرسل ٢ : ٢٢
٢ - مرقس : ١٣ : ٣٢
٣ - النساء : ١٧١
٤ - المائدة : ٧٢

وقوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١) .

وهكذا كان موقف عيسى عليه السلام الذى امر قومه بعبادة الله تبارك وتعالى وحده ، قال تعالى (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ : سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٢) .

الى غير ذلك من الايات البينات التي نصت على بشرية عيسى عليه السلام ورسالته ، وسيأتي بعضها ان شاء الله فيما بعد .

الادلـة العقليـة :

غني عن القول ان نخبة من علماء المسلمين قديما وحديثا جادلت اهل الكتاب بالتي هي أحسن اتباعا لقوله تعالى (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (٣) .

وقد رد العلماء اقوال النصارى وما آمنوا به من عقيدة التثليث ، فقد جاء في معرض رد الامام ابن تيمية على دستور الايمان قوله :

(وهذا تصريح بالهين ، احدهما من الاخر ، وعلم الله القائم به او كلامه او حكمته القائمة به الذى سميتموه ابنا ، ولم يسم احد من الرسل صفة الله ابنا فليس هو اله حق من اله حق ، بل اله واحد ، وهذه صفة الاله ، وصفة الاله ليست باله كما ان قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليست بآلهة ولأن الاله واحد وصفاته متعددة والاله ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها ، والصفة قائمة بالموصوف ، ولأنكم سميتم الاله جوهرا وقلتم : هو القائم بنفسه والصفة ليست جوهرا قائما بنفسه ، وهم في هذه الامانة (اى دستور الايمان) قد جعلوا الله والدا وهو الاب ، ومولودا وهو الابن ، وجعلوه مساويا في الجوهر ، وقد نزه الله نفسه عن الانواع الثلاثة .

(و) قالوا : مولود غير مخلوق مساوللاب في الجوهر ، فصرحوا بانه مساو له في الجوهر والمساوى ليس هو المساوى ولا يساوى الاب في الجوهر الا الجوهر فوجب أن يكون الابن جوهرا ثانيا والروح القدس جوهرا ثالثا . . . وهذا تصريح باثبات

---

١ - المائدة : ٧٣ ٢ - المائدة : ١١٦-١١٧ ٣ - العنكبوت : ٤٦-٤٧

ثلاثة جواهر ، وثلاثة الهة ، ويقولون مع ذلك : انما نثبت جوهرا واحدا والها واحدا وهذا جمع بين النقيضين ، فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الالهة واحدا واثبات ثلاثة جواهر ، وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد[1]) الاخلاص .

وقد ساق العلماء[2] كثيرا من الادلة العقلية في الرد على هذه العقيدة . كما عالج العلامة الشيخ رحمة الله الهندى هذه المسألة وبين عور مسلك النصارى فيها ومما اورده في الرد على دعوى الاقانيم قوله : (لو وجد في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي كما قالوا - فمع قطع النظر عن تعدد الوجباء - يلزم ان لا يكون الله حقيقة محصلة ، بل مركبا اعتباريا ، فان التركيب الحقيقي لابد فيه من الافتقار بين الأجزاء فان الحجر الموضوع بجنب الانسان لايحصل منهما أحدية . ولا افتقار بين الواجبات لانه من خواص الممكنات .

فالواجب يفتقر الى الغير ، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيره وان كان داخلا في المجموع فاذا لم تفتقر بعض الأجزاء الى بعض اخر تتألف فيها الذات الاحدية على انه يكون الله في الصورة المذكورة مركبا ، وكل مركب مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته يلزم ان يكون الله (تعالى) ممكنا لذاته وهو باطل .

واذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الاقانيم فالأمر الذى حصل به هذا الامتياز اما ان يكون من صفات الكمال أولا يكون . فعلى الشق الاول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه الاقانيم متصف بجميع صفات الكمال وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه .

(و) لو كانت الاقانيم الثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي وجب ان يكون المتميز غير الوجوب الذاتي ، لانه مشترك بينهم وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيكون كل واحد منهم مركبا من جزأين وكل مركب ممكن لذاته ، فيلزم ان يكون كل واحد منهم ممكنا لذاته)[3] .

---

١ - : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، للامام ابن تيمية ١١٧/٢-١١٨ ويراجع في هذا الصدد : رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم د . محمد جمعة عبد الله ص ٣٧ ، ط١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٢ - راجع في هذا الصدد : الاجوبة الفاخرة للقرافي ص ١١١ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - وكذلك : الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام ، للقرطبي ص ٧١-٧٨ ، ت: د . احمد حجازى السقا ، دار التراث العربي ص ١٩٨٠ . ، وكذلك : "مقامع الصلبان" للخزرجي ، ت: عبد المجيد الشرفي ، ص ٨٤-٨٧ ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، ١٩٧٥ وكذلك : تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب ، عبد الله الترجمان الميورقي ، ت : عمر وفيق الداعوق رسالة ماجستير ص ١٥٥ ، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ وكذلك النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية لابي نصر يحيى بن عيسى المتطبب المهتدى ، ت: محمود قدح ، ص ١٣٥-١٤٩ ، رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م

٣ - : اظهار الحق ، للشيخ رحمة الله الهندى ص ٣٣٨ ت: عمر الدسوقي ، دار احياء التراث الاسلامي ، الدوحة ، قطر ١٩٨٣

والقول بالتثليث ، يوقع النصارى في التناقض ، لانهم يجمعون بين النقيضين ولا يفرقون بين الوحدة الحقيقية والوحدة الاعتبارية ، .

فلو ان (النصارى قالوا : ان الههم واحد اعتبارى وهو ثلاثة لما كان هناك نزاع في هذا المفهوم ويتوجه عليهم ما يتوجه به على المشركين من الاستدلالات الاخرى . لكنهم يصرون على القول بالوحدة الحقيقية مع التثليث ، واصرارهم هذا نابع من انهم يدركون تماما ان القول بالوحدة الاعتبارية يعني مفهوم الشرك والوثنية وهم ينفرون من هذا المفهوم أشد النفور ، ويتمسكون بالتوحيد الحقيقي مع التثليث وهذا جمع للنقيضين ، وهو مرفوض عند الناس جميعا باى المقاييس وتحت اى ظرف من الظروف .

والنصارى يشعرون في عقولهم بهذا الحرج المنطقي الشديد ويحيلون المشكلة برمتها الى الايمان والوجدان ، وبرغم الايمان والوجدان والعاطفة والشعور ظلت القضية بدون حل) (١).

ثالثا :

الملابسات التي وقع فيها النصارى
حول مدلول الابوه والبنوة

وقع النصارى في ملابسات حول ما يدعونه من ابوة الله (تعالى عما يصفون) وبنوه المسيح عليه السلام ، وهي في حقيقتها متعددة . منها ما هو مفتعل من قبل اعداء الله تعالى كاليهود الذين دخلوا في المسيحية لافسادها كبولس وغيره او الوثنيين اليونانيين كافلوطين وفلسفته الوثنية ومنها ما هو لغوى يتعلق بالالفاظ والكلمات المترجمة من لغة الى اخرى .

فمن حيث اللفظ ، (فان الابن في اللغة العبرانية التي هي لغة المسيح تقع على العبد الصالح المطيع الولي المخلص وان الاب قد تقع على السيد المالك المدبر . قالوا : وقد قال في التوراه ان اسرائيل ابني وبكرى واولاده ابنائي وعلى دعوى النصارى تجب لهم الالوهية وقد قال اشعيا النبي عليه السلام في كتابه ان الله ابو جميع العالم وانتم معشر النصارى تذكرون ان متى حكى في انجيله عن المسيح انه قال : طوبى لكم معشر المصلحين بين الناس فانكم تسمون ابناء الله وقال متى في انجيله ان المسيح قال للناس : ان اباكم السماوى واحد فرد وقالوا ان المسيح كان يقول في صلاته التي كان يصليها ويعلمها الناس: قولوا يا ابانا الذى في السموات انت قدوس اسمك عزيز سلطانك نافذ امرك في السموات والارض لا يعجزك ما طلبت ولا يمتنع

---

١ - : الاسفار المقدسة قبل الاسلام . د . صابر طعيمة ص ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ ط الاولى عالم الكتب ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م وهناك ادلة كثيرة حاول استقصاءها الاخ سعيد عقيل سراج في : " رسائل الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية ص ٥٥٤ وما بعدها ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ .

منك ما أردت فاغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ولا تعذبنا بالنار) .[1]

فينبغي على قول النصارى أن تكون هؤلاء كلها آلهة وأربابا لتعلم أن إسم الآب يقع في تلك اللغة على السيد والمالك) .[2] ولو صح ادعاؤهم لجاز ان يكون ابا ليعقوب ولجاز ان يكون جدا ليوسف ،... ولجاز ان يكون عما وخالا[3]) تعالى الله عما يقولون .

ولقد دار حوار بين الشيخ العلمي مع أحد القسس وذلك خلال مناظرات الشيخ مع النصارى ، وقد نوه بأن هذا اللفظ له عدة استعمالات فهو يطلق على الوزير الأعظم وعلى الرئيس الديني كما يطلق على " الله " أنه آب لكل إسرائيل وآب لداود وسليمان وللمسيحيين المؤمنين وآب لليتامى واب لكل عبد بار يفعل مشيئة الله وقد استدل الشيخ على كل لقب وعلى مدلولاته من هذه الاسماء بفقرة من فقرات العهد القديم وذلك بما يثبت بطلان ادعاء النصارى في هذه المسألة .[4]

كما توسع الشيخ رحمة الله الهندى في إعطاء المفهوم الحقيقي والمجازى لكلمة الأبن وأوضح بأنه (لا يصح أن يكون لفظ الإبن بمعناه الحقيقي . لان معناه الحقيقي بإتفاق لغة أهل العلم من تولد من نطفة الأبوين وهذا محال هنا فلا بد من الحمل على المعنى المجازى المناسب لشأن المسيح . وقد علم من الانجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح) .[5]

كما أورد الشيخ نصوصا عديدة يتضح من خلالها أن كلمة الإبن اطلقت على المسيح واطلقت ايضا على غيره ،ومن ذلك ما جاء في انجيل متى (واما انا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل الذين يسبونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى في السموات) .[6]

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام يرفض أي ادعاء للنصارى ببنوة المسيح على وجه النسبة والالحاق فقد قال تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون) .[7]

وقوله تعالى (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .[8]

---

١ - النص في : انجيل متى الاصحاح السادس الفقرات ٩ مع اختلاف طفيف لاختلاف ترجمة الكتاب من زمن لآخر . ٢ - تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار ١ / ١٢٠

٣ - : المختار في الرد على النصارى ،للجاحظ . ت: محمد عبد الله الشرقاوى ص ١٠٣ ،دار الصحوة القاهرة ط١ ، ١٤٠٥-١٩٨٤

٤ - انظر : سلاسل المناظرات الاسلامية بين شيخ وقسيس ،عبد الله العلمي ص ١١١ ط١ ، ١٣٩٠هـ . وانظر ما قدمه شارل جنيبير من أدلة قوية حول نفس الموضوع في كتابه المسيحية ،نشأتها وتطورها ص١٠٦ ، .وراجع : رسائل اعمال الرسل واثرها في انحراف المسيح ص ٥١٢

٥ - اظهار الحق ص ٣٥١ - وراجع حول ذلك : مرقس ٢٣ : ٤٧ ويوحنا ٨ / : ٤١ وقارن مع ما جاء في هدايه الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ٦٢٥

٦ - متى : ٥ : ٤٤-٤٥ ٧ - البقرة : ١١٦

٨ - مريم : ٣٥ ، وراجع تعليقات الشيخ عبد العزيز آل معمر في : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ،ص ١٤٥ ،دار ثقيف للنشر ، الطائف ١٣٩٨- ١٩٧٨م

وقد اعترض الترجمان (١) على النصارى في ادعائهم بالوهية المسيح عليه السلام وفند آراءهم وفق خمسة أوجه من بينها قوله :

(الوجه الخامس : ان تكونوا جعلتموه الها لعجب مولده في كونه من غير أب فان قلتم لعجب مولده وكونه من غير أب ، فليس ذلك باعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم ، ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ولا والدة ولا طينة ولا مادة ولا يسمى شيء من الملائكة وآدم آلهة وأنتم تمنعون ذلك (٢) .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في قوله تعالى :
(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٣)

وقد جاءت هذه الاية ردا على نصارى نجران وعرفت بآية المباهلة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منهم المباهلة فابوا لما عرفوا من صدقه فيما يقول فخافوا وتراجعوا (٤) .

---

١ - هو عبد الله الترجمان (٨٣٢هـ -) كان قسيسا نصرانيا يدعى (انسلم ترميدا) وقد هداه الله تعالى الى الاسلام فنبذ المسيحية والتحق ببلاد المسلمين وعاش بينهم وكان يعمل ترجمانا للاميرين ابي العباس وابنه احمد الحفصيين بتونس وقد ترقى الى درجات عليا في الجيش الاسلامي وجاهد ضد الافرنج وقد الف كتابه باسم (تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب) وذلك لما رأى من زيف الاعتقاد وقلة الهداية والرشاد عند المسيحيين .

٢ - تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب ، ص ١٦٨ -١٦٩

٣ - ال عمران : ٥٩-٦١

٤ - ذكر الواحدى من حديث طويل قصة وفد نصارى نجران الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سببا في نزول اية المباهلة (اى الملاعنة) ومن ذلك ما جاء فيه (فكلم (رسول الله صلى الله عليه وسلم السيد والعاقب وهما من كبار القوم فقال : أسلما فقالا : قد اسلمنا قبلك ، قال : كذبتما منعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير ، قالا : إلَّمْ يكن عيسى ولد الله فمن أبوه ؟ وخاصموه جميعا في عيسى ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه ؟ قالوا : بلى ، قال : ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت ، وأن عيسى اتى عليه الفناء ؟ قالوا : بلى . قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل

=

شيء يحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟ قالوا : لا
قال : فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء ، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث
قالوا : بلى ، قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته
كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يغذى الصبي ، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث ؟
قالوا : بلى ، قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ فسكتوا ، فانزل الله عز وجل فيهم
صدر سورة آل عمران الى بضعة وثمانين اية منها)(١)

: كتاب اسباب النزول للواحدى ص ٥٣ ط٢ مصطفى البابي الحلبي
١٣٨٧هـ - ١٩٦٨ م مصطفى . بمصر .

وقد روى البخارى حديث وفد نجران عن صلة بن زفر عن حذيفة قال :
جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان
ان يلاعناه (اى للمباهلة) فقال: احدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن
كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: انا نعطيك ما سألتنا وابعث
معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال : لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين
فاستشرف له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا اباعبيدة بن الجراح
فلما قام قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الامة) .

صحيح الامام البخارى كتاب المغازى ٥/١٢٠ ، المكتب الاسلامي
استانبول تركيا ط ١٩٧٩ .

وراجع في قصة الملاعنة : امتاع الاسماع لتقي الدين المقريزى
١ / ٥٠٢ ت : محمود محمد شاكر ، الشؤون الدينية بدولة قطر ط ٢

وقد توسع الدكتور سيد أحمد المسير في كتابه إلزام القرآن للماديين
والمللين في هذا الصدد انظر ص ١٠٤ منه وما بعدها ط١ ١٣٩٩هـ دار الطباعة
المحمدية ، مصر .

وراجع : تفسير ابن كثير في الملاعنة (١ : ٣٦٧/ وفتح القدير ١/ ٣٤٦

الفصل الثاني :
=======

العوامل المؤثرة في انحراف العقائد النصرانية

هـــذه هي عقيدة التثليث التي يستند اليها المسيحيون فـــي بناء اصولهم ، والتي تفرع عنهـــا كثير من العقائد الاخرى كعقيدة الصلب والفداء والحلول والاتحاد ، وغيرها .

وهي العقائد التي تبني الرهبانية عليها اسسها وتقيم عليها صرحهـا . وقبل الولوج الى هذه الاسس لا بد من التعرف على التطورات التي مرت بها العقيدة المسيحية والعوامل التي أثرت في إنحرافها ، ففي ذلك إيضاح وبيان لمسار التاريـخ الديني المسيحي وما أنطوى عليه من تقلبات ، وما أُدخل عليه من تعديلات كانـــت كفيلة بانحرافه عـــن الصراط السوى .

فالناظر في التاريخ الديني للكنيسة لن يستغرب مطلقا تلك الكيفيـــة التي توصل المسيحيون اليها لإقرار عقيدة التثليث .

والدخول في تفاصيل هذا التاريخ ليس بالأمر الهّين ، ولهذا فـــان ما يهم البحث منه هو تلك المراحل التي أدت الى تطور المفاهيم والأسس العقديـــة . وللوصول الى هذه النقطة يجب التعرف على النقاط التالية :

اولا :

العوامل الداخلية التي أسهمت في اختلاف اراء المسيحيين حـــول طبيعة السيد المسيح ورسالته .

ثانيا :

العوامل الخارجية التي كان لها الأثر الاكبر في انحراف العقيـــدة عن مسارها الصحيح .

ثالثا :

الجهة المستفيدة من هذا التطور ، ونوعية هذه الافادة .

وهذا ما سيتم توضيحه في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى :

أولا : العوامل الداخلية التي أسهمت في اختلاف آراء المسيحيين حول طبيعة المسيح ورسالته :

لا شك ان شخصية عيسى عليه السلام كانت مثار جدل ونقاش طويلين ابان الحقبة المسيحية الاولى ، و ذلك قبل الرفع وعقبه .

فقبل رفعه عليه السلام بدأ الجدل يرتفع اثر مولده من غير اب ، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ)(١) وقوله (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(٢) لقد أرسله الله تعالى الى بني اسرائيل لتقويم اعوجاجهم وتعديل انحرافهم عن جادة الحق وهدايتهم الى سبيل الرشاد ، فقوبل بالرفض والتشهير والتشنيع كما اظهر القوم حقدا دفينا في نفوسهم وتحجرا في قلوبهم وقسوة في طباعهم وميلا الى الهوى وحبا للشهوات . وقد فضح الحق تبارك وتعالى تلك النزعة حيث قال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)(٣) .

وقد أعقب هذا الرفض تأييد من الله تعالى لرسوله بالمعجزات قال تعالى :
(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ)(٤) .

وقد جاءت هذه المعجزات تدعيما لموقف الرسالة وانذارًا للمعاندين ، وازاء ذلك فقد قوبلت بالذهول بعد أن بهرت العيون ، فمنهم من آمن به وصدقه وانتسب الى حوارييه . قال تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) .

---

١ - النساء : ١٧١
٢ - آل عمران : ٥٩
٣ - البقرة : ٨٧
٤ - المائدة : ١١٠
٥ - الصف : ١٤

ومن كفر منهم فقد كان رافضا للدعوة ، ومن . . ذ هل فقد آمن بالمخلوق ونسي الخالق ، وألحق هذه المعجزات بمن جرت على يديه فخدعه بصره وخذله عقله فسقط في مخالب العقائد الوثنية وجرفه التيار ، وما كان شائعا في تلك الاوساط من أساطير وخرافات أساسها الخيال والوهم وما انتجته قرائح الكهنة .

ومنذ ذلك الوقت بدأت الاختلافات حول طبيعة المسيح عليه السلام فأخذت نظرة التقديس تسرى بين المخدوعين فادعوا أنه هو الاله وادعى آخرون أنه ابن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وقد رد الله مقالة الذين أشركوا ، حيث يقول سبحانه (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١)

وقال تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (٢).

فبين الحق تعالى أن هذه المقولة مأخوذة عما سبقهم مضاهاة ومحاكاة للشرك القديم .

وعندما تفاقم حقد اليهود عليه قاموا بتضييق الخناق ووضع العراقيل في طريق الدعوة وحبكوا مؤامرات لقتله إلا أن الله تبارك وتعالى نجاه من كيدهم برفعه، وفوت عليهم فرصة تنفيذ مآربهم الدنيئة قال تعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (٣).

كانت دعوته عليه السلام واضحة غاية الوضوح ليس فيها شرك الوثنين ولا تعقيدات الفلاسفة وخيالهم ولا أوهام الكهنة وترهاتهم ، كانت تدعو الى التوحيد الخالص (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٤)

---

١ - المائدة : ١٧

٢ - التوبة : ٣٠

٣ - ال عمران : ٥٥

٤ - مريم : ٣٤ - ٣٧

هذا التنزيه عن اتخاذ الولد او الشريك وذلك التوحيد كانا لُبَّ دعوات الرسل عليهم السلام، فكانت دعوته حلقة ضمن هذه السلسلة المباركة قال تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالإِسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(١)

وجاءت مسألة الرفع لتزيد من حيرة عقول الغافلين المفتونين بالبدع ففسرت الأحداث وفق ما أملته عليها الاهواء والنزعات وما أشربت من عقائد وثنية .

لقد جاءت عملية الرفع ردا على كيد اليهود لأنهم عزموا على تسليمه للحاكم الروماني وقد هيئوا النفوس وأغروا القوم بتنفيذ العقاب فيه ، ولما نجاه الله تعالى من أيديهم وألقى الشبه على "غير المسيح" لم يتحقق المفتونون من شخصية المصلوب وقد فند الله تعالى مزاعم القائلين بصلبه قال تعالى (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)(٢)

هؤلاء الذين اختلفوا في طبيعته أصبحت الشكوك تنهب افكارهم اذ ما لبثوا أن وقعوا في شرك لم ينجوا منه لانهم ألقوا بأنفسهم في أحضان الشيطان فزعموا أن المسيح صلب،وقد تحمل اليهود هذه الفرية عبر التاريخ مع أن صلب المسيح لم يتم ولم يقع إطلاقا وقد بان حقدهم الدفين على أنبياء الله حينما اصروا على تحمل هذا الإثم هم وأولادهم من بعدهم، تقول أناجيل النصارى (قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب ،فقال الوالي : وأي شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب ،فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب ،أخذ ماء ،وغسل يديه قدام الجميع قائلا : إنيّ بريء من دم هذا البار ،ابصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا)(٣)

---

١ - البقرة : ١٣٦

٢ - النساء : ١٥٧-١٥٨

٣ - انجيل متى ٢٧ : ٢٢-٢٥
ومع ان نصوص الأناجيل تدين هؤلاء اليهود وتظهر مسؤليتهم عبر التاريخ إلا أن الضغوط اليهودية على الكنيسة في العصر الحديث قد أسفرت عن تبرئة اليهود من هذه الجريرة : راجع كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٢٦٥،د . مصطفى خالدى وعمر فروخ حول وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح .

ومن ذلك الحين أخذت الغرية تكبر حين زعم المختلفون انه دفن وقام من قبره في اليوم الثالث) .(١)

هذا ما كان من أمر القوم قبل الرفع وما أعقبه مباشرة أما التطورات

التي طرأت على عقيدة التثليث فستظهر من خلال الفترة التي ظهرت فيها الاصطلاحات الجديدة وأدخلت في المبادئ النصرانية .

وقد مر في السابق الحديث عن الحالة الدينية في العصور اليونانية والرومانية وما شهدته المنطقة من عقائد وثنية مختلفة .(٢)

كما تم استعراض واقع المجتمع الديني اليهودي قبل مبعث عيسى عليه السلام ، والانحراف العقدي لديهم والانشقاقات في الفرق والمذاهب اليهودية .

وتبين ان رسالة عيسى عليه السلام كانت ضرورية لمعالجة الفوضى الدينية التي كانت سائدة آنذاك والتي استشرى لهيبها الى حد بعيد .

ولا تتم هذه الصورة لابد من استعراض المراحل الأولى التي سبقت القول بالتثليث ، إذ أن هذه العقيدة لم تكن لتظهر على أرض الواقع لولا المقدمات واللبنات التي وضع بذورها آباء الفلسفة اليونانية الاوائل .

- تذهب بعض المراجع الى أن القول " باللوغوس " هو المصدر الاساسي للاعتقاد بمبدأ التثليث وقد ابتدع المصريون القدماء هذه الفكرة أول الأمر " قال بوتويك (وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين الوثنيين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة وان كل شيء صار بواسطتها وانها منبثقة من الله وانها الله) .(٣)

ثم انتقلت هذه البدعة الى اليونان عقب التقائهم بالحضارة المصرية فقال بها أولا: هيروقليط(٤) ثم أخذها الرواقيون(٥) ، (كما (استعان الرواقيون بكلمة هيراقليط وهي (لوغوس) ومعناها اللفظي :كلمة.والمعنوى : العقل المنتشر في الكون)(٦)

---

١ - راجع في ذلك متى : ٢٧ : ٦٢-٧٠ واعمال الرسل ١ : ٤

٢ - (انظر ص (٢٢٥) من هذا البحث

٣ - : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ص ٢٧ ط. ١٣٣٠بيروت

٤ - فيلسوف يوناني ولد في افسوس باسيا الصغرى نبغ حوالي سنة ٥٠٠ ق.م.ويلقب بالفيلسوف الباكي لانه كان يبكيه ما يراه من شقاء الناس على العكس من ديمقريطس ويرى النار أساس عنصر الموجودات) انظر : مبادئ الفلسفة أ ، س . رابوبرت ص ٢٢٧

٥ - الرواقيون (اواصحاب الرواق : احدى الفلسفات التي شاعت في الفترة الهلينيستية - الرومانية ،اسسها زينون الكيتوى في نهاية القرن الرابع ق م ، وتستمد اسمها من الرواق وهو بهو ذو اعمدة ، حيث كان يعلم في أثينا) انظر هامش ص ٢٩ من كتاب الوجود الالهي لسانتلانا .

٦ - مائدة افلاطون ، محمد لطفي جمعة ص ١١٨ مكتبة التاليف شارع عبد العزيز بمصر

ولهذا فقد راى بعض المسيحيين ان ما قاله (هو اقرب ما يكون الى عقيدة الكلمة او المسيح ، فيقولون : ان هيروقليط كان مسيحيا قبل المسيح) (١) ثم تلقف هذه المقوله (بلاتو وارسطو (٢) وافلاطون الذى اطلق عليه لقب " أبى البدع " في الوقت الذى قال فيه بعضهم انه خير ممهد للمسيحية) (٣) . إذ قال :

(ان الله ازلي ابدى . . . . وهو منزه عن الحركة تنزيها مطلقا . . . وكان معه في الازل كائن يدعى الديمورج هو صورة الخير او الله والنموذج الحي لذاته والحاوى لجميع المثل) (٤) .

كانت هذه المقولات مقدمة ضرورية لبعض فلاسفة اليهود كفيلون الذى استخدم أدوات الفلسفة لتأويل نصوص العهد القديم لما احتوته من تناقضات لا تتفق مع القوانين والنظريات العلمية فضلا عن الخرافات والاساطير وقد (انتقل التأويل الرمزى الى اليهودية على يد فيلون اليهودى الذى مزج فلسفته بعقائد عصره وبكل(منبت ولا سيما منبت الاغريقية الاسكندرية) (٥) . وهو يعتبر من أكبر ممثلي النزعة الى التأويل في العصر القديم وان كان قد سبقه في اليهودية كثيرون أولوا الكتب المقدسة في العهد القديم تأويلا رمزيا وهو نفسه يشير إليها وهؤلاء اليهود السابقون قد فسروا (ابراهام - ابراهيم) بأنه النور (العقل) وزوجته سارة بأنها الفضيلة . . . والفصح بانه اما تطهير الروح أو خلق العالم . . . . لكنّ فيلونْ ذرف عليهم بأن جعل من التأويل مذهبا قائما برأسه ومنهجا في الفهم .

وقد دفعه الى اتخاذ هذا المذهب الحملة التي قام بها المفكرون اليونانيون على ما في التوراه (العهد القديم) من قصص وأساطير ساذجة أو غير معقولة مثل (برج بابل ، والحية التي اغرت حواء في الجنة . . . .

فاضطر فيلون الى الدفاع عن التوراة بتأويل هذه المواضيع الاسطورية وغير المعقولة الواردة في التوراة تأويلا بالباطن وراى ان التأويل بالباطن هو روح النص المقدس وان التفسير بالمعنى الحرفي هو مجرد جسم هذا النص المقدس . . . (وانه) سيؤدى الى الكفر والاحالة) (٦)

ومن فيلون انتقلت طريقة التأويل الرمزى الى المسيحية . . . . فقد أضاف فيلون الى فلسفة أفلاطون الكثير من المفاهيم الخاصة عند ما جعل

---

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ١٩

٢ - راجع في هذا الصدد : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٧

٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية ٢٥٨

٤ - المسيح في القرآن والتوراه والانجيل عبد الكريم الخطيب ص ٣٢٠

٥ - : حياة المسيح ، للعقاد ، ١١/ ٢٧٥

٦ - مذاهب الاسلاميين ، د . عبد الرحمن بدوى ، ٢ / ١١-١٣ ، دار العلم للملايين ط١ ١٩٧٣ ، بيروت .

(المخلوقات التي هي أدنى من الإنسان مصنوعات لله لانها ليست بذات أخلاق ، والشر هو الشر الخلقي ، ومن الوجهة الروحية علّية الله مباشرة وغير مباشرة بين الانسان العاجز والله العلي لا بد من وسطاء ، فان النفس لا تستطيع الوصول الى الله دفعة واحدة ، فتتدرج في صعودها إليه .. دعا فلاسفة اليونان هؤلاء الوسطاء الهة وأبطالا ودعاهم موسى ملائكة اي رسلا فكان أكثر توفيقا اذ انهم يبلغون اوامر الله الى ابنائه (حسب زعمهم) ويحملون صلوات الانبياء الى الله) .(١)

وهنا نلاحظ كيف بدأ فيلون يحور مبادئ الفلسفة ليخدم النص التوراتي ولم يكتف بذلك بل تعدى الامر الى تصنيف هؤلاء الوسطاء الى طبقات :

الوسط الاول : هو " اللوغوس " او الكلمة او ابن الله نموذج العالم ويليه الحكمة ، فرجل الله ، أو آدم الاول ، فالملائكة ، فنفس الله وأخيرا " القوات " وهي كثيرة من : ملائكة وجن نارية أو هوائية تنفذ الأوامر الالهية على ان هناك نصوصا تشعر بان الوسطاء ماهم الا وجهات مختلفة للعلية الالهية وانما يتمايزون في الذهن فقط ويرمزون الى آثار الله أو حالات النفس) .(٢)

ثم يقدم فيلون للمسيحيين مادة أخرى لاستعمالها في ترويج عقائدهم فهو يرى (أن غاية النفس . . . الوصول الى الله والإتحاد به ومعرفتنا لله اربع درجات: معرفة ناقصة جدا تكتسب بالنظر في مصنوعات الله وعند هذه الدرجة يقف الأكثرون. ومعرفة ترقى سلم الوسطاء ، وثالثة تدرك اللوغوس الوسيط الأعظم ورابعة تدرك الله ذاته وهي خاصة بأهل الكمال مثل موسى وانما تسرع النفس في صعود سلم الوسطاء حالما تتطهر بالزهد وعلى الأخص بالعبادة الباطنية ويبدأ التطهير والصعود حين يعلم الانسان بطلان المحسوسات وزوالها) .(٣)

ويرى العقاد أن فيلون (قد أخذ تفسير الرموز الدينية من العبادات السرية كعبادة ايزيس وعبادة "أوزوريس سرابيس" التي تأسست بالاسكندرية وتفرعت في اثينا وبومبي وروما وبعض المواني الاسيوية ثم طبق هذا التفسير على رموز التوراة) .(٤)

وبهذا تكون العناصر المبدئية المكونة للفلسفة المسيحية آخذة في الظهور لتبدأ مرحلة أخرى هي مرحلة التلقي عن فيلون ومن ثم مرحلة الالتزام بما قاله وتطوير آرائه وفلسفته .

اذ كان لفيلون (أثر قوي في القرون الاولى للميلاد فقد استخدم نفر من المفكرين المسيحيين كتبه للوقوف على الفلسفة اليونانية وحاكى بعضهم منهجه في شرح الكتب المقدسة وظنه بعض مؤرخيهم مسيحيا وفي العصر الوسيط دخلت قطع عديدة منه المنتخبات التي كانت شائعة) (٥)

---

١ - مذاهب الاسلاميين ٢ / ١١-١٣
٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٠
٣ - المرجع السابق ص ٢٥١ - ٢٥٢
٤ - حياة المسيح للعقاد ص ٥١١ / ٢٧٥
٥ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥١

ثم تمثلت مرحلة التلقي عن فيلون بظهور اخطر شخصية في تاريخ المسيحية الديني ، هذه الشخصية أسهمت في تأسيس مدرسة كاملة نقلت آراء الفلسفة اليونانية ودمجتها في التعاليم الوثنية القديمة فجاء نتاجها مزيجا غريبا ينسطوى على آراء تاليفية جمعت أشتاتا متناقضة وآراء متباينة .

لقد حظي بهذه الشخصية " بولس اليهودى " الذى انتسب زورا الى حواريي المسيح ، وهو أول من قام بأخذ التأويل الرمزى عن فيلون وأضاف اليه البدع الوثنية التي عاش في كنفها وارتوى من معينها ، وبذلك أرسى بولس قواعد المسيحية الجديدة على مبادئ مخالفة تماما لما جاءت به رسالة عيسى عليه السلام .

لقد اعتبر كثير من العلماء " بولس " المؤسس(١) الحقيقي للمسيحية المتعارف عليها حتى يومنا الحاضر .

ولن يتعرض البحث لحياة بولس التفصيلية ولا للاحداث التي كتب عنها الكثير فهذا شأن المؤرخين ، الا أن ما يهم البحث هنا هو التعرف على أخطر البدع التي أحدثها بولس والتي غيبت الكثير من معالم الرسالة الاصلية .

ولا شك أن عوامل كثيرة قد أسهمت في بناء شخصية بولس ، وتكوين آرائه ، التي أضافت الى ثقافته اليهودية مادة خصبة ساعدته على استعمال الادوات اللازمة لنشر مبادئه .

لقد كان المناخ المحيط بالسيد المسيح عليه السلام خاليا من مصطلحات عقيدة التثليث وكان تلاميذه يستهجنون كل ما يسيء الى عقيدتهم وكانت شريعة موسى عليه السلام هي السائدة في تلك الاوساط وقد جاء المسيح لتعديل ما حرف منها وتقويم ما زيف على يد بني اسرائيل .

والأناجيل الموجودة بين أيدى النصارى تصرح بأن المسيح عليه السلام كان يقول (لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الانبياء ما جئت لانقض بل لأكمل)(٢)

ومن ذلك يفهم أن الذين أقروا من بني اسرائيل بدعوة عيسى كانوا يؤمنون بان رسالته كانت خاصة بهم وأن غيرهم من الأمم غير معنيين بها وقد وردت في

---

١ - راجع في هذا الصدد : كتاب الأنجيل والصليب ، عبد الاحد داود ص ١٦٠ طبع في مصر ، سنة ١٣٥١ وكذلك معالم تاريخ الانسانية ٣/ ٧٠٥ وكتاب الاوائل لمايكل هارث .

٢ - : متى ٥ : ١٧

الأناجيل نصوص تغضي الى هذا المفهوم ومن ذلك قولهم (فأجاب (يسوع) وقال : لم أرسل إلا الى خراف بيت إسرائيل الضالة) .(١)

لهذا فان أي إنحراف عن هذا الخط يكفي للدلالة على أن يــــدا لعبت بالنصوص وأولتها وفق أهوائها .

لقد تكفل بولس بلعب تلك الورقة إذ أنه متهم بتحريف الشريعة لمآربه اليهودية القاضية بازالة كل أثر لـــدعوة عيسى عليه السلام .(٢)

الى جانب ذلك هناك الأثر الكبير الذى أحدثته الفلسفة الهيلينيـــة في شخصيته والتي استغلها غاية استغلال في بث مبادئه .

ان تطور مفاهيم بولس الدينية تشكلت بعد الأثر الذى احدثته تلك الطوائف اليهودية التي نشأت في المهجر ابان تلك العهود وعن ذلك يقول جنيبير : ولم يكن يهود المهجر قد احتفظوا بالصورة الاصيلة الكاملة لعادات وروح اخـــوانهم في الدين من أهل فلسطين فقد لانت تلك العادات وتلك التقاليد ولان معها تعصبهم وعداوءهم للاجنبي في ربوع هذه البلاد التي لم تكن لترضى بهم لولا ذلك وأقامـــوا مواصلات يومية مستمرة بمجتمعات " الكفرة " وتأثروا في قوة وعمق بتيارات الثقافة اليونانية التي انغمسوا فيها شيئا فشيئا فاذا ما تركنا جانبا عقيدتهم الدينية وفروض طقوسهـــم الأساسية وجدنا أن هوءلاء اليهود بعد جيلين أو ثلاثة من الهجرة لا يفرقون فـــي لغتهم ومظهرهم وثقافتهم العامة عن الأغريق الذين يماثلونهم في الظروف الإجتماعية وأظهر الذين ارتقوا منهم الى أعلى مراتب التعليم إعجابا عميقا بأدب اليونـــان وفلسفتهم وامتزج فكرهم بهذا الأدب وهذه الفلسفة الى حد الشعور بأنه لم يعد في استطاعتهم التخلي عنها لارضاء الشريعة الموسوية) .(٣)

ولم يكتف يهود المهجر بالتطور الاجتماعي وفق البيئة اليونانية بل (راحوا يخلطون باليهودية بعضا من افكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين بهم في نفس الوقت الذى كانت فيه طوائف من المشركين الوثنيين تعتنق الكثير مــــن المعتقدات اليهودية الأساسية لتمزجها بأديانها المختلفة).(٤)

في هذا الجو المتقلب وفي وسط هذه البيئة عاش بولس بين هـــذه العقائد ،اذ (كان في طرسوس" مسقط راسه) كما كان في معظم المدن اليونانية آنذاك أتباع للأورفية وغيرها من العقائد الخفية ، يعتقدون أن الله الذى يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره وأنه إذا دعى بايمان حق وصحب الدعاء الطقـــوس

١ـ متى ١٥ : ٢٤ ٢ـ راجع المسيحية د . شلبي ص ٨٥ ، واقانيم النصارى ص ١٣٦
٣ ـ المسيحية ، جنبير . ص ٥٨ ٤ ـ المرجع السابق ص ٦١

الصحيحة إستجاب وأنجاهم من الجحيم وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس وأعدت بولس لدعوة اليونان .

وكان الجو اليوناني الذى يحيط به في طرسوس يتحدث عن منقذ ينتشل البشرية ، كما كانت طوم بني جنسبه من اليهود تتحدث عن (حياة مسيح) منتظر ، ولم لا يكون يسوع صاحب الشخصية العجيبة الغامضة الفتانة الذى لا يتردد الناس في استقبال الموت من أجله ، هو ذلك المسيح المنتظر ؟ فلما أحس في آخر سفره وهو لا يزال ضعيفا وأعمى بيدى يهودى مهتد "رحيمتين" تلمسان وجهه وتسكناه "فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد وتناول طعاما فتقوى(وبعد بضعه أيام من ذلك الوقت دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها ان عيسى ابن الله) . (١)

هذه المقولة الخطيرة التي أحدثت ضجة كبيرة في الأوساط المسيحية الأولى لم تكن لتصدر إلا عن شخصية ذات ثقافة معينة ، فبولس أتم تعليمه (على أساتذة من اليهود بيد أنه كان متبحرا بلاهوتيات الإسكندرية الهيلينية وكانت لغته إغريقية . . . ويقرر بعض علماء الأدب الكلاسيكي القديم أن لغته الإغريقية كانت غير مرضية فهو لم يستخدم لغة أثينا بل إغريقية الإسكندرية : بيد أنه إستخدمها بقوة وطلاقة . . . . وهو متأثر بطرائق التعبير الفلسفي للمدارس الهيلينية وبأساليب الرواقيين stoicism) . (٢)

اضافة الى تأثره بلاهوت الاسكندرية الممزوج بالفلسفة كان هناك تأثر من نوع آخر . " فمن الراجح (أنه تأثر بالمثرائية إذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات المثرائية ، ويتضح لكل من يقرأ (رسائله) المتنوعة جنبا الى جنب مع الأناجيل أن ذهنه كان مشبعا بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعليم ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذى يقدم قربانا لله كفارة عن الخطيئة ، فما بشر به يسوع كان ميلادا جديدا للروح الانسانية ، أما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلبا لاسترضاء الاله

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٤٩-٢٥٣

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٣/ ٧٠٥-٧٠٦

وانظر : رسائل اعمال الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية ص٣٢٦

كان يسوع في نظره حمل عيد الفصح ، تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من كل عيب ودنس .) (١)

الا ان الامر الغريب حقا هو تحول بولس من اليهودية فجأة الى المسيحية التي طالما حاربها ، وهذا ما دعا العلماء الى التشكيك في نوايا بولس الاساسية .

اذ يرى البعض انه كان يمثل جزءاً من مؤامرة اليهود الذين اجتهدوا في ضياع دعوة عيسى عليه السلام ما وسعتهم قوتهم اما بالسلاح واما بالفكر .
ولما كانوا (عاجزين عن ضياع الدعوة بالسلاح ضياعا كليا لوقوعهم تحت سيطرة الرومان لجأوا الى سلاح الفكر يلبسون به الحق بالباطل ويحرفون به الكلم عن بعض مواضعه وعن مواضعه) . (٣)

والعجيب ان الفاتيكان يعترف الى حد بعيد بموقف بولس من المسيحية وعدم حرصه عليها ، فقد جاء في كتاب نشره الفاتيكان سنة ١٩٦٨ بعنوان " المسيحية عقيدة وعمل " ما يلي (كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الايمان ان يحتفظوا بما كانوا عليه من احوال قبل ايمانهم بيسوع) . (٤)

هذه النوايا التي يظهرها بولس تؤكدها نصوص أعمال الرسل التي تفضح تلون هذه الشخصية وغرابة تكوينها ، فهو يقول مثلا عن نفسه (انا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الابوي وكنت غيورا لله كما انتم جميعا) . (٥)

ويقول في رسالة أخرى (فصرت لليهود كيهودي لاربح اليهود وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس وللذين بلا ناموس كاني بلا ناموس مع اني بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح لاربح الذين بلا ناموس) . (٦)

ومن هنا يظهر بولس سوء طويته وعدم استقراره على مبدأ واضح فهو يتحدث بالسنة مختلفة ويقبل في دعوته اي شخص مهما حمل من عقائد ، وهذا بدوره يؤثر تأثيرا خطيرا على لب الدعوة لما يسببه من خلط في الاراء والمعتقدات .

---

١ ـ معالم تاريخ الانسانية ٧٠٦/٣
٢ ـ راجع في ذلك : الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية ، عبد الشكور محمد امان رسالة ماجستير ص ١٩٧ مكة المكرمة ـ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

٣ ـ اقانيم النصارى ص ٨٥
٤ ـ المسيحية . د . شلبي ص ١٢٤ ـ ١٢٥
٥ ـ اعمال الرسل ٢٢ :٣
٦ ـ ١ كورنثوس ٩ : ٢٠-٢١

ولهذا فقد واجه بولس عددا من المشاكل التي أثارها بسبب اعتراض وريبة التلاميذ منه خاصة حينما سمعوا أنه كان يقبل في الدعوة من الأمم دون ختان الداخلين الجدد الأمر الذى أدى الى تحريض الجميع ضده ، إلا أنه باسلوبه المرن استطاع التفاوض مع المعارضة (واتفق الجميع آخر الأمر على ألا يطلب من المهتدين الوثنيين أكثر من أن يقلعوا عن الزنى وعن أكل المخنوقة والدم وما ذبح على النصب وبيد وأن بولس يسّر الأمر بأن وعد العشيرة المسيحية المعدمة في دمشق بشيء من المال المطرد الزيادة في كنيسة انطاكيا)(١)

وهكذا نجد بولس يستعمل المال لاستغلال الفرص السانحة ،فقد وجد مجتمع التلاميذ مجتمعا فقيرا بينما (كانت كنائس بولس تضم احيانا بين أتباعها سراة القوم وكرامهم وكان الحوارى خبيرا بأساليب حثهم على مساعدة الكنيسة الأم).(٢)

الا أن إصرار الجماعة على تطبيق الشريعة كاملة أدى إلى إنفصال بولس (فكتب إلى أهل غلاطية رسالة تفيض بالغضب إنفصل بها نهائيا عن المسيحيين المتهودين وأعلن فيها أن الناس لا ينجون لاستمساكهم بشريعة موسى بل بايمانهم القوى الفعال بالمسيح المنقذ ابن الله).(٣)

وبانفصاله عن الجماعة الأم أخذ ينشر ما يؤمن به من عقائد يهود المهجر المتلونه ، وقد وضع آراءه وما يدين به في رسائل .

وعرض على غير اليهود انجيله من أهل كورنثه ودخل كثيرون منهم في دينهم (ولعل المسيحية قد بدت لهم انها صورة أخرى من الأديان الخفية التي طالما حدثتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم ، ولعلهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة وأثروا في بولس فجعلوه يفسر المسيحية تفسيرا يألفه العقل الهيلينستي) .(٤)

وهكذا أصبحت مصطلحات بولس تأخذ طريقها الى الأتباع الجدد :

ك " مصطلح " ابن الله الاول ، وبكر الخلائق ، وقد انتشرت سريعا لوجود الارض الخصبة لذلك ، وهكذا انفتح بولس للمسيحية الباب الى القول بالتثليث وأصبحت كلماته التي ضمتها رسائله كتابا مقدسا له ما للانجيل من حرمة واحترام فتناولها الشراح والدارسون من علماء الكنيسة ورجال اللاهوت بكل ما يملكون من طاقات البحث والنظر وخرجوها على كل وجه ممكن أو غير ممكن فكانت منها تلك الفلسفة اللاهوتية التي شغلت العقل المسيحي ولا تزال تشغله بل وتقلقه وتزعجه).(٥)

---

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٥٤-٢٥٥ ٢ - المسيحية ، جنيبير ص ١٠٤

٣ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٥٩ ٤- المرجع السابق ٣/٣ : ٢٥٨

٥ - المسيح في القرآن والتوراه والانجيل ،عبد الكريم الخطيب ص ٣١٣

ثانيا : العوامل الخارجيـــة التي كان لها الأثر الأكبر في انحراف العقيدة عن مسارها الصحيح .

التأثيرات التي أحدثها بعض أعلام اليهود في المسيحية شكلت اختراقا خطيرا للب هذه العقيدة ، وقد حملت العالم المسيحي أوزارا ما كان ينبغـــي أن يتحملها لولا وجود اللين والضعف من التلاميذ الذين أعقبوا حواريي المسيـــح فقد رضوا بالذوبان في الموجات القادمة من الخارج ولم يستطيعوا الوقوف في وجـــه التيارات الوثنية والفلسفات الشرقية والغربية التي هبت عليهم من كل حدب وصوب .

لقد وجدوا أنفسهم وسط لجج من الظلام لم يستطع العالم المسيحي حتى اليوم الخروج منها ، من هذه التيارات ما كان قادما من مصر الفرعونية ، ومـــن بلاد فارس ، والهند إضافة إلى ما فرضه الغرب من فلسفة مفرقة في الخيال .

وباستعراض أهم العقائد التي تسربت الى المسيحية يمكن ملاحظـــة الأثر الكبير الذى احدثته البدع والضلالات المختلفة في العقيدة المسيحية .

- اثـــر الديانة المصرية القديمة :

رغم توغل هذه الديانة الى قلب التاريخ السحيق ، ورغم تعاقب الأمـم القديمة التي تربعت على عـرش مصر الا انها وجدت طريقها عبر هذه الشعوب الخاوية حتى وصلت الى لب العقيدة المسيحية ، فقد استطـاعت أسطورة إيزيس وأوزوريس وحوروس التأثير على العقلية المسيحية التي وجدت في شخصية حوروس (الذى كان ابنا لسرابيس وهو وفي نفس الوقت شبيها ، مرشدا ، لهم فيما يبذلونه من جهود عنيفة لتفهم ما خلفـه لهم القديس بولس من خفايا وقد كان الانتقال من هذا الى المطابقة بين شخصية مريم وايزيس ثم سمـــوا بها مرتبة شبه قدسية وكان طبيعيا كذلك للمسيحية أن تقتبـــس وهي لا تكاد تعي الطرائق العملية للديانات الشائعة في ذلك الزمان فاتخذ قساوستها طريقة الرؤوس الحليقة والزى الخاص بالكهنة المصريين لان ذلك يبدو الطريقة المثلـى لتمييز القسس ، وتتابعت البدع واحدة في اثر الأخرى وكانت نتيجة ذلك أن دفنـــت التعاليم " الثورية " الأصلية بطريقة تكاد تكون غير محسوسة تحـــت تلك الاضافات المألوفة)(١)

١ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٧٠٩

والقصد من القول " بالثورية " هو ذلك الرفض الذى أيدته رسالة عيسى عليه السلام لكل انحراف أدخله اليهود على الديانة الصحيحة .

لقد كان للمعابد المصرية أثر أيضا في بقية الطقوس والتقاليد الكهنوتية (فثياب الطقوس والرمز والصيغة الاصطلاحية التي اتخذتها المسيحية والتي ما برحت ترتديها الى يومنا هذا في كثير من الاقطار قد نسجت ولا مراء في عقائد ومعابد " جوبيتر سرابيس وايزيس " التي انتشرت عند ذلك من الاسكندرية الى كافة أصقاع العالم المتمدن في عصر الثيوكرازيا (اعني اتحاد الالهة) في القرنيين الثاني والاول قبل الميلاد) .(١)

ومع خطورة هذه الاقتباسات إلا أنها تصغر اذا ما قيست بعقيدة التثليث التي كانت منتشرة في مصر .

قال العلامة دوان (وكان قسيسو هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم : إن الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلقا الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس .

وسأل توليسو ملك مصر الكاهن تنيشوكي أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه أو هل يكون بعده من هو أعظم ؟ فقال له الكاهن : نعم يوجد من هو أعظم وهو : أولا الله ثم الكلمة ومعهما روح القدس ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الابدية فاذهب يافاني ياصاحب الحياة القصيرة)(٢)

---

١ ـ معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٦٩٤

وراجع كذلك : اقانيم النصارى ص ٨٧-٨٨

٢ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، ص ٢٦

اثر الوثنية الهندية في المسيحية :

كما كان للفرعونية نصيب في المسيحية كذلك الحال في الوثنية الهندية فقد كان لها حظ منها. وقد تمثل بعقيدة التجسد التي كان الدرافيديون ياخذون بها ، فقد اعتقد هؤلاء أن " لكل صفة من صفات الله صفة انسانية وأضفوا عليها صفات أخرى وهذه هي الآلهة عندهم .

كما قالوا : " ان قدرة الله ورحمته وجبروته تجسدت في صورة إله في كل أمة من الأمم مثل البعل عند الساميين وأندرا عند الآريين وجوبيتر عند اليونان وقد عرضوا هذه الآلهة في صورة انسان ولكن الداوريين حينما أعجبوا ببعض الشخصيات الأسطورية الفذة أضفوا عليها صفات الألوهية واعتقدوا أن إلههم الأعظم فشنو تجسد فيها لمساعدتهم وشد أزرهم وانقاذهم من كل شر ومن هذه الشخصيات: راما وكرشنا وانتقلت هذه النظرية الى الرومان من اليونان والهنود والمسيحين على السواء فهم بدورهم عرضوا السيد المسيح مجسداً فيه الله سبحانه و متغلغلا فيه) (١).

كما أن عقيدة التثليث كانت بدورها قد إنتقلت من المصريين الى الهندوس ومن ثم الى المسيحيين . قال العلامة دوان (اذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث (أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم ، ويدعون هذا التعليم بلغتهم (ترى مورتي) وهي جملة مركبة من كلمتين سنسكريتين . أما (ترى) فمعناها (ثلاثة) ومورتي معناها (هيئات) او اقانيم وهي (برهمة وفيشنو وسيفا) ومجموع هذه الثلاثة أقانيم اله واحد ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والميم ويلفظونها (اوم) .) (٢)

اما الفرق الطفيف بين الهندوسية والمسيحية في ذلك أن الأولى تقرر (ان الاله براهما كان قبل الوجود وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق ثم انبثق منه الاله سيفا كان وهو الاله المدمر الموكل بالخراب والفناء ولو ترك هذا الاله وشأنه لغنيت السموات والارض ومن فيهن ولهذا إنبثق من براهما الاله ثالث حافظ مجدد هو الإله فيشنو) (٣) كما ان فكرة الخلاص بتقديم الاله نفسه فداء لتكفير خطيئة أزلية متلبسة فيها الانسانية قد انتقلت الى المسيحية من الديانات الهندية كذلك فالبرهميون يعتقدون أن كرشنا وهو الاله فيشنو مصلوبا مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الانسان) (٤)

---

١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٢-١١٣ وكذلك انظر : اقانيم النصارى ص ٨٧
٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٩ ٣ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ١١٣
٤ - المرجع السابق .

التأثيـــرات البوذية :

حيث إن البوذية تشكل فلسفة في العمل الطقسي ، فان أشد ما جذب المسيحيين اليها تلك الصور والأشكال التعبدية التي حفلت بها العقيدة البوذية .

وقد نقل البستاني صورا عن الطقوس والشعائر والعادات والادوات وكثيرا من الرموز التي انتقلت الى المسيحية فمن ذلك قوله :

ف (صور التقسيم السحرية واحداث العواصف والاقامة من الموت وما أشبه (ذلك) .. من بقايا المذهب الشاماني القديم قد دخلت في البوذيـــة عند المغول والكلموك . وصارت المواعظ ايضا قسطا ضروريا من أقسام العبادة وكذلك الاحتفال حول الهياكل والمزارات بحمل الذخائر والقرابين من أثمار وأزهار وبخـــور وما يؤكل مما لادم فيه واعتراف العوام وتكريس الماء المقدس والتطهيرات المقدســـة أو المعمودية في منغوليا والصوم والتسابيح والنشائد والبركات والصلبان ويلبس اللامة حللا حيرية كحلل اساقفة بعض النصارى) (١)

ولا شك ان مايجرى داخل الكنائس المسيحية وخارجها من طقوس وشعائر يتشابه الى حد بعيد مع ما رسمته البوذية من قبل .

ولعل التأثير الأكبر الذى إنتقل إلى المسيحية تلك المبادىء التـــي أسهمت في تدعيم الأسس الرهبانية لدى الرهبان وآباء الكنيسة الأول ،

ف (البوذيون يعتقدون كما اعتقد البرهميون من قبل في فيشنو حتى أنهم يسمون بوذا " المسيح " والمولود الوحيد ومخلص العالم ويقولون إنه إلـــه كامل تجسد بالناسوت وانه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر) (٢) .

ولقد وجد لوبون تشابهاً عجيباً بين شخصيتي بوذا والمسيح وذلك حينما قارن بين مراحل حياة كل منهما ولا شك أن ما أضيف الى حياة المسيح عليه السلام من خرافات وترهات على يد المحرفين من اليهود وغيرهم كان مستقى من الأساطير التي نسجتها عقلية البوذيين (٣) ، كما لاحظ لوبون أيضا الزيادة في أوجه الشبه قـــد تعدت من الشكل الى المضمون فمن ذلك قوله (وتزيد أوجه الشبه تلك أهمية عند الوقوف على تشابه تينك الديانتين موضوعا فضلا عن الشكل فكلتاهما أمرتا بالاحسان والمساواة والزهد وكلتـاهما ناطتا الخطيئة بالنيات كما تناط الأعمال وكلتاهما ابتدعتا الرهبانية) (٤)

١ - دائرة المعارف بطرس البستاني ٥ / ٦٧١ ٢ - راجع الصفات المشتركة والحوادث المشابهة لكل من الشخصيتين في كل من : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ومحاضرات في النصرانية وغيرهما . وقارن مع : معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٩٠ وكذلك الهند القديمة : حضاراتها ودياناتها ، ص ٢٢١

٣ راجع : الأسفار المقدسة د . وافي ص ١١٤ و راجع بتوسع : اسطورة تجسد الاله عبد الصمد شرف الدين ص ٢٤-٢٥

٤ - حضارات الهند غوستاف لوبون ص ٣٤٤-٣٤٥

اوجه التشابه في التثليث :

كانت البوذية تمثل انتفاضة ضد الهندوسية الا انها لم تستطع ان تفلت من قبضه هذه الاخيرة حيث تمكنت من احتوائها والسيطرة على الكثير من مبادئها وتعاليمها ولهذا نرى التأثير الهندوسي في القول بالتثليث ينتقل طوعا الى البوذية وهكذا يقال ايضا بالنسبة للمسيحية . فهناك تشابه في صفات الأقانيم التي يضيفها البوذيون الى تثليثهم بما يماثل صفات أقانيم النصارى .

قال المستر فابر (وكما نجد عند الهنود ثالوثا مؤلفا من برهمــــه وفشنو وسيفا هكذا نجد عند البوذيين. فإنهم يقولون إن بوذا إله ويقولون بأقانيمــــه الثلاثة وكذلك بوظي جينست: يقولون عن جيفا إنه مثلث الاقانيم .

قال السيد وليمس جونس في تضرعات وتوسلات الزاهد (امورا) هذا نصها (لك أقدم التعظيم والخشوع يا رب أنت الإله الرحيم يا شافي الآلام والأتعاب يا رب كل شيء حي أنت برهمة وفشنو وسيفا إني أعبدك تميزت باسمائك الألف وأشكالك المختلفة وشكل بوظا إله الرحمة) .(١)

التأثيرات الفارسية القديمة في المسيحية :

كما إدعت المسيحية أن لله تعالى إبنا وأنه مثلث الأقانيم تعالى الله عن قولهم كذلك قالت الديانة الفارسية من قبل .

يقول دوان في هذا الصدد :

(وكان الفرس يعبدون إلها مثلث الاقانيم مثل الهنود تماما وهم اورمزد ومترات واهرمان ، فاورمزد الخلاق ومترات ابن الله المخلص الوسيط واهرمان المهلك ويوجد في كتابات زوستر سانن الشرائع الفارسية هذه الجملة :

(الثالوث اللاهوتي مضيء في العالم وراس هذا الثالوث موناد) وكان الاشوريون والفينيقيون يعبدون آلهة مثلثة الأقانيم) .(٢)

---

١ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٢-٢٣

وراجع كذلك الديانات والعقائد ، عبد الغفور عطار ١٥٦/٣

٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٣٠

أثـــر الوثنية اليونانية في المسيحيــــة :

هناك عدة عقائد يونانيـــة وثنية أثرت كثيرا في العقائد المسيحية من بينها فكرة : التثليث ، والبعث ، والخلاص ، والعشاء الرباني المقـــدس والتعميد ، والاتحاد ، وغيرها .

وبملاحظة صورة التثليث عند اليونان يمكن معرفة مدى تشابههـا مع التثليث المسيحي .

فقد (كان اليونانيون القدماء يقولون : إن الإله مثلث الأقانيم واذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مـــرات إشارة إلى الثالوث ، ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات ويأخذون البخور من المبخر بثلاث أصابع ، وعن أورفيوس يقول دوان :

(كل الاشياء عملها الاله الواحد مثلث الأسماء والأقانيم وهـــذا التعليم الثالوثي أصله من مصر " وكثيرون من الآباء في الجيل الثالث والرابع قالوا : إن فيثاغورس وهيركليتوس وبلاتو علموا التثليث وقد أخذوا فلسفتهم في التثليـــث عن أورفيوس . . . وقال العلامة فسك " : وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث وهو : اولا ، الله ، ثم الكلمة ، ثم الروح) .(١)

ويعترف ديورانت بهذه الحقيقة قائلا : (ان المسيحية لم تقض على الوثنية ، بل تبنتها ، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد الى الحيـــاة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها . . . وانتقلت الطقوس اليونانيـــة الخفية الى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف .)(٢)

ومهما ادعت المسيحية من أنها حاربت الوثنية حربا بلا هوادة فان القرائن تثبت عدم صحة هذه المقولة فبمجرد النظر الى الشعائر والطقوس والرموز التي يقوم بها النصارى في كنائسهم والأصنام التي تمثل معبوداتهم وتماثيـــل قديسيهم لا تلبث هذه الدعاوى أن تنهار أمام الواقع ، وقد عبر عن هـــذه الظاهرة أحد العلماء الغربيين بقوله (راح كبار الأساقفة الذين عاصروا الملـــك

---

١ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٩-٣٠

٢ ـ قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٧٥-٢٧٦

داغوبير ،أمثال القديس ابلوا ، والقديس اوان (OUEN) والقديس سولبيس يقومون دوريا برحلات راعوية يهدمون خلالها ويتلفون ما تقع عيونهم من آثار الوثنية والصنمية ،كما يصادرون مراكز عبادة الاصنام بعد ان يغيروا منها الاسماء والسميات ويضعوها تحت حماية أو شفاعة أحد الشهداء القديسين أو على اسم أحد رؤساء الملائكة كما أطلقوا مسميات مسيحية على مراكز العبادة ومواقع الحج الوثنية وألبسوا صيغا وأشكالا مسيحية المراسم الطقسية التي كانت تقام في الأرياف ناشرين على هذه الكنيسة الرمز الصورى أو الحرفي على الأقل للديانة المسيحية) (١).

فكرة البعث اليونانية وأثرها في المسيحية :

كان لرفع المسيح عليه السلام أثر في نفوس الأتباع ، كما مر سابقا الا أن الوثنية اليونانية استطاعت استغلال هذا الحدث الكبير لاحتواء المسيحية والالتفاف حولها ،ولهذا يرى جنيبير أن أقوال بولس في هذا الصدد هي التي أججت نيران هذه العقيدة وأيقظتها من مرقدها ، فقول بولس (ان لم يكن المسيح قد بعث ،فايماننا لا سبيل له) (٢).

فهذه المقولة تثير الحساسية الوثنية التي كانت سائدة آنذاك ، (ومن جانب آخر فان فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير باتباعه نحو حياة الخلود تسربت الى ضمير المجتمعات المسيحية أو على الاقل منها تلك المتأثرة بالفكر اليوناني فلم يلبث عيسى أن تحول بها من مسيح يهودى وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليوناني ولا يفهمها أهل اليونان الى عيسى المسيح السيد والمنقذ إبن الله وخليفته على الأرض الذى يهتف باسمه سائر المؤمنين وتنحني له الخليقة كلها اكبارا واجلال على حد تعبير القديس بولس) (٣).

العشاء الرباني اليوناني وأثره :

عقيدة البعث هذه ارتبطت بشعيرة أخرى يقول بها المسيحيون مضاهاة للوثنية اليونانية وهي القربان المقدس أو العشاء الرباني .

وقد لاحظ ويلز الذى فسر هذا الترابط بقوله (العلاقة وطيدة (تلك) التي تربط البذار في الذهن البشرى بالقربان والتضحية ،ذلك أن البذار أخذ يصبح أهم الاحداث الاقتصادية فكان من الطبيعي أن يربط الناس أشد ما يخطر ببالهم من الأمور روعة ووقعا وأي شيء أشد روعة من قتل رجل من الناس) (٤)

١- تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى ٣: ٣٥
٢ - الرسالة الى اهل كورنثيا ١٥ : ١٧ ٣ - المسيحية ،جنيبير ص ٥٢
٤ - معالم تاريخ الانسانية ١ / ١٢٣

(وقد تتبع) السير ج .ج فيريزر تطور هذا الترابط وواصل بينه وبين فكـرة الأشخاص المخصصين للقربان الذين يقتلون في أوان البذار وفكرة طبقة من الناس مطهرة تطهيرا خاصا يؤهلها لقتل هؤلاء الضحايا وهي طبقة الكهنة وفكـــــرة (عشاء مقدس) أو وليمة طقوسية وتأكل فيها القبيلة أجزاء من جسم الضحيـــــة لكي تأخذ نصيبا مما للقربان من مزايا وتتقمص تلك المزايا أوثق تقمص من هـــــذه البداية تطورت الديانات ذات القرابين الموسمية التي لا تزال بين ظهرانينا)[1]

وقد جاء هذا التعليل تمثيلا للصورة التي يراها المسيحيون يقول متى (... وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربـــــوا منها كلكم لأن هذا هو دمي)[2].

فهذه العملية أصبحت من التقاليد المعمول بها في الكنائـــــس المسيحية وهي تعني السر المقدس بين المسيح والمسيحيين و (بموجبها يعمـــد المسيحي ويصبح مشاركا في حياة المسيح الاله مشاركة متجددة دائمة ولا شـــك أن هذه الفكرة تعود في أصلها الى ديانة الألغاز المعروفة عند الاغريق)[3].

صلـــة التعميد بالاتحاد :

لكي يكون المسيحي مسيحيا لا بد له من التعميد بحسب الأصول التي يتبعها القسس في الكنائس لهذا الغرض ويكون إما بالتغطيس أو بالرش علـــى خلاف بين المذاهب المسيحية[4] ، وهو بمثابة فرض ألزمت الكنيسة أتباعها به والا اعتبر الرافض كافرا ، ويستند المسيحيون بأقوال وأفعال نسبوها الى يحيى عليـــه السلام من أنه عمد عيسى في نهر الاردن[5].

ولا شك أن التعميد المزعوم ليس له أصل سوى الأصل الوثنـــــي الذى أشاعه بولس في أوساطه فهو يقول (لأن كلكم الذين عمدتم في المسيح فقـــد لبستم المسيح)[6].

---

١ - معالم تاريخ الانسانية ١٢٣/١

٢ - متى ٢٦ : ٢٦-٢٨

٣ - مدخل في تاريخ الاديان د . محسن العابدى ٣٥-٣٦ دار الكتاب بموسة ١٩٧٣ م .

٤ - راجع هذا الخلاف في : قاموس الكتاب المقدس ٦٣٧

٥ - : متى ٣ : ١٣-١٦

٦ - غلاطية ٣/ : ٢٧ ، والاصل في التعميد هو الختان حسب الشريعة التـــي جاء بها موسى عليه السلام من عند الله تبارك وتعالى وقد ظل بنو اسرائيـــــل

وقد فسر جينيبر هذا النص بقوله :

(وهذا يعني أن السيحي يتحد بالمسيح بواسطة التعميد

ونحن في قولنا هذا قد نتجاوز حدود النص الحرفية ، فبولس لم يجروء قط على القول بان التعميد يجعل من المسيحي " مسيحيا " مثلما تجعل طقوس التضحية بالثور في عبادة سيبيل من المؤمن بها و (الها هو أتيس) الا أن مفهوم هذا التعميد نابع من نفس وجهة النظر التي يفسر بها مفهوم التضحية بالثور فبالتعميد " يرتدى المسيحي المسيح كما يرتدى اللباس المقدس المنجي ، وهو ينزل رمزيا الى عالم الأموات بغطوسه في النهر أو في إناء التعميد فاذا ما خرج بعد غطسات ثلاث تماما كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاث أيقن بأنه سوف يمجد يوما ان اراد الله له ذلك كما مجد المسيح .)(١)

ان الربط بين التعميد والاتحاد هنا وثيق الصلة ، ولا شك ان المسيحيين ، قد وقعوا فريسة في شباك الوثنية اليونانية حينما قدست هذه البدعة لهم ، فلم يجدوا مناصا من الاعتراف بها لأن التيار الوثني كان متغلغلا في تلك الاوساط ، وقد تولى بولس مهمة ادخال هذا التقليد الى المسيحية بسهولة .

=يقومون بهذه الشعائر الى أن قام بولس بنشر بدعه ومنها الغاء الختان ، يقول بولس (ها أنا بولس أقول لكم إنه ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا لكن أشهد ايضا لكل انسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس . . . . (وقوله) لانه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة) : غلاطية ٥ : ٢-٦ وراجع تعليق ديورانت على هذا الموضوع في : قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٥٣-٣٥٥

١ - المسيحية ، ص ١١٠

اثـــر الفلسفة اليونانية في العقائد المسيحية :

مر في الفصول السابقة التعرف على كيفية دخول الديانات الوثنية المختلفة الى الفكر الديني المسيحي ، وكيف استطاعت تكوين هذا الخليط المعقد من المبادئ والآراء المتناقضة .

ولم تكن القضية لتقف عند هذا الحد ، فقد تزاحمت المشاكل على أبواب الكنيسة ، وناءت ظهور الرهبان عن حمل تبعاتها ، فلجأ هؤلاء الى الفلسفة التي كانت رائجة آنذاك مستغيثين بمبادئها ، لائذين بافكارها نتيجة لوقوعهم في الفوضى الدينية التي غمسوا أنفسهم في وسطها تائهين في لججها .

وازاء ذلك فقد عمد هؤلاء الى إتخاذ المصطلحات الفلسفية كمادة لتغذية عقائدهم ، وكأداة لحجب الحقيقة وطمس معالم الحق والنور .

وغير خاف ما لهذه المبادئ من خطر على النفوس الوضيعة في عصر ارتفعت فيه أسهم الفلسفة ارتفاعا كبيرا .

وقد لاحظ العلماء الأثر الكبير الذى أحدثته الفلسفة اليونانية بالذات في الفكر الديني المسيحي ، ووقفوا طويلا عند انبهار رجال الكنيسة ورهبانها بالفلاسفة الأول . وما استمدوه من مبادئ وصيغ مختلفة .

وقد ظهر هذا التأثير جليا ابتداء من القرن الثاني بعد الميلاد ولا شك ان نوعا من الصدام قد حصل بينهما بادئ الامر ، الا ان الفلسفة قد استطاعت السيطرة على مفاهيم هؤلاء وحورت العقيدة الصحيحة وفق اهواء الفلاسفة ونزعاتهم .

وقد ضرب العلماء مثلا لالتقاء وصدام الفكر المسيحي بالفلسفة اليونانية وخير شاهد على ذلك شخصية بولس وما دار حولها من نقاش .(١)

ويعترف الباحثون في هذا الشأن بأن ذلك المجتمع وجد (فيه فلاسفة محترفون اضطلعوا بمهمة الوعظ والارشاد ، فكانوا يمضون بلحيتهم ورداءهم ينشرون تعاليمهم الخلقية في الاسر والجماعات كل بحسب مذهبه

---

١ - راجع في هذا الصدد : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

فيلتقي بهم المسيحيون ويناقشونهم وكان من بين المسيحيين جماعة آمنوا بعد فلسفة فكان طبيعيا أن يصدروا عن ثقافتهم السابقة في تبيان عقيدتهم ونقد الوثنية فيوفق البعض الى الحق ، ويضل البعض فتنشأ البدع وتقوم المناقشات الكلامية والكتابية لتحديد معالم الدين في فوضى المذاهب والملل ، وهكذا خلقت الفلسفة المسيحية منذ القرن الثاني)[1].

ومن السهل جدا اعطاء نماذج لتأثر عدد من أساطين آباء الكنيسة بالفلسفة ، إذ (لم يخطر ببال المدافعين عن العقيدة المسيحية يوما أن يتبرؤوا من ثقافتهم اليونانية او اليونانية ـ اللاتينية بل كانوا يتباهون بها ، ولقد اصبحت لدى اباء القرن الثاني ومعظمهم من المهتدين الى المسيحية خير اداء في دفاعهم عن ايمانهم الجديد .

فها هو "يوستينوس" الفيلسوف " واثيناغورس " الآثيني " الفيلسوف المسيحي على ما ورد في كتابه الدفاعي ذاته والقديس "ثيوفيلوس" الانطاكي الأديب وصاحب الاسلوب الأنيق "ومركوس مينوسيوس فليكس" المحامي الروماني الذى اعتبر كتابه (الاكتافيوس بانواريوس " تحفة من تحف الادب اللاتيني وغيرهم كثير . . .

وها هوذا مثل آخر يدل على شيء من الافراط وهو التوصية في حق المسيحيين "لاثيناغورس" ورد فيه الكثير من الاشارات الى أساطير اليونان وكثير من النبذ التي لم تستمد من أفلاطون فقط ،بل بجانب أعظم من "هوميروس" و"هيرودوس" و"ابيريبيدوس" ايضا . . . .لكن الاسكندريين بسبب الافلاطونية المتغلبة عليهم كانوا مع من بقوا في مجال نفوذهم بالقليل أو بالكثير هم الذين أبلوا خير البلاء في خدمة هذه الثقافة اليونانية التي أصبحت مسيحية)[2].

وكما مر في الأبواب السابقة فإن الإمبراطورية اليونانية كانت تدين بمذاهب فلسفية شتى (وكانت المذاهب الفلسفية الكبرى (الشائعة آنذاك) أربعة الافلاطونية[3] ، والرواقية[4] ، والارسطوطالية[5] ، والابيقورية[6]) مرتبة حظوتها

---

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

٢ - فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، لويس غرديه ج . قنواتي
ت : د . صبحي الصالح ، الاب فريد جبر ٢ / ٨١-٨٢-٨٣ط٢ ١٩٧٩ دار العلم للملايين ، بيروت .

٣ - انظر صفحة (١٩٨) من هذا البحث ٤-انظر صفحة (٣٢٣)

٥ - نسبة الى ارسطو : (٣٨٤-٣٢٢ق . م) الفيلسوف المعروف كان ابنا لطبيب باسطاغيرا في شمال اليونان ،ظل لعشرين عاما بادئة من ٣٦٧ باكاديمية افلاطون انظر : الوجود الالهي ص ٢٨ وهو مؤسس المدرسة المشائية ، :
مبادئ الفلسفة ص ٢٠٦ - ٢٠٧

٦ - نسبة الى ابيقور (٣٤١--٢٧٠ ق . م) فيلسوف يوناني كان يرى ان لا خير الا اللذة ولا شر الا الالم وان الفضيلة تقصد لما فيها من اللذة والرذيلة انما تجتنب لما فيها من الالم

لدى المفكرين المسيحيين لذلك العهد .

اما الافلاطونية فكانت المذهب المفضل عندهم ، عرفوها بوقوفهم على بعض محاورات افلاطون ، وعن طريق مختلف الكتاب ، وبخاصة فيلسون الاسكندرى (١)

لقد اعجب هؤلاء بهذه المذاهب لانها كانت تعترف " بعالم معقول وصانع العالم المحسوس بما فيه من خير وجمال ، وبنفس انسانية روحية هابطة من العالم المعقول تائقة العودة اليه ، وبتحقير الجسم والحياة العاجلة والاشادة بالزهد والتطهير والخلود والاتحاد بالله وما زالوا يعتبرون الافلاطونية اسمى المذاهب اليونانية واقربها الى المسيحية ، حتى اذا ما جددتها مدرسة الاسكندرية في القرن الثالث متأثرة باليهودية والمسيحية استغلوا الافلاطونية الجديدة ايضا (٢)

هكذا كان تأثير الفلسفة اليونانية الوثنية على علماء ورهبان الكنيسة الذين اشبعوا عقولهم بها ، ونهلوا من معينها ، وارتووا حتى الثمالة . فكان انتصار الفلسفة على الدين هو الغالب لدى امة تركت سلاحها واستسلمت للتيارات المختلفة التي أصرت على تحطيمها وقد كان .

وسأستعرض بعض المدارس الفلسفية التي كان لها أثر في الفكر الديني المسيحي .

= وليست السعادة عنده الا نيل اللذائذ ، ولم يقصر " أبيقور قوله على اللذات الجسمية كما فهم بعض الناس من مذهبه بل اعترف باللذة العقلية وفضلها عن غيرها راجع : مبادئ الفلسفة ص ٢٠٦ ، وقد اسيئ فهمه فقيل انه يدعو الى الملاذ انظر : الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٤٣ مادة ابيقور .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

٢ - المصدر السابق .

أثـــر الاورفيـــــــة (١) :

لعل أبرز المذاهب الفلسفية القديمة التي لها أثر كبير في الوسط الفكري اليوناني وبالتالي على الفكر المسيحي تلك المدرسة الأورفية التي كـــان لها حظوة لدى الافلاطونية الحديثة .

ويتضح هذا الأثر عبر عثور العلماء على مجموعة كبيرة من الكتابـــات الأورفية التي كانت في حوزة (رجال الافلاطونية الحديثة بالاسكندرية ، وقـــد اتخذوها أساسا للاهوتهم وطقوسهم وتصوفهم ، . كذلك أثرت فكرة النار المطهـرة والجنة وتعارض الجسم والروح والابن المقدس الذى قتل ثم ولد من جديـــــد ، والعشاء الرباني وهو أكل جسم الاله ودمه وقدسيته ، أثرت هذه كلها من قـــرب أو من بعد في المسيحية التي كانت هي نفسها دينا ذا طقوس ومراسم خفيـــة فيها الكفارة والأمل والوحدة التصوفية وتحرر الروح ولا تزال الافكار والعبادات ، التي تشـــتمل عليها الديانة الأورفية منتشرة بيننا (اى بين المسيحيين) هذه الايام .) (٢)

أثـــر الافلاطونية الحديثـــة (٣) :

تبين مما سبق أن التوحيد هو لب الدعـــــوة التي جـــاء بها المسيح عليه السلام ، وأن التثليث هو العقيدة المستحدثة التي طغت فيمـــا بعد على معتقدات المسيحيين بعد التحريف والتبديل ، والناظر في أســـس العقيدة النصرانية يستطيع أن يرى أثر الفلسفة الافلاطونية الحديثة بشكـــــل واضح فيها .

هذه الفلسفة ترى أن الحقائق أو الأقانيم ثلاثة :

الحقيقة الاولى : الواحد أو الطبيعة العليا ، وتصف هـــــذا الواحد بالوحدة المطلقة وعدم التكثر حتى في الوصف .

الحقيقة الثانية : هي العقل العام ، وهو واحد كالاول ومجـــرد عن المادة مثله الا ان فيه تكثرا ما وهو صادر عن الاول بطريـــق الفيض لا عن ارادة واختيار .

الحقيقة الثالثة : هو النفس الكلية وهي مجردة عن المادة ايضـــا مثل الاولين الا أنها لما بعدت عن الأول أظلمت شيئا مـــا

---

١ - انظر ص ١٨٩-١٩٣ من هذا البحث .

٢ - : قصة الحضارة ١/٢ : ٣٤٧

٣ - " هي مذهب قام على اصول افلاطونية وتمثل عناصر من جميع المذاهب ، فلسفية ودينية يونانية وشرقية بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة " تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٥

وعن النفس الكلية صدرت الموجودات المحسوسة التي فيها الشرور والظلمات .

والافلاطونية الحديثة لا ترى التساوى بين هذه الاقانيم بل ترى ان الأول هو أكملها والثاني أقل منه كمالا والنفس الكلية اقل من الاثنين . . . .

ويرى "ليون جوتيه" المستشرق الفرنسي ان اللاهوت المسيحي مقتبس من افكار هذه المدرسة فيقرر ان التشابه كبير بين اللاهوت المسيحي وبين الافلاطونية الحديثة ، حيث انهما يرتكزان على عقيدة التثليث والثلاثة أقانيم وان اختلفا في بعض التفاصيل . . .

أول هذه الاقانيم هو مصدر كل كمال ، والذى يحوى في وحدته كل الكمالات ، وهو الذى دعاه المسيحيون الأب ، والثاني ،أو الابن هو : الكلمة والثالث ، وهو داعا الروح القدس . . . .

ويجب ان يلاحظ (وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحي عن الافلاطونية الحديثة ـ أن الأقانيم الثلاثة ليست في نظر هذا المذهب متساوية في الجوهر والرتبة بينما هي عند المسيحية متساوية ،فالابن الذى يتولد من الاب لا يمكن أن يكون أدنى منه كمالا ،والا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطرارا عنه غير الكامل ، وهذا حط من رتبته وكذلك الروح القدس مساو للاب والابن . . .) (١)

واخطر ما في هذه الفلسفة ان المرحلة القصوى منها (يتم احرازها ـ لا عن طريق التجربة والعقل ـ بل عن طريق الوجد الصوفي وفي هذه الفلسفة تنحط المثالثة الى درك التصوف الاشراقي) (٢) .وهو الامر الذى سيكون مادة خصبة للاسس العقدية للرهبانية المسيحية .

---

١ - يراجع في هذا الصدد : الجانب الالهي في الفلسفة الاسلامية ، د . محمد البهي ص ١٥٠ وما بعدها دار الكتاب العربي بمصر ط ١٩٦٧

وكذلك : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٨ ومحاضرات في النصرانية ص٤٤ نقلا عن كتاب المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية ،ليون جوتيه و قارن مع : الاسفار المقدسة د . وافي ص ١١٣

٢ - الموسوعة الفلسفية ، م . روزنتال ـ بي . يودين ص ٤١ ط٢ ١٩٨٠

تلك هي معالم المزج العجيب التي ظهر اثرها في الفكر الديني المسيحي والتي راح ضحيتها المجتمع المسيحي الذى نهشته حمى البدع وخيمت على جميع مرافقه وكبلته بعد أن عصفت بـــالروح النقـية التي دعا اليها المسيح عليه السلام .

لقد ظهرت هذه البدع في شتى أوجه الحياة ، وقد عبر ديورانت عن هذا الواقع المرير أبلغ تعبير حينما قال :-

(فمدارسنا وجامعاتنا ، ومدارس التدريب الرياضي وملاعبه والمباريات الرياضية والاولمبية كل هذه ترجع اصولها الى بلاد اليونان ونظريـــة تحسين النسل وفكرة ضبط الشهوة الجنسية والسيطرة على الغرائز والعواطـــف وعبادة الصحة والحياة الطبيعية ومذهب اشباع الحواس أكمل اشباع كل هـــذه وجدت صيغتها التاريخية في بلاد اليونان وقد تفرع الجزء الاكبر من الديـــن المسيحي والعبادات المسيحية ولفظا (theology, christian) نفسهما لفظان يونانيان من الطقوس الخفية التي كانت منتشرة في بلاد اليونان ومصـــر ومن المراسم اليوزيتية والاورفية والايزيريسية ومن العقيدة اليونانية القائلة بمـوت الابن المقدس لتخليص الجنس البشرى ثم بعثه من بين الموتى ومن الطقوس اليونانية والمواكب الدينية وحفلات التطهير والتضحية المقدسة والطعام العام المقدس ومـن الاراء اليونانيةعن الجحيم والشياطين والمطهر والغفران والجنة ومن النظريـات الرواقية والافلاطونية الجديدة عن الكلمة والخلق ونحن مدينون بخرافاتنا نفسهـا لما كان لدى اليونان مـن اغوال وساحرات ولعنات وتفاؤل وتشاؤم وايام مشحوسة) (١) .

هذا الواقع المرير الذى حور العقيدة والبسها لباس الضلال والزيف يجعل المرء يؤكد ما اقربه جنيبير من ان (الغربيين لم يكونوا قط مسيحيـــين في يوم من الايام) (٢) ويمكن اضافة مقولة اخرى ان مسيحيي الشرق المتقبليـــن لعوامل التغيير والانحراف هم أيضا لم يكونوا في يوم من الايام مؤمنين برسالـة عيسى عليه السلام المنزلة من عند الله تبارك وتعالى بل هم ضحايا الغوايـــة والفساد والضلال الذى مارسه رجال الدين المسيحي ، رهبانا وفلاسفـــة وقد أتيحت لهم فرصة ذهبية لتعويض ما فاتهم من خير ونفـــع لهم يوم جاء الاسلام وهم ربوع الارض لاخراج الناس من الظلمات الى النور فابـــى اكثرهم الا كفورا .

---

١ ـ قصة الحضارة ٨/٢٠٧ ولاحظ ما كتبه د . أسد رستم عن تأثر المسيحيين باليونانيين خاصة فيما يتعلق بالرسوم والتصاوير وذلك في: حرب في الكنائس ، ص٦ ط ١٩٦٧ ، بيروت

٢ ـ المسيحية ، ص ٢٠٩

ثالثا : الجهـــة المستفيـــد ة من الانحــراف :

بعد الحديث عن العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في انحراف القوم من رسالتهم ، تبقى مسألة الجهة المستفيدة من هذا الوضع والتي يرجع اليها الفضل في ابقاء باب الانحراف مشرعا ضمانا لمصالحها وامتيازاتها ورتبها الدينية التي درت عليها المنافع المادية والمعنوية .

لقد انعكست المنفعة الشخصية على طبقة رجال الدين المسيحي رهبانا ، وبطاركة ، وبابوات .. ، وبتمكن هؤلاء من اعتلاء الزعامة الدينية لدى العامة استطاعوا ممارسة الطغيان الديني والسياسي والاجتماعي على اوسع نطاق ..

وقد ظل هذا الطغيان يتفاقم ويتطور الى ان اصبح كابوسا مزعجا يؤرق فكر البشر ويهدد امنه واستقراره ، وبات يعمل بشتى الوسائل لقتل الروح العلمية المتوثبة لدى العلماء(١) والمخترعين بصورة بشعة أدت الى كبت كل جديد وطمس كل حديث ، وظلت هذه الطبقات تحارب كل تغيير يفسح المجال للتقدم والرقي الحضارى ، وظلت أوامر الكنيسة في العصور الوسطى وقراراتها سيفا مسلطا على رقاب العلماء ومقصلة لاعناق الفكر الحر .

لقد حاربت الكنيسة العلم ورجاله ووقفت منه موقفا معاديا وراحت باسم السلطة البابوية تدخل من تشاء في جناتها وتخرج من تشاء من رحمتها وتنزل اللعنات على من تشاء من معارضيها .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الابتزاز امتلاء جيوب القسس والرهبان بالمال الحرام وتكديس الذهب والفضة في خزائنهم .

والفضائح في ذلك كثيرة سوف نراها أثناء الحديث عن الطغيان الكنسي .

---

١ ـ يراجع في هذا الصدد كل من : موقف الاسلام والكنيسة من العلم ، عبد الله الشوخي ص ١٢١ وما بعدها ، مكتبة المنار ، الاردن الزرقاء ط١ ، ١٤٠٢-١٩٨٢م ـ وكذلك : موقف الدين من العلم ، الاستاذ الشيخ محمد نمر الخطيب ص ٦ ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان . ط١ ١٤٠٢، ١٩٨٢

الفصل الثالث :

- الاســـس العقدية للرهبانيـــة ونقدهـــا

الأسس العقدية التي استقتها الرهبانية المسيحـية كثيـــرة الا ان هناك عـــدة عقائـــد أساسية دار عليها محـــور الفكر الرهباني واستند اليها في قوانينه وانظمته ،وعلى ضوئهـــا حدد مسلكـــه ومساره .

وسيقتصر البحث هنا على أهم هذه الاسس ومنها :

اولا : الصلب والفداء أو " الخلاص"

ثانيا : الحلـــــول

ثالثا : الاتحـــــاد

الأســـاس الأول :

الصلب والفـــداء أو " الخلاص"

تستند المصادر المسيحية الى بعض نصوص الاناجيل[1] لتأييد عملية الصلـــب المزعومة ، تلك النصوص التي وصفت الملابسات السابقة لاعتقال المسيح وتقديمـــه للمحاكمة واصدار الحكم عليه من قبل بيلاطس الحاكم الروماني بتأليب واصرار مـــن اليهود ، وقد تبارت المولفات المسيحية في نشر تلك الحوادث مع اضفاء سمات الحزن المليئة بالكآبـــة والتعاسة ، كما أضافت اليها الشروح والتعليقات اللازمة لاثارة الناس عبر بيان الآلام والعذاب الذى لحق بالمسيح قبل وبعد عمليـــة الصلب كما يزعمون[2] .

ولعظم الفرية التي لاكتها الالسنة و زورتها النصوص المشبوهة فقـــد رد القرآن الكريم ردا واضحا على افتراءات اليهود وما دبجوه من موءامرات ومـــا نطق بأذهان النصارى والسنتهم زورا وبهتانا ،يقول الحق تبارك وتعالى :

(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَـــاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)[3] .

كما ينص القرآن الكريم على أخبار الله تعالى لعيسى بنجاته ،قال تعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَـــا

---

١ - راجع في ذلك : انجيل متى ٢٧ : ٣٥-٣٨ ومرقس ١٥ : ٢٤-٢٨ ولوقا ٣٨ : ٣٣ و ٣٤ و ٣٨ ويوحنا ١٩ : ١٨-٢٤

٢ - راجع كتاب:المسيح ابن مريم،جاك جومير وسامي اليافي،ص ٢٢١ دار الكلمـة بيروت ١٩٦٦ وكذلك سيرة المسيح وتعاليمه دنيس كلارك ص ٢٣٢ وما بعدهـا دار منهل الحياة بيروت ١٩٧٧

٣ - النساء : ١٥٧- ١٥٨

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (١).

وهكذا يختلف موقف الاسلام عن موقف المسيحية ازاء هذه القضية ، كما ان بعض الآثار تدل على أن المصلوب هو غير عيسى عليه السلام ، فمن ذلك ما رواه الامام ابن جرير عن ابن عباس قال :

لما أراد الله ان يرفع عيسى الى السماء خرج الى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ، وراسه يقطر ماء . قال : ان منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد ان آمن بي . قال : ايكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من احدثهم سنا ،قال ،فقال : أنا . فقال له : اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا،قال:نعم أنت ذاك.قال:فالقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت الى السماء قال . : وجاء الطلب من اليهود واخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به . فتفرقوا ثلاث فرق .

فقالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء ، وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه اليه . وهؤلاء النسطورية . وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون .

فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة . يعني الطائفة التي كفرت من بني اسرائيل في زمن عيسى . والطائفة التي آمنت في زمن عيسى . فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين في اظهار محمد دينهم على دين الكفار فاصبحوا ظاهرين) (٢).

كما ان انجيل برنابا يؤكد حقيقة تخليص الله تعالى لعيسى عليه السلام حيث يقول (ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع دنا جمع غفير فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الاحد عشر نياما فلما راى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل واوريل سفراءه ان ياخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب

---

١ ـ ال عمران : ٥٥

٢ ـ رواه ابن جرير عن ابى السائب قال ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن المنهال بن جبير عن ابن عباس ...) جامع البيان في تفسير القران ٢٨ / ٦٠ لابن جرير الطبرى ، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبه الملائكة التي تسبح الله الى الأبد .)[1]

وقد قام الاستاذ عبد العزيز منصور باثبات حقيقة القاء الشبه على شخصية أخرى غير عيسى عليه السلام ، وقد استخرج نصوص ادلته من كتب اهل الكتاب.[2]

كما قام الاستاذ احمد عبد الغفور عطار بدراسة مستفيضة ، اثبت خلالها تناقض الاناجيل في هذه القضية ، خاصة بين ما جاء في انجيل متى ٢٧ : ٣-٥ . وبين لوقا في اعمال الرسل ١ : ١٥-٢٠ حول مصير يهوذا الاسخريوطي .

وقد أثبت بالدليل أن المسيح عليه السلام كان قادرا على التخفي من القوم والظهور في شكل غير شكله العادى مستشهدا ببعض نصوص الأناجيل المختلفة

كما خرج بنتيجة مفادها أنه لم يكن بالامكان القبض على المسيح عليه السلام موكدا ومستشهدا بانجيل يوحنا ١٨ : ٣-٦ من ان الجنود حينما جاؤا للقبض عليه سقطوا على الارض ، وهذه قرينة على ان الله تبارك وتعالى قد أمده بقوة يعجز البشر عن الامساك به .[3]

كما ان حادثة استجواب المقبوض عليه للمحاكمة الواردة في انجيل متى تلقي ظلالا من الشك على ما يدعيه النصارى ، اذ ان المتهم كان يجيب عن كل ماسئل بعبارة واحدة فيقول : (انت قلت)[4] ولم يعترف باى تهمة وجهت اليه .

ويعجب المرء أشد العجب من قوم يدعون " صلب الاله " تعالى عما يقولون ويغفلون عن حقيقة واضحة وهي ان وجوده مقتولا وحملها يستلزم منه ان يكون عاجزا عن حماية نفسه فضلا عن حماية غيره[5] ، ثم كيف كان الكون يخلو من المدبر طيلة هذه الفترة ؟ وحول هذا الادعاء يرد أحد الشعراء[6] عليهم بقوله

أسمعتم ان الاله لحاجـــة	يتناول المشروب والمأكـــولا ؟
وينام من تعب ، ويدعو ربـــه	ويروم من حر الهجير مقيـــلا ؟

---

١ - انجيل برنابا ، ٢١٥ : ١-٨ ، ت سيف الله احمد فاضل ، دار القلم ط١ ١٣٩٢هـ

٢ - دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام ، منصور عبد العزيز ، ط٢ ، ١٩٧٢م

٣ - الديانات والعقائد ٣/٥٥٢-٥٥٣ وكذلك ٥٤٠-٥٤١

٤ - راجع متى ٢٦ : ٦٣-٦٤ ولوقا ٢٢ : ٧٠

٥ - راجع اقانيم النصارى ٧٢-٧٣

٦ - منظومة الامام الابوصيرى في الرد على النصارى واليهود ص ٧ مكتبة المدينة المنورة بمصر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م

ويمسه الألم الذى لم يستطع	صرفا له عنه ولا تحويلا
يا ليت شعرى حين مات بزعمهم	من كان بالتدبير عنه كفيلا ؟
هل كان هذا الكون دبر نفسه	من بعده . ؟ أم آثر التعطيلا ؟

وحادثة الصلب من وجهة أخرى تتعارض مع المنطق السليم والتفكير القويم ، ولهذا كان لابد للمسيحية من مخرج يبعدها عن هذا المأزق الخطر فرأت أنْ تستعير من الديانات الوثنية عقيدة تسد هذه الثلمة ، فوجدت مبدأ تضحية الاله بنفسه فداء للبشرية وخلاصها وهو موجود لدى اليونان ومن قبلهم الهندوس والمصريين القدماء .

ولا تغيب عن بال أحد فكرة الخطيئة الأولى التي لها ايضا جذور وثنية وقد وجد النصارى فيها
مادة خصبة لاثراء عقيدة الصلب وتبريرا لها وعاملا مهما لفكرة الخلاص والفداء .

ولهذا فان المصادر المسيحية تربط بين الصورة التي رسمها سفر التكوين (١) عن خطيئة آدم وزوجه وبين عملية الصلب المزعومة التي اوردتها اناجيل النصارى اذ سلمت الكنيسة بهذا العرض الاسطورى عن الخطيئة الاولى رغم الخرافات والاضاليل التي صاحبتها .

فالجنس البشري في عرف الكنيسة يتحمل الخطيئة الاولى ويرثها الى مجيء المسيح المخلص حيث (كان العدل الكامل (كما يدعون) يستلزم تكفير ناشب شرعي عن البشرية تكفيرا تاما يوازى الاهانة ، هذا ما تحقق تماما بالتجسد والفداء . (اذ) جعل الله ابنه يتجسد وبهذا التجسد جعله رأس البشرية وراس جسم سرى نحن (اى النصارى) اعضاؤه فيحق اذن ان يعطى باسم اعضائه ويكفرعنهم باسمهم ، فقد كفر عن خطايا البشر تكفيرا كاملا) (٢)

ويستشهد المسيحيون على هذه العقيدة بنص من انجيل يوحنا القائل : (هكذا احب الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية) (٣)

---

١ - راجع في هذا الصدد سفر التكوين الاصحاح الثالث .

٢ - خلاصة التصوف المسيحي ادولف تانكرة . ت: يوسف فرج ١ : ٢٢-٢٣ المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٥٧م

٣ - انجيل يوحنا ٣ : ١٦

وفي هذا يقول بولس ايضا : (كما أحبنا المسيح ايضا واسلم نفسه لا جلنا قربانا وذبيحة لله رائحة مرضية) (١) .

ويقول ايضا (وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة) (٢) .

بل تذهب تحليلات النصارى عن هذه العملية لتأخذ بعدًا أكبر حيث تصف هذا الفداء بانه كان نتيجة لتشاور الثالوث الاقدس : فهم يقولون :

(ان الجميع كانوا في حاجة الى المعونة والفداء ، كما انه ليس في امكان ملاك القيام بعمل كهذا يستلزم قوة غير محدودة فلم يبق الا ان يتم الفداء الله نفسه جل وعلا . فتقرر في مشورة الثالوث القدوس الكلية القداسة والفائقة على ادراك الملائكة انفسهم ان يقوم ابن الله نفسه بفداء الجنس البشرى) (٣) .

ولقد استغلت الرهبانية هذه الناحية بالذات استغلالا كبيرا ، حينما اعتبرت ان الانسان (يوجد روحيا في حالة السقم والضعف ، فهو شقي جدا ومجرم أمام الله ووضعه سيء يبعث اليأس والقنوط وقد يبلغ به اليأس أنه لم يعد له رغبة في طلب واسطة أو على الأقل قبولها اذا قدمت له لكي يخرج من حالته التعيسة) (٤) .

وأول استغلال للرهبانية انطلق من هذا المفهوم اذ قضى بضرورة الفرار من غضب الله وعقابه وهذا لن يتأتى الا عن طريق الابتعاد عن كل ما يتعلق بهذه الحياة وهجر الدنيا وما يقرب اليها والنظر الى المرأة نظرة شك وريبة لانها السبب في خروج آدم من الجنة ومصدر الشرور والاثام ويتكلل ذلك كله بالتبتل او الاخصاء وقهر الجسد .

ومن هذا الباب ، استطاعت الرهبانية المسيحية ادخال وتجنيد اعداد هائلة من الرهبان والراهبات الذين انتشروا في الفيافي والقفار يبنون الاديرة والصوامع ويضعون الانظمة والقوانين الخاصة بهم .

وعندما وجدت الرهبانية نفسها محرجة امام الاسئلة الموجهة اليها خاصة فيما يتعلق بذنوب البشر واثامهم الانية والمستقبلية اضطرت الى اختراع قانون

---

١ ـ افسس ٥ : ٢

٢ ـ عبرانيين ٩ : ٢٢

٣ ـ الخلاصة الشهية ٨٣-٨٤

٤ ـ المرجع السابق ص ٥٤

أو الاقرار امام الكاهن بجميع الذنوب .

وكان ذلك بابا لفرض مبدأ الوصاية على البشر ، وممارسة ابشع انــــواع الطغيان النفسي والمعنوي على الناس .

وازاء ذلك كان لابد من بيان موقف الاسلام من مبدأ الخطيئة الاولى .

فما قررته الكنيســة من انسحاب خطيئة آدم على ابنائه لتشمل افراد الجنس البشرى كله يوقع اصحاب هذه العقيدة في الشطط ويصمهم بالافراط ، اذ انهــا تعتبر محاولة سقيمة لارهاب الناس من أمر مبني على أساس هش واعتقاد واهم .

فآدم عليه السلام بعد المخالفة التي ارتكبها و زوجه رجع الى ربــــه وذلك أخذا من قول البارى تعالى (وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنــــة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ،فازلهمــا الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فـــي الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انــه هــــو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هــداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النــار هم فيها خالدون) (١) .

يتضح من الاية الكريمة عفو الله تعالى ومغفرته لآدم ،وانحصار العذاب على الكافرين والمكذبين وازاحة الخوف والحزن عن المهتدين بهدى الله تبارك وتعالى .

واغفال نصـــــــوص العهد القديم لتوبة آدم فتح الباب امام الرهبانية لاقرار هذه العقيدة ومن ثم قامت تتبنى ايجاد مخرج مخترع لمعضلة مفتعلـــــة لا صلة للدين القيم بايجادهــا وصنعها .

وعدل الله تعالى لايقتضي تقديم بشر فداء لاى معصية وانما يتـــم تكفير الاثم بالتوبة النصوح والرجوع عن الذنب والاستغفار . ورحمة الله تعالـــى واسعة يقول الحق تبارك وتعالى (قل يا عبـــادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيـــم) (٢) .

---

١ ـ البقـــرة : ٣٥-٣٩

٢ ـ الزمـــر : ٥٣

فهو يغفر كل شيء لمن يشاء ما عدا الكفر (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد إفترى إثما عظيما)[(١)]

والله تعالى خلق الخلق ويعلم مكامن نفوسهم وما تخفي صدورهم وما تكنه افئدتهم ويعلم مدى ضعفهم وقوتهم وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة فقال تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما)[(٢)] .

والعزم في اللغة : توطين النفس على الفعل والتصميم عليه ، والمضي على المعتقد في أي شيء كان ،وقد كان آدم عليه السلام قد وطن نفسه على أن لا يأكل من الشجرة وصمم على ذلك فلما وسوس اليه ابليس لانت عريكته وفتر عزمه وأدركه ضعف البشر)[(٣)] .

واصرار الرهبانية على الحاق التهمة بالبرىء ظلم وجور وتحكم في رقاب البشر فأي ذنب يلحق انسانا لم تكن له يد في اقتراف أي جرم سبق وجوده على وجه البسيطة ؟ وما ذنب اولئك الاطفال الذين ولدوا على الفطرة دون إحداث ما يوجب العقوبة ؟

وما أقسى قلب " القديس أوغسطين " حينما قرر أن الاطفال غير المعمدين مصيرهم أن يحرقوا في نار جهنم خالدين فيها ، والى وقت قريب لم يكن مسموحا بدفن الأطفال غير المعمدين في المقابر المخصصة للكنائس المسيحية لأن الاعتقاد السائد أنهم قد ماتوا على الخطيئة الاولى)[(٤)] .

وعدل الله تعالى يأبى انزال الظلم بعباده (ففي الحديث القدسي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن ربه أنه قال (: يا عبادي إنيّ حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)[(٥)]

---

١ ـ النساء : ٤٨

٢ ـ طه : ١١٥

٣ ـ فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ٣/ ٣٨٩

٤ ـ الاسلام والمسيحية ، الفت عزيز الصمد ص ٧٥

٥ ـ رواه الامام مسلم في باب تحريم الظلم ١٦/ ١٣١-١٣٢ وتمام الحديث .. ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ،يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته =

فتحريم الظلـــم مبدأ عام يقرره الاسلام ويدرج تحته حكما يتعلق بالمعصية وعدم انسحابها على غير مرتكبها قال تعالى :

(أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذى وفي ، الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) (١)

ويتضح من الاية الكريمة ان هذا الحكم كان على عهد ابراهيم وموســـى عليهما السلام .

وعدم اعتراف النصارى بهذه الحقيقة معناه وجود تحريف اكيد في شريعتهم لانهم يقرون بان عيسى عليه السلام لم يأت لنقض الناموس .

مع التأكيد على ان الرهبانية حينما اقرت بمبدأ الخطيئة الاولـــى وانسحابها على الجنس البشرى لم تستند الى اساس شرعي يشير الى هذه العقيدة من قريب او من بعيد .

= فاستكسوني أكسكم ، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادى لـــو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادى لـــو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنســـان مسألته ما نقص ذلك ما عندى إلا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر ، يا عبـــادى إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) .

١ - النجم : ٣٦ - ٤١

ثانيــا : الحلــول

بسبب اختلاط النصوص الدينية المسيحية ، وحيرة النصارى في التعبيــر عمـا يعبدون ، فقد تداخلت مفاهيمهم عن الأقانيم الثلاثة تداخلا كبيرا [١] . فالاب والابن والروح القدس في عقيدتهم الـه واحد على الرغـم من اعتقادهم بان الاب اله والابـن الـه والروح القدس الـه [٢].

الا أن ما حرر من نصوص الاناجيل على عهد بولس ومن بعده ، وما ركـز عليه انجيل يوحنا الموضوع لاغراض خبيثة فقد ادعى المسيحيون بان عيسى هو الالـه وهو المخلص . فمن النصوص التي وردت على لسان بولس قوله :

(منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح) [٣]

وما جاء في انجيل يوحنا قوله : (انا والاب واحـد) [٤] وكذلك (الذى رآني فقـد راى الاب) [٥].

ولا شك ان الالتباس الحاصل كان نتيجة هذه المفاهيم الخاطئة التي ادخلت على النصوص الدينية والتي يرجع سببها الرئيسي الى اعترافهم بعقيدة الحلول الوثنية التـي اشاعها بولس بين تلاميذه مضاهاة للمعتقد الهندية واليونانية القديمة . وقد حفلت تلـك النصوص بهذه الاراء . فمن ذلك (فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا) [٦] . وكقولـه (الله ظهر في الجسد) [٧] وكذلك (ولهم الاباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائـن على الكل الـها مباركا الى الابد) [٨].

ولهذا جاء دستور الايمان بعبارة (الذى جاء من أجلنا نحن البشر ومـن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس) [٩].

وكما اشير في السابق فان الرهبانية قد ربطت هذا المبدأ بعقيدة أخـرى وهي (الاشتراك في " العشاء الرباني " المأخوذ عن متى (وفيما هم يأكلون اخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكـر واعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي الذى للعهد الجديد الذى يسفك مـن اجل كثير لمغفرة الخطايا) [١٠].

---

١ - راجع في ذلك : اسطورة تجسد الاله ، عبد الصمد شرف الدين . ص ٤
٢ - راجع : قاموس الكتاب المقدس . ص ١٠٧ - ١٠٨
٣ - تيطس ٢ : ١٣ ، ٤ - يوحنا ١٠ : ٣٠ ، ٥ - ١٤ : ٩ يوحنا)
٦ - كولوسي ٢ : ٩ ، ٧ - تيموثاوس الاول ٣ : ١٦ ، ٨ - رومية ٩ : ٥ وكذلك راجع : يوحنا ١ : ١٠-١٤ ، ٩ - الخلاصة الشهية ٦٥-٦٦ ، ١٠ - متى ٢٦ : ٢٦-٢٧

وفي انجيل يوحنا (انا هو الخبز الحي الذى نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبزيحيا الى الابد والخبز الذى انا اعطي هو جسدى الذى أبذله من أجل حيوة العالم .) (١)

من هذه النصوص ومن غيرها أصبح الاعتقاد سائدا في كل قداس يقام في الكنائس ان ما يقدم للحضور من خبز وخمر ان الاول جسد المسيح والثاني دمه حقيقة واصبح الرهبان المسيحيون يتغنون بهذه العقيدة فيقول أحدهم :

(ان الخبز والخمر يتحولان الى جسد الرب المولود من العذراء مريم والذى تألم وقام من بين الاموات منذ اتمام الاستحالة يكون الرب نفسه بصورة كاملة ودائمة تحت شكلي الخبز والخمر وفي كل جزء منهما). (٢)

ويقول في موضع آخر (ان الرب قد أكد لنا باننا سنأكله حقيقة ونشربه حقيقة وليس فقط بالرمز والخيال كما يدعي " البروتستانت . وبولس الرسول يثبت ذلك في : ١ كو ١١ : ٢٧ (فاى انسان أكل خبز الرب أو شرب كأسه بدون استحقاق فهو مجرم الى جسد الرب ودمه). (٣)

---

١ - يوحنا ٦ : ٥١ وراجع كذلك يوحنا ٦ : ٥٤

٢ - العبادة المسيحية ص ٩٣

٣ - المصدر السابق ص ٩٢ وراجع في مجال الرد عليهم في هذا الموضوع بالذات ما كتبه " عبد الله الترجمان " في : " تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب " ص ١٧٨ وما بعدها

ابطـــال عقيـدة الحلـــول :

حاور العلماء المسلمون هـذه العقيدة وابطلوها بأدلة وبراهين علميـة و عقلية واضحة . وقد تَنَـاوَلْتُ في مجال الرد على عقيدة الحلول الهندوسية بعضـا من نصوص العلماء في هذا الصـدد (١) .

وجاءت ردود العلماء المسلمين على النصارى في هذه العقيدة اوسـع وأشمـل من حيث تفنيـد وابطال المزاعم التي يدعونها .

فقد فند الامام الرازى في تفسيره كثيرا من هذه المزاعم . فمن ذلك قوله :

(وذكروا للحلول تفسيرات ثلاثة :

(احدها) : كون الشيء في غيره - : ككون ماء الورد في الورد . والدهن في السمسم . والنار في الفحـم .

واعلم ان هذا باطل ، لان هذا انما يصح لو كان الله تعالى جسما وهـم وافقونا على انه ليس بجسم .

(وثانيها) : حصوله في الشيء على مثال حصول اللون في الجسم . فنقول : المعقول من هذه التبعية حصول الله في ذلك الحيز تبعا لحصول محله فيه . وهذا ايضا انما يعقل في حق الاجسام لا في حق الله تعالى .

(ثالثهـا) حصوله في الشيء على مثال حصول الصفات الاضافية للذوات. فنقول : هذا أيضا باطل لان المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان الله تعالى في شيء بهذا المعنى لكان محتاجا . فكان ممكنا . فكان مفتقرا الى المؤثر . وذلك محال . واذا ثبت انه لايمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن اثباته في حق الله ، امتنـع اثباته) . (٢)

ومن ادلته ايضا قوله : (. . . والوجه الثالث : وهو انه - اما أن يقال بـان الالـه هو هذا الشخص الجسماني الشاهد . أو يقال : حل الاله بكليته فيه . أو حـل بعض الاله وجزء منه فيه . والاقسـام الثلاثة باطلة :

امـا الاول : فلان اله العالم لو كان هو ذلك الجسم . فحين قتلـه اليهود كان ذلك قولا بان اليهود قتلوا الـه العالم . فكيف بقي العالم بعد ذلـك من غير الـه . ثم ان أشد الناس ذلا ودناءة اليهـود ، فالالـه الذى تقتلـه اليهود اله في غاية العجز .

---

١ - راجع ص ٥٥ من هذا البحث .

٢ - التفسير الكبير للامام الفخر الرازى : ٢١٠/٢١ وفيه ادلة أخرى فلتراجع .

واما الثاني : وهو ان الاله بكليته حل في هذا الجسم ، فهو ايضا فاسد . لان الاله لم يكن جسطا ولا عرضا . فامتنع حلوله في الجسم وان كان جسطا ، فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط اجزائه باجزاء ذلك الجسم . وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الاله .

واما الثالث : وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الاله ، وجزء من اجزائه فذلك ايضا محال لأن ذلك الجزء إن كان معتبرا في الالهية . فعند انفصاله عن الاله وجب ان لا يبقى الإله إلهاً . وان لم يكن معتبرا في تحقق الالهية لم يكن جزء من الاله ، فثبت فساد هذه الاقسام . فكان قول النصارى باطلا).[١]

ويرد الامام الجويني على عقيدة الحلول بقوله :

(... ونقول لهم : اذا زعمتم أن الكلمة تدرع بالمسيح وفسرتموه بالحلول قيل لكم : العلم المسمى كلمة ، هل يفارق الجوهر أم لا ؟ فان زعموا انه يفارقه ،لزمهم فيهأن يقولوا : لم يكن للجوهر أقنوم العلم لما كان العلم متدرعا بالمسيح وهذا مما يأبونه .

فان زعموا : أن أقنوم العلم لم يفارق الجوهر ، استحال مع ذلك حلوله في جسد المسيح عيسى - عليه السلام - مع اختصاصه بالجوهر الاول . فانه يمتنع حلول عرض في جسم مع بقاء ذلك العرض في جسم آخر . فاذا امتنع ذلك في العرض فلان يمتنع في ذلك - في الخاصة التي تنزله منزلة صفات النفس - أولى .

ولو جاز أن تتحد الكلمة بالمسيح لجاز أن يتحد الجوهر بالناسوت . ولا فصل في ذلك . وقد منعوا اتحاد الجوهر بالناسوت).[٢]

اما الامام ابن تيمية فقد رد على النصارى في عقيدة الحلول . من ذلك قوله :

(فان الحلول لا يعقل الا اذا كان الحال قائما بالمحل محتاجا اليه سواء أريد بذلك حلول الصفات والاعراض في الموصوفات والجواهر . أو أريد به حلول الاعيان . فان كون احد الجسمين محلا للاخر ، كحلول الماء في الظرف - هو - يوجب افتقاره اليه .....

واذا قالوا : ان الرب حل في المسيح كما حل في غيره ، وهو الحلول الموجود في كلام داود عندهم ، حيث قالوا : " أنت تحل في قلوب القديسين " ، فقد عرف ان

---

١ - التفسير الكبير للفخر الرازى ٨/ ٧٩

٢ - الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد للجويني ص ٤٩ مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـ

هـــذا الحلول:الايمان به ومعرفته وهداه ونوره والمثال العلمي . كما بسط في موضع اخر. ولهذا يسمى ظهورا . والشعاع الحال على الارض والهواء عرض قائم بذلك . وهو مفتقـــر الى الارض والهواء) . (١) .

ويرد الامـــام القرطبـــي على هذه الدعوى بقوله :

(واما من قال بالحلول . فليس له محصول . ولا معقول . لان حقيقـــة الحلول انما هي : ان يحصل جسم أو متحيز في شيء . أو على شيء . فيسمى الحاصل حالا . والمحصول فيه : يسمى محلا . وتسمى النسبة بينهما : حلولا - وهو الـــذى يسميه النحوى مصدرا . هذا هو المفهوم من حقيقة الحلول .

وقد يتوسع فيه فيقال : حل العرض في محله . ومعناه صار المحل متصفـــا به وصار العرض قائما به وموجودا فيه .

فان أردتم حقيقة الحلول كان محالا . فان العلم ليس بجسم ولا جوهـــر على ما مر . وان أردتم الثاني : فهو محال ايضا . لانـــه يلزم عليه مفارقة العلم الجوهر وبقاؤه جاهلا . ويقوم عرض واحد بمحلين . في زمان واحد . ويلزم عليه انتقال الصفـــة من محل الى محل . وحدوثها الى انواع من المحالات . لا يبوء بـــها عاقل . ومنتحلها احمق جاهل .....

ثم نقول لـــهم بـــعد ذلك في قولهم بالاختلاط ، وبانهما صارا شيئا واحدا : لا يخلـــوان حيث اختلطا - : اما ان يـــبقى العلم موجودا بحاله والجوهر موجودا بحاله . أو ينعدم أحدهما أو ينعدما معا . محال ان يبقيا موجودين بحاليهما مـــع فرض الاختلاط وكونهما شـــيئا واحدا .

فان الواحد لا يعود اثنين الا باضافة غيره اليه . واذا أضيف غيره اليـــــه ارتفعت الوحدة بالضرورة على ما تقدم في التثليث . وكذلك الاثنان لا يعودان واحـــــدا الا اذا انعدم احدهما . فترتفع الاثنينية بالضرورة .

ومحال ان ينعدما . فانه يؤدى الى عدم القديم . والى عدم ما هو موجـــود في حالة وجوده . فلم يبق الا أن ينعدم احدهما دون الاخر . وذلك محال فـــان الموجود لايخالط المعدوم ولا يمازجه . بل يبقى الواحد واحدا . واذا بطلت هـــذه الاقسام المنحصرة بطل الامتزاج والاختلاط وصير الاثنين واحدا على ما قالـــــــوه

---

١ - الجواب الصحيح ٣/٨٢-٨٣

واما من قال : بأن الكلمة انقلبت لحما ودما . فلقد ارتكب حماقة والتزم عمى يلزمه عليه جواز عكس مذهبه . وهو ان ينقلب اللحم والدم عظما . والقديم حادثا والحادث قديما الى غير ذلك من المحالات التي لا تصدر عن من شد اطرافا من المعقولات . ولولا الحمق والتقليدات ، لما وجد مثل هذا القوابح في كلام احد من المخلوقات) .(١)

وتجدر الاشارة الى ان هذه المقولة قد انتقلت الى الفرق المغالية من الرافضة الحلولية ، وغيرهم .

وقد رد الامام البغدادي على الذين تسربت اليهم هذه العقيدة بقوله :

(... وقول الحلولية باطل . لانا قد دللنا على أن الاله ليس من جنس الجواهر والاعراض ولانه قد ثبت عندنا أنه حي بلا روح فيستحيل وصفه بانتقال روح منه الى غيره . ولو كان الصانع محدثا لافتقر الى محدث له . ولو كان محدثه ايضا محدثا لافتقر الى محدث ثالث . وهذا يتسلسل لا الى نهاية . وهو محال . وما ادى الى محال فهو محال . وصح باستحالة ذلك ووجوب كون الصانع قديما) .(٢)

وهكذا نجد في براهين العلماء المسلمين ما يكفي لابطال عقيدة الحلول التي يدعيها النصارى .

والناظر في نصوص أهل الكتاب يجد ما يشير الى مناقضة هذه الدعوى التي يلتزم بها النصارى .

ففي رسائل اعمال الرسل ، جاء ما يلي :

ايها الرجال الاسرائيليون : اسمعوا هذه الاقوال ، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون) .(٣)

فهذا النص يثبت بوضوح شخصية عيسى عليه السلام البشرية وانه ليس باله بل هو مؤيد بالمعجزات من الله تعالى . اما ادعاء المسيحيين بان الاله قد حل فيه فان ذلك لا سبيل الى صحته مطلقا بل هو بهتان .

---

١ ـ الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام . ص ١٣٠ - ١٣١ ط دار التراث العربي .

٢ ـ أصول الدين لابي منصور البغدادي ص ٧١ - ٧٢ ـ ط٢ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ وهناك ادلة اخرى كثيرة جمع بعضها الزميل سعيد عقيل ونقل اراء العلماء حول هذا الموضوع اعتمادا على شرح المقاصد للتفتازاني . وابكار الافكار للآمدي . والتفسير الكبير للرازي . والشامل للجويني . انظر : رسائل اعمال الرسل واثرها في انحراف المسيحية ٢ / ٤٦٥ - ٤٧٤

٣ ـ رسائل اعمال الرسل ٢ : ٢٢

والقرآن الكريم يعرض شخصية المسيح بوضوح ويؤكد على بشريته بجلاء وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

(ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاّ رسولٌ قد خلت من قبلِه الرسلُ وأمُّه صدّيقةٌ كانا يأكلان الطعامَ انظرْ كيفَ نبيّنُ لهمُ الآياتِ ثمَّ انظرْ أنّى يؤفكون) (١)

فهذا الافك هو الذي يعمي أبصار القائلين على الله ما لا يعلمون من البهتان والافتراء وانه حل بعيسى ابن مريم .

وما جاء في الكتاب العزيز (قالَ إنّي عبدُ اللهِ آتانيَ الكتابَ وجعلني نبيًّا وجعلني مباركًا اينَ ما كنتُ وأوصاني بالصلاةِ والزكاةِ ما دمتُ حيًّا وبرًّا بوالدتي ولمْ يجعلْني جبّارًا شقيًّا والسلامُ عليَّ يومَ وُلدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعثُ حيا . ذلك عيسى ابنُ مريمَ قولَ الحقِّ الذي فيه يمترونَ ما كانَ للهِ أنْ يتخذَ مِنْ ولدٍ سبحانَهُ إذا قضى أمرًا فإنّما يقولُ له كنْ فيكونُ وأنّ اللهَ ربّي وربّكمْ فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيمٌ) (٢) .

هذه كلها اشارات توضح بشرية عيسى عليه السلام وانه يسرى عليه ما يسرى على بقية البشر من احكام واعراض يشترك فيها مع غيره . ومن كانت هذه صفاته فمن المستحيل حلول الله تعالى فيه او غيره . فهو تعالى منزه عن الحد والمكان أو الحيز . فللّه الكمال المطلق .

---

١ - المائدة : ٧٥

٢ - مريم : ٣٠-٣٦

٣ - التوبة : ٣٠

ثالثـــــا : الاتحـــــاد

يعبر عن هذه العقيدة بعبارة يرددها المسيحيون فيقولون : اتحــد اللاهوت بالناسوت . اى : اتحاد الذات الالهية بعيسى ابن مريم . اما المقصود من هذا الاتحاد فهو يختلف باختلاف الفرق المسيحية المتعددة .

ولا بد من الاشارة الى ان هذه العقيدة قد أقرت في عام ٤٥١م وذلك حينما انعقد مجمع خلقيدونية (إذ) أقرت الكنيسة تعــــريفا للمعنى " الصحيح " لالوهية المسيح . على انه من طبيعة الاب . وانه انسان بالمعنى الصحيح من نفس طبيعتنا نحن البشر . وقد تقرر هذا الاتحاد بين الالوهية والانسانية اتحادا لا لبس فيــــه ولا تجزوء ولا انقسام [1] كما يزعمون .

وتتلخص مذاهب الفرق المسيحية حول اتحاد اللاهوت بالناسوت وذلك على الشكل التالي :

قالت اليعقوبية [2] : ان (الاتحاد) كان كاتحاد الماء يلقى في الخمـــر فيصيران شيئا واحدا .

وقالت النسطورية [3] : كاتحاد الماء يلقى في الزيت فكل واحد منهما باق بحسبه

وقالت الملكيـــة [4] : كاتحاد النار في الصفيـــــــــــــــــــــحة

---

١ - راجع في هذا الشان : أسطورة تجسد الاله ص ٣

٢ - (هم اتباع يعقوب البرادعي ولقب بذلك لان لباسه كان من خرق براذع الـــدواب (وهم يقولون) ان المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين " احداهما " طبيعة الناسوت والاخرى طبيعة اللاهوت . وان هاتين الطبيعتين تركبتا فصارا انسانا واحــدا وجوهرا واحدا) هداية الحيارى ص ١٤٦ وقد اطلق عليهم فيما بعد اسم (الارثوذكس) انظر اقانيم النصارى ص ٦٧

٣ - (نسبة الى (نسطور) أو نستور بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨م .. (وقد ذهب) الى القول : بان مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الانسان فقط . ثم اتحد ذلك الانسان بعد ولاته بالاقنوم الثاني اتحادا مجازيا لان الاله وهبه المحبة والنعمة فصار بمنزلـــة الابن ... غير ان النسطوريين قد انحازوا في عصورهم الاخيرة الى الرأى القائل بامتـــزاج اللاهوت في الناسوت . اى الى القول بالطبيــــعتين) الاسفار المقدسة د . وافي ص٦١

٤ - (وهم الروم نسبة الى دين الملك لا الى رجل يدعى ملكانيا . (يقولون) ان الابـــن الازلي الذى هو الكلمة تجسدت من مريم تجسدا كاملا كسائر اجساد الناس . وانه صـــار انسانا بالجسد والنفس اللذين هما من جوهر الناس . والها بجوهر اللاهوت كمثل ابيـــه لم يزل . وهوانسان بجوهر الناس مثل ابرأهيم وموسى وداود .... وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة فله بلاهوته مشيئة مثل الاب .. ، وله بناسوته مشيئة كمشيئة ابراهيم ..) هداية الحيارى ص ١٤٠ وقد اطلــــق عليهـــم

المحمـــاة) (١)

وسوف استعرض ـ ان شاء الله تعالى ـ اقوال العلماء المسلمين في ردهم على هذه الادعاءات بعد الاشارة الى ما أضافته الرهبانية المسيحية الى هذه العقيدة من زيادات .

فمـــا لا شك فيـــه أن هذا الاساس العقدى في شكله الاجمالي مأخوذ عن الاديان الوضعية القديمة . وقد سارت الرهبانية في هذا الطريق مضاهاة لها .

كما انها اتجهت الى القول بانسحاب هذا المفهوم على بقية البـــشر وادعت ان ذلك يتم عن طريق التبتل وفق مبادئ ونظم الرهبان .

فمن عرفهم أن الاشتراك في حياة الاله لن يتأتى الا عبر مراحل نسكية تقشفية أسموها بالحياة الرهبانية أو الحياة المسيحية بصورة أعم .

وقد اشار علماء التصوف المسيحي الى هذه العقيدة بقولـــهم :

(شاءت الجودة الالهية ان تشركنا ـ لا في حياة النفس الطبيعية فحسب ـ بل في الحياة فائـــقة الطبيعة . اى حياة النعمة التي هي اشتراك في الحياة الالهيـــة نفسها . . . وبما اننا أخذنا هذه الحياة بقوة استحقاقات سيدنا يسوع غير المتناهية أكـــمل علاتها المثالية ، دعيـــت بكل صواب : الحياة المسيحية . . . وتكتمل الحياة باقترابهـــا من غايتها . فالكمال المطلق هو الحصول على هذه الغاية . وهذا مالا تبلـــغ اليـــــه الا في السماء . هناك نتملـــك الله بالمشاهدة الطوباوية والحب النقي . وهنـــاك تبلغ حياتنا ملء ازدهارها عنـــدئذ نكون فعلا شباها (اى اشباه) بالله لاننا نـــراه كما هو . . . لاننا نحن أمثاله . لانا سنعاينه كما هو . اما على الارض فلا نستطيع ان نحصل الا على كمال نسبي باقترابنا دون انقطاع من هذا الاتحاد الداخلي بالله الذى يؤهلنـــا للمشاهدة الطوباوية) . (٢)

وفي هذا ايضا يقول أحد الرهبان :

(لهذا فالادب والفلسفة والعلم لا يمكنها ان تستكشف الحقيقة المحجوبـــة وراء الكلمة الا لذاك الذى اتحد بالله واستنار بنوره) . (٣)

= فيما بعد اسم (الكاثوليك) اقانيم النصارى ص ٦٧
وقد انقسمت الكنيسة بسبب هذا الاختلاف الى كنيستين :
احداهما (الكنيسة الشرقية اليونانية ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط . وكنيسة الروم الارثوذكـــسية . . . والمشايعون لها أكثرهم في الشرق وبلاد اليونان وتركيا وروســـيا والصرب وغيرها .
وثانيهما : الكنيسة الغربية اللاتينية ويقال لها كذلك الكنيسة الغربية فقط . وكنيسة روما والكنيسة الكاثوليكية . وقد تسمى كذلك الكنيسة البطرسية . . . والمشايعون لها أكثـــرهم في الغرب . في بلاد ايطاليا وفرنسا وبلجيكا واسبانيا والبرتغال وامريكا الجنوبية وبـــلاد اخرى) الاسفار المقدسة . د . وافي ص ١١٨

(١) الفصل ١/٤٣-٤٤ ٢ ـ خلاصة التصوف المسيحي . أدولف تانكرة . ت: يوسف فرج ص ١/٧ ٣ ـ " نسكيات " اسحق السرياني . ت . اسحق ما الله ص ١٠ ـ منشورات النور بيروت ١٩٨٣ وراجع : الكرمل لألبيرأبونا ص٨ ط ١٩٧٨ بغداد

ويقـــول آخر :

(ترتكز العبادة الالهية بجميع أقسامها على التأمل في الصـــفات الالهية فمن حيث ان الله هو الخير الاعظم الكلي الكمال . الذى هو أعلى من أن يقاس به شيء ينبغي ان يضطرم قلبنا بنار محبته الكلية الطهارة وان نبذل الجهد للاتحاد معه).(١)

ولقد سارت هذه العقيدة في عـــقول الرهبان والراهبات . ولكثرة مـــا رددتها ألسنتهم فقد ظن القائلون بها انها حقيقة واقعية . فها هي سانت تريزا الافيلية تقول :

(عندما كنت على وشك ان أكتب هذا (لقد) اتصلت للتو . وكنت تحـــته تجربة هذه الصلاة عينها تلك الصلاة التي أكتب عنها الان . كنت أفكر فيما تعمله الروح اثناء ذلك . عندما قال الرب هذه الكلمات لـــي :

(انها تموت في نفسها كلية - ايتها الابنة - لتثبت نفسها أكثر وأكثر معي . انها لم تعد تلك التي كانت تحيا ولكنها أنا . وكما انها لا تستطيع ان تعي ما تفهمـــه فانها وعي لا يفهم).(٢)

---

١ - الخلاصة الشهية . افلاطون موسكو ص ٤٤

٢ - التصوف طريقا وتجربا ومذهبا . د . محمد كمال ابراهيم جعفر ص ٢٩٥ . دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠

* ابطـــال عقيــدة الاتحــاد

تعقب العلماء المسلمون أقوال الفرق المسيحية حول هذه العقيدة وكشفوا عوارها وناقشوا اصحابها مناقشة علمية رصيـــنة .

وقد جاءت ردود هم العديدة متفقة فيما بينها - بصورة عامة - . وسوف استعرض نمــوذجا من هذه الادلة وابين اراء بقية العلماء الاخرين في هذا الصدد .

يعترض الامام القرافي على القائلين بالاتحاد فيقول :

(والسؤال عليهم : (اى على اليعاقبة) ان حقيقة اللاهوت والناسوت ان بقيتا بعد الاتحاد على حالهما ، بطل قولهم صارتا طبيعة واحدة . وان تغيرتــا عن حالهما فهذه حقيقة أخرى لا "لاهوت" ولا " ناسوت" فلا تصفوا المسيح - عليــه السلام - بانه إلــه . ولا انسان .

ويلزمهم ان القديم الالــه صار محدثا . والمحدث صار قديما لضــرورة اتحاد الحقيقة . وأن يصير الخالق مخلوقا . والمخلوق خالقا لضرورة اتحاد الحقيقــة أو نقول : اللاهوت ، والناسوت إنّ بقي لكل واحد منهما خصوص ذاته فهما حقيقتــان قطعا لا حقيقة واحدة . فلا اتحاد . وان ذهبت خصوصية كل واحد منهما عدما بالضرورة لان الخصوصية للذات من ألزم اللــوازم . فاذا عدم اللازم عدم الملزوم . واذا عدمــت الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة لان اتحاد الذاتين فرع وجودهما . والعدم نفي محــض فلا اتحاد معه . فالاتحاد باطل جزمـــا .

امــــا الرد على النسطورية : (فالسؤال عليهم ان : الطبيعتيــن ان كانتا في شخص واحد فذلك باطل . لان الطبيــعتين لا تقومان في محل واحــد وان كانتا في شخصين فذلك يكذبه الحس . فان عيسى عليه السلام كان شخصــا واحدا . فيكون مذهبهم من قبيل السفسطة . ومخالف الضروريات . وكفى بذلك بطلانا) .

امــــا الملكيــــة : ف(السؤال عليهم) ان نقول : قولكــم الحقيقتان لم تتحدا . وانما حصل الاتحاد في الشخص . كلام غير معقول . فان الاتحــاد ان اريد به الامتزاج فقد صارت الحقيقتان واحدة . وهو مذهب اليعاقبة . فعليكــم ما عليهم . وان اريد ان الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحد ، فهذا هو الحلول لا الاتحاد

وهو محال . فان العالم يلزم ان يكون اصغر من جماعة من اليهود . فانه كان في اليهود من هو اعظم هيكلا من المسيح عليه السلام . وهو كان سياحا قليل الغذاء كثير الاسفار ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم . والحال ابدا اصغر من المحل فيكون ذلك اليهودي العبل البدن اعظم من المسيح الذي هو اعظم من الله تعالى وهو لا يقوله عاقل) (١)

هذا نموذج لحوار العلماء المسلمين مع فرق النصارى المختلفة والقائلة بالاتحاد .

أما ابطال هذه العقيدة بالصورة الاجمالية فقد رد العلماء على ذلك بادلة كثيرة . من ذلك :

ما أشار اليه الامام ابن تيمية حيث قال :

(قولهم) اتحدت الكلمة به اتحادا بريا من اختلاط او تغير أو استحالة : كلام متناقض ايضا فان الاتحاد ان يصير الاثنان واحدا . فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهرا والناسوت جوهرا اخر .

وان شئت قلت : كان هذا شيئا وهذا شيئا . أو هذا عينا قائمة بنفسها وهذا عينا قائمة بنفسها . فبعد الاتحاد اما ان يكونا اثنين كما كانا . أو صار الاثنان واحدا .

فان كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد . بل هما متعددان كما كانا متعددين وان كانا قد صارا شيئا واحدا . فان كان هذا الواحد هو احدهما فالاخر قد عدم وهذا عدم لاحدهما لا اتحاده .

وان كان هذا الذي صار واحدا ليس هو احدهما فلا بد من تغيرهما واستحالتهما . والا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد .

فاذا قيل : اتحد اتحادا بريا من اختلاط أو تغير .أو استحالة . كان هذا كلاما متناقضا ينقض بعضه بعضا . فان هذا انما يكون مع التعدد والمباينة لا مع الاتحاد .

يوضح ذلك : انه اذا اتحد الماء واللبن والماء والخمر ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما شيئا ثالثا ليس ماء محضا ولا لبنا محضا . بل هو نوع ثالث وكل من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط . واما اتحاد بدون ذلك فغير

---

١ - الاجوبة الفاخرة . للامام القرافي ص ١١٠ . وانظر في هذا الشأن ما اورده الامام ابن حزم في الفصل ١/ ٤٢ - ٤٣ وكذلك قارن بما اورده الامام الرازي في تفسيره ٢١٠/٢١ وكتاب تمهيد الاوائل للباقلاني ص ١٠٧ -١٠٨

معقول . ولهذا عظم اضطراب النصارى في هذا الموضع وكثر اختلافهم وصار كل منهم يرد على الاخر ما يقوله . ويقول هو قولا يكون مردودا . فكانت اقوالهم كلها باطلة مردودة . اذ كانوا اشتركوا في أصل فاسد يستلزم أحد أمور كلها باطلة .) . (١)

اما الامام القرطبي فقد ناقش النصارى من زاوية اخرى فهو يقول :

(واما من قال : ان الاتحاد هو ظهور وفيض ومثله بانطباع الصورة في المرآة . فهذا المثال انما كان يصح لو كان العلم صورة محسوسة بالبصر ويكون جسد المسيح صقيلا تنطبع فيه صورة المقابلات وكل ذلك معدوم في مسألتنا بالضرورة فتخيله فاسد وباطل بالضرورة . فكما لا تتمثل ذات الحياة والادراكات في المرآة كذلك لا تتمثل الكلمة في جسد المسيح ثم ان جاز انطباع علم الله في جسد البشر فلينطبع في كل ما شبهه في الجسدية . . . واما التمثيل بنقش الخاتم يعود منحفرا في الشمع والمنحفر في الخاتم يعود ناتئا في الشمع فذلك لا يتصور الا في الاجسام .

وان جاز في غير الاجسام فيلزم ان يكون كل واحد منهما - اعني - اللاهوت والناسوت يؤثر في الاخر . ويحل فيه ، فيكون الناسوت حل في اللاهوت وذلك محال عند كل فريق .

والامر الثاني : ان النقش في الخاتم يوضع مقلوب الكلمات . ثم تنطبع مستقيمة في الشمع . ولو وضعت في الخاتم مستقيمة لانطبعت في الشمع منعكسة . فيلزم على مساق هذا المثال : ان تنطبع الكلمة في الناسوت . اما بالاستقامة أو بالعكس فان انطبعت فيه بالاستقامة فأقنوم الكلمة في الجوهر بالانعكاس .

وان انطبعت فيه بالانعكاس فلم تبق الكلمة في الناسوت على حقيقتها في اللاهوت بل هي منعكسة فلا تبقى حقيقة العلم على ما كانت بل هي ليس بعلم وهذا كله مما يلزم على ارائهم الفاسدة وتحكماتهم الباردة .) (٢)

---

١ - الجواب الصحيح لابن تيمية ٢ / ٢٦٧-٢٦٨ . وانظر ما اورده الامام الجويني في : الارشاد ص ٤٨

٢ - الاعلام للامام القرطبي ص ١٣١- ١٣٢ - وانظر بقية الادلة في : النصيحة الايمانية ص ١٣٥ . منحة القريب المجيب ص ١٣٤ . أصول الدين للرازى ص ٥٠ والرد الجميل للغزالي ص ٢٦٨ -٢٦٩

امـــا صورة الاتحاد المزعومة التي أحدثتها الرهبانية عن طريق الادعاء ان الاتحاد ينسـحب ايضا على بقية البشر . فهذه المزاعم والتخيلات ان هـي الا اضغاث احلام لا تمت الى واقع الحقيقة بصلة . بل هي اوهام يلقيها العقـل الباطن على اولئك الذين أرهقوا انفسهم وارواحهم باعمال مجهدة للعقل والـروح فتأتي هذه التخيلات وتلك الاوهام لتصور ما يدور في العقل الباطن على أنه حقيقـة فتنخدع الحواس وتستسلم لأنها في واقع امرها مرهقة ومتعبة كتعب اصحابهـا وسقمهم وخفة عقولهم .

ولقد تسربت هذه الاضاليل الى ما يسمى بالتصوف الفلسفي المزعـوم في الاسلام .. ووجدت متسعا عند أصحاب الأهواء والمصالح والنزعات فاعتنقـوا هذا القول البارد وأظهروه في ثوب قشيب لأتباعهم ومن يريد السير في طريقهم.

وكان غرض القـائلين بالاتحاد هو : اسقاط التكاليف الشرعية عنهم وتجاوز الحدود طمعا بسمعة دينة أو منصـب كهنوتي يدر عليهم اموالا طائلة او زعامـة فارغة .

وتحـت هذا الستار تصبح المحظورات في حقهم مباحة . وعلى غيرهـم محرمة فضلا عن دعوى بلوغ المقامات المقدسة التي تتم عبر الاتحاد المزعوم والذى مـن شأنه - حسب اعتقادهم - ان يعفيهم من العبادات بحجة انشغالهم به .

وهـذا الاعتقـاد كما اشرنا اليه من قبل هو مضاهاة للرهبـان البراهمة فها هو أحدهم يقول (في اللحظة التي تتجلى أو تنبعث فيها المعرفة في نفسـي حيث أصبح متحدا مع براهما لا أكون مكلفا بعمل أو فريضة) (١).

(وعند الغنوصيين عموما : التأمل في الكائن الاعلى يجعل الاعمـال الظاهرة سواء . لا نتيجة لها . وهذا هو الاصل في رفض كل الامور الشرعية والنواميس الخلقية حتى الوصايا العشر تصبح محتقرة لان اتحاد الروح بالوحدانية العظمى ترفعه الى ما فوق الاشكال الدينية المحدودة) (٢).

---

١ - العقيدة والشريعة في الاسلام : جولد زيهر ص ٣٥٤ ط٢ - محمد يوسف موسى واخرون . دار الكتب الحديثة بمصر . ومكتبة المثنى ببغداد .

٢ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . د . عرفان عبد الحميد فتاح . ص ١٨٠-١٨١ المكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٤ هـ

ويتضح من هذه الدعوى أنها مبنية على أساس قيام الحادث في (القديم تعالى . وجمع للرب والعبد في مرتبة واحدة . والغاء للبينونة المطلقة التي أقامها القرآن الكريم بين عالم الربوبية وعالم الخلق .

وكل ذلك خرق لحدود الله تعالى وتجاوز على حرماته وهتك لاستار التنزيه) . (١)

يقول الامام ابن تيمية في وصف هذه الحالات الشاذة والغريبة على العقيدة الاسلامية .

(ولكن هذه الحال - حال الغيبة - تعترى كثيرا من السالكين . يغيب احدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات . وقد يسمون هذا فناء اصطلاحا . وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات . لا أنها في نفسها فنيت . ومن هنا دخلت طائفة في الاتحاد والحلول . فأحدهم يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله ويستغرق في ذلك فلا يبقى مذكور مشهود لقلبه حتى يتوهم انه هو الله وان الوجود هو الله) . (٢)

هذا الوهم وذاك الخيال هما من وحي العقائد الرهبانية التي تسربت الى تلك الفرق المغالية . والناظر في حقيقة المفاهيم الاسلامية وتعاليمها الصحيحة يدرك براءة الاسلام مما الصق به زورا وبهتانا تحت ستار الزهد والعبادة .

فالعبادات الاسلامية كفيلة بايصال العباد الى ما يرضي الله تعالى عنهم دون اللجوء الى مبادئ غريبة .

يقول الحق تبارك وتعالى :

(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . (٣)

---

١ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص ١٨٠-١٨١

٢ - مجموعة الرسائل الكبرى للامام ابن تيمية ١/ ١٤٩ - ١٥٠ مكتبة انس بن مالك ١٤٠٠هـ

٣ - الانعام : ١٥٣

الفصل الرابع :
أثر الانحراف العقدي على نظرة الرهبانية الى النفس البشرية والزواج والمرأة والرد عليها .

لقد مر الحديث عن الاسس العقدية التي بنت الرهبانية عليها صرحها الفكرى والعملي والاخلاقي ، ومن الواجب القول ان هذا الصرح لم ينجز الا بعد اجيال متعاقبة تخللتها احداث ومنازعات وانقسامات كثيرة فرقت المسيحية الى فرق متعددة تنال كل واحدة من الأخرى للبقاء على عرش السلطة الكنسية .

ولقد استطاعت هذه العقائد الانحراف نحو منعطف خطير ظهر أثره على السلوك العملي للحياة المسيحية ككل ، وعلى الرهبانية على وجه الخصوص إذ صبغت هذه الحياة بالسلبية والجفاء ، ودعتها إلى نبذ كل ما أباحه الله تعالى لعباده من الزينة والطيبات من الرزق ، .

كما تطور الأمر بتكوين مجتمعات رهبانية أفرزت أجيالا من الرهبان ، دعمت بأعدادها موقف الكنيسة تجاه خصومها . ، حتى إذا ما تسنى الأمر لهولاء بتسلم مقاليد السلطة وارثين بذلك الإمبراطورية الرومانية ، وجدوا زخارف الدنيا قد أحطيت بهم ، فاغترفوا منها ما وسعهم ، فاترفوا وظلموا واستبدوا ، وتمت على أيديهم أبشع صور الطغيان الديني والدنيوى .
وقد رضي البابوات أن يمثلوا هذا الدور فكتبوا بذلك تاريخا حافلا بمداد أحمر نتيجة الجرائم البشعة التي ارتكبوها ، وسودوا صحائف أعمالهم بالمخالفات السيئة والمخالفة لتعاليم المسيح عليه السلام الصحيحة .
كما خرجوا ـ حتى ـ عن تعاليم رهبانيتهم المبتدعة خروجا تجاوز كل الحدود .

وقد وضعت الرهبانية الأطر العامة لحياتها وسلوكها الخاص وفق الأسس العقدية التي تم تحريفها وتزييفها ، وقد سنت قوانينها الديرية وفق نظرات ثلاث :

اولا : النظرة الرهبانية الى الحياة والنفس البشرية
ثانيا : النظرة الرهبانية الى الزواج
ثالثا : النظرة الرهبانية الى المرأة .
وسوف اتناول كل واحدة على حدة مبينا أثر الانحراف فيها .

أولا : النظرة الرهبانية الى الحياة والنفس البشرية :

عند الكلام على عقيدتي الصلب والفداء ، ظهر بوضوح مدى الارتباط الشديد بينهما وبين فكرة الخطيئة الأولى ، وعليه فإن نظرة الرهبانية الى الحياة تأخذ شكلا يوافق هذا الأساس العقدى .

فما دامت الحياة في نظرهم مليئة بالشرور والآثام نتيجة الخطيئة الأولى التي أوحى بها سفر التكوين في الاصحاح الثالث . . . وما دامت مظاهرها الخادعة تعيق الوصول الى الغاية المنشودة : وهي الاتحاد بالمسيح ، . . . فينبغي إذاً الإبتعاد عنها والهروب منها ، اتقاء لشرها وتفادياً لعواقبها الوخيمة ، وذلك تقربا من المسيح في السموات . . . ! ! !

وقد استغلت الرهبانية بعض النصوص الواردة في الاناجيل للدلالة على أنّ ما تختاره من سلوك انما هو نابع من اساس شرعي لا مرية فيه ، علما بان التحريف الذى تسرب الى العقيدة المسيحية نابع من تلك الاناجيل المزعومة ، فمن ذلك ما جاء في متى : (حينئذ قال يسوع لتلاميذه إنْ أرادَ أحدٌ أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني ، فان من أراد ان يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها لانه : ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه) .(١)

ومن قول بولس (فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض) .(٢)

وقول متى (وكل من ترك بيوتا أو اخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحيوة الابدية) .(٣)

ومن قول لوقا :

(ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذا) .(٤)

وان اقسى نص جاء في هذا الصدد ما ورد في لوقا (ان كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذا) .(٥)

---

١ - متى ١٦ : ٢٤-٢٧

٢ - كولوسي ٣ : ١

٣ - متى ١٩ :٢٩

٤ - لوقا ١٤ : ٢٧

٥ - لوقا ١٤ : ٢٦

واتباعا لما جاء في لوقا آنفساً فقد تفنن الرهبان في معاملة الأهل والأقارب حتى أقرب الناس إليهم ، فهذا اسحق السرياني أحد ابرز الرهبان المقتدى بهم يقول في نسكياته :

(خير لك ان تشرب سما زعافا من أن تأكل مع امرأة وان كانت أمك أو أختك خير لك ان تسكن مع تنين من أن تنام مع شاب حتى لو كان أخاك في الجسد) (١) .

وهكذا تصبح الحياة في نظر الرهبان تعسة ، وهكذا يجب التخلي عن كل ما يمت الى هذه الدنيا بصله ، وترك مشاكلها والانعزال عن الناس وقطع الصلة بالأقارب والأهل والإعتكاف واتخاذ حياة التبتل . تقول إحدى فقرات القوانين الديرية :

(ينبغي للمجاهد أن يبتعد عن كل امتلاء ولو من الخبز والماء وأن يجمع عقله في صلاته ليكمل قربانه الروحاني ويتذكر خطاياه دائما ويحزن عليها وليكن كل ما يعمله ويقوله من أجل مرضاة الله لا من أجل مجد الناس وأن يتفقد تدبيره دائما لكي لا تكون سكناه في البرية غير مذهب الرهبنة فانه قد سكن البرية كثير من اللصوص وهي مأوى للوحوش والطيور الموذية أما الراهب فإنه يسكنها هربا من سجن العالم الذى يشغله عن عبادة الله التامة) (٢) .

هذه النظرة القاتمة للحياة نابعة من المنهج العام الذى ربط قلوب الرهبان بأسس لم تكن في يوم من الأيام من منهج عيسى عليه السلام ولا من مبادئ دعوته إذ كان عليه السلام يحارب الإنغماس في الملاذ والشهوات التي وقع فيها بنو اسرائيل وطادى فيهم قسوة قلوبهم المتحجرة ، فاتسمت كلماته بالروحانية فكانت أدعى الى لين القلوب وترقيقها ، لا لكبتها وتمزيقها .

اما المنهج الذى ارتضته الرهبانية لنفسها فقد بنته على قاعدة تصور سواد الدنيا في عين ناظرها مما أدي الى انعكاس هذا السواد على جميع مشاعر الرهبان وسلوكهم وفكرهم وحصرها في هذه الدائرة الضيقة ، وكان الأجدر بها التوسط لا الغلو .

ولا شك أن هذا الغلو قد نتج عنه عواقب وخيمة أقلها ضعف وهزال بنية

---

١ - : كتاب " نسكيات " لاسحق السرياني ص ٤٣

٢ - : بستاني الرهبان ، لاباء الكنيسة القبطية ص ١٢٩ ، الطبعة الثانية تنقيح : لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا ، مصر

القائمين على مبادئ الرهبنة . مما يؤدى في نهاية المطاف الى اعاقة كل تقدم بناء في ركب الحضارة والرقي .

وهذا ما حصل بالفعل في أوروبا العصور الوسطى . ومن أجل ذلك قامت الثورات فيما بعد ضد الكنيسة منادية بالاصلاح كسرا لهذا الجمود والفشل .

كما ان هذه النظرة تؤدى الى احداث خلل في بنية المجتمع ككل . مما يجعله والحالة هذه في شلل تام فضلا عن تفكك عرى العلاقات بين افراد الامة . لان دعوى الانعزال عن الناس فيها حجب العنصر الايجابي المعطاء في النفس البشرية وايقاف الوظيفة التي خلقت من اجلها . الا وهي عمارة الارض . وتعطيل هذا المبدأ يؤدى الى حرمان المجتمع من ثمرة التعاون والتراحم والتآخي الذى وهبه الله تعالى لبني البشر .

كما ان الركود يزيد من مشاكل الحياة وهمومها ويلفها بالحزن والكآبة وسوف يظهر ذلك بوضوح في الفصول القادمة ان شاء الله تعالى .

وعلى العكس من ذلك : نرى الاسلام يضع تصوره للكون والحياة وفق منهج متوازن متكامل يتسم بالحكمة والدقة المتناهية في جميع المجالات . ليعطي الانسان دفعة قوية تمكنه من الجمع بين خيري الدنيا والاخرة وذلك وفق تعاليم ربانية ثابتة لا خلل فيها . فلا افراط ولا تفريط .

فهو يعلمنا (أن الروح لا تسمو عن طريق سحق الجسد ، وان الغرائز الانسانية ليست مفطورة على الشر ، فلا يجب وأدها . وانما يجب السيطرة عليها بحكمة وضبط مسارها وتوظيفها في الاغراض التي تجعل حياة المرء ثرية فاضلة . و (أن) هذا العالم لم يخلق سدى (انـ) ان له مغزى وهدفا . ويجب على الانسان ان يحيا حياة طبيعية طيبة في هذا العالم وان يقدر أنعم الله ويستمتع بما اتاه الله . وبذلك يتقرب اليه ويعمل لخدمة أقرانه ويعد نفسه للاخرة).[1]

والاسلام يحض على الاعتدال في كل الامور ويدعو الى التوسط في كل شيء (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً).[2]

---

١ - الاسلام والمسيحية : ألفت عزيز الصمد ص ١٠٨-١٠٩

٢ - البقرة : ١٤٣

وقد عالج الاسلام وظائف الانسان العامة في هذه الحياة بحكمة ودراية كما عمل على تربية الروح والعقل والجسد وحدد وظائف كل طاقة منها . وأعطى الجرعات المناسبة لغذائها ونشاطها . (١)

ومن النفحات الطيبة التي يشيعها الاسلام في النفس البشرية ما جاء في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) (٢)

ويقول تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) . (٣)

ويقول ايضا (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا .) (٤)

بهذه الروح المنفتحة التي يشيعها الاسلام في ربوع أهله تصبح الحياة في نظر المؤمنين زاخرة عامرة بكل ما يفيد الانسان دينا ودنيا وآخرة . .

اما دعوى الانعزال بحجة عدم الانشغال بالدنيا فحجة قاصرة . وهي نظرة الى الحياة بعين واحدة . وما على اولئك الغافلين الا ان يحاولوا ازالة الغشاوة عن الاخرى ليروا الحياة على حقيقتها كما يعيشها المسلمون العاملون المخلصون لربهم .

---

١ - راجع في هذا الصدد : منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب . ١٩/١ وذلك للوقوف على خصائص المنهج الاسلامي في تربية الروح والعقل والجسد .

٢ - المائدة : ٨٧-٨٨

٣ - الاعراف : ٣٢   ٤ - الاسراء : ٧٠

ـ ثانيــا : نظرة الرهبانية الى الزواج :

انطلاقا من المفهوم السابق عن الحياة والنفس البشرية ، فقد التمست الكنيسة من الاناجيل نصوصا تفضل العزوبية على الزواج ،، فتركت هذه الوظيفة السامية تركا كليا تفرغا لعمل القلب وعدم انشغاله عن المسيح كما يدعي الرهبان .

وربما كانت نصوص العهد القديم الداعية الى الزواج والتكاثر والانجاب أدعى لحيرة عقول المسيحيين على اعتبار أن تاريخ اليهود وتعاليمهم هي جذور للتاريخ المسيحي وتعاليمه .

فمن نصوص العهد القديم ما جاء في سفر التكوين قوله :

(فخلق الله الانسان على صورته وعلى صوره الله خلقه ذكرا وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض) .(١)

وقوله (وقال الرب الاله ليس جيدا أن يكون آدم وحده فاصنع له معينا نظيره) .(٢)

ولن يتعرض البحث لقصص العهد القديم وما حفل به من أخبار زواج بني اسرائيل وانبيائهم وتناسلهم عبر التاريخ فهي أكثر من أن تحصى .

ولقد تناسى المسيحيون هذه القضايا في زحمة النصوص التي تصيدها اصحاب البدع للنيل من التعاليم الحقة التي امر بها المسيح كما تناست الكنيسة حث المسيح على الزواج وانه قد حضر عرسا في قرية قانا(٣) . وأن حضوره هذا دليل عملي على اعترافه بالزواج والا فانه مخالف لما أمر به وهو تناقض واضح .

الا أن العامل الحاسم في اقرار المسيحيين للتبتل يعود الى البذور القوية التي وضعها بولس في رسائله ،فالناظر فيها وتحديدا في رسالته الى أهل كورنثوس الاولى يقول (وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل ان لا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امراته وليكن لكل واحدة رجلها

وفي موضع آخر يقول :

(ولكن أقول لغير المتزوجين وللارامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما انا

---

١ ـ سفر التكوين ١ : ٢٧- ٢٨

٢ ـ سفر التكوين ٢ : ١٨

٣ ـ راجع انجيل يوحنا ٢ : ١ وما بعده ،وقانا هذه في الجليل تبعد عن الناصرة ١٣ كيلو مترا ،راجع في ذلك سيرة المسيح وتعاليمه ، دنيس كلارك ص ٤٩ وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٩

ولكن ان لم يضبطوا انفسهم فليتزوجوا لان التزوج أصلح من التحرق . وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وان فارقته فلتلبث غير متزوجـــة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل إمرأته .

اما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رايا كمن رحمـــه الـــرب أن يكون أمينا ، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للانسان أن يكون هكذا :

أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال ، أنت منفصل عن إمرأة فلا تطلب امرأة لكنك ان تزوجت لم تخطئ وأن تزوجت العذراء لم تخطئ ولكن مثل هؤلاء يكـون لهم ضيق في الجسد وأما أنا فإني أشفق عليكم فأقول هذا أيها الاخوة الوقت منـــذ الآن مقصر لكي يكون الذى لهم نساء كأن ليس لهم ، والذين يبكون كأنهم لا يبكـون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يملكون والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول .

فأريد أن تكونوا بلا هم غير المتزوج يهتم في ما للرب ،كيف يرضي الـــــرب وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيـــف يرضي امــــرأته .

ان بين الزوجة والعذراء فرقا . غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكـــــون مقدسة جسدا وروحا وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها) .(١)

هذا النص المضطرب والمخل ،يجعل القارئ في حيرة من أمر بولـــــس ففي بدايته يقرر أن من الحسن الالتزام بالتبتل ويدعو المسيحيين أن يكونوا مثلـــه دون زواج وفي وسط النص يمتدح الزواج ويقر بأنه خير من التحرق .

وصحيح أنه فصل الحالات المختلفة وأعطى نصائحه الخاصة ازاءها إلا أن التردد بشأن الزواج وعدمه بدا واضحا على دعوته .

وقد حلل د . شعلان نفسية بولس بعد دراسة مستفيضة حول تردده وما اعتراه من اضطراب في هذا النص وخرج بنتيجة مفادها ان بولس (دخل في المسيحية لغاية محددة وبفكر معين يريد تنفيذ تلك الغاية لكن بذكاء وحيلة ،انه لا يريـــد ان تكون معارضته لما استقر في أذهان الناس من قول المسيح بشأن الزواج معارضـة صريحة وقاطعة بل يريد أن يكون متفقا في بعض الاحيان غير متفق في أحيان كثيـــرة أخرى حتى لا يتهم بأنه مبطل لشريعة المسيح . . . ومهما يكن من أمر فان دعـــوة

---

١ - : ١ كورنثوس ٧ : ١-٢ وكذلك ٨-٣٤

بولس هذه بجانب طلب المسيح من أحد أتباعه أن يبيع أملاكه ويتخلص من كل شيء ويجيء فيتبعه هذه الدعوة كانت فيما بعد الاساس الأول الذى إعتمد عليه معتنقو فكرة الرهبنة) (١) .

الا أن الأثر الذى أحدثته دعوة بولس كان لها انعكاس على مسار رجال الكنيسة فيما بعد ، فها هو ترتوليان وهو من كبار رجال الكنيسة المسيحية (١٦٠- ٢٤٠) م يتلقف دعوة بولس ويشرح ما رمى اليه من التبتل في نصيحته فيقول :

(ان الأفضل من حالتين لا يلزم ان يكون خيرا في ذاته ، فلإن يفقد الانسان عينًا واحدة أفضل من أن يفقد كلتي عينيه . ولكن فقد عين واحدة ليس من الخير في شيء فكذلك الزواج : فهو : لمن لم يقو على العفة أفضل من ان يحرق بنار جهنم ولكن الخير أن يتقى الانسان الأمرين معا : فلا يتزوج ولا يعرض نفسه لعذاب النار وان قصارى ما يحققه الزواج انه يعصم الفرد من الخطيئة على حين ان التبتل يروض المرء على اعمال القديسين ويذلل له السبيل الى منزلة الاشراق ويتيح له أن يأتي بالمعجزات) (٢) .

ومع مرور الوقت بات من الضرورى بالنسبة للكنيسة وضع ترتيبات معينة لتنظيم أمور القسس والرهبان ففي القرون الثلاثة الأولى لم يكن يطلب الى القس ان يظل عزبا (اذ) كان في مقدوره ان يحتفظ بزوجته اذا كان قد تزوج بها قبل رسامته ،

ولكنه لم يكن يجوز له أن يتزوج بعد أن يلبس الثياب الكهنوتية ولم يكن (كذلك) يجوز لرجل تزوج باثنتين أو بأرملة أو طلق زوجته أو اتخذ له خليلة أن يصبح قسيسا) (٣)

الا ان العكوف على نصوص بولس أدت ببعضهم الى استنتاج أن (كل اتصال بين الجنسيين خطيئة ، ولذلك كانوا يعارضون في الزواج بوجه عام ، وتملك ساعمهم من الهلع اذا سمعوا ان قسا تزوج وقد اعلن مجلس جنجرا (Gengra) الديني (حوالي ٣٦٢) ان هذه الاراء لا تتفق مع الدين ولكن الكنيسة مع ذلك ظلت تطالب قساوستها وتلح عليهم الحاحا متزايدا أن يظلوا بلا زواج) (٤)

---

١ - : نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام د . محمود عبد السميع الشعلان ١ : ١٧٢ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ -١٩٨٣م

٢ - كتاب : بحوث في الاسلام والاجتماع د . علي عبد الواحد وافي ص ٢٧١ ومقاله عن موقف اليهودية والمسيحية والاسلام من العزوبية في مجلة الازهر عدد محرم ١٣٧٩هـ .

٣ - قصة الحضارة ٤/١ : ٩٣-٩٤

٤ - المصدر السابق .

وعلى الرغم من مراقبة الكنيسة لرجالها فان هذه القيود لم تمنع من انتشار الزنا والفاحشة بين رجال الكهنوت الذين أمكن لهم استغلال النصوص لمصلحتهم وقد أدى ذلك إلى انحطاط مكانة القس في أعين الشعب ، ولهذا فان مجمعا مقدسا عقد في عام ٣٨٦ م أشار على رجال الدين بالعفة المطلقة وبعد عام من ذلك الوقت أمر البابا سريسيوس (SiRiCiuS) بتجريد كل قس يتزوج أو يبقى مع زوجته التي تزوج بها من قبل وأيد جيروم وامبروز واوغسطين هذا المرسوم بقواتهم الثلاثة (١).

وبناء عليه فإن الكثير من فقهاء الكنيسة المسيحية ينظر الى (هذه الحقائق على أنها من الأمور المسلمة في الدين بالضرورة أي التي لا يجوز إنكارها ولا الشك فيها حتى أن مجمع (مديولانس MEdioLANENSE) المسيحي قد حكم في أواخر القرن الرابع الميلادي على الراهب " جوفينيان JoVEmiEN) " بالطرد من الكنيسة لأنه عارض المبدأ المسيحي الذي يقرر أن التبتل خير من الزواج (٢).

وتجدر الإشارة إلى أن فرقة (المارسيونيين MaRCioNiES) وهي فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مرسيون (ذهبت) الى ما هو أبعد من ذلك فحرمت الزواج تحريما باتا على جميع افراد نحلتها كما فعلت فرقة الحسيديين من اليهود (الاسينيين) واوجبت على كل متزوج يرغب في اعتناق مذهبها من الذكور والاناث أن يفترق عن زوجه وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده .

ومع أن الفرق المسيحية الباقية الى عصرنا الحاضر لم تأخذ بهذا المذهب فان نظرة المسيحية الى التبتل على أنه الحالة المثلى والى الزواج على أنه مجرد ضرورة قد أدت بالتدريج الى نظام العزوبة المفروض على الرهبان وعلى القسيسين في المذهب الكاثوليكي) . (٣)

الا أن هذا المد والجزر وعدم الاستقرار على قانون قاطع أرغم القائلين بعدم زواج الرهبان إلى عقد مجمع لهذا الغرض ، ففي (أوائل القرن الرابع الميلادي أصدر مجمع الفيرا ELViRA) في اسبانيا قرارا بتحريم الزواج والابتعاد عن كل شهوات الجسد على كبار رجال الكنيسة .

وفي أواخر القرن الحادي عشر أصدر البابا جريجوار السابع أمرًا بوجوب

---

١ ـ قصة الحضارة ١ / ٤ : ٩٤ ، وكان سيريسوس هذا أول من وضع قانونا بوجوب العزوبة فيما بعد انظر : الزواج ، عمر رضا كحاله ١ : ٣٧ موسسة الرسالة ط٣ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤
٢ ـ الاسفار المقدسة د . وافي ص ٨٤ ٣ ـ موقف اليهودية والمسيحية والاسلام من العزوبة ص ٣٣-٣٤

العزوبة ،على جميع القساوسة والرهبان كبارهم وصغارهم حتى لا تتدنس صفاتهم الكهنوتية بالاتصال الجنسي ،ومع أن هذا القرار قد لاقى في مبدأ الامر معارضة شديدة في كثير من المناطق المسيحية ،فانه لم يكد ينتهي القرن الثالث عشر الميلادى حتى كان نظاما مقررا في الكنيسة الكاثوليكية ومطبقا على جميع القساوسة والرهبان والراهبات من النساء) (١) .

وقد أسفرت هذه القرارات عن اضرار جسيمة ،وخلل عميق في مفهوم المسيحيين للزواج وأهدافه . فالتحلل الخلقي والفساد الاجتماعي الذى وقع فيه القسس والرهبان كان في جانب كبير منه يرجع الى عدم السماح لهم بالزواج وهذا ما دعا مارتن لوثر زعيم حركة الاصلاح البروتستانتية الى الثورة على الكنيسة (وكان لوثر قد نذر نفسه لله ولن يتزوج . ولم يكتف بانه عاد فتزوج ، بل تزوج راهبة كانت ناذرة نفسها لله مثله) (٢) .

وكان اسم هذه الراهبة كاثرينا وقد قال لوثر في ذلك (قد عزمت على رغم اعدائي ان أتزوج راهبة ليعلموا أنهم لم يغلبوني) (٣) .

وقد وجهت انتقادات كثيرة الى قرارات حظر الزواج على الرهبان خاصة في الغرب ،كذلك الامر بالنسبة للشرق .

اذ إتلاشت قرارات البابا سريسيوس جيلا بعد جيل فكانت حياتها قصيرة الاجل . اما ما جاء بعده من قرارات فقد تبنت البروتستانتية مقاومته) (٤)

يقول أفلاطون مطران موسكو : ان الكنيسة الارثوذكسية لا تفرض البتولية على المزمع على الكهنوت (فـ) البتولية مباحة متى كانت عن رضى واختيار لا عن الزام واجبار وهذا هو المراد بقول يسوع المسيح (انه يوجد خصيان خصوا انفسهم لاجل ملكوت السموات) متى ١٩ : ١٢ ، لذلك كان فرض عدم الزواج على الاكليروس مخالفا لقوانين الكنيسة وعاداتها كما هو مضاد للطبيعة الانسانية) (٥) .

هذا الاعتراف شاهد على العنت والمعاناة التي شهدها المجتمع المسيحي من جراء القيود المفروضة عليه والتي انعكست آثارها السلبية على افراده ، ليس فقط على الرهبان وحدهم بل على الافراد العاديين وقد رسم الاستاذ محمد قطب بعضا من هذه المعاناة التي يعيشها المسيحي العادى في مجتمعه وفق الصورة التالية :

---

١ - : موقف اليهودية والمسيحية والاسلام من العزوبة ص ٣٠٤
٢ - : محاضرات في النصرانية لابي زهرة ص ٢١٦ - و : نفاق اليهود ، مارتن لوثر . ت: عجاج نويهض ص ٤٤ دار الفكر ط١ ، ١٣٩٤هـ ٣٠- تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر ،للعلامة " ميرل دوبينيه " . ت: ابراهيم الحوراني ص ٤٧٦ ، منشورات مكتبة المشعل ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م .
٤ - قصة الحضارة ١ / ٤ : ٩٤
وقد أدان لوثر العزوبة وألف كتابا عن ابطال الرهبانية ،راجع : تاريخ الاصلاح ص ٣٦٩ و ٢١٠
٥ - الخلاصة الشهية ص ١٣٩

(ولكن بقية الشعب المسيحي يتزوج على أي حال ،ولا يأخذ نفسه بالرهبنة والانقطاع عن شهوات الحياة ،فهل تنتهي المشكلة عندهم بالزواج ؟ كلا إن الصبي الذى ينشأ في جو العقيدة المسيحية ،ينشأ وفي نفسه عقد تستنكر الجنس وتستقذره وذلك من وحي الاشعاعات الدينية التي يلقيها اليه رجال الدين والكتب المقدسة ويتلقاها من أبيه ومن مدرسه ومن كتب النصائح والتحذيرات فإذاكبر هذا الصبي ووصل الى سن المراهقة فالبلوغ ،فهناك الأزمة العنيفة التي يصطدم بها على غير انتظار . هناك الدفعة الجارفة التي تنادى به آناء الليل واطراف النهار : أن أقبل واستجب ، واستمتع بتلك اللذة العارمة التي تنبت في اطواء جسدك ،وفي الجانب الآخر ذلك السيف المصلت او ذلك السوط المرتفع في الفضاء يهدد تهديداً لا ينقطع ويكاد يهوى على ظهر ذلك المراهق المسكين بل هو يهوى عليه فعلا بين الحين والحين تمسكه يد خفيه لا تبين ،يتخيل أنسها يد الله أو يد القسيس أو يد الوالد أو المدرس أو من يكون من صور الرادعين والزاجرين عند ذلك يبدأ الصراع ثم لا يكف ابدا .

فدفعة الجسد متجددة لا تنقطع وايحاءات الدين التي تصور الجنس دنسا وقذارة تلك الايحاءات التي ترسبت في نفس الفتى وهو طفل صغير تظل هي الأخرى متجددة لا تنقطع ومن هذا الصراع تنشأ كما أسلفنا العقد النفسية والاضطرابات العصبية التي تترك أثرا لا يمحوه بعد ذلك أن يتزوج هذا الفتى أو الفتاة في مقبل الأيام بل أثبت الطب والتحليل النفسي أن كثيرا من أسباب الشقاء الزوجي يرجع أصله الى عقد الصبا والمراهقة وأن الزواج لم يحلها بل كبرها كما يكبر المجهر النقطة الصغيرة .) (١) .

هذه هي الصورة المزرية التي يعيش في كنفها الانسان العادى في الوسط المسيحي ، فكيف يعيش الرهبان ، ؟ لا شك أن التعاسة والكآبة تأخذ حيزا كبيرا وأضخم مما تأخذ من أي إنسان آخر .

ولن أتعرض الآن للصورة المشرقة التي يشيعها الاسلام في ربوع أهله فذاك سيكون الحديث عنه بعد استعراض موقف الرهبانية ونظرتها الى المرأة . كي تستكمل الصورة التي يراها الرهبان بالنسبة للنساء .

١ـ الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ، ص ١٢-١٣ دار الشروق ط٧ ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م

ثالثا : نظرة الرهبانية الى المرأة

الدعوة المحمومة التي أطلقها بولس شتتت بها أفكار المسيحيين ، . وانعكست سلبا على أوضاع الرهبان والمسيحيين أجمعين ، إذ أضحى الزواج في عرفهم بؤرة للمعصية ومفتاحا للدنس والخطيئة .

وتبعا لذلك إنعكس الوضع على موقف رجال الكهنوت من المرأة ، التي راحت ضحية لتعاليم بولس ومن لف لفه .

لقد صب بولس جام غضبه على المرأة،مما حدا برجال الكهنوت الى أخذ كلامه بشيء من التقديس والإحترام ، فهو يقول بشأنها :

(ولكنني أخاف انه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد اذهانكم عن البساطة التي في المسيح) (١) .

وقوله أيضا (ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت لان آدم جبل أولا ثم حواء وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدى) (٢) .

فاصرار بولس على ترديد تهمة الخطيئة كانت سببا رئيسيا لاعلاء شأن البتولية على الزواج في الشريعة المسيحية . (٣)

هذا ما تفتقت عنه قريحة بولس وهذا ما بشر به من تعاليم ضد المرأة فقد حملها إثم الغواية.وألحق بها جرم التعدى ولهذا نراه فيما بعد يتخذ قرارات بشأنها تلزمها بالصمت والخضوع ومن ذلك قوله (لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا ولكن أن كن يردن أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في الكنيسة) (٤)

وقوله في موضع آخر (أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء ، أيها الرجال احبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها . . .) (٥)

---

١ - رسالة بولس الى أهل كورنثوس ٢ ١١ : ٣

٢ - ١ تيموثاوس ٢ : ١٢-١٤

٣ - انظر : نظام الزواج في اليهودية والمسيحية د . محمد شكرى سرور ص ٦٦ ، دار الفكر العربي بمصر ط ٧٨-١٩٧٩م وقارن مع: الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية ص ٢٠٤

٤ - ١ كورنثوس ١٤ : ٣٤-٣٥ ٥ - افسس ٥ : ٢٢-٢٥

ولكن ماذا ينفع الحب في هذه الحالة بعد أن وصمها بالغواية وقبول الخداع ، وماذا ينفع الحب بعد أن وجه اليها تهمة التعدى . وكيف ستكون نظرة الرجل اليها بعد زعزعة الثقة بها .

ولا أدل على ذلك من موقف رجال الكنيسة الذين تتبعوا خطا بولس فمن ذلك ما قاله القديس يوحنا الدمشقي (المرأة أخت الخديعة وحارس الجحيم وعدم السلام ، بسببها طرد آدم من الجنة ...

وقال القديس سيريان :

المرأة هي الأداة التي يستخدمها الشيطان للسيطرة على أرواحنا .

وقول القديس أنطون :

المرأة هي منبع سلاح الشيطان وصوتها فحيح الأفعى) .(١) وقد بحث مجمع ماكون ٥٨١م فيما اذا كان للمرأة نفس وهل تعد من البشر (٢)

هذه الاقوال جعلت موقف المرأة يهتز أمام المجتمع المسيحي الذى ظل الى قبيل الثورة الصناعية عرضة للطعن والشتم فضلا عن اعتبارها قطعة من اثاث المنزل يحق لزوجها بيعها وشراؤها متى شاء .

اما الاسلام فأنه لم يلجأ الى هذا الموقف المعادى منها ولم يتخذ قرارات ضدها ولم يتعرض لمكانتها ولم يصمها بالغواية والفساد . ففي قصة آدم عليه السلام لم يكن اللوم منصبا عليها وحدها ، وفي ذلك يعرض القرآن الكريم موقفه الواضح حيث يقول الحق تبارك وتعالى (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ،ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى ،فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ،فأكلا منها فبدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) .(٣)

وهكذا يكون الأكل قد وقع منهما وان الغواية لم تلحق بداية بالمرأة كما هي الحال في سفر التكوين ، كما تظهر المفارقة في ان الوسوسة كانت لآدم في حين ان العهد القديم يلقي اللوم على المرأة بالغواية .

وعليه فان الاسلام قد كرم المرأة واعطاها حقوقها التامة في وقت كانت اوضاعها المزرية في مقام لا تحسد عليه . وقد حرص الاسلام على مصلحتها واعتبرها دعامة أساسية في عملية التربية والتوجيه ، وحض على اعتبارها مساوية للرجل في انسانيتها ومن حيث كونها مخلوقة من نفس واحدة قال تعالى : (يا ايها

١ـ الاسلام والمسيحية ص ١١٩-١٢٠ ٢ ـوبعد جدال طويل عنيف كان الجواب ان لها نفسا وانها بشر ولكنه كان باكثرية قليلة وان كانت الفكرة الغالبة عليهم ان المراة خالية من الروح الناجية ما عدا السيدة مريم) : المراة في الشعر الجاهلي.د . احمد محمد الحوفي ص ٣٤-٤٢ ط٢ دار الفكر العربي مطبعة المدني .
٣ـ طه : ١١٧-١٢٢

الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) (١)

وقد أعطاها حقوقها المالية وحرية التصرف بملكيتها الخاصة ولم يفرض عليها قيودا تنزل من مكانتها (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) (٢) . وذلك للمسؤلية الاجتماعية التي يتحملها الرجال تجاه الانفاق وتدبير الشؤون العامة . ولقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم) (٣) .

كل ذلك كان ضمن توجيهات تحمي المرأة من الوقوع في المخاطر . وقد حصنها وذلك بتربية نوازع الخير فيها وهذبها بتعاليمه السمحه ،كما وجه الرجال للمحافظة عليها والعناية بأمرها ومعاملتها معاملة قائمة على الود والاحترام ودعا الى تعليمها وتثقيفها ثقافة تليق بوضعها كام واخت زوجة وابنة . (٤)

وهكذا يتضح الفرق بين نظرة الاسلام اليها وبين نظرة الرهبانيةوموقفها منها .

وبعد فهذه هي الأسس التي بنت عليها الرهبانية نظرتها الى الحياة والنفس البشرية والزواج والمرأة .

وباستقراء الاسباب التي أدت إلى اتخاذ مثل هذه المواقف يمكن حصرها بالاتي :

اولا : التأثيرات الاجنبية على الرهبانية ونظمها ومبادئها .
ثانيا : نظرة الرهبان الى حياة المسيح الخاصة
ثالثا : نظرة الرهبان الى الاضطهادات والحروب التي ألمت بهم .

وسيتتبع البحث كل أثر على حدة للوقوف على الزالق التي وقعت فيها الرهبانية .

---

١ ـ النساء : ١
٢ ـ البقرة : ٢٢٨
٣ ـ النساء : ٣٤
٤ ـ يراجع في هذا الصدد السور والايات على النحو التالي : النساء : ٣٢ الروم : ٢١ ، التوبة : ٧١ النحل : ٩٧ الاحزاب : ٣٥
الى غيرها من السور والايات . ولا ننسى الاحاديث الكثيرة الواردة في كتب السنة والتي أمرت بتكريم المرأة ومعاملتها معاملة لائقة .

اولا : التأثيرات الاجنبية على الرهبانية ونظمها ومبادئها

ان الأسس العقدية للرهبانية المسيحية امتازت بقابلية غريبة احتوت واجتذبت بموجبها مبادىء وطرقا شتى يمكن وصفها بالتلون والقدرة على معايشة الآراء التأليفية .

وصحيح أن الرهبانية بدعة نمت وترعرعت داخل الجماعات الأولى التي تلت عهد الحواريين ، إلا أن هذه البدعة لم تكن لتتفاقم لولا المؤثرات الخارجية الأخرى التي باركت هذا النمو وعملت على رعايته ونمائه .

فما إن حل القرن الثالث الميلادى حتى غدت الرهبانية هذه قائمة على سوقها تنهل مبادئها وقوانينها من انظمة الرهبنة السابقة عليها .

وقد تعرض البحث في الأبواب السابقة لمبادىء الرهبنة البدائية عبر التاريخ السحيق ابتداء من المصرية مرورا بالهندية ووصولا الى اليهودية التي كان لها دور بارز في مد الرهبانية بالنظريات والأطر الجاهزة فكانت بحق تمثل صلة الوصل ما بين رهبنة الاديان الوضعية ورهبانية النصارى .

ويقر الكُتّاب المسيحيون بهذه الصلة التي تربط رهبانهم بالاسينيين رواد وادى قمران فمن ذلك ما قاله بطرس البستاني (ومن أول من اعتزل دنيا الاسينيون الاسرائيليون فسمى بعض المؤلفين بالاسينيين الذين يضايقون أنفسهم بالصيام والذين ينقطعون بضع ساعات نهارا وليلا الى التضرعات والصلوات والذين يبذلون أموالهم وأيامهم في سبيل إعالة الفقراء وعيادة المرضى والاعتناء بهم وكان الاسينيون من النصارى يسكنون عادة المدن ويلبسون أثوابا قاتمة اللون مخصوصة بهم كأثواب الحكماء القدماء) . (١)

كما بحث الرهبان المعاصرون قضية ما اذا كان للرهبانية المسيحية بالفعل سوابق في الديانات الوثنية (ك) البوذيين مثلا ولدى الافلاطونية الجديدة في اليونان وفي البلاد اليهودية بواسطة شيعة الاسينيين العائشين على ضفاف البحر الميت (قمران) واعترافا بالواقع المشهود لم ينكر المسيحيون أن بين هذه الطرق وبين الرهبانية المسيحية بعض أوجه الشبه . (٢)

---

١ - : دائرة معارف بطرس البستاني ٨/٦٨٨

٢ - : تاريخ الكنيسة الشرقية الاب البير ابونا ١ : ١٦٧ المطبعة العصرية ، الموصل العراق .

وقد عُلِّلت هذه الظاهرة بانها نابعة (من طبيعة الانسان بالذات ومن غرائزه الدينية (ف) تحت كل سماء وفي جميع العصور كانت نفوس اكثر سخاء وأشد تعطشا الى الكمال ،إنها بحثت في الممارسات الدينية والحرمان ، والآلام الارادية عن وسيطة للتقرب أكثر فأكثر من الله وصولا الى طهارة أسمى) .[1]

وان الانسان (التواق الى الكمال قد وجد في مختلف الأجيال طريقه الى هذا الكمال - حسبما فهمه في الإماتات وضبط النفس وقهر الحواس) [2]

وهذا الكلام وان إستشف منه سمو الهدف ، إلا أن الواقع يؤكد :

ان الانسان مفطور على حب التعبد ، وان الطريق الذى يخطه الانسان بنفسه ولعباداته هو غير الصراط الذى وضعه الخالق له عبادة ومنسكا وطريقا نحو الكمال وهنا منشأ الضلال الذى يقع فيه الرهبان .

فالاجتهاد الانساني الذى نجده في القوانين الخاصة بالرهبانية هو اجتهاد محدود ألزم الرهبان انفسهم به وصولا الى كمال مزعوم ،ومعنى ذلك أن طريقتهم لم تكن نابعة من رسالة سماوية موحى بها من عند الله تبارك وتعالى بل هي محض نظريات فردية بنيت على أساس معاناة الانسان وتقشفه وقهر حواسه وصولا الى هدف يظن أنه سام . وما هو الا ابتداع في الدين ، وخروج عن تعاليم النبي المرسل .

وقد يتساءل المرء عن مدى نفع هذه الطرق التقشفية مادامت لا تستند الى عقيدة صحيحة أو شريعة سماوية واضحة .

وتكمن الإجابة عن هذا التساؤل في معرفة أثر الفراغ الروحي الصحيح الناشىء عن البدع الكثيرة واختراع العقائد واحدة تلو الاخرى . فما ان تتجمع واحدة في بيئة حتى تظهر لها طبقة كهنوتية تحاول بشتى الطرق المحافظة عليها ببناء أنظمة لها جاعلة من نفسها وصية على هذا التراث المخترع وتبقى متمسكة به حفاظا على منصبها ورتبتها الكهنوتية .

ومن هنا تكمن الحاجة الملحة الى ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية لدرىء هذه الانحرافات كلما تاه البشر في خضم التيارات المختلفة .

---

١ - التنظيم الرهباني في الكنيسة المارونية ، الاب يوسف محفوظ . ت: الاب يوحنا خليفة ص ٣٤ ،المركزالوطني للبحوث العلمية في باريس طبع في بيروت ١٩٧٠ مطابع مؤسسة الارز .

٢ - تاريخ الكنيسة الشرقية ١ / ١٦٧

ولا شك ان هذه التأثيرات الخارجية قد انعكست على المبادئ السلوكية للرهبانية المسيحية كما هو الحال بالنسبة للأسس العقدية .

وأكثر ما تتضح هذه التأثيرات في كل من :

أولا : النـــذور الثلاثة

أ ـ الفقر

ب ـ العفـــة

جـ ـ الطاعة لرئيس الدير .

ثانيا : في لباس القسس والرهبان

ثالثا : في اتخاذ الأديرة والكهوف للاعتزال

رابعا : في الطقوس الكنسية وغيرها .

وسيتعرض البحث لـــبعض هذه التأثيرات خلال فصـــول قادمة إن شاء اللـــه تعالى .

ثانيـــا : نظرتهم إلى حياة المسيح عليه السلام الخاصة

يعتبر الرهبان المسيحيون عيسى عليه السلام هو الراهب الأول - ،
ولهذا فإن نشوء الرهبانية عند هم يبدأ به ، فهم يزعمون أنه قد شق لهم (طريق الخلاص والحياة فقرًا وعفة ، وطاعة صليب حبا بالله الاب)[(١)] وان الحياة الرهبانية قد انبثقت من تعاليمه ومن حياته المثلى الذى اسسها في جـوهرها واضعا لهـا المبادئ الأساسية داعيا النفوس الأكبر سخاء الى انتحالها ليتشبهوا بـه علـى اكمل وجه ممكن)[(٢)].

ويستند هؤلاء الى ما جاء في لوقا (وقال للجميع إن أراد أحـد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني[(٣)]) الى غيرها من الأقوال[(٤)] .

يقول ترتوليان : (إن جسم المسيح نفسه قد جاء من بتول عذراء... والقديـس يوحنا المعمدان (JEAN BAPTISTE) يحيى بن زكريا عليهما السلام والرسول بولس وجميع اخوانه الحواريين الذين سجلت اسماؤهم في سفـر الخلود آثروا التبتل وحثوا الناس عليه . . . . وقد فتح السيد المسيح للخصيـان ابواب السماء لان حالتهم قد باعدت بينهم وبين قربان النساء . ولو أن آدم لـم يعص ربه لعاش طهورا حصورا ، ولتكاثر النوع الانساني بطرق أخرى غير هذه الطرق البهيمية ولعمرت الجنـة بفضيلة من الطاهرين الخالدين)[(٥)].

ويظهر هذا الكلام مدى الافتئات على الله تبارك وتعالى وعلى سننه في الخلق ، كما انه تزيّد وسُوءُ أدبٍ مع العزة الإلهية وتَقَوُّلٌ لم يسبق إليه أُحد .

وقد عنى ترتوليان بقوله (وقد فتح السيد المسيح للخصيان . . . .) ما ورد في متى (لأنه يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من إستطاع أن يقبل فليقبل)[(٦)].

---

١ - الحياة الرهبانية ، رهبنة مارجاورجيوس دير الحرف ، ص ١٥ ، منشورات النور
٢ - الرهبانية الباسيلية الشويرية . د . أ . حاج ١/ ٣٤ ، ط١٩٧٤ ، لبنان
٣ - لوقا ٩ : ٢٣
٤ - راجع لوقا ١٤ : ٢٧ وكذلك كولوسي ٣ : ١-٢
٥ - الاسفار المقدسة . د . وافي ص ٨٣
٦ - متى ١٩ : ١٢

وقد مشى أورجين حسب وصية هذا النص وخصى نفسه ، إلا أنه كان شديد الحرص على عفته كما يعتقد علماء المسيحية ، وان كان في واقع أمره قد تتبع المعنى الحرفي للنص ولم يفقه المعنى الحقيقي الذى يرمى إليه لو صحت نسبته الى المسيح عليه السلام .

وازاء هذا الوضع فإن البحث معني بالتطرق الى :

حياة كل من عيسى ويحيى عليهما السلام ، وموقف الاسلام من التبتل والخصاء . وذلك للتوصل الى نظرة الاسلام الى الزواج ومكانته .

ان موقف الاسلام من عدم زواج عيسى عليه السلام لا يتفق مع ما يراه الرهبان من أنه هو الراهب الأول ، فوضعه الخاص لا يمكن القياس عليه سيما وأنه قد واجه أمة منحرفة في دينها عن الصراط المستقيم ، نتيجة الأمراض التي اعترتها والأوبئة التي فتكت بها والناجمة عن اشتغالها باكتناز الأموال وهتك الأعراض وانحراف كلي في الأخلاق والمعاملات .

ونظرا لقصر زمن رسالة عيسى عليه السلام في قومه وضخامة الجهد الذى بذله في التبليغ والانذار ، فقد شغل بهذه القضايا وأعطاها جل إهتمامه فضلا عن المضايقات التي لاقاها في حياته اليومية من قبل اليهود وغيرهم ، كما لا يخفى على المسيحيين وكتاب التاريخ ما كان يقوم به عليه السلام من تنقلات بين المدن الفلسطينية وقراها للوعظ والارشاد .

وقد جاء رفعه كما سلف مبكرا وهو لا . يعد و سن الكهولة عاملا مهما في عدم زواجه ، فلو كتب له البقاء أكثر لما تأخر عن الزواج ، والله اعلم .

ومن مواقفه عليه السلام من المرأة ما يعطي انطباعا عن عطفه وحنانه تجاهها ، وقد حفلت الأناجيل التي يعترف بها النصارى بالقصص والروايات (١) التي تصور مواقف عديدة للمسيح من المرأة وكلها تتسم بالتقدير والاحترام لها وعدم المساس بمكانتها الاجتماعية .

---

١ ـ لاحظ تلك الاحداث التي مرت بالمسيح من خلال الآتي :

أ ـ حديثه مع المرأة السامرية بالقرب من قرية سوخار وكيف وعظها بلين ورفق انظر : يوحنا ٤ : ٤-٤٢ / ب ـ حنانه على الأرملة واقامة ابنها من الموت في قرية نايين ، انظر لوقا ٧ : ١١-١٧ / جـ ـ قبوله الطيب من المرأة الخاطئة التي دهنته به ، انظر : لوقا ٧ : ٣٦-٥٠ / د ـ شفقته على ابنه بايرس وشفاؤه للمرأة التي نزفت دما في كفر ناحوم ، انظر متى ٩ : ١٨-٢٦ / هـ ـ شفاؤه لابنه المرأة السورية الفنيقية في اقليم صور وصيدا انظر : متى ١٥ : ٢١ / و ـ نزوله في بيت مرثا ومريم ونصحه لهما في "بيت عنيا" انظر : لوقا ١٠ : ٣٨-٤٢ الى غير ذلك من القصص .

ولم يقتصر الحال على المسيح عليه السلام بل ان التلاميذ قد وقفوا أيضا من المرأة بما يتناسب مع تكريم المسيح لها وعطفه عليها ، وقصصهم مدونة في اناجيلهم (١) فلم التعامي عن الحق . ؟

ومن جهة ثانية فإن علماء مقارنة الاديان مدعوون لمتابعة تلك الدراسة التي ظهرت حديثا في كتاب " الكاهن والسلالة والكنز " وهي لثلاثة باحثين غربيين هم : مايكل بيجنت ، ورتشارد لي ، وهنرى لنكولن (٢) . الذين حاولوا إقامة البراهين تاريخيا على ان قصة صلب المسيح مختلقة وان هناك ما يفيد انه عاش حتى عام ٤٥ م وان هذا يدل على احتمالات زواجه من مريم المجدلية مستشهدين بعدة قرائن تاريخية معتمدة على اناجيل منعت الكنيسة تداولها كانجيل "توماس" وحكمت بتحريمها الى جانب دلائل اخرى ليست موضوع هذا البحث.

اما الحديث عن يحيى عليه السلام :

فان القرآن الكريم قص علينا ما يبين حاله فقد قال الحق تبارك وتعالى (هنالك دعا زكريا ربه ، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) (٣) .

والحصور عند علماء اللغة له عدة معان منها :

- الناقة الضيقة الاحليل .
- الذى لا يأتي النساء .
- الضيق البخيل (٤)

وقد نقل أغلب المفسرين معاني هذه الكلمة وبينوا الاراء المتعددة في تفسير الاية و المقصود من قوله تعالى (سيدا وحصورا) .

وقد اختار حذاق المفسرين والمحققين : ان المراد من (الحصور هو الذى لا يأتي النساء لا للعجز بل للعفة والزهد وذلك لأن الحصور هو الذى يكثر حصر النفس . (٥)

---

١ - راجع في ذلك : اعمال الرسل ١ : ١٣-١٤ وكذلك رساله يوحنا الثانية ١ : ١٦ ورسالة يعقوب ١ : ٢٧ وغيرها . وراجع تعليقات العقاد حول الموضوع في حياة المسيح (١-/٣١٨)

٢ - راجع : مجلة المسلمون العدد ٢٢-الى ٣٣ من ١٠ /٦/الى ٥/٨/١٤٠٢هـ عرض وتحليل د . محمد ابراهيم الشوش . السعودية .

٣ - ال عمران : ٣٨-٣٩ ٤ - راجع : تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهرى ت : احمد عبد الغفور عطار ، مادة حصر . ٥ - : التفسير الكبير للفخر الرازى ٨/٣٦-٣٧ ، ط٢ دار الكتب العلمية ،طهران ، وكذلك ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لابي السعود ١/٤٧٦ ،مطبعة السعادة .

وقد وافق الامام ابن كثير القاضي عياض في رده على من قال ان يحيى عليه السلام كان(هيوبا" أولا ذكر له ،بل قد انكر هذا كبار المفسرين والنقاد وقالوا : هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور عنها ، وقيل : مانعا من الشهوات وقيل : ليست له شهوة في النساء ، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها ...) (١)

واتماما لهذه القضية الهامة فقد عرض العلماء مسألة كون العزوبة افضل أم الزواج ، وفي ذلك تفصيلات كثيرة وارا ء متعددة .

فمن ذلك ما اوضحه الفخر الرازى حينما فاضل بين العزوبة والزواج بقوله (احتج اصحابنا (اى الشافعية) بهذه الاية (ال عمران ٣٨-٣٩) على ان ترك النكاح أفضل وذلك لانه تعالى مدحه بترك النكاح وذلك يدل على ان ترك النكاح أفضل في تلك الشريعة واذا ثبت أن الترك في تلك الشريعة أفضل وجب أن يكون الامر كذلك في هذه الشريعة بالنص والمعقول أما النص فقوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) واما المعقول فهو أن الأصل في الثابت بقاؤه على ما كان والنسخ على خلاف الاصل) (٢)

وهذا الرأى مرجوح . عند الجمهور .

وقد رده الإمام محمد رشيد رضا بقوله (...نقول إن الاية ليست نصا ولا ظاهرة في ذلك واذا سلمنا أنها تدل عليه فلا نسلم أنها تدل على أن ترك التزوج أفضل مطلقا . وليس يحيى بأفضل من أبيه ولا من إبراهيم الخليل ومحمد خاتم النبيين والمرسلين وسنة النكاح أفضل سنن الفطرة لانها قوام هذه الحياة الدنيا وسبب بقاء الانسان الذى كرمه الله وخلقه في أحسن تقويم وجعله خليفة في الارض الى الأجل المسمى في علم الله) (٣) . وسوف تتضح المسألة أكثر عند الحديث عن محاربة الاسلام للتبتل والخصاء . ان شاء الله تعالى .

واتماما لقضية يحيى عليه السلام فانه يحسن الاستئناس برأي العقاد في هذه المسألة التي ألمع اليها أثناء الحديث عن المنذورين من بني اسرائيل وان يحيى عليه السلام كان علما من أعلامهم المعدودين وفي ذلك يقول :

---

١ - : تفسير ابن كثير ٣٦١/١

٢ - : التفسير الكبير للفخر الرازى ٣٦/٨ -٣٧

٣ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد رضا ٣/٢٩٧-٢٩٨ دار المعرفة ط٢ ، بالاوفست . وراجع ما ابداه الالوسي في تفسيره : روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ١٤٨/١ ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ م دار الفكر بيروت .

(ولا يشترط في النذرين والنذور أن يهجر العالم ويعتزل الناس في الصوامع ولكنه يراض على حياة التقشف فلا يجوز له شرب الخمر ولا أن يدنس جسده بملامسة الموتى والاجسام المحرمة ، وعليه أن يرسل شعره ولا يحلقه قبل وفاء نذره ان كان منذورا لأجل مسمى .

وقد ينذر الطفل قبل مولده ويمتد نذره طول حياته ويقال عن النذور انه بمثابة النبي في سن الفتوة . قال النبي عاموس بلسان يهوا اله بني اسرائيل "وأقمت من بينكم انبياء ومن فتيانكم نذريين لكنكم سقيتم النذريين خمرا وأوصيتم الانبياء ان يدعوا"

والنبوة هنا بمعنى الانذار بما سيكون

وليس النذيرون طائفة موحدة ولكنهم ينتمون الى كل مذهب يوافق حمية الشباب وهذا الذى جعلهم قوة ذات بال في عصر الميلاد خاصة لانهم جميعا فتيان معمورة قلوبهم بالامل، معقودة نياتهم على الاصلاح ، يؤمنون بانهم رواد الدعوة الى المسيح الموعود ويترقبون ظهوره للترحيب به والاصغاء اليه ولا تحيط بهم طائفة معينة او مذهب محدود .)(١)

ووفق ذلك كله فانه يجب التأكيد على ان يحيى عليه السلام يعتبر من وجهة النظر الاسلامية نبيا جاء لتقويم اعوجاج بني اسرائيل والتبشير بقدوم المسيح عليه السلام .

---

١ - : حياة المسيح ، للعقاد ٢٥٢/١١-٢٥٤

" نظـــرة الاسلام الى الزواج "

=************:=**:

نـــظرة الاسلام الى الزواج

بعد استعراض نظرة الرهبان الى حياة كل من المسيح ويحيى عليهما السـلام ، وموقف الاسلام من هذه القضية .

يأتي الحديث عن نظرة الاسلام الى الزواج وأحكامه في الشريعة الاسلامية ومن ثم التحدث عن مكانته .

فقد سن الاسلام الزواج لحكم عظيمة ومقاصد رفيـــعة وأهداف نبيلة ، وحض الشباب عليه وندب المسلمين اليه ، مبتغيا من وراء ذلك الأمور التالية :

اولا : عمارة الارض ، قال تعالى (هو أنشـــأكم من الأرض واستعمركم فيها) (١).

ثانيا : محافظة على النوع الانساني ، قال تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) (٢).

ثالثا : وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقـــوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا) (٣).

تحصين المجتمع من الانهيار الخلقي

قال عليه الصلاة والسلام (يا معشر الشباب من استطاع منكـــم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطـــع فعليه بالصوم فانه له وجاء) (٤).

رابعا : تسكين النفس البشرية من غلواء الشهوة الجنسية ومتاعب الحياة قال تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٥)

---

١ - هود : ٦١

٢ - النحل : ٧٢

٣ - النساء : ١

٤ - رواه البخارى ٦/ ١١٧ ط١ استنابول

٥ - الروم : ٢١

وقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) .(١)

الى غير ذلك من المقاصد الرفيعة كالمحافظة على الانسان وسلامة المجتمع من الأمراض والتعاون بين الزوجين لبناء الأسرة المسلمة وتأجيج عاطفة الابوة والأمومة ليبقى التراحم سمة المجتمع المسلم).(٢)

لكل ذلك حظى الزواج في الاسلام بمكانة رفيعة ، واهتم العلماء بتوجيه الاحاديث والايات ، واستنبط الفقهاء الاحكام الشرعية من الادلة التفصيلية وبينوها وفق ما أشارت إليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وقد استدل الفقهاء على مشروعية الزواج من الكتاب والسنة :

اما الكتاب فمن قوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك أدنى الا تعولوا).(٣) وقوله تعالى (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم واماتكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم).(٤)

اما السنة فمن قوله صلى الله عليه وسلم (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج).(٥)

ومن خلال مطالعة الأحكام الفقهية يلاحظ أن أقوال الفقهاء تدور حول توقان النفس الى النكاح وعدمه والقدرة على المؤنة وانتفائها .

ولهذا فالنكاح ترد عليه الاحكام الشرعية التالية :

- الواجب - الحرمة والكراهة - السنة ، - الندب والاباحة.(٦)

أما نوع أو صفة الزواج شرعا بحسب طلب الشارع فيعرف عند الفقهاء بحسب احوال الناس ومصالحهم .(٧)

فلا خلاف بين العلماء على ان من تاقت نفسه للنكاح وخشي العنت كالخوف من الوقوع في الزنا يجب في حقه النكاح .(٨)

---

١ - البقرة : ١٨٧ ٢ - راجع ما كتبه المرحوم الشيخ عبد الله ناصح علوان بهذا الخصوص في : تربية الاولاد في الاسلام ١ / ٢٩-٣٢ دار السلام للطباعة والنشر ط٣ ، ١٤٠١ - ١٩٨١م حلب ، بيروت .

٣ - النساء : ٣ ٤ - النور : ٣٢

٥ - رواه البخارى ، وقد تقدم ٦ - الفقه الاسلامي على المذاهب الاربعة ، عبد الرحمن الجزيرى ٤ / ٤ ، دار الارشاد والتأليف مصر .

٧ - الفقه الاسلامي وأدلته ، د . وهبة الزحيلي ٧ / ٣١ دار الفكر بيروت ط ١ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م ٨ - راجع في هذا الصدد : كتاب الافصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ٢ / ١١٠ والمغني لابن قدامه ٦ / ٤٤٦ ، وفتح القدير

ولا فرق بين الوجوب والفرض عند الجمهور هنا (١) . وقد حدد الفقهاء علة الوجوب أو الفرضية في هذه المسالة بأن التحرز عن الزنا فرض ولا يتوصل اليه الا بالنكاح وما لا يتوصل الى الفرض إلا به يكون فرضا .(٢)

اما اذا تيقن الانسان ظلم المرأة والاضرار بها فيما اذا تزوج فان النكاح يحرم عليه ، بان يكون في حالة العجز عن تكاليف الزواج او لا يعدل ان تزوج بزوجة أخرى لأن ما أدى الى الحرام فهو حرام .(٣)

كما يحرم النكاح عند الحنابلة في دار الحرب الا لضرورة ، فاذا كان أسيرا فانه لا يباح له الزواج على أي حال .(٤)

ويكون النكاح مندوبا او مستحبا : وذلك في حال الاعتدال بان يكون الانسان معتدل المزاج بحيث لا يخشى الوقوع في الزنا ان لم يتزوج ولا يخشى ظلم زوجته وحالة الاعتدال هذه غالبة عند أكثر الناس (٥)

= لكمال الدين ابن الهمام ١٨٧/٣ ط١ مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٩ هـ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ٢/٢ دار الفكر مكتبة الخانجي وكذلك : تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي ٩٥/٢ ط ١٣١٣ هـ بولاق ، والبناية على الهداية ٤/ ٩-١٢ ومغني المحتاج ٣ : ١٢٥ لابي زكريا يحيى بن شرف النووي ط ١٣٧٧ هـ

١ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣٢/٧

٢ - راجع المبسوط لشمس الدين السرخسي ١٩٣/٢ ط٢ دار المعرفة
وراجع ما استعرضه بتوسع : احكام الزواج والطلاق في الاسلام ، د بدران ابو العينين بدران ص ٣٦ وما بعدها ط ٣ ١٩٦٤ دار المعارف بمصر .

٣ - الفقه على المذاهب الاربعة ٤/ ٥-٦ والفقه الاسلامي وأدلته ٣٢/٧

٤ - الفقه على المذاهب الاربعة ٧/٤

٥ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣٣/٧

كما لا خلاف بين العلماء على ان النكاح من السنة .(١)

ودليل الجمهور على ذلك قوله عليه السلام (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ...) .(٢)

وما جاء في الصحيح : عن انس بن مالك رضي الله عنه (قال) جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم اما وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) .(٣)

ومع ذلك فقد ذهب الظاهرية كابن حزم وغيره الى القول بفرضية النكاح(٤) الا ان الخلاف بين الفقهاء دار حول مسألة ماذا كان النكاح أفضل أم العبادة في حال الإعتدال .

فقد ذهب الشافعية إلى أن العبادة أفضل من النكاح ،قال الإمام النووي رحمه الله تعالى (وجمهور أصحابنا أن ترك النكاح لهذا والتخلي للعبادة أفضل ولا يقال النكاح مكروه بل تركه افضل) .(٥)

ويستدل الشافعية على ذلك بـ :

١ ـ قوله تعالى في مدح يحيى عليه السلام (.... وسيدا وحصورا)(٦) والحصور الذى لا يأتي النساء مع القدرة على اتيانهن فلو كان الزواج أفضل لما مدح بتركه .

٢ ـ قوله تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين)(٧) .

---

١ ـ راجع : المجموع شرح المهذب ،باب النكاح ص ٢٨٧
وكذلك المبسوط ٢/١٩٣ ، والمغنى لابن قدامه ٣/٣
ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٣/٤٠٣

٢ ـ رواه البخارى وقد تقدم

٣ ـ صحيح البخارى ٦/١١٦

٤ ـ المحلى لابن حزم ٩/٤٤٠ ت : احمد شاكر المكتب التجارى بيروت

٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ٩/١٧٤ المطبعة المصرية ومكتبتها

٦ ـ ال عمران : ٣٩

٧ ـ ال عمران : ١٤

كما انهم قاسوا النكاح على البيع فقالوا : النكاح من الاعمال الدنيوية فهو كالبيع) [١].

(ورد السبكي التعليل الاول : بانه ليس المراد بالاية المستطاب وانما المراد الحلال ؛ لان النساء محرمات باية حرمت عليكم امهاتكم . . .) [٢].

كما رد الاحناف على استشهاد الشافعية بحالة يحي عليه السلام فيما قاله الكمال بن الهمام : (فالأولى في جوابه التمسك بحاله صلى الله عليه وسلم في نفسه ورده على من أراد من أمته التخلي للعبادة فانه صريح في عين المتنازع فيه وهو ما في الصحيحين (وان نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد سألوا ازواجه عن عمله . . . .) الحديث [٣]. فرد هذا الحال ردا مؤكدا حتى تبرأ منه ، وبالجملة فالأفضلية في الاتباع لا فيما يخيل للنفس أنه أفضل نظرا الى ظاهر عبادته ، ولم يكن الله عز وجل يرضى لأشرف أنبيائه إلا بأشرف الأحوال وكان حاله الى الوفاة النكاح . فيستحيل أن يقرره على ترك الأفضل مدة حياته وحال يحيى بن زكريا عليهما السلام كان أفضل في تلك الشريعة وقد نسخت الرهبانية في ملتنا ولو تعارضا قدم (حينئذ) التمسك بحال النبي صلى الله عليه وسلم) [٤].

كما أجاب العيني رحمه الله على ذلك بقوله (والجواب عنه أن الشافعي يرى شرع من قبلنا شرعا لنا فكيف يحتج بما لا يراه ؟ ونحن نقول شرع لنا ما لم ينص الله على انكاره . وقال الشافعي :النكاح معاملة فلا فضل لها على العبادة قلنا : هذا نظر الى ظاهره دون معناه وليس له أن ينظر الى الصورة ويترك المعاني فانه ليس عن أصله ذلك ولو كان التخلي للعبادة خيرا من النكاح نظرا الى صورته ما قطع النبي صلى الله عليه وسلم حكم الصورة بالسنة وليس في مدح يحيى عليه السلام ما يدل على أنه افضل من النكاح فأن مدح الصفة في ذاتها لا يقتضي ذم غيرها وذلك أن النكاح لم يفضل على التخلي للعبادة بصورته وانما تميز عنه بمعناه في تحصين النفس وبقاء الولد الصالح وتحقيق المنة في النسب والصهر فقضاء الشهوة يفي بمصالحه والتيسير بمقاصده وهذا أمر تفطن له أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ومن قال بقوله .) [٥]

---

١ - مغني المحتاج ١٢٥/٣ ٢ - : الفقه الاسلامي وادلته ٣٤/٧

٣ - الحديث في البخاري ١١٦/٦

٤ - فتح القدير على الهداية لابن الهمام ١٨٨/٣-١٨٩

٥ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ٦٦/٢٠ دار احياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، طبعة مصورة عن طبعة ادارة الطباعة المنيرية .

(اما قياس الزواج على البيع فهو قياس مع الفارق ،

اذ أن البيع عقد معاوضة محض والزواج ليس كذلك لان فيه تحصينًا للنفس وحفظها من الوقوع في الفاحشة وفيه حفظ الدين وتحصيل النسل وتكثير الامة وكلها مصالح لا يشتمل عليها البيع ، مما يجعل فعل الزواج راجحا على فعل النوافل وهو ما ذهب اليه اكثر الائمة)[١] .

ولا شك أن ما ذهب اليه الجمهور أرجح وأصوب مما ذهب اليه الشافعية ذلك لأن (من تأمل فيما يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق وتوسعة الباطن بالتحمل في معاشرة أبناء النوع وتربية الولد والقيام بمصالح المسلم العاجز عن القيام بها والنفقة على الاقارب والمستضعفين واعفاف المحرم ونفسه ودفع الفتنة عنه وعنهن ودفع التقتير عنهن بحبسهن لكفا يتهن مؤنة سبب الخروج ثم الاشتغال بتأديب نفسه وتأهيله للعبودية ولتكون هي ايضا سببا لتأهيل غيرها وأمرها بالصلاة .)[٢]

ورغم هذا الخلاف الا ان الشافعية يرون أن الزواج في حالة الاعتدال انما هو مندوب أو مستحب وفي هذا اشارة الى الميل المطلق عموما نحو الزواج وعدم تأييد العزوبة باسم التبتل والعبادة . والله تعالى اعلم .

---

١ - : احكام الزواج والطلاق في الاسلام ص ٣٩

٢ - فتح القدير بن الهمام ٣ / ١٨٩

وراجع في هذا الصدد ايضا : اعلاء السنن ، ظفر احمد العثماني التهانوي ١١ / ٢-٣

مكــانة الزواج في الاســـلام :

من فضائل الاسلام على المجتمع ، اهتمامه بتوجيه المسلمين نحـــو الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، فشرع لهم النكاح وسنه لهم ابتغـــاء العفة والتحصن من الفحشاء ولأسباب اخرى مر ذكرها . .

ولم يكن المسلمون ليخالفوا تعاليم دينهم الحنيف ،

ولهذا فانهم سارعوا الى نهج نبيهم صلى الله عليه وسلم وما كان عليه اخوانه الانبياء عليهم السلام . من سنة النكاح قال تعالى (ولقد ارسلنا رســلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية) . (٢)

قال الامام ابن كثير في تفسير الاية (وكما أرسلنا يا محمد رسولا بشريا كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويأتــون المـــزوجات ويولد لهم وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وقد قال تعالى لاشـــرف الرسل وخاتمهم (قل انما أنا بشر مـــثلكم يوحى الى . .) . (٣)

وروى الامام احمد عن ابي أيوب قال (قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم (أربع من سنن المرسلين : التعطر والنكاح والسواك والحياء) . (٤)

---

١ - الجن : ٢٣

٢ - الرعد : ٣٨

٣ - الكهف : ١١٠ ، وراجع تفسير ابن كثير ٢ : ٥١٨-٥١٩

٤ - : مسند الامام احمد ٥/٤٢١ المكتب الاسلامي / دار الفكر ط بيروت . قال الامام ابن كثير وقد رواه ابو عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع عن حفص عن غياث عن الحجاج عن مكحول عن ابي الشمال عن ابي ايوب فذكره ثم قال وهذا اصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال ولفظه (أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والسواك والنكاح) تفسير ابن كثير ٢ / ٥١٨-٥١٩
وراجع عارضة الاحوذي بشرح صحيح الترمذي ٤ / ٢٩٨ - ٢٩٩ مكتبة المعارف لبنان وقال الاستاذ الارناؤط : هذا رواه احمد والترمذي ورواه ابن ابي خيثمة وغيره من حديث مليح عن ابيه عن جده نحوه ورواه الطبراني من حديث ابن عباس ولعل الترمذي حسنه بهذه الشواهد فقال حديث حسن غريب) : جامــع الاصول في احاديث الرسول ٤ : ٧٩٣ في الهامش .

ويقول الحق تبارك وتعالى (وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم واماثكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم).(٢)[1]

وروى ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عبد العزيز قال بلغني ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : اطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله)(٣)

وعن ابن مسعود : التمسوا الغنى في النكاح : يقول الله تعالى ((ان يكونوا فقراء ...) الاية .(٤)

ومن باب الترغيب في الزواج ايضا فقد عمل الاسلام على تسهيل أمره وتيسير سبله ، اخرج الحاكم بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة حق على الله أن يعينهم : المجاهد في سبيل الله والناكح يريد ان يستعف والمكاتب يريد الاداء) .

قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٥)

وقد درج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على حث بعضهم البعض على النكاح فمن ذلك ما رواه البخارى بسنده عن سعيد بن جبير قال

قال لي ابن عباس : هل تزوجت قلت : لا قال : تزوج فان خير هذه الامة كان اكثرهم نساء يعني النبي صلى الله عليه وسلم) .(٦)

---

١ ـ الايامى الذين لا ازواج لهم من الرجال والنساء . الصحاح للجوهرى مادة) ايم

٢ ـ النور : ٣٢

٣ ـ تفسير ابن كثير ٣/٢٨٦

٤ ـ تفسير ابن كثير ٣/٢٨٦

٥ ـ المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، وقد وافق الحاكم ، انظر ٢ : ١٦٠-١٦١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر مكتب المطبوعات الاسلامية حلب .

٦ ـ اخرجه البخارى في كتاب النكاح باب ٤ الحديث الثالث ٦/١١٨ ط استانبول

يقول الامام العيني رحمه الله في معنى (فان خير هذه الامة ...) المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اكثر نساء من غيره ، و الامة:الجماعة) (١)

وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه الى اختيار الزوجة صاحبة الخلق والدين ، فعن ابى هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تنكح المرأة لاربع ،لمالها ،ولحسبها ،ولجمالها ، ولدينها ،فاظفر بذات الدين تربت يداك) (٢).

كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم صفات اخرى للمرأة المراد الزواج بها ، ومن ذلك ما رواه ابو داود عن معقل بن يسار ،قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اني اصبت امرأة ذات حسب وجمال وأنها لا تلد افأتزوجها ؟ قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال : تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم) (٣).

---

١ - : عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، بدر الدين العيني ٢٠ / ٧٠

٢ - صحيح البخارى ٦ /ض ١٢٣

٣ - : مختصر سنن ابي داود ، للحافظ المنذرى ٣ /٦ ، ت : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية .

وفيه قال الامام السخاوى : اخرج ابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعا : تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم .

ولاحمد وسعيد ابن منصور والطبراني في الاوسط والبيهقي واخرين من حديث حفص بن عمر اخي انس عن عمه انس قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول : تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وصححه ابن حبان والحاكم ....)

: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة ، للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى ص ١٦٥ ، ت: عبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

نهـــي الاسلام عن التبتـــل والخصاء :

في حـــدود هذه التوجيهات يلاحظ ان الوسيلة النظيفة التي وضعها الاسلام للغاية السامية ، تعطي الطاقة الكامنة في الانسان الحرية في اداء مهمتها التي انيطت بها ، فلم يعمل على كبتها أو حرمانها من اداء وظيفتها وفق ما أمـــر الله به ، وذلك حتى لا ينقلب أثرها رأسا على عقب ، فتلحق بصاحبها أفدح الضرر . ماديا ومعنويا .

وصحيح أن الاسلام أتاح لهذه الطاقة حرية العمل ، إلا أنه لم يوسع من دائرتها بل وضع لها ضوابط ، خاصة فيما يتعلق بمرحلة المراهقة .

وقد مـــر في السابق توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للشباب ، وذلـــك لمراعاة هذا الضابط في حال عدم القدرة على الزواج .

فالصوم هو الضابط الضروري لمعالجة ما كمن النفس التواقة الى ممارســـة الوظيفة الجنسية في هذه الحالة ، ولأنه أنجع الوسائل لدرء مخاطر دفقة الجســـد وعنفوان الطاقة .

ولأن الصوم أقدر على ضبط هذه الطاقة من أي وسيلة أخرى ، فقد أختير كوسيلة امضى واضمن من الخصاء او التبتل .

والرهبانية حينما فرضـــــــــت التبتل أو أقرت بالخصاء فانما تكـــون بذلك قد حرمت الناس من أداء وتعطيل المنحة الربانية التي وهبها الله تعالـــى للبشر ، من اجل عمارة الارض ولن يكون ذلك الا بالتناسل .

ولهذا نرى الأحاديث الكثيرة تدور حول هذا المفهوم فمن ذلك مـــا رواه الامام البخارى بسنده عن سعيد بن المسيب قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن لـــه لاختصينا) (١) .

و في رواية له عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا يارسول الله ألا نختصي فنهانا عن ذلك) (٢) .

والمراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النساء وترك التزويج أما معنى قوله تعالى (وتبتل اليه تبتيلا) فالمراد الانقطاع اليه والتعبد لا ترك الزواج فإنه لم يؤمر به

---

١ - صحيح الامام البخارى ٦ / ١١٨-١١٩

٢ - المرجع السابق ٦ / ١١٩

النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله : الخصاء بكسر الخاء وبالمد مصدر خصي الفحل اذا سللت خصيته . . .) [(١)].

وقد استشهد الامام ابن حجر بما أخرجه الطبراني من حديث عثمان بن مظعون نفسه أنه قال (يارسول الله اني رجل يشق على العزوبة فاذن لي في الخصاء قال : لا ولكن عليك بالصوم) الحديث . ومن طريق سعيد بن العاص . (ان عثمان قال : يارسول الله ائذن لي في الخصاء فقال : ان الله قد ابدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة) [(٢)]

ويعقب ابن حجر على ذلك بان الحكمة في منعهم من الاختصاء : (ارادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار والا لو اذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية) [(٣)]

ومن المفاسد أيضا : (تعذيب النفس ، والتشويه مع ادخال الضرر الذى قد يفضي الى الهلاك ، وفيه ابطال معنى الرجولية وتغيير خلق الله وكفر النعمة ، لأن خلق الشخص رجلا من النعم العظيمة . . .) [(٤)]

هـــذا ولا ينبغي السماح لمدع أن ينال من حث الاسلام على النكـــاح والـــترغيب فيه بدعوى أن هذا النهج يؤدى الى الانغماس في الملذات والغـــرق في الشهوات التي تسيطر على حياة الانسان ، فتدعه يخلد الى الدعة والكسل .

فهذه الشبهة وغيرها تنتفي [(٥)] بمجرد معرفة اهداف الاسلام العليا والغرض من وجود الانسان في هذه الحياة ، وكما وضع الاسلام ضوابط لمرحلة ما قبل الزواج

---

١ - : عمدة القارى ٢٠ / ٧٣

٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ بن حجر ١١ / ١٩ ، مصطفـــى البابي الحلبي ١٣٧٨هـ

٣ - المصدر السابق .

٤ - : منهج السنة في الزواج . د . محمد الأحمدى ابو النور ص ٤٨ ط ١ دار النصر للطباعة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م ، القاهرة .

٥ - انظر الى تلك التربية التي أُخرجت نماذج فريدة من الرجال وذلك في محاضرة عبادة بن الصامت في رده على المقوقس الذى أراد اخافة المسلمين حين قال : (وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة والا يرده الى بلده ولا الى اهله وولده ، وليس لاحد منا هَمٌّ فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه

كذلك فعل بالنسبة لما بعده ، وتوجيهاته في هذا الباب كثيرة و متعددة

والاسلام بخصائص تصوره الفريدة فسر حقيقة هذا الوجود وبين أهمية ارتباط الانسان بما حوله من موجودات كما بين أهمية ارتباطه بخالقه من خلال القرآن الذى أنزله الله تبارك وتعالى دستورا لهداية الخلق .

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة وضعا الوسائل الناجعة لتحقيق هذه الاهداف ، واوجدا البدائل والحلول للمشاكل الانسانية التي عانت وتعاني منها البشرية .

والمشكلة التي يدور البحث حولها ، وهي ظاهرة الرهبنة ، قد أوجد الاسلام نهجا وطريقا أفضل منها وأسلم .

وهذا ما سيعالج أثناء الحديث عن : موقف الاسلام من ابتداع الرهبانية وحكمه عليها ، ان شاء الله تعالى . وذلك بعد استيفاء الحديث عن الجوانب المتعلقة بالرهبانية وتطوراتها ، وما رافقها من مشاكل . وهو موضوع الفصول القادمة .

= أهله وولده ، وانما همنا ما أهمنا ، وأما (قولك) إنّا في ضيق من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لأنفسنا منها أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذى تريد فبينه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم) . ـــ : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، ت : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١ : ١١٢-١١٣ دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م ط١

هكذا يربي الاسلام أجياله ، وهكذا يعيش المسلمون من أجل دينهم فلا يضيعونه من أجل دنياهم ولو فتحت عليهم زخارفها ، فلا يأخذون منها الا بقدر حاجتهم وما يعينهم في اداء رسالتهم .

الفصل الخامس

أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية

واجهت دعوة عيسى عليه السلام كثيرا من المحن والصعوبات ، التي كانت سببا في عدم استمرارها مدة طويلة .

وتأتي مواقف اليهود المعلنة والمبيتة في طليعة المؤامرات التي حيكت لهذا الغرض وقد تقدم الحديث عن هذا الجانب في الفصول السابقة .

وقد انتقلت المحن والاضطهادات التي نزلت بأتباع عيسى عليه السلام الى يد الرومان[1] الذين مارسوا أبشع أنواع التعذيب النفسي والجسدي ، الأمر الذي أثر بشكل خطير على الملتزمين من جهة وعلى الذين أعقبوهم ، كما امتد الخطر أيضا الى الانجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام حيث تعرض في زحمة النكبات الى التحريف والتبديل[2] ، مما ادى الى اختلاط التعاليم الصحيحة بالآراء والمعتقدات الوثنية وغيرها .

وبشكل عام كانت المحن ابان عهد الاباطرة وحتى بداية القرن الرابع الميلادي (٣٢٥م) بيئة صالحة وأرضا خصبة لزرع مفهوم الرهبانية ونموها وذلك نتيجة لهرب المضطهدين الى البراري والجبال من بطش اعدائهم .

ومن الصور التي ينقلها المسيحيون عن هذه الاضطهادات ما جاء في كلام الأب البير أبونا حيث يقول (كانت المسيحية حتى قبيل مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ تعيش تحت وطأة الاضطهاد وعلى هامش الحياة العامة ، فكان على المسيحي أن يختار البطولة والتضحية وأن يستعد في كل حين للشهادة ، يدلي بمسيحيته امام الملوك والولاة ويبذل دمه في سبيل الحقيقة فكانت فكرة الاستشهاد ترافق المسيحي دوما ولا تسمح بان يتعلق قلبه بحطام الدنيا أو مجدها أومناصبها الرفيعة ، فكان الله همه الوحيد وهو يصبوا دوما الى ساعة الجهاد الأخيرة التي فيها يتحرر من قيود الجسد وينضم الى المسيح في المجد ، هكذا قبل أن تتكون الحياة الرهبانية باطارها القانوني كان المسيحيون يعيشون بحسب روحها وكان الشهيد يحقق فكرة الراهب بتجرده عن كل شيء وباعطائه ذاته لله حتى الموت)[3] .

---

١ - راجع : ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، د . احمد سوسة ، مركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد ، ط ١٩٧٨

٢ - راجع : محاضرات في النصرانية لابي زهرة عن تاريخ كتابة الأناجيل المزورة واثر الاضطهادات في التحريف والتبديل ، ص ٣٥ وما بعدها .

٣ - تاريخ الكنيسة الشرقية ، ألبير أبونا ص ١٦٥

وفي هذا اعتراف واضح ان الرهبانية لم تكن موجودة على النمط الذى اتخذه المسيحيون فيما بعد والذى طوروا فيه ديانتهم لتتجه نحو الابتداع وهو ما سيتضح فيما بعد .

ومن ناحية أخرى فان النظرة الاسلامية الى هذه الاضطهادات كانت في محلها ، حيث يعترف المسلمون بأن النكبات قد وقعت باتباع المسيح عليه السلام ، كما وقعت وتقع باصحاب كل دعوة ورسالة سماوية ، وان ذلك من سنن الله تبارك وتعالى ، (الم ، أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .(٢)

هذا وقد تتبع المؤرخون الأحداث التي رافقت عمليات التعذيب وانواعها ، وما نجم عنها من هرب ونزوح من قبل اتباع المسيح عليه السلام ومن ذلك ما ينقله داوني حيث يقول :

(وعند ما بدأ ظهور الاضطهاد في القدس ، بعد اعدام استفانوس فر من المدينة كثير من اتباع السيد المسيح وأوغلوا في سفرهم حتى بلغوا فينقيا وقبرص وانطاكية).(٣)

ويوضح ولز صورة الاتهامات والعقوبات التي كان يلقاها هؤلاء ومن ذلك أن جريمة المعارضين للوثنية (في عرف الاباطرة (كانت) بمنزلة الخيانة العظمى وتجازى بالاعدام فان صح انه كان رجلا ذا مرتبه وعلم فان تلك الظروف ما كانت لتزيد في جرمه واذا هو يحرق أو قل يشوى على نار بطيئة واذا بجلاديه وقد امتلأوا حماسة للانتقام للاهانة الشخصية التي لحقت بالاباطرة يفتنون في إنزال العذاب ألوانا بالمسكين دون أن يستطيعوا لصبره قهرا ، وأن يغيروا من ابتسامة الثبات والزراية التي ظل محتفظا بها على محياه) .(٤)

---

١ - روى الامام مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن قصة الراهب والغلام ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨ / ١٣٠ ، وهو الحديث الذى يشير الى قصة اصحاب الأخدود وقد بسط المفسرون المسلمون القول في أسباب نزول سورة البروج التي وردت في القرآن الكريم ، راجع في ذلك : التفسير الكبير للفخر الرازى ٣١ / ١١٧ وما جاء فيه حول هذا الموضوع ، كما ان الامام ابن كثير أورد احاديث عدة ونقل روايات مختلفة عن الحادثة وقد انتهى الى القول بأن أحداث القصة كانت في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام مستندا الى ما جاء في رواية ابن اسحق . انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٤٩٢ وما بعدها .

٢ - العنكبوت : ١ - ٣

٣ - . جم : انطاكية القديمة ، جلانفيل داوني ، ت : ابراهيم نصحي ص ١٥٨ ط ١٩٦٧ القاهرة

٤ - معالم تاريخ الانسانية ، ولز ٣ / ٧١٥

ولم يقتصر الأمر على ذلك اذ (ان السلطات بذلت جهدا كبيرا في تصيد نسخ الكتب المقدسة كما حدث أيضا في أماكن كثيرة هدم فيها معظم الكنائس كما ملئت السجون بالاساقفة والقساوسة المسيحيين . . . . وكانت هناك تهم مدنية عديدة توجه في آن واحد الى المؤمنين لتهويل الأمر عليهم نذكر منها :

الانتساب الى دين غير مشروع

الانتماء لجماعات سرية ، والتآمر على الحاكم

رفض اطاعة الاوامر ، ان كانوا جندا والتهرب من واجبات الحياة العامة والخاصة بل وممارسة السحر . (١)

وينقل ابن العبرى أسماء (٢) الاباطرة الرومان الذين تقلدوا الحكم من زمن اضطهاد المسيحيين حتى بداية القرن الرابع الميلادى أي الى زمن تولى قسطنطين مقاليد الأمبراطورية والتي انتهت على أيديه أيام التعذيب .

ومن بين هؤلاء الأباطرة :

الاسم :	مدة الحكم
نيرون	١٤
طريانوس	١٩
سوريانس قيصر	١٨
مكسيميانوس قيصر	٣
فيليبوس قيصر	٣
ارلا رينوس قيصر	٩
اورليميوس قيصر	٦
ديوقليديانوس قيصر	٢٠

الى جانب هؤلاء (٣) هناك فليريان وجاليير وديدكلسيان وتراجان ، وطيباريوس (٤)

---

١ - راجع في ذلك ، المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنيبير ١٦٩ وما نقله عن تعذيب نيرون لهم وايقاد أجسام ضحاياه وجعلها مشاعل للسير على ضوئها ، وذلك في: محاضرات في النصرانية ص ٣٥ وكذلك ، المسيحية د . شلبي ص ٧٠ وما بعدها .

٢ - تاريخ مختصر الدول ، غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبرى من ص ٦٩ الى ص ٧٨ ، ط٢ ٣ - المسيحية ، جنيبير ص ١٦٩ ، ومحاضرات في النصرانية ص ٣٤

وعليه فان الأحداث الدامية لم تكن لتمر دون أن تترك أثرا نفسيا صعبا على المضطهدين ، خاصة بعد انقضاء الفتن واضمحلال المحن ولم تكن عهود السلام اللاحقة لتبشر بتقدم ملموس نحو ديانة قائمة على التوحيد الخالص ونبذ كل ما يمت الى العقائد الوثنية والاجنبية بصلة .

فما إن صدر مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ م (حتى حل السلام في الكنيسة وأصبحت المسيحية ديانة معترفا بها . . .

ثم غدت دين الأباطرة الرومان وشعوبهم . . . فلم يعد المسيحي يلاقي غبنا من جراء دينه بل اكراما وجاها ، بيد أن هذه الحالة أثارت في فكر المسيحيين تساؤلات كثيرة ، : هل يمكن للمسيحي وهو في العالم أن يتبع المسيح بحمل الصليب ؟ وهل يمكنه في وسط العالم أن يحقق خلاص نفسه ؟ . وكان جواب كثيرين منهم نفيا) .[1]

هذه الاسئلة لم تكن لتطرح لولا الإنحراف العقدى الذى تكلمت فصول البحث عنه في السابق ، والتي تمت على أيدى بولس ومن سار على نهجه ، ذلك النهج الذى ألزم الأتباع بما لا يطاق حتى جاءت الاجابات الكثيرة بعدم القدرة على السير وراء المسيح كما يعتقدون .

ومعنى ذلك أن هذه السدود التي وضعت في طريق الدعوة الصحيحة ما هي الا حركات مفتعلة للوصول الى حافة الانهيار .

وهذه هي النتيجة التي وصل اليها المسيحيون ، وبعدها تمخضت قرائحهم عن البدع التي ابتلوا بها فماذا حصل يا ترى؟:

يجيب الأب البير على ذلك فيقول (واذ تضاءل أمام المسيحيين حقل الجهاد والكفاح في سبيل دينهم والذود عنه ، شعروا أن ثمة شهادة أخرى غير شهادة الدم ، يتحتم عليهم آداؤها ، لاسيما وأنهم لاحظوا أن جموع المؤمنين وجماهير الهواة المتفرجين شرعوا يغزون مواضع الصلاة ، ففتشوا عن وسيلة تمكنهم من اداء الشهادة للمسيح)[2]

فالتفتيش هنا هو مربط الفرس في الموضوع ، وهو القضية الرئيسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار لما تنطوى عليه من أدلة تثبت ابتداع المسيحيين للرهبانية

---

١ - تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١٦٦

٢ - المرجع السابق .

مصداقـا لقوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ....) (١).

وسيتعرض البحث لجوانب هذا الابتداع اثناء الحديث عن موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها .

فلم يكن تفتيش هؤلاء الهواة عن وسيلة نابعة من اتباع نص شرعي صادر عن مصدر سماوى أو وحي السهي ، ولم يكن هذا التفتيش كذلك معمولا به قبـل هذا الوقت بل كان الجهاد والكفاح حسب ما مر سالفا هو الذائع بين الاوائـل الذين ضحوا وقدموا الدماء والأرواح خالصة .

بل يمكن وصف هذه النزعة بما يسمى فورة الشباب المتحمس لاى جديد دون اجتهاد مبني على أسس سليمة ، لهذا جاءت نتائج أعمالهم بناء علـى مقدمات فاسدة . فما الداعي الى سلوك هذا الطريق الوعر دون الرجوع الـى المصدر الأساسي للتشريع ، ثم كيف يرجعون الى الشريعة وقد تم تحريـف نصوصها وعمل على تزويرها ؟، إنه لسؤال صعب بالفعل ....

ففي غياب النص الشرعي و وجود التحريف والانحراف العقدى الذى جلل الأناجيل والرسائل ، فإن حتمية الإبتداع لا شك واقعة ، الأمر الذى ترتب عليـه عملية تعطيل الجهاد وايقاف حركة الدعوة .

يقول الأب السبير أبونا (... واذا بهم ينفردون في عزلة عن النـاس في أماكن بعيدة عن ضوضاء العالم يعكفون على الصوم والصلاة ، وهناك مـن يقول إن الأمر الذى دعا بعض المسيحيين الى اعتزال العالم ليس الاضطهادات ولا الخوف من تسرب روح العالم اليهم إنما هي الرغبة في تحقيق مثل التنسـك العليا ، وفي الكرازة بالقول والحياة ، فبعد ان بشرت الكنيسة المدن ، توجهت الى البرارى برهبانها وكانت فكرة التنسك تراود كل مسيحي يريد امتثال المشورات الانجيلية ، وقد أدت هذه الرغبة ببعض المسيحيين منذ القرن الثالث الى الانفصال عن المجتمع جزئيا أو كليا في المعتزلات النائية في البرارى والجبال) (٢).

وهكـذا يتبين كيف نسجت الرهبانية خيوطها ، التي بنت عليهـا صرحها ، فكان الاساس واهيا، فلا المسيح أمر أتباعه بالانعزال في البرارى والجبال . ولم يقل لهم التمسوا قوانين عزلتكم ممن جاء قبلكم من الرهبان ولم يقل لهم حرمـوا

---

١ ـ الحديد : ٢٧

٢ ـ تاريخ الكنيسة الشرقية ، ص ١٦٦-١٦٧

ما أردتم أو حللوا ما ترون ، بحسب اهوائكم . .

ولو عرضت اعمالهم عليه لتبرأ منهم ولنبذ افكارهم وترهاتهم . ويكفـــي انهم دعوا الى تعطيل الحياة واتخاذ سبيل السلبية طريقا ومسلكا في حيـــن أنه عليه السلام لم يهدأ ولـــم يكل من أجل انفاذ ما أمره الله به .

من هنا يتبين كذلك أن الرهبانية تأسست مسيحية ، وسوف نرى كيف نمت وترعرعت بغذاء ومدد اجنبي ، وان هذا الابتداع الداخلي لم يكن ليستمر لولا وجود العوامل الخارجية والتيارات الاجنبية التي أمدته بالقوانين والانظمة المرعية لديها .

الفصل السادس : الانظمة والقوانين الديرية : نشأتها ، تطورها اثارها ، ونقدها

لم ينتظم عقد الرهبانية المسيحية كطبقة لها نفوذ واسع وسلطة عريضة الا بعد تطورات عديدة شهدتها الكنيسة وأتباعها .

فقد بدأت حركة الرهبان حركة فردية كحالة منفصلة عن الواقع القائم ابان عصر الحواريين الذى اتسم بالجهاد والاستشهاد ، وهذه الحركة الفردية لم يكن يربطها اى رابط فيما بينها ولا يجمعها اى تنظيم معين ، الا ان سمات الاتصال الخارجي بالفكر الغربي تظهر من خلال التطورات التي اعقبت هذه الحركة .

ويمكن متابعة التسلسل الذى مرت به الرهبانية عبر التعرف على بذورها الاولى التي بدأت في مصر . فمن هذه المراحل :

اولا : أوائل التنظيمات الديرية

يعتبر "انطونيوس"(١) (٢٥١-٣٥٦م) مفتتح الطريقة النسكية مع نداء الانبا بولس (٣٤٧م) الذى اختار الصحراء الشرقية في مصر مقرا له وسكن مغارة هناك مدة تسعين سنة .(٢)

وعليه فإن الظاهرة قد بدأت في مصر على يد هذا الأخير ، وهناك من يرى أنه قبل انطونيوس وجد (مسيحيون متواريين في ضاحيات مدنهم منفردين . . . يعيشون حياة العزلة ، وانطونيوس نفسه عند ما رفض حياة العالم كان على علم بواحد من اولئك النساك كان يعيش منذ سنين طويلة في ضاحية : "كيمو" (Quemau)(٣)

وتتلخص سيرة انطونيوس هذا بأنه (شاب أمي من أنحاء طيبة الدنيا ، وزع أملاكه الموروثة وهجر أسرته ووطنه ، ونفذ كفارة الرهبنة في تعصب أصيل جرئ ذلك أنه بعد أن قضى فترة طويلة شاقة في إعداد نفسه للرهبنة بين القبور وفي برج

---

١ - ولد سنة ٢٥١ في حضن عائلة مسيحية ثرية في بلدة قمن أو (قيمان) من أعمال مركز الواسطي التي تقع على بعد نحو ٩٠ كلم جنوبي القاهرة المصرية ولم يكن مصرى الأصل بل إبن مهاجرين يونان سكنوا مصر وأبواه مسيحيان أثريا من التجارة) انظر : تاريخ الكنيسة الشرقية ١٦٨/١

٢ - المرجع السابق . وراجع كذلك : معالم تاريخ العصور الوسطى ، محمد رفعت واحمد حسونة ص ١٠٥ ط ٢ ١٩٢٦ ، مصر

٣ - التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ، الأب محفوظ ص ٣٤ . ويميل ديورانت الى القول بأن انطونيوس هذا لربما تأثر بالمبشرين الذين أرسلهم أشوكا الى الشرق وكذلك بالجماعات اليونانية (السرابيين والمتنسطين) أو الاسينيين اليهود)) انظر : قصة الحضارة ٤/١ : ١١٩

خرب مهجور ، تغلغل في جرأة داخل الصحراء في رحلة ثلاثة أيـــام الى الشرق من نهر النيل ، حتى اكتشف بقعـة منعزلة يتوفر فيها الظل والماء ، ، واستقر أخيرا فوق جبل قلزم الى الغرب من البحر الأحمر ، حيث لا يزال هنـاك دير قديم يحمل اسم القديس وذكراه ، ولحقه المسيحيون الى الصحراء) .(١)

وقد تكاثر عدد الرهبان وازدادت معهم صوامعهم فوق (رمـــال ليبيا وعلى صخور طيبة وفي مدن وادى النيل والى الجنوب من الاسكندرية استوطن خمسة الاف من النساك جبل النطرون (NITRIA)والصحراء المجاورة ولا يـــزال في مقدور الجائل أن يطالع خرائب خمسين ديرا أقامها تلاميذ أنطونيوس فـــي تلك التربة الجرداء)(٢) .

وقد أوجد هذا الراهب نوعين من النسك الرهباني هما : الحبسـاء والسياح (٣) .

وهكـذا يتضح أن هذا المسلك إتسم بالنسك الفردى الذى يعيـــش الراهب فيه عزلة لوحده منفرداً عن غيره .

وقد لاقى هذا النوع انتقادات من قبل بقية الرهبان الآخرين : وذلك لما ينطوى عليه من خلل واضطراب كبيرين (وعلى كثيرمن الأخطار كما في الروحـيات (الروحانيات) كذلك في الماديات : إن حياة العزلة التامة ليست علميا خلاصية إلا لبعض الأنفس المحظوظة الخارقة في التقوى (على حد تعبير الأب محفوظ) فالناسك في قلايته لم يكن له الفرصة ليمارس فضيلة الطاعة (كما يسمونها) أو أن يتم فرض المحبة نحو القريب . فضيلة جوهرية انجيلية

. . . وهكذا كان هناك متوحدون (منفردون) يمارسون تقشفات جسدية في اغراق غريب فيتعرضون للمجيد الباطل اذ يعتبرون أنفسهم أكمل من السوى فبهذه الخطة انحرفت الرهبنة عن خط الكمال الذى رسمه لها الرهبان الاولون) .(٤)

وهكذا أيضا تكون الإعتراضات واردة داخل المجتمع الرهباني المسيحي نفسه أما الصورة التي ينقلها الرهبان عـــن أنطونيوس فهي كثيرة جدا ، ويغلب عليها الطابع المغالي .(٥) الا ان النتيجة التي يخرج منها المرء :(ان هؤلاء الذين

---

١ - : " اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ادوارد جيبون ، ت:لويس اسكندر ٢/ ٣١٩ - ٣٢٠ دار الكتاب العربي للطباعة ١٩٦٩ مصر .

٢ - المرجع السابق وانظر كذلك : تاريخ أهل الذمة في العراق ، د . توفيق سلطان اليوزبكي ص ٢٧٣-٢٧٩ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣-١٩٨٣ط١ العراق .

٣ - بستان الرهبان لعدد من آباء الكنيسة ص ٥

٤ - التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ٣٦ ٥ - تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٢٧٣

تنسكوا على طريقة انطونيوس ظلوا بغير قانون ثابت يجمعهم وانما جمعتهم شخصية معلمهم الذى أمرهم بالطاعة لرئيس الدير والخضوع له وفرض عليهم القيام بتوفير الطعام والكساء بايديهم ومنع الرهبان من الاشتراك في الحياة العامة والزواج) (١).

الرهبانية الجماعية :

العزلة التامة التي قررها أنطونيوس حرمت الكثيرين من نعم الله تعالى التي انعمها على البشر ، فأورثهم جفوة في القلوب وتحجرا في الطباع لبعدهم عن قرنائهم واخوانهم في الانسانية مما أدى بالبعض الى مج هذه الطريقة ولفظ هذا الاسلوب اذ (أحس النساك أن كثيرين من المدعوين الى هذه الحياة ... لا يسعهم العيش في العزلة التامة ، وأنهم بحاجة الى اخوتهم ليتلقوا منهم العطف والمساعدة لحياتهم الروحية واذ بالحياة الرهبانية تخطو خطوة كبيرة على يد ... باخوميوس . (٢)

لقد استطاع هذا الأخير وضع أول قانون رهباني ألزم أتباعه به وهدد اتباعه قائلا (لن أتمسك بكم اذا لم تتقيدوا بجميع التعليمات التي اعطيتكم) (٣) .

ان هذا التهديد يوحي ببداية الطغيان الروحي والنفسي الذى مارسه آباء الرهبان الأوائل على أتباعهم ، وهذا ما أدى الى قبول أي قانون أو نظام يصدر عن باخوميوس وأندادہ الاخرين .

وقد أضاف باخوميوس الى نظامه مبدأ الحياة الجماعية والمساواة في السلوك بين الرهبان ، فمن المقررات التي أرساها ـ:الطاعة له وللآب الأباتي وأصبح الأباتي هو الرئيس بالمعنى القانوني للكلمة فسلطته هي الأقوى وما من أمر يتم في الدير بدون اذنه ومنذئذ فالراهب الباخوي لن يستطيع تنفيذ أمر على هواه ولا يمكنه أن يترك الدير دون أن يلتمس مسبقا الإذن فيحصل عليه من قبل الرئيس وكل تلكوء منه عن الإجتماعات العامة دون إذن الرئيس تعرض للوم الشديد) (٤).

---

١ ـ تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٢٧٣-٢٧٩

٢ ـ كان فلاحا، سرح سنة ٣١٤ م من الجندية وكان ذ ووه وثنيين يسكنون في ضواحي اسنيه الى الجنوب من طيبة ، واهتدى الى الديانة المسيحية وتلقى العلم على يد فالمون بالقرب من خنيبوسكيون (قصر السيد اليوم) راجع : تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١ : ١٧٠ وقصة الحضارة ٤/١ ١١٩

٣ ـ التنظيم الرهباني ص ٣٧

٤ ـ المرجع السابق .

ومن ذلك الحين تبدأ ولادة السلطة الجديدة التي ستظهر فيما بعد كقوة أكبر ولتبنى على أساسها سلطة الكنيسة العليا التي مهدت لظهور الطيفان الكنسي بشتى أنواعه . والتي تمثلت بسلطة البابا في روما .

وفيما بعد، إنضمت الى القانون الباخومي عدة ديارات انجذبت بفعل الحماس الذى أبداه الاتباع اضافة الى الاديرة التي انشأها النساء (١)

وقد منح الرئيس العام للأديرة سلطة المراقبة على حفظ القوانين في الأديرة ، و مهام القبول النهائي في جمعية الرهبان وكذلك فرض العقوبات (٢) .

وقد كان لإنتشار الأديرة وكثرة عدد الرهبان في المدن والأقاليم المختلفة فرصة كبيرة لولادة المجامع الدينية ، فقد أمر باخوميوس جميع الرؤساء وجميع (الأخوة من الرهبان) أن يجتمعوا مرتين في السنة وفي الثالث عشر من آب ، ليتحققوا من حفظ القوانين في الجمعية كلها) . (٣)

وهكذا تمت في عهد باخوميوس ولادة السلطة الكهنوتية عن طريق تحكم رئيس الدير بالرهبان وتحكم المجامع بالتشريعات والقوانين .

ـ الجمع بين الطريقة الفردية والجماعية :

وقد تابع سيرة باخوميوس راهبان هما: بقول (BGOUL) وابن أخيه شنودى (SChEmouoli ٣٨٨م اللذان إتسمت طريقتهما بالقسوة . إذ ابتدع شنودي هذا أمرًا لم يكن على عهد سابقيه فقد فرض على جميع رهبانه منذ توليه السلطة في ادارة الجمعية عهدا بالطاعة خطيا . ومبدأ كهذا يعتبر من الامور الخطيرة إذ يترتب عليه مسائل تتعلق بقضية الولاء (٤) وهو ما سيشار اليه فيما بعد ان شاء الله .

كما جمع هذا الاخير بين العزلة والحياة الجماعية معتبرا الثانية مرحلة لتثقيف بعض النفوس المختارة (٥) .

---

١ ـ تاريخ الكنيسة الشرقية ١-: ١٧٠

٢ ـ التنظيم الرهباني ص ٣٨

٣ ـ المرجع السابق ص ٤٠

٤ ـ المرجع السابق ص ٤١

٥ ـ المرجع السابق

ومن مصـــر انتقلت الحياة الرهبانية وقوانينها الى كل من فلسطين وبلاد الشام والعراق وآسـيا الصغرى .[١] [٢]

(وقد أدخل " هيلاريون الغزى الحياة الرهبانية في فلسطين في القرن الرابع وفي القرن الخامس اشتهر أوطيمس (٤٧٣) م كأب للرهبانية في الأرض المقدسة وفي الجبال المجاورة لانطاكية في سورية الغربية وفي برية كليسيس (طبيعة السورية) نشـأت فرق عديدة من النساك . ولديهم قضى يوحنا الذهبي الفم والقديـــس هيرونيمس ردحا من الزمن .

اما في آسـيا الصغرى والمناطق المجاورة (فقد انتشرت الحياة الرهبانية بواسطة اوسطاثيس مطران سبسطية في ارمينية نحو ٣٨٠ وبالاخص بواسطة تلميـــذه الشهير . . باسيليوس مطران قيصرية قبدوقية واليه يعود الفضل في سن قانونـــي الحياة الرهبانية : القانون الكبير ، والقانون الموجز ، (وقد) اصبحا عمادا للقوانين التي وضعها المـؤسسون الاخرون في الاجيال اللاحقة)[٣] .

كما أدخل اثناسيوس فكرة الرهبنة وممارستها في رومة حيث فتح تلاميذ انطونيوس مدرسة لهذه الفلسفة الجديدة حين رافقوا مطرانهم الى أعتاب الفاتيكان وأثار المظهر الهمجي الغريب لهؤلاء المصريين في أول الأمر فزع الناس واحتقارهم ولكنه دفـعهم في النهاية الى استحسانه والتحمس لتقـليده وحول أعضاء السناتو والسيدات الثريات بنوع خاص قصورهم وقلايتهم الى بيوت دينية)[٤]

وهكذا توسعت الأديرة وازدادت أعداد الرهبان ازديـــاداً مضطردا في الشرق والغرب وتنوعت القوانين الرهبانية واختلفت من دير الى آخر حسب ما ذهبت اليه كل نحلة أو فرقة من الفرق النصرانية .[٥]

وقبـــل التوسع في دراسة القوانين الديرية ، ينبغي التوقف قليـــلا لملاحظة أسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد الرهبان .

---

١ ـ راجع : معالم تاريخ أوروبـــا في العصور الوسطى ، د . محمود سعيد عمران ص ١٦٠ ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٢م .

٢ ـ انظر : تاريخ أهل الذمة في العراق ٢٧٣-٢٧٩

٣ ـ تاريخ الكنيسة الشرقية ١ / ١٧١

٤ ـ اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ٢ / ٣٢٠-٣٢١

٥ ـ مع الاخذ بعين الاعتبار ان " البروتستانت" انتقدوا انظمة الاديرة لما كان يتخللها من فساد خلقي تفشى بين الرهبان نظرا لتحريم الزواج انظر : تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر ص ٣٦٨

ثانيـــا :

أسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد عدد الرهبان :

قد يتساءل المرء عن الأسباب التي تدفع آلافاً الى اعتناق مبدأ الرهبانية مع ما يرافق تلك الحياة من تقشف وعزلة وصعوبة في العيش ، ولا شك أن هناك دوافع كثيرة ساعدت بشكل أو بآخر على سرعة نمو هذا النمط من الحياة وأسهمت الى حـــد بعيد في انتشار هذه الظاهرة التي بدأت فردية وأخذت تنمو حتى تعدد تطرق حياتها وتشعبت سبلها .

وقد توغل جيبون في دراســة هذه الظاهرة نظرا لمعرفته وخبرتـــه بخفايا المجتمع المسيحي وخبايا الأوضاع الشاذة التي رافقت تطور المسيحية ، ونموها .

وقد حلل أسباب سرعة انتشار الرهبانية وذيوع امرها ، وقد جاء مطابقا للواقع مجيبا فيه على اسئلة تخفى على الكثير من العلماء فمن ذلك قوله :

(هؤلاء التعساء الذين اعتزلوا الحياة الاجتماعية كانوا مدفوعيـــن الى حياة الرهبنة بدافع من العبقرية الخرافية ، وهي عبقرية مبهمة لا تخبو نارها وكان عزمهم المشترك يستند الى المثل الذى ضربه ملايين من الجنسين ، مـــن كل عمر ، ومن كل مرتبة ، وكان كل مهتد من الداخلين الى رحاب الدير ، مقتنعا بأنه عبر الطريق الشائك الوعر الى السعادة الأبدية غير أن فعل هذه الدوافـــع الدينية كان يحدده بصور مختلفة خلق الناس ووضعهم.فالعقل قد يقهر أثرهـــــا والعاطفة قد توقف ذلك الأثر . . .

غير ان هذه الدوافع الدينية كان لها الأثر في ضعاف العقول من النساء والأطفال ، وكانت قوتها تزداد بفعل ندم على خطيئة خفية أو محنة طارئة ومـــن الجائز أنها كانت تستمد بعض العون من بعض الاعتبارات الدنيوية كاعتبارات الغرور او المصلحة ، وكان من الطبيعي أن يسود الإعتقاد بأن الرهبان الأتقيـــــاء المتواضعين الذين نبذوا العالم لكي يعملوا على خلاص أنفسهم هم أجدر النـــاس بان يتولوا حكم المسيحيين حكما روحيا)[1]

هكـذا أصبح للراهب مكانته في نفوس الأتباع الجدد الذين كانـــت تسيطر عليهم هيبـــة الكهنة بما تخفي وراءها من الغاز خفية لا تظهر للرعـــاع (ومن ثم فان الرهبان ذوى الصيت الذائع الذين ارتبطت سمعتهـــم

---

١ ـ اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢ / ٣٢٣-٣٢٤

بشهرة طائفتهم ونجاحها عملوا جاهدين على مضاعفة اعداد اترابهم الاسرى فكانوا يدسون انفسهم وسط الاسر النبيلة الغنية ويستخدمون فنون الملق والاغراء المنمقة لجذب اولئك المهتدين الذين يمكن أن يقدموا على مهنة الرهبنة من ثرائهم ويضفوا عليها من مكانتهم ، وكان الوالد الساخط يولول على فقدان إبن ربما كان إبنه الوحيد كما كانت العذراء الساذجة يضللها الغرور ويدفعها الى خرق قوانين الطبيعة وكذلك كانت السيدة الثرية تتطلع الى الكمال الوهمي حين تنبذ مسرات الحياة العائلية)(١)

في هذا الجو الذى أشاعته الرهبانية في الأوساط المسيحية أمكن تعبئة النفوس وشحنها لتقبل هذه الحياة مما شجع الأباطرة والمتدينين والامراء والاغنياء و(جعلهم) يتبارون في بناء الاديرة وايقاف الاوقاف عليها واغداق الهبات اليها .)(٢)

وهذه الدوافع الدينية التي كمنت في نفوس اولئك الفارين من نمط الحياة الاجتماعية الى حياة العزلة كانت هدفا لشباك الرهبان لاصطياد الطرائد البشرية وما أهون بيع الكلام مقابل شهرة واسعة وجاه عريض . كما ان استغلال تلك الدوافع الدينية والفطر السليمة تعتبر تجارة استحل الرهبان اقتناصها وتحويلها لمصلحتهم تحت ضغط الطغيان النفسي الذى مارسوه تخويفا من إثم عابر أو زلة طارئة وما أبشع هذا الاستغلال المؤدى الى الانحراف عن الصراط السوى .

وما تجدر الاشارة اليه أن هؤلاء المتاجرين بعواطف الناس لم يكونوا من الناحية الدينية والخلقية بأحسن من أي عاص مهما كانت معصيته . فالأساليب الخادعة ، المبنية على الدجل ،كانت السمة الظاهرة للاغلبية .(٣)

هذا ولا بد من الاشارة الى بقية الاسباب التي لا يمكن تناسيها ما دام الحديث يتصل بالأسباب المؤدية الى انتشار وذيوع الرهبانية ، فمن الاسباب التي ترد في هذا الشأن ما يعتبر أخطر وأعمق مما مر في السابق . اذ

---

١ ـ اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢ / ٣٢٣ - ٣٢٤

٢ ـ تاريخ اهل الذمة في العراق ص ٢٧٣-٢٧٦

٣ ـ والغريب ان القاضي عبد الجبار قد أورد صورا من الخدع والاحتيالات التي يتقنها الرهبان ، وقد اظهر بعض المكاشفات التي تدور بين هؤلاء ومن ذلك قوله (والفطناء من النصارى يقولون : هذه الآيات والمعجزات إنما هي من احتيالات الجثالقة والرهبان ومن يبغض العمل ويفر من الكد ، ويسمونهم بلغتهم السريانية (عازق معناثا) معناه انه ترهب ولزم الدين ليأكل من غير ماله ويستريح من الكد والرهبان اذا ما تشاحنوا على ما يأخذون يقول أحدهم لصاحبه (النصارى يفضلونك علينا ويعطونك أكثر مما يعطونا وما لك من فضل علينا ، كلنا قد فر من العمل وانما نحن نصلي للنصارى . . ولهم من المكاشفات ما يطول شرحه . . . وربما جاء الراهب الى الجاثليق بمثل هذا لينفق عنده ، فيقول له الجاثليق يا أخي ما ينبغي ان تعمل

(ان الأديرة كانت مليئة بجمهور من الدهماء المغمورين الحقراء ، الذين كانوا يربحون في أديرتهم أكثر بكثير مما ضحوا في دنياهم ، فالفلاحون والعبيد والصناع كانوا يهربون من الفاقة والازدراء الى مهنة شريفة يخفف من محنتها الظاهرة حكم العادة ، واستحسان الناس ، والتراخي الخفي في النظام ، كما أن رعايا روما الذين تعرضت ثرواتهم وأشخاصهم لخراج باهظ غير متكافئ كانوا يهربون من ظلم الحكومة الامبراطورية اما الشبان الجبناء فقد كانوا يفضلون كفارة حياة الرهبنة على أخطار الحياة العسكرية ، وكذلك كان سكان الولايات من كل مرتبة ، هم الذين تملكهم الذعر وعدوا إلى الغوار أمام المتبربرين ، كان كل هؤلاء يجدون في الأديرة مأوى وغذاء ، وهكذا غصت هذه الأماكن الدينية المقدسة بفرق كاملة من هؤلاء الناس) (١) .

وبعد قراءة ما بين الأسطر فلن يعجب أحد من إفتخار الرهبان (٢) بذكر تاريخ الأديرة ونمو الرهبانية وانتشارها في أصقاع الإمبراطورية والتغني بأصولها ورسوخ جذورها في التاريخ .

وبمعرفة هذه الأسباب الدافعة الى ازدياد اعداد الرهبان تتكشف الحقائق ، ويسدل الستار عن الفصول التي لعبتها الرهبانية ترويجا لبضاعتها .

وبعد ذلك لا بد من التعرض للقوانين الديرية وما تمخض عنها من فرائض وواجبات ، ألزمت الرهبانية أتباعها بالسير عليها .

= معي هذا فأنا أعرق بالصنعة ، هبنا خدعنا غيرنا بعضنا يعرف بعضا والصنعة واحدة ، وأنا "عازق معنا" مثلك ، فلا تهك .

ويعقب القاضي عبد الجبار على ذلك قائلا : ومثل هذا يرحمك الله تجد كثيرا من القسيسين والرهبان إذا رأوا راهبا أو جاثليقا أو قسا أو مطرانا قد أدعيت له المعجزات ونفق على النصارى يقول بعضهم لبعض : انظروا بأى شيء نفق هذا على النصارى الجهال ونفذت حيلته فيهم واستوت) . انظر : تثبيت دلائل النبوة ، للقاضي عبد الجبار الهمذاني . ت: عبد الكريم عثمان ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ دار العربية للطباعة والنشر بيروت .

١ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢ / ٣٢٥-٣٢٦

٢ - راجع ما كتب عن انتشار وتعدد الرهبانيات في كتاب : الرهبانية الباسيلية الشويرية ١ / ٣٦-٣٧ د . أ . حاج ١٩٧٤ الطبعة ٢ وما كتبه بطرس البستاني في دائرة معارفه ٨ / ٦٨٧ .

ثالثــا :

امثلة لبعض القوانيــن الديريــــة وتطورهــا

بعد استعراض أهم الأسباب المؤدية الى اتساع رقعة الرهبانية تجدر الاشارة الى ان القوانين الديرية ، اتخذت اشكالا مغايرة فيما بينها تبعا لتعدد الفرق والمذاهب في المسيحية .

وليس من السهل تعداد الأديرة والرهبانيات التي تأسست في الشـرق والغرب ، ولكن تكفي الاشارة الى أنه ما إن يعمد رئيس دير الى تنظيم قوانينـــه حتى يخلفه تلاميذ ينشئ كل واحد منهم طريقة نسكية وقوانيـن توافق او تخالـــف رئيسه السابق ، وهكـــذا الى ان تجمع في العالم المسيحي ، أديرة وقوانيـــن من الصعب حصرها في مؤلف واحد .

علما بان معظم تلك القوانين قد نسجت على منوال قانون انطونيوس ، وباخوميوس وباسيلي الذين مر ذكرهم في المباحث السابقة .

وتعداد الأديرة والجمعيات الرهبانية ليس بالامر السهل كما مر ، فهو على يحتاج الى وقت وجهد كبيرين ، الا انه تكفي الاشارة الى أهم الـرهبانيـات التي تأسست ابان العصور الوسطى والتي تحولت جهودها في العصر الحديـث الى اعمال التبشير خاصة في العالم الاسلامي ، ودول العالم الثالث بشكل عام .

وأهم هذه الرهبانيات :

- رهبانية الاباء البندكتيون
- جماعة الفرنسيسكان
- جماعة الدومينكان
- جماعة اليسوعيين
- الجـــيشوديزم (النظاميون) . (١)

الا ان القوانين الديرية الخاصة بالرهبان فانها تختلف كما سبق القول بحسب اختلاف الفرق المسيحية وما يهم البحث هو ما يختص بالفرائض والواجبات المقررة على الرهبان . لذا سيقتصر هنا على بعض النماذج من هذه القوانيـــن لمعرفة تلك المقررات .

---

١ ـ يراجع ـ ما نشره الدكتور عبد الجليل شلبي من حلقات في جريدة المسلمون العدد الثامن والتسعيـــن والتاسع والتسعين تاريخ ١٩ / ربيع الآخرة ١٤٠٧ الموافق ٢٠ / ديسمبر ١٩٨٦ حول جماعات التبشير ضمن سلسلة التبشير والاسلام .

الرهبانيـــة السريانيـــة :

تأثرت هذه الرهبانية الى حد كبير بالتقشف الانطوني والنسك الباخومي وكانت العزلة من أهم السمات التي يلتزم بها الراهب ، اضافة الى وجود عـــدة التزامات يفرضها القانون منها :

١ ـ لا يقبل في الدير أي راهب دون أن يحمل كتاب مأذونيته من الرئيس
٢ ـ عدم السماح بمغادرة الدير دون اذن الاسقف المكاني
٣ ـ يمر المبتدئ باختبار يمتد الى سنة واحدة على الاقل . (١)

الرهبانيـــة الباسيلية (٢)

هـذه الرهبانية تعتبر صدى للنسك الباخومي ومن أهم مبادئها :

١ ـ رفض نظام العزلة واختيار النسك الجماعي
٢ ـ استقلالية الأديار عن بعضها بحيث يكون لكل دير الحق بصياغة قوانين جمعيته .
٣ ـ سلطة الـــرئيس في الدير مطلقة .
٤ ـ مدة اختبار المبتدئ تخضع لتجارب قاسية
٥ ـ تقام حفـلة للمتدرج علنا وذلك لحفظ العفة (البتولية) امـــام رؤساء الكنائس .
٦ ـ على الراهب ان يرتبط بالتعهد بالقوانين (فاذا خالفـه وهجـر الرهبنة مرتدا الى العالم ارتكب في عرف الرهبانية جريمة تدنيـــس القدسيات (٣)

---

١ ـ راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ٥٤-٥٥
٢ ـ نسبة الى باسيليوس : الذى جاء قانونه الديري بعد باخوميوس . وقد انتشـر في الشرق . وكان عقل باسيليوس قد تذوق علم أثينا وبلاغتها . وكان طموحه اكثر مـــن ان يشبعه منصب رئيس اساقفه .... فانسحب الى تيطس حيث عاش في عزلة موحشة وفي فترة من الوقت رأى من المناسب ان يسن القوانيين للمستعمرات الروحية التي نشرها بكثرة على طول شاطئ البحر الاسود) راجع اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٣٢١/٢ ، وكذلك قصة الحضارة ١/٢ : ٢ ١٢٤-١٢٥
٣ ـ راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ٥٧ـــ٦١

الرهبانيـــــة المارونيـــــة (١)

تأثرت الرهبانية المارونية بقوانين عدة منها ، قانون انطونيوس وباسيليوس واغوسطينوس ، وهذا الاخير كان ينسب اليه قانون تيناء في القرن الثالث عشر الرهبان الدومنيكان .

وقد شهد القانون الماروني تطورات عدة بعد التزامه بالصيغة البدائية التي كان معمولا بها قديما ، وقد حصلت هذه التطورات خلال العصور الوسطى ـ

واهم الالتزامات التي كانت تفرض على المبتدئ :

اولا : يمر المبتدئ بمرحلة تجربة تتراوح بين ٣ سنوات الى ٣ أو ٤ اشهر حسب ارادة الرئيس الذى يتقبل النذور .

ثانيا : ضرورة المواظبة على الصلوات .

ثالثا : ضرورة لباس الاسكيم بعد التجربة

رابعا : ابراز النذور الثلاثة : العفة ، الفقر ، الطاعة .

خامسا : يضـــاف الى ذلك نذر ، الصوم ، وهو الانقطاع عن أكل اللحم

وكان على الفتى المـــــرشح أن يدخل الكنيسة ويجثو أمام رئيس الديـــــر بحضور جميع الأخوة ويقول (انا الاخ فلان (أو الاخت فلانة) انذر واعد اللــــه الضابط الكل والطوباوية العذراء مريم والطوباوى انطونيوس وجميع القديسين ولـــك يا ابانا ان امكث كل (ايام) حياتي خاضعا للقانون الاول الذى اعطانا ايــــاه الطوباوى انطونيوس وايلاريون وأثبته سيدنا البابا انشنسيوس ، سأحيا خاضعـــــا للطاعة دون تملك وفي العفة .

ويجيبه الرئيس (وأنا فلان اذا حفظت ما عاهدت عليه أعدك بالحيـــاة الأبـــديـــة آمـــين . (٢)

---

١ ـ نسبة الى كاهن ناسك اسمه مارون (٣٥٠-٤١٠)م عاش بجوار افاميا أي قلعة المضيق اليوم في سوريا ، ويعود سبب تأليف هذه الطائفة الى الاختلاف في الرأى بين الخلقيد ونيين (نسبه الى مجمع خلقيدونيا) وشغور الكرسي الانطاكي على اثــــــر الفتح العربي فألف أتباع مارون أو بيت مارون عصبة واحدة وكانوا ينتخبون لهم بطريركا خاصا لهم يرجعون اليه في جميع شؤونهم ثابتين على تعاليم المجمع الخلقدونــــي الذى يُعَلِّم أن فــــــــي المسيح اقنوما واحدا وطبيعتين كاملتين ، دحضـــــا لمزاعم نسطورو أوطيخا الكافرين (على حد تعبير بطرس فهد) .:

راجع في ذلك : الكنائس الشرقية عبر التاريخ ، الاباتي بطرس فهد ص ٦٢-٦٣ مطابع الكريم الحديثة جونية ١٩٧٢م ، ويراجع ايضا : مارمارون ، قديسو القورشية اسبيرو جبور ص ٥-٩ ، المنشورات الارثوذكسية ١٩٨٢ مكتبة السائح طرابلس ، لبنان

٢ ـ راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ٩٧ الى ١٠٤

ويتضح من هذه الفقرة الاخيرة مدى نفوذ الرئيس ومدى الصلاحيات التي تخوله منح الحياة الابدية لمن حافظ على ما عاهد عليه .

وستتضح الصورة بشكل أوضح أثناء الحديث عن الطغيان الديني الذى مارسته الرهبانية ، انطلاقا من مبدأ الوصاية على البشر .

اما العقوبات بالنسبة للرهبانية المارونية فقد نصت على :

- أن من يهجر الحياة الرهبانية ويرجع الى العالم يرتكب تدنيس القدسيات واذا اتخذ الراهب الجاحد امرأة فانه يرتكب خطيئة الفسق .[1]

الرهبانيـة النسطورية :

تنتسب هذه الرهبانية الى نسطور[2] ، وقانونها يشمل عددًا كبيراً من القيود التي تفرض على الرهبان ، وربما تكون مواد هذا القانون أوسع من غيره ، ومن شروطه :

١ - لا يقبل " راهبا " من كان عبدا ، الا باذن مولاه وان كان حرا وله اباء فبموافقتهم .

٢ - ويقبل راهبا من قتل خطأً .

٣ - ان يسنذر الفقر و العفة والطاعة.وكل ما يستعمله ماهو الا من ممتلكات الدير ويتعهد بعدم امتلاك أي شيء.وعدم بيع الاواني التي يستعيرها من الغَيْر .

٤ - يتعهد بعدم الزواج وأكل اللحم .

٥ - ان يقطع علاقته بأهله ولا يرجع اليهم (ولا يحادثهم ولا يلبس ثيابهم على سبيل البركة.ولا يتعاطى اشغالهم وعند قبوله في سلك الرهبنة لا يحق له ان يأخذ من بيت أبيه شيئا سواء كان أبوه غنيا أم فقيرا ، حيًا أم ميتا ، فان اعطاه أبوه شيئا على سبيل البركة او اخوته بعد موت أبيه يكون ذلك في سبيل البر ، وان مات هذا الراهب ولم يكن قد أخذ من أهله شيئا وخلف قلاية

---

١ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ١٠٨-١٠٩

٢ - ظهر في زمان المأمون وتصرف في الاناجيل بحكم رأيه واضافته اليهم اضافة المعتزلة الى هذه الشريعة قال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة ، الوجود والعلم والحياة وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كاشراق الشمس في كوة أو على بلور او كظهور النقش في الخاتم) : الملل والنحل ، للشهرستاني ، على هامش الفصل ٣/٣٧

فليس لأقاربه فيها شيئا فكما أنه لا يرثهم لا يرثونــــه ، لكن ماله لاخوته الروحانيين وان إلتمس أبواه أو اخوته شيئا على سبيل البركة يدفع لهم . وان مات أبـــو الراهب وله أخت أو أخوات صار الميراث لهن)[1]

فان قبل الرهبان بموجب الشروط السابقة كان عليهم الالتزام بما يلي :

أولا : على الرهبان أن يعيشوا عيشة طبيعية[2] معتدلة دون افـــراط في تهديم صحتهم كما فعل الرهبان الأوائل بتعذيب أجسامهم تخلصا من العالم الفاني وتقربا من الله لأن الله لا يطلب إلا مبلغ الاستطاعة .

ثانيا : يقوم الرهبان ببعض الأعمال لخدمة الدير فبعضهم يقوم بالطبخ والبعض الآخر بزرع المحاصيل والحبوب واصلاح الأرض . ويعاقب المخالف.فمن يتخلف عن الحصاد مثلا تكون عقوبته التوبيخ . . .

ثالثا : يقسم اليوم الى ثلاثة أقسام ،القسم الأول للعمل ،والثانـــي للقراءة والصلاة والثالث للغداء والهدوء .

رابعا : ينام الرهبان في بيت واحد على الأرض وينام رئيس الديــر والمرضى على الأسرة ويمنع الراهب من خلع ملابسه عند النوم . ولا يحل وسطه ولا ينام إثنان على مخدة واحدة

خامسا : يشترط على كل راهب أن يكون مرتبا في كل أموره ولا يبقى خارج ديره أكثر من ثلاثة ايام ولا يشرب فيها الخمر . (٣)

الى غير ذلك من الفرائض الأخرى .

---

١ - : نصارى العراق في العصر العربي ، جاسم صكبان الربيعي . ١١٤-١١٥ ،كلية الاداب جامعة بغداد ، ١٩٧٤م

٢ - ربما أدرك الرهبان هنا مدى خطورة ما ذهب اليه الاوائل من تعذيب الجسم فلما رأوا عقـم هذا المسلك أعرضوا عنـــه ،لانه يحمّل الانسان ما لايطيق .

وعلى الرغم من ذلك فـان التعنت في الالتزام بالواجبات والفرائـــض عـادت لتؤكـد تعسـف الرهبانية تجاه حياة الناس ، .

٣ - نصارى العراق في العصر العربي ص ١١٥-١١٧

اديـــرة النساء وقوانينهـــا

لقد أحدث باخوميوس في المسيحية بدعة لم يسبق اليها ، وهي ادخال النساء الى الاديرة والالتزام بالترهب فقد شعر هذا الأخير بأن (قلب اخته مريم يميل نحو حياة التقوى والفضيلة ، لذا ارسل بعضا من اخوانه يبنون لها بيتا في قرية تبنسي على مقربة من ديره الأول وأقاموا فيه معبدا صغيرا وبعد قليل من الزمن أتت نساء كثيرات يضعن أنفسهن تحت ادارة وسلطة مريم ، وهكذا نشأت أديرة كثيرة للنساء ايضا). (١)

ان هذا الاجراء لم يكن وليد البيئة التي نشأ فيها الحواريون أتباع المسيح عليه السلام بل هو كما لوحظ وليد الفراغ الذى أحدثه غياب عيسى عليه السلام وتعاليمه الصحيحة .

وان استند الرهبان الى نصوص مزيفة تدعم آراءهم بضرورة ترهب الرجال فانهم لن يجدوا مطلقا نصا يؤيد دعواهم بالتزام النساء في الاديرة واتخاذ طريق الراهبات .

واغلب الظن ان هذا المبدأ قد استوحاه باخوميوس من البوذية (٢) التي أقرت قوانين للراهبات واتخذت لهن أديرة للعيش فيها .

ويعتبر جيروم من أقدم آباء الكنيسة في الدفاع عن عزوبة النساء وادخالهن مسلك الراهبات وتعتبر رسائله الى العذراوات من أشد الوصايا حماسا في هذا الصدد (٣)

---

١ - . ـــ : تاريخ الكنيسة الشرقية ١ / ١٧٠

٢ - انظر : ص (١٥٧) من هذا البحث

٣ـ كتب جيروم الى احدى الفتيات يقول لها (انه لا يعارض في الزواج ولكن الذين يتجنبونه ينجون من سدوم .... ومن الآم الحمل وصراخ الأطفال ، ومتاعب البيوت ، وعذاب الغيرة ، وهو يعترف بأن طريق العفة شاق أيضا وأن ثمن البكورية هو اليقظة الدائمة ..." ان فكرة واحدة قد تكفي لضياع البكورية . . فليكن رفاقك هم صفر الوجوه الذين هزلت أجسامهم من الصوم ، .. ليكن صومك حدثا يتكرر في كل يوم ، . اغسلي سريرك ورشي مخدعك كل ليلة بالدموع . . ولتكن عزلة غرفتك هي حارسك على الدوام . . . ودعي الله عريسك هو الذى يلعب معك في داخلها . . .فاذا غلبك النوم وجاءك من خلف الجدار ، ومد يده من خلال الباب ، ومسح بطنك ، فصحوت من النوم وقمت واقفة وناديته " إني أهيم بحبك " فتسمعينه يقول (إن أختي حبيبتي جنة مغلقة ، وعين ماء غير مفتوحة ، وينبوع مختوم " . . ويقول جيروم إنه لما نشر

بعض القوانين المتعلقة بالراهبات :

وضعت قوانين عدة لاديرة الراهبات ، كما وضعت رئيسات لضبط النظام بينهن وحددت الواجبات المنوطة بهن .، ويمكن اجمال هذه الواجبات بالآتي :

١ - على الراهبات ان يقصصن شيئا من شعورهن على هيئة صليب ، ويلبسن الثياب السود ويعشن عيشة جماعية لا تفضيل فيها .
٢ - لا تقتصر واجباتهن على الصلوات بل ترتيل الأناشيد في جنازة الموتى يوم دفنهم وكذلك في الايام التالية ، بيد أنه لا يسمح لهن بالذهاب الى المقبرة .
٣ - يعهد اليهن واجب الشماسة لدى هن طالبات العماد والتثبيت بالزيت بعد أن يكون الكاهن قد دهنهن في جبهتهن .
٤ - يسمح لهن بترتيل المداريس (الكتب الدينية) والأناشيد الروحية بينهن وليس في الكنيسة .
٥ - يشترط في رئيسة الدير أن تكون متقدمة في السن ومشهود لها بحياتها العفيفة ، وكان يتم تعيينها عن طريق الانتخاب .
٦ - يسمح للرئيسة بتوزيع القربان على الراهبات والنساء والاولاد .
٧ - على الراهبات أن يتجنبن كثرة الثرثرة والمحادثات الطويلة ، وحفظ السنتهن من النميمة . .

هذا الى جانب قواعد أُخرى و ارشادات تتعلق بالطعام واللباس الخاص بهن (١)

= هذه الرسالة " حياها الناس بوابل من الحجارة ، ولعل بعض قرائها قد أحسوا في هذه النصائح بلوغة سقيمة في رجل بيد وأنه لم يسلم بعد من حرارة الشهوات . ولما ماتت بليسلا (BLISLA) الفتاة الزاهدة - الموجه اليها تلك الرسالة - بعد بضعة أُشهر من ذلك الوقت (٣٨٤م) أُخذ الكثيرون يندد ون بالزهد الصارم الذى علمها إياه جيروم ، وأشار بعض الوثنيين بالقائه هو وجميع رهبان روما في نهر " التيبر " لكن جيروم لم يندم على ما فعل ، ووجه الى أمها الثكلى ، التي كاد الحزن أن يذهب بعقلها رسالة تعزية وتقريع)
قصة الحضارة ١/٤ : ١١٠-١١١

٢ - راجع هذه القوانين في : نصارى العراق في العهد العربي ص ١٢١

تطـــور القوانين الديرية في الغرب وأثرهـــا

بقيت أنظمة الاديرة وقوانينها تتأرجح بين مد وجزر لا يستقر لها قـرار ، فهي تزيـد احيانا وتنقص اخرى بحسب فتور الهمة ، أو قوتها ، حتى ظهـــر (بندكت " ٤٨٠-٥٤٣) .[١] حيث تمكن من وضع نظام حذت حـــذوه أديرة اوروبا ونالت في أوساطها شهرة كبيرة .

ومن أهم مقرراته :

١ - ان من يدخل الدير يقسم ويتعهد أن يعيش فقيراً أعزب وأن يطيع رئيسه ما دام حيا .

٢ - وبأن حياة الراهب صارت حياة كد وكدح متواصل في الكنيسة والدير والحقل لكل ساعة من ساعات اليوم عمل خاص فجعلت الأديرة تقوم بالزراعة ورفعـــت من شأنها وضاعفت في حاصلاتها فضلا عن انها أرست معاهد للعلم .

٣ - ولما كانت الرهبنة تُفَسَّرُ أحيانا بالعزلة قاوم (بندكت) هذه الفكرة اشد مقاومة فحتم على اتباعه ان يعيشوا وينامو معا ويعملوا معا ويقوموا بكل صغيـرة وكبيرة لا أفراداً - بل بهيئة مجتمع .

٤ - وكان كل دير يقوم بجميع شئون نفسه ولا يخضع لأسقف ما سوى البابا شخصيا .

٥ - وقد اغفل بندكت في قبول الرهبان كل الفروق الاجتماعية والمالية والجنسية فظهرت المساواة والاخاء داخل الأديرة بين الروماني والمتبربر والعبـد والحر . (٢)

---

١ - بدأ بندكت حياته راهباً متوحداً ومتقشفا متبتلا في أحد الكهوف بمنطقة تقع في وسط ايطاليا إسمها سوبياكا . . وأدرك ما كان يعانيه الرهبان المتوحدون (أي المنعزلون) من مصاعب نتيجة الحياة التي كانوا يحيونها فقام بتأسيس ديره الأول في مونت كاسينو حيث إلتف حوله عدد من الرهبان فوضع لهم قانونه المعروف باسمه حوالي سنة ٥٢٩) عالم العصور الوسطى ج .ج كـــولـــتون ص١٧١- ١٧٢ . ت: د . جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ ، مصر الاسكندرية .

٢ - راجع في هذا الصدد : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٦

وعلى الرغم من الاحتياطات التي راعاها بندكت في قوانينه ومحاولة سد الثغرات التي وجدت في القوانين القديمة إلا أن ذلك لم يمنع مطلقاً من تدهور الحياة الرهبانية ،لقيامها أصلا على مقاومة السنن الالهية في الخلق . ، إذ أن الفساد ما لبث ان اعترى البندكتيين فازدادت الشروة ، الموقوفه على الاديرة التابعة لهم وتدهورت اوضاع الرهبان (١) ، وباتت الحاجة ماسة للاصلاح فعمد " دير كلوني " سنة ٩١٠ (٢) م الى تفادي ذوبان هذه النحلة وشجع هذا الدير الحرب الغربية ضد المسلمين في اسبانيا كما شجع حركة الحج الى الاراضي المقدسة .

وقد تخرج من هذا الدير الراهب (هلد برند) الذى تولى المنصب البابوى باسم غريغورى السابع (٥٩٠-٦٠٤) . (٣)

---

١ - من صور الانحلال والتدهور التي تعرضت لها الاديرة البندكتيه : ان اثنين من رهبان فارفا . .قتلا مقدم الدير سنة ٩٣٦ م وفرضا سيطرتهما على الدير حيث عاشا عيشة اقرب الى الامراء ،فصار لكل منهما زوجته واولاده واتباعه الذين ينعمون بخيرات الدير وضياعه) . : اوروبا العصور الوسطى ،د .سعيد عبد الفتاح عاشور ٢/ ٢٤٢ مكتبة الانجلو المصرية ط١٩٨٠

٢ - ظهرت جماعة دير كلوني في فرنسا في بداية القرن العاشر وكان اساس نظامها الاستقلال التام عن السلطات الدينية والدنيوية والاتصال المباشر بالبابوية . .)
راجع : عالم العصور الوسطى ص ١٧٢-١٧٣

٣ -كان هذا الرجل قد وضع الأساس المتين الذى بني عليه نفوذ بابوية روما في الأمور الدينية والعلمانية على السواء فكان يسعى الى استقلال الكنيسة الغربية عن زميلتها الشرقية في بيزنطة في الناحية الدينية كما وضع اللبنات الاولى لاستقلال البابوية من الناحية السياسية ، وقد هيأت الظروف التي أحاطت بنهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط فرصة طيبة لتحقيق اهداف البابوية في الناحيتين الدينية والدنيوية) .

: مقدمة الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ،ل مهارتمان ج .باراكلاف . ت : د . جوزيف نسيم يوسف ص ٤٧ دار المعارف بمصر ١٩٧٠م
وراجع في ذلك ايضا : تاريخ الاصلاح ص ٨

ثم انتعشت الاديرة في القرن الثالث عشر بظهور فرنسيس[١] الـــذى اسس جماعة "الاخوان الفرنسيسكان" الذين شرعوا يجوبون البلاد حفاة بملابس رثة ،إلا أن هذه الجماعــة فرط عقدها لاعتزال موسسها ولجوء افرادها الـــى بحبوحة العيش ووضعت نفسها تحت سلطات البابا.[٢]

كما عـــاصرت هذه الفرقة فرقة اخرى دعيت باسم جماعة (الدومنيكان[٣] التي اعتمد عليها البابا في تنظيم محاكم التفتيش ولما أدرك البابا عظـــم الخدمات التي يوديها هولاء الرهبان الشحاذون للكنيسة رفع شأنهم وأباح لهم تأدية الواجبات الدينية التي كانت قاصرة على القسس فنشأ العداء بين الطائفتين -الرهبان ، والقساوسة- وفاز الأولون ونالوا رضاء الخاصة والعامة)[٤]

وقد أفاض الدكتور الشيخ عبد الجليل شلبي في تفصيل أعمال وأهداف هذه الجماعات الرهبانية ومشاركتها في العديد من الانشطة المعادية للاسلام.[٥]

---

١ - اسمه الأصلي "جان" وهو من بلدة أسيسي في ايطاليا وقد عاش عيشة الشحاذين (١٢٠٨) وقد تمركزت جماعته في أكــواخ صغيرة ،وقد جاء فرنسيس في حملـــة لويس التاسع على دمياط من أجل السلام (كما يقال) ولما عاد من فلسطين وجد جماعته قد استقرت في دار فاخرة تنم عن العيش المريح والرفاهية فطردهم) .

: محاكم التفتيش ،نشأتها ونشاطها د . اسحق عبيد ص ٣٠ ط١٩٧٨ دار المعارف بمصر .

٢ - راجع معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٨

٣ - اتباع "دومنيك" الذى ولد في قشتاله باسبانيا ودخل سلك الكهنوت وكان عالما في اللاهوت وفي علم الكلام . وشارك في المجمع اللاتيراني سنة ١٢١٥ وقد انصب اهتمام الدومنيكان على التبشير :) راجع : محاكم التفتيش ص ٣٠

وراجع كذلك : المعيشة الهنية في الحياة النسكية لافرام الديراني ص ٣٩٢ ، المطبعة الادبية ببيروت ١٨٩٩م .

٤ - : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٨-١٠٩

٥ - راجع : التبشير والاسلام ،الحلقات ٩٨و ، من جريدة المسلمون الاعداد ٩٧و ٩٨ من ١٢-١٨ ربيع الاخر ١٤٠٧هـ و ١٣-١٩-١٩٧٦

رابعـــا :

أثـــر القوانين الديرية في الصور المغالية للرهبانيـــــــة

اذا كانت الرهبنة الهندية وعلى وجه الخصوص الجنينية منها تعتبر في نظر العلماء ممثلة لأقسى أنواع الرهبنة ، فان الرهبانية المسيحية تعتبر بحق وتمثل قمة هـذه الانواع ، وذلك لما رافق ويرافق هذه الحياة من ضروب في تعذيـب الجسم وقهر الروح ما يخرج عن الحد المألوف .

وان كانت الجينية قد خفت ضوءها واضمحلت قواها لكثرة ما انزلـــت باتباعها من عنت و ضنك ، فان الرهبانية المسيحية تكاد تلقى نفس المصير ،

ولا أدل على ذلك من تلك الصرخة التي اطلقتها مجلة المشرق المتخصصة بالحياة المسيحية ، التي وصفت حالة الرهبانية بعين دامعة وقلب منكسر حينمـــا قالت . . . (اما اليوم وقد تغييرت الاحوال والامزجة فاضطرت الرهبانية ان تراعي في الطالب مزاجه ومقدرته على العمل ،فلا تكلفه من الاشغال ،ولا تفرض عليــه من العقوبات ، ما كانت تكلفه اياه وتفرضه عليه من قبل ،ورغما عن كل هذه التسهيلات نرى الدعوات تقل عن الماضي . . .وربما كان سـبب ذلك النقص فتورا في الديـــن نراه اليوم بعين دامعة ليتسلل في قلوب الكثيرين ويدس فيهم روحا عصرية فاســدة هي روح الكبرياء والانانية . .) .[1]

تـــرى ما الذى جعل الرهبان يتراجعون عـــن مقاصدهم ؟ ومـــا الذى يدفعهم الى التخلي عن التزاماتهم وقوانينهم الديرية ؟

ان في عرض الصور المغالية للمناسك الرهبانية إجابة شافية على الاسئلة وما على أصحاب الرهبانيـــة الا العدول عن ارائهم والتبصر بما هو أنفع لهـــــم ولرعيتهم التي تتقاسم معهم الآثام المريضة ، .

وسوف استعرض بعضا من صور الغلو الرهباني المتسم بالقسوة والشدة علما بان الوسط المسيحي ينظر الى هؤلاء المغالين بعين الرضا والقبول معتبرين أصحابها قديسين وشفعاء وخذ على ذلك امثلة :

اولا : مكاريوس الاسكندرى :

" نشأت بين النساك الفرادى منافسة قوية في بطولة النسك يتحدث عنها " دوشيـــن " (Abbé Duchesne) بقوله : ان مكاريوس الاسكندرى لم يكن يسمع بعمل من أعمال الزهد إلا حاول أن يأتي بأعظم منه " فاذا امتنـع

---

١ - : مجلة المشرق ،مجلد ٢٦ : ٨٩٢-٨٩٤ بعنوان " الابتداء في الرهبانية "

غيره من الرهبان عن أكل الطعام المطبوخ في الصوم الكبير إمتنع هو عن أكله سبع سنين وإذا عاقب بعضهم أنفسهم بالإمتناع عن النوم شوهد مكاريوس وهو يبذل جهد المستميت لكي يظل مستيقظا عشرين ليلة متتابعة وحدث مرة في صوم كبير أن ظل واقفاً طوال هذا الصوم ليلاً ونهاراً لا يذوق الطعام إلا مرة واحدةً في الأسبوع ولم يكن طعامه هذا أكثر من بعض أوراق الكرنب .

ولم ينقطع خلال هذه المدة عن ممارسة صناعته التي اختص بها وهي صناعة السلال ولبث ستة اشهر ينام في مستنقع ويعرض جسمه العريان للذباب السام (١) .

ثانيا : بيساريون ، سرابيون ، ورفاقهما

ومن الرهبان من أوفوا على الغاية في اعمال العزلة ، من ذلك سرابيون الذى كان يعيش في كهف في قاع هاوية لم يجرؤ على النزول اليها الاعدد قليل من الحجاج ، ولما وصل جيروم وبولا الى صومعته هذه وجدا فيها رجلا لا يكاد يزيد جسمه على بضعة عظام وليس عليه إلا خرقة تستر حقويه ، ويغطي الشعر وجهه وكتفيه ولا تكاد صومعته تتسع لفراشه المكون من لوح من الخشب و بعض أوراق الشجر (٢).

ومن النساك من كانوا لا يرقدون قط أثناء نومهم ومنهم من كان يداوم على ذلك أربعين عاما مثل بساريون او خمسين عاما مثل باخوم . ومنهم من تخصصوا في الصمت وظلوا عدداً كبيرا من السنين لا تنفرج شفاههم عن كلمة واحدة - ومنهم من كانوا يحملون معهم اوزانا ثقالا أينما ذهبوا . ومنهم من كانوا يشدون أعضاءهم باطواق أو قيود أو سلاسل ومنهم من كانوا يفخرون بعدد السنين التي لم ينظروا فيها الى وجه امراة ...) (٣).

ثالثا : سمعان العمودى (٣٩٠-٤٥٩)

بنى سمعان لنفسه في عام (٤٢٢م) عمودا عند قلعة سمعان في شمالي سوريا وعاش فوقه ثم رأى أن هذا اعتدال في الحياة يجلله العار فاخذ يزيد من ارتفاع العمد التي يعيش فوقها حتى جعل سكنه الدائم فوق عمود يبلغ ارتفاعه ستين قدما ولم يكن محيطه في أعلاه يزيد على ثلاثة أقدام وكان حول قمته سور يمنع " القديس " من السقوط على الأرض حيث ينام ، وعاش سمعان على هذه

---

١ - : قصة الحضارة ١/٤ : ١٢٠
٢ - المصدر السابق ١/٤ : ١٢١
٣ - المصدر السابق ١/٤ : ١٢٣

البقعة الصغيرة ثلاثين عاما متوالية معرضا للمطر والشمس والبرد ، وكان اتباعه يصعدون اليه بالطعام وينقلون فضلاته على سلم يصل الى اعلى العمود ، وقد شد نفسه على هذا العمود بحبل حز في جسمه ،فتعفن حوله ونتن وكثرت فيه الديدان ،فكان يلتقط الدود الذى يتساقط من جروحه ويعيده اليه ويقول :

" كلي مما اعطاك الله " . وكان يلقى من منبره العالي مواعظ على الجماهير التي تحضر لمشاهدته) .(١)

رابعـا : انطيوخوس وانطونيوس :

ليست سيرتهما اقل غرابة.فإن الأول بنى حائطا في وسط صخر والاخر انفرد على ذروة جبل عال وكان كل منهما يصرف نهاره منتصبا على قدميه يتأمل ويميت شهواته ويكبد جسده عذاب الجوع والعطـــــــش .

وكان أكثر أولئك النساك يدفعون النعاس بمثل الوسيلة الآتية وهي : انهم يحملون على اكتافهم خشبة ثقيلة فاذا أثقل النعاس أجفانهم لشدة التعب وطول السهر تسقط الخشبة الى الارض فيهرب النعاس من صوت وقعتها) .(٢)

ان هذه الصور المغالية لم تكن الا صدى لما كان الرهبان يتلقونه من رؤسائهم من قوانين واوامر ،تلك الاوامر التي يجب التقيد بها فلا يجوز مخالفتها ، فهي بمثابة الامر الالهي الذى لا يجوز عصيانه . وقد كانت الممارسات العنيفة بمثابة تدريبات للرهبان .

فمن صور هذه الاوامر ان واحدا من اولئك الرؤساء (امر راهبا جديدا ان يقفز في نار مضطرمة فصدع الراهب الجديد بالامر ...) (٣)

كما ان هذا الرئيس قد أمر راهباً جديداً آخر أن يغرس عصا رئيســـــه في الارض ويسقيها حتى تخرج أزهاراً فلبث الراهب عدة سنين يذهب الى نهــــر النيل على بعد ميلين يحمل منه الماء ليصبه على العصا ، ...) (٤)

ومن ذلك ما تراءى لجبرائيل الأهدني حيث راى معلمه يونان وأمره ان ينشر صخرة كانت تعوقه عن توسيع كنيسة دير قزحيا (٥) .

---

١ ـ قصة الحضارة : ١ / ٤ : ١٢٣ وراجع كذلك في هذا الشأن : معالم تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ص ١٦٠ ، وراجع كذلك صرامة التقشف ضمن مقال عن " الحياة النسكية في لبنان خلال القرن السادس عشر للخورى بطرس غالب مجلة المشرق ٢٧ / ٦٦٠ وكذلك راجع : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢ / ٣٣٦-٣٣٧

٢ ـ الحياة النسكية ، مجلة المشرق ٢٧ / ٦٦٠

٣ ـ قصة الحضارة ١ / ٤ : ١٢٢ واضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢ ٢٧٢

٤ ـ قصة الحضارة ١ / ٤ : ١٢٢

٥ ـ المشرق ٢٧ / ٦٦٠

هذه الأوامر وان كانت بمثابة تمرين للراهب إلا أنها كانت مصحوبة بالعقوبات ان لم يذعن المأمور بالانصياع والطاعة لرئيس الدير .

اذ (كانت اعمال الراهب ، وكلماته ، وحتى افكاره تحددها قواعد صارمة او يحددها رئيس متقلب المزاج ، واذا ارتكب اتفه الذنوب عوقب بالتشهير الشين او الحبس او الصيام غير العادى او الجلد القاسي اما العصيان او التضجر ، أو المماطلة فانها كانت تعتبر في عداد الخطايا الرهيبة المقوتة . . .

كانت مثلا قاعدة كولمبانوس السائدة في الغرب تقضي بتوقيع عقوبة مائة جلدة كقصاص للذنوب التافهة . وقبل عصر شارلمان كان روساء الاديرة ، يقطعون اطراف الرهبان ويفقأون عيونهم وهي عقوبة اقل قسوة بكثير من السجون او القبور المشيدة تحت سطح الارض والتي ابتكرت بعد ذلك)(١)

ان هذه العقوبات كانت بمثابة السيف المسلط على رقاب الرهبان .

وهكذا بات من المؤكد ان الراهب يعيش بين فكي كماشة ، واحدة دينية نتيجة التزمت والتعنت في النصوص الدينية التي صاغها بولس ورواد فكره المتطور والاخرى دنيوية ممثلة برئيس الدير أو من ينوب عنه .

سيفان مسلطان على رقبة هذا البائس الذى لا ذنب له إلا أنه وقع في أيدى زمرة الرهبان الذين وقعوا مثله من قبل في حمأة هذا السعير .

وازاء ذلك فإن الآثار السيئة التي ترتبت على ظهور هذه الحالات في الحياة الرهبانية قد تفاقم اوارها وعادت بالويل والثبور على اصحابها .

وهذا ما سيكون الحديث عنه في الصفحات المقبلة .

---

١ ـ اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢ / ٣٢٧

خامسًا :

الاثار السيئة المترتبة على الغلو في الرهبانية

ان التشدد والضيق والعنت المصاحب للحياة الرهبانية ارتدت اثاره السيئة على حياة أولئك الرهبان التعساء ، وقد كان هذا الوضع كفيلا بانعكاس اثاره المدمرة ايضا على المجتمع المسيحي ككل .

فعلى صعيد الاديرة لم يكن الحرمان الجنسي والتعذيب الجسدى وكذلك النفسي سوى عوامل سوء أدت الى انحراف خطير في السلوك الرهباني وهددت بامراض خطيرة كالجنون وغيره .

ولقد اعترف العلماء بهذا الافراط وذاك التفريط واثبتوا العجز عن تحقيق الحياة الرهبانية ، من ذلك ما قاله ديورانت وغيره :

(لم ترض الكنيسة عن هذا الافراط في التقشف ولعلها كانت تحس بشيء من الفخر الوحشي في هذا الاذلال النفسي وبشيء من الشراهة الروحية في هذا الانكار الذاتي وبشيء من الشهوانية الخفية في هذا الفرار من النساء ومن العالم كله و سجلات اولئك الزهاد حافلة بالرؤى والاحلام الجنسية ، وصوامعهم تتردد فيها أصداء أنينهم وهم يقاومون المغريات الخيالية والأفكار الغرامية وكانوا يعتقدون أن الهواء الذى يحيط بهم غاص بالشياطين التي لا تنفك تهاجمهم وبيد وأن الرهبان قد وجدوا ان حياة الفضيلة في العزلة أشق منها لو أنهم عاشوا بين جميع مغريات المدن .

وكثيرا ما كان الناسك تختل موازين عقله فها هوذا روفنس يحدثنا عن راهب شاب دخلت عليه في صومعته امرأة جميلة فلم يستطع ان يقاوم سحر جمالها ثم اختفت من فورها في الهواء كما ظن هو ، فما كان من الراهب الا ان خرج هائما على وجهه الى أقرب قرية له ، وقفز في فرن حمام عام ليطفئ النار المستعرة في جسمه)[1]

ومما يروى في هذا الصدد ايضا : (ان فتاة استأذنت في الدخول الى صومعة راهب مدعية ان الوحوش تطاردها فرضي ان يؤويها وقتا قصيراً ولكن حدث في تلك الساعة ان مست جسمه مصادفة فاشتعلت نار الشهوة فيه كأن سني التقشف الطوال التي مرت به قد انقضت دون ان تحدث فيه أقل أثر .

وحاول الراهب ان يمسك بها ولكنها اختفت من ذراعيه وعن عينيه

---

١ - قصة الحضارة ١ / ٤ : ١٢٤

ويقول الرواة ان جماعة من الشياطين اخذت تغني وتهلل طربا وتضحك من سقطته . ويقول روفينس ان الراهب لم يطق حياة الرهبنة بعد تلك الساعة ،فقد عجز كما عجز "بفنوس" في مسرحية "تيس" لأناتول فرانس عن أن يبعد عنه رؤيا الجمال التي ابصرها او تخيلها فغادر صومعته وانغمس في حياة المدينة وسار وراء هذه الرؤيا حتى أوصلته آخر الأمر الى الجحيم . (١)

وقد صور جيبون تلك الآلام والأحاسيس المحزنة التي كانت تنتاب الرهبان من آونة لأخرى ،: "(حتى النوم وهو آخر ملاذ للبؤساء التعساء ، كان يقاس ويحسب في صرامة ،وكانت ساعات الفراغ التي يقضيها الراهب تمر في بطء دون عمل او متعة لهذا كان قبل انتهاء كل نهار يتهم الشمس مرارا وتكرارا بالتلكوء الذي يثير الملل .

وفي هذه الحالة المتعبة المجهدة كانت الخرافة تطارد اولئك البؤساء المتعلقين بها وتعذبهم ،وراحة البال التي ذهبوا الى الدير ينشدونها كانت تزعجها فكرة التوبة المتأخرة ،والشكوك الدنسة ،والشهوات الاثيمة ،ولانهم كانوا يعتبرون كل دافع طبيعي خطيئة لا تغتفر فقد كانوا يرتعدون دوما على حافة هاوية ملتهبة لا قرار لها ،وفي بعض الاحيان كان الجنون او الموت ينقذ هؤلاء الضحايا اليائسين من كفاحهم المؤلم ضد المرض واليأس .

(ولهذا) أقيم في القرن السادس مستشفي في أورشليم لعدد صغير من اولئك التائبين الزاهدين الذين فقدوا صوابهم .)" (٢)

هذه الامراض كانت تشغل الاطباء ،فها هو الطبيب العربي ابو الحسن المختار ابن الحسن بن عبدون ، المعروف بابن بطلان البغدادي ، النصراني المتوفى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢ م) استعرض الامراض التي تعتري الرهبان في الاديرة ،ومن بعد من المدينة ،وذلك في كتابه "كناش الاديرة والرهبان") (٣)

---

١ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٤

٢ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢/ ٢٣٥

٣ - : مقدمة كوركيس عواد على كتاب الديارات لابي الحسن الشابشتي ص ٤٦-٤٧ ، منشورات مكتبة المثنى ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٨٦-١٩٦٦
وراجع كذلك : نوادر المخطوطات ، ت : عبد السلام هارون ، المجموعة الرابعة ص ٣٤٥-٣٤٦ ، ط١ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٣هـ -١٩٥٤ م)

سادساً :

النذور الثلاثة : مناقشتها ، ونقدها

نظراً لخطورة القوانين الديرية وما يترتب عليها من آثار سيئة

فقد رأيت من الضروري بيان خطر القوانين المتعلقة بالنذور الثلاثة المقررة على الرهبان ، وتكاد الجمعيات الرهبانية ، الشرقية ، منها والغربية ، تجمع على فرضية هذه النذور ، الا ما شذ منها بعض الشيء . فهي بشكل عام القاسم المشترك .

ولذلك فمن الضروري التوقف عندها لنرى أهميتها لدى الرهبان ومن ثم مناقشتها ونقدها وتفنيد حججها .

وردت في نصوص القوانين الديرية نذور يلتزم الرهبان بها ، ومن غير الجائز مطلقاً الخروج عليها وهذه النذور هي :

- نذر الفقر - نذر العفة - نذر طاعة رئيس الدير

اولا : نذر الفقر : على الراهب الالتزام بنذر (الفقر المؤدي الى رفض الاملاك الخارجية ، . . . او الممكن اكتسابها ، واذا كان النذر احتفاليا فيرفض حق الاختصاص نفسه حتى ان كل ما يقصده من افعال التملك يكون قانونيا غير جائز) (١)

وعليه فان التملك ممنوع في عرف الرهبان وعلى الرغم من اعتراف المشرعين بحرمان الرهبان من الطمأنينة والاستقلال إلا أنهم يتمادون في تطبيقه بحجة أنه يقرب من الكمال فهم يقولون مثلا :

يفرض النذر تضحيات شاقة : لأنه يحرم الراهب هذه الطمأنينة ، وذلك الاستقلال اللذين يخولهما الاستعمال الحر لارزاقه ، فيتحمل أحيانا بعض حرمانات تفرضها الحياة المشتركة . انه لشاق وذل الالتجاء الى الرئيس كلما كان الراهب في عوز الى ضروريات الحياة إن في ذلك اذن أعمال فضيلة يلزمنا النذر بها ، لا يجعلنا نميل الى الكمال فقط بل تقربنا منه) . (٢)

وقد التزمت جمعيات رهبانية كثيرة حالات الفقر حتى أطلق على أصحابها اسم الرهبان الشحاذون (٣) ، كالفرنسيكان والدومنيكان وراهبات الفقراء الصغار وغيرها من الجمعيات التي انتشرت في اوروبا خلال العصور الوسطى (٤) ، وقد بقي القليل منها في الوقت الحاضر .

---

١ - : خلاصة التصوف المسيحي ١ / ١٤٢ ٢ - المصدر السابق .

٣ - راجع : تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة ، محمد كرد علي ص ٧٧ / ٧٨ مطبعة التقدم ، مصر

٤ - المعيشة الرهبنية ص ٥٩٥ ومعالم تاريخ العصور الوسطى ١٠٨

وقد فلسف بعض الرهبان هذا النذر فلسفة فارغة تنم عن قلة ادب مع الله تبارك وتعالى ، مضاهاة لقول اليهود من قبل ومن ذلك قولهم : (الفقر : هو حركة تفقير داخلي وخارجي تتجدد يوما بعد يوم ، هو طفولة متزايدة نصير فيها متواضعين أكثر فأكثر وأطفالا أكثر فأكثر على مثال الرب نفسه على مثال الله فالله هو الفقير الأبدي (تعالى عما يقولون) إنه كل شيء ولكنه لا يريد أن يمتلك شيئا بل يبذل كل شيء حتى ابنه الوحيد أي نفسه) (١) .

وكما هو معلوم فقد رد الله تعالى مقالة اليهود الآثمة حيث قال تعالى : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (٢)

ثانيا : نذر العفة

يقصد بالعفة هنا التبتل وذلك يكون بالابتعاد عن النساء وعدم التزوج وهي في عرفهم " انتصار على شهوة الجسد وانعتاق عن مهام وهموم الحياة العائلية مستدلين بقول بولس (ان غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضي الرب وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي إمرأته فهو منقسم) (٣) ... فعلى الراهب كي يحفظ طهارته مدى حياته أن يسهر ويصلي (اي) ان يميت حواسه الخارجية وفضوله ويكبح زيغان المخيلة والحس) (٤) .

ويستشهد الرهبان أيضا على ذلك بسفر الرؤيا ومن قوله (ثم نظرت واذا خروف واقف على جبل صهيون ومعه مئة واربعة واربعون الفا ... هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم ابكار) (٥) .

ثالثا : الطاعة لرئيس الدير

لقد نصت القوانين والتوصيات على ان سكن " الراهب " هو الاديار حيث يعيش تحت نير الطاعة مع اخوته ويعترف الرهبان بأن الطاعة هي المصلحة المشتركة ، يعلنها الرئيس ولكنها تتجاوز الرئيس والمرؤوس معا فعند ما يطيع الرهبان يخدمون حياة الكنيسة وبنيانها (٦) .

---

١ - : الحياة الرهبانية ، رهبنة مارجاورجيوس دير الحرف ص ٩٠ ط ، ١٩٨٤

٢ - ال عمران : ١٨١   ٣ - ١كو ٧ : ٣٢-٣٣   ٤ - خلاصة التصوف المسيحي ١/١٤٢

٥ - رؤيا ١٤ : ١-٥ وانظر الحياة الرهبانية ٩٢-٩٣

٦ - راجع التنظيم الرهباني : ١٠- والحياة الرهبانية ص ٩٥ وقد انتقد البروتستانت هذه النذور . راجع تاريخ الأصلاح ص ٢١٨ - ٢١٩

- مناقشة قوانين النذور الثلاثة والاخطار الناجمة عن الالتزام بها :

مر في الصفحات السالفة رأي الرهبان في النذور الثلاثة ، والغرض من وجوبها على الملتزمين في السلك .

ولرب قائل يورد الاعتراض التالي : ان النذر مشروع عند أهل الكتاب ولا يحق هنا التعرض لا حكامه عندهم لخروجه عن نطاق البحث . . . ؟؟

وعليه فان الاجابة تكمن في معرفة مضمون المناقشة المطلوبة في هذا الموضوع ، فلا أحد ينكر مدلول الاعتراض لحساسية هذا الجانب ولن نتطرق اليه لهذه الغاية ، .

الا انه من الحق دراسة الاثار المترتبة على هذه النذور والمساوىء التي تعتريها ، وفي بيان ذلك عبرة لاولي الابصار ، ولعدم الوقوع في نفس الاخطار .

ولهذا فانه من الواجب بيان راى الاسلام في النذر اولا ومن ثم التعرض للاخطار الناجمة عن التزام الرهبان بنذورهم .

فمن رحمة الله تبارك وتعالى على عباده انه لم يكلف نفسا الا وسعها وما شدد قوم على أنفسهم إلا شدد الله عليهم لخروجهم عن الوحي والانتقال من باب السعة الى باب الحرج والضيق .

ومما لا شك فيه ان صور النذر عند أهل الكتاب لم تأخذ طابع العنف والقسوة ابتداء ، كما صورته الرهبانية فيما بعد .

فقد أخبرنا القرآن الكريم عن نوع من نذور أهل الكتاب وذلك في قوله تعالى (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . . .) (١)

كما جاء لفظ النذر في قوله تعالى (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) (٢)

---

١ - ال عمران : ٣٥

٢ - مريم : ٢٤ - ٢٦

ففي قوله تعالى (فقولي إني نذرت للرحمن صوما) أي صمتا عن الكلام وقيل بمعنى الصيام لان من شرطه في شريعتهم الصمت وانما أمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها ولان عيسى عليه السلام تكلم عنها فاخبرها بانها نذرت الصمت بهذا الكلام ،، وقيل بالاشارة ، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت)[١] .

وتعريف النذر في الاسلام هو : لغة : الوعد بخير أو شر .

وشرعا : الوعد بخير خاصة ، وقال بعضهم هو التزام قربة لم تتعين

وقال الراغب : النذر ان توجب على نفسك ما ليس بواجب ، لحدوث أمر)[٢] .

وهو ينعقد بنذر الناذر اذا كان في طاعة الله)[٣] . ولا يكون النذر الا في طاعة الله لما رواه البخارى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ)[٤] .

واذا كان النذر مشروطا بشيء فإنه يجب بحصول ذلك الشيء[٥] والا فإنه يحنث وعليه الكفارة وذلك في مسائل مختلفة مبسوطة في كتب الفقه باب الأيمان والنذور .

وقد وردت عدة أحاديث تفيد النهي عن النذر ، فقد روى الامام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (إن رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ : لَا تَنْذِرُوا فإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْني مِنَ القَدَرِ شَيئًا وإنَّما يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ)[٦] .

كما روى الامام البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النذر قال انه لا يرد شيئا انما يستخرج به من البخيل)[٧] .

ويفسر ابن الاثير النهي عن النذر بقوله (انما هو تأكيد لامره وتحذير عن التهاون به بعد ايجابه ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل لكان دل ذلك ابطال حكمه واسقاط لزوم الوفاء به اذ كان النهي يصير معصية فلا يلزم الوفاء به .

وانما وجه الحديث انه قد اعلمهم ان ذلك امر لا يجر لهم في العاجل نفعا ولا يصرف عنهم ضرًا ، ولا يرد قضاء ، فلا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئا لم يقدره الله لكم ، أو يصرف به عنكم ما جرى به القضاء عليكم فاذا فعلتم ذلك

---

١ - التسهيل لعلوم التنزيل : ٣/ ٨ ٢ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣/ ٤٦٨
٣ - الافصاح ، لابن هبيرة ٢/ ٣٣٩ ٤ - صحيح البخارى ٧/ ٢٣٣
٥ - الافصاح ٢/ ٣٣٩ ٦ - صحيح مسلم بشرح النووى ١١/ ٩٨
٧ - صحيح الامام البخارى ٧/ ٢١٣

فاخرجوا عنه بالوفاء ، فان الذى نذرتموه لازم لكم) [١].

وقد أيد الامام النووى ما ذهب اليه المازرى من احتمال ان يكون (سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما له فيأتي به تكلفا بغير نشاط قال :
ويحتمل أن يكون سبب كونه يأتي بالقربة التي التزمها في نذره على صورة المعاوضة للأمر الذى طلبه فينتقص أجره وشأن العبادة أن تكون متمحضة لله تعالى
قال القاضي عياض ويحتمل أن النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النذر يسرد القدر ويمنع حصول المقدر فنهي عنه خوفا من جاهل يعتقد ذلك وسياق الحديث يؤيد هذا والله اعلم) [٢].

وقد وردت أحاديث كثيرة تشير الى نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوفاء بالنذور الشاقة التي لا يحتملها الانسان والتي ترهق كاهله فمن ذلك :
ما رواه الامام البخارى بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إِنَّ اللهَ لغنيٌّ عنْ تعذيبِ هذا نفسَه (لرجل) ورآه يمشي بيْنَ ابنيه) [٣]

وفي روايه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأى شيخًا يُهادي بينَ ابنيه فقال : ما بالُ هَذا ؟ قالوا : نَذَرَ أنْ يَمْشي ، قَالَ إِنَّ اللهَ عنْ تعذيبِ هَذَا نفسَهُ لغَنيّ وَأَمرهُ أَنْ يَرْكَب) [٤].

وفي هذا الحديث اشارة الى عدم جواز نذر ما لا يحتمل . ومن ذلك ايضا ما رواه الامام البخارى عن ابن عباس (أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يطوفُ بالكعبةِ بزمامٍ أو غيره فَقطَعَهُ) [٥].

وفي روايـة (أن النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ وَهُوَ يَطُوفُ بالكعبَـةِ بانسان يقودُ انسانًا بخزامةٍ في أنفه فقَطَعَها النَّبيّ صَلَّى اللّهُ عَليه وَسلَّم بيده ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَقودَهُ بيدِهِ) [٦].
كما تشير أحاديث أخرى بالنهي عن الغلو في النذور ، وترك ما لا يطاق منها فقد روى البخارى عن إبن عباس رضيَ اللّهُ عَنهما قَالَ: بينا النَّبيُّ صَلَّى اللّهُ عَليه وَسَلَّمَ يَخطُب إذا هُوَ برجُلٍ قَائمٍ فَسأَلَ عَنْهُ فَقَالوا أَبوُ إسْرائيل نَذَرَ أَنْ يَقومَ وَلَا يَقعُـدَ

---

١ - : جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير الجزرى ت: عبد القادر الارناووط ١١/٥٣٩ ط ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م ٢ - صحيح مسلم بشرح النووى ١١/٩٨-٩٩ ٣ - صحيح البخارى ٧/٢٣٤ ٤ - صحيح مسلم بشرح النووى ١١/١٠٢ ٥ - صحيح البخارى ٧/٢٣٤ ٦ - المرجع السابق .

ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مره فليتكلم وليستظل ، وليقعد وليتم صومه .) (١)

كما أوضحت أحاديث أخرى النهي عن نذر ما لا يملك العبد من ذلك ما رواه الامام مسلم من حديث عمران بن حصين قال . . (. . . لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد) .(٢)

والخلاصة ان نذور الرهبانية هي بمثابة الزام وفرض على الرهبان لا يجوز تركها عندهم ولا عدت خروجا عن المسلك الرهباني .

وقد لوحظ ما تتسم به هذه النذور من مشقة وعنت ، وقد استعرضت نظرة الاسلام الى النذور وان مفهومه عندنا يختلف عما هو عند المسيحيين ، ذلك لانه لا يقدم خيرا بل يؤخذ من البخيل او الشحيح والمسلم مأمور بالبذل والعطاء والانفاق في وجوه الخير ، وقد نهي عن البخل والتقتير .

وعليه فاني ساتعرض فيما بعد للاخطار الناجمة عن النذور الثلاثة للعبرة والعظة ، ومناقشتها ، وتفنيدها كلا على حدة .

---

١ - صحيح الامام البخاري ٧ / ٢٣٤

٢ - صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ٩٩-١٠١

الاخطار الناجمة عن الالتزام بالنذور الرهبانية :

غني عن القول ان امراضا اجتماعية وخلقية قد تمخضت عن التزام الرهبان بنذورهم وتقيدهم بالقوانين المفروضة عليهم .

وسأبدأ بتفنيد كل نذر على حدة :

اولا : نذر الفقر :

تكفل الله تعالى برزق الناس ، فقدر لهم أقواتهم وهيأ لهم سبل معيشتهم فهو الخالق الرازق المعطي المانع المعز المذل . وليس معنى ذلك أن يرتمي الانسان في احضان التواكل ويستسلم للدعة بل هو يدعو الى الضرب في مناكب الارض قال تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النشورُ) (١)

وذلك تحقيقا لعمارة الارض وتحكيم شرع الله تعالى فيها ، الى جانب ذلك فهو يدعو لابراز ايمانه عند الشدائد والمحن بالصبر على سنة التمحيص والابتلاء قال تعالى (أَلَمْ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ) (٢) .

هذا الابتلاء متعدد الأشكال فقد يكون بالفقر أو بالغنى او بالمرض ، او بفقد الأبناء والآباء (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ والجوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ والأَنْفُسِ والثَّمراتِ وبشرِ الصَّابرينَ . الَّذينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصيبةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجعونَ) (٣) .

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ والصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ) (٤)

وسنة الابتلاء عامة لجميع الخلق فقد ابتلى الله بني اسرائيل تمحيصا واختبارا قال تعالى (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بالحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٥) .

كما ابتلى الله المسلمين في كثير من المواطن ، كغزوة احد ، وحنين وغيرها كثير .

وازاء ذلك فما على العبد امام هذه المحن سوى الصبر والاحتساب ، فهما السبيل لدرء أخطارها ، وتجاوز الابتلاء . ومن المبادىء المعينة على ذلك الصبر والتواضع لله تعالى والاعتدال في أمور الحياة والترفع عن مباهجها ومغرياتها

---

١ - تبارك : ١٥ ٢ - العنكبوت : ١-٢ ٣ - البقرة : ١٥٥-١٥٦

٤ - محمد : ٣١ ٥ - الاعراف ١٦٨

واتباع ما اباحه الله تعالى من النعم دون تقتير او اسراف .

﴿ وابْتَغِ فيما آتاكَ اللّهُ الدارَ الآخرةَ ولا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنيا وأَحْسِنْ كما أَحْسَنَ اللّهُ إِليكَ ولا تَبْغِ الفَسادَ في الأَرضِ إنّ اللّهَ لا يُحِبُّ المُفسِدينَ ﴾ (١).

هذا التوسط المستنبط من الآية الكريمة هو وسيلة ناجعة لتحقيق الغرض المنشود ، اما اختراع حالة الفقر مع القدرة على تحاشيه ورده والسماح باهدار كل ما يمت الى الحياة الكريمة بصلة ، وترك ما يقيم الانسان صلبه ، واتخاذ التسكع وسيلة للكسب (٢) ، فهو انكار لنعم الله تعالى على عباده ، كما انه مبعث للرياء والسمعة ، وهما من الأمور المحبطة للعمل .

فما الداعي الى انكار انعام الله وافضاله ؟ فالله تعالى ﴿ يُحِبُّ أَنْ يَرى أَثَرَ النِّعمةِ على عَبدِهِ ﴾ (٣).

والاسلام يحض على هذا فقد روى ابو الاحوص عن ابيه قال ﴿ أَتيتُ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعليّ ثَوبٌ دُونٌ (بال) فقالَ لِيَ : أَلَكَ مالٌ ؟ قُلتُ : نَعَمْ ، قال : مِنْ أَيِّ المالِ ؟ قُلتُ : مِنْ كُلِّ المالِ ، قَدْ أَعطاني اللّهُ : مِنَ الإِبلِ والبقَرِ ، والغنَمِ ، والخيْلِ ، والرقيقِ ، قال : فإذا آتاكَ اللّهُ مالاً فليُرَ أَثَرُ نِعمةِ اللّهِ عليكَ وكَرامَتِه ﴾ (٤).

والزام الناس بما لا يطيقون يورث الكآبة والقنوط من رحمة الله تبارك وتعالى ولهذا جاءت الاستعاذة ﴿ اللّهمّ إنّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الفقرِ والقِلّةِ والذِّلّةِ وأَعوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ﴾ (٥).

فاذا قصدت الرهبانية من وراء هذا النذر التواضع لله والتذلل له ، فلا يكون عن طريق الاستجداء والاستعطاء والتسكع امام الناس كما فعل رهبان الفرنسيسكان والدومنيكان وغيرهم ، فهي خصال تحط من كرامة الانسان التي منحها الله له ﴿ ولَقَدْ كَرَّمنا بَني آدمَ وحَمَلْناهُمْ في البَرِّ والبَحرِ ورَزقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وفَضَّلناهُمْ على كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفضيلاً ﴾ (٦).

اما الطريق الأمثل فهو سبيل التوسط والاتزان ﴿ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغلولَةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فتَقْعُدَ مَلوماً مَحسوراً إنَّ رَبَّكَ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقدِرُ إنَّهُ كانَ بِعبادِهِ خَبيراً بَصيراً ﴾ (٧).

---

١ - القصص : ٧٧

٢ - راجع ما فعله الرهبان في هذا الخصوص : " تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة ، محمد كرد علي ص ٧٧

٣ - اخرجه الترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده باسناد حسن ، راجع جامع الاصول ١٠/٦٥٨

٤ - اخرجه النسائي ، ورواه الامام احمد في المسند ٣/٤٧٣ واسناده صحيح

انظر : جامع الاصول ١٠/٦٥٨ ٥ - رواه ابو داود والنسائي باسناد حسن راجع جامع الاصول ٤/٣٥٦ ٦ - الاسراء : ٧٠ ٧ - الاسراء ٢٩ - ٣٠

فاذا اختلت هذه الموازين وترك الانسان لهواه أمر التشريع كما فعلت الرهبانية بنذر الفقر فإن الحياة تتخذ طابع السلبية وتنحدر نحو الهاوية .

ولعل بعض المنظمات الرهبانية أدركت تلك المذلة التي يرتكبها غلاة الرهبان ، فسنت قوانين من عندها ففرضت على الرهبان القيام بالاعمال اليدوية (١) تداركا لهذا الموقف المخزي .

ومهما حاولت الرهبانية لتفادي هذه المعضلة الا ان المشكلة الاساسية التي تواجهها تبقى دون حل وهي معضلة المتنسكين في القلايا والمحابس الذين يحبسون انفسهم في الكهوف والمغارات النائية في اعالي الجبال (٢) . واغلب الظن ان هذه البدع أخذت تقل تدريجيا في العصر الحديث لأنها تنافي الفطرة الانسانية التي فطر الله الناس عليها .

ومن مراقبة حركة التاريخ وما نجم من بدعة نذر الفقر والحرمان يعلم ان أنين الرهبان وامراضهم وحالاتهم المزرية ادت بشكل او باخر الى ردة فعل عكسية في المجتمع الكنسي .

فهذه اكبر سلطة رهبانية تعيش منذ تسلمها مقاليد السلطة وسط مجتمع الكرادلة والاساقفة حياة مليئة بالترف والبذخ. وهال السيدة " دايانك مودادى سارا واك " ما رأته من أبهة الكرسي البابوي وما يحيط به من مباذل يندى الجبين لها (٣) .

وهكذا يتناسى الرهبان ما عاهدوا عليه من نذر للفقر ضاربين قرارات مجامعهم عرض الحائط وهذا الفشل نابع من العناد الذى ترتكبه الرهبانية بفرض قوانين تعارض الفطرة البشرية وتقتل فيها روح الخير والسعادة .

---

١ - راجع : تاريخ الكنيسة الشرقية ١/١٨٤

٢ - راجع مجلة المشرق ٢٧/٦٥٣

٣ - هذه السيدة أسلمت وتسمت باسم " خير النسا " دى ساراواك وكتبت كتابا بعنوان " من رومة الى مكة"، وقد شرحت فيه رحلتها الطويلة قبل اسلامها ومقابلاتها للبابا وانتقدت فيه الكنيسة واعمالها وما قالته في هذا الصدد (وعلى الرغم مما كنت اشعر به في بدء زياراتي لرومية لم أتمالك نفسي من الدهشة لهذه المظاهر التي لاحت لي كأنها تمثيلية اشبهت بحياة المسارح ، واعتراني ألم عميق في نفسي لمشاهدة العظمة المتجلية في مملكة الفاتيكان من المظاهر المادية وأبهة القصور وثمن الاثاث زد على ذلك ما شاهدته من الزى المدني للكاردينالية مما أثار فيَّ كثيرا من الفتور الروحي ، ففكرت آنئذ بالمسيح وبحياته وتقشفه وصبره وقناعته وكل ما كان يتحلى به من شظف العيش . . . رأيت البابا الوريث الزمني يتقدم بموكبه الملكي محمولا على الظهور جالسا على أريكة تحف بها المجوهرات من كل جنب فيغشى لمعانها الابصار . . .)
راجع ص ٤١ من الكتاب المذكور . ت: رأفت شنبور ، مطبعة اللواء طرابلس الشام ١٩٣٥ لبنان . وراجع في قضية الترف والبطر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٤٣/٦ د . جواد علي . وعن رذائل الاكليروس راجع : تاريخ الاصلاح ص ٥٧٤

ثانيـــا : نـــــذر التبتـــل

مر الحديث عن رفض الكنيسة السماح للرهبان والقسس بالـــزواج. وقد بينت أحكام النكاح في الاسلام ومكانته . .

ولم يقتصر النقـد الموجه الى هذا المبدأ على المسلمين ، فقد وجهت انتقادات من قبل بعض المسيحيين ايضا :

يقول صاحب (ريحانة النفوس) ان هذه العادة لا يوجد لها برهان في الكتاب المقدس ، وانما دخلت بالتدريج ، لما خامرهم من توهم أفضلية البتولـة وظنهم أنها أزكى من الزواج ، ومدح من جاء على أثرهم لها مدحا بالغا النهايـة في الاطراء فحسبوها من الواجبات الأدبية المأمور بها ، ووضع نظام وقوانيـــن لوجوبها في الجيل الثالث ، حتى قاومتها كنائس اخرى ، ورفضت بدعة البتوليـة وقوانينها ، لمغايرتها للطبيعة ، ومضادتها لنص الكتب الالهية واستقرائها أديرة الراهبات بأنها في بعض الاماكن كانت بيوتا للفواحش والفساد).[1]

وفي كتاب البراهين الانجليلة ضد الاباطيل البابوية) يقول :

(ان ذم الزيجة خطأ لانها على الافضل لان الرسول أخبر بان الزواج خير من التوقد بنار الشهوة وأن الأكثرين من رسل المسيح كانوا ذوي نساء ، تجول معهم ، ومن المعلوم أن الطبيعـة البشرية تغضب الانسان على استيفاء حقها ومن العدل أن تستوفيه وليس بمحرم عليها استيفاؤه حسب الشريعة . . ولا استطاعـة لجميع البشر على حفظ البتولية .

ولذلك نرى كثيرين من الأساقفة والقسس والشمامسة لابل من البابوات المدعين للعصمة قد تكردسوا في هوة الزنا لعدم تحصنهم بالزواج الشرعي .

هذا وان ذات النذر بالامتناع عن الزواج هو غير عادل ، لتضمنه سـلب حقوق الطبيعة وكونه يضع الانسان تحت خطر السقوط في الزنا ويفتح بابا واسعـا لدخول الشيطان .

وكان الراهب ينذر على نفسه مقاومة أمر الله وبعدم وجود ألوف ---- ربما كانت تتولد من ذريته فكانه قد قتلها . وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيلية قط . فالطريقة الرهبانية هي اختراع شيطاني قبيح لم يكن له رسم في الكتب المقدسة ولا في اجيال الكنيسة الاولى ، وهو مضر على انفس الرهبان وعلى الشعب فمـن يقاومه يقاوم الشيطان . وهؤلاء الرهبان لا نفع منهم للرعية ، انما هم كالامراء الذين

---

١ - : محاسن التأويل ، للقاسمي مجلد ٩ جـ ١٦ : ٥٩

يتخذون لانفسهم قصورا خارج العمران ، فيتنعمون وحدهم في اديرتهم ويسلبون اموال الشعب بالحيل والمخادعات وهم كسالى بطالون ، يعيشون من اتعاب غيرهم . خلافا لسلوك رسل المسيح . والمبشرين القدماء ، الذين لم نر واحدا منهم انفرد عن العالم في مكان نزهته ، واحتال بان يعيش من اتعاب الشعب) (١)

هذه شهادة مسيحية على ما يرتكبه الرهبان من اخطاء نتيجة تمسكهم بهذا المبدأ . (٢)

اضافة الى ذلك فان الفضائح التي تزكم الانوف والتي يرتكبها الرهبان والراهبات اكثر من ان تحصى . والمؤرخون اعرف بهذه القضايا .

فعلى الرغم من شدة التعاليم الدينية والدعوة للمحافظة على تطبيقها كل ذلك لم يمكن الرهبان من قهر الحاجة الجنسية لديهم ، بل عكست مفعولها لدى اولئك المتعبدين المتبتلين من ذكور واناث .

(وان الاخبار التي استقيت من حياة الرهبان والمتعبدين تبين الحاجة التناسلية وعطها (فقد) كانت تحركهم وتدفعهم اليها كما أصبح الامتناع الجنسي على العموم مستحيلا عند رؤساء الكنيسة ما خلا بعضهم ، وهو عدد ضئيل ، فلم يثبت المطارنة والكهنة أمام قوة الضرورة الجنسية .

فقد روى (MEZERAY) في القرن الثامن للميلاد أن معظم المطارنة والقساوسة في فرنسة الذين لم يتزوجوا ، كانوا يحصلون على نساء (خليلات) يشبهن الحظايا) مما جعل المصلحين في القرن السادس عشر يهاجمون عزوبة الكهنة بقوة) وقسوة ، فقرر مجمع (Miban) بأن يكون للحظايا زى خاص بهن وأن يمنعن من ارتياد الفنادق والمؤسسات العامة ، وخصص لهن بعض الأحياء ليقمن فيها ،، ووضعت تلك المحال تحت رقابة المطارنة والسلطات المدنية .

---- ومن العوامل التي ساعدت الكهنة على ذلك نقصان عدد الرجال بسبب سفرهم مع حملات الحروب الصليبية ، فازداد عدد النساء اللاتي بقين بدون زوج وحصل في (WURZbouRg) في أواخر القرن الخامس عشر أن السكان رفضوا أن يسافروا او ينضموا الى تلك الحملات الصليبية لعدم

---

١ - محاسن التاويل للقاسمي مجلد ٩ ج ١٦ ص ٦٠ وراجع عن ذلك : تاريخ الاصلاح ص ٣٦٨

٢ - راجع كذلك ما كتبه الدكتور الشملان عن نقد بعض المسيحيين لهذا المبدأ وذلك في كتابه : نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام ، ١ : ٣٠٨ وما بعدها

اطمئنانهم على نسائهم خوفا من زيارات الكهنة لهن ، ولما فشا مرض الزهري في اوروبا سنة ١٤٩٣ م بواسطة بحارة كولمبس أصاب هذا المرض السارى الفتاك اغلب الكهنة تقريبا) .(١)

وقد أفرد الأستاذ عبد الكريم التنير فصلا مطولا عن فحش البابوات وفسقهم وتعرض لحياة العديد من القسس .

ويمكن اعطاء بعض النماذج عن تلك الفضائح التي لطخت سمعة رجال الدين المسيحي عبر التاريخ ، علما بأن القصد من وراء هذا العرض ليس التشهير انما هو للتنبيه وأخذ العبرة لعل القائمين على الرهبانية يغيروا رأيهم واسلوبهم في الحياة والعودة الى ما امرالله تبارك وتعالى

اولا : حياة القديس داماسوس الاول (٣٦٦-٣٨٤)

لقد وجه " ارسنيوس وحزبه " اتهاما الى هذا القديس ووصفه بانه رجل زاني .(٢)

ثانيا : القديس سكستوس الثالث (٤٣٢-٤٤٠)

اقيمت دعوى ضده بتهمة افتضاض بكارة احدى العذارى ، وقد الف مجمع للحكم على " قداسته " .(٣)

ثالثا : يوحنا الثامن (٨٧٢-٨٨٢)

هذا البابا لم يكن رجلا بل امرأة ، واى نوع من النساء ؟ من النساء الزانيات ، وكان الشعب مغشوشا " بقداسته " ولم يشك احد في انوثته الا معارفه الذين كانوا يسوسون له او بالاحرى (لها شهواتها) وبينما كان هذا البابا ماشيا في احتفال في مقدمة الكردينالات والمطارنة محاطا بالزينة والانوار علامة على قوة وجلال البابوية أتى (لقداسته) المخاض وذلك في أهم شارع من شوارع روما .(٤)

---

١ - كتاب : " الزواج " عمر رضا كحالة ١ / ٤٠

٢ - راجع : " تاريخ الفحشاء " أو تاريخ الآداب العمومية ص ١٦٥ -١٧٤ طبع في ٢٠ ايلول ١٩١٢ لبنان ، وقد استند المؤلف في بحثه الى مصادر غربية كثيرة منها - محافل البابوات ، لبالي ، و- تاريخ البابوية ، لريدل ، وجرائم النصرانية لغوت وهوبكر - و الخورى والمرأة والاعتراف للاب شينكوى الى جانب العديد من المصادر الاخرى راجع ص ١٦٧ وما بعدها .

٣ - المصدر السابق ص ١٦٦-١٦٧

٤ - المرجع السابق . وراجع كذلك : تاريخ الاصلاح ص٧

اما تاريخ حياته فهو : ابنة أحد المرسلين الانكليز . . . كانت لها علاقة غير شرعية باحد رهبان (فولده) لذلك لبست ثيابا كالرجال وهربت مع عاشقها الى اثينا وهناك مات حبيبها بعد مدة قصيرة بعد وصولها .

وبعد موت العاشق رجعت هذه الزانية الى روما وهنالك بسبب معارفها الممتازة صارت خورى فكردينال ثم ارتقت فصارت بابا وظلت الى أن عرفت أنوثتها وذلك لما ولدت طفلا امام الجمهور وهي ماشية في مقدمة احد المحافل العظيمة

ومنذ هذا الوقت حتى أيام لاون العاشر (١٥١٣-١٥٢٢) في القرن السادس عشر اى لمدة نحو ستة أجيال ونصف كانوا يقيمون في روما احتفالات، (و) التي لا يمكن وصفها هنا حيث تحدث عند انتخاب كل بابا وذلك للكشف عليه كي يتأكدوا ما اذا هو ذكر او انثى(١).

رابعا : اسكندر السادس (٢) (١٤٩٢-١٥٠٣)

ان قداسة هذا البابا كان من الادنياء ولم يكن له أقل سلطة على شهواته وقد أقام حفلات الرقص والخلاعة والمجون في قصره وقد أثار بأعماله الشنيعة سخط الكثير من الناس فقد أقدم على إرتكاب جريمة الزنا بابنته لوكريسيا بورجيا التي كانت في الوقت ذاته خليلة أخويها ، وكانت ثمة معارك خفية تضطرم في ذلك العرين بين عباد الجمال والهوى المحرم ، وكان جان سفورزا زوج لوكريسيا أشد الناس تأييداً لهذه التهم (٣).

وينقل بوركارت لمحة من لمحات المجتمع الروماني الذى عاش فيه هذا البابا فيقول (وكان يسود ذلك المجتمع الروماني " الرفيع " يومئذ نوع من الفساد الشامل ، وتغلب فيه حياة الفجور والمرح ، وما قولك بمجتمع يقدم فيه سيده وزعيمه الروحي . - البابا - أسوأ المثل الأخلاقية فيصطفى الخليلات جهارا . وينتزع الزوجات من أزواجهن ويقتني فيه شيوخ الدين من كرادلة وأساقفة الخليلات جهارا وتتنقل فيه الزوجات الشرعيات زوجات الأمراء والكبراء بين أحضان العشاق من مختلف الطبقات ويغمره ظمأ التهتك والخلاعة ويغفل في حفلاته وفي مرحه ومجونه كل مظاهر الحشمة والحياء) (٤).

---

١ - تاريخ الفحشاء ١٦٧-١٦٨

٢ - اسمه الحقيقي رودريجو بورجيا ثم تحول الى اسكندر السادس ، راجع محاكم التفتيش د . اسحق عبيد ص ٣٤ الطبعة ١ ١٩٧٩ دار المعارف بمصر .

٣ - انظر المآسي والصور الغوامض ، محمد عبد الله عنان ص ٢١ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤ م وقارن مع : محاكم التفتيش ص ٣٤-٣٥

٤ - المآسي والصور الغوامض ص ١٧ ، نقلا عن مذكرات (بوركارت)، وربما كان الاسم الصحيح (بيركارد) راجع كذلك محاكم التفتيش ص ٣٥

خامســا : بيوس التاسع

يتحدث التنير في العشرينات عن هذا البابا فيقول : اذهب الان الى روميا وهناك الروم الكاثوليك يدلونك على البنتين الجميلتين اللتين ولدتا للبابا بيوس التاسع (١٨٤٦-١٨٧٨) من صاحبته وهنالك يخبرونك عن اسماء خمس صاحبات اخر له - ثلاثة منهن راهبات - وهولاء كان يصاحبهن منذ كان خوريا ومطرانا) (١).

ومن اضطلع على محاكمة السيو ليوتاكسيل وما ألفه عن غرام البابا بيوس التاسع تحت عنوان "البابوات الثلاث أو أسرار روما" بجزأيه (٢) يعرف تماما مدى صحة ما نقله التنير في كتابه .

تلك الفضائح لم تكن وحدها على هذا المستوى الذى وصلت اليه بل هناك مؤسسات دينية اخرى تطرق إليها هذا الفساد .

ولرب قائل بان حياة الأمبراطورية كانت تدعو الى مثل هذه المباذل وربما كانت الاديرة انظف اخلاقا واشد عفافا من الاباطرة .

الا ان الواقع يكذب هذه المقولة ،فقد ترجم محمد فريد وجدى ما نقلته دائرة معارف لاروس الفرنسية عن حالة الاديرة خلال القرون الوسطى ومن ذلك :

(ما قاله (دوبتر) بعد أن زار الاديرة في النمسا وفي الممالك الأخرى التابعة للملك فرديناند الاول سنة ١٥٦٣ قال : انه راى مائة وعشرين ديرا تحتوى على ٤٣٦ راهبا و١٦٠ راهبة و١٩٩ سرية و٥٥ امرأة متزوجة و ٤٤٣ طفلا .

وقد كتب هذا الكاتب عينه يقول (انه يخشى ان يتكلم على راهبات زمانه تفاديا من ان يظن انه تكلم باسهاب ومجون عن محلات الفسق والفحش والعهر لبنات الهوى بدل أن يتكلم عن حظائر الطهر التي تعيش فيها العذارى الواقفات أنفسهن لعبادة الله لأن الأديرة الدينية لم تكن اليوم هي تلك المعابد المخصصة لعبادة الله بل صارت بيوت فسوق ومحلات اجتماع اهل الدعارة من الشباب الذين لا هم لهم الا قضاء شهواتهم البهيمية) (٣)

وليست هذه الامور من الشؤون المنعزلة ولا الخاصة بزمن دون زمن ففي الازمنة القديمة لام القديس ن سيبريانن) والقديس بازيل عذارى زمانهما الاتي

---

١ - تاريخ الفحشاء ص ١٧٤

٢ - راجع : أسرار روما ، ورواية البابوات الثلاث .ت: طانيوس عبده ، مطبعة الانصاف ، الناشر ، ابراهيم خليل ، بيروت .

٣ - دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ، مادة رهب : ط٣ وعن الفجور والدعاره في الاديرة راجع : تاريخ الاصلاح ص ٣٦٨

وقفن حياتهن لله على ما ظهر من هدم عفتهن ، ورأى " جان كريزوستوم " انه لا يكفي قتل الراهبة التي تخون عفتها ، بل راى ان تقطع او تدفن حية مع شريكها في الاثم (١)

هذه شهادة كافية للدلالة على فشل ممارسة الرهبان لنذر التبتل والعفة ، ومن الدلائل الأخرى على ذلك ما ذكره ابو الحسن الشابشتي في وصفالاديرة والرهبان من خلال كتابه " الديارات " وما كان يدور فيها من فسق ومجون ، وما قيل من اشعار الغزل في الرهبان والراهبات . (٢)

هذا ما كان يحصل في العصور القديمة والوسطى ،أما في العصر الحاضر فان هذه الفضائح تفاقمت وتعدت الى ما لا يمكن السكوت عنه .

فالأمراض الفتاكة أصبحت تهدد كيان المجتمع البشرى من جراء ما اكتشف من أمراض مميتة كالايدز والهربيس وغيرهما . فضلا عن الأمراض المعدية كالزهرى وغيره مما بات يشكل خطراً على حياة الانسان ، وقد كشف الدكتور محمد علي البار حقائق مذهلة عن انتشار الزنا في المجتمعات الغربية خاصة في مجتمعات الرهبان ورجال الكنيسة . . . (ففي تحقيقات بارعة نشرتها " الديلي ميل " عام ١٩٧٠ ذكرت أن الاحصائيات تدل على أن ما يقرب من ثمانين بالمئة من الرهبان والراهبات ورجال الكنيسة يمارسون الزنا . . . وان ما يقرب من أربعين بالمئة منهم يمارسون الشذوذ الجنسي ايضا ،وانتشار الزنا في رجال الكنيسة ورهبانها وراهباتها قديم الا انه لم يكن بمثل هذا الشيوع .

ولا شك ان الكنيسة تتابع تطور المجتمع الغربي وقد أباحت كثير من الكنائس الغربية الزنا كما أن بعضها قد أباح اللواط . . وفي بعض الكنائس في الولايات المتحدة يتم عقد قران الرجل على الرجل على يد القسيس .

واذا علمنا أن روتشيلو الكاردينال الفرنسي المشهور كان مصابا بمرض الزهرى أشد الأمراض الجنسية خطورة فاننا لا نستغرب أن تنشر مجلة النيوزويك في عددها الصادر في ١٩٧٤/٧/١ أن أحد كبار كرادلة فرنسا مات وهو في أحضان إحدى العاهرات في باريس ، وقد نشرت مذكرات إحدى العاهرات في فرنسا فجاء فيها أسماء ثلاثة بابوات وأحد عشر كردينالا) . (٣)

وتبعا لهذا التطور فقد انتشر مرض الايدز بين الرهبان ، ففي رسالة نشرتها جريدة المسلمون تبين ان (ماريو رفشيو وهو راهب اصيب بمرض الايدز وقد اعتزل حياة الدير لانه اصيب بهذا الداء أثناء وجوده هناك بين ستين راهبا وقد اعترف ان دير " نيو انجلند " رغم وجود الصمت فيه الا انه لم يمنع قيام علاقة خاصة بين الرجال الستين) . (٤)

---

١ - راجع : مادة رهب في دائرة معارف القرن العشرين ، ط ٣ - ١٩٧١ نقلا عن دائرة معارف لاروس ٨٩٧/٣

٢ - راجع كتاب " الديارات " لابي الحسن الشابشتي ، ت: كوركيس عواد .

٣ - : مجلة المجتمع عدد ٦٤٨ ٢ ربيع الاول ١٤٠٤ ص ٣٦ الكويت

٤ - جريدة المسلمون العدد ١٠٥ السنة ٣ ، ٩ جمادى الاخرة ١٤٠٧هـ

ثالثـــا : طاعـــة رئيس الدير

هـذا المبدأ يعتبر من أهم الثغرات المحدثة في السلك الرهبانـي وهو بالتالي هدف لأقوى المطاعن الموجهة الى الكنيسة ورجالها .

فالطاعة الصحيحة الواجبة لولي الأمر بحسب قوله تعالى (.. أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ...) (١) تأخذ طابعا حساسا لدقـة المسؤولية الملقاة على الولي ، ولا يمكن بحال من الاحوال ان يكون مفهوم هـذه المسؤولية كما يراها الرهبان والقسس .

فالطاعة الحقة تكون لمن عني بتطبيق شرع الله تبارك وتعالى في الأرض وانزال الناس عند حكـم البارى وقضائه ، والاطار العام الذى ينبغي ان يعمـل على تنفيذه يتمثل في اقامة الحدود ، والفصل في المنازعات ، والسهر على مصالح الناس ، وتسهيل أمور حياتهم الدينية والدنيوية والدعوة الى الله تبارك وتعالـى قولا وعملا وجهادا .

ونعني بالامور الدينية : ارشاد الناس نحو تطبيق أوامر الله تبارك وتعالى التعبدية ، صلاة وزكاة وصياما وحجا ، وحثهم وتذكيرهم بها والمحافظة عليها مـن غير أن يرتبط هذا العمل بأي شعار يوجب تقديس ولـي الأمر أو رفع مرتبته ومنزلته وايصالها الى مرتبة الوسطاء والقديسين كما تفعل الرهبانية برؤوساء الأديـرة وكبار رجال الكهنوت .

فالاسلام يوجب طاعة ولي الأمر فيما لا يتعارض مع طاعة الله تبارك وتعالى اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فان لم تكن هذه الطاعة وفق المنهج القويم فان النظام باسره يكون عرضة لخلل دائم يورث الفشل الذريع وينتهي الى الاضمحلال لانه يحمل المجتمع عبئـا ثقيلا ، وهذا العبء ناجم عن اتباع الناس لاوامر هؤلاء الرهبان وهم بشر معرضون دائما للخطأ والزلل .

والانسان اذا امتطى صهوة القيام بعملية التشريع فقد تعدى حدود بشريته طمعا في نيل رتبة المشرع ، وهو يعلم ان الله تبارك وتعالى وحده هـو الذى يشرع للناس ما يهمهم من أمور دينهم ويفرض عليهم العبادات والطاعات التي يراها لهم .

---

١ ـ النساء : ٥٩

ولا يمكن بحال من الاحوال قبول دعوى الرهبان بان ما يؤدونه من طاعة لرؤساء الاديرة انما هو تطبيق لشرع الله ومنهاجه ،وان صاموا وان صلوا .

ذلك لان شرع الله تبارك وتعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،وما يطبقه الرهبان يخرج عن هذا النطاق ،اذ أن المسحة البشرية المبتدعة بادية على القوانين والانظمة الديرية ولا مجال لانكار أو اغفال أسماء واضعيها ،وليس للرهبانية اى مستند شرعي صحيح يثبت ان عيسى عليه السلام قد وضع هذه القوانين وتلك القواعد التي تتحكم بالحياة الديرية -

ومن راقب اناجيلهم يعلم انه عليه السلام لم ينعزل في مغارة عن مجتمعه ولم يأو الى كهف في جبل أو أنه عذب جسده بحمل أو حديد أو أرهق نفسه بالاغلال بل نراه يخالط المجتمع ويعظ الرجال والنساء على السواء ويناقش المعاندين من اليهود وغيرهم -

من كل ذلك يتبين لنا أن الانحراف عن المبادئ التي جاء بها عيسى عليه السلام إنما جاءت نتيجة الايحاءات التي بثها بولس وتتبعها انطونيوس وباسيليوس ومن لف لفهم فهؤلاء هم الذين ابتدعوا تلك القوانين ثم توالى المبتدعون عبر تاريخ الكنيسة مستوحين قواعد هم ممن سبقهم من الرهبنة اليهودية وبقية الاديان الوضعية الوثنية .

غير أن أهم ما انطوت عليه هذه الطاعة هو تطور وضعها وتفاقم أمرها الى حد أن عدت هذه الشخصيات البشرية من دون الله . ، واقل درجات الشرك عندهم انهم اتخذوها واسطة تقربهم الى الله زلفى مضاهاة للاديان الوثنية القديمة التي قدست فيها رجال مارسوا سلطانا روحيا هائلا على الجماهير واحاطوا بهم هالة من الغموض والاسرار واصبحوا هم الوسطاء بين الناس وآلهتهم التي عكفوا عليها .

وقد كان هذا هو شأن المسيحية المحرفة التي نسجتها ادمغة المخيلة الاوروبية القديمة ،(انها دين وضعي وان تمسح بالمسيح عيسى بن مريم وبالوحي الرباني وزعم انه من عند الله ومن ثم كانت له كهانه وكان له رجال دين وكان هؤلاء الكهان البابا - على راسهم وسطاء بين الناس وبين الله).(١)

---

١ - بتصرف عن : مذاهب فكرية معاصرة الاستاذ محمد قطب ص ٢٧ دار الشروق ط ١ ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م

لقد لفت القرآن الكريم الإنتباه الى حقيقة هذا الانحراف العقدي فقال تعالى : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١)

كما تعرض المفسرون لمعنى ومرمى هذه الآية بالشرح ، فأشاروا الى فضائح اليهود والنصارى في قضية هذا الانحراف المفضي الى اطاعة أحبارهم ورهبانهم طاعة عمياء أحلوا لهم فيها الحرام وحرموا عليهم الحلال (٢) ، وعظموهم ورفعوهم الى مقام الالوهية والعياذ بالله .

وقد استشهد المفسرون بحديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه : (قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال : يا عدي اطرح عنك هذا الوثن ، وسمعته يقرأ : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال : إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، واذا حرموا عليهم شيئا حرموه (٣) .

---

١ - التوبة : ٣١

٢ - راجع في هذا الصدد كل من : تفسير ابن كثير ٢ / ٣٤٨ وكذلك : التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ١٣٥ وفتح القدير للشوكاني ٢ / ٣٥٢

٣ - هذا الحديث رواه الترمذي وفيه (غطيف بن أعين) قال في تحفة الاحوذي : غطيف بن أعين الشيباني الجزري ويقال بالضاد المعجمة : ضعيف من السابعة كذا في التقريب . وقال في تهذيب التهذيب في ترجمته : روى له الترمذي حديثا واحدا وقال ليس بمعروف في الحديث . راجع تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ٨ / ٤٩٢ ط٢ ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧

وقد ذهب بعض العلماء الى ان هذا الحديث يتقوى بما رواه الطبري عن محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن ابي البختري عن حذيفة انه سئل عن قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال :لا كانوا اذا احلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه) راجع : جامع البيان ١٠ / ٨١ وقال الاستاذ الارناؤوط بعد ان ذكر مصادر حديث عدي وما ذكره الترمذي من حال غطيف بن اعين : لكن في الباب عن حذيفه موقوفا اخرجه الطبري رقم ٦٦٣٤ وبما يتقوى به) هامش جامع الاصول ٢ / ١٦١

وقد نقل الامام الرازى خلاصة الاراء في هذه الاية خاصة في المسألة الثانية ما اورده من مسائل فقال (الاكثرون من المفسرين قالوا : ليس المراد من الارباب انهم اعتقدوا فيهم انهم آلهة العالم ، بل المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم ، نقل أن عدى بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه الاية ، قال : فقلت : لسنا نعبدهم فقال : (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ، فقلت بلي : قال : انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحبار والرهبان فكانوا يأخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى)[1].

وقد فند الرازى رأى الخوارج في قولهم : انه تعالى لما كفرهم بسبب انهم اطاعوا الاحبار والرهبان فالفاسق يطيع الشيطان فوجب الحكم بكفره ...

فاجاب بقوله (ان الفاسق وإن كان يقبل دعوة الشيطان الا انه لا يعظمه لكن يلعنه ويستخف به اما اولئك الاتباع كانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم فظهر الفرق ...)[2].

وقد اشار صاحب الظلال رحمه الله الى بعض الحقائق التي تتعلق بمضمون هذه الاية فمن ذلك ما قاله (ان العبادة هي الاتباع في الشرائع بنص القرآن وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاليهود والنصارى لم يتخذوا الاحبار والرهبان اربابا بمعنى الاعتقاد بالوهيتهم او تقديم الشعائر التعبدية لهم . ومع هذا فقد حكم الله سبحانه عليهم بالشرك في هذه الاية وبالكفر في آية تالية في السياق بمجرد أنهم تلقوا منهم الشرائع فاطاعوها واتبعوها فهذا وحده دون الاعتقاد والشعائر يكفي لاعتبار من يفعله مشركا بالله ، الشرك الذى يخرجه من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين ....

ـ ان النص القرآني يسوى في الوصف بالشرك واتخاذ الأرباب من دون الله بين اليهود الذين قبلوا التشريع من أحبارهم واطاعوه واتبعوه وبين النصارى الذين قالوا بالوهية المسيح اعتقادا وقدموا اليه الشعائر في العبادة ، فهذه كتلك سواء في اعتبار فاعلها مشركا بالله .

ان الشرك بالله يتحقق بمجرد اعطاء حق التشريع لغير الله من عباده ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بالوهيته ولا تقديم الشعائر التعبدية له كما هو واضح من الفقرة السابقة)[3].

---

١ - : التفسير الكبير للفخر الرازى ١٦/٣٦-٣٧ ط١ المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧-١٩٣٨ ٢ - المرجع السابق ١٦/٣٧-٣٨

٣ - : في ظلال القرآن ، سيد قطب ١٦٤٢/٣ ، دار الشروق ط ١٠ ١٤٠٢ - ١٩٨٢م

وما أفـاد به العلماء قديما وحديثا صحيح ولا شك فـي تفسيره ،لمـا أشار اليه القرآن الكريم من دلالات واضحة . من أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهـم أربابا من دون الله ..

والناظر في مصادر العقائد النصرانية يرى هذا الامر بوضوح فمن ذلك ما قاله صاحب خلاصة التصوف المسيحي :

(ان القديسين الذين يحظون بالله في السماء يعتنون بتقديسنـا ويساعدوننا على النجاح في الفضائل بشفاعتهم القوية وامثلتهم الشريفة التي تركوها لنا : فعلينا ان نحترمهم وبما انـهم شفعاء اقوياء علينا ان نستغيث بهـم وبما انهم امثلة لنا علينا ان نقتدى بهم ..

اذن نكرم في القديسين :

١) مقادس الثالوث الحية الذى تنازل وسكن فيهم وزين نفوسهم بفضائل ومواهب وأثر في قواهم ليجعلنا نصدر عن حرية اعمالا استحقاقية ومنحهم النعمة علامة الثبات .

ب)- ابناء الاب بالتبني : أحبهم حبا عجيبا وأحاطهم بعنايته الابوية فعرفوا أن يقابلوه على ذلك باقترابهم شيئا فشيئا من قداسته وكمالاته .

جـ) اخوة يسوع واعضاؤه بحب وثبات .

د) معابد الروح القدس وعماله الخضع المسلمون قيادهم الى الهاماته بدل ان يتبعوا بعمى ميول الطبيعة المنشودة)[1].

ويقول الاب اوليه (لذلك تستطيعون أن تعبدوا باحتـرام عميق حياة الله المنبثة في كل القديسين وتعظموا يسوع المسيح مقويهم جميعا ومكملهم بروحه الالهي ليكونوا جميعهم واحدا فيه . . .)[2].

ويقول ايضا (علينا ان نستدعيهم لننال شفاعتهم القوية وبسهولة اكثر نحن بحاجة اليه من النعم لا شك أن وساطة يسوع وحدها ضرورية وكافية بذاتها لكن بحصر المعنى ،بما ان القديسين هم اعضاء يسوع القائم من الموت يضمون صلواتهم الى صلواته اذن كل جسم المخلص السرى يصلي ويغتصب قلب الله اغتصابا عذبا)[3].

وما يضاف الى قولهم (واذا تناولنا الامر من ناحية اخرى فلديـنـا

---

١ - خلاصة التصوف المسيحي ١/ ٦٥-٦٦

٢ - المرجع السابق ١/ ٦٦

٣ - المرجع السابق

ايضا عبادة خاصة للقديسين شفعائنا اذ نرى في اصطفائنا اياهم شفعاء دلالة على العناية الالهية فعلينا ان نستفيد منها) ![1]

من هذه النصوص وغيرها نعرف كيف حرفت الديانة الصحيحة ، وكيف اصبحت ديانة وضعية .

فمن الواضح ان واضعي هذه المقولات قد جانبوا الصراط الذى سار عليه عيسى عليه السلام وحواريوه الخلص .

وهم بذلك يرتكبون جريمة الشرك بالله تعالى وقد ارتضوا بان يكونوا وسطاء بين الخلق والخالق وان يعبدوا من دون الله تعالى عما يصفون .

كما ان ادعاءهم بانهم رجال دين اكبر دليل على زيف هذه الديانة ذلك لان الدين المنزل من عند الله تبارك وتعالى لا يوجد فيه من يطلق عليهم رجال دين (انما يوجد رجال صالحون من جهة وعلماء وفقهاء في الدين من جهة اخرى وليس لهولاء على الناس سلطان الا سلطان المحبة والتقدير ومكان القدوة الصالحة في النفوس) .[2]

وهكذا فان الدين المنزل من عند الله يفترق في هذا الشأن عن الاديان المصنوعة على يد البشر في خصلتين اثنتين على اقل تقدير

(الاولى : ان يكون الذين يعلمون الدين للناس اقرب في سلوكهم الى حقيقة هذا الدين ومقتضياته اى اكثر وعيا واكثر اخلاصا واقرب الى الله كما كان المهاجرون والانصار بالنسبة للجيل الاول من المسلمين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

والثانية : ان يكونوا متفقهين في أمر الدين ليجيبوا الناس على اسئلتهم التي تخطر لهم بشانه سواء في الجانب التعبدى المتصل بالعقيدة والشعائر او الجانب العملي المتصل بالشريعة . . .

وأمر طبيعي أن يكون لمثل هولاء الرجال موضع التقدير والاحترام من بقية الناس ولكنهم بحكم طبيعة الدين المنزل من عند الله لايكونون موضع التقديس .

اولا : لانهم يعلمون الدين الحق والدين الحق يجعل التقديس لله وحده وليس لاحد من البشر .

ثانيا : لانهم يعلمون الدين بجانبيه ، ما يتعلق منه بالعقيدة والشعائر وما يتعلق بتنظيم أمور الحياة الدنيا بمقتضى الشرع الرباني فيخاطبون في

---

١ ـ خلاصة التصوف المسيحي ٠ / ٦٧

٢ ـ مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٦

الناس جانبهم الروحي وجانبهم العقلي والعملي التطبيقي ،فيظل ارتباط الناس بهم ارتباطا واعيا لا سحر فيه ولا غموض ولا اسرار ، ومن ثم لا يصبحون في حس الناس وسطاء بينهم وبين الله وانما وسطاء بينهم وبين المعرفة وفرق بين الوساطتين كبير).(١)

هذا هو مفهوم رجال الدين في الرهبانية والكنيسة المسيحية وذاك هو مفهوم العلماء والفقهاء في الاسلام ، والناظر في التاريخ الاسلامي العريق يجد اعلاما وعمالقة عظاما من علماء الاسلام في شتى المجالات ، كما يجد في التراث الاسلامي ما يبهر العقول لكثرة المؤلفات التي قام هؤلاء الافذاذ بتدوينها ونشرها في سبيل العلم والتعليم ، ولم يكن الغرض من ذلك دعوة الناس الى تقديسهم او انزالهم مرتبة الوسطاء بين الحق والخلق . انما كان الغرض ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى بنشر دينه واعزاز كلمته في ربوع الارض .

ولو علم اولئك الرهبان ما لمنزلة العالم في الاسلام دينا ودنيا لادركوا بحق انهم يعيشون في خيالات واوهام ، وان الحياة التي ينشدونها ما هي الا سراب ، وخداع ، واوهام لا اساس لها من الصحة ، . بل هي حياة زائفة من صنع صناديد الكنيسة التي استطاعت اغراق الرهبانية في زحمة المتاهات ، واستغلالها أبشع استغلال في سبيل تحقيق اغراض بعض اصحاب النفوس المريضة ، الساعية الى الطغيان .

وسوف اتعرض للاثار السلبية المترتبة على هذا الاستغلال في الصفحات التالية . ان شاء الله تعالى .

---

١ - : مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٦

الفصل السابع :

الاثـــار الســـلبية المترتبة على استغلال الكنيسة للرهبانية

استــطاعت الكنيسة بعد تكوينها وبث جذورها في العالم المسيحي استغلال الرهبان في تدعيم سلطتها ، وتقوية نفوذها ، ونشر دعوتها فـــي مختلف اصقاع العالم المسيحي . وقد ترتبت اثار سيئة على الاستغلال انعكست على المجتمع ككل ، ابرزها ، قيام السلطة البابوية بابشع جرائم الطغيان عـــبر تاريخ الكنيسة الطويل والذى برز بشكل واضح ابان العصور الوسطى ، وللوصــول الى هـــذه الحقائق ،كان لا بد من التعرف على النقاط التالية :

- نشـأة فكرة الكنيســـة وتطورها
- امداد الرهبانية للكنيسة بجيوش الرهبان لتدعيم السلطة .
- تطور مفهوم الاسقف
- طغيان السلطة البابوية ، المادى والمعنوى والاقتصادى والسياسي والديني .

من خلال هذه النقاط المطروحة يمكـــن تقييـــم الاعمـال التـــي قامت بها الرهبانية عبر التاريخ ، ومدى الاثار التي احدثتها ، والنتائـــج التي آلت إليها ، وذلك للوصول الى اعطاء حكم الاسلام فيها .

أولا :

نشـــأة فكـــرة الكنيســـة وتطورها

مما لا شك فيه ان فكرة الكنيسة بمفهومها الحالي لم تكن واردة مطلقــا في أذهان الجيل الاول الذى تربى في احضان دعوة عيسى عليه السلام ، .

وتعجز نصوص الاناجيل عن تلبية رغبات المسيحيين بسند قوى ليؤيـــدوا به دعواهم من ان المسيح عليه السلام قد امر بانشاء كنيسة او دعا الى ذلك .

حتى مفهوم الاكليروس او طبقة رجال الدين المسيحي لم تكن واردة مــن قريب او بعيد ابان القرنين الاولين .

وقد وجد الباحثون غموضا يلف الاسباب الداعية الى نشوء الكنيسة ،الا ان التتبع التاريخي لها ،ادى بالبعض الى كشف بعض الجوانب المحيطة بهـــذا الموضوع ، فقد كان المسيحيون (يجتمعون في حجراتهم الخاصة أو في معابـــد صغيرة وقد نظموا أنفسهم على مثال المجامع اليهودية واطلقوا على كل جماعة منهـــم اسم (الاكليزيا (EKKLESIA) وهو اللفظ اليوناني الذى كان يطلق علـــى الجمعية الشعبية في حكومات البلديات ، وكانوا يرحبون بالعبيد كما كان يرحب بهم في عبادات ايزيس وشراس ، ولم تبذل اية جهود لتحريرهم ولكنهم كانوا يواســـون بان يقال لهم انهم سيعيشون في ملكوت يكون الناس فيه جميعا احرارا) (١)

هذه الاجتماعات وتلك التجمعات ساعدت كثيــرا على ايجاد نوع مــن الهيئات الدينية البدائية ،وقد تمكنت فيما بعد من دراسة نظم ومناهج غريبـــة عن كيانها الاساسي فاخذت منها ما تستطيع تطبيقه على شكلها التنظيمي ، وقد كان لتنظيمات " يهود المهجر " واليهود الوثنيين أثر كبير في مد الهيئة المسيحيـــة الجديدة بالمبادئ الاساسية لهذا التنظيم ومن ثم كان لا بد من احداث وظائف ورتب ادارية وكهنوتية لهذه التجمعات .

وقد فرضت الضرورات انواع الوظائف وسمي الموظفون بأسماء اخذت عـــن اللغة الشائعة مثل :

- بريسبيتيروس : اى شيـــخ
- ابسكوبوس : اى مشــرف
- دياكونـــوس : اى خادم

---

١ - : قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٧٨

وقد تطورت معاني هذه الكلمات فيما بعد على التوالي الى :

ـ قس ، واسقف ، وشماس .

وقد استطاع منصب الاسقف ان يحظى بتاييد القطاعات الاخرى مما اتاح له فرصة السيطرة على الوظائف الباقية .(١)

وفي تطورات لاحقة : صورت الجماعات المسيحية هذه نفسها بعد تكوينها على ان كل واحدة منها تعتبر نوعا من (التلخيص لكنيسة السيد الكبرى ، راسها الشرعي الاسقف الذى يتخذ في ذلك قدوة من المسيح راس كنيسة الله (الكبرى) واخيرا قد اصبح الاسقف على اثر نمو الطقوس الدينية رئيسا للعبادات الجماعية (٢)

كما اصبح مفهوم الاسقف في عرفهم يعتبر (ممثل الله في الكنيسة ولا يصح لأحد أن يأتمر بأمر غيره فيها ومخالفة ذلك رجز من وحي الشيطان ، وكانت الفكرة الضمنية المتعارف عليها بطبيعة الحال : ان الاسقف لا يقوم بعمل الا بالاتفاق مع هيئة (البريسبيتروس)(و الدياكونوس) ولكن ايجيناس يقول : لتكن اعينكم معلقة بالاسقف حتى ينظر اليكم الله" ، ويقول: عليكم بتمجيد الله والاسقف .

. . . وقد صار المسيحيون في بداية القرن الثالث او حوالي ذلك يؤمنون عامة بأن وحدة التنظيم يجب ان تكون موازية لوحدة الايمان وأن لا تقل اهمية عنها . . . .

ومنذ ذلك الحين بدأ العمل في تبرير الامر الواقع)(٣)

وهو تدعيم سلطة الاسقف وهو ما سيتعرض له البحث بعد الحديث عن : امداد الكنيسة باعداد الرهبان ومساعدة الرهبانية لها في بسط نفوذها .

---

١ ـ راجع : المسيحية ، جنيبير ص ١٢٥ وراجع : تاريخ الاصلاح ص ٤

٢ ـ المسيحية : ١٢٧   ٣ ـ المرجع السابق

ثانيا : - امداد الكنيسة باعداد الرهبان

لم يكن بامكان اى تنظيم مسيحي الوقوف على قدميه دون الاعتماد على عناصر مؤهلة علميا ودينيا تمكنه من تحقيق أهدافه .

كما لم يكن بوسعه ايضا الاعتماد على الطبقات الدنيا من المجتمع اذ ظل العلم محصورا وحكرا على الرهبان سواء في العصور الاولى للمسيحية او في العصور الوسطى (١) كما لم تكن الاديرة قادرة على ضبط عناصرها الكثيرة المختلفة داخل اطارها الرهباني لفشل الانظمة المبتدعة والمخالفة للفطرة البشرية التي مر الحديث عن صورها في الفصول السالفة .

فكان لابد امام طبقات معينة من الرهبان الخروج عن نطاق اديرتها لتاخذ دورها في المجتمع المسيحي الواسع (٢) ، والمنفتح في الوقت ذاته على كل غريب خاصة على العالم الخارجي فلم يعد امام هذه الفئات سوى التنازل (٣) تدريجيا عن قوانين نذورها الديرية .

وامام هذين العاملين كان من الطبيعي جدا ان نرى المؤسسات المسيحية تنهض على اكتاف خريجي الاديرة من الرهبان (٤) واصبح كل دير حصنا منيعا ونقطة دفاع عن البابا فيما بعد ، وقد تفاقمت هذه الاعداد تفاقما كبيرا علما بان تلك الاديرة اسهمت الى حد كبير في عملية التبشير المسيحي التي فرضت نفسها (عن طريق التسرب اليومي البطيء المترتب على الصلات بين المدينة والقرى وفي بعض الحالات الاخرى اتسم انتشارها باعمال مفاجئة مثل تبشير قرية باكملها او مجموعة قرى في يوم واحد وكانت في غالب الامر تسير على اسلوب الابدال اى تحول لصالحها من الاساطير والخرافات السائدة معتمدة على عبادة القديسين لديها .

تلك العبادة التي يسرت كثيرا من مهمتها التبشيرية : فتقيم تماثيل قديسيها محل الشخصيات الالهية الصغيرة التي اعتادها الفلاحون واحبوها حبا جما لاعتقادهم بانها تؤدى لهم العديد من الخدمات اليومية التي يطلبونها منها وهكذا بدت القرى وكانها اخذة باهداب المسيحية ، وتقدم العمل التبشيري فيها كثيرا في نهاية القرن الخامس (٥)

---

١ - راجع : عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة ص ٩٩

٢ - المرجع السابق ١٧٩ - ١٨١

٣ - المرجع السابق

٤ - معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١١٠

٥ - المسيحية ، جنيبير ، ص ١٧٩ وقارن مع : تاريخ الحضارات العام ٣ / ٣٥

على أن اعداد الرهبان قد مكن الكنيسة بالفعل من بناء مؤسساتها الدينية والاجتماعية بصورة واسعة .

وهكذا صيغ مبدأ الكنيسة وفق مفاهيم الرهبان أنفسهم وضمن مخططهم وكذلك عقدت المجامع (١) الكثيرة وفق ارائهم وتطلعاتهم . حيث أقروا فيها ما رأوه مناسبا لمصالحهم ومكاسبهم وذلك وفقا للعقائد التي أمليت عليهم وهي في غالبيتها تحريف للعقيدة الصحيحة .

وعلى هذا النحو بدأت تتشكل عبر الزمن طبقات من رجال الدين أسهمت في تكريس نظام الاكليروس . كطبقة معترف بها . كما كان من الضروري ان تكون شرائحها العاملة من الرهبان أنفسهم وبذلك أمكن للكنيسة مجددا ايجاد المناصب التي مر ذكرها ومنها منصب الاسقف الذي تطور مفهومه تطورا خطيرا ليصبح في

---

١ ـ ما كانت الرهبانية لتصل الى تقرير وتمرير عقائدها وما حورته منها الا عبر مجامع عامة استندت اليها ودعت للاعتراف بشرعيتها . وما كانت هذه المجامع لتعقد لولا الغوض الدينية التي أصابت المجتمع المسيحي إبان العصور الاولى . على أن أوائل هذه المجامع كان معنيا باقرار عقيدة التثليث وما تفرع عنها من آراء تأليهية . اضافة لما أقر من قوانين وانظمة تتعلق بشؤون الكنيسة . الا ان أخطر مقرراتها تلك التي تعلقت بقرارات الحرمان وصكوك الغفران ومحاربة كل العقائد التي تخالف مبدأ التثليث وتعريض اصحاب العقائد الصحيحة للقتل والطرد من رحمة الكنيسة كما حدث لآريوس الذي نادى بعقيدة التوحيد .

كما أن أبرز مقررات هذه المجامع وأخطرها : ما تعلق منها بفرض شرعية الأناجيل الأربعة ورسائل أعمال الرسل،لما حوته من عقائد توافق هوى الرهبان ونزعاتهم الداعية الى الحلول والاتحاد .

وهكذا صيغت الاناجيل بصبغة القداسة وتم احراق ونبذ الكثير من الاناجيل الاخرى التي تخالف العقائد الوثنية في الديانة النصرانية .

وقد كانت اعداد هذه الاناجيل كثيرة الا ان المجامع المتتالية استطاعت ان تحرم قراءة أو تداول اى واحد منها لا تقره الكنيسة .

وقد كان انجيل برنابا احد تلك الكتب التي حوربت وحرمت قراءتها لما يتضمن من مخالفة عقائد التثليث والصلب وبنوة المسيح والوهيته .

وقد تعددت تلك المجامع . وقد سميت بالمجامع المسكونية وكان ابرزها :

في النهاية نواة لما سمي بالكرسي البابوي أو خليفة عيسى - عليه السلام - وممثل الله تعالى - بزعمهم - في الارض .

وهذا ما سيكون الحديث عنه في الصفحات التالية ان شاء الله تعالى .

=

- مجمع نيقية ٣٢٥ م
- مجمع القسطنطينية الاول ٣٨١م
- مجمع افسوس ٤٣١ م
- مجمع خلقيدونيا ٤٥١ م
- مجمع القسطنطينية الثاني ٥٥٣ م
- مجمع القسطنطينية الثالث ٦٨٠ م
- مجمع نيقية الثاني ٧٨٧ م
- مجمع القسطنطينية الرابع ٨٦٩ م
- مجمع اللاتران الاول ١١٢٣ م
- مجمع اللاتران الثاني ١١٣٩ م
- مجمع اللاتران الثالث ١١٧٩ م
- مجمع اللاتران الرابع ١٢١٥ م
- مجمع ليون الاول ١٢٤٥ م
- مجمع ليون الثاني ١٢٧٤ م
- مجمع فينا ١٣١١ م
- مجمع كونستانس ١٤١٤-١٤١٨ م
- مجمع بازل (متمم لسابقه ١٤٣١ م
- مجمع فرارا - فلورنسا ١٤٤٨-١٤٤٢م
- مجمع اللاتران الخامس ١٥١٢-١٥١٧م
- مجمع ترنست ١٥٤٥-١٥٦٣م
- مجمع الفاتيكان ١٨٧٠ م

هذه أهم المجامع التي عقدت حتى العصور الوسطى . وقد استغلت الرهبانية تلك المجامع كسلاح في وجه خصومها الدينيين والسياسيين وجعلت منها ستارا لتمرير ارائها المتعلقة بالعقيدة والشريعة والسلوك ومع تطور المفاهيم الكنسية استطاعت الرهبانية استغلال المجامع لابراز قوتها وبطشها وطغيانها على العالم المسيحي . ولهذا فقد قامت باصدار القرارات التي تدعم موقف البابا تجاه الامبراطورية وتأييد مشروطاته التوسعية ومد نفوذه في المجالين الديني والزمني .

وهكذا جعلت الرهبانية من هذه المجامع أعلى سلطة تشريعية لاصدار احكام التحريم والتحليل وفق اهوائها ونزغاتها . ناصبة نفسها كبديل عن تشريع الله تعالى وحكمه وقد صدق الله تعالى حيث يقول (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) التوبة : ٣١ . وأحيل القارئ الى المصادر والمراجع التي تحدثت باسهاب عن المجامع انفة الذكر والملابسات التي دارت حولها ومن ذلك : محاضرات في النصرانية ص ١٤٣ . وكذلك المسيحية د . شلبي ص ١٩٤ وأوروبا العصور الوسطى د . عاشور ٢ / ٢٢٥ . وفلسفة الفكر الديني ٢ / ٢٧٤ . والاسفار المقدسة.د . وافي ص ١٣٢ -١٣٣ ط ٤ ٨ وكذلك " يا اهل الكتاب". د . رؤوف شلبي ص ٢١٢ .

ثالثا : تطور مفهوم الاسقف :

بعد التوسع في انتشار الجمعيات المسيحية المختلفة وتركيز الكنيسة لجهودها (شاع الاعتقاد بان النظام الاسقفي الملكي انما انشأه الحواريون انفسهم وتقدمت كل كنيسة بقائمة للاساقفة ترجع بها الى الحوارى الذى انشأها او ان لم يتيسر لها الاعتماد على حوارى فالى تابع من اتباعه او مندوب كنيسة حواريه كان له الفضل الاول في تاسيسها .

واتخذ لسلطة الاسقف رمزا من ذلك الكرسي (الكاتيدرا) الذى زعموا انه قد جلس عليه سائر الخلفاء . فاذا قيل مثلا "كرسي بولس" فانما يعني ذلك : "سلطة اسقف روما" . وعلة هذه السلطة هي "سنن الحواريين" مثلها في ذلك مثل "شروط الايمان" . ولن يبحث الباحثون عن تبريرات انجيلية للنظام الاسقفي الملكي الا في عهد متأخر ، ولقد وجدوه في انجيل متى .) (١)

---

١ - : المسيحية ، جنيبير ص ٩ ١٢٧-١٣٩ ، وما وجد في انجيل متى هو الاصحاح ١٦ : ١٨-٢٠

وقد زعمت الكنيسة ان المسيح قال لبطرس كبير الحواريين : انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا في السموات .) وانه قال (اني اهب سلطاني لكنيستي) .

ورتبت الكنيسة على هذا الزعم ان المكان الذى مات فيه بطرس وهو روما لا بد ان يكون مقرا للنفوذ الديني الذى يبسط ذراعيه على الارض كلها ممثلا في الكنيسة وان كل ما تقوله الكنيسة وعلى رأسها البابا واجب الطاعة لأنه من أمر الله .

اما المقولة التي نسبوها الى المسيح واولوها على هواهم فهي لا تعني ان (تكون هناك كنيسة بالمعنى الذى صار اليه الامر في الكنيسة الاوروبية ولا رجال دين لهم وجود متميز وسلطان على المؤمنين بذلك الدين ، انما هي على فرض صحتها لا تعني اكثر من قول الله عن المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) سورة المنافقون : ٨ فهي عزة يمنحها الله للمؤمنين بدينه . يعتزون بها في الارض على الكفار والمنافقين وليست سلطانا ذاتيا يمارسونه على المؤمنين ولكن هذا الفهم الخاطئ والتاويل المعوج سارت الامور في المسيحية المحرفة فصار لها كنيسة ورجال دين يرأسهم قداسة البابا ويرسمهم ذلك البابا اى يضعهم في مناصبهم وصار لهم على الناس ذلك السلطان المعروف في التاريخ الاوروبي الذى لم يكن سلطانا عاديا وانما وصل الى حد الطغيان المتعدد الالوان)

: مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٧-٣٠ وقارن مع : العلمانية ، نشاتها وتطورها واثارها ، سفر عبد الرحمن الحوالي ص ٨٢-٨٤ دار مكة ط ١ ، ٢ ، ١٤٠٢-١٩٨٢م وراجع الانتقادات الواردة حول هذا الموضوع في : تاريخ الاصلاح ص ٥

ازاء هذا التطور في توسيع مفهوم ومهام الاسقف كان لا بد من الوقوف عند نقطة هامة تظهر مدى خطورة الاقدام على مثل هذا الاجراء .

فمع هذه البداية التي كانت نواة لتشكيل الجهاز الخاص الذى قامت على اساسه سلطة البابا فيما بعد كان مؤشر هذا الانحراف قد بدأ يميل شيئا فشيئا نحو اغراق الرهبانية في مهمة لا تتفق مع شعارات الزهد والتبتل والتقشف المرفوعة من قبل القائمين عليها .

فامام شهوة الرتب الكهنوتية والمناصب البراقة تمكنت طبقات معينة من الرهبان من استغلال الحاجة الى ملء المناصب ، ففتحت اعينها للجاه العريض واذانها للسمعة الواسعة المغدقة ، نتيجة للمهام الدينية والاجتماعية التي نيطت بها ، وقد دعي هؤلاء فيما بعد " برجال الدين العلمانيين " تمييزا لهم عن غيرهم ويشمل هؤلاء الاساقفة وقساوسة الكنائس الكبرى وقساوسة كنيسة الابرشيات (١) .

وينقل جيبون صورا للاسلوب الذى كان يتم فيها تنصيب هؤلاء ومن ذلك قوله (كان الناسك ينتزع من صومعته على غير رغبة منه ويوضع على العرش الاسقفي وسط تهاليل الناس وكانت اديرة مصر وبلاد الغال (فرنسا) والشرق موردا ، منتظما متصلا بجيء منه القديسون والاساقفة وسرعان ما اكتشفت الاطماع ذلك الطريق السرى الذى يؤدى الى الحصول على الثروة والوصول الى المناصب ومن ثم فان الرهبان ذوى الصيت الذائع الذين ارتبطت سمعتهم بشهرة طائفتهم ونجاحها عملوا جاهدين على مضاعفة عدد اترابهم الاسرى) (٢) للغرض نفسه .

كانت هذه المناصب التي تدر مكاسب جمة من الصعب التنازل عنها كما لا يمكن تجاهلها من قبل الرهبان ، وكان لا بد من التنازل عن شيء ما .

وهكذا فتحت الدنيا امام هؤلاء الذين وجدوا في هذا الفتح الكبير حياة تنسي ألم الجوع المعوى والتحرق والكبت الجنسي على حد سواء . حياة تغني عن عيشة الفقر والابتذال والتسكع آمادا طويله تحت رحمة رئيس الدير او من ينوب عنه .

لقد كان من الصعب التوفيق بين الحياة الاولى والحياة الجديدة التي ضمنت لهم الرفاهية والتمتع بمباهج الحياة على أوسع نطاق ودون ضابط . وكان من الطبيعي ايضا ان يستجيب هؤلاء لنداء الغرائز المكبوتة ، فضرب هؤلاء بالنذور الرهبانية الثلاثة عرض الحائط ونهلوا من معين الشهوات ما لذ لهم وطاب دون وازع من دين . وقد اتخذوا المظاهر الدينية البراقة ستارا لاعمالهم .

---

١ - عالم العصور الوسطى ص ١٧٥

٢ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية ص ٢ / ٣٢٤

وقد أدت الأوضاع الجديدة الى سن تشريعات تتناسب والظروف الراهنة فكان لا بد من التنازل عن بعض الشروط التي يجب ان تتوفر في الاسقف .

ولاول مرة اعتبرت شروط انتخاب الاسقف مرنة الى درجة كبيرة فقد (طلب الى المرشح لهذا المنصب ان يقدم دليلا على أخلاقه الطيبة وضمان ذلك أن يكون متزوجا أو أرملا) .(١)

وهكذا تم بهدوء تجاوز المعضلة التي لا يمكن ان تمر لولا الضغوط الملحة التي مورست على الاديرة من الداخل والناجمة عن الاوضاع الشاذة .

وبدأت سلسلة التنازلات تتوالى واحدة تلو الاخرى اذ ما لبث (الصراع على المنصب يأخذ ابعادا خطيرة والوانا من العراك على الكراسي الدينية فهناك التنافس والتآمر للحصول عليها يزداد عن الحد فضلا عن بيع المناصب والرشـــا التي عرفت باسم السيمونية).(٢)

وقد كانت المسؤولية التي كلف بها الأسقف تتضمن :

(الادارة الدينية والاخلاقية اضافة الى سلطة التنظيم والعقاب ، وكان له ايضا ان يعزل كل مخطىء يقوم في رأيه بعمل غير لائق فلا يقبله في طقوس القربان ، وينفيه نفيا خارج حدود الجماعة . . وكانت وظيفته تعتمد خاصة على اقامة الطقوس القدسية فهو يعمد ويمسح بالريان وتلك هي الصلاحية التي جلبت لـــه من بين كل صلاحياته أكبر قسط من التقدير والنفوذ وأن أهميته في هذه الناحيـــة لسوف تزداد بعد ذلك بتأصيل المفهوم السحرى لطقوس الاسرار الفعالة فـــي شعائر العبادة ، فاذا اضفنا الى كل ذلك ما فرض على الاسقف من عيادة المرضى وحث الناس على الصبر وبعث الامل لديهم لادركنا دوره وجوانب سلطاته المختلفة)(٣)

---

١ ـ المسيحية جنيبير ، ص ١٣٩ الا ان مبدأ زواج القسس وعدمه ظل بين مد ر وجزر مددا طويلة ، وقد عقدت لاجله المؤتمرات ، وكانت القرارات تدين هذا الزواج لا حبا في التبتل هذه المرة ، بل خوفا من انتقال أملاك الكنيسة الكثيرة الى ورثة الرهبان) راجع في ذلك : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٣٤ -١٣٤

٢ ـ راجع ما قرره مجمع روما عقب تفشي هذه الجرائم وذلك في : اوروبا العصور الوسطى د . سعيد عبد الفتاح عاشور ١/ ٧١٣ ط٧ ١٨٧-١٩٨١ مكتبة الانجلو المصرية .

٣ ـ المسيحية ، جنيبير ص ١٤٠-١٤٥

ولم يكن لهذه السلطات من حدود في الحقيقة سوى استغلال الاسقف لها مما أثار بعض الوان المقاومة لدى صغار الموظفين . .إلا أن الأسقف انتصر على هؤلاء فجردهم من الصلاحيات .

وبعد انتصاره النهائي انتظم موظفو الكنيسة الاخرون الذين لم يعرفوا بالاكليروس الا في القرن الثالث ،لقد انتظموا الى جانبه في (هيئة) أو في طائفة خاصة متميزة بين جمهور المؤمنين (المسيحيين) .(١)

وحتى هذا الوقت ورغم التوسع في التنظيمات المختلفة للكنيسة فقد ظل ولاؤها قائما للاباطرة ، ويتضح ذلك من خلال ما وجهه ترتليان في عام ١٩٧ م الى محكمة خيالية وهي معروفة باسم الدفاع اكد فيها للرومان ان المسيحيين (لا ينقطعون عن الدعاء لجميع الاباطرة وسلامة الاسرة الحاكمة ويطلبون الى الله ان يهب البلاد جيوشا باسلة ومجلس شيوخ ، وفيّ ، أمين ، وان يمن على العالم بالهدوء) .(٢)

وقد أفادت الكنيسة في عهد قسطنطين كثيرا سيما وان هذا الأخير قد استغلها في تثبيت دعائم امبراطوريته (.بعد ان اقنع الاباطرة بضرورة كسب اصوات الجماهير ايا كان اللون الذى ترتديه وكان للمسيحية نصيب كبير بعد ان تنامت قوتها واصبحت اعدادها صالحة للمساومة) .(٣)

وقد اقتنع قسطنطين أخيرا بانه عاجز عن سحقها فاثر التحالف معها .(٤) وقد تحدث المؤرخون عن الانتصار الذى احرزته الكنيسة تجاه تدعيم سلطاتها ونمو قوتها ازاء الدولة الرومانية .

الا ان هذا الانتصار لم يكن الا نكبة في اعين العلماء فقد عبر جنيبير عن هذا الواقع بقوله :

(والواقع ان المسيحيين كانوا قد دفعوا ثمن الانتصار دفعوه غاليا بحيث نستطيع القول في شيء كثير من الجزم بان مؤمني عصر الحواريين لم يكونوا لينظروا الى هذا الانتصار لوقدر لهم ذلك الا على انه نكبة كبرى)(٥)

---

١ ـ المسيحية جنيبير ،ص ١٤٢

٢ ـ قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٠٧ وقارن مع تاريخ اوروبا العصور الوسطى ،هـ.أ. فيشر ١/١١ ت: محمد مصطفى زيسادة ، السيد الباز العريني دار مصر ١٩٦٦

٣ ـ المسيحية ، جنيبير ص ١٨٢

٤ ـ عالم العصور الوسطى ص ٤٤

٥ ـ المسيحية ، جنيبير ص ١٨٢ وذلك يعود لتسلط رعاة الكنيسة على اولئك المؤمنين على حد تعبير " ميرل " راجع : تاريخ الاصلاح ص ٤٥٧

والنظرة الاولى الى أحوال المسيحية تكفي (لان تبين ان الانتصار على اعداء الدولة دفعها الى اتجاه جديد لم يكن من نصيب اتباع المسيح حقيقة . انما كان من نصيب حكامهم" أي الكنيسة". وان تلك الامتيازات التي تمتع بها المؤمنون عامة في أعقاب الحل الوسط الذى اتخذه قسطنطين لم تأتهم سوى نتيجة لاتفاق بين قوتين بل بين حكومتين تبحث كل منهما أولا وقبل كل شيء عن مصلحتها الخاصة) (١).

وقد اعتبر العلماء ان تحول قسطنطين الى المسيحية أتاح للمسيحية ان تصبح هي الامبراطورية الرومانية في قالب كنسي) (٢).

وهكذا هيىء للاكليروس مناخ جديد لانشاء تنظيماته (خلال القرن الرابع . وكان لاقامة الاساقفة المركزيين والبطاركة أثر ملموس في تنسيق التدرج الوظيفي بالكنيسة التي اتجهت بذلك شيئا فشيئا نحو الملكية البابوية .

كما كان لعقد المجالس والمؤتمرات الكنسية المتعددة أثره في تدعيم وتوضيح مفهوم الكاثوليكية للايمان لدى هذا الاكليروس وسعوله في نفس الوقت بتوحيد نظمه وتوسيع أبعاد عقائده اكثر فاكثر وسارت تلك الهيئة المسيحية الكبرى بدفعة هائلة من النشاط فبدت وكانها تجذب اليها لتستوعب كل ما احتفظ به العالم الوثني من جوهر حي . وحتى الطقوس والمراسم التي اتشح بها الاكليروس وازدان ، نراها تتضخم وتزداد بريقا فهي قد تبنت كل زخارف العبادات القديمة) (٣).

ومن زاوية اخرى فان الكنيسة وهي (الممثلة للشعب المسيحي كله بالنسبة الى الدولة كانت تميل الى تشكيل تنظيماتها الادارية على غرار تنظيمات الدولة نفسها . والى اتخاذ الاطارات الرسمية حدودا لها . بل نلحظ انها توشك ان تكون واحدا من الفرعين الاساسيين للادارة العامة مع حفظ جريانها وامتيازاتها المكتسبة التي تستطيع الدفاع عنها عندما تقتضي الضرورة ذلك . وتنمو روح الحكم فيهما كما تنموا الاجهزة الادارية تحت تأثير الطمع الذى لم يكن منه بد . في الوظائف من كل جنس . وكرد فعل (على) ما حققته من مكاسب في صفوف

---

١ - المسيحية ، جنيبير ص ١٨٢

٢ - تاريخ اوربا العصور الوسطى فيشر ١/١٠٦

٣ - المسيحية ص ١٨٢ - ١٨٣

الارستقراطية .

وبذلك نزعت الى الانفصال يوما بعد يوم عن جمهور المؤمنين البسطاء والى التدخل المتزايد في التدبيرات السياسية الا انها باتخاذها هذه الوجهة لم تفقد استقلالها فحسب بل تشربت شيئا فشيئا بمشاغل الحياة الدنيا حتى ابهمت عليها في بعض الاحيان مفاهيم رسالتها واسباب وجودها) .(١)

هكذا تكون الرهبانية قد تخلت عن مفاهيم العزلة ، ولولا الكبت والحرمان وشدة التقشف لما حل بها من انفصام في شخصيتها الامر الذى حولها من النقيض الى النقيض . وباتت الاغراض الدنيوية هي الهدف الذى يسعى اليه الرهبان الجدد . ولا بأس ان تكون هناك شعائر وتراتيل وطقوس كستار وتغطية للاعمال التي تدار في الخفاء .

---

١ ـ السبهجية ص ١٨٣

وتجدر الاشارة الى ان هذا التحول قد أسهم فيما بعد في أفول نجم البابوية راجع في هذا الصدد : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ل . م . هارتمان ص ٥٣ وكذلك تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر ص ٦

رابعـــا :   الطـغيـــا ن البابـــوى والكنســـي

كانت هذه مقدمات ضرورية لبروز السلطة البابوية وطغيانها علـــى المسرح المسيحي . وقد اعتبر العلماء ان (من اقوى اسباب هيمنة الكنيســـة على هذا المجتمع يتمثل في العمل على ادخال المعتقد المنادية بان الكنيســـة هي الواسطة في غفران الذنوب . ودخول الجنة ، وقد كان الاهتمام بشؤون ما يسمى بالحياة الاخرى شغلهم الشـــاغل ، ومن شدة خوف الناس من عقـــاب الاخرة كانوا يعكفون في بيوتهم ويكرسون حياتهم للعبادة يعذبون انفسهـــم في هذه الحياة كيما يخف عقابهم في الاخرة ،ولما كان رضاء الكنيسة ضروريا لغفران الذنوب وكان غضبها مما يؤدى الى غضب الله ودخول النار ، فقد أصبح للكنيســـة سلطان قوى على الجميع .)[1]

أما الأمر الآخر فهو : ما قامت به الكنيسة من عمل بهدف الاستقـــلال عن الحكم الامبراطورى الروماني .

فقد بقيت (الكنيسةتحت حكم الإمبراطورية الرومانية حين كانت قويـــة ، فلما ضعفت الحكومة المركزية ودخل البرابرة الأقاليم الرومانية أخذت الكنيســـة تتخلص تدريجيا من تدخل الحكومة في شؤنها ورقابتها عليها .

وجاهر أحد أساقفة رومة في القرن الخامس (بأن العالم تحكمه قوتـــان قوة الكنيسة وقوة الملك والأولى تفوق الثانية لان الكنيسة مسؤلة أمام الله عـــن أعمال الجميع حتى الملوك انفسهم)[2].

وبما أن التنافس بين الامبراطورية والبابوية أصبح في مرحلة مـــن المراحل شديداً جداً فقد غلب الطابع الفكرى المسيطر على رجال الكنيسة وبـــدا واضحا تبني الكنيسة لفكرة الامبراطورية التي تهدف الى السيطرة على العالـــم ولو بالقوة اذا اقتضت الضرورة ذلـــك ،وهكذا احتفظ (المسيحيون) بالفكـــرة الامبراطورية .[3]

---

١ - : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٢

٢ - المرجع السابق .

٣ - : عالم العصور الوسطى ص ٥٢

ويعتبر المؤرخون ان غارات البرابرة (كالقوط ، والجرمان وغيرهم) ، على أرجاء الإمبراطورية الرومانية كانت من أهم العوامل المساعدة التي مكنت البابوية من النهوض واستلام زمام الأمر ، إذ لم يعمل البرابرة على المساس بأمن الكنيسة ورجالها، بل نكلوا فقط بالمؤسسات الرومانية وتوابعها[1] . وكان ذلك يمثل عونا كبيرا للكنيسة إذ عمل على ازاحة السلطة الامبراطورية تدريجيا من طريقها .

وما يهم البحث هنا : معرفة أهم الشخصيات البابوية التي عملت على توسيع نفوذ الكنيسة والتي أسهمت في تسيير الدفة ومن ثم التعرض بايجاز لاهم الأحداث التي رافقت نمو هذه السلطة والاسباب التي أدت الى اضمحلالها والطغيان الذى مارسته على جميع جوانب الحياة المسيحية .

---

١ - يقول كولتون عن ذلك (وحينما اكتسح البرابرة في أثناء غزواتهم الحكام والقضاة الرومان كانوا يستبقون عادة الأسقف في أسقفيته والقس في مذبحه)

: عالم العصور الوسطى ص ٥٢ وهامش ص ١٠٣ منه

ولاحظ : تاريخ العصور الوسطى ، فيشر ١ / ٥١

أهــم الشخصيات البابوية وآثارها على الكنيسة :

اولا : البابا هلدبرند (١٠٧٣-١٠٨٥) م .

من أهم الشخصيات التي برزت على الساحة البابوية : البابا "هلدبرند" (١)
(١٠٧٣-١٠٨٥) الذى أصبح إسمه فيما بعد غريغورى السابع ، ففي بداية حياته (عين سكرتيرا للبابا (ليو التاسع) ومن ذلك الوقت صار صاحب النفوذ الأكبر في الأمور الدينية وبقي كذلك إلى أن مات سنة ١٠٨٥ ويعد هلدبرند المثل الأعلى للبابوية وكان ضئيل الجسم ذا عزيمة لا تفل ويقين لا يتزعزع في ان الكنيسة صاحبة السيادة في العالم كله تستمد نفوذها من الله مباشرة ، وتمد هي ملوك الارض وامراءها بالنفوذ وكان يعتقد ان البابا له مركز فذ في العالم فهو الذى يولى الاساقفة ويخلعهم وله الحق في خلع الاباطرة لانه سيدهم الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وقد بدأ تنفيذ خطته بان جعل انتخاب البابا بواسطة الكرد ينالات وهم الروساء الدينيون في روما ، وبذلك تخلص من القوة الزمنية التي كانت تسيطر على انتخاب البابا واستحث البابوات على اجراء الاصلاح في الكنيسة واعلاء شأن البابوية وكلمتها ، وكان مقتنعا تمام الاقتناع بلزوم تفوق البابوية وتوليها رئاسة العالم المسيحي المتحد .

ولما وصل غريغورى السابع الى كرسي البابوية سنة ١٠٧٣ اعلن خطأ النظرية القائلة بان الامبراطورية ظل الله في الارض وقال :

ان الامبراطورية لا يمكن ان تكون كذلك لانها تعتمد على القوة الغاشمة واما الكنيسة فتعتمد على الفضيلة وهي بهذا معصومة من الخطأ . . . واستنتج ان رئيس الكنيسة يجب ان يسيطر على الناس جميعا .

وراى غريغورى انه يجب ان تكون الكنيسة وحدة متجانسة تخضع لرئيس واحد هو البابا وعلى ذلك حتم على الأساقفة ان يقسموا يمين الولاء له وحرمهم استقلالهم المحلي وأعلن حقا استئناف جميع القضايا المهمة اليه رأسا ثم أعلن أن كلمة البابا هي العليا في الكنيسة وأن ارادته فوق اكبر هيئة دينية وهي المجالس الملية ، ثم ارسل نوابه الى كل الممالك ، يمثلونه امام الملوك والامراء وينفذون اراداته وكانوا له بمثابة عيون وسفراء يخبرونه بما يجرى من الشوءون المختلفة وأخذ يكتب للملوك يذكرهم بتبعية ارضهم للرسول بطرس ويطلب اليهم ارسال الاعشار . (٢)

---

١ - راجع في ذلك : تاريخ الاصلاح ص ٨
٢ - راجع : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٢٧

وقارن مع : تاريخ اوروبا العصور الوسطى ، فيشر ١/ ١٤٧

ثانيـــا : البابا اربان الثانـــي (١٠٨٨-١٠٩٩)

جند هذا البابا جميع جهود ة للـنيل من المسلمين وهو الذى افتتح عصر التوسع الصليبي ضد العالم الاسلامي في موتمر كليرمون الكنسي في أواخـر نوفمبر من عام ١٠٩٥ م .

وكانت الخلافات على اشد ها بينه وبين ملوك الغرب فقد اوقع قـرار الحرمان في الموتمر المذكور ضد فيليب الاول ملك فرنسا ، كما واصل سياسـة سلفه جريجورى في الافتئات على سلطان الامبراطور ولذلك لم تكن العلاقـات طيبة بينه وبين خصمه الامبراطور الالماني هنرى الرابع ، وكانت بينهما جـولات وصولات انتهت بانتصار اربان الذى اصدر قرار الحرمان الكنسي ضد هنـرى .

ولعل هذا يفسر لنا سبب عدم اشتراك الامبراطور الالماني وملوك الغرب في في الحملة الصليبية الاولى التي دعا اليها هذا البابا .(١)

ثالثـا : البابا انوسـنت (١١٩٨-١٢١٦)

تعلم هذا البابا في مراحله الاولى في جامعتي باريس وبولوني بايطاليا القانون وصار عليما فيه فصيغ ادعاءات البابوية بصيغة قانونية .

وتتلخص خطة هذا البابا بما يلي :

١) ان يصبح البابا السيد المطلق في ايطاليا وعلى ذلك منـع الامبراطور من تثبيت نفوذه في تلك البلاد .

٢) ان يكون البابا الرقيب الاعلى على ملوك اوروبا .

٣) ان يخلص بيت المقدس من ايدى المسلمين وان يخضع الكنائـس الشرقية وخصوصا الكنيسة الشرقية البيزنطية كنيسة القسطنطينيـة لسلطة البابا وان يقضي على الملحدين في كل مكان) (٢)

وقد استطاعت الكنيسة البابوية تنفيذ خطته ومن جاء بعده تنفيذا تمثل باستمرار الحروب الصليبية ضد المسلمين . الا ان الله تعالى رد كيدهـم خائبين .

لقد جعل انوسنت من البابوية المركز الاكثر تمجيدا بالنسبة للمسيحيين

---

١ - راجع : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ص ٥٠ -٥١

٢- : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٤٣

(١) اذ اعتقد اعتقادا حرفيا ان البابوية خليفة المسيح في الارض وان البابا ملك في " امور الدين والدنيا ").(٢)
على وجه الارض.

(اما الابرشية المقدسة لروما فهي من وجهة نظره انها (تجلس في مكان متوسط بين الله والبشر هي أدنى من الله ولكنها اعلى من البشر) .(٣)

ويكاد يتفق جميع المؤرخين ان البابوية بلغت اوج عظمتها في عهد انوسنت بعد ان اصبحت الامبراطورية تحت رحمته ، وبعد ان دانت له كافة دول الغرب بالولاء .(٤)

ومن خلال رسائله عرفت قوة شخصيته ،فقد كتب هذا البابا رسالة جاء فيها (ان الله خلق الشمس والقمر ليتضيء الناس بالشمس ، وليخفف القمر من ظلام الليل وانه عز وجل خلق في الكنيسة العالمية سلطتين اولاهما سلطة البابوية لتشرف على رعاية ارواح اتباعها ، وثانيهما الملكية لتحكم في الاجساد ، ولكن سلطان الاولى يفوق بكثير سلطان الثانية فكما يستمد القمر ضوءه من الشمس كذلك تستمد الملكية قوتها من البابوية ،ومن الذى يجروء على وضع الجسد فوق الروح؟ في تلك العصور التي عرفت في التاريخ باسم عصور الايمان والتي هيمنت فيها الكنيسة الكاثوليكية بيد من حديد على مصائر الناس وعلى حياتهم الخاصة والعامة ، حتى ان كل من كان يخرج على تعاليمها وقيودها كان يعرض نفسه لاشد انواع العقاب ، وما اكثر أسلحة الكنيسة التي كانت ترهب بها معارضيها في ميدان العمل السياسي .

وقد سيطرت هذه الافكار فيما بعد على البابوية ،ففي القرن الرابع عشر قال البابا بونيفاس الثامن (١٢٩٤-١٣٠٣م) بان الخضوع للبابا الروماني شرط ضرورى لخلاص جميع البشر ، وقد ورد هذا الرأى في المنشور المقدس المعروف باسم (Unam Sanctam).(٥)

---

١ - راجع : الحملة الصليبية الرابعة د . اسمت غنيم ص ٤٧ ،دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٨ هـ -١٩٧٨م

٢ - تاريخ اوروبا العصور الوسطى ،فيشر ٠ :٢٣٢

٣ - الحملة الصليبية الرابعة ص ٤٨

٤ - الدولة والامبراطورية ص ٥٢

٥ - المرجع السابق ص ٦٠-٦١

هذه النماذج هي التي أسهمت في جعل القوانين الكنسية عقيدة متأصلة في أعماق الناس وأذهانهم . وقد تمخض عن هذه العقيدة نظريات عدة نادى بها أنصار البابا .[١] من أهمها :

١) ـ نظرية الوحدة : تقوم على أن العالم المسيحي عبارة عن وحدة اجتماعية ودين واحد وعلى مذهب روما الكاثوليكي.[٢]

٢) نظرية السيفين : وتنادى : بان الله تعالى له ملك الدين والدنيا وبيده سيفان سلولا ن احدهما يمثل سلطانه على الأرواح والآخر على الأبدان ويعنون بذلك سلطة البابا والسلطة الزمنية العلمانية الا أن سلطة الروح تفوق سلطة الجسد.[٣]

٣) هبة قسطنطين : وتقوم على ان قسطنطين الكبير (٣٠٥-٣٣٧) لما شفي على يد البابا سلفستر الأول كافأه باصدار قانون يبيح للبابا لبس التاج واستعمال الصولجان كالأباطرة .[٣] وقد أثبت كولتون انها زورت سنة ٧٥٠م.[٤]

٤) نظرية هبة ببين القصير : تنادى بأن ـ : ببين هذا قد وهب البابوية بالاضافة الى كيانها الروحي جميع ايطاليا ، وذلك اعترافا بفضلها عليه في تأسيس البيت الكارولنجي .[٥]

٥) نظرية " مدينة الله " ومصدرها كتاب أغوسطين نفسه الذى ألفه عقب كارثة روما عام ٤١٠ على يد القوط وقد نادت(انه إذا جاز أن تتحطم مدينة الانسان المبنية على القوة المادية فإن مدينة الله لا تزال بخير واذا كان بوسع البشر قتل الجسد فان الروح لا قدرة لهم على المساس بها) .[٦]

وكانت هذه النظرية من أكثر النظريات قبولا لدى الحزب البابوى .

وعلى هذا الأساس استمر تدفق البابوات خلال القرون الوسطى ، واستمر إرتفاع نفوذ البابوية وهبوطها تبعا لقوة البابا أو ضعفه .

الا أن السمة الغالبة على تلك العصور هي هيمنة الكنيسة على مرافق الحياة لكن الأمر الذى أرق الكرسي البابوى هو الصراع المتفاقم بين البابا وسلطة الاباطرة .

ولهذا فإن الصدام بينهما لم يهدأ مما دعى المؤرخ "هارولد لامب" الى إطلاق لفظ السنوات السوداء" على تلك الفترة المضطربة لما تخللها من احداث رهيبة اهتز لها كيان العالم الاوربي .[٧]

---

١ ـ راجع : الدولة والامبراطورية ص ٥٤-٥٩ ٢ ـ المرجع السابق ٣ـ المرجع السابق

٤ ـ راجع : عالم العصور الوسطى ص ٢٤٨ ٥ ـ راجع : الدولة والامبراطورية ص ٥٤

٦ ـ المرجع السابق ص ٥٧-٥٨ وقد علق كولتون على هذا الكتاب بقوله (انه يعتبر كتاب شعوذة قوامه الزيغ والمهاترة حتى ان اقل القراء حساسية يمكنهم ان يلمسوا فيه احيانا حرية مطلقة في تفسير الكتاب المقدس) عالم العصور الوسطى ٢٦٨

٧ ـ الدولة والامبراطورية ص ٥٢-٥٣

ولم تـأت شهادة " لامــب " من فراغ ، فقد سبقه العديد مـــــن الاوروبيين وعلى رأسهم بطرس ديبوا الفرنسي (١٢٥٠-١٣٢١م) صاحب الكلمة المشهورة عند علماء التاريخ والتي قال فيها (ان البابوات كثيرا ما اشعلوا نيران الحرب بدلا من ان يعملوا على اخمادها .)(١)

كما نادى مارسيليو أوف بادوا المعاصر لسابقه (بانه ليس للبـــابا أي ضـــرورة في المسيحية) .(٢)

ومع ذلك (فقد انتصرت البابوية في صراعها العلماني ضد الامبراطورية والقوى الزمنية الأخرى في الغرب ، ولكن هذا النصر الكبير كان يحمل في طياتـــه بذور الضعف والخذلان ذلك لان الكنيسة اللاتينية كان قد فشى فيها الفســـاد كما خرجت البابوية عن رسالتها الروحية التي قامت من أجلها مما أثار الشـــكوك في أذهان الناس حول الكنيسة وتعاليمها والبابوية وتصرفاتها .

ويبدأ (هنا) نجم البابوية في الأفول ، وينفض الناس من حولهـــا ويتخلون عنها نتيجة انصرافها عن رسالتها الروحية وانشغالها في العمل علـى بسط سيادتها الزمنية على حساب الحكام والملوك والاباطرة الذين اذلتهم باسلحتها بغير حساب .)(٣)

وقد كانت مؤشرات هذا الأفول ظاهرة للعيان ، وذلك حينما لم يعبـأ البابوات بأي قانون او سلطة تحد من نفوذهم ، فقد كانوا يشهرون سلاح الحرمان بوجه اى معترض على ممارسات الكنيسة واراتها المخالفة لروح وتعاليم المسيح عليه السلام .

وما اكثر الاسلحة التي حارب البابوات بها الناس ، ومن خـــلال الجدول التاريخي لاسماء البابوات الذين تقلدوا كرسي بطرس في روما وغيـــره نعلم مدى معاناة الشعوب المسيحية الرازحة تحت حكم القرارات الصادرة عـــنهم

فمنذ نشوء هذا المنصب عام ٣١٤ -٣٣٥ في عهد سلفستر الاول ؛: مارك وحتى ١٤٠٦-١٤١٥ م على عهد جريجورى الثاني عشر(٤) والعالـــم المسيحي يعيش هذه المأساة المفجعة . فما يقارب الف عام من الزمن وهي ليست بالامر الهين من عمر البشر ظلت هذه الشعوب تذوق مرارة قرارات الحرمان البابوية .

---

١ - عالم العصور الوسطى ص ٢٧٥
٢ - الدولة والامبراطورية ص ٦٢ - ٦٣
٣ - المرجع السابق ص ٥٣
٤ - راجع الجدول المدرج في كتاب : اوروبا العصور الوسطى د . سعيد عاشور ١ : ٦٦٣ -٦٦٤ وراجع كذلك : ميلاد العصور الوسطى . هـ.سانت ل.ب موس ص ٤٢٣ -٤٢٤ ت: عبد العزيز جاويد ود . سيد الباز العريني عالم الكتب ١٩٦٧ القاهرة

والغريب حقا ان تخضع هذه الشعوب تحت طغيان كهنوتي يمارس سادية بأساليب متـــنوعة تنفيذا لمآربه واشباعا لنهمه .

الا ان الخطوة التي حدّت من هذا الجبروت والتي اعتبرت نقطة تحول في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية تلك المبادرة التي أُقدم عليها مجمع كونستانـــــس عام ١٤١٤م-١٤١٨) الذى أكد تفوق سلطة المجالس العامة على البابوات ، . والذى أحال بصفة موقتة حكما مطلقا دام عدة قرون الى حكومة دستورية _ (١)

وقد انعقد هذا المجمع اثر اللغط الذى حدث بين بابوات الغـــرب حيث تقاسم العالم المسيحي آنذاك ثلاثة منهم .

وهؤلاء البابوات هم كليمنت السابع وهو فرنسي
والبابا اربان السادس مؤيدا من انكلترا وبولندا وايطاليا
والبابا اسكندر الخامس ومن بعده البابا حنا الثالث والعشرين
(١٤١٠-١٤١٥م) (٢)

وهكذا عاش الغرب مهازل الصراع على كرسي البابوية الأمر الذى دعا الى وجود اصوات تنادى بضرورة اجتثاث هذا السرطان الخبيث من الجســـم المسيحي ولكن الوضع لم يكن بالأمر الهين وذلك للاسلحة التي استعملهـــــا البابوات في وجه العباد والتي اقضت مضاجع الناس قرونا متعددة .

وســـوف نلاحظ الوانًا من هذا الطغيان خلال الصفحات القادمـــة ان شاء الله ، وذلك اثناء الحديث عن الطغيان الروحي ، والعقلي والفكـــرى والعلمي والسياسي والمالي .

---

١ - عالم العصور الوسطى ٢٨٠ ومحاكم التفتيش ص ٨٢
٢ - اوروبا العصور الوسطى ١/ ٥١٤-٥١٥

أ ـ الطغيان الروحي

ان الخداع الديني الذى مارسه رجال الدين المسيحي عبر تعاليمهم وأسرارهم التي لا تحصى ، كان لها أثر كبير في تغيير وجهة العقائد الدينية الأصيلة ، اذ إستطاع الرهبان صرف الناس عن التوجه الى الله تبارك وتعالى وحده مباشرة وحالوا دون رجوعهم الى المصادر الاصلية حتى لا يكشف زيفهم وخداعهم . وعوضا عن ذلك اوجدوا عقائد ومبادىء لا صلة للدين القويم بها واطلقوا شائعات بين الناس تفيد بوجود اسرار خفية لكل عقيدة وقد سميت هذه الاسرار باسم أسرار الكنيسة السبعة . وقد ابطل مارتن لوثر خمسة منها وابقى : المعمودية ، والعشاء الرباني . (١)

١-: راجع تاريخ الاصلاح ص ٢١٨- ٢١٩
و تشمل هذه الأسرار الى جانب أسرار اللاهوت العقائد التالية :

أ ـ سر المعمودية : ويقصد به العماد أو التغطيس عند الولادة أو عند الدخول في المسيحية فهو عندهم يمنح النعمة التي تمحوا الخطيئة الجديدة والخطايا الأخرى .

ب ـ سر الميرون : الميرون هو الزيت الذى يمسح به المُعَمَّد الجديد (فيقوم المُعَمِّدُ أي القسيس أو الشماس أو غيرهما) باستدعاء البركة الالهية ـ حسب زعمهم ـ مع العلم بان الميرون يقدس من قبل الأساقفة ويسلم للكهنة .

ج ـ سر التوبة : يقولون إن هذا السر هو الذى بواسطته ينال المؤمن من الله نفسه غفران خطاياه الشخصية التي يعترف بها أمام الكاهن بتوبة وندامة .

د ـ سر الشكر : وهم يزعمون : انه السر الذى يتناول به المؤمن جسد الرب المقدس ودمه الكريم عينه تحت شكل الخبز والخمر .

هـ ـ سر الكهنوت : هو السر الذى ينال به المدعوون لاقتباله بواسطة وضع الأيدى وصلاة رئيس الكهنة سلطان تعليم كلام الله وتقديس المؤمنين بالاسرار المقدسة والخدم الكنسية وقيادتهم الى الخلاص حسب ما يزعمون .

و ـ سر الزواج : وهم يدعون انه السر الذى ينال به الزوجان المقترنان بالوعد الحر المتبادل بينهما النعمة الالهية التي تقوى علاقتهما الطبيعية وترقيها محولة اياها الى علاقة ظاهرة الى اتحاد مماثل لاتحاد المسيح والكنيسة .

ز ـ سر المسحة : هو السر الذى يعطى بصلوات الكاهن ومسحة الزيت المقدس النعمة الالهية لشفاء الامراض والعجز الجسدى والنفسي ومغفرة الخطايا وتقوية النفوس في الأيمان والرجاء) راجع في ذلك : العبادة المسيحية ص ٨٨/ ١٠٢

هـذه الاسرار شكلت بمجملها ضغطا معنويا وروحيا على النفوس وارهقت كاهل الناس بطغيان من الصعب التفلت من قبضته .

لقد جعل رجال الدين هذه الاسرار امورا مبهمة وملغزة ليزداد اعجاب البسطاء بها ، واحاطوها بهالة من التقديس امعانا في التمويه ، كما جعلوا من انفسهم وسطاء اما لحل اسرارها او ليتقرب الخلق بهم الى الخالق مقابل جعل لهم يختلف بحسب المتقدم .

واصبح من العسير جدا على الناس معرفة دينهم الا عن طريق الكهنة ، ورجال الاكليروس الذين تفننوا في احتكار العلم.(١) ولم يقف الامر عند هذا الحد اذ ان هؤلاء لم يتيحوا للناس الفرصة لمناجاة الله تبارك وتعالى دون واسطة والا اعتبرت صلواتهم وادعيتهم واعمالهم باطلة . واى معترض او مخالف لاراء وعقائد الكنيسة اعتبر (هرطقيا) اى مبتدعا ومخالفاً للكثلكة . وحينئذ يسلط على هؤلاء قرارات الحرمان والطرد من رحمة الكنيسة والكهنوت ويعامل بالشدة .

وقرارات الحرمان هذه سيف مسلط على رقاب الناس ، وما ابتدعت الا منعا لاى مساس بمصالح الرهبان والكهنة اذ وجد هؤلاء في هذه التجارة فرصة طيبة لاقتناص الشهرة والمناصب ، والغرق في لجج الشهوات التي لا تعد ولا تحصى

ولقد وجد الاكليروس ضالته فانشأ في سبيل تحقيق هذه الاغراض اداة طيعة سميت فيما بعد باسم " محاكم التفتيش .

وقد قام على هذه الهيئة رهبان الدومنيكان والفرنسيسكان يرأسهم مفتش عام يخضع عند تعيينه لموافقة البابا.(٢)

فمن وصف بالهرطقة فانه يتعرض لفنون شتى في التعذيب الجسدى يصل الى ازهاق الروح اما شنقا واما حرقا ،

وقد ملأ المؤرخون صفحات كتبهم بالصور الواقعية للاحداث الدامية التي اشعلتها محاكم التفتيش وما نجم عنها من جرائم تقشعر لهولها الأبدان خاصة الجرائم التي ارتكبت بحق غير المسيحيين وعلى الأخص ما نزل بالمسلمين في اسبانيا من ويلات وكوارث أزهقت فيها أرواح لا تعد ولا تحصى .(٣)

---

١ - راجع : ما قاله كولستون في عالم العصور الوسطى ص ١٠١

٢ - محاكم التفتيش ص ١٠٥

٣ - راجع ما كتبه د . عبد الجليل شلبي في العدد ١١١ من جريدة المسلمون ٢١رجب١٤٠٧ ١٤٠٧هـ - ٢١ مارس ١٩٨٧ عن هذه الجرائم ضمن سلسلة التبشير والاسلام .

كما ان صور العذاب هذه لم تقتصر على غير المسيحيين إذ حتى المسيحيين انفسهم لاقوا من الطغيان الكنيسي ما لا يطاق ، كما لم يفلت من قبضة محاكم التفتيش الرهبان الذين ارادوا التحرر من الطغيان .

وقد صور . موس . حالة اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح الذين عارضوا اصحاب مذهب الطبيعتين فيقول :

(وطورد رهبان وحدة الطبيعة في سوريا وارمينية وارض الجزيرة وحرموا من الطعام وضربوا بالسياط واحرقوا احياء في الاسواق وقبض افرايم اسقف انطاكية على يوحنا التلاسي وأمر باعدامه بالتعذيب البطيء) .[1]

وأخطر من ذلك بكثير تلك الصور المروعة التي تحدثت عن احراق جون هيس .

فقد اتهم (جون هيس بالهرطقة لانه ندد ببيع صكوك الغفران[2] للاثم

(لان فردوس النعيم) لا تورث بالرشوة والربح الحرام ، وقال . . (ان دل هذا على شيء فانما يشير الى افلاس البابوية ماديا بعد ان افلست معنويا وعندما التفت الجموع حول هذا المبشر الثائر امسك بقرار البابا عن الغفران واحرقه بالنار .

وقد حكم على هيس بالاعدام بعد تلفيق تهمة ضده واحراجه باتخاذ مواقف ما كان يريدها ، وقد اقتيد الى بقعة عند اسوار المدينة وتم احراقه في ٦ يوليو ١٤١٥م .[3]

---

١ - ميلاد العصور الوسطى . هـ . موس ص ١٩٩

٢ - في سنة ١٤١٢ وقع البابا يوحنا الثالث والعشرين في صدام مع لادزلاس ملك نابلي وقررت البابوية شن حرب " صليبية " ضد مملكة نابلس . ولكن البابوية كانت تحتاج الى مال وفير لتمويل هذه الحملة الصليبية ومن ثم فانها اقدمت على بدعة خطيرة في تاريخ الكنيسة الا وهي بيع (صكوك الغفران) لمسح كل الخطايا والاثام بالمال واكتظت المهزلة البابوية بهذا القرار) . محاكم التفتيش ص ٨٢ وراجع نص صك الغفران في : محاضرات في النصرانية للشيخ ابي زهرة ص ٢٠٦

٣ - محاكم التفتيش ٨٣-٨٤ وراجع كذلك : معالم الحضارة في الاسلام د . عبد الله ناصح علوان ص ٤٤، دار السلام ط٢، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ القاهرة .

ومثل هذا المصير لاقاه ايضا سافونا رولا سنة (١٤٩٨م) وهـو الذى دعا الى ضرورة السلام الاجتماعي والمحبة واحترام حرية الفرد وفكره . كما انه يعتبر واحدا من أهم دعاة الاصلاح الديني الذين جاؤوا قبل مارتن لوثر . . .

وكان البابا اسكندر السادس يتحين الفرص للقضاء على سافونا وحزبه بسبب هجومهم على مفاسده التي فاحت رائحتها في كل جنبات اوروبا ،فـراح البابا يتهم سافونا وحزبه بالخيانة ضد الوطن وبالتطاول على الكنيسة الأم . ثـم أرسل أوامره الى فلورنسا بان تمنع سافونا من الوعظ بسبب ارائه (المهرطقـة) وامتثل سافونا للامر . . . الا انه عقب مسرحية مفتعله استطاع البابا الايقـاع به عبر مكيدة محكمة خرج منها هذا الاخير (سافونا) خائبا و هجم نفر من حزب ارابياتا على الدير الذى كان يتوارى فيه سافونا وقبضوا عليه مع اثنين مـن اتباعه المخلصين . . . ثم هب الرعاع يقتلون كل من تقع عليه ايديهم من حـزب سافونا . . . وبعدها تم اعدامه حرقا في ٢٣ مايو ١٤٩٨ م مع رفاقه) (١) .

هذه صورة من الاف صور التعذيب والاجرام التي ارتكبتها البابوية بحـق اتباعها .

ولـن اتعـرض لما فعلته الكنيسة مع كالفن ومارتن لوثر (٢) وجون ويكلـف فهذه قصص قلما يجهلها الناس وهي مشهورة جدا لتعـلقها بالاضطهاد الديني .

وهكذا نعلم مدى الطغيان الديني الذى وصل وفاق كل تصـور .

والحقيقة التي يجب ان تقال : ان التبلد الحسي لدى البابوات افقدهم القدرة على التمييز السليم بين الصحيح والسقيم فاعماهم الطمع وجللت الغشاوة اعينهـم وسويداء قلوبهم واصبحوا كالمجرمين لا يعرفون ما يفعلون سوى اسباغ نهجـهـم الفاسد واشباع نهمهم من كل محرم .

وقد لخص ويلز هذه الحقيقة بعد افلاس زعماء الكنيسة قائلا (ولم تعـد لهم بعد رغبة في رؤية مملكة الرب موطدة في قلوب الناس ،فقد نسوا ذلك الامـر واصبحوا يرغبون في رؤية قوة الكنيسة التي هي قوتهم متسلطة على شئون البشر وكانوا في سبيل توطيد تلك القوة على اتم استعداد للمساومة مع اى شيء حتـى البغض والخوف والشهوات .المستقرة في قلوب البشر ،ونظرا لان كثيرا منهم كانوا على الارجح يسرون الريبة في سلامة بنـيان مبادئهم الضخم المحكم و سـلطته المطلقة ،لم يسمحوا باية مناقشة فيه ،كانوا لا يحتملون اسئلة ولا يتسامحـون

---

١ - محاكم التفتيش ص ٨٩-٩٢

٢ - احيل القارئ الى : تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر حول ما تعرض اليه مارتـن لوثر من قرارات الحرمان واحراق كتبه : انظر ص ٤٠٢- ٤٠٨ من المرجع المذكور .

في مخالفة لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم بل لانهم كانوا غير واثقين منها . وكانوا يريدون ممن حولهم موافقتهم على رأيهم لأسباب تتصل بالسياسة

وقد تجلى في الكنيسة عندما وافى القرن الثالث عشر ما يساورها من قلق قاتل حول الشكوك الشديدة التي تنخر بناء مدعياتها باكمله وقد تجعله اثرا بعد عين .

فلم تكن تستشعر اى اطمئنان نفسي ، وكانت تتصيد الهراطقة في كل مكان كما تبحث العجائز الخائفات فيما يقال ـ عن اللصوص تحت الاسرة وفي الدر والسيب قبل الهجوع في فراشهن .) (١)

هكـذا حجر زعماء الكنيسة على الناس مجرد المناقشة فيما ابتدعوه من عقائد وما افتعلوه من اسرار اراد وا بها تغليف حقيقة عقائدهم الوثنية التي ورثوها عن اسلافهم الرومان واليونان من قبل ، وما اصرارهم على التمسك بها وعدم افشائها إلالمن يريدون .الا دليل على استمرائهم لتجارة بيع التعاليم الدينية التي تفنن كهنة ازيس واوزوريس من قبل في اتقانها وتمثيل ادوارها . بل اين هم أولئك الذين يدعون أنهم اصحاب دين سماوى من اولئك الذين لا دين لهم سوى عبادة الفراعنه والظواهر الطبيعية .

وها هي أوروبا العصور الوسطى وما بعدها للأسف ترث جاهلية القرون الأولى وتأبى أن تطرحها حفاظا على مكتسباتها وكأن كهنة دلفي وألوسيس قد ظهرت من جديد بصورة الاكليروس المسيحي .

---

١ ـ راجع معالم تاريخ الانسانية ٣/٢٠٩-٩٠٣

ب - الطغيان العقلي والفكري

لم تكتف الكنيسة بفرض هيمنتها وطغيانها على الصفاء الروحي بل اغلقت جميع المنافذ المؤدية الى انارة الطريق امام السالكين .وعطلت كل فكر يمس فكرها واسرارها من قريب او بعيد مما احدث هوة عميقة في الحركة الفكرية الانسانية .

فلقد (أصر رجال الاكليروس على هذه الاسرار وعلى الزعم بانها هي الحقيقة تضليلا بوعي او ضلال منهم بغير وعي - فلم يكن امامهم الا ان يستخدموا سلطانهم الطاغي لمنع المناقشة في هذه الامور لكي لا تتكشف عن وهم لا وجود له الا في اذهان واضعيه او لا وجود له حتى في اذهان واضعيه).(١)

كما لم تكتف الكنيسة بهذا فقد (وضعت نفسها في موضع الاله بل افترضت لنفسها على الناس ما لم يشأ الله سبحانه وتعالى ان يفترضه لنفسه على عباده رحمة بالناس . فالله وحده هو الذى يحق له ان يتعبد عباده بأمور ليست من الضرورى ان يدركوا حكمتها ليعلم - سبحانه - من يطيعه بالغيب ولكنه من رحمته - قد جعل ذلك في امور التعبد وليس في امور العقيدة التي جعلها الله سهلة وميسرة ومفتوحة بلا الغاز ولا غموض ليستوعبها كل (عقل) ويطمئن اليها كل قلب . اما الكنيسة فجعلت ذلك في أمور العقيدة وجعلت لنفسها حقوقا اكثر مما افترض الله على العباد) .(٢)

ومن وجهة النظر الاسلامية فان الاسلام رفض المنحى الذى اتجه اليه رجال الكهنوت في منع وصول العلم والفكر الى الناس وشرح مبادئ الدين بيسر وسهولة ، وقد اشار القرآن الكريم الى الموقف الذى يجب ان يقفه العلماء تجاه القضايا العقدية . قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) .(٣)

(فهذا النص القرآني نجد فيه إشارة الى المحكم والمتشابه ويجمع المفسرون والعلماء على أن أصول العقيدة وكذلك أحكام الشريعة هي من المحكم

---

١ - : مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٣

٢ - المرجع السابق ٣٥

٣ - ال عمران : ٧

الذى لا يدخل التشابه فيه وأن الأمور المتشابهة التي تحدد هذه الاية والتي اختلف المفسرون في تحديدها والتي منها على سبيل المثال الصورة المفصلة لاحوال الجنة واحوال النار وصفة العرش وما الى ذلك من الامور ليست من الاصول التي يكفر المختلفون في تاويلها .

ثم ان الراسخين في العلم وهم ليسوا فئة محددة كفئة رجال الكهنوت لا يزعمون أن عندهم تأويلها ، ولا أن تأويلها سر خاص بهم يحتجزونه عن الناس ثم يطالبونهم بالايمان به بلا دليل . بل تنص الآية على أن الله وحده هو الذى يعلم تأويلها أي حقيقتها لأنه سبحانه هو العليم الخبير الذى يعلم كل شيء على إطلاقه إنما الراسخون في العلم يسلمون فقط بان الآيات كلها محكمها ومتشابهها من عند الله ويعلمون أن علم هذه المتشابهات هو عند الله وحده) (١) .

وبدل أن يخوض الناس في(متاهات عقلية ليس لهم فيها فائدة تطلب أو منفعة تكتسب كالتي وضعتها الفلسفة المسيحية في علم الاهوت والفلسفات اليونانية التائهة في بحر عقلي لا قرار له . نجد الاسلام يدعو العقل صراحة الى التفكر والتدبر في آيات الله التي بثها في الأرض والتي تنطق بوجود الحقيقة الكبرى التي لا مراء فيها وذلك ليصل في أمر العقيدة الى اليقين بل نعى على الذين يرفضون التفكير اتباعا للهوى أو اتباعا لما ورثوه من عقائد الاباء والاجداد ، أو اغلاقا للحس والبصيرة ، عن التأمل والتفكير .) (٢) .

قال تعالى (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ) . (٣)

وقال ايضا (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) . (٤)

وقد أثنى الله تعالى على أولى الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ليهديهم هذا التفكير الى الإيمان بالله تعالى .

وقد عنى الإسلام بالتربية العقلية عبر تحديد النظر العقلي صونا لطاقته من التبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها . ، وهو يعطي الانسان نصيبه من هذه الغيبيات بالقدر الذى يلبي ميله للمجهول ولكنه يكل أمر ذلك الى الروح فهي القادرة على ذلك المزودة بوسائل الوصول اما العقل فوسيلته الى الله والى معرفة الحق هي (الروح) تدبر الظاهر للحس والمدرك بالعقل ومن ثم يحدد الاسلام مجاله بهذا النطاق ولا يتركه يغرق في التيه الذى غرقت فيه الفلسفة من قبل واللاهوتيات ، فلم تصل الى شيء حقيقي يستحق

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٤-٣٥ ٢ - المرجع السابق ص ٣٦-٣٧
٣ - الروم : ٢٩ ٤ - البقرة : ١٧٠

ما بذل فيها من جهد ، ان لم تكن قد غبشت مرآة الفكر البشرى وشتتت ما ينعكس عليها من اضواء" (١)

وقد بين الاسلام مجال التدريب العقلي ، واتخذ في ذلك الامر وسيلتين

الاولـــــى : وضع المنهج الصحيح للنظر ، وذلك عبر تفريغ العقل من كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين . وانما قامت على مجرد التقليد او الظن فينعي على المقلدين الذين يقولون :
(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) . (٢)

ثم يأمر بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا) . (٣)

الثانيـــــة : فهي تدبر نواميس الكون ، التي تطبع العقل بطابع من الدقة والتنظيم .

فالنواميس الكونية تجرى في دقة عجيبة ونظام لا يختل ، وفوق ما يوجبه ذلك للقلب البشرى من تقوى الله الصانع المدبر والتوجه اليه في كل امر فانه يعود بالعقل على دقة النظر وانضباط الاحكام .) (٤)
(خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) (٥)

فالوسيلتان السابقتان كفيلتان بايصال العقل البشرى الى الحكمة المرجوة من هذا الوجود ولذلك نجد الاسلام يوجه الطاقة العقلية أول (ما يوجهها الى التأمل في حكمة الله وتدبيره وهو أقرب ما يكون الى ملكة الروح ....

فالتأمل المطلوب ليس مقصودا لذاته ، وليس مقصودا به أن يصبح فلسفة يتعاظل فيها الفلاسفة ويغمضون ويبهمون ثم لا ينتهون الى شيء انما غايته اصلاح القلب البشرى واقامة الحياة في الارض على أسس من الحق والعدل الازليين الكامنين في بنية الكون وبنية الحياة .) (٦)

ان هذه التوجيهات وتلك التنبيهات كفيلة باراحة الانسان من متاعب تفكيره الذى يضج بالهواجس وهي القمينة بانزال الطمأنينة والسكنية على قلبه لأنها تضعه في مكان أمين من تلاعب وساوس شياطين الانس والجن وحينما يلتزم الانسان بأمر الله تعالى ويقف عند حدوده ويعرف كيف يتعامل مع مخلوقات الله تبارك وتعالى وفق منهج القرآن الكريم في الهدى والرشاد تصبح حياته

---

١ - : منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب ١ / ٩١-٩٢
٢ - الزخرف : ٢٣ ٣ - الاسراء : ٣٦ ٤ - منهج التربية الاسلامية ١ : ٩٣-٩٤ ٥ - العنكبوت : ٤٤ ٦ - منهج التربية الاسلامية ١ : ٩٤-٩٥

الارضية ملؤها السعادة والحبور وهي مقدمة أساسية للحياة الاخرة ، حياة الجنة ونعيمها التي أعدها الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين :

(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (١) .

وهكذا يرتبط الانسان في الأرض بعالم السماء فلا هو ينقطع عنها ، ولا هو يتشتت في الغازها ، بل يكل أمر هذا التدبر الى روحه التي تسبح خالقها فتعرف من الحقائق مالا يمكن للعقل ان يدركه ، . كل ذلك بلا واسطة ، بلا كهنوت ، بلا رهبان . بل يصل الى ذلك بالقرآن وحده الهادى الى تلك الحقائق التى تغيب عن كثير من الناس . والله الهادى الى سواء الصراط .

---

١ ـ الحج : ١٤

ج ـ الطغيـان العلمـــي

ما كتبه العلماء والمؤرخون عن الطغيان العلمي والفكرى لدى الكنيسة ابان عهود البابوات المظلمة لم يكن من باب الافتراء او التضليل والخداع ، بل ان القراءة التاريخية المتأنية للحركة العلمية إبان العصور الوسطى تنطق بحقيقة واقعية مفادها ان هذه الفترة تعتبر بحق عصورا قاتمة السواد .

وقد اشار العلماء الى ان التحكم الذى انطوى عليه تفكير البابوية في مجال الطغيان الروحي والديني قد استثمر للتحكم ايضا في مجال العقل البشرى والتفكير العلمي الفني والتقني [1] . حيث وجهت الكنيسة جهودها لصبغ التعليم العام صبغة كهنوتية وابعاد اى علم لا يخدم مصلحة الكنيسة ومكاسبها .

يقول "موس"عن واقع التعليم آنذاك (ان الغرض الوحيد من التعليم ببلاد الغرب في ذلك العصر هو اعداد الكنسيين للاضطلاع بواجباتهم.فكانت المعرفة اللازمة لفهم الصلوات اللاتينية وفي حالة التلاميذ الذين هم أكثر تقدما دراسة المعلومات الضرورية للاحاطة بالأدب المسيحي الجدلي والتفسيرى وحساب عيد القيامة وسائر الأعياد ودراسة نظام الكنيسة القانوني والادارى) [2].

هذه المواد التي انصب الاهتمام الكنسي عليها كانت الشغل الشاغل للتعليم العام في المعاهد والمؤسسات والأديرة الأوروبية أما باقي المواد العلمية فقد أهملت إهمالا كبيرا فضلا عن سوء التربية التي تفشت بين رجال الدين . فلم تراع الكنيسة جانب الرأفة ازاء الطلبة بل أظهرت القسوة في تعليمها(مما جعل (الجرمان ـ الالمان) يظهرون نفورًا قويا من التعليم ، حتى ان ثيودريك ملك القوط الشرقيين حَرَّم إرسال أبناء القوط الى المدارس محتجا بأن الصغار الذين يشبون على الخوف من عصا المعلم لن تكون لديهم في المستقبل الشجاعة الكافية لمواجهة السيوف والحراب) [3].

وليت الأمر قد اقتصر على هذا الحد فبدل ان تعكف الاديرة والمعاهد الكنسية على دراسة العقائد المسيحية لتمحيصها وتبسيطها للناس واستخراج

---

١ ـ راجع في هذه الصدد : مذاهب فكرية معاصرة ، للاستاذ محمد قطب ، ص٤٧ والعلمانية ،لسفربن عبد الحمن الحوالي ص ١٤٥ وما بعدها

٢ ـ ميلاد العصور الوسطى ، هـ. سانت موس ص ٤٠٣

٣ ـ اوروبا العصور الوسطى ٢ : ٣٣١ وراجع اعترافات جيوبرت في ٢ / ٣٣٩

الصحيح[١] من السقيم والعودة بها الى نقاوة التوحيد ، اذ بالرهبان والقسس وبقية الاكليروس يفسحون المجال (أمام الخرافات التي وجدت طريقها الى التعاليم الرسمية للكنيسة الغربية والتي لقيت التأييد من غريجورى الكبير بما كان له من سلطان ونفوذ قوى-وعلى الرغم من ادراك اوغسطين لما تنطوى عليه عبادة المقدسات والاثار الدينية من اخطار فانه اجازها في اشد صورها تطرفا حتى اذا انقطعت المواصلات واضطربت ظروف العيش وغلب الارتباك على المعايير والثقافات انتعشت بواعث الاشاعات وسرعة التصديق وقوى الاعتقاد في الأعاجيب والشياطين وفي قوة مفعول السحر وادواته)[٢].

الى جانب هذا أضحت اللغة نفسها وهي عماد كل عالم محاربة من قبل البابوات فها هو (البابا جريجورى ٥٦٠-٦٠٤ اشتهر بكراهيته للاسلوب البلاغي الكلاسيكي وتفضيله اللاتينية الدارجة بالاضافة الى اعتقاده الراسخ في عدم جدوى كافة الدراسات التي لا تساعد في فهم العقيدة المسيحية)[٣]

واثر ذلك اختفى من الغرب تماما كل تمكن حق واجادة للسان اليوناني[٤] وقد تفاقم الوضع اكثر من ذلك الامر الذى دعا شارلمان الى الشكوى من رجال الدين (فكتب الى روءساء الاديرة يشكو من (جهلهم) وكثرة الاخطاء المتواترة في المخطوطات الدينية بل في الانجيل نفسه ويأمرهم بالعناية بالمدارس والتعليم لاصلاح هذه الاوضاع)[٥].

هذا الجهل قد تمكن من نفوس رجال الدين على الرغم من وجود عدد من كبار رجال الكنيسة التي يفتخر بها المسيحيون كاوغسطين وقد أفضى عهدهم الى تنامي العقائد الوثنية في الديانة وبلوغ الشعوذة شاوا كبيرا (اذ لم توفق المسيحية الى تغيير الوضع في هذه الناحية فان الدولة الرومانية قد اضفت قدرا كبيرا من نظمها وطرائقها على الكنيسة المسيحية الظافرة وكذلك فعلت الوثنية في القرون الوسطى حيث نفضت على العقول ميراثها وهي تلفظ آخر أنفاسها)[٦].

---

١ - لاحظ ما ابدته " دايانك موداى ساراواك في كتابها : من رومة الى مكة ص ٨
٢ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٥ و وكذلك : عالم العصور الوسطى ص ١٠٨
٣ - اوروبا العصور الوسطى ٢ / ٣٣٢   ٤ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٤
٥ - اوروبا العصور الوسطى ٢ / ٣٣٢   ٦ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٦

ويظهر الطغيان العلمي جليا في عدم افساح المجال امام المدارس المستقلة لممارسة دورها التعليمي ، اذ لم يسمح لاى فرد ان يفتح مدرسة داخل حدود الاسقفية أو يباشر تدريس الفنون الحرة دون تصريح من الموظف والا تعرض للمحاكمة . (١)

وعلى الرغم من ان الكنيسة ضغطت بثقلها من اجل طغيانها العلمي والعقلي الا انها لم تستطع ايقاف المد الحضارى الذى بدأ فجره بالبزوغ عبر تلك المدارس والمعاهد التي لم تكن للرقابة الكنسية سلطة عليها مما اتاح الفرصة لبروز جامعات اوروبية في القرن الثاني عشر في ايطاليا وباريس وغيرهما والتي استطاعت بجهود مضنية ان تصل الى شيء من التحرر والاستقلال عن السلطة البابوية ومع ذلك فقد ظلت الكنيسة متمسكة ببعض الشروط خاصة فيما يتعلق بالموافقة على قبول الطلبة حيث اشترطت ان يكون ذلك عن طريق الاسقف .

وظل الوضع هكذا الى قيام ثورة الجامعات في اوروبا التي اتفقت فيما بينها على ضرورة التحرر من كافة القيود حتى حققت استقلالها عن السلطات الكنسية والعلمانية جميعا)(٢)

ولقد احتضنت هذه الجامعات (العلوم والمعارف الواسعة التي أتت بها النهضة الاوربية في القرن الثاني عشر، الذى جعل الجامعات مركزاً لثورة فكرية ضخمة ازدادت قوتها منذ القرن الثالث عشر)(٣).

وغير خاف : ان هذه النهضة العلمية لم تكن لترى النور لولا الاحتكاك الذى شهدته اوروبا عبر التقائها بالحضارة الاسلامية التي كان لها الفضل الاكبر في اثراء عملية التعليم واذكاء روح التحرر من اى سلطة ارضية غير شرعية مما اعطى العقل الاوروبي فرصة عظيمة للانفتاح والوقوف في وجه جبروت الاكليروس وطغيانه .

وقد تنبهت الكنيسة الى هذا الامر الخطير ولهذا فقد عملت كل ما في وسعها لابعاد هذا الاشعاع الفكري من الوصول الى الناس . لشعورها بالخطر الناجم عن هذه القفزة العلمية التي تهدد كيانها ،

وقد كان لنظريات وقوانين العلماء المسلمين وكتبهم اثر كبير في دفع الحركة العلمية والفكرية الاوروبية الى الامام ، ولهذا فقد شنت الكنيسة حملاتها المسعورة على كل ما يمت الى المسلمين من علوم بصلة وحاربت كتبهم

---

١ - راجع : اوروبا العصور الوسطى ٢ / ٣٤٠

٢ - المصدر السابق ٢ / ٣٥١ وراجع كذلك تاريخ الحضارات العام ٣ / ٤٢٥

٣ - المصدر السابق ٢ / ٣٥٢

وعلماءهم (١).

والدارس لذخائر الحضارة الاسلامية يعجب من ذلك التراث وتلك الكنوز العلمية التي اخرجتها تلك الحضارة .

كما يستطيع ان يقف على تلك الجهود المضنية التي قام بها العلماء المسلمون في سبيل تحقيق ازدهار البشرية ورخائها (٢).

ومن أمثلة الطغيان العلمي ما تعرض له " بيير أبيلار " (٣) المعلم الفرنسي الذى تجرأ وطالب بالتحرر من ربقة الكنيسة . فما كان من مجمع سمنس عام ١١٤٠م الا ان اصدر حكمه على جسارة "ابيلار" الذى خارت عزائمه فهجر العالم .

كما تعرض جيلبير دى لا بوريبيه للاكراه فاجبر على التراجع عن ارائه امام مجمع رنس عام ١١٤٨ أمام الكنيسة (٤).

و من امثلة اضطهاد الكنيسة للعلماء ما تعرض له الطبيب (بطرس البانو سنة ١٣١٦ م على يد محاكم التفتيش الا ان المنية ادركته قبل ان تمتد يد المحاكم اليه تلقاء ما روج من مذهب الانتيبود (اى البشر الذين يقطنون في الجهة المقابلة للارض) وغيرها من مذاهب العلم (٥).

---

١ - راجع في هذا الصدد : اوروبا العصور الوسطى ٢ / ٣٥٣ وكذلك : تاريخ الحضارات العام ٣ / ٤٢٥

٢ - والمراجع في هذا الشأن كثيرة أهمها : حضارة العرب لغوستاف لوبون وروائع حضارتنا د . مصطفى السباعي . وأسس الحضارة الاسلامية . للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني . ومعالم الحضارة في الاسلام واثرها في النهضة الاوروبية عبد الله علوان . وشمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه . والاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي . وتراث الاسلام لشاخت وبوزورث . والحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى لادم ميتز . وحضارة الاسلام واثرها في الترقي العالمي لجلال مظهر . وحضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة . مصطفى الرافعي . وغيرها

٣ - معالم الحضارة الاسلامية ص ٤٤ ٤ - تاريخ الحضارات العام ٣ / ٣٢٦

٥ - موقف الاسلام والكنيسة من العلم ص ١٢١

كذلك الامر بالنسبة لكوبرنيكوس وما قام به من جهود علمية لم تكن لتوافق الكنيسة كذلك الامر بالنسبة لجاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢) الذى قامت حملة ضده لانه اكتشف بمنظاره ان هناك سيارات أخرى تزيد عن السبعة التي ذكرتها النصوص المقدسة عند هم حيث جاء في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الاصحاح الاول ١٩-٢٠ :

فاكتب ما رأيت وما هو كائن وما عتيد ان يكون بعد هذا سر السبعة الكواكب التي رأيت على يميني والسبع المنائر الذهبية) .(١)

هكذا كانت العقلية الكنسية تفرض طغيانها على العلماء وتمنع وصول المعارف الصحيحة الى العقول المستنيرة .

وبذلك سودت الكنيسة صحائف اعمالها بالجرائم المتنوعة فكانت بحق نكبة للبشرية .

---

١ - موقف الاسلام والكنيسة من العلم ص ١٢١

اثـر الصراع بين العقل والرهبانية

من خلال ما تقدم نجد نوعا من الصراع العلني بين موقف الرهبانية من العلم وموقف العلماء منها .

واذا ما عدنا الى طبيعة هذا الصراع فسوف نجد ان الاولى تتمسك بطغيانها لاثبات مدعياتها وارائها التحكمية في رقاب البشر واخضاعهم لتعاليم الكنيسة مستندة الى النصوص الدينية والاسرار المقدسة المزعومة .

اما القوة العلمانية المدنية فقد ضجت من تفاقم هذا الطغيان واساليبه التعسفية بحق العلم والعلماء .

لهذا فقد قامت من أجل إثبات وجودها إزاء هذا الوضع فهيأت نفسها لثورة عارمة للتعبير عن نفسها فضلا عن أهمية دورها في المجتمع .

إلا أنها لم تستطع وزن الأمور بميزان الاعتدال وتمحيص مسائل العقيدة تمحيصا يعتمد على النزاهة والحياد والبحث عن الدين الاصيل ، بل راحت في حمأة الصراع مع القوى الكنسية ترفض اي نداء ديني ينير البصر ويوقظ البصيرة

وهكذا نجد كلا الطرفين يرتكب الاخطاء دون وعي للاخطار الناجمة عن موقفه المتعنت .

وبعد استعراض موقف الاسلام وسماحته ورحابة صدره تجاه العلم والعلماء وحضه لهم كان لابد من الوقوف قليلا امام منهج الخصم اللدود للكنيسة وما قام به لدرء طغيانها والاسلحة التي شرعها في وجهها .

فمن المعروف عند العلماء ان اوروبا قد خضعت عبر تاريخها الوسيط والحديث تحت سيطرة ما يسمى بسيادة النص او الدين ويعنون به خضوعها لتعليم الكنيسة.ثم انتقلت الى مرحلة سيادة العقل وهو عصر التنوير لتصل في النهاية الى سيادة الحس .

اما مرحلة سيادة العقل :

فقد ظهرت نتيجة للخصومة التي تفجرت بين الدين والعقل في القرن الثامن عشر الميلادي فقد اتجه اعداء الكنيسة للعمل نحو اخضاع الدين للعقل وقد اطلق على هذا العصر عصر التنوير وكان من رواده " بلانش وفشته" (١)

---

١ - فيشته ١٧٦٢-١٨١٤م) ابن فلاح من سكسونيا كان من رواد فلسفة النقيض بعد ان درس اللغة وفقهها والفلسفة ، له (المبادى الاساسية لنظرية المعرفة ١٧٩٧ وايضا (القانون الطبيعي) . موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ ،احمد العوايشة ص٦١ ط١ ١٤٠٢-١٩٨٢ دار مكة

والضابـــط الفكرى لهذا العصر تميز بالاتي :

اولا : نمو شعور العقل واحساسه بنفسه وبقدرته على ان ياخذ مصير مستقبل الانسانية في يده ، بعد ان يزيـــل كل عبودية ورثها من قبل وهـــي عبودية الكنيسة وتعاليمها ، حتى لا تحجبه عن التخطيط الواضح لهذا المصير .

ثانيـــا : الشجاعة والجرأة التي لا تتأرجح في اخضاع كل حدث تاريخي لامتحان العقل وكذلك في تكوين الدولة والجماعة والاقتصاد والقانون والديـــن والتربية تكوينا جديدا ، على الاسس السليمة المصفاة التي لكل واحد منها .

ثالثا : الايمان بتعاون جميع المصالح وبالاخوة الانسانية على اســاس من هذه الثقافة وحدها ، المستمرة في التزايد والنمو .

ومعنى ذلك كله : وجوب سيادة العقل كمصدر للمعرفة على غيـره . وغيره الذى ينازعه الســـيادة في ذلك الوقت هو (الدين) اى المسيحية الكاثوليكية ، اولا وقد تكون معها البروتستنتية كمذهب عرف للاصلاح الدينـــي هناك . فللعقل ـ في نظر اصحاب التنوير ـ الحق في الاشراف على كل اتجاهات الحياة وما فيها من سياسة وقانون ودين .

والانسانية هي هدف الحياة للجميع وليس الله او المجتمع الخـــاص او الدولة الخاصة. وكما يسمى هذا العصر ب" عصر التنوير " يسمى ايضا بالعصر الانساني) وكذا يسمى بعصر أل (DEISm) اى عصر الايمان الفلسفـــي باله ليس له وحي وليس بخالق للعالم ان كل مسميات هذه الاسماء تعتبر مـــن خواصه . (١)

---

١ ـ بتصرف عن : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي

د . محمد البهي ص ٣٢٢-٣٢٣ ـ الطبعة الخامسة ١٩٧٠ دار الفكر بيروت . ، وللمزيد يراجع كذلك : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٢٠٠ و ٢٣٢

سيادة الحـــــس

انتهى عصر التنويـــر بانتهاء القرن الثامن عشر تقريبا وابتدأ عصــر اخر من عصور الفكر الاوروبي بظهور فجر القرن التاسع عشر ، وموضوع الصـــراع العقلي عند الاوروبيين واحد لم يختلف عن ذى قبل هو : الدين ، والعقـــل والطبيعة .

ولكن تميز القرن التاسع عشر بفلسفة معينة ، لان اتجاه التفكير فيه مال الى سيادة (الطبيعة على الدين والعقل معا ، والى استقلال الواقع كمصــدر للمعرفة اليقينية مقابل الدين والعقل .

وقد وضع للمذهب تسمية " المذهب الوضعي " وهذا المذهب في الوقت الذى انكر فيه على الكنيسة دينها ، وضع دينا جديدا بدلا عنه هـــو : دين الانسانية الكبرى ويقوم هذا الدين على عبادة وطقوس .

اما الاسس التي قام عليها هذا المذهب فـــهي :

اولا : تقدير الطبيعة وتقييمها وحدها كمصدر للمعرفة ، والطبيعـــة او الحقيقة او الواقع او الحس كلها تدل على معنى واحد في نظر الوضعيين وتقدر هذه الفلسفة الطبيعية لا كمصدر مستقل فحسب للمعرفة بل كمصدر فريـــد للمعرفة اليقينية او المعرفة الحقة ومعنى تقديرها للطبيعة على هذا النحو :

ان الطبيعة في نظرها هي التي تنقش الحقيقة في عقل الانسان وهي التي توحي بها وترسم معالمها الواضحة ، هي التي تُكَوِّنُ عقل الانسان .

ثانيا : الانسان لا يملى عليه من خارج الطبيعة اى لا يملى عليـــه ما وراءها كما لا يملي عليه من ذاته الخاصة اذ ما يأتي من وراء الطبيعـــة خداع للحقيقة وليس حقيقة . . . وكذا ما يتصوره العقل من نفسه وهم وتخيـــل وليس حقيقة ايضا . . .

ثالثا : ان عقل الانسان في منطق هذه الفلسفة اى ما فيه من معرفة وليد الطبيعة التي تتمثل في الوراثة والبيئة والحياة الاقتصادية والاجتماعية . . . انه مخلوق ولكن خالقه الوجود الحسي . . انه يفكر ولكن عن تفاعل مع الوجود المحيط به . . . انه مقيد مجبر وصانع القيد والجبر هو حياته المادية . . ليـــس هناك عقل سابق على الوجود المادى .(١)

---

١ ـ الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٣٢٢-٣٢٣ ، بتصرف

رابعــا : كما انه ليست هناك معرفة سابقة للانسان عن طريق الوحي ـ فعقل الانسان ومعرفته يوجدان تبعا للوجود الانساني المادى وهما انطباع لحياته الحسية المادية التي يتنفسها .

خامسا : الطبيعة هي التي تنطق عن نفسها ، ويجب على الانسان ان يعتمد منطقها اذا اراد ان يعيش فيها ، ومنطقها واحـــــد لا منطق (الموالهين) ولا منطق (العقليين) ولا منطق (أصحاب النظرية السيكولوجية) في معرفة الانسان هو الذى يخط الطريق المستقيم في حياة الانسان . وهـــو الذى يحدد أهدافه .

سادسا : وطريق الانسان في حياته الطبيعية يبتدئ من الفرد وينتهي بالجماعة . واذن : الفرد نفسه ليس غاية وحياته التي يعيشها ليست هدفــا لسعيه انما غايته الاخيرة التي يجب ان يسعى اليها ويذهب فيها كما يذهـب العابد الصوفي صاحب عقيدة (الاتحاد) فيما يوالهه ويعبده ـ هي الجماعـة وطالما كانت الجماعة هي غاية الفرد الاخيرة فهي معبوده وتذهب حريته فيها لتبقى لها الحرية وتفنى حياته في سبيلها لتبقى لها الحياة الابدية الخالدة) .(١)

هذا هو منطق الهاربين من طغيان الكنيسة وقد يبدو لاول وهلة ان هولاء قد فازوا بما ارادوا نتيجة لحقيقة استندوا اليها (الا ان نظــرة فاحصة الى هذا التخبـــط في خطواته المتعثرة تكشف للباحث المتثبـت ان الهاربين من (الله) لكي يهربوا من قبضة الكنيسة ـ لم يصلوا الى ايــة حقيقة مضبوطة يصح ان تكون عذرا او حجة لمن يريد ان يقول (انه يلجـــأ الى هذا هروبا من معميات ما وراء الطبيعة .

والا فاى شيء " مضبوط " وصلت اليه الفلسفة العقلية المثالية مثلا : ما هو هذا العقل الذى وكلت اليه أو المعرفة بعيدا عن الله وعن الطبيعـــة؟ ماذا نعرف عن ماهية العقل؟ او عن خصائصه؟ وماذا نعرف عن طريـــق عمـــله وتأثيره وتأثيراته . أين يقع هذا العقل ؟ أين يوجد ؟ ما طبيعته ؟ ما قانونه ؟ كلها اسئلة لا جواب عليها حتى في القرن العشرين ؟

ثم هذه المقولات التي ابتدعها هذه الفلسفة وجعلتها حتمية وبنت عليها قضاياها . . . ما هي ؟ ، ما هو مبدأ النقيض الذى قام عليه المذهـــب والذى اعتمد عليه كارل ماركس فيما بعد ما هو؟ ما قيمته الواقعية ؟ انه ليـــس سوى مقوله عقلية مجردة لا تتعامل مع الواقع في شيء (٢)

---

١ - : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٣٢٢-٣٢٣ بتصرف
و : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٣٢٠-

٢- راجع : خصائص التصور الاسلامي ، سيد قطب ص ٧٨ ، وراجع في مجـــال

هكذا عملت الكنيسة على ارهاب الفكر البشرى وهكذا هرب هذا الفكر الى احضان الالحاد ، ولولا ذلك الموقف المجرم الذى وقفته البابوية من العلم والعلماء لما تطور هذا الوضع الى ميلاد الفكر الشيوعي في اوروبا والذى استغله اليهود ابشع استغلال لهدم مقومات الاديان والابقاء على تراث " الشعب المختار " تنفيذا للتوسع اليهودى ، وهو الموقف الذى ابقى شعلة الانفصام بين العلم والدين مشتعلة في ربوع اوروبا وامريكا وتصديره الى بقية ارجاء العالم.

وتظهر بوضح جريمة الكنيسة فوق التنفير من الدين في فصلها بين نزعتين فطريتين سويتين متكاملتين .

(اولا : نـزعة التعلم .

ثانيا : نزعة العبادة

وقد انشأت الكنيسة بينهما عداوة لا وجود لها في اصل الفطرة وصداما لا ينبغي ان يوجد في النفس السوية . فتتمزق النفس الواحدة مزقا وتثير في داخلها القلق والاضطراب .) (١).

مع ان النظرة الاسلامية الى العلم تراعي هاتين الفطرتين وتغذيهما على حب التعلم والالمام بكل ما ينفع الانسان في دنياه واخراه وفق ما قرره الاسلام من مبادئ وتشريع فانظر الى ما انزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الانْسَانَ مِنْ عَلَقٍ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الانْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (٢).

انها دعوة صريحة للقراءة والعلم وان الله سبحانه علم الانسان ما خفي عليه وهي تنطق كذلك بان مرد العلم اليه وليس لاى مخلوق اخر .

ثم تأتي الايات القرانية لتوقظ الانسان وتدعوه للارتقاء الى العلم لتعلو درجته عند الله (... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (٣).

كما تطلب منه الرجوع الى البارى ليزيده علما (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) (٤).

لان الله تعالى هو العالم ما كان وما سيكون ويعلم ما في السموات وما في الارض . ولا يخفى عليه شيء وبيده مفاتيح الامور فهو المنعم وهو الرازق واذا اعطى فلا حدود لعطائه

الرد على المبدأ الشيوعي في كتاب : نقض اوهام المادية الجدلية د . محمد سعيد رمضان البوطي ص ٥٧ وما بعدها وكذلك راجع : موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ ص ١٤١

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٥٠٠ ٢- العلق : ١

٣ - المجادلة : ١١ ٤ - طه : ١١٤

هــذه الحقائق لا يعلمها الا العلماء الراسخون في العلم الذين يقفون عند حدود الله فلا يتعدونها لخشيتهم وخوفهم من ربهم ولأن علمهم هو الذى قادهم الى هذه الحقيقة (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (١).

وهكذا يرفع الاسلام الغشاوة عن أعين الناس ليروا الحقيقة التي طمسها الكهان والرهبان ويزيل كل عقبة تقف في طريق العلم .

فاذا ما تغذت نزعة العلم ونزعة العبادة انطلقت النفس البشرية الــى الافق الارحب لتعبر عن كيانها ولتمارس دورها في محيطها الدنيوى حيــث الاتصال بالخلق وفق منهج الاسلام لعمارة الارض ونشر الحق والعدل .

وحيث الاتصال بالخالق عبر العبادة والتضرع والشكر له وفق مـا جاء به الاسلام من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ، هذا الشكر الــذى لا يعرفه إلا أولو الالباب (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (٢)

بهذا المفهوم تقدم المسلمون خطوات كبيرة في مجال الحضـارة ولم يحل بين تقدمهم اى عائق حتى وصلوا الى القمة الساحقة ، فكانت حضارتهـم الزاهرة ارقى حضارة وصلت اليها البشرية عبر تاريخها الطويل .

في حين ان الحضارة الغربية لم تصل الى التقدم الذى نشدته الا بعد ان ازاحت من طريقها سلطة الكنيسة تلك السلطة التي فصلت بين نزعتين العلـم والعبادة ، كما انها لم تصل الا بعد ثورات عديدة سالت على اعقابها دمـاء غزيرة ، فازهقت النفوس ، وحرقت المدن ، ونهبت البيوت ، وشردت الاســر ورملت النساء ، ويتمت الاطفال ، وعم الخراب ربـوع العالم المسيحي حتــى وصلت الثورة الى غايتها وعند ذلك ضربت الكنيسة ورجالها وازاحت عنها كـابوس الدين الذى كتم انفاسـها آماداً طويلة .

فهل ترجع الى رشدها وتبحث عن الدين الاصيل ؟
وهل ترعوى الرهبانية عن غيها فتقر بالحق وتزيل عنها ما علق بهـا من أدران ؟ وتتعرف على الدين القويم ، دين الله وصـراطه المستقيم (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ) (٣)

١ـ فاطر : ٢٨
٢ ـ ال عمران : ١٩٠
٣ ـ ال عمران : ١٩

هـ - الطغيـــــان السياســـي

في الحديث عن النماذج البابوية تبين كيف استطاعت الكنيسة في عهد جريجوري السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥) ان تخطو خطوات كبيرة نحو تدعيم سلطتي البابا الدينية والزمنية ، والتي افرزت فيما بعد تسلطا رهيبا وطغيانا خلال العصور الوسطى علما بان المسيحيين على اختلاف نزعاتهم الدينية والمذهبية (١) لم يسدر بخلدهم في يوم من الايام ان يؤسسوا دولة او يستلموا زمام اى سلطة . بـل لم يحلـــموا قط باى قوة عسكرية أو سياسية بل ظل شعارهم (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) .

كما ظل الولاء للأباطرة الوثنيين قائما وكانت الصلوات والدعوات تقام لاجل هذا الغرض .

الا ان الاحداث العسكرية التي عصفت باوروبا خاصة ما نجم عن هجمات البرابرة من دمار وخراب واكتساح الاجزاء الغربية من هذه القارة اسهم الى حد كبير في ازالة جميع العوائق السياسية والعسكرية أمام الاكليروس للتقدم نحـو السلطة الزمنية .

وعلى الرغم من توفر تلك العناصر المشجعة لم تجرؤ الكنيسة بادئ الأمر على مثل هذه الخطوة لأنها كما سلف القول لم تضع ذلك في اعتبارها من قبل .

---

١ - لاحظ مثلا موقف البابوية البيزنطية الشرقية من الاباطرة خاصة في عهد الامبراطور جيستنيان اذ ان سياسته الدينية الخاصة باصراره على ممارسة الاستبداد القيصرى البابوى قد اوجدت سابقة من السيادة الدينية العليا للاباطرة البيزنطيين التاليين (الذين تمسكوا بها) وظلوا يمارسونها حتى نهاية الامبراطورية البيزنطية وظل الامبراطور البيزنطي حتى النهاية راسا للكنيسة كما هو راس للدولة وبذلك انقذ خلفاءه من التعرض لمواقف مماثلة لما حدث للاباطرة في الغرب مثل هنرى الرابع وحادثة كانوسا وفردريك بربروسا ومقابلة البندقية) .

: امبراطورية جستينيان ، د . اسمت غنيم ص ٩٠ دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٧ ، ١٩٧٧ م .

(لذلك نرى البابا ليو الثالث ٥ ٧٩-٨١٦)م يدعو شارلمان (٨٠٠-٨١٤م) لاعادة تاسيس الامبراطورية الرومانية ويعطيه الولاء وكذلك الحال بالنسبة للبابا يوحنا الثاني عشر (٩٥٥-٩٦٤)م الذى عرض التاج على اوتو الكبير (٩٦٢-٩٧٣)م والذى جدد الامبراطورية الرومانية المقدسة بعد ان كان خلفاء شارلمان يودون بها) .(١)

وكأن البابوية قد أحست بما للامبراطورية من مكاسب سياسية ومصالح دنيوية لهذا أقدمت على نفض يديها والتنصل من الامبراطورية وذلك في عهد جريجوري السابع آنف الذكر الذى استطاع تغيير وجهة العالم الغربي عبر صراعه مع الامبراطورية اذ ما لبث ان نادى بـ(ان العالم باسره دولة مسيحية واحدة يسيطر عليها بابا له العصمة وله القدرة لا يحده قانون ولا يزعه وازع وهو الذى يخلع السيئين من الملوك ويثل عروشهم ويقطعهم من رحمة الكنيسة ويحل رعيتهم من طاعتهم ، واعتقادا منه بان الوقت حان لبناء قوة حربية تابعة للكنيسة الكاثوليكية نادى جريجوري بمذهب التبتل بين رجال الدين تحت رقابة البابا وحده ، باعتباره خليفة المسيح في الارض واعلن استعداده للعمل في كل ما من شأنه أن يحقق استقلال الهيئة الكنسية ولو أدى ذلك إلى فصم العرى العائلية بين المتزوجين من رجال الدين في المانيا .) (٢)

ومن هنا دخل الصراع السياسي بين البابوية وبين الامبراطورية حول مسألة التعيينات .

ولقد (عانت المسيحية الغربية الأمرين من هذا الكفاح الذى كانت له اسوأ العواقب بالنسبة للكنيسة والبابوية كما أدى في أواخر العصر الوسيط الى انحلال الكنيسة والخروج على سلطانها وتدهور البابوية والقضاء على سلطة البابوات .

وعلى ايةحال ففي عام ١٠٧٥ سرعان ما قام النزاع بين جريجوري وهنرى حول مسألة التقليد العلماني . . عندما أصدر البابا مرسوما بعدم تدخل الامبراطور في تنصيب رجال الدين في مناصبهم الدينية واقطاعاتهم الدنيوية وكان من نتيجة ذلك ان قام اساقفة هنرى واتباعه الالمان بخلع جريجوري في مجمع ورمز عام ١٠٧٦ بايحاء من الامبراطور نفسه بينما رد البابا

---

١ - : الدولة والامبراطورية ص ٤٨-٤٩

٢ - : تاريخ اوروبا العصور الوسطى : فيشر ١ / ١٤٧

على ذلك بحرمان هنرى ورجاله الذين اشتركوا في المجمع المذكور . وكان من أثر ذلك أن قامت الحرب بين الرجلين التي انتهت برضوخ هنرى لطالب البابا واذلاله في حادثة كانوسا .(١)

وانتهى الامر بعقد اتفاقية ورمز سنة ١١٢٢ بينه وبين البابا كاليكستس الثاني ١١١٩-١١٢٤ التي تم بمقتضاها حل مشكلة التقليد العلماني الذى سبب المتاعب المباشرة بين العاهلين .

ولكن هذا الحال لم يكن يعني باى حال زوال الاسباب الرئيسية الجوهرية للنزاع بينهما . فقد كان كلاهما يتنازع السلطان الأعلى على العالم المسيحي اذ سرعان ما بدأت المرحلة الثالثة من النزاع بين القوتين بتولى فردريك الاول بربا روسا عرش الامبراطورية في ١١٥٢ .(٢)

وقد امتد حكم هذا الاخير حتى سنة ١١٩٠ وكان السبب هذه المرة هو التدخل الامبراطورى الالماني في حكم ايطاليا ، وكان من نتيجة ذلك ان توالت الحملات الامبراطورية على ايطاليا وقد انتهت بهزيمة فردريك في الحملة الخامسة والاخيرة (١١٧٤-١١٧٦) امام حلف المدن اللمباردية المنحاز الى صف البابا للحصول على استقلالها .

وكما اذل جريجورى السابع الامبراطور هنرى الرابع في كانوسا من قبل كذلك اذل البابا اسكندر الثالث (١١٥٩-١١٨١) م الامبراطور فريدريك بربا روسا وان لم يمعن في ذلك كما فعل سلفه (٣)

ولم تقف الامور عند هذا الحد من الصراع اذ تطورت في عهد البابا انوسنت الثالث ١١٩٨-١٢١٦ الذى أخذ يمد أنفه في فرنسا ويتدخل في شؤونها الداخلية على عهد ملكها فيليب .... حتى اذا ما اراد هذا الاخير ان يقف موقفا حازما من البابوية اذ بالبابا انوسنت يوقع قرار الحرمان على بلاده سنة ١٢٠٠م وعندئذ تأرنب الأسد واضطر الملك فليب اوغسطس الى الاذعان واصلاح أموره مع البابوية . (٤) .

---

١ - الدولة والامبراطورية ص ٥٠-٥١

٢ - المرجع السابق ص ٥١

٣ - المرجع السابق ص ٥١ - ٥٢ وكذلك معالم العصور الوسطى ص١٣٩ - ١٤٠

٤ - اوروبا العصور الوسطى ١/ ٥٠٦-٥٠٧

وكذلك فعل هذا البابا الشيء نفسه في انجلترا حيث اصدر قــــرار الحرمان بحق الملك حنا وبلاده سنة (١٢٠٨-١٢٠٩) م (١)

والا خطر من ذلك موقف هذا البابا من الحملة الصليبية الرابعـــة التي كانت متجهة الى الشرق الاسلامي ثم تحويلها الى القسطنطينية سنة ١٢٠٤م (٢)

وهكذا نجد أن أخطر الاسلحة التي استعملها البابوات هو سلاح قرار الحرمان الذى يعتبر من اولى اسباب الطغيان الكنسي .

وازاء ما قامت به الكنيسة من اعمال في هذا المجال نجد انها ارتكبت في حق دين الله جريمتين :

الاولـــــى (٣) : انها عزفت عن تطبيق شريعة الله تبارك وتعالى واقامت مكانه تشريع الاباطرة الرومان فكانت وريثة ذلك التشريع الوثني .

الثانيــــــة : انها استخدمت سلطانها الذى حاربت من اجل الحصول عليه واراقت الدماء في اخضاع الناس جميعا لملوكهم ورعاعهم لهواهـــــا هي وجبروتها فجعلت من رجالها اربابا من دون الله وعبدت الناس لهـــــم من دونه (سبحانه) حتى حق عليهم قوله تعالى فيهم (اتخذوا احبارهـــم ورهبانهم اربابا من دون الله)(٤)

فمن ناحية الدين المنزل فقد شوهته بفصل العقيدة عن الشريعـــة وتقديمه للناس عقيدة صرفة بلا تشريع أي مسخا مشوها لا يمثل ديـــن اللــــــه الحقيقي ثم إدعت للناس أن هذا هو الدين وزرعت في عقول الناس تصورا خاطئـــا بان الدين علاقة خاصة بين العبد والرب محلها القلب ولا علاقة له بواقع الحياة على الارض فسهلت على الشياطين فيما بعد اقتلاع اثاره . . . لانه لم يكن عميـــق الجذور في واقع الحياة .) (٥)

ولا شك ان شياطين الانس من اليهود عرفوا كيف تؤكل الكتف فوجـــدوا في سخافة البابوية خير مطية لتحقيق ما خططوا له من مكائد . وقـــد استطاعـــت تنفيـــذ مآربها عبر محاربة الكنيسة ،بل وايصال من تريد من رجال الكهنـــوت الى سدة الكرسي البابوى لاصدار ما تريد من قرارات وبراءات .

---

١ ـ اوروبا العصور الوسطى ٢ / ٥٠٧

٢ ـ المصدر السابق وانظر كذلك الحملة الصليبية الرابعة ومسؤلية انحرافها ضد القسطنطينية د . اسمت غنيم ص ٥٠ و ٧٢-٧٣ دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٨هـ

٣ ـ مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٤

٤ ـ التوبـــة : ٣١   ٥ ـ مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٥

و ـ الطغيان المالي والاقتصادي

عندما تم الحديث عن النذور الثلاثة التي التزمت الرهبانية بها ، توقف البحث عند نذر الفقر ، وتبين مدى التزام الرهبان بالتقشف ، وكيف اداروا الظهر للدنيا .

كما تقرر أن هذا الاجراء كان نمطا غير سوى لأنه يدعو الى السلبية في الحياة ويورث الاتكال فضلا عن التأخر الذى يضر حياة الإنسان نفسه والمجتمع ككل . كما أن الإعتماد على الهبات والصدقات وما تجود به أيدى الناس من فضلات الاموال كفيل بفتح الأبواب أمام ضعاف النفوس والضمائر لاقتناص الفرص واستمراء هذه التجارة تحت ستار كثيف من الحجج الواهية .

وفي غياب العقيدة الصحيحة والغفلة عن مراقبة الله تبارك وتعالى تصبح الطريق سهلة لكل عابث .

كما مر الحديث كذلك عن رهبنة الاديان الوضعية وكيفية استغلال الكهنة لمناصبهم لامتهان هذه التجارة المحرمة . وتكوين ثروات ضخمة مما حدا باخناتون مصر الى استئصال شأفتهم . وكأن الزمان قد استدار كهيئته الأولى فتكررت المأساة مرة أخرى في العالم على يد الرهبانية التي نجحت في اعادت تمثيل دور الكهنة الفراعنة تحت مظلة الجبروت والطغيان البابوى .

لقد درت تلك المناصب على الاكليروس اموالا طائلة وازدادت معها املاك الكنيسة ازديادًا فاحشا الامر الذى انعكس سلبا على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية واورث القوم خسائر فادحة .

ان جانبا كبيرا من تلك الاموال كانت مخصصة للفقراء والمساكين الا أن النذر القليل فقط كان يصل الى هؤلاء التعساء ويذهب الباقي الى جيوب القسس والرهبان .

وقد كشف القرآن الكريم هذه الجرائم فمن ذلك قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)(١)

فبدل أن يخفف الرهبان من آلام الفقراء والبؤساء راحوا يمارسون أبشع أنواع الاستغلال الديني كما أنهم بدل أن يغيروا من أنظمة الامبراطورية

---

١ ـ التوبة : ٣٤

ولاحظ ما اورده د . جواد علي حول هذه الجريمة وذلك في كتابه : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ / ٦٤٣ ، دار العلم للملايين ط ٢ ـ ١٩٨٠م

الموروثة ، عملوا على نقل هذه الانظمة برمتها اليهم خاصة فيما يتعلق بنظام الاقطاع . وقبلوا لانفسهم اختيارا لقب لصوص الارض والمال .

وقد ضرب المؤرخون جملة من الامثلة على ارتكاب هذه الجرائم من قبل هذه الطغمة الباغية .

وقبل التعرض لأمثله الطغيان المالي والاقتصادى تجدر الاشارة الى ان هذه الاتهامات لم تكن موجهة من أعداء الرهبان أنفسهم بل من سجلات تلك الأديرة الرسمية كالدفاتر الحسابية وتقارير الاساقفة الزائرين وتصرفات البندكتان او الاغوسطينيين او اعضاء مجامع الرهبان الذين يعيشون على الصدقة والاحسان[1] .

يقول كولتون عن هذا الانحراف :

(ولقد دلت دفاتر الحسابات على ان ايرادات الاديرة الضخمة لم يكد يصرف عشرها على الاغراض الخيرية ، وغالبا ما كان الرهبان يضنون على الفقراء فلا يعطونهم المال الذى قرر الواهبون تخصيصه لهم ، والذى لم يكن ملكا للاديرة التي كانت مجرد حارسة عليه . . .)[2] .

ويتحدث ديورانت عن دور الكنيسة الاقطاعية والاملاك الضخمة من قصور واديرة ورقيق والتي درت عليها كهدايا وهبات وما الى ذلك حتى " اصبحت اكبر ملاك الاراضي وأكبر السادة الاقطاعيين في أوروبا . . . وكانت املاكها الزمنية أي المادية وحقوقها والتزاماتها الاقطاعية مما يجلل بالعار كل مسيحي مستمسك بدينه وسخرية تلوكها السنة الخارجين على الدين ومصدرا للجدل العنيف بين الاباطرة والبابوات . وهكذا اصبحت الكنيسة جزءاً لا يتجزأ من نظام الاقطاع "[3]

ان هذه الثروات الضخمة لم تكن لتتمواطى هذه الشاكلة لو لم تكن :

(الادارة البابوية المترامية الاطراف بحاجة لميزانية ضخمة تسد مطالبها وتفي بمظاهرها وهنا استطاع البابا ان يحصل من الاملاك والاراضي البابوية على نفس العوائد والرسوم التي حصلت عليها البابوية من الاديرة والملوك والامراء الذين ينشدون حمايتها في مختلف انحاء أوروبا كذلك اعتادت بعض البلاد الغربية

---

١ ـ عالم العصور الوسطى ص ١٧٨-١٧٩

٢ ـ المرجع السابق ص ١٨٢

٣ ـ قصة الحضارة ١٤ : /٤٢٨-٤٢٩

ولاحظ : تهافت العلمانية ، د . عماد الدين خليل ، ص ٨٦ ، موسسة الرسالة ١٣٩٩هـ - ١٩٦٩م .

وحكامها ان يدفعوا ضريبة سنوية معينة للبابوية كما ادى ازدياد نشاط المحكمة البابوية الى اضافة مورد مهم نتيجة للرسوم القضائية التي تفرض على المتقاضين ثم جاءت الحروب الصليبية لتهيئ للبابوية موردا جديدا ضخما .

اذ أخذ البابوات في القرن الثالث عشر يفرضون ضريبة ايراد على رجال الكنائس لتمويل الحركة الصليبية [١]

فاذا اضفنا الى كل ذلك صكوك الغفران التي اكثرت البابوية من بيعها لطالبي التوبة والمغفرة والرسوم التي كان يتقاضاها البابا عند تقليد رجال الدين مهام مناصبهم الجديدة ادركنا في النهاية ان البابوية لم تعدم وجود مصادر عديدة أسدت بها كل ما احتاجت اليه من اموال تفي بمظاهرها ومطالبها) [٢].

ان هذه المخازي تدل دلالة واضحة على الحضارة التي قدمتها الرهبانية ، كما تدل على ما انتجته قرائح الرهبان من ظلم وطغيان ، في الوقت الذى كان الاسلام بسماحته وعدله ينشر الامن والامان والنور في كل قطر حل به أو كل مصر اوغل فيه . وخذ على ذلك مثالا بسيطا .

ففي الوقت الذى استطاع المسلمون فيه الوصول الى كبرى المدن في اسيا الصغرى على سليمان بن قتلمش [٣] على تحرير كثير من عبيد الارض الذين كانوا يفلحون ضياع كبار الملاك البيزنطيين وبذلك اكتسب ولاء تلك الفئة التي طالما قاست الكثير من الاستعباد والظلم ، ولعل هذه الحقائق كلها هي التي جعلت من الصعب على الكومستين وعلى رجال الحملات الصليبية التي اخذت تفد من الغرب منذ اواخر القرن الحادى عشر استرداد اراضي الاناضول من الاتراك [٤]

---

١ - والجدير بالذكر ان هذه الحملات لم تقتصر فقط على اراضي الخلافة الاسلامية بل تعدت الى الاراضي المجاورة للبابوية . فقد جردت حملات كثيرة ضد المسيحيين ايضا .

٢ - اوروبا العصور الوسطى ١/ ٥٠٨

٣ - سليمان بن قتلمش احد اقارب ملكشاه (١٠٧٢-١٠٩٢) الذى تمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة ارباع اسيا الصغرى تقريبا وقد اعتبر رجلا قويا لوقوفه ضد خطر الصليبيين الذى بات يهدد العالم الاسلامي) راجع : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية . د . فايد حماد محمد عاشور ص ٦٤ ، مؤسسة الرسالة ط٣ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ .

٤ - الحركة الصليبية ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ١/ ٩١ ط٣ ١٩٧٨م مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

الفصل الثامن :

موقف الكنيسة المعادى للاسلام وآثاره

منذ بزوغ فجر الاسلام والى يومنا هذا ظل اهل الكتاب يتخذون موقفا معاديا من الإسلام وأهله ، على الرغم من إسلام عدد من كبار زعمائهم ورجال الدين منهم . كعبد الله بن سلام وصهيب الرومي والنجاشي وغيرهم ممن هداهم الله تبارك وتعالى للحق ، .

كذلك دخلت في دين الله تعالى شعوب كثيرة ابان الفتوح الاسلامية الكبرى كما عاشت شعوبهم في كنف الاسلام في امن وسلام وقد حفظ المسلمون لاهل الذمة حقوقهم دون ان يمسوها بسوء (١)

الا ان الحقد الدفين لدى اعداء الحق جعلهم يغضون اعينهم عن رسالة الاسلام وهديه فجعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ، وذلك كلما عرضت عليهم عقيدة التوحيد الصافية .

وزاد من تعنت هؤلاء سرعة انتشار الاسلام في بقاع الارض الامر الذى هدد طغيان الكنيسة ورهبانها خاصة حينما زلزل المسلمون ايوان كسرى وقوضوا عرش قيصر .

وقد نجم عن عداوة زعماء الكنيسة ورهبانها للاسلام عدة جرائم منها :

اولا : الحروب الصليبية :

وللاسباب آنفة الذكر فقد بقي النزاع بين الاسلام والمسيحية قرونا متعددة نتيجة للحملات الصليبية ابان العصور الوسطى (٤٩٠- - ١٠٩٦م حيث دخل الصراع مرحلة خطيرة اذ اسفرت البابوية عن وجهها الكالح بالدعوة التي وجهتها الرهبانية عبر اكبر بوق لديها وهو " بطرس الناسك " الذى دق اجراس هذه الحروب استجابة لاوامر البابا اربان الثاني (٢) ، مما جعل ملوك وامراء اوروبا يتلقفون هذه الدعوة لاجتياح العالم الاسلامي واحتلال بيت المقدس اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وسرعان ما استجابت الكنائس برهبانها ضاربة اجراسها لجمع الناس وتهيئتهم لغزو ديار الاسلام واستئصاله من الارض .

---

١ ـ راجع في ذلك : احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ، د . عبد الكريم زيدان ، مكتبة القدس ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ ، ١٩٨٢م .

٢ ـ الحركة الصليبية د . سعيد عبد الفتاح عاشور ١/١٢٦-١٢٧

وقد لبى مسيحيو الغرب الدعوة رهبة من قرارات الحرمان ورغبة في صكوك الغفران التي باتت الكنيسة تستعملها وتصدرها كلما ارادت توسيع دائرة نزواتها التي لا تقف عند حد .

وبوصول الحملات الصليبية الى الديار الاسلامية قامت الصليبية بابشع الجرائم الوحشية التي ارتكبت بحق الامنين المسلمين ، وقد شهد بيت المقدس بالذات مذابح رهيبة ارتكبها عباد الصليب (١) .

كما قامت بعض الفرق المسيحية في الشرق باعمال لا تقل خطورة عما قام به اهل الغرب ، اذ عمل هؤلاء على مساعدة طلائع الصليبيين منذ وصولهم الى السواحل الاسلامية خاصة سواحل الشام وامدتهم بالعون والتاييد (٢) .

حتى بعد انتهاء الحروب الصليبية بقي الرهبان خاصة في بيت المقدس (٣) وغيرها يمارسون مهنة التجسس على المسلمين لحساب الصليبيين تحت ستار الدين ولباس المتبتلين من الدومنكان والفرنسيسكان ، مستغلين بذلك سماحة الاسلام وطيبة قلوب المسلمين ورعايتهم لاهل الذمة وخاصة في عدم تعرضهم للرهبان والقسس وضعاف المسيحيين .

---

١ - راجع : مقدمة .د . حسن حبشي لكتاب اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٥ ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨م . وانظر تلك المذابح الفظيعة التي ارتكبها الصليبيون في بيت المقدس بشهادة واحد من افراد الحملة الصليبية وذلك في ص ١١٩-١٢٠ من نفس المصدر .

٢ - راجع في ذلك : اضواء توضيحية على تاريخ المارونية . د . زكي النقاش ص ٣٧ - ٣٨ ، دار لبنان ، ١٩٧٠ .

٣ - راجع في ذلك : وثائق دير صهيون بالقدس الشريف . د . احمد دراج ص ٣٢ -٣٩ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨ .

وانظر كذلك : المماليك والفرنج لنفس المؤلف ، ص ١٢ و ٧٧ دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦١

ويعترف الاب اميدى لوربول اليسوعي بجهود الرهبان الالمان الذين اطلق عليهم اسم الفرسان الالمان في اسعاف الصليبين اثناء حملتهم على بلاد الشام وانهم بذلوا النفس والنفيس لاجلهم ، راجع : مجلة المشرق ١/ ٩٦٩-٩٧٤

وبالرجوع الى أهم العوامل التي أسهمت في احياء الحملات الصليبية نجد الآتي :

اولا : كانت البابوية في نزاعها مع السلطة الزمنية بحاجة الى مناخ يتيح لها تثبيت دعائم نفوذها الجديد في اوروبا ، وقد وجد البابا في تقدم الاسلام وانتشاره بين الناس في الاندلس وآسيا الصغرى مبررا لابعاد خصومه السياسيين من ملوك وامراء اوروبا عن ساحة النفوذ .

ثانيا : كانت الكنيسة بحاجة ماسة للاموال نتيجة الكساد الذى اصاب اوروبا والناجم عن التأخر في شتى المجالات الامر الذى دعا الكنيسة الى جمعه بطرق شيطانية فاصدرت ما يسمى بصكوك الغفران لكل من يشارك في تمويل الحملات الصليبية كما فتحت مغفرتها لكل من شارك بنفسه في تلك الحروب .

ثالثا : حالة الفوضى التي عمت اوروبا نتيجة التسلط والقهر مما شجع المغامرين والفارين من ربقة الكنيسة للاشتراك في الحروب هربا من الحالة المزرية.اضف الى ذلك حالة الفقر التي غلبت على اهل اوروبا مما اسهم في اغراء هؤلاء لنهب بلاد المسلمين وخيراتهم . (١)

هذه هي اهم الجوانب التي تخص البحث وهناك عدة اسباب اخرى لا مجال لذكرها .

الا ان النتيجة التي يمكن الخروج منها : ان تلك الحروب هي من اولئك الذين لن يرضوا عن الاسلام والمسلمين حتى يدخلوا في ملتهم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ،قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) (٢)

هكذا يريد الحاقدون ، ولله ما اراد ، ولقد فشلت الحملات الصليبية في تحقيق اغراضها وتحطمت راياتها على صخرة صمود المسلمين واستبسالهم في الدفاع عن عقيدتهم وايمانهم .

وعلى الرغم مما تكبدته الصليبية ورهبانها الا انها عاودت بالتآمر مع اليهودية لمحاربة الاسلام واهله ،فاستطاعت عبر الدس والخداع ازالة معالم

---

١ - راجع بتوسع : اوروبا العصور الوسطى ١/ ٤٤١٤

٢ - البقرة : ١٢٠

الخلافة الاسلامية ، وتشتت وحدة المسلمين وذلك في بداية القرن العشرين ، وقد تلقت البلاد الاسلامية طعنه نجلاء وخسارة فادحة بسقوط الخليفة العثماني المسلم واقتسام الدول الغربية اجزاء الدولة وتثبيت دعائم الالحاد عبر نشر القوميات واثارة العرقيات والنعرات الاقليمية بين الشعوب الاسلامية الامر الذى ادى الى تفسخ وحدة المسلمين وابقائهم تحت السيطرة السياسية والاقتصادية للاستعمار الغربي .

ولم تهدأ ثورة الرهبانيقطى المسلمين في يوم من الايام فعلى الرغم من البلايا والشرور التي لحقت بالمسلمين من جراء سقوط خلافتهم ،الا ان الرهبان اشهروا اسلحة متعددة لا تقل خطورة عن السلاح الحربي(1) ذلك هو سلاح التبشير ، .

وهذا ما سيكون الحديث عنه اثناء استعراض الجريمة الثانية من الجرائم التي يرتكبها الرهبان ضد الاسلام واهله .

---

١ ـ تجدر الاشارة الى ان الرهبان قد استعملوا السلاح في الحرب اللبنانية التي لا يزال اوارها مستعرا حتى هذا اليوم ، وقد اسسوا حركة اسمها الحركة الكسروانية سنة ١٩٧٥ مدعومة من رهبان جامعة الروح القدس الكسليك بزعامة الاباتي شربل قسيس ثم الاباتي بولس نعمان . راجع في ذلك مجلة التضامن العدد الرابع ص ٢٢ تاريخ ٧/٥/١٩٨٣م ـ لندن

ثانيــــا : التبشيـــــر

افاض العلماء والدعاة المسلمون في الحديث عن التبشير وادواته وآثاره السيئة ،كما كشفوا خططه واهدافه من خلال مؤلفاتهم وابحاثهم المتعددة.

وقد يكون اقحام الرهبانية في التبشير مدعاة لاعتراض البعض على اساس انه لا صلة للرهبانية بالتبشير والمبشرين .

ولا يعدم الجواب من عرف شخصية الواقفين خلف ستار هذه الاداة ،كما لا يخفى دور البابا وحكومة الفاتيكان في عملية تمويل المشاريع ،وكذا دور مجلس الكنائس العالمي في تدعيم الخطط الرامية الى تنصير المسلمين في أوطانهم وابعادهم عن دينهم الحنيف ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وقد يعجب المرء من رصد الميزانيات الضخمة من أجل تنفيذ هذه المشاريع (١) ، الا ان العجب يزول حينما تتكشف له صلة الرهبانية المتسترة بالمسكنة والمحبة بالجمعيات التبشيرية المسيحية .

فمن خلال التعرف على هوية القائمين على هذه العمليات تستطيع ان تعرف انهم خريجو أديرة قد تتلمذوا على أيدى كبار القسس والرهبان .

كما أن دعوتهم تنادى على الدوام الى الامتثال " بالحياة المسيحية الخالصة " وهي فيأسمى معانيها لديهم تتلخص بالالتزام التام بالحياة الرهبانية وقد مرت هذه المقولة اثناء الحديث عن مبدأ الاتحاد في المسيحية (٢) .

وصحيح ان المبشرين الجدد لا يدعون ابتداء الى التمسك بالحياة الرهبانية ، الا انهم يمهدون السبيل امام الناس لتقبل هذه الحياة فبعد التدرج في استجلابهم تصبح الطريق معبدة الى بث سمومهم في طرائدهم .

الا ان هؤلاء المبشرين حينما علموا بفشل تجارتهم الخاسرة وقد اثبتت عبر التجارب ضحالتها (٣) ،فقد عمدوا الى تغيير الوسائل ، فباتت خططهم تقضي بتاهيل الاطباء والمعلمين واصحاب المهن الضرورية والقادرين على تنفيذ هذا الدور . لان شخصية الرهبان والقسس لم تعد مقبولة لدى الناس .

---

١ ـ يرصد لدول الخليج وحدها سنويا ١٣ مليون دولاراً مريكياً وذلك لسبع منظمات تبشيرية ، : راجع : التبشير المسيحي في منطقة الخليج ص ٧

٢ ـ راجع ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ من هذا البحث وخلاصة التصوف المسيحي ١ / ٧

٣ ـ راجع بعض هذه المحاولات واخفاقها في كتاب : وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الاسلامي . د . حسان محمد حسان ص ٤٧ ـ ٤٨ ،دار الاصفهاني ، جدة . ١٤٠٥ هـ

كما ان بعض المشاريع الفاشلة التي مني بها المبشرون في بعض الأقطار الاسلامية دعتهم الى تغيير الاهداف ايضا ، فبدل ان يكون التبشير يستهدف ادخال المسلمين في النصرانية أصبح التبشير يسعى الى زعزعة العقيدة الاسلامية على الأقل (١) وادخال أصحابها في التيه الفكري .

والى ذلك يشير زعيم المبشرين المدعو " زويمر " الراهب حيث يقول :

(لقد قبضنا ايها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية وانكم اعددتم نشئا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد ان يعرفها ... واخرجتم المسلم من الاسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشيء الاسلامي طبقا لما اراده له الاستعمار المسيحي : لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه الا في الشهوات .... فاذا تعلم فللشهوات واذا جمع المال فللشهوات وان تبوأ اسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء .) (٢)

في هذا النص يكشف زويمر عن صلة التبشير بالاستعمار وتوافق الاهواء لاجتثاث العقيدة من صدور المسلمين .

كما يستدل من ذلك ايضا ان التبشير قد اصبح يمثل اداة في يد الاستعمار يدخل به البلاد الاسلامية بهدف السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، علما بان نظم الدول الاستعمارية الغربية هي التي عملت من قبل على تحطيم النفوذ الكنسي تخلصا من الطغيان البابوي ، وذلك وفقا لما تكشف اثناء الحديث عن صراع الكنيسة مع العلم . ولكن الامر عندما يتعلق بالاسلام واهله تصبح القضية محل بحث بل مجال تنفيذ لخطط جهنمية يقع المسلمون عن علم او غير علم في براثنها .

وتدلنا اعداد المؤتمرات التبشيرية واهدافها المعلنة وغير المعلنة على مدى اهتمام القائمين عليها لتنفيذ هذه الخطط . ويمكن تلخيص بعض هذه المؤتمرات كالاتي :

---

١ - راجع هذه القضية في كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٤٦ ، خالدى وفروخ .

٢ - : اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي د . علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق ص ٦٣ دار الاعتصام ١٩٧٨

١) - مؤتمر القاهرة ، سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) المنعقد في منزل زعيم الثورة العرابية المسلم في باب اللوق تحت سمع الحكومة وبصرها

٢) مؤتمر ادنبرج سنة ١٣٢٨ هـ -١٩١٠ م في انجلترا .

٣ - مؤتمر لكنو سنة ١٣٢٩هـ -١٩١١ م بالهند

٤ - مؤتمر القدس سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م)

٥ - مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤هـ -١٩٣٥م

٦ - مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م (١)

٧ - مؤتمر كولوراد و سبرنغ المنعقد سنة ١٩٧٨ م (٢)

الى غير ذلك من المؤتمرات التي يتزعمها كبار القسس والرهبان.

وتجدر الاشارة هنا الى نقطة اخيرة تتعلق بموضوع الرهبان وهي تلك النشاطات المشبوهة التي يمارسها هؤلاء في المحافل الماسونية ومدّها بالامكانات المادية والبشرية وهو ماكشفه شاهين مكاريوس (٣) . ضمن حديثه عن دور الرهبان في تدعيم تلك المحافل .

---

١ - راجع : "اساليب الغزو الفكري" ص ٣٢

٢ - التبشير المسيحي ، أحمد .فون دنفر ص ٧

٣ - راجع : تاريخ الماسونية العملية ص ٩٨-٩٩ شاهين مكاريوس دار مارون عبود ط ١٩٨٤ م .

الباب الثامن

أثر الرهبنة في البدع الضالة والفرق المغالية المنتسبة للاسلام

ثالثـــا :

أثـــر الرهبـــانية في الفرق المغالية والبدع الضالــة

كان للفتــح الاسلامي نتائج عظيمـــة ابان عصور الخلافة الاسلامية المختلفــة ، وابرز هذه النتائج تمثل في دخول الناس في دين الله أفواجـــــا لقد كان لهذا الدين في قلوب أبنائه محبة عظيمة ، واخــلاص دائم . وذلــــك لنقائه وتميزه عن بقية الملل والنحل بانه دين الفطرة ، دين الله القويم وصراطه المستقيم ، ولهذا فان اعداء الاسلام ادخلوا بعض عقائدهم المنحرفة تشويهـــا وتحريفا ، والله من ورائهم محيط .

وبالرجوع الى اصول الاسلام وفروعه يمكن وضع قاعدة اساسية لوزن اى فكر دخـــيل ،او عقـيدة فاسدة مدسوســة عليه ،وذلك وفـــق ميزان لا يأتيـــــه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالـرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عرف اركان الاسلام ، و ذلــــك فيمـا رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم : بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وأنّ محمدًا رسولُ اللــــه واقام الصّلاة وايتاء الزّكَاة وحَجّ البيت وصَوم رَمَضَان (١).

كما بين عليه الصلاة والسلام اركان الايمان ، من ذلك ما جاء في الصحيح عن عمـــــر بن الخطاب رضي الله عنه من حديث جبريل عليه السلام (الإيمَـــان : أنْ تُؤْمِنَ باللّهِ وَملَائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه وَاليَوم الآخِر وتُؤْمِنَ بالقَدَر خَيْرِه وشَرِّه . .) (٢)

وعليه فان الاسلام ينفرد عن العقائد الشركية والبدعية بالتوحيــــــد الخالص ،فأهل السنة والجماعة يوجبون لله تعالى الكمال في صفاته واسمائـــــه وافعاله بحسب ما ورد في القرآن الكريم من آيات والسنة المطهرة من احاديـــث وذلك بعيدا عن التجسيم والتشبيه والتعطيل ايمانا بقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِـــه شَيْءٌ وَهوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (٣).

---

١ - صحيح الامام البخاري ،كتاب الايمان ١/ ٨

٢ - رواه الامام مسلم ، انظر صحيح الامام مسلم بشرح النووى كتاب الايمان ١/ ١٥٧

٣ - الشورى : ١١

كما ان توحيد الالوهية والربوبية وتوحيد الاسماء والصفات هي من لوازم هذا التنزيه . (١)

كما ان العلماء والفقهاء متفقون على ان اصول الدين الاسلامي النابعة من الكتاب والسنة هي المعتبرة عندهم لا غيرها ولا خلاف في شيء (منها) . (٢)

كما انهم متفقون على ان المبادىء الاخلاقية والسلوكية التي بثها الاسلام ، وفق منهج القرآن والسنة هي السبيل الوحيد لنيل الزهد المقرب الى الله تعالى دون غيره من البدع التي ادخلت عليه زورا .

ذلك هو السبيل الوسط الذى سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته الذاتية والعملية وتبعه السلف الصالح باعتدال بغية تهذيب النفوس وتقويم الاعوجاج والارتقاء الى القيم السامية النابعة من روح الاسلام الصافية . وهذا يتم (باخلاص النية لله تعالى في الظاهر والباطن والسر والعلن والارتفاع بها جميعا الى مستوى الاحسان الذى وصفه النبي صلى الله عليه وسلم : (هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) . (٣)

وعليه فان ما عرض من عقائد الاديان الوضعية وما تبين من انحرافات اهل الكتاب العقدية والسلوكية سواء ما تعلق منها بالتجسيم او الحلول او الاتحاد او وحدة الوجود ، لا صلة للاسلام بها من قريب او بعيد وان كل ما يتعلق بها او يتفرع عنها لا وجود له ولا اصل في عقيدة التوحيد التي جاء بها الاسلام .

تلك هي القاعدة المطلوبة لتمييز الغث من الثمين ، ووزن اى عقيدة يجب ان يكون وفق هذا الميزان الدقيق .

ووفق هذا المفهوم ايضا فان الزهد الاسلامي النابع من الكتاب والسنة والذى ترعرع في مدرسة النبوة لا صلة له اطلاقا بغيره كما يجب التنويه بان هذا الزهد قد استغل استغلالا كبيرا عقب انتشار المد الاسلامي شرقا وغربا ، ودخول الناس في هذا الدين اتاح للاعداء فرصة الولوج اليه ، فقد اختلفت مشارب الداخلين كل بحسب اختلاف النوايا والغايات ، فمنهم من وجد في الاسلام ما يغنيه عن ضلالات وجور الاديان المحرفة ، ومنهم من وجد فيه خطرا على كيانه كالشعوبية والزنادقة ، ومحرفي اهل الكتاب ، وخاصة رجال الدين منهم الذين ارادوا النيل

---

١ - انظر : دعوة التوحيد ، د . محمد خليل هراس ص ١٤ ، مكتبة الصحابة طنطا

٢ - راجع : التبصير في الدين ، لابي المظفر الاسفراييني ص ١٨٢ - ١٨٣
ت : كمال يوسف الحوت ط ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م بيروت .

٣ - انظر نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها د . عرفان عبد الحميد فتاح ص ٥ ، ط ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م المكتب الاسلامي ، بيروت .
وراجع حديث الاحسان في صحيح مسلم بشرح النووى ١/١٥٧

من الاسلام ، وذلك كما فعل "يوحنا الدمشقي" (١) في العهد الاموى ، وكذلك سوسن النصراني الذى اسلم ثم تنصر في العهد العباسي وهو أول من نطـق بالقدر . (٢)

كما سار تيار آخر ادى الى وجود الزندقة ، ودعاة هذا التيار لا ينتمون الى دين سماوى بل الى مذاهب وثنية عرفت بفارس والهند والجزيرة مثل المجوسية والسمنية والمشبهة والمانوية والصابئة ! (٣)

وقد استطاعت هذه الفرق ان تشق طريقها الى البيئة الاسلامية عبـر الدس تارة وتحريف النصوص ووضع الاحاديث تارة اخرى ترويـجا لضلالاتهـا وبدعها ، فاستغل الزهد الاسلامي الصافي لهذه الغاية فمزج بهذه التعاليم الوافدة مما اتاح الفرصة أمام التصوف الفلسفي أن يأخذ مكانه في المجتمع الاسلامي .

وقـد كان للمعارف التي حملها أهل الكتاب عن عقائدهم وآرائهـم وممارساتهم المستقاة اساسا من ينابيع الرهبانية وفلسفاتها في الحلـول والاتحاد اثر في المنحى الصوفي الفلسفي وقد تمثل هذا بما وجد في كتابات محيى الدين بن عربي والحلاج وابن الفارض والسهروردى (٤) ومن سار في هـذا الاتجاه متتبعا لما قرروه ، ممن دان بهذه (٥) العقائد الوافدة الأمر الذى عكـر اجواء المجتمع الاسلامي الصافية .

هـذا الوضع استدعى بقاء علماء الاسلام وجهابذته في حالة استنفار على دائم نتيجة لهذه الاخطار المحدقة بالامة .

---

١ - راجع في ذلك : تاريخ الفرق الاسلامية ،علي مصطفى الغرابي ص ١٣٧ ط٢ ١٩٨٥ مكتبة الانجلو المصرية .

٢ - راجع : الحياة العلمية في الشام فـي القرنين الاول والثاني للهجرة خليل داود الزرو - ص ١٢٤-١٢٧ دار الافاق الجديدة ط١ بيروت ١٩٧١

٣ - المصدر السابق ص ١٣١

٤ - لاحظ : كتاب المجددون في الاسلام من القرن الاول الى الرابع عشر ،عبد المتعال الصعيدى ص ٢٥١ ،القاهرة مكتبة الاداب .

٥ - راجع : مصرع التصوف ،برهان الدين البقاعي ، ت: عبد الرحمـن الوكيل ،فصل عن التصوف الفلسفي وصلته بالنصرانية ص ٢٢٤ ،

كما يجب الاعتراف بان تلك المبادىء الخاصة بأسس العقيدة الرهبانية منها والسلوكية قد أثرت بشكل خاص في الفرق الباطنية التي وجدت في التشيع فرصة كبيرة وستارا لتحقيق اهدافها في زعزعة الكيان الاسلامي .[1]

وقد ازداد انتشار الفرق الباطنية في عهد الدولة الفاطمية أزديادا خطيرا ، فالى جانب ما تلقفته من تعاليم منحرفة عن الاسلام فقد ارتبطت الباطنية بتيارات ذات اتجاهات سياسية واجتماعية واقتصادية خطيرة وعنيفه .[2]

(اما خطورتها فترجع : الى كونها تمثل انصرافا عن المجرى التقليدى للامور وظهورها في شكل انقلابات محورية وافتقارها الى ضوابط راسخة أومعايير يمكن التفاهم عليها .

اما عنفها فلأنها لا تستطيع ان تحقق اهدافها بالوسائل الشرعية المقررة ، ولهذا تلجأ الى البطش ان تمكنت ، والاستتار المتآمر في دور التمهيد والتقية الغادرة في ظل سلطان الخصوم) .[3]

كما لا بد من تسجيل حقيقة لا مناص من الاعتراف بها وهي ان ضعف دولة الخلافة السنية إبان تلك العهود دينيا وسياسيا واجتماعيا كان كفيلا بالاسهام في عملية تفريخ هذه الطفيليات .

ولهذا فلا غـرابة من وجود اثر الفلسفات اليهودية والمسيحية الغنوصية وان يتبلور هذا النهج في الفكر الصوفي الفلسفي الذى مثله أصحاب فكرة وحدة الوجود وهو ما يخالف لب العقيدة الاسلامية الصحيحة .

وعليه فان الحكم على هذه التيارات بالكفر والالحاد حكم في محله وانه يجب التبرى من هذه البدع والتحذير منها . وفضح نواياها السيئة للاسلام ، وقد استطاع بعض المستشرقين الغربيين توجيه الطعن للاسلام من خلال الاستشهاد باراء وعقائد هذه الفرق الضالة .

كما تجدر الاشارة في هذا الصدد الى تلك الصفحات المشرقة التي سجلها علماء اهل السنة والجماعة في فضح كل ما يمت الى القضية بصلة سواء على مستوى كشف الستار عن تلك الشخصيات التي وقفت خلف تلك العقائد او على مستوى الرد عليها ورصدها والتصدى لها بحزم ونشر ما كتبوه

---

١ - راجع تلك الفرق الضالة ومقالاتها في كتاب : فضائح الباطنية لابي حامد الغزالي ت : د . عبد الرحمن بدوى موسسة دار الكتب الثقافية الكويت ، حولي .

٢ - راجع ما وجد من فرق في : مذاهب الاسلامية د . عبد الرحمن بدوى ٩/٢ دار العلم للملايين بيروت ط١ ١٩٧٣

٣ - المصدر السابق ص ٢/٥

قد أسهم كثيرا في إجلاء حقيقة الاسلام الصافية وازالة الشبهات التي الصقت بهذا الدين زورا وبهتانا .(١)

ولا شك ان المستشرقين يعرفون تلك الحقائق ولا يمكن ان تغيب عن بالهم الا ان الحقد الدفين والتعصب الديني اليهودي والصليبي الاعمى قد افلح في الغاء عقولهم وشل مشاعرهم وجعلهم ابواقا دعاية فارغة في اسواق الضلال والالحاد .

---

١ ـ من المؤلفات القديمة في التراث الاسلامي التي برع العلماء في رصد الاراء المخالفة للاسلام الحنيف ـ :

١) مقالات الاسلاميين ، لابي الحسن الاشعرى ، ت ٤٢٩ ـ مطبوع

٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى (٥٤٤-٦٠٦) . مطبوع

٣) ـ الفرق بين الفرق ، لعبد القادر بن طاهر البغدادى ت ٤٢٩ ، مطبوع

٤) الفصل لابن حزم ، والملل والنحل للشهرستاني

٥) فضائح الباطنية للامام الغزالي (ت : ٥٠٥) مطبوع

٦) كتاب في الرد على الاسماعيلية ، لابي عبد الله بن رزام . راجع : الفهرست لابن النديم ص ٢٦٤ ط دار المعرفة .

٧) كتاب في الرد على الملحدين لسعد بن محمد بن ابي عثمان الغساني القيرواني النحوى (راجع : مقدمة فضائح الباطنية ص ،أ ، ب .

٨) كشف الاسرار وهتك الاستار لابي بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ-١٠١٢ ، راجع مقدمة فضائح الباطنية ص/ب .

٩) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع لابي الحسن الملطي ت : ٣٧٧هـ طبع سنة ١٩٤٩-راجع مقدمة فضائح الباطنية ص :ج

١٠) كشف الاسرار الباطنية لاسماعيل بن احمد البستي (مخطوط ، راجع مقدمة فضائح الباطنية ص : ب ،ج

١١ ـ كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة لمحمد بن مالم بن ابي الفضائل الحمادى اليماني طبع في مصر سنة ١٩٣٩ راجع : فضائح الباطنية

١٢ ـ منهاج السنة لابن تيمية ت٧٢٨ مطبوع

١٣ ـ الاعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : لشمس الدين السخاوى ت٩٠٢هـ مطبوع في مصر سنة ١٣٤٩هـ

١٤) تلبيس ابليس لابن الجوزى مطبوع

١٥) اغاثة اللهفان لابن القيم مطبوع

هـذا وان دراسة مجتمع الكوفة بشكل خاص في العصور الاولى دراسة علمية منهجية كفيل بازاحة الستار عن تلك الادوار التي لعبتها الملل والنحل المختلفة في عملية تشويه العقائد الاسلامية .

وبايجاز كبير فان مجتمع الكوفة التقى فيه فضلاعن مسيلمة الكذاب واصحابه (شذاذ الناس واشرارهم ، مع خيارهم ، واتى الصحابة كما اتى الناصرى واليهودي، واقبلت القبائل العربية كما اقبل الموالي وانتشرت الزندقة والسحر والنيرنجات وكان فيها العثمانية (اصحاب عثمان رضي الله عنه) كما كان فيها حب علي وال البيت ، وانتشرت الحلقات المتعارضة والمجامع المتنافرة ولما استفحل النزاع بين العلوية والعثمانية اطلت روؤس المجامع السرية والمراكز المتغلغلة الخفية وبجانب هذا كله هناك النصارى ايضا ينادون بتجسد الالوهية ،كان هؤلاء جميعا يرقبون بعيون بسيطة سهلة يمتلكون بها ارض الاكاسرة والقياصرة وبقوا في انتظار الفرصة السانحة لتمزيق الجماعة و تفريق الكلمة وكان النزاع بين الهاشميين والامويين فرصتهم السانحة) .(١)

وقد استغل اهل الكتاب حب ال البيت في اشاعة مذهب الغلو في الفرق المغالية حتى اذا ما تحقق هذا الامر سهل عليهم تمرير عقائدهم فنجد مثلا غلاة الرافضة يؤلهون عليا والائمة من بعده بل يؤمن بعضهم بحلول الاله ببعض قادتهم .

يقول الشهرستاني عن الغلاة (الغالية) هم الذين غلوا في حق ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى اذ اليهود شبهوا الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في اذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت باحكام الهية في بعض الائمة . (٢)

وقد احصى العلماء(٣) كثيرا من الفرق الباطنية المغالية التي تؤمن

---

١ - : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام . د . النشار ٢/٦٦

٢ - . : الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل ٢/١١٥ ، ط طبعة صبيح ،القاهرة .

٣ - فبالاضافة الى كتب التراث الاسلامي القديمة هناك كتب حديثة منها :

التي تؤمن بالحلول وغيره .

=

١ - الاسلام بلا مذاهب ، د . مصطفى الشكعة ص ٣٠٦ دار النهضة العربية بيروت ط١

٢ - عقيدة الدروز ، محمد احمد الخطيب ، مكتبة الاقصى ،الارد ن ط١ . ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

٣ - الحركات الباطنية في الاسلام ، مصطفى غالب ص ٢٥٥-٢٨٧ ص ١٠٥ دار الكتاب العربي ، بيروت وصاحبه باطني

٤ - دور اليهود في الفرق الباطنية ، احمد محمد احمد مغربي ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى بمكة المكرمة ، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٥ - مذاهب الاسلاميين ، د . عبد الرحمن بدوى ، :جـ ٢ ، دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٩٧٣م

ولا أدل على تسرب الأسس العقدية للرهبنة الى مبادئ التصوف الفلسفي من تلك العبارات التي تنادي بفكرة الحلول . فمن ذلك ما ورد في شعر الحلاج :(١)

انا من أهوى ومن أهـــوى أنـــا	نحن روحان حللنا بدنـــا
فاذا ابصرتني ابصرتــــــه	واذا أبصرتـــه أبصرتنـــا

وهـــذا ما تدعيـــه النصرانية تماما وقد مر بنا في الأبواب السالفة الكلام عن تلـك العقيدة(٢) ، ورأينا ردود العلماء المسلمين عليها .

كما تتجلى عقيدة وحدة الوجود(٣) في عبارات الجيلي حيث يقول :

فمهما ترى من معدن ونباتـــــه	وحيوانه مع إنسه وسجـــايـــاه
ومهمـــا ترى من أبحر وقفـــاره	ومن شجر أو شاهق طال أعلاه

الى قـــوله :

ومهما ترى من عرشــــه ومحيطـه	وكرسيـــه أو رفرف عز مجـــلاه
فاني ذاك الكل ، والكل مشهدى	أنا المتجلي في حقيقته لا هــو
واني رب للأنام وسيـــــــــد	جميع الـــورى اسم ، وذاتي مسماه

وهـــذا أيضا ما نادت به العقائد الهندية من قبل .

وقد قارن البيروني بين ما يقوله الهنود من عقيدة الاتحاد وما يقرب به بعـــض المتصوفة حيث يقول . :

(والى طريق " باتنجل " ذهبت الصوفية في الاشتغال بالحق فقالوا : ما دمـــت تشير فلست بموحد حتى يستولي الحق على اشارتك بافنائها عنك فلا يبقى مشير ولا اشـــارة ، ويوجد في كلامهم ما يدل على القول بالاتحاد كجواب أحدهم عن الحق : وكيف لا أتحقـــق من هو " أنا " بالانية و " لا أنا " بالأينية ". إن عدت فالعودة فرقت وان أهملت فبالاهمـــال خففت وبالاتحاد ألفت . وكقول أبي بكر الشبلي : اخلع الكل تصل إلينا بالكلية فتكون ولا تكون اخبارك عنا وفعلك فعلنا) .(٤)

---

١ - في التصوف الاسلامي وتاريخه - رينولد . ا . نيكولسون ص ١٣٤ ، ت : ابو العلا عفيفي طبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م

٢ - انظر ص ٣٥٥ من هذا البحث .

٣ - هذه هي الصوفية عبد الرحمن الوكيل ص ٤٤-٤٥ ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ

٤ - تحقيق ما للهند ، ص ٦٦ .

وقد تعقب ابن الجوزى تلك الشطحات الواردة في أقوال وأفعال المتسببين والمغالين في التصوف فمن ذلك ما رواه عن ضمرة قال ، سمعت رجلا يقول :

(قدم حماد بن ابي سليمان البصرة فجاء فرقد السنجي وعليه ثوب صوف فقال له حماد : ضع عنك نصرانيتك هذه .) (١)

كما ذكر حديث بقية بن الوليد الذى يقول فيه : سمعت ابراهيم بن أدهم يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان) . (٢)

وقد أورد الشعراني كثيرا من القصص والروايات المليئة بتلك الشطحات من ذلك قوله : ومنهم : سيدى ابراهيم بن عصيفير . . . وكان رضي الله عنه - كثير الشطح وكان أكثر نومه في الكنيسة - ويقول : النصارى لا يسرقون النعال في الكنيسة بخلاف المسلمين ، وكان رضي الله عنه يقول : أنا ما عندى من يصوم حقيقة الا من لا يأكل اللحم الضاني أيام الصوم كالنصارى وأما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم فصومهم عندى باطل ، وكان رضي الله عنه - يقول لخادمه : أوصيك أن لا تفعل الخير في هذا الزمان فينقلب عليك بالشر وجرب أنت نفسك) . (٣)

ويقول الشعراني عنه ايضا (وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلا ونهارا وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل . . .) . (٤)

ويصل هذا التأثر الى الحد المخرج عن الملة ، من ذلك ما جاء في الديوان المنسوب الى جلال الدين الرومي قوله :

نفسي أيها النور المشرق ،لا تنأ عني لا تنأ عني ، حبي ايها الشهيد المتألق ، لا تنأ عني لا تنأ عني . انظر الى العمامة أحكمتها فوق رأسي ،بل انظر الى زنار زرادشت حول خصرى أحمل الزنار وأحمل المخلاة ،لا بل أحمل النور ،فلا تنأ عني ،لا تنأ عني . مسلم أنا ولكني نصراني ، وبرهمي وزرادشتي ، توكلت عليك أيها الحق الأعلى ، فلا تنأ عني لا تنأ عني ، ليس لي سوى معبد واحد . مسجدا أو كنيسة

---

١ - تلبيس ابليس ص ١٩٥

٢ - المرجع السابق ص ١٥٢

٣ - الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الانوار في طبقات الاخيار لعبد الوهاب الشعراني ٢ / ١٤٠ ، مصطفى البابي الحلبي بمصر . ط١ ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م

٤ - المرجع السابق

أو بيت اصنام)![١]

ولم يقتصر هـــذا التأثر عند هذا الحد بل تعدى الى مظاهر اخرى . فكما نادت الاديان الوضعية باسقاط التكاليف الشرعية عن طريق الاتصال بالله كما يزعمون فقد وجدت هذه الافكار طريقها الى بعض المنتسبين الى الاسلام ففي نظر هؤلاء ان الشرع ليس له قيمـــــة . ذلك لان لسان حاله هو: (أنه ما دام من الممكن المتابعة عن طريـــقة تتصل بالــلـــه مباشرة فلماذا نضيع الوقت بالظواهر والصور والتوسل بالطرق غير المباشرة ؟ ناهيك بـــان الشرع انما هو وسيلة للوصول الى الحق وما دام العارف قد بلغ الحق والحقيقة فلم يبق والحالة هذه حاجة له بهذه المظاهر وكل توسل وتشبث يعتبر عبثا)![٢]

ويظهر اثر الرهبنة جليـــا في بعض المتصوفة الذين خرجوا عن سنة محمد صلـــى الله عليه وسلم وذلك بنبذ النكاح والاعراض عما أحله الله تعالى لبني البشر .

فمن ذلك ما نقله ابن الجوزى عن أحدهم حيث قال : النكاح يوجب الميل الـــى الدنيا ،فروينا عن أبي سليمان الداراني أنه قال : اذا طلب الرجل الحديث أو ســـافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا) .[٣]

ومن ذلك أيضا ما نقل عن حذيفة المرعشي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ/أنه قال :

(كان ينبغي للرجل لو خير بين أن يضرب عنقه وبين أن يتزوج امرأة في الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج امرأة في الفتنة) .[٤]

وقد نقل السراج الطوسي قصة أبي أحمد القلانسي الذى تزوج امرأة بقيت عنـــده ثلاثين سنة وهي بكر) .[٥]

وما نقل عن كشف المحجوب للهجويرى (أن أول فتنة قدرت على آدم في الجنـــة كان أصلها إمرأة وأول فتنة ظهرت في الدنيا ،أي فتنة هابيل وقابيل ، كانت أيضا بسبـــب امرأة وحين أراد الله تبارك وتعالى أن يعذب اثنين من الملائكة جعل سبب ذلك إمـــراة وهي جميعا الى يومنا هذا سبب جميع الفتن الدينية والدنيوية) .[٦]

---

١ - في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٩٤

٢ - تاريخ التصوف في الاسلام . د . قاسم غنى ، ت: صادق نشأت ، ص٢٤٦ ، مكتبـــة النهضة المصرية ط ١٩٧٠

٣ - تلبيس ابليس ص ٢٩٥

٤ - التصوف ، المنشأ والمصادر إحسان إلهي ظهير ص ٥٨ ، ادارة ترجمان السنة لاهور باكستان ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٥ - اللمع لابي نصر السراج الطوسي ص ٢٦٤ دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٠-١٩٦٠م

٦ - التصوف ، المنشأ والمصادر ص ٥٩

ويذكر الشعراني عددا من المجاذيب منهم : (سيدى عبد الرحمن المجذوب . . .
(يقول عنه) ما رأيت قط أحداً من أرباب الأحوال دخل مصر الا ونقص حاله الا الشيخ عبد الرحمن المجذوب وكان مقطوع الذكر قطعه بنفسه أوائل جذبه وكان جالسا على الرمل صيفا شتاء واذا جاع أو عطش يقول اطعموه واسقوه وكان ثلاثة أشهر يتكلم وثلاثة أشهر يسكت وكان يتكلم بالسرياني) .(١)

ولا شك أن هذا كله مخالف للشرع وقد مر الحديث عن موقف الاسلام من النكاح ومن المرأة وذلك في الابواب السالفة من هذا البحث . وظهر لنا أهمية ذلك ومدى عناية الاسلام بالاسرة والمجتمع . ونهيه عن التبتل والخصاء .(٢)

كما يبرز تأثير الرهبنة فيهم من خلال اتخاذ الخلوات وهي تشبه في ضمونها خلوات الرهبان في الكهوف والصوامع والاديرة . وأخطر ما ينجم عن تلك البدع تلك الخرافات والدعاوى الباطلة التي تنطلي على ضعاف العقول والنفوس ، .
فمن ذلك ما يقال (اذا صحت الخلوت أفلحت الرياضة واتتت من الثمرات فوق ما يتصوره العقل ، منها أن يكشف المريد عالم الغيب المحجب ، ويدرك أسرار الحيوانات والحشرات ويعطى القدرة على فعل الكرامات واتيان الخوارق والتصرف في الكون بالهمة . فيمشي على الماء ويطير في الهواء ويقتحم النيران ويفعل كل ما لا يقوى عليه سائر البشر) .(٣)

ومما يشبه الى حد كبير ما يفعله الرهبان الجينيون من العرى ، ما ذكره الشعراني من أن الشيخ ابراهيم العريان كان اذا دخل بلدا سلم على أهلها كبارا وصغارا باسمائهم حتى كانه تربى بينهم - وكان رضي الله عنه - يطلع على المنبر ويخطب عريانا فيقول : السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم . . .) .(٤)

كما سار (على البكرى (٢٠٧ هـ) عاريا في الاسواق يهذى في حديثه ويخلط في كلامه ، فيؤول الناس هذه بأنه تأويلا يلائم أحوالهم ويتفق مع أغراضهم واستغل أخوه سذاجة الناس فمنعه من الخروج الى الشوارع والأسواق مكشوف الرأس والسوأتين كما كان يفعل في أغلب احوالـه) .(٥)

---

١ - الطبقات الكبرى ٢ / ١٤١
٢ - انظر ص ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢
٣ - التصوف في مصر إبان العصر العثماني د . توفيق الطويل ص ٦٩ ، مطبعة الاعتماد مكتبة الآداب بالجماميز .
٤ - الطبقات الكبرى ٢ / ٢٤٢
٥ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ص ١٣٢

ومما يشبه الى حد بعيد قسوة الرهبان المسيحيين على أنفسهم و تلاميذهم ما صرح به السيد محمد البكرى (٩٩٤هـ) (بأن من واجب العبد - أى المريد - أن يذكر أنه بين يدى استاذه في كل نفس من أنفاسه . . .)(١)

بل أوجب الشيوخ على المريد (أن يستجيب لأوامرهم ولو قضت بعصيانه لله وتمرده على قواعد دينه بافطار رمضان أو الاهمال في إقامة الصلاة)(٢) ومثل هذا ايقال فيما أباحه الشرع وحرمه الشيخ لأن الترقي لا يكون بالاستمتاع بالمباح من اللذات بل بالزهد .)(٢) .

ومن شدتهم على أنفسهم ما جاء في قول الشعراني :

ان خوذة (خوذة) الشيخ على ابو خوذة كانت من الحديد وكان زنتها قنطارا وثلثا لم يزل حاملها ليلا ونهارا وكان شيخا أسمر قصيرا)(٣) .

وقوله عن الشيخ (ابو الخير الكليباتي) . . . كان من الاولياء المعتقدين وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر . . . . وكانت الكلاب التي تسير معه من الجن ، وكانوا يقضون حوائج الناس ويأمر صاحب الحاجة أن يشترى للكلب منهم اذا ذهب معه لقضاء حاجته رطل لحم وكان أغلب أوقاته واضعا وجهه في حلق الخلاء في ميضأة جامع الحاكم ويدخل الجامع بالكلاب . . .)(٤)

وبعد . . فان هذه الامثلة وغيرها لا تدع مجالا للشك في أن أنماطا من الرهبنة قد سرى في الاوساط الاسلامية سواء عن قصد أو غير قصد . ولا يمكن تعميم هذه القاعدة على كل من انتسب الى التصوف لان الرهبنة لها قواعد وانظمة وشروط ونذور ولا يمكن توفر جميع الشروط على جميع المتصوفين بصورة عامة ، الا ان الحالات التي مر ذكرها قد وجدت في اولئك الغلاة الذين رموا انفسهم في احضان البدعة .

وقد فرق الامام ابن تيمية بين المعتدلين منهم وبين المغالين فمن ذلك قوله (وقد تنازع الناس في طريقهم : فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا : انهم مبتدعون

---

١ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ص ١٣٥

٢ - المرجع السابق

٣ - الطبقات الكبرى ٢/١٣٥

٤ - المصدر السابق ٢/١٤٣

خارجون عن السنة ، وطائفة غلت فجعلت طريقهم أفضل الطرق .

والصواب : انهم يجتهدون في طاعة الله ، فمنهم المذنب والتقي ، وقد صارت الصوفية ثلاث طبقات ، صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسوم . فاما صوفية الحقائق : فهم الذين وصفناهم . واما صوفية الارزاق : فهم الذين وقفت عليهم الخوانق والوقوف ،فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق ، وأما صوفية الرسوم فهم المقصورون على التشبه بهم في اللباس والآداب الوضعية فهم بمنزلة الذى يقتصر على زى اهل العلم) .(١)

بهذا التوضيح يصنف الامام ابن تيمية الصوفية والمتصوفة وهو في جميع مؤلفاته لا يحيد عن هذا المنهج فتراه يشنع على المغالين المبتدعين ويعيب عليهم محاكاتهم لاهل الكتاب وتشبههم بهم .

هذا . . . ومن انصافه لاهل الحق أنه فرق بين هؤلاء وبين الاولياء فمن ذلك قوله (وكرامات الاولياء حق باتفاق أئمة أهل الاسلام والسنة والجماعة وقد دل عليها القرآن في غير موضع ، والاحاديث الصحيحة والاثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم وانما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم لكن كثيرا ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذابا او ملبوسا عليه .

وأيضاً فانها لا تدل على عصمة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين ، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء امطرى فتمطر وللأرض انبتي فتنبت . وانه يقتل واحدا ثم يحيه وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة .

ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء، لم تثبت له ولاية ،بل ولا اسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم) .(٢)

---

١ - مختصر الفتاوى المصرية ، للامام ابن تيمية ، ص ٥٧١-٥٧٢- مطبعة السنة المحمدية ط ١٣٦٨هـ-١٩٤٦ م مصر .

٢ - المرجع السابق ص ٦٠٠

البـــــاب التاســـــــــع :

موقـــف الاســـلام من الرهبنـــــــــــة
وحكمــــــــه عليـــــــــهـــــــا

وفيـــه فصــــــــلان :

الفصل الاول : موقف الاسلام من رهبنـــــــــة الاديـــان الوضعيـــــــة

الفصل الثاني :: موقف الاسلام من الرهبانيـــــة النصرانيـــــــــــة

الفصل الاول : موقف الاسلام من رهبنة الاديان الوضعية

بعد استعراض أصل وأصول الرهبنة الوضعية وما انطوت عليه من عقائد وما مرت به من مراحل ، وبعد الحديث عن رهبانية اهل الكتاب

لا بد من الوقوف قليلا لتلمس حكم الاسلام على الرهبنة عند الاديان الوضعية وذلك اتماما للفائدة .

فما تقدم يتضح لنا أن الاسلام الحنيف دين الفطرة ، وهو الدين الذى جعله الله تعالى لجميع البشر ، لذا فان تعاليمه تسمو على غيرها ولا يمكن مقارنتها بأى قانون أو شريعة أخرى مهما علت أهدافها وكبرت مراميها .

وحينما تدعو الرهبنة الى تعاليمها ومبادئها تنسى أو تتناسى في زحمة نصوص كتبها أنها تفتقد العنصر الشرعي المستند الى الدين السماوى الموحى به من عند الله تبارك وتعالى .

ولهذا فإننا نراها تتخبط في مسارها التاريخي والعقدى والسلوكي كلما ظهرت في الافق بوادر التغيير أو التجديد .

فالرهبنة المصرية القديمة التي سرت بين بعض كهان المعابد لم تستطع الانتشار والتمدد واكتساب الاتباع وانتهت على ايدى كهنتها الذين تمرغوا بوحل الرذيلة مما اضطر اخناتون آخر الأمر الى إرغامها على التلاشي والاضمحلال .

اما الرهبنة الهندوسية فقد كاد اوارها ان ينطفيء لولا الضياع الذى يعيشه شباب الغرب في هذا القرن والذى بات يعيش على الوهم والخيال نتيجة المادية التي صبغت الحياة الغربية بصورة عامة . لذا فقد وجدت الرهبنة الهندية طريقها الى هؤلاء بعد فشلها في المحافظة على كيانها ووجودها في مهدها وبعد تحولها الى طريق الشعوذة والالعاب السحرية التي تفتن عقول الفضوليين وضعاف النفوس .

وفي المقابل فاننا لا نجد في الاسلام الحنيف وتعاليمه تلك المبادىء الضالة والعقائد المنحرفة الداعية الى الشرك واتخاذ الارباب من دون الله كما هو الحال في الرهبنة الوضعية ، بل نجد في الامة الاسلامية حينما كانت منضوية تحت الخلافة الراشدة خليفة ينقاد له الناس جميعا ما دام يقيم فيهم شرع الله تعالى المنزل دون تقديس او تأليه . وليس له عليهم سوى ما يمليه أدب الطاعة لولي الامر ، وبالتالي فان هذه الطاعة لم تتحول في يوم من الايام الى عبادة كما هو الحال في الرهبنة حيث اتخذ الناس (أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) بل ان الطاعة في الاسلام انما تكون فيما شرع الله تعالى (واطيعوا الله ورسوله وأولى الامر منكم .) (١)

---

١ - النساء : ٥٩

كما أننا لن نجد في الاسلام ما يسدعو الى التقليد الاعمى كالذى سارت عليه الرهبنة الوضعية . بشتى صورها ، فالقرآن الكريم ينعى على اولئك المقلدين لما يفضى الى اتباع للهوى :

قال تعالى (بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) (١).

كما شنع القرآن الكريم على الذين اتخذوا الاصنام والاوثان الهة من دون الله . (ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (٢).

(ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير) (٣).

كما ان العقيدة الاسلامية خالية من تلك الخرافات والاساطير التي تستند اليها الرهبنة الوضعية . فالاسلام يعتمد على التوحيد الخالص دون الجنوح الى الخيال والتماس العقائد البالية الموافقة لاهواء النفس ونزعاتها :

قال تعالى (ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (٤).

ويقول (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا) (٥).

فاتباع الظن في تقرير العقائد انما هو سفه يجب ان يتنزه البشر عنه . كما ان الركون الى الاهواء كفيل بتضليل الناس والارتماء في أحضان الشرك والالحاد .

ولا أدل على ذلك من تلك النتائج التي وصلت اليها الرهبنة الهندوسية بالذات حيث قادتها الاهواء الى الالحاد ونفي وجود الله تعالى ، وهذا ما عبرت عنه كتب الاوبانيشاد التي صاغها الرهبان الهندوس .

---

١ - الزخرف : ٢٢
٢ - يوسف : ٤٠
٣ - الحج : ٧١
٤ - النجم : ٢٣
٥ - النجم : ٢٨

ومهما قيل عن الاهداف التي سعت اليها الرهبنة الوضعية فان الصورة تبقى ناقصة لعدم اعتماد القوم على وحي منزل من عند الله تبارك وتعالى . فالاخلاق الحميدة لا يمكن ان تنبع الا من وحي سماوى يضمن لها الاستمرار والاستقرار في نفوس العباد ولهذا نرى الاسلام يسعى دائما الى التربية الخلقية وينمي هذا الجانب ويغرسه في الفرد والمجتمع . يقول الهادى البشير : (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)[1] . وتقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم :- (كان خلقه القرآن) . والقرآن الكريم يحوى من التعاليم الخلقية ما يكفي لتربية البشرية جمعاء على حب الفضيلة وترك الرذيلة (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)[2] والنماذج الفريدة التي اخرجها الاسلام للعالم كفيلة باعطاء الصورة الصحيحة عن الاخلاق الاسلامية التي تصل في مضمونها الى القمة السامقة .

كما ان اعتماد الاسلام على الصحة في النقل والضبط كفيل بايصال شرع الله تبارك وتعالى الى الخلق . فالنصوص القرآنية محفوظة بحفظ الله تعالى ورعايته (إنّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[3] . فالله تكفل بهذا الحفظ دون الكتب السابقة . كذلك السنة المطهرة الشارحة والمفسرة لكتاب الله الكريم والمبينة لاحكامه المجملة حفظت عن طريق الثقات والعدول وهي مدونة في الكتب الستة المعتمدة من علماء الامة وحديثها . وقد انفرد الاسلام عن غيره بهذه الميزة الفريدة التي جعلت من نصوص الشريعة الغراء سليمة من غش الوضاعين وتلفيقات المبتدعين ، وعلم رجال الحديث كفيل بغربلة السليم من السقيم وفق منهج علمي رصين قام به جهابذة الامة وعلمائها عبر تاريخها الطويل . ولن نجد في كتب الرهبان ومدوناتهم ومؤلفاتهم ما يرقى الى المقام الذى وصلت اليه كتب الشريعة الاسلامية .

على ان الاسلام في موقفه المعارض لأصل وأصول الرهبنة بشتى صورها الا انه لم يتجه قط الى اسلوب العنف في محاربتها ، بل ان تعاليمه السمحة دعت الى معاملة الرهبان والمنقطعين الى العبادة في الكهوف والصوامع والبيع والكنائس باللين والرأفة وهذا ما نجده جليا في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ووصايا الخلفاء

---

١ - رواه البخارى في الادب المفرد .

٢ - النحل : ٩٠

٣ - الحجر : ٩

الراشدين من بعده ومن تبعهم باحسان . تلك الوصايا التي كانت اساسا يستند اليه الفقهاء المسلمون والعلماء في مؤلفاتهم الفقهية واجتهاداتهم الاصولية ولهذا نجدهم يفردون الابواب تحت عنوان " معاملة الرهبان والمنقطعين للعبادة " . وامثلة التاريخ كثيرة وهي الدالة على تسامح الاسلام والمسلمين .

وتبقى امامنا مسألة مهمة جدا يجب الوقوف عندها قليلا . وهي مسألة انتشار دعاة الرهبنة الوضعية في الغرب تلك المسألة التي لا يجب اغفالها بحال من الاحوال.
فقد استطاعت الرهبنة الهندية بصورها المتعددة وعلى وجه الخصوص اتباع هاري كرشنا وبعض الفرق البوذية من التسلل الى أوساط الشباب الاوربي الضائع في لجج الحياة المادية ذلك الشباب الذى أضحى يبحث عن كل جديد حتى ولو كان عبادة البقر والحجر والشجر والبشر .
ومن هنا فان المسؤلية تقع على الدعاة المسلمين ، وهذا ما يدعوهم الى التشمير عن ساعد الجد والتحرك بسرعة لايقاف هذا الخطر الداهم .
واني اعتقد ان باستطاعة المسلمين المخلصين انقاذ هؤلاء التائهين بجهد قليل بشرط ان تكون له صفة الاستمرارية والدوام والمتابعة . وما دام الدعاة مسلحين بالعلم والثقافة التي تؤهلهم من للوقوف في وجه التيارات الجارفة فان النصر سيكون حليفهم - باذن الله تعالى - وما داموا متمسكين بحبله المتين . فحجة الخصم داحضة بالية لا تقف عند البرهان ويكفي للدلالة على ذلك : ان الدعة والكسل المصاحبين للرهبنة لا يزالان السمة الاساسية التي تصبغ تلك الحياة البائسة ، ولن تخرج عن تلك الحياة التي يعيشها الرهبان الهنود في ديارهم .
وما عند المسلمين من عقائد كفيل بانقاذ الضاعين والمنخدعين في شباك دعاة الكفر والضلال والجمود .
والعمل الجاد الذى يمكن أن يكون له أثر في هذا الصدد هو السهر على نشر مبادئ الاسلام السمحة وتعاليمه البسيطة الخالية من البدع والخرافات الداعية الى عبادة الله تعالى وحده ونبذ الشرك والالحاد . والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالقرآن دستورا وكتابا . بهذا المفهوم البسيط يمكن للدعوة الاسلامية أن تأخذ مكانها اللائق في بقاع الارض خاصة اذا أخذنا في الاعتبار أن الاسلام دين علمي ، يحارب الخمول والكسل ويأمر بالقدوة الحسنة .

كما يجب التنبيه هنا على ان الارتجالية في العمل الاسلامي هي من المعوقات التي لا تخدم المصلحة العليا بشيء ، كما ان الفردية في العمل لا يمكن أن تكون لها نتائج طيبة ما لم تكن ضمن اطار العمل الجماعي ، وهو الكفيل بتضافر كل الجهود من أجل الدعوة .

ومما يساعد في هذا الاطار : الاتجاه نحو الدراسة المنهجية والميدانية ورصد التحركات المعادية للاسلام وذلك لايجاد المناخ الملائم والظروف الكفيلة بوضع الخطط المضادة لتلك التحركات .

ولا بد أولاً وآخراً من الاخلاص والصدق في العمل وان يكونوا رائدين لأي مشروع في هذا المضمار .

كما لا يفوتني هنا التأكيد على ان الجامعات الاسلامية والمعاهد الشرعية والمؤسسات التعليمية في الدول الاسلامية معنية بايجاد التخصصات المطلوبة في هذا الشأن وتهيئة الدعاة واعدادهم وتسهيل امورهم وتذليل الصعاب امامهم لاداء ما امرهم الله تعالى به نحو دينهم :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ...... (١) .

---

١ - ال عمران : ١١٠

الفصل الثاني:

موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها

بعد استعراض الاسس العقدية والسلوكية للرهبانية وما انطوت عليه من اراء وعقائد ، وما طرأ عليها من تطورات داخلية وخارجية وما رافقها من فتن ومحن .

كان من ضرورات هذا البحث ، بل من صلب موضوعه التعرف على موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها من خلال نتائجها .

فالاسلام الحنيف دين الله تعالى القويم وحبله المتين ، نسخ بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الشرائع السابقة وهيمن بالقرآن الكريم على الكتب السابقة ، ووجه البشرية الى صراط الله المستقيم ، صراط لا تبديل فيه ولا تغيير (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(١) .

وقد قص القرآن الكريم اخبار الامم السالفة وما وقعت فيه من انحراف عقدي وسلوكي ، وحذرنا من اتباع سبلهم ، واعطانا البراهين الساطعة والادلة القاطعة على فساد هذه الملل وضلال تلك النحل .

ومن بين ذلك ما تحدث به القرآن الكريم عن الرهبانية التي اعتبرها حالة مبتدعة وطريقة مخترعة . اذ يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الحديد :

(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ، وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)(٢) .

اما معنى الرأفة : فهي اشد الرحمة ، ورأف به رأفة أي : اشفق عليه من مكروه يصيبه ، والرأفة من الله : دفع السوء(٣) .

ومعنى الرحمة : يقال رحمه رحمة ومرحمة ورحما : اى رق له قلبه وعطف عليه ، فالرحمة هي الرأفة والتعطف ، اذ ان الله تبارك وتعالى جعلهم : (متوادين - بعضهم مع بعض - كما وصف اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بذلك

---

١ - فصلت : ٤٢

٢ - الحديد : ٢٧

٣ - الصحاح للجوهرى ٤/١٣٦٢ مادة رأف وانظر كذلك معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ، محمد اسماعيل ابراهيم ص ١٩٠ نفس المادة .

في قوله تعالى (. . . . رحماء بينهم) .[1]

اما كلمة رهبانية : فهي الفعلة المنسوبة للرهبان وهو الخائف ، وقد مر ذكرها اثناء الحديث عنها لغة واصطلاحا .[2]

(ابتدعوها) يقال : بدع الشيء اخترعه وأنشأه على غير مثال سابق وبدع وابتدع اتي بالبدعة ، والبدعة : الحدث في الدين بعد الاكمال .
ومعنى ذلك اى : احدثوها من غير ان يشرعها الله .[3]

(ابتغاء) يقال : ابتغى الشيء ابتغاء طلبه ، وهو اكثر ما يستعمل في الطلب .[4]

(رضوان) اى الرضا ورضيت الشيء وارتضيته فهو مرضي .[5]

(رعوها) من رعى : يقال رعى حرمته اى حفظها حفظا .[6]

(فاسقون) من فسق ، يقال : فسق كل ذى قشر اى خرج عن قشره ويقال : فسقت الرطبة عن قشرها اى خرجت من قشرتها واصل الفسق في اللغة الخروج عن الشيء وفسق فلان يفسق : عصى وجاوز حدود الشرع فهو فاسق والفسق والفسوق : العصيان .[7]

---

١ - الفتح : ٢٩ ، وانظر في معناها : معجم الالفاظ ص ١٩٧ والصحاح ٥/١٩٢٩ وتفسير الفخر الرازى ٢٩/٢٤٥

٢ - راجع ص (١ - ٢) من هذا البحث وانظر الكشاف للزمخشرى ٤/٦٧

٣ - انظر : معجم الالفاظ ص ٥٩ والصحاح ١/١١٨٣-١١٨٤ والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٤/١٨٢

٤ - : معجم الالفاظ ص ٧٢ والصحاح ٦/٢٢٨٢

٥ - الصحاح ٦/٢٣٥٧ ومعجم الالفاظ ٢٠٤

٦ - : معجم الالفاظ ص ٢٠٥

٧ - : معجم الالفاظ ٣٩٨

وقبل الحديث عن المعنى الاجمالي للاية ينبغي التوقف للاشـــــارة الى ان الاية الكريمة فيها مسألتان اعرابيتان :

الاولى في قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها)

فقد ذهب جمهور المفسرين والعلماء الى ان كلمة (رهبانية) منصوبة بفعل مضمر يفسره المذكور اى : ابتدعوا رهبانية ابتدعوها فهي من باب الاشتغال (١)

اما المسألة الثانية فهي في قوله تعالى :

(ما كتبناها عليهـــم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) .

فقد ذهبوا ايضا الى ان الاستثناء هنا منقطع (٢) ، وعليه فان معنى الاية يكـــون : ما فرضناها نحن عليهم راسا ، ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله (فما رعوها حق رعايتها) (٣) .

وقد استدل بعض العلماء على ذلك بما ورد من قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها) (٤) .

---

١ - راجع في هذا الصدد : فتح القدير للشوكاني ١٧٨/٥ والجامع لاحكـــام القرآن للقرطبي ٢٦٣/١٧ ، والتفسير القيم لابن القيم ص ٤٨٤ ، والكشـــاف للزمخشرى ٦٧/٤ ، والتفسيـــر الكبير للرازى ٢٤٥/٢٩ ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزى ج ٢ م ١٢ ص ١٧٦

٢ - راجع في هذا الصدد : تفسير ابي السعود ٢٨٣/٥ والكشاف ٦٧/٤ ومحاسن التاويل للقاسمي ٥٦/١٦ مجلد ٩ والجامع لاحكام القرآن ٢٦٣/١٧ هـــذا وقد رد الامام ابن القيم ما يخالف هذا الاعراب وقال : فالصواب انه منصوب على الاستثناء المنقطع اى : لم يفعلوها ولم يبتدعوها الا لطلـــب رضوان الله (راجع التفسير القيم ٤٨٤-٤٨٥)

٣ - :
ارشاد العقل السليم لابي السعود ٢٨٣/٥

٤ - : التسهيل لابن جزى ١٨٢/٤

هــــذا واصـــا ما يتعـــلق بمدلول الاية : ففي قوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) فقد قيل ان المشار اليهم هم :

(اولا : الذين ابتدعوا الرهبانية ، قاله الجمهور ،ثم في معنى الكلام ثـــــلاثة اقـــــوال :

احدهـــا : انهم مارعوها لتبديل دينهم وتغييرهم له قاله عطية العوفي .

الثاني : لتقصيرهم فيما الزمـــوا انـفسهم .

الثالث : لكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : انهم الذين اتبعوا مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم ، مـــا رعوها بسلوك طريق اولهم ،روى هذا المعنى سعيد بـــن جبير عن ابن عباس . (١)

وهكـــذا يتجـــه معنى الاية الى اتهام النصارى بانهم ابتدعـــــوا الرهبانية من عند انفسهم وانـــها لم تكتب عليهم أصلا ولم يأمرهم بها عيســـى عليه السلام بل هم اخترعوها تقربا الى الله ولم يراعوها وقد نسوا أن التقـــرب اليه انما يكون بالعبادات التي شرعها هو لا التي يقررها البشر .

ولا يمكن قبول دعـــوى ان الله تبارك وتعالى قد فرضها عليهـــم بعد عيسى وذلك لعدم وجود الدليل وبالتالي : كيف يفرض عليهم امرًا دون وحي وقد رفع عيسى من الأرض . ؟

اما الدعوة بانهم ملزمون بها لكونهم نذروا انفسهم لها ومن نذر قربـــه فعليه ان يتمها . فليس هذا على اطلاقه لان العبد يمكن ان ينذر قربه يستحـــيل عليه المحافظة عليها او الاستمرار فيها ، او الابتداء بها . فهذا لا يمكن قبـــوله والرهبانية من هذا القبيل فيها نذور لا يمكن للانسان ان يحتملهـــا لكونها مخالفة للفطرة البشرية السليمة ومن الصعب الاستمرار فيها بل من المستحيل ، وقـــــد مر في ثنايا البحث التعرف على كيفية فشل الحياة الرهبانية وانعكاس اثارهـــــا

---

١ - : زاد المسير في علم التفسير ٨م ١٢ ص ١٧٧

السيئة على المجتمع ككل ، والذى اسهم في بروز التناقضات في العالم المسيحي وخروجه عن الصراط السوى .

كما تؤكد هذه الحقائق مرة أخرى أن أصل هذا البلاء هو الابتداع في الدين وهذه الآفة الخطرة هي التي جلبت على النصارى وعلى غيرهم الانحراف العقدى وقد تعرض العلماء المسلمون لبدعة الرهبانية وقد بسطوا الحديث عن البدعة الحقيقية (١) ، والبدعة الاضافية (٢) .

---

١ ـ (البدعة الحقيقية :

هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا استدلال معتبر عند اهل العلم ، لا في الجملة ولا في التفصيل ، ولذلك سميت بدعة لانها شيء مخترع على غير مثال سابق وان كان المبتدع يأبى ان ينسب اليه الخروج من الشرع ، اذ هو مدعٍ انه داخل بما استنبط تحت مقتضى الادلة لكن تلك الدعوى غير صحيحة لا في نفس الامر ولا بحسب الظاهر .

٢ ـ البدعة الاضافية :

هي التي لها شائبتان احداهما لها من الادلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة والاخرى ليس لها متعلق الا مثل ما للبدعة الحقيقية .

فلما كان العمل الذى له شائبتان لم يتخلص لاحد الطرفين وضعنا له هذه التسمية وهي (البدعة الاضافية) .)

كتاب : الاعتصام للامام الشاطبي ١/٢٨٦-٢٩٠

دار المعرفة ت: محمد رشيد رضا ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م بيروت

وقد تحدث الامام الشاطبي عن ابتداع الرهبانية وقارن ما فيها من بدع ، وما ذهب اليه العلماء من اقوال ، وقد اجرى قاعدتي البدعة الحقيقية والاضافية على الرهبانية وميز بينهما ، وقد اعتبر ما ابتدعته النصرانية بدعة حقيقية مشيرا الى ان ذلك هو قول اكثر العلماء .(١)

كما ذهب الشيخ علي محفوظ رحمه الله كذلك الى انها بدعة حقيقية .(٢)

وعليه فمادامت الرهبانية من البدع الحقيقية فهي قربه مخترعة على غير مثال سابق في شريعة عيسى عليه السلام ومن ثم فان الاية الكريمة تتهمهم بعد أن ألزموا أنفسهم بأنهم لم يراعوها حق رعايتها (ولقد كان من المتوقع الا يراعوها حق رعايتها اى لا يصبروا على تكاليفها فهي سباحة ضد التيار تيار الحياة . . وجهد مجهد لا يصبر عليه كثيرون .

اما ان تنقلب وهي المنوطة بالتقوى والزهد والتعفف والارتفاع عن الشهوات الى مباءة للقذارة الحسية والمعنوية يتعفف الرجل العادى والفتاة العادية (عنها) فهذا لا يمكن ان يتوقع على الاطلاق . فاذا كانوا لا يصبرون على تكاليفها فما الذى يجبرهم على المضي فيها وهي تطوع غير مفروض ؟

اما ان يستمروا فيها عنوانا ولافتة ومظهرا خادعا ومباءة للشذوذ الجنسي بين الرجال والرجال والنساء والنساء بالاضافة الى ما يحدث من العلاقات السرية بين اديرة الرجال والنساء فهذا امر يشده الحس ويبعث

---

١ - راجع : الاعتصام ، ٢٩١/١

٢ - راجع الابداع في مضار الابتداع ص ٥٥-٥٦ ط ٧ دار الاعتصام بمصر .

-ولم يكن هذا الحكم قاصرا على علماء المسلمين فقط بل ان مؤلفات علماء المسيحية ايضا خاصة بعض المتاخرين منهم يصم الرهبانية بانها بدعة ، فمن ذلك ما قاله صاحب (ريحانه النفوس في الباب السابع عشر في الرهبنة :

ان الرهبنة قد نشأت من التوهم بان الانفراد عن معاشرة الناس واستعمال التقشفات والتأملات الدينية هي ذات شأن عظيم ولكن لا يوجد سند لهذا الوهم في الكتب المقدسة لان مثال المسيح ومثال رسله يضاد انه باستقامة فانهم لم يعتزلوا عن الاختلاط بالناس لكي يعيشوا بالانفراد-بل-انما كانوا دائما مختلطين بالعالم يعلمون وينصحون ، ونحن نقول بكل جرأة ، انه لا يوجد في جميع الكتاب المقدس مثال للرهبنة ولا يوجد امر من اوامره يلزم بها ، بل العكس فان روح الكتاب و فحواه يضاد كل دعوى مبنية على العيشة المنفردة المقرونة بالتقشفات

=

على التقزز والنفــور. . .) (١)

على انه من الملاحظ في الاية الكريمة وجود انصاف لفئة آمنت بالحق واتبعته فآتاها الله اجرها . من ذلك قوله تعالى (فآتينا الذين امنوا منهم اجرهم) يعني الذين امنوا الايمان الخالص من شوائب الــشرك والابتداع ومن الايمان بمحمد صلوات الله عليه المبشر عندهم . (٢)

ويتضح ايضا ان بعض هوءلاء لهم اجرهم جزاء ما التزموا به تجاه مولاهم الحق دون ان يغيروا في اصول الدين ، فلم يحدثوا فيه ما ليس منه حتى بعثة النبي محمــد صلى الله عليه وسلم ،فلما عرفوا به آمنوا واتبعوه ولهذا جاء القرآن الكريم بانصاف هوءلاء الموءمنين في آيــات اخرى منها قوله تعالى :

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانــًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّــا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّــاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) . (٣)

= ولكن مع ان الكتاب المقدس لا يمدح العيشة الانفرادية ،فقد ظهر الميل الشديد اليها في الكنيسة في اواخر الجيل الثاني واوائل الجيل الثالث ، وايد بعض الباحثين المقاومين لها وقتئذ انها عادة سرت للمسيحيين من الهنود الوثنيين فان لهم انواعــا كثيرة من عادات تأمر كــهنتها بالبتولية والامتناع عن اكل اللحم وامورا اخرى مقرونــة بخرافات . ثم قال ، ومع ان الرهبنة حصل عليها مقاومة من العقلاء ،امتدت وانتشرت في المسكونة . . . . . ويقول صاحب كتاب الــبراهين الانجيلية ضد الاباطيل البابوية : وهذا النذر لم تامر به الشريعة الانجيلية قط فالطريقة الرهبانية هي اختراع شيطاني قبيح . .) محاسن التأويل للقاسمي مجلد ٩جزء ١٦ ص ٥٨-٥٩

١ ـ مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٢

٢ ـ محاسن التاويل مجلد ٩ جزء ١٦ ص ٥٨

٣ ـ المائدة ٨٢-٨٦ ، وهذه الفئة التي آمنت كانت قليلة لهذا بين الحق السمة الغالبة على اتباع الرهبانية بقوله (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الايمان بمــا امروا به (فتح القدير ٥/١٧٨) . ولانهم لم يحافظوا على نذرهم (الكشاف ٤/٦٨) ذلك النذر الذى كتبوه على انفسهم ولم يستطيعوا الصبر عليه فارهقوا كاهل العبــاد وعليه فان ابتداعهم اورثهم اثما عظيما وفتح عليهم بابا كبيرا للمعاصي والذنوب وهــم يحسبون انهم يحسنون صنعا . . وهكذا انتهت رهبانيتهم الى ان تصبح في الغالــب طقوسا وشعائر خالية من الروح وان يتخذها الكثيرون مظهرا عاريا من الحقيقة فلا يصبر على تكاليفها الا عدد قليل منهم) : الظلال ٦/٣٤٩٥ .

وقد أخرج الواحدى عن ابن الضريير قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى وكتب معه كتابا الى النجاشي ، فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه فارسل الى الرهبان والقسس وجمعهم ثم أمر جعفراً أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم عليها السلام فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع وهم الذين أنزل فيهم :
(وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) الى قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) . (١)

هذا ويتعلق بالآية أحاديث وآثار توضح موقف السنة النبوية من الرهبانية وتوجه الامة نحو الطريق الامثل . فمن ذلك :

ما رواه الامام النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (كانت ملوك بعد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراه والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة ، قيل لملوكهم: ما نجد شتما أشد من شتم يشتمنا هؤلاء . انهم يقرؤون (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) وهؤلاء الآيات مع ما يعيبوننا به في أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرؤوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراه والانجيل ، الا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تريدون منا الى ذلك ؟ دعونا . . .

فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانه ثم ارفعونا اليها ، ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم . وقالت طائفة منهم : ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابارا ونحترث البقول ، فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ، وليس احد من القبائل الا وله حميم فيهم .

قال : ففعلوا ذلك فانزل الله عز وجل : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ، والاخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فامنوا به وصدقوه فقال الله تبارك وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) أى أجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراه والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم وقال : (يجعل لكم نورا تمشون به) القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم) (٢)

---

١ ـ انظر : اسباب نزول القرآن للواحدى . ت: سيد أحمد صقر ص ١٩٧ .

٢ ـ انظر سنن النسائي ٨ / ٢٣١-٢٣٣ كتاب اداب القضاة باب تاويل قوله عزوجل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) وسند الحديث فيه عطاء ابن السائب (وقد اختلط في آخر) عمره ولكن سفيان الثورى سمع منه قبل

وروى الامام الطبرى قال : حدثني بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتاده (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة فهاتان من الله والرهبانية ابتدعها القوم من أنفسهم ولم تكتب عليهم ولكن ابتغوا بذلك وارادوا رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ذكر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع)(١).

كما حفلت كتب السنة المطهرة بالنهي عن الترهب وامرت بالبعد عن الرهبانية لانها لم تشرع لهذه الامة ولم تكن من تعاليم الاسلام فقد روى الامام احمد بسنده عن عروة رضي الله عنه قال : دَخَلَتْ امرأةُ عثمانَ بنِ مَظْعُون أَحْسَبُ اسْمَها خولةَ بنْتَ حَكيمٍ على عائشةَ وَهِي باذَّةُ الهيئةِ فسألتْها ما شأنُكِ فقالتْ زَوْجي يقومُ الليلَ ويصومُ النهارَ فدخلَ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلّمَ فذكرتْ عائشةُ ذلكَ لهُ فلقِيَ رسولُ اللّهِ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ عثمانَ فقالَ : يا عثمانُ إنّ الرَّهْبانيةَ لمْ تُكْتَبْ علينا أفما لكَ فيّ أُسْوةٌ ؟ فواللهِ إنّي أخْشاكُمْ للّه وأحْفَظُكُمْ لِحُدودِهِ).(٢)

كما جاء في سنن الدارمي عن نفس القصة . (. . . فقالَ يا عثمانُ إنّي لَمْ اومَرْ بالرّهبانيةِ ، أرغبتَ عنْ سُنّتي ؟ قالَ : لا يارسولَ اللّهِ . قالَ : إنّ مِنْ سُنّتي أنْ أصَلّي وأنامَ وأصومَ وأُطعمَ و أنْكحَ وأُطَلّقَ فمَنْ رَغبَ عَنْ سُنّتي فليسَ مِنّي يا عثمانُ إنّ لأهلِكَ عليكَ حقّاً ولِنفْسكَ عليكَ حقّاً . . .).(٣)

=الاختلاط كما تقدم في ترجمة عطاء . وهو متصل حيث قد سمع بعضهم من بعض فعلى هذا يكون اسناده حسنا) تفسير ابن عباس . د . عبد العزيز بن عبد الله الحميدى ٢/٨٦٧ جامعة ام القرى الكتاب الثالث والخمسون .

وراجع كذلك جامع الاصول لابن الاثير ٢/٣٧٧-٣٧٨ وجمع الفوائد ٢/١٧٧ والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، مجلد ٨ جزء ٢٧/٦٥ ط١ ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

١ - جامع البيان للطبرى ٢٧/١٣٨

٢ - مسند الامام احمد باب النكاح ٦/٢٢٦ ط : المكتب الاسلامي وقد تعقب الهيثمي اسانيد الامام احمد عن قصة عثمان بن مظعون فقال (واسانيد احمد رجالها ثقات الا ان طريق انى اخشاكم اسندها احمد ووصلها البزار برجال ثقات) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ ابي بكر الهيثمي بتحرير العراقي وابن حجر ٤/٣٠١ ط ٣ دار الكتاب العربي لبنان ، ١٤٠٢-١٩٨٢

٣ - : سنن الدارمي لابي محمد عبد الله الدارمي ٢/١٣٣ دار احياء السنة النبوية .

كما جاء في غريب الحديث لابن قتيبه (قال ابو محمد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة في الاسلام) حدثنيه ابي حدثنيه محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابي اسحق عن سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن طاووس).(١)

كما روى ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والاثر :
حديث (لا رهبانية في الاسلام)(٢) وقد تعقب العجلوني هذا الحديث فذكر ان ابن حجر قال فيه : لم اره بهذا اللفظ لكن في حديث سعد ابن ابي وقاص عند البيهقي (ان الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة).(٣)

وهكذا نجد الاسلام ممثلا بالقرآن والسنة المطهرة ، ينهى عن أسس الرهبانية ، عقيدة وسلوكا ، وكل ما يمت اليها بصلة (لانها مضادة لدفعة الحياة السوية التي خلقها الله لتعمل لا لتكبت وتعجز عن الحركة والنشاط ، فقد جعل الله الانسان خليفة في الارض وكلفه عمارتها : (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا).(٤) ومن اجل القيام بأمر الخلافة اى الهيمنة والاشراف والتمكن ومن اجل القيام بعمارة الارض ، اودع الله الفطرة مجموعة من الدوافع المحركة الى العمل والنشاط).(٥)

فهذه الحوافز التي تعين الانسان على ضبط اموره لن تشكل اى خطر عليه ما دام ملتزما منهج القرآن الكريم للسير في هذا الطريق وقد اتسح للبشرية تطبيق هذا المنهج في التاريخ الاسلامي فوجد فيه افذاذ استطاعوا التخفيف

---

١ - : غريب الحديث لابن قتيبه عبد الله بن مسلم ١ / ٤٤٤-٤٤٧ ، ط١ ، ١٣٩٧هـ مطبعة العاني ببغداد د . عبد الله الجبوري ، وانظر كذلك الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢ / ١٢٢-١٢٣ ومعنى الزمام في الحديث الخيط الذى يشد في البرة او في الخشاش ثم يشد في طرفه المقود انظر الصحاح ٥ / ١٩٤٥ والخزام : حلقه من شعر تجعل في وتره انفه يشد فيها الزمام) الصحاح ٥ / ١٩١١
٢ - النهاية في غريب الحديث والاثر ، مجد الدين ابي السعادات ، ابن الاثير ٢ / ٢٨٠-٢٨١ ، ت: محمود محمد الطناحي ، المكتبة الاسلامية ، رياض الشيخ ط ١ ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
٣ - كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس ، اسماعيل العجلوني ٢ / ٥١٠ احمد القلاش ، موسسة الرسالة ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .
٤ - هود : ٦١
٥ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٠

من متاع الارض الى اقصى حد دون ان يشغلهم الشعور بالحرمان عن الحركة والنشاط والعمل بايجابية كاملة .

اولئك هم الزهاد على بصيرة وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم امام الزاهدين وهو اكبر طاقة ايجابية حركية عرفتها البشرية .

ولكن الرهبانية ليست كذلك انها اعتزال ... انها ترك للحياة الواقعية بكل ما فيها ، ولياذ بالاديرة المنقطعة عن تيار الحياة ،

ولقد تربى الراهب على تعود الحرمان حتى لا يعود يحس بلذع الحرمان .... نعم ولكنه في الوقت ذاته يفقد ايجابيته الفاعلة في واقع الارض ، ، ويتخلى عن دوره في عمارتها ، ويلغي طاقات كيانه فلا يتزوج ولا يعمر وجه الارض بالنسل ولا ينتج الا مشاعر ذاتيه في طي الكتمان) . (١)

واذا كانت الرهبانية كذلك فالاجدر بالقائمين عليها التخلي عنها والبحث عن الحق ومراجعة حساباتهم بدقة وليعلموا ان الله قد نسخ شريعتهم بشريعة الاسلام الخالية من التحريف والتزوير والابتداع .

وعليه .... فقد تم التعرف على الرهبانية ومشاكلها ، تلك التي يصعب ايجاد الحلول لها الا باتباع الحق والبحث عنه .

واذا كانت الرهبانية في نظر اهلها افضل الاعمال ، وهي كما يدعون خشية الخلاص فان أفضل الاعمال في نظر الاسلام هو الجهاد في سبيل الله وهو الحل الوحيد لمن اراد ان يعبد الله حق العبادة فاذا كانت الرهبانية كما يدعون بذل النفس لوجه الله فان هذه النفس بهذا المفهوم لا قيمة لهما ما دامت معطلة عن الحركة ، تدور في فلك لا قرار له ، فان الجهاد في سبيل الله كما يقرره الاسلام هو بذل النفس والمال قولا وعملا لا شعاراً ولا فتنه ولهذا جاءت السنة النبوية المطهرة تحض على ذلك .

فقد اخرج الحاكم بسنده عن معاذ بن جبل قال : كُنّا مع رَسُول اللّه صلّى اللهُ عليه وَسَلّمَ في غَزْوَة تبوك فَقالَ لي : إنْ شئْتَ أنبأتُكَ برأس الأمْر وَعمودِه ، وَذَرْوة سنامِه . قالَ : قُلْتُ : أجلْ يارسولَ اللّه . قال : أمّا رأسُ الأمر فالاسْلام وأما عَمودُهُ فالصّلاة ، وأمّا ذرْوةُ سنامه فالجهادُ) . (٢)

---

١ - بتصرف: مذاهب فكرية معاصرة ص ٦١ -٦٢

٢ - هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد اقره الذهبي انظر المستدرك ، للحاكم ٢/٧٦

كما اخرج الامام احمد بسنده عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: ان رجلا جاء فقال: اوصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك قال: أُوصيكَ بتقوى اللّهِ فإنهُ رأسُ كلِّ شيءٍ وعليكَ بالجهادِ فانهُ رهبانيةُ الاسلامِ وعليكَ بذكرِ اللّهِ وتلاوةِ القرآنِ فإنهُ روحكَ في السّماءِ وذكركَ في الأرضِ) . (١)

كما اخرج الحاكم بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلاً منْ أصْحابِ النَّبي صَلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ مرَّ بشعبٍ فيهِ عُيينَةٌ منْ ماءٍ عذبٍ فأعْجَبَهُ طِيبُهُ وَحُسْنُهُ فقالَ: لو اعتزلتُ النّاسَ وأقمتُ في هَذا الشِّعْبِ ثُمّ قالَ لا أفْعَلُ حتى أستأمِرَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليهِ وَسَلّمَ ، فذكرَ ذلكَ لرسولِ اللّهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ فقالَ: لا تفْعَلْ ، فإنّ مَقامَ أحدِكُمْ في سَبيلِ اللّهِ أفْضَلُ منْ صَلاتِهِ في أهْلِهِ ستّينَ عاماً ألاَ تُحبّونَ أنْ يغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ ويدْخلكُمُ الجنةَ اغزُوا في سبيلِ اللّهِ مَنْ قَاتَلَ في سَبيلِ اللّهِ فَوقَ نَاقَةٍ وَجبتْ لهُ الجنّةُ) (٢)

وهكذا فان الاسلام قد حكم على الرهبانية حكما مبرما ، واعطى البشرية علاجا ناجعا ، فيه الخلاص والنجاة من عذاب الله يوم القيامة .

فما على الذين حرفوا وبدلوا وغيروا سوى الرجوع الى الحق وعدم التمادى في الغي ، فان الله تبارك وتعالى قد اعطاهم الفرصة للاياب فارسل محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا ، وما زالت الفرصة امامهم مفتوحة وما عليهم الا التخلي عما هم فيه.فمن عاد وتاب واصلح فان الله يتوب عليه وهو التواب الرحيم وأما من اعرض عن الحق فان معيشته ضنكا ويحشر يوم القيامة أعمى . . . اعاذنا الله تعالى من سوء الخاتمة وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ، والهمنا الرشد والاحسان في أمورنا حتى نلقاه وهو راض عنا . اللهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين . ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

---

١ - : مسند الامام احمد ٣/٨٢ وقد جمع الالباني طرق الحديث وتكلم عن رجاله وقال: والحديث بمجموع الطريقين عندى حسن انظر الاحاديث الصحيحة ٢/٨٧-٨٩ ، المكتب الاسلامي ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م

٢ - المستدرك للحاكم : ٢/٦٨ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

" الخاتمة "

وفيها أهم نتائج البحث

****

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

فانه ليس من العسير بعد استقراء جوانب هذا الموضوع ان يعثر القارئ على أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث .

فمن أهم تلك النتائج : ظهور وحدة التشابه العقدى والسلوكي بين انظمة الرهبنة بشكل عام وقد جمعت هذه الظاهرة في طياتها قواسم مشتركة بين منتحليها .

فعلى صعيد الاسس العقدية تظهر وحدة التشابه في قضايا : التثليث والحلول والاتحاد خاصة عند المصريين القدماء ، والهندوس ، والبوذيين واليونان وقد استقرت اخيرا عند المسيحيين . وأن هذا الانتقال كان نتيجة الاحتكاك بين الامم السابقة على الاسلام وتأثر بعضها ببعض ، وأن الرهبنة كانت خير وسيلة لانتقال هذه العقائد بين الملل القديمة . كما ظهر انتقال الحلول والاتحاد ووحدة الوجود الى الفرق الغالية المنتمية الى الاسلام زورا . وان الاسلام رفضها شكلا وموضوعا .

اما في الجانب السلوكي فقد ظهر التشابه جليا في الطقوس والشعائر والتقاليد والانظمة الديرية ، وان وجد الاختلاف فهو في بعض الصور والاشكال ليس الا . اما المضمون فكان واحدا لدى الكل . وان القواسم المشتركة هذه اتخذت من الاسس العقدية وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها .

وان النذور الثلاثة : المتمثلة : بالفقر والتبتل وطاعة رئيس الدير هي الرابط الذى يربط بين انظمة الرهبنة لدى الاديان الوضعية واهل الكتاب .

اما النتائج الاخرى فتتلخص في الامور التالية :

أولا :

ان الممارسات التعبدية والشعائر النسكية التي مارستها البشرية بالوان مختلفة وما ترتب عليها من محافظة على الشكل والصورة ان هي الا دليل على حب التعبد لدى الخلق والناجم عن وجود أصل الفطرة المفضية الى الايمان بوجود الخالق جل وعز بغض النظر عن الاتجاه العقدى وماهيته . فالملاحظ ان الناس يميلون دائما الى التوجه نحو المعبود ، الا ان الانحراف الديني يعود الى اولئك الذين وضعوا للناس ما يصرفهم عن الله الخالق تبارك وتعالى ، واتخاذ أرباب من دون الله .

ثانيـــا : ان استغلال النزعة الفطرية لدى البشر من قبل فئة من الناس ادى الى بروز طبقات رجال الدين الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، وان الممارسات التقشفية التي يقومون بها إنْ هي الا ستار لنيل السمعة الحسنـــة المفضية الى تحصيل المآرب الشخصية والامتيازات الخاصة . وان القوانين التـــي وضعوها للخلق تشريعـا ومنهاجا تعتبر تعـــد على أحكام الله تعالى الذى لــه الأمر والنهي وليس لأحـــد أنْ يحكم الناس بما لم ينزل الله تبارك وتعالى .

ثـالثا : ان ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية كان ضرورة ملحة لارجاع الناس الى طريق الحق والعدل ولمنع التعدى على حرمات الله ، وارشادهم الى الخيـــر والصلاح .

رابعا : ان مقدمات الطغيان في المجتمعات الدينية القديمة والحديثـــة وُجِدَتْ بانماط متشابهة ،فكانت نتائجها لا تختلف عن بعضها ، فالترف ، والبـــذخ والظلم ادى الى الحرب والخراب والدمار .

خـامسا : ان الرهبنة بشتى انواعها واشكالها ، نزعة مضادة للفطرة الانسانية السليمة وخروج على النوازع الكامنة في النفس البشرية . وان السلبية والكسل المصاحبيـن للمنحى السلوكي أدى الى تأخر كبير في مضمار التقدم العلمي والتقني الامر الذى افضى الى الصراع بين العلم والدين . كما ادى الى بروز الكبت الجنسي وما صاحبه ومن امراض خلقيـــــة واجتماعية ، افضت الى تدهور القيم والمثل العليا .

سادسا: ان الرهبنة تتحمل قسطا كبيرا من الاثم لكونها سببـا مباشرا في بروز الفكر الالحادى قديما وحديثا . وان الالحاد يعتبر خطرا داهما يهدد الكيـــان البشرى لما يحمل بين طياته من بذور التحلل العقدى والديني .

سـابعـا : ان صراع رجال الدين من اجل المناصب وحب الجاه والسيطرة ادى الى نشوب الحروب بين شعوب العالم المسيحي الاوروبي الذى عاني من الكـــوارث الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية .

ثامنـــا : ان الرهبنة اليهودية تعتبر همزة وصل بين الاديان الوضعية وبيـــن رهبانية النصارى ، وان الرهبنة اليونانية كان لها اثر كبير في بروز الرهبنة في المجتمع اليهودى القديم .

تاسعا : ان اغلب الاراء العقدية في الرهبانية المسيحية مبنية على اساس مـــن الفكر الفلسفي اليوناني الوثني وان المبادئ السلوكية تعود غالبيتها الى تأثيـــــر الرهبنة الهندية .

عاشـرا : ان الاسلام وقف من هذه النزعات موقف الرفض فلم يقرها بل حاربها حتى لا يترك مجالا للطغيان المتحكم في رقاب الناس الذى رأيناه اثناء عرض فصول هذا البحث ، وليوجه الناس الى العمل الايجابي البناء الذى ينفع الفرد والمجتمع بعيدا عن الاستغلال والانحراف مبينا طريق العبادة الصحيحة التي تقرب العبد من ربه وتبني شخصيته القوية على اساس قويم لا زيف فيه ولا ضلال .

احد عشر : ان الجهاد هو السبيل الوحيد لابقاء جذوة الايمان مشتعلة في قلوب الناس ، فهو الرئة التي تتنفس منها الامة وتتجدد به خلاياها ، والا فان البدع والانحرافات ما تلبث ان تسرى في الجسم حتى تقضي عليه ، تماما كما حصل بالنسبة للنصرانية التي ابتدعت الرهبانية مصداقا لقوله تعالى :

(... ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون) . صدق الله العظيم . فقد عطلت النصرانية جهاد الاعداء واتخذت الرهبانية عوضا عنه ، فكان الابتداع في الدين سببا في الانحراف والضلال .

هذه أبرز النتائج التي وصلت اليها من خلال هذه الدراسة ، راجيا العلي القدير ان ينفعنا بما علمنا ويزيدنا علما ، ويلهمنا السداد في القول والعمل ، ويهيئ لنا سبيل الرشاد ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين .

وكتبه : عمر وفيق الداعوق

الفهـــــــــــــــارس

" فهـــرس الآيــات القرآنيـــة "

:-:-:-:-:-:-:-:-:-:

" فهـــــرس الحديـــــث الشريـــــف "

-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-: :

" فهـــرس نصـــوص من العهد القديم "

- التكويــــــن :

- سفـــر الملـــوك الثاني :

- " فهرس نصـــوص العهد الجديـــد "

- متــــــى   الصفحة

- مرقـــــــس :

- لوقـــــــا :

)

- يوحنـــــــا :

" نصـــــوص من رســـائل اعمال الرسل "

اعمـــال الرسل :

(أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال . .) ٢ : ٢٢	٣٦٠
(انا رجل يهودى ولدت في طرسوس . . .) ٢٢ : ٣	٣٢٩

- رومیـــــة

(ولهم الاباء ومنهم المسيـــــح . . . .) ٩ : ٥	٣٥٥

١ كورنثوس

(واما من جهة الامور التي كتبتم لي . . . .) ٧ : ١-٨-٣٤	-٣٧٥
(فصرت لليهودى كيهودى لاربح اليهود . .) ٩ : ٢٠-٢١	٣٢٩
(لتصمت نساؤكم في الكنائس . . .) ١٤ : ٣٤-٣٥	٣٨٠

- كورنثـــوس ٢

(ولكنني اخاف انه كما خدعت الحية حواء .) ١١ : ٣	٢٨١

- غلاطيـــــة :

(لان كلكم الذين عمدتم في المسيح . . .) ٣ : ٢٧	٣٣٨

- افســـــس

(كمـــا أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه . . .) ٥ : ٢	٣٥١
(ايها النساء اخضعن لرجالكن . . .) ٥ : ٢٢-٢٥	٣٨١

- كولوســـــي :

(فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا . . .) ٢ : ٩	٣٥٥
(فان كنتم قد قمتم مع المسيح . . . .) ٣ : ١	٣٧١

١ تموثاوس

(ولكن لست آذن للمرأة ان تعلم وتتسلط . . . .) ٢ : ١٢-١٤	٣٨١
(الله ظهر في الجسد . . . .) ٣ : ١٦	٣٥٥

- تيطـــــس :

(منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله . .) ٢ : ١٣	٣٥٥

عبــــرانيـــــن :

(وكل شيئ تقريبا يتطهر حسب الناموس . .) ٩ : ٢٢ ٣٥١

ـ رسالة يوحنا الاولى :

(فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة . . .) ٥ : ٧-٨ ٣٠٨

:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:

انجيـــــــل برنابـــــــا

(ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع) ٣٤٨-٣٤٩

٢١٥ : ١-٨

فهــــرس تــــراجم الاعلام

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الابداع في مضار الابتداع :
الشيخ :- علي محفوظ ، دار الاعتصام ط٧ ، مصر
- الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة :
احمد بن ادريس المالكي القرافي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ - ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ، بيروت
- الاحاديث الصحيحة :
ناصر الدين الالباني ، المكتب الاسلامي ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م
- احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام :
د . عبد الكريم زيدان ، مكتبة القدس مؤسسة الرسالة - ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م
- احكام الزواج والطلاق في الاسلام :
د . بدران ابو العينين ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٦٤ - مصر .
- أديان العالم :
حبيب سعيد . دار التاليف والنشر للكنيسة الاسقفية ، القاهرة
- الاديان في القرآن :
د . محمود بن الشريف ، دار عكاظ للطباعة والنشر ط٣ ، ١٩٧٩م
- أديان الهند الكبرى .
د . أحمد شلبي . ، مكتبة النهضة المصرية ط٤ ، ١٩٧٦
- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم :
لابي السعود محمد العمادى الحنفي ، مطبعة السعادة
عبد القادر عطا ، مكتبة الرياض الحديثة
- أساليب الغزو الفكرى :
د . علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق ، دار الاعتصام ١٩٧٨م
- اسباب نزول القران :
ابو الحسن علي بن الواحدى . ت: سيد أحمد صقر ، دار القبلة للثقافة الاسلامية ط٢ ، ١٤٠٤-١٩٨٤ المملكة العربية السعودية .
وكذلك طبعة : مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٧-١٩٦٨ مصر .
- أسرار روما :
ليوتاكسيل ت : طانيوس عبده ، مطبعة الانصاف ، ابراهيم خليل ، بيروت

- اسطورة تجسد الاله
عبد الصمد شرف الدين ، ط: جامعة الملك عبد العزيز - جدة ١٣٩٨هـ
- الاسفار المقدسة السابقة للاسلام .
د . علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧١م
- الاسفار المقدسة قبل الاسلام :
د . صابر طعيمة ، عالم الكتب ط١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م بيروت .
- الاسلام :
سعيد حوى ، موسسة الرسالة للطباعة والنشر ط١ ، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠ بيروت
- الاسلام بلا مذاهب .
د . مصطفى الشكعة : دار النهضة العربية ط١ ، بيروت
- الاسلام بين الاديان :
د . محمد كمال جعفر ، مكتبة دار العلوم ، مصر
- الاسلام والمسيحية :
ألفت عزيز الصمد . الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية دار القرآن الكريم ، ١٤٠٤-١٩٨٤ ، بيروت
- اصول الدين
لابي منصور عبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٠-١٩٨٠م
- اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها . :
ادوارد جيبون ت : لويس اسكندر ، دار الكاتب العربي للطباعة ١٩٦٩ مصر
- اضواء توضيحية على تاريخ المارونية :
د . زكي النقاش ، دار لبنان ١٩٧٠
- اظهار الحق .
الشيخ رحمة الله الهندي : ت: عمر الدسوقي ، دار احياء التراث الاسلامي - الدوحة قطر ١٩٨٣م
- الاعتصام :
للامام الشاطبي ، دار المعرفة ت محمد رشيد رضا ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين :
فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ، ت: علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢
- اعلاء السنن :
ظفر احمد العثماني ت : اشرف علي التهانوي ، ادارة القرآن والعلوم الاسلامية كراتشي باكستان .

- الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام .
  - للامام القرطبي ت : د . احمد حجازى السقا ، دار التراث العربي ١٩٨٠ ، مظر
- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ :
  شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى : عني بنشره : القدسي مطبعة الترقي ١٣٤٩هـ .
- اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس
  د . حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨
- اغاثة اللهفان
  محمد بن ابي بكر ، ابن القيم الجوزية ، دار المعرفة ت : محمد حامد الفقي ، بيروت - لبنان .
- الاغريــــق تاريخهم وحضاراتهم
  سيد احمد علي الناصرى ، دار النهضة العربية
- افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم .
  د . محمد جمعة عبد الله ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- الافصاح عن معاني الصحاح :
  يحيى بن محمد بن هبيرة ، المؤسسة السعيدية بالرياض ١٩٨٠
- أقانيم النصارى :
  د . احمد حجازى السقـــا ، دار الانصار ، القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م
- الزام القرآن للماديين والمليين :
  د . سيد احمد رمضان السير ، دار الطباعة المحمدية بمصر ط١ ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
- آلهة في الاسواق :
  د . رؤوف شلبي ، دار القلم ط٢ الكويت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣
- امبراطورية جستنيان :
  د . اسمـــت غنيم ، دار المجمع العلمي بجده ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م
- الانسان في ظل الاديان :
  د . عمارة نجيب مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م
- امتاع الاسماع :
  تقي الدين المقريزى ، ت : محمود محمد شاكر ، الشؤون الدينية بدولـــة قطر ط٢
- الانجيــــل : (العهد الجديد)
  جمعية الكتاب المقدس في الشرق الادنى بيروت ١٩٧٠

- انجيل برنابــــا :
ت : سيف الله احمد فاضل ، دار القلم ط ١ ١٣٩٢هـ
- انجيل يوذا
ت : عيسى سابا ، مكتبة صادر بيروت ط ١٩٥٣
- الانجيل والصليب :
عبد الاحد داود ، ط ١٩٥١ مصر
- انطاكية القديمة :
جلانفيل داوني ت : ابراهيم نصحي ط ١٩٦٧ ، القاهرة
- الانسان بين الاديان
د . محمد كمال جعفر ط ١ قطر .
- الانسان بين المادية والاسلام :
محمد قطب ، ط ٧ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- اوروبا العصور الوسطى
د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٨٠

- بحوث في الاسلام والاجتماع :
د . علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ط ١ القاهرة
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد :
ابو الوليد محمد بن رشد القرطبي الاندلسي ، دار الفكر مكتبة الخانجي
عن النسخة المولوية
- بستان الرهبان :
لاباء الكنيسة القبطية ، ط ٢ لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف البهنسا
مصر .
- بلادنا فلسطين :
مصطفى مراد الدباغ ، منشورات دار الطليعة بيروت ط ٢ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م
- البناية في شرح الهداية ،
بدر الدين محمود بن احمد العيني ، تصحيح المولوى محمد عمر الشهيـــر
بناصر الاسلام الرامفورى اشرف على تصحيحه الشيخ زهير كبســي ، ١٤٠٠هـ
١٩٨٠م .
- بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية .
د . عبد الشكور محمد امان العروسي رسالة دكتوراه جامعة ام القرى مكة المكرمة
١٤٠٢هـ

- اليوذية :
هنرى ارقون ت : هنرى زغيب المنشورات العربية ، المطبعة البولسية
جونية لبنان ١٩٧٥

- تاج العروس من جواهر القاموس :
محمد مرتضي الزبيدى ، دار مكتبة الحياة بيروت ط، ١٣٠٦هـ
- تاج اللغة وصحاح العربية ، ـ اسماعيل بن حماد الجوهرى
ـ للجوهرى ، ت : احمد عبد الغفور عطار ، ط ٢ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م
- تاريخ الاديان وفلسفتها :
طه الهاشمي دار مكتبة الحياة بيروت ، ط ١٩٦٣
- تاريخ الاسلام في الهند
عبد المنعم النمر ط١ ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م
- تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر
هـــرل دوبينياه ، ت : ابراهيم الحوراني ، منشورات مكتبة المشعل بيروت
اشراف رابطة الكنائس الانجيلية في الشرق الاوسط ط٣ بيروت .
- تاريخ أهل الذمة في العراق .
د . توفيق سلطان اليوزبكي ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ -١٩٨٣-
العراق .
- تاريخ اوروبا العصور الوسطى
هـ. أ. فيشر ، ت : محمد مصطفى زيادة ـ السيد الباز العريني ، دار مصر
١٩٦٦.
- تاريخ البشرية :
ارنولد توينبي ، ت : نقـــولا زيادة ، المطبعة الاهلية للنشر بيروت ١٩٨١
- تاريخ التراث العربي :
فؤاد سيزكين ، ت: د . محمود حجازى ، د ادارة الثقافة والنشر ، جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى
ادوار بروى ، موريس كروزيه ، منشورات عويدات بيروت ـ لبنان
- تاريخ الحضارات العام :
اندريه ايمار جانين اوبوايه ط١ ١٩٦٤
- تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة :
محمد كرد علي ، مطبعة التقدم ، مصر .

- تاريخ العالم :
أ . هامرتن ، مكتبة النهضة المصرية ط٢
- تاريخ الفحشاء : او تاريخ الاداب العمومية
عبد الكريم التنير ، ط ١٩١٢ لبنان .
- تاريخ الفرق الاسلامية :
علي مصطفى الغرابي ، مكتبة الانجلو المصرية ط٢ ١٩٨٥
- تاريخ فلسطين القديم
ظفر الاسلام خان ، دار النفائس بيروت ط٤ -١٤٠٤- ١٩٨٤م
- تاريخ الفلسفة اليونانية
يوسف كرم ، دار القلم ، طبعة جديدة بيروت لبنان
- تاريخ الكنيسة الشرقية :
الاب البير ابونا ، المطبعة العصرية ، الموصل ، العراق .
- تاريخ الماسونية العلمية :
شاهين مكاريوس . دار مارون عبود ط٤ ١٩٨٤م
- التبشير المسيحي في منطقة الخليج :
احمد فون دنفر
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية :
د . مصطفى خالدى و د . عمر فروخ ، المكتبة العصرية بيروت ، صيدا
ط ٤ - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
- التبصير في الدين :
لابي المظفر الاسفراييني ت : كمال يوسف الحوت ط: ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق
فخر الدين بن عثمان بن علي الزيلعي ط ١٣١٣هـ بولاق .
- تثبيت دلائل النبوة :
القاضي عبد الجبار الهمداني ،ت: عبد الكريم زيدان ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت
- التحبير في المعجم الكبير :
لابي سعد عبد الكريم محمد السمعاني التميمي ، ت: منير ناجي سالم ، مطبعة الارشاد ،بغداد ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م
- تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى
محمد بن عبد الرحمن المباركفورى ط٢ ١٣٨٧-١٩٦٧

- تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب :

عبد الله الترجمان الميورقي ت : عمر وفيق الداعوق ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ

- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد :

ابراهيم محمد البيجوري ، دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣

- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار :

محمد بن عبد الله اللواتي (ابن بطوطة ( ) ت : احمد العوامرى بك ، محمد احمد جاد المولى بك ط بولاق ١٩٣٩ .

- تحقيق ما للهند من مقولة مـــقبولة في العقل او مرذولة

لابي الريحان البيروني ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن الهند ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م

- تراث الاسلام :

شاخت و بوزورث ، ت : حسين مؤنس ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت .

- التراث اليهودى الصهيوني :

صبرى جرجس عالم الكتب ط ١ القاهرة ، ١٩٧٠م

- تربية الاولاد في الاسلام :

عبد الله ناصح علوان ، دار السلام للطباعة والنشر ١٤٠١ - ١٩٨١ حلب بيروت

- التسهيل لعلوم التنزيل :

ابو القاسم محمد بن احمد بن جزى الكلبي الغرناطي :

ت : محمد عبد المنعم اليونسي وابراهيم عطوة ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة حسان مصر

- التصوف ، طريقا ، وتجربة ، ومذهبا

د . محمد كمال جعفر ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠

- تطور الفكر الديني في مصر القديمـــة :

جيمس هنرى برستيد ت : زكي موسى دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع مصر ١٩٦١

- التعريفات :

لابي الحسن علي بن محمد الجرجاني ، دار التونسية للنشر ١٩٧١ تونس

- التفرقة بين الاسلام والزندقة :

لابي حامد الغزالي ت : د . سليمان دنيا ط١ ١٩٨١ -١٩٦١ دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

- تفسير ابن عباس : ومروياته في التفسير من كتب السنة :
د . عبد العزيز بن عبد الله الحميدى ، جامعة ام القرى ، الكتاب الثالث والخمسون ، طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض .
- تفسير غريب الحديث ، مرتبا على الحروف
لابن حجر العسقلاني ، ت : زكريا على يوسف ، مطبعة الاعلام - مصر
- تفسير القرآن العظيم
لابن كثير ، المكتبة الشعبية
- التفسير القيم
لابن القيم ، جمعة محمد اويس الندوى ت : محمد حامد الفقي ، لجنة التراث العربي ، بيروت .
- التفسير الكبير :
فخر الدين الرازى ، المطبعة البهية المصرية ، ط ١ ١٣٥٧- ١٩٣٨
وط٢: دار الكتب العلمية طهران
- تفسير المنار
محمد رشيد رضا دار المعرفة ط٢ بالاوفست
- تلبيس ابليس
لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، دار الكتب العلمية عن طبعة ادارة الطباعة المنيرية ١٣٦٨هـ
- تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل :
لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني . ت : عماد الدين احمد حيدر
مؤسسة الكتب الثقافية ط١ بيروت ١٤٠٧ - ١٩٨٧م
- التنظيم الرهباني في الكنيسة المارونية
الاب يوسف محفوظ ت : الاب يوحنا خليفة ، المركز الوطني للبحوث العلمية في باريس طبع في بيروت ١٩٧٠ م مطابع مؤسسة الارز .
- تهافت العلمانية .
د . عماد الدين خليل . مؤسسة الرسالة . ١٣٩٩هـ - ١٩٦٩م
- التوراة بين الوثنية والتوحيد :
سهيل ديب ، دار النفائس بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١
- التوراة السامرية
ت : د . احمد حجازى السقا ، دار الانصار ط١ ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ القاهرة

- جامع الاصول في احاديث الرسول :
لابن الاثير الجزرى . ت : عبد القادر الارناؤوط ، ط ١٣٩٢-١٩٧٢
- جامع البيان في تفسير القرآن :
لابي جرير الطبرى ، دار المعرفة بيروت ١٤٠٠-١٩٨٠
- الجانب الالهي في الفلسفة الاسلامية
د . محمد البهي ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧
- الجامع لاحكام القرآن :
للامام القرطبي ، محمد بن احمد القرطبي ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٣هـ
١٩٥٧ ، وط ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م
- جـــــمع الفوائد ، الجامع لكتب السنة المطهرة
محمد بن سليمان الروداني المغربي ط١ ١٤٠٤هـ -١٩٨٣
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :
للامام ابن تيمية . مطابع المجد التجارية
- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية :
- فايد حماد عاشور ، مؤسسة الرسلة ط٣ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥

- الحافظ الخطيب البغدادى واثره في علوم الحديث :
د . محمود الطحان ، دار القرآن الكريم ط١ بيروت ١٤٠١هـ ، ١٩٨١
- حرب في الكنائس :
د . أسد رستم ، ط٢ بيروت ١٩٦٧
- الحركات الباطنية في الاسلام .
مصطفى غالب ، دار الكتاب العربي بيروت
- الحركة الصليبية :
د . سعيد عبد الفتاح عاشور مكتبة الانجلو المصرية ط٣ القاهرة ١٩٧٨م
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة :
للحافظ جلال الدين السيوطي ، ت : محمد ابو الفضل ابراهيم دار احياء
الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ط١ ١٣٨٧هـ-١٩٦٧
- حضارات الهند :
غوستاف لوبون ت ، عادل زعيتر دار احياء الكتاب العربي القاهرة ، عيسى
البابي الحلبي ط١ ١٣٦٧ - ١٩٤٨

- حضارة العرب :

غوستاف لوبون ، عادل زعيتر القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٩

- حكمة الاديان الحية :

جوزيف كايـــر ، دار مكتبة الحياة ت : حسين الكيلاني بيروت ١٩٦٤

- الحملة الصليبية الرابعة ومسؤلية انحرافها ضد القسطنطينية :

د . اسمت غنيم ، دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٨هـ

- حياة بوذا :

أ . فارديناند هارولد ت: فليب عطاالله ، دار الروائع الجديدة ط ١٩٧٥

- الحياة الرهبانية

رهبنة طرجاورجيوس ـ دير الحرف ـ منشورات النور

- الحياة العلمية في الشام : في القرنين الاول والثاني للهجرة :

خليل داود الزرو ، دار الافاق الجديدة ط١ بيروت ١٩٧١

- حياة المسيـــح :

عباس محمود العقاد : المجموعة الكاملة دار الكتاب اللبنانية بيروت ط١ ١٩٧٨

- خصائص التصور الاسلامي ومقوماته :

سيد قطب ، دار الشروق ط ٧ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠

- خلاصة التصوف المسيحي :

أدولف تانكرة ، ت : يوسف فرج ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧

- الخلاصة الشهية في اخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية :

افلاطون مطران موسكو ، ت : الخوري يوحنا حزبون ، مطبعة كرم بيروت ١٩٥٧

- دائرة المعارف ،

بطرس البستاني دار المعرفـــة ، تهران ناصر خسرو باسار مجيدى

- دائرة المعارف :

فؤاد افرام البستاني : المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٧٧

- دائرة معارف القرن العشرين :

محمد فريد وجدى ط٣ دار المعرفة بيروت ـ ١٩٧١

- دراسات فلسفية واخلاقية :

د . محمد كمال جعفر مطبعة حسان ١٩٧٧

- دراسات في العصر الهلنستي

لطفي عبد الوهاب يحيى ، دار النهضة العربية ، بيروت

- دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية :

د . عرفان عبد الحميد ، مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤

- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة .

موريس بوكاى ، دار المعارف بمصر .

- دعوة التوحيد :

د . محمد خليل هراس ، مكتبة الصحابة ـ طنطا

- دعوة الحق بين المسيحية والاسلام .

منصور عبد العزيز ط٢ ١٩٧٢

- الديارات :

لابي الحسن الشابوشتي . ت : كوركيس عواد ، منشورات مكتبة المثنى مطبعة المعارف بغداد ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

- الديانات القديمة :

محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي .

- الديانات والعقائد :

احمد عبد الغفور عطار مكة المكرمة ١٤٠١ - ١٩٨١

- ديانة قدماء المصريين :

استيندروف : ت : سليم حسن ، مطبعة المعارف بمصر ط١ ١٩٢٣

- الدين :

محمد عبد الله دراز ، مطبعة السعادة مصر ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

- ديوان امرىء القيس

محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر ط٣ القاهرة ١٩٦٩

- دور اليهود في الفرق الباطنية .

احمد محمد مغربي رسالة ماجستير جامعة ام القرى بمكة المكرمة ١٤٠١ -١٩٨١

- الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى :

ل . م هارتمان ج باراكلاف ت : جوزيف نسيم يوسف دار المعارف بمصر ١٩٧٠

- الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية

عبد الشكور محمد امان عبد الكريم ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى (جامعة الملك عبد العزيز سابقا) ١٣٩٦ -١٩٧٦

- رسائل اعمال الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية :

سعيد عقيل سراج ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦-١٤٠٧

- رسالة اليونيسكو :

عدد ٢٦١ سنة ١٩٨٣ القاهرة .

- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة .

السيد محمد بن جعفر الكتاني ، مكتبة الكليات الازهرية القاهرة .

- الرهبانية الباسيلية الشويرية :

د . أ . حاج ط١٩٧٤ لبنان .

- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني

لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ، دار الفكر بيروت

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨

- زاد المسير في علم التفسير :

عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ط١ ١٣٨٧هـ ١٩٦٧

- الزنا ومكافحته

عمر رضا كحالة ، موءسسة الرسالة ، ١٣٩٧هـ -١٩٧٧ بيروت

- الزواج :

عمر رضا كحالة ، موءسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٤-١٩٨٤

- سلاسل المناظرات الاسلامية بين شيخ وقسيس :

عبد الله العلمي ، ط١ ١٣٩٠هـ

- سنن الدارمي

لابي محمد عبد الله الدارمي ، دار احياء السنة النبوية .

- سوسيولوجية الحضارات القديمة :

د . صلاح فوال ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٨٢

- سيرة المسيح وتعاليمه :

د نيس كلارك ، دار منهل الحياة بيروت ١٩٧٧

- شجرة الحضارة :

رالف رالتون ، د . احمد فخرى ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦١

- شرح الكافية الشافية :

محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ت : د . عبد المنعم هويدى ، دار المأمون للتراث .

- شرح كتاب الفقه الاكبر :
الملا علي القارى ، دار الكتب العلمية ١٤٠٤ - ١٩٨٤ بيروت
- شرى ايشوبانيشا د
ا . س . بكطي فيدانتاسوامي برابوباض ، لوس انجلوس لند ن بومبي ط١٩٧٤
راماناري ضاش برهماشاري (رابح يونس) .

- الشخصية الاسرائيلية :
د . حسن ظاظا ، دار القلم - دمشق ط ١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥
- شرح المواقف في علم الكلام :
للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ت : د . احمد المهدى مكتبة الازهر
دار الحمامي للطباعة
- صحيح الامام البخارى :
المكتب الاسلامي محمد اوزدمير - استانبول تركيا ١٩٧٩
- صحيح مسلم بشرح النووى :
المطبعة المصرية ومكتبتها و ط : دار احياء التراث الاسلامي بيروت ط٢ ١٩٧٢
- صفحات مضئية من تراث الاسلام :
انور الجندى دار الاعتصام ١٩٧٩
- طبقات الامم
لابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي ، مطبعة السعادة بمصر
- طيبة في عهد امنحوتب الثالث .
اليزابيث رايفشتال ت: ابراهيم رزق مكتبة لبنان بيروت ١٩٦٧
- عارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذى
محمد بن عيسى ، مكتبة المعارف لبنان
- عالم العصور الوسطى
ج . ج . كولتون ، ت :د . جوزيف نسيم يوسف ، موسسة شباب الجامعة ١٩٨٣
الاسكندرية . مصر
- العبادة المسيحية :
الارشمندريت الياس موسسة خليفة للطباعة لبنان ١٩٨١
- العرب واليهود في التاريخ :
د . احمد سوسة ، العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ١٩٧٥
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية
محمد طاهر التنير ط١ ١٣٣٠ بيروت

- عقيدة الدروز
محمد احمد الخطيب ، مكتبة الاقصى الاردن ط١ ١٤٠٠ - ١٩٨٠
- العقيدة والشريعة في الاسلام :
جولد زيهر ط٢ ت : محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق . دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد .
- العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية :
محمد يوسف النجرامي ، دار الفكر بيروت ط١ ١٣٩٩ - ١٩٧٩م
- العلمانية نشأتها وتطورها
سفر عبد الرحمن الحوالي دار مكة ط١ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢
- علم الاجتماع الديني :
د . زيدان عبد الباقي مكتبة غريب القاهرة .
- عمدة القارى شرح صحيح البخارى :
بدر الدين العيني ، دار احياء التراث العربي بيروت
- العودة للتجسد . :
د . رؤوف عبيد ، دار الفكر العربي القاهرة .
- العيشة الهنية في الحياة النسكية :
لافرام الديراني ، المطبعة الادبية بيروت ١٨٩٩ م
- غريب الحديث :
لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ط١ ١٣٩٧هـ مطبعة العاني بغداد ت : عبد الله الجبورى .
- الفائق في غريب الحديث :
محمود بن عمر الزمخشرى . ت : علي محمد البيجاوى ، محمد ابو الفضل ابراهيم . عيسى البابي الحلبي - القاهرة
- فتح البارى ،بشرح صحيح البخارى :
للحافظ ابن حجر العسقلاني . مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٨هـ
- فتح القدير :
للامام الشوكاني ،ط ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤ مصر
- فتح القدير على الهداية :
كمال الدين احمد بن الهمام ، مصطفى البابي الحلبي ط١ - ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠
- فجر الضمير :
جيمس هنرى برستيد ت : سليم حسن دار مصر للطباعة

- الفصل في الملل والاهواء والنحل :
للامام ابن حزم الظاهرى ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة
- فضائح الباطنية :
لابي حامد الغزالي ت : د . عبد الرحمن بدوى مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت
- الفقه الاسلامي على المذاهب الاربعة :
عبد الرحمن الجزيرى ، دار الارشاد والتأليف . مصر
- الفقه الاسلامي وادلته :
د . وهبة الزحيلي ، دار الفكر بيروت ط١ ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي :
د . محمد البهي ، دار الفكر بيروت ط٥ ١٩٧٠

- الفكر الفلسفي الهندى :
سرفبالي راداكرشنا ود . شارلز مور ت : ندرة اليازجي دار اليقظة العربية
- فلسفات الهند :
جان فيليوزات ت : علي مقلد المنشورات العربية المطبعة البوليسة ١٩٧٦
- الفلسفات الهندية :
د . علي زيعور دار الاندلس ط١ ١٩٨٠ بيروت
- فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية :
لويس غرديه ، ج . قنواتي ت : د . صبحي الصالح ، والاب فريد جبر دار العلم للملايين ط ٢ بيروت ١٩٧٩
- الفلسفة في الشرق :
بول ماسون اورسيل ، ت: محمد يوسف موسى ، دار المعارف بمصر
- الفهرست
محمد بن اسحق محمد بن النديم دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت
- في ظلال القرآن :
سيد قطب دار الشروق ط ١٠ ١٤٠٢ - ١٩٨٢
- قاموس الكتاب المقدس :
نخبة من اساتذة اللاهوت ط٢ ١٩٧١
- قصة الاديان :
رفقي زاهر ط١ دار المطبوعات الدولية مصر ١٤٠٠-١٩٨٠

- قصة الحضارة :
ول ديورانت ت : محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر جامعة الدول العربية ١٩٦٤ - وط : ٣ - ١٩٧١ وط ٢ مطبعة لجنه التأليف والترجمة ت : زكي نجيب محمود سنة ١٩٥٧ .
- القاموس المحيط :
للفيروز ابادى ، ط ١ المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠هـ
- الكتب التاريخية في العهد القديم :
د . مراد كامل ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨
- الكرملي :
الاب البير ابونا مطبعة الاديب البغدادية ١٩٧٨
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :
ابو القاسم جار الله محمود الزمخشرى دار الفكر - بيروت
- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس :
اسماعيل العجلوني ت : احمد القلاش مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩
- الكنائس الشرقية عبر التاريخ :
الاباتي بطرس فهد مطابع الكريم الحديثة - جونية ١٩٧٢
- كنتم خير امة اخرجت للناس :
خير الله طلفاح دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٨هـ ١٩٧٨.
- كنز قمران : مدارج البحر الميت :
المطران اثناسيوس يشوع صموئيل ، ت : القس الفونس شوريز - نشر ثاوفيلوس جورج صليبا ١٩٨٥ لبنان
- لسان العرب :
جمال الدين محمد بن منظور ، دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ
- المآسي والصور الغوامض :
محمد عبد الله عنان ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤
- مائدة أفلاطون :
محمد لطفي جمعة ، مكتبة التأليف - شارع عبد العزيز بمصر
- مارمارون - قديسو القورشية :
البير جبور ، المنشورات الارثوذكسية مكتبة السائح طرابلس لبنان ١٩٨٥
- مبادئ الفلسفة :
أ . س ، رابوبرت ت : احمد امين ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٩م

- المبسوط :
لشمس الدين : محمد بن أحمد بن ابي سهل السرخسي ، ط ٢ ط دار المعرفة
- المجددون في الاسلام من القرن الأول الى الرابع عشر :
عبد المتعال الصعيدى ، مكتبة الاداب ، القاهرة .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
ابو بكر الهيثمي بتحرير الحافظ العراقي وابن حجر ط٣ دار الكتاب العربي
١٤٠٢-١٩٨٢ بيروت .
- مجموعة الرسائل الكبرى :
للامام ابن تيمية ، مكتبة انس بن مالك ١٤٠٠هـ مصر
- المجموع شرح مهذب الشيرازى :
يحيى بن شرف النووى ت : محمد نجيب المطيعي زكريا علي يوسف
مطبعة الامام بمصر .
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :
ت : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ، ط ١ - ١٣٩٨هـ
مطابع العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
- محاسن التأويل " تفسير القاسمي "
محمد جمال الدين القاسمي ت : احمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ط ٢
بيروت ١٣٩٨-١٩٧٨
- محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة :
د . محمد جلال شرف مكتبة كريدية اخوان ، بيروت ١٩٨٠
- محاضرات في النصرانية :
الشيخ محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي مصر طه ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م
- محاكم التفتيش ، نشأتها ونشاطها :
د . اسحق عبيد ، دار المعارف مصر ، ١٩٧٨
- المحلى :
للامام ابن حزم ت : احمد محمد شاكر المكتب التجارى للطباعة والنشر
بيروت .
- محيط المحيط :
بطرس البستاني مكتبة لبنان بيروت ، ١٩٧٧
- مختار الصحاح :
لابي بكر الرازى ، ط دار الفكر ١٣٩٨هـ
- المختار في الرد على النصارى :
عمرو بن بحر الجاحظ ، ت : محمد عبد الله الشرقاوى ، دار الصحوة
القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤

- مختصر تاريخ الدول :
غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري ، ط ٢
- مختصر تاريخ سوريا :
المطران يوسف الدبس ، ط٢ لبنان ١٩٨٤
- مختصر سنن ابي داود
للحافظ المنذري ت : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية .
- مخطوطات البحر الميت :
حسين عمر حمادة دار منارات للنشر عمان الاردن ١٩٨٢
- مخطوطات البحر الميت :
محمود العابدى ، جمعية عمال المطابع التعاونية عمان ١٩٦٧م
- مخطوطات البحر الميت والبحث في اصول النصرانية الاولى
د . فاروق عمر عبد الله ، جامعة الملك عبد العزيز جدة كلية الاداب والدراسات الانسانية محاضرة القيت في ربيع الاول سنة ١٤٠٦ هـ
- المخطوطات العربية لكتبة النصرانية :
للاب لويس شيخو نشرته مجلة المشرق اللبنانية اعيد طبعها في الثانية ، ١٩٨٠
- المدخل الى دراسة الأديان والمذاهب :
العميد عبد الرزاق محمد اسود ، دار المسيرة ، الدار العربية للموسوعات بيروت ١٤٠١- ١٩٨١
- مدخل في تاريخ الاديان :
محسن العابد : دار الكتاب بسوسة ١٩٧٣
- مذاهب الاسلاميين :
د . عبد الرحمن بدوى ، دار العلم للملايين ط١ بيروت ١٩٧٣
- مذاهب فكرية معاصرة :
محمد قطب ، دار الشروق ط١ ١٤٠٣ -١٩٨٣
- المذاهب الكبرى في التاريخ :
البان . ج ويد جيرى ت : ذوقان قرقوط دار القلم ط٢ بيروت ١٩٧٩
- المرأة في الشعر الجاهلي
د . احمد محمد الحوفي دار الفكر العربي ط٢ مطبعة المدني
- مسألة المنبوذين في الهند :
عبد العزيز الثعالبي ، دار الغرب الاسلامي بيروت ١٤٠٤ -١٩٨٤
- المستدرك على الصحيحين :
للحاكم (محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم) ، دار المعرفة للطباعة والنشر مكتب المطبوعات الاسلامية ـ حلب .

- مسند الامام أحمد بن حنبل :
المكتب الاسلامي ، دار الفكر ط ، بيروت
- المسيح ابن مريم
جاك جومير ، وسامي اليافي دار الكلمة بيروت ١٩٦٦
- المسيح في القرآن والتوراة والانجيل . :
عبد الكريم الخطيب دار الكتب الحديثة مصر ط ١ ١٣٨٥ -١٩٦٥
- المسيح في مفهوم معاصر :
عصام الدين حفني ناصف . دار الطليعة ط١ ١٩٧٩م
- المسيحية :
د . احمد شلبي مكتبة النضهة المصرية القاهرة ط ٦ ، ١٩٧٨
- المسيحية نشأتها وتطورها :
شارل جينيبر ، المكتبة العصرية ت : د . عبد الحليم محمود ، صيدا لبنان
- مصرع التصوف :
برهان الدين البقاعي ، ت : عبد الرحمن الوكيل ، ادارة الطباعة
- المنيرية ١٣٦٨هـ ـ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- مصر القديمة :
سليم حسن ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٩
- مصر والعرب واسرائيل في الكتب المقدسة :
د . محمد احمد محمد حسن ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠
- معالم أصول الدين :
فخر الدين الرازى ت : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربي بيروت
- معالم تاريخ الانسانية :
هـ . ج ولز ، عبد العزيز توفيق جاويد ط٣ لجنة التاليف والترجمة مصر ١٩٦٧
- معالم تاريخ اوروبا في العصور الوسطى :
د . محمود سعيد عمران دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٢م
- معالم تاريخ العصور الوسطى :
محمد رفعت ، وأحمد حسونة ط٢ مصر ١٩٢٦
- معالم الحضارة في الاسلام :
د . عبد الله علوان ، دار السلام القاهرة ط٢ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤
- معجم الالفاظ والاعلام القرآنية :
محمد اسماعيل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة

- المعجم المفهرس " تجريد أسانيد الكتب المشهورة والاجزاء المنثورة " : لابن حجر ، ميكروفيلم بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم ٧٥٤ نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية .
- معجم المؤلفين :
عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى دار احياء التراث العربي ، بيروت
- المغني :
لابن قدام ، مكتبة الرياض الحديثة الرياض .
- مغني المحتاج :
لابي زكريا يحيى بن شرف النووى ط١٣٧٧هـ
- المفردات في غريب القرآن :
ابو القاسم الراغب الاصفاني ، ت : احمد سيد كيلاني ، مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٨١-١٩٦١
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام :
د . جواد علي دار العلم للملايين ط٢ ١٩٨٠
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت : عبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩
- مقالات الاسلاميين :
لابي الحسن الاشعري ت : محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ القاهرة ١٣٨٩ - ١٩٦٩
- مقامع الصلبان :
احمد بن عبد الصمد الخزرجي . ت : عبد المجيد الشرفي ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ١٩٧٥
- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق
د . احمد سوسة مركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد ط ١٩٧٨
- المماليك والفرنج :
د . احمد دراج ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦١
- من افلاطون الى ابن سينا :
د . جميل صليبا دار الاندلس ١٤٠١ ١٩٨١
- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ،
عبد العزيز بن حمد بن ناصر ال معمر ، دار ثقيف للنشر والتاليف ، الطائف المملكة العربية السعودية ط٢ ١٣٩٨-١٩٧٨

- من روســـة الى مكـــــة :
خير النساء د ى ساراواك ت : رأفت شنبور مطبعة اللواء طرابلس الشام ١٩٣٥م لبنان .
- منظومة الامام الابـــوصيرى في الرد على النصارى واليهود :
محمد بن سعيد بن حماد الابوصيرى :ت : أحمد حجازى السقا : مكتبـــة المدينة المنورة بمصر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩
- منهج التربية الاسلامية
محمد قطب ط٢ دار الشروق بيروت
- منهج السنة في الزواج :
د . محمد الاحمدى ابو النور ط١ دار النصر للطباعة ١٣٩٢-١٩٧٢ القاهرة
- منو سمرتـــــي : "كتاب الهندوس المقدس"
ت : احسان حقي دار اليقظة العربية ط ١
- مهاتما غاندى
رومن رولان ت : عمر فاخورى مطبعة طبارة بيروت
- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل :
لابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن مكتبة النجاح ، ليبيا
- الموسوعة الاثرية العالمية :
لمجموعة من العلماء باشراف ليونارد كوتـــريل ت : د . محمد عبد القادر محمد د . زكي اسكندر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧
- موسوعة التاريخ الاسلامي :
د . عبد الله مبشر الطرازى عالم المعرفة جدة ط١ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣
- موسوعة تاريخ العالم :
وليم لانجر ، ت :د . مصطفى زيادة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٤
- الموسوعة الميسرة :
محمد شفيق غربال ، دار نهضة لبنان
- الموسوعة الفلسطينية :
العميد عبد الرزاق محمد الاسود ،دار العربية للموسوعات ١٩٧٨
- الموسوعة الفلسفية :
م . روزنتال ، ى يودين ت : ســــمير كرم ، دار الطليعة بيروت ط٢ ١٩٨٠
- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية :
د . عبد الوهاب محمد المسيرى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ١٩٧٤

- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية :
د . عبد المنعم الحفني ط١ دار المسيرة بيروت / ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠
- موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ :
احمد العوايشة ط١ دار مكة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢
- موقف الاسلام والكنيسة من العلم :
عبد الله المشوخي مكتبة المنار ،الاردن الزرقاء ط١ ١٤٠٢
- موقف الدين من العلم :
الشيخ محمد نمر الخطيب ،دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط١
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢
- ميلاد العصور الوسطى
هـ. سانتل .ب موس ، ت : عبد العزيز جاويد ـ سيد الباز العريني
عالم الكتب القاهرة ١٩٦٧

- نسكيات :
اسحق السرياني ت : الاب اسحق عطاالله منشورات النور بيروت ١٩٨٣
- نشأة الدين :
د . علي سامي النشار ، دار نشر الثقافة بالاسكندرية مطابع عابدين ط١٣٦٨
١٩٤٩
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام :
د . علي سامي النشار دار المعارف ط٧ ١٩٧٧
- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها
د . عرفان عبد الحميد فتاح المكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٤ - ١٩٧٤
- نصارى العراق في العصر العربي :
جاسم صكبان الربيعي ، كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٧٤
- النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية
لنصر بن يحيى بن عيسى المتطبب المهتدى ت : محمود قدح
رسالة ماجيستير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٧ - ١٩٨٧
- نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام :
د . محمود عبد السميع الشعلان دار العلوم والنشر ١٤٠٣ -١٩٨٣
- نظام الزواج في اليهودية والمسيحية :
د . محمد شكرى سرور دار الفكر العربي بمصر ١٩٧٩
- نفاق اليهود :
مارتن لوثر : عجاج نويهض دار الفكر ط١ ١٣٩٤

- نقض اوهام المادية الجدلية :
د . محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر ط٢ دمشق ١٣٩٩ -١٩٧٩
- نوادر المخطوطات :
عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٧٣
١٩٥٤
- النهاية في غريب الحديث والاثر -
مجد الدين ابي السعادات ابن الاثير ت : د محمود الطناحي المكتبة الاسلامية
ط١ ١٣٨٣هـ -١٩٦٣
- هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى
لابن قيم الجوزية ، مطابع المدينة - الرياض
- هدية العارفين :
اسماعيل باشا البغدادى ، منشورات مكتبة المثنى بغداد ط . بالاوفست استانبول
استانبول ١٩٥١
- الهند القديمة حضاراتها ودياناتها :
د . محمد اسماعيل الندوى ، دار الشعب مصر ١٩٧٠
- وثائق دير صهيون بالقدس الشريف :
د . احمد دراج : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨
- الوجود الالــهــي
سانتيلانا . ت : عصام الدين محمد علي ، موسسة الخافقين دمشق ط١
١٩٨١ بيروت
- وسائل ومقاومة الغزو الفكر للعالم الاسلامي .
د . حسان محمد حسان دار الاصفهاني جدة ١٤٠٥
- وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه .
د . محمد الزحيلي ، دار القلم ط ١٣٩٧ - ١٩٧٧
- يا أهـــل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء :
د . روؤف شلبي ، دار الاعتصام ، القاهرة ط٢ ١٤٠٠ -١٩٨٠
- اليهودية :
د . احمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٤
- اليهود في تاريخ الحضارات الاولى :
د . غوستاف لوبون ت : عادل زعيتر ، عيسى البابي الحلبــي وشركاه
١٩٧٠
- اليهود في مصر في عصر البطالمة : د . مصطفى كمال عبد العليم مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٨ .
- يوحنا المعمدان . د . احمد حجازى السقا دار التراث العربي مصر ١٩٧٨

ثبـــت الدوريـــــــات :

- جريدة الرياض عدد ٦٠٠٧ السنة ٢١ ١١/٣/١٤٠٥ - ٢/ديسمبر ١٩٨٣ المملكة العربية السعودية
- جريدة المسلمون العدد ٩٨-٩٩-١٩ ربيع الثاني ١٤٠٧هـ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٦ المملكة العربية السعودية
- مجلة الازهر عدد محرم ١٣٧٩ القاهرة
- مجلة التضامن : الشركة العربية البريطانية للنشر والتوزيع والاعـــلام المحدودة عدد ٤ تاريخ ٧/ ٥/١٩٨٣ لندن
- مجلة ثقافة الهند عدد ٣ سنة ١٩٥١ الهند
- مجلة الحوادث العدد ١٣٠٥ ١٩٨١ ٦ تشرين الثاني نوفمبر لندن .
- مجلة المجتمع عدد ٦٤٨ ربيع الاول ١٤٠٤ الكويت
- مجلة المسلمون العدد ٢٢ سنة ١٤٠٢ ـ المملكة العربية السعودية
- مجلة المـــــشرق : تصدر في لبنان ، مجموعة أعيد نشرها عام ١٩٨٠ في المانية .
- مجلة اليمامة عدد ٨٠٤ ٢٢ شعبان ١٤٠٤ المملكة العربية السعودية

المراجــــــــع الاجنبيـــــة :

_ EARLY INDIAN RALIGIONS . P. BANERJEE, NEW DELLI INDIA . 1975
_ ENCYCLOPAEDIA BRITANICA . V:10. PRESS.1974
_ ENCYCLOPAEDIA OF RELIGION AND ETHICS . EDIT BY JAMES HASTINS. NEW YORK . 1974
_ MAN'S RELIGIONS . JOHAN . B . MOSS . MACMILLAN PUBLISHING CO. IMS. NEW YORK. 1980

" الفهـــــرس "